حرف الذال

* الذال:

صوت الذال هو النظير المجهور للثاء، فلا فرق بينهما إلا أن الأوتار الصوتية تتذبذب في حال النطق بالذال.

فالذال إذن صوت مما بين الأسنان احتكاكي مجهور.

وقد تطور هذا الصوت في اللغة العامية إلى دال كما في «دهب» وإلى زاي، كما في «ذلك» بالنطق العامي، ويخطيء المثقفون وبعض المتعلمين في نطقه كما هو الحال في نطقهم لصوت الثاء (علم الأصوات / ١١٩).

والذال لها خمس صفات: الجهر، الرخاوة، الاستفال، الإصمات، الانفتاح (ملخص أحكام التجويد / ١٠٨).

وجاء في اللسان:

الذال المعجمة: حرف من الحروف المجهورة والحروف اللثوية، والثاء المثلثة والذال المعجمة والظاء المعجمة في حيز واحد (لسان العرب ١٧ / ١٤٧١).

(يلاحظ أن علم اللغة الحديث يستخدم لفظ «صوت» هنا بدلا من «حرف»).

ويتناول الإمام الصفاقسي صوت الذال من حيث صحة نطقه في تلاوة القرآن الكريم فيقول:

يخرج الذال من المخرج العاشر من مخارج اللسان وهو حرف مجهور رخو مستفل منفتح مصمت متوسط مرقق إلا أنه إلى الضعف أقرب ويقع الخطأ فيها من أوجه: منها تفخيمها وأحرى إن جاورت حرفا مفخما نحو الأذقان وذاق وذَرَّة وذروا ولا تذر وذرهم إذ على اللسان كلفة في الترقيق مع التفخيم فيجرى على وتيرة واحدة طلبا لليسر، وكذلك إذا أتى بعدها ألف نحو ذلك وهذا فذانك، وكذلك إذا جاء بعدها لام مفخم نحو معاذ الله فمن لم يعتن بترقيقها في ذلك كله فخمها وخرج بها من الانفتاح والاستفال إلى الإطباق والاستعلاء فصارت ظاء لاتفاقهما في المخرج ولذلك يبدِّل أحدهما من الآخر كثير من الجُهَّال في نحو المنذرين والمنظرين وظللنا وذللنا ومحذورا ومحظورا وبعضهم يجعلها عند حروف الاستعلاء ضادا وهو لحن فاحش ومنها ما يفعله بعض العجم ومن يقتدى بها من إبدالها دالا مهملا أو زايا ولا تحل القراءة به إذ فيه فساد اللفظ والمعنى، ومنها عدم بيان ما فيها من الجهر إذا أتت قبل الحرف المهموس نحو ﴿**واذكروا إذ كنتم**﴾ حتى تصير تاء كما يفعله كثير من الناس لاتفاقهما في المخرج ولولا الجهر الذى فيها لكانت ثاء فإن سكنت وأتى بعدها مثلها وجب إدغامها فيه نحو إذ ذهب وكذلك اذا أتى بعدها ظاء وذلك في موضعين ﴿**إذ ظلموا**﴾ بالنساء و ﴿**إذ ظلمتم**﴾ بالزخرف وجب إدغامها فيه فتنطق بظاء مشددة وهذا لا خلاف فيه بين الناس. واختلف في إدغامها في التاء في نحو اتخذت واتخذتم فأظهرها المكى وحفص واختلف عن رويس وأدغمها الباقون. واحرص على إظهارها في ﴿**فنبذتها**﴾ و ﴿**عذت بربى**﴾ إن قراتهما بقراءة من له الإظهار كنافع فإن تكررت نحو ﴿**ذى الذكر**﴾ وجب بيانها وكذلك إذا أتى بعدها نون ﴿**فنبذناه**﴾ ﴿**وإذ نتقنا**﴾ والله أعلم (تنبيه الغافلين / ٥٨، ٥٩).

وتدغم الذال إدغاما صغيرا في الأصوات الآتية:

١ ـ «التاء»: مثل قوله تعالى: ﴿**وإذ تأذن ربكم لئن شكرتم لأزيدنكم**﴾ [إبراهيم: ٥] ينتقل مخرج الذال إلى الوراء قليلا، ثم ينطق بها مهموسة شديدة، وهكذا يتم الإدغام.

٢ ـ «الدال»: مثال قوله تعالى: ﴿**ولولا إذ دخلت جنتك**﴾ [الكهف: ٣٩] الإدغام هنا كالإدغام في المثال السابق، غير أن الذال هنا تحتفظ بجهرها لأن الدال مجهورة.

٣ ـ «الجيم»: مثل قوله تعالى: ﴿**إذ جاء ربه بقلب سليم**﴾ [الصافات: ٨٤] ينتقل مخرج الذال إلى وسط الحنك، فتشبه الجيم لأن أقرب أصوات وسط الحنك إلى الذال هى الجيم، فكلاها مجهور وإن كانت الجيم أكثر شدة.

٤ـ «السين»: مثل قوله تعالى: ﴿لولا إذ سمعتموه﴾ [النور: ١٢] تهمس الذال أولا ثم ينتقل مخرجها قليلا إلى الوراء لتشبه السين همسا ورخاوة.

٥ ـ «الزاى»: مثل قوله تعالى: ﴿وإذ زين لهم الشيطان أعمالهم﴾[الأنفال: ٤٨] الإدغام هنا كالإدغام فى المثال السابق، غير أن الذال تحتفظ بجهرها.

«الصاد»: مثل قوله تعالى: ﴿وإذ صرفنا إليك نفرا من الجن﴾[الأحقاف: ٢٩] الإدغام هنا كالإدغام مع السين، لأنه لا فرق بين السين والصاد فى الإطباق (الأصوات اللغوية / ١٣٣، ١٣٤).

(علم الأصوات ـ د. كمال محمد بشر / ١١٩، وملخص أحكام التجويد ـ د. شعبان محمد إسماعيل / ١٠٨، ولسان العرب لابن منظور ١٧ / ١٤٧١، وتنبيه الغافلين وإرشاد الجاهلين لأبى الحسن على بن محمد النورى الصفاقسى / ٥٨، ٥٩، والأصوات اللغوية ـ د. إبراهيم أنيس / ١٣٣، ١٣٤).

* ذا:

جاء فى اللسان:

ذا: قال أبو العباس أحمد بن يحيى ومحمد بن زيد: ذا يكون بمعنى هذا، ومنه قول الله عز وجل: ﴿من ذا الذى يشفع عنده إلا بإذنه﴾[البقرة: ٢٥٥] أى من هذا الذى يشفع عنده، قالا: ويكون ذا بمعنى الذى، قالا: ويقال هذا ذو صلاح ورأيت هذا ذا صلاح ومررت بهذا ذى صلاح، ومعناه كله صاحب صلاح.

وقال أبو الهيثم: ذا اسم كل مشار إليه معاين يراه المتكلم والمخاطب، قال: والاسم فيها الذال وحدها مفتوحة، وقالوا الذال وحدها هى الاسم المشار إليه، وهو اسم مبهم لا يعرف ما هو حتى يفسّر ما بعده، كقولك ذا الرجل، ذا الفرس، فهذا تفسير ذا، ونصبه ورفعه وخفضه سواء، قال: وجعلوا فتحة الذال فرقا بين التذكير والتأنيث، كما قالوا ذا أخوك، وقالوا ذى أختك، فكسروا الذال فى الأنثى، وزادوا مع فتح الذال فى المذكر ألفا، ومع كسرتها للأنثى ياء، كما قالوا أنتَ وأنتِ.

قال الأصمعى: والعرب تقول لا أكلمك فى ذى السنة وفى هذى السنة، ولا يقال فى ذا السنة، وهو خطأ، إنما يقال فى هذه السنة، وفى هذى السنة وفى ذى السنة، وكذلك لا يقال ادخل ذا الدار، ولا ألبس ذا الجبة، إنما الصواب ادخل ذى الدار وألبس ذى الجبة، ولا يكون ذا إلا للمذكر يقال: هذه الدار وذى المرأة، ويقال: دخلت تلك الدار وتيك الدار، ولا يقال ذيك الدار، وليس فى كلام العرب ذيك البتة، والعامة تخطئ فيه فتقول كيف ذيك المرأة؟ والصواب كيف تيك المرأة؟

قال الجوهرى: ذا اسم يشار به إلى المذكر، وذى بكسر الذال للمؤنث، تقول: ذى أمة الله، فإن وقفت عليه قلت ذه، بهاء موقوفة، وهى بدل من الياء، وليست للتأنيث، وإنما هى صلة، كما أبدلوا فى هنية فقالوا هنيهة: قال ابن برى: صوابه وليست للتأنيث، وإنما هى بدل من الياء، قال: فإن أدخلت عليها الهاء للتنبيه قلت هذا زيد، وهذى أمة الله، وهذه أيضا، بتحريك الهاء، وقد اكتفوا به عنه، فإن صغرت ذا قلت ذَيَّا، بالفتح والتشديد، لأنك تقلب ألف ذا ياء لمكان الياء قبلها فتدغمها فى الثانية، وتزيد فى آخره ألفا لتفرق بين المبهم والمعرب، وذيَّان فى التثنية، وتصغير هذا هَذَيَّا، ولا تصغر ذى للمؤنث، وإنما تصغر تا، وقد اكتفوا به عنه، وإن ثَنَّيت ذا قلت ذان لأنه لا يصح اجتماعهما لسكونهما، فتسقط إحدى الألفين، فمن أسقط ألف ذا قرأ: ﴿إن هذين لساحران﴾ فأعرب، ومن أسقط ألف التثنية قرأ: ﴿إن هذان لساحران﴾[طه: ٦٣] لأن ألف ذا لا يقع فيها إعراب، وقد قيل: إنها على لغة بلحارث بن كعب، قال ابن برى عند قول الجوهرى: من أسقط ألف التثنية قرأ: ﴿إن هذان لساحران﴾، قال: هذا وهم من الجوهرى لأن ألف التثنية حرف زيد لمعنى، فلا يسقط وتبقى الألف الأصلية كما لم يسقط التنوين فى هذا قاض، وتبقى الياء الأصلية، لأن التنوين زيد لمعنى، فلا يصح حذفه، قال، والجمع أُولاء من غير لفظه، فإن خاطبت جئت بالكاف فقلت ذاك وذلك، فاللام زائدة والكاف للخطاب. وفيها دليل على أن ما يومأ إليه بعيد، ولا موضع لها من الإعراب، وتدخل الهاء على ذاك فتقول هذاك زيد، ولا تدخلها على ذلك ولا

على أولئـك، كما لم تدخل على تلك، ولا تدخل الكـاف على ذى للمؤنث، وإنما تـدخل على تا، تقول تيك وتلك، ولا تقل ذيك فـإنـه خطـأ، وتقـول فى التثنيـة: رأيت ذينك الرجلين، وجاءنى ذانك الرجـلان، قال: وربما قالوا ذانك، بالتشديد.

قـال ابن برى: من النحـويين من يقـول ذانِّك، بتشديـد النون، تثنيـة ذلك قلبت اللام نـونا وأدغمت النـون فى النون، ومنهم من يقول تشديد النون عوض من الألف المحذوفة من ذا، وكذلك يقـول فى اللذان إن تشديد النون عـوض من الياء المحذوفة من الذى، قال الجوهرى: وإنما شددوا النون فى ذلك تأكيدا وتكثيرا للاسم، لأنـه بقى على حرف واحد، كما أدخلوا الـلام على ذلك، وإنما يفعلون مثل هـذا فى الأسماء المبهمـة لنقصـانهـا؛ وتقـول للمـؤنث تـانِك وتـانِّك أيضـا، بـالتشديـد، والجمع أولئك، وتصغيـر ذاك ذيَّاك، وتصغيـر ذلك ذيَّـالك، وتصغير تلك تيـاك، قال ابـن برى: صـوابـه تيَّالك، فأمـا تيَّاك فتصغير تيك. وقال ابن سِيـدَهُ فى موضع آخـر: ذا إشارة إلى المـذكـر، يقال ذا وذاك، وقـد تزاد الـلام فيقال ذلك. وقولـه تعالى: ﴿ذلك الكتـاب﴾ قال الزجاج: معناه هذا الكتـاب، وقد تدخل على ذا ها التـى للتنبيه فيقال هذا، قال أبو على: وأصله ذى فأبـدلوا ياءه ألفا، وإن كانت ساكنة، ولم يقـولوا ذى لئلا يشبه كى وأى، فأبدلـوا ياءه ألفا ليلحق بيـاب متى وإذ، أو يخرج مـن شبـه الحـرف بعض الخروج. وقوله تعالى: ﴿إن هذان لساحران﴾، قال الفراء: أراد يـاء النصب ثم حذفهـا لسكونهـا وسكون الألف قبلهـا، وليس ذلك بـالقوى، وذلك أن الياء هى الطـارئة على الألف فيجب أن تحذف الألف لمكـانها؛ فأمـا ما أنشـده اللحيانى عن الكسائى لجميل من قوله:

وأتى صـواحبهـا فقلن: هـذا الـذى
منح المـودة غيـرنـا وجفـانـا

فإنه أراد أذا الـذى فأبدل الهاء من الهمـزة. وقد استعملت ذا مكان الـذى كقولـه تعالى: ﴿ويسألـونك ماذا ينفقـون قل العفو﴾ [البقـرة: ٢١٩] أى مـا الـذى ينفقـون، فيمن رفع الجواب، فـرفع العفـو يدل على أن مـا مرفوعة بـالابتداء وذا خبرها وينفقـون صلة ذا، وأنـه ليس مـا وذا جميعا كـالشىء الواحد، هذا هو الوجه عند سيبـويه، وإن كان قد أجاز الوجه الآخر مع الرفع.

وذى، بكسر الذال، للمؤنث وفيه لغات: ذى وذه، الهاء بدل من الياء الدليل على ذلـك قولهم فى تحقير ذا ذيًّا. وذى إنما هى تأنيث ذا ومن لفظه، فكما لا تجب الهاء فى المذكر أصلا فكذلك هى أيضا فى المـؤنث بدل غير أصل، وليست الهاء فى هذه ــ وإن استفيد منها التأنيث ــ بمنزلـة هاء طلحة وحمـزة، لأن الهاء فى طلحـة وحمـزة زائدة، والهاء فى هـذا ليست بزائدة، إنما هى بـدل من الياء التى هى عين الفعل فى هذى وأيضا فإن الهاء فى حمزة نجدها فى الوصل تاء، والهاء فى هذه ثـابتة فى الوصل ثبـاتها فى الـوقف. ويقال: ذهى، الياء لبيان الهاء شبهها بهـاء الإضمار فى بِهِى وهذى وهذهى وهذه، الهاء فى الـوصل والوقف ساكنة إذا لـم يلقها ساكن، وهذه كلها فى معنى ذى (عن ابن الأعرابى) وأنشد:

قلـت لهـا يـا هـذهى هـذا إثـم
هـل لك فـى قـاض إليـه نحتكـم؟

(لسان العرب لابن منظور ١٧ / ١٤٧١، ١٤٧٢).

* **الذات:**

قال التهانوى:

الـذات: هو يطلق علـى معان منهـا المهيـة بمعنى ما بـه الشىء هو هـو وقد سبق تحقيقه فى لفظ الحقيقة (انظـر مادة «الحقيقة» فى م ١٤ / ٣٦٠، ٣٦١) وعلى هـذا قال الإنسان الكامـل إن مطلق الذات هـو الأمر الـذى تستند إليـه الأسماء والصفات فـى عينها لا فى وجودهـا فكل اسم أو صفـة استند إلى شىء فذلك الشىء هو الذات سواء كان معدوما كالعنقاء أو موجودا. والموجود نوعـان نوع هو موجود محض وهو ذات البـارى سبحانـه ونـوع هو مـوجـود ملحق بـالعدم وهـو ذات المخلوقات.

واعلم أن ذات الله تعـالى عبـارة عن نفسـه التى هـو بهـا مـوجود لأنـه قائم بنفسـه وهـو الشىء الذى استحق الأسمـاء والصفات بهـويته فيتصور بكل صورة تقتضيهـا منه كل معنى فيه أعنى اتصف بكل صفة تطلبهـا كل نعت واستحق بوجوده كل اسم دل على مفهوم يقتضيه الكمال ومن جملة الكمالات عدم الانتهاء ونفى الإدراك فيحكم بإنها لا تدرك وأنها مدركة له لاستحالـة الجهل عليه تعـالى فذاتـه غيب الأحديـة التى كل العبارات واقعـة عليها من كل وجه غيـر مستوفية لمعنـاها من

وجوه كثيرة فهى لا تدرك بمفهوم عبارة ولا تفهم بمعلوم إشارة لأن الشيء إنما يعرف بما يناسبه فيطابقه وبما ينافيه فيضاده وليس لذاته في الوجود مناسب ولا مناف ولا مضاد فارتفع من حيث الاصطلاح إذ معناه فى الكلام وانتفى لذلك أن يدرك للأنام انتهى . وفى شرح المواقف للمتكلمين ههنا مقامان .

الأول الوقوع فذهب جمهور المحققين من الفرق الإسلامية وغيرهم إلى أن حقيقة الله تعالى غير معلوم للبشر وقد خالف فيه كثير من المتكلمين من أصحاب الأشعرى والمعتزلة .

والثانى الجواز وفيه خلاف فمنعه الفلاسفة وبعض أصحابنا كالغزالى وإمام الحرمين .

ومنهم من توقف كالقاضى أبى بكر وضرار بن عمرو وكلام الصوفية في الأكثر مشعر بالامتناع .

اعلم أنهم اختلفوا فى أن ذاته تعالى مخالفة لسائر الذوات فذهب نفاة الأحوال إلى التخالف وهو مذهب الأشعرى وابن الحسين البصرى فهو منزه عن المثل والند . وقال قد ماء المتكلمين ذاته مماثلة لسائر الذوات فى الذاتية والحقيقة وإنما يمتاز عن سائر الذوات بأحوال أربعة : الوجوب والحياة والعلم التام والقدرة التامة أى الواجبية والحيية والعالمية والقادرية التامتين هذا عند الجبائى وأما عند أبى هاشم فإنه يمتاز بحالة خامسة هي الموجبة لهذه الأربعة وهى المسماة بالألهية والمذهب الحق هو الأول انتهى .

ومنها المهية باعتبار الوجود وإطلاق لفظ لذات على هذا المعنى أغلب من الإطلاق الأول وقد سبق أيضا فى لفظ الحقيقة .

ومنها ما صدق عليه المهية من الأفراد كما وقع فى شرح التجريد فى فصل المهية وبهذا المعنى يقول المنطقيون ذات الموضوع ما يصدق عليه ذلك الموضوع من الأفراد ثم المعتبر عندهم فى ذات الموضوع فى القضية المحصورة ليس أفراده مطلقا بل الأفراد الشخصية إن كان الموضوع نوعا أو ما يساويه من الخاصة والفصل والأفراد الشخصية والنوعية إن كان جنسا أو ما يساويه من العرض العام وبعضهم خص ذلك مطلقا بالأفراد الشخصية وهو قريب إلى التحقيق وتفصيله يطلب من شرح الشمسية وشرح المطالع فى تحقيق المحصورات وهذه المعانى الثلاثة تشتمل الجوهر والعرض .

ومنها ما يقوم بنفسه وهذا لا يشتمل العرض وتقابله الصفة بمعنى ما لا يقوم بنفسه ومعنى القيام بالذات يجيء فى محله هكذا ذكر أحمد جند فى حاشية شرح الشمسية فى بحث التصور والتصديق والسيد السند فى حاشية المطول فى بحث هل فى باب الإنشاء .

ومنها ما يقوم به غيره سواء كان قائما بنفسه كزيد فى قولنا زيد العالم قائم أو لا يكون قائما بنفسه كالسواد فى قولنا رأيت السواد الشديد وبهذا المعنى وقع فى تعريف النعت بأنه تابع يدل على ذات كذا فى جليى المطول فى باب القصر .

ومنها الجسم كما فى الأطول وحاشية المطول للسيد السند فى بحث هل الاستفهامية .

ومنها المستقل بالمفهومية أى المفهوم الملحوظ بالذات وهذا معنى ما قالوا الذات ما يصح أن يعلم ويخبر عنه وتقابله الصفة بمعنى ما لا يستقل بالمفهومية أى ما يكون آلة لملاحظة مفهوم آخر فالنسب الحكمية صفات بهذا المعنى وأطرافها من المحكوم عليه والمحكوم به ذوات لاستقلالهما بالمفهومية هكذا ذكر السيد الشريف أيضا فى بحث هل . قال فى الأطول : هذا المعنى للذات والصفة الذى ادعاه السيد الشريف لم يثبت فى السنة مشاهير الآنام انتهى وقد ذكر الجليى أيضا هذا المعنى فى حاشية المطول فى بحث الاستعارة الأصلية .

ومنها الموضوع سمى به لأنه ملحوظ على وجه ثبت له الغير كما هو شأن الذوات وتقابله الصفة بمعنى المحمول سميت به لأنه ملحوظ على وجه الثبوت للغير هكذا فى الأطول فى بحث هل وهكذا فى العضدى حيث قال فى المبادى المفردان من القضية التى جعلت جزء القياس الاقترانى يسميها المنطقيون موضوعا ومحمولا والمتكلمون ذاتا وصفة والفقهاء محكوما عليه ومحكوما به والنحويون مسندا إليه ومسندا انتهى .

قيل ما ذكره من اصطلاح المتكلمين إنما يصح فى ماهو موضوع ومحمول بالطبع كقولنا الإنسان كاتب لا فى عكسه أى الكاتب إنسان وأجيب بأن المحكوم عليه يراد به ما صدق عليه وهو الذات والمحكوم به يراد به المفهوم وهو الصفة وما قيل إن المسند إليه عند النحاة قد يكون سورا عند المنطقيين

كقولك كل إنسان حيوان فجوابه إن المحكوم عليه بحسب المعنى هو الإنسان هكذا ذكر السيد الشريف فى حاشيته ويقى أن ما ذكره من اصطلاح الفقهاء مخالف لما مر فى محله فلينظر ثمة. منها الاسم الجامد وتقابله الصفة بمعنى الاسم المشتق ومنها الجزء الداخل بأن يكون محقق الذاتى وتقابله الصفة بمعنى الأمر الخارج هكذا ذكر أحمد جند فى حاشية شرح الشمسية فى بحث التصور والتصديق ويجيىء ما يتعلق بهذا المقام فى لفظ الذاتى.

(كشاف ٢ / ٥١٩ـ ٥٢١).

وفيما يلى ما أورده الإمام البيهقى عن الذات، وقد أبقينا على الأسانيد إتماما للفائدة أخبرنا أبو عبد الله الحافظ أنا أبو عبد الله محمد بن يعقوب نا محمد بن إسماعيل بن مهران نا أبو طاهر أنا ابن وهب حدثنى جرير بن حازم عن أيوب السختيانى عن محمد بن سيرين عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لم يكذب إبراهيم قط إلا ثلاث كذبات، ثنتين فى ذات الله، قوله إنى سقيم، وقوله بل فعله كبيرهم هذا، وواحدة فى شأن سارة إنك أختى» وذكر الحديث رواه البخارى فى الصحيح عن سعيد بن تليد عن ابن وهب. ورواه مسلم عن ابن طاهر.

أخبرنا أبو عبد الله الحافظ أخبرنى أبو محمد عبد الله بن محمد بن زياد نا محمد بن عمرويه نا محمد بن يحيى نا أبو اليمان أنا شعيب عن الزهرى قال: أخبرنى عمرو بن أبى سفيان أن أبا هريرة قال: بعث رسول الله ﷺ عشرة منهم خبيب الأنصارى، فأخبرنى عبيد الله بن عياض أن ابنة الحارث أخبرته أنهم حين اجتمعوا، تعنى لقتله ـ استعار منها موسى يستحد بها، فلما خرجوا من الحرم ليقتلوه قال خبيب:

ولستُ أُبالى حين أُقتل مسلما
على أى شقٍّ كان فى الله مصرعى
وذلك فى ذات الإله وإن يشأ
يبارك على أوصال شلو ممزع

فقتله ابن الحارث، فأخبر النبى ﷺ أصحابه خبرهم يوم أصيبوا.

رواه البخارى فى الصحيح عن أبى اليمان، وكذلك قاله معمر عن الزهرى مدرجا فى الإسناد الأول وذلك فى ذات الإله

أخبرنا أبو عبد الله الحافظ نا أبو العباس هو الأصم نا محمد بن إسحاق أنا عاصم بن على نا أبى عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: «تفكروا فى كل شىء ولا تفكروا فى ذات الله» أخبرنا أبو الحسين بن بشران أن إسماعيل بن محمد الصفار نا أحمد بن منصور نا عبد الرزاق أنا معمر عن أيوب عن أبى قلابة عن أبى الدرداء قال: لا تفقّه كل الفقه حتى تمقت الناس فى ذات الله، ثم تقبل على نفسك فتكون لها أشد مقتا منك للناس (كتاب الأسماء والصفات / ٣٦٠، ٣٦١).

*** ذات أبواب:**

قال ياقوت:

ذات أبوب: قالوا فى قول زهير:

عهدى بهم يوم باب القريتين وقد
زال الهماليجُ بالفرسان واللُّجُمُ

باب القريتين التى بطريق مكة فيها ذات أبواب، وهى قرية كانت لطسم وجديس؛ قال الأصمعى: حدثنى أبو عمرو بن العلاء قال: وجدوا فى ذات أبواب دراهم فى كل درهم ستة دراهم من دراهمنا ودانقان، فقلت: خذوا منى بوزنها وأعطونيها. فقالوا: نخاف السلطان لأنا نريد أن ندفعها إليهم والله أعلم.

(معجم البلدان ٣ / ٣).

*** ذات الأخلاق:**

من مخطوطات الشعر فى دار الكتب الظاهرية بدمشق (أو بمكتبة الأسد)... وجاء بيانه كما يلى:

وهى قصيدة تركية فيما يقرب من أربعة آلاف بيت.

أولها:

إلـه الكل لا معبود غيره
بـه الطول فلا مسجود غيره
لـه الآلاء لا محمود إلا
هـو الله القديم الرب الأعلى

آخرها:

حبيبكلى اولسب دار البقاده
صفاده اولوز يوم اللقاده

وصلى الله على سيدنا محمد وآله صحبه وأزواجه وأحبابه

وأتباعه أجمعين والحمد لله رب العالمين اللهم بارك لي كتابي في الدنيا والآخرة واجعله ذخري وزادي في معادي يارب ياهادي. تم الكتاب تحريرا في سنة ١١٦١ هـ».

أبيات الديوان بالأسود ومشكولة شكلا تاما والعناوين بالحمرة.

١٤٦ ق، ٥, ١٤ × ٢١ سم، ١٧ س، عام ٥٥٤٩.

(المستدرك على فهرس مخطوطات الشعر - إعداد رياض عبد الحميد مراد/ ٣٥، ٣٦).

*** ذات الأساود:**

ذات الأساود: أرض في الجزيرة العربية يصعب تحديدها، ولكنها لا تخرج عن الأرض الموصوفة بأنها من «نجد».

(المعالم الأثيرة في السُّنة والسيرة - إعداد وتصنيف محمد محمد شرَّاب/ ١١٩)

*** ذات الأصابع:**

ذات الأصابع: جاءت في قصيدة حسان بن ثابت رضي الله عنه التي أنشدها قبل فتح مكة ومطلعها:

عفت ذات الأصابع فالجواء
إلى عذراء منزلها خلاء

وذات الأصابع: موضع في ديار الشام مما كان يسكنه الغساسنة.

(المعالم الأثيرة في السنة والسيرة - إعداد وتصنيف محمد محمد حسن شراب/ ١١٩).

*** ذات أطلاح (غزوة -):**

ذات أطلاح قرية بالشام تقع وراء وادي القرى بين تبوك وأذرعات. في السنة الثامنة للهجرة أرسل رسول الله ﷺ كعب ابن عمير ومعه خمسة عشر رجلا إلى ذات أطلاح، وكان يسكنها قوم من قبيلة قضاعة دعاهم إلى الإسلام فلم يستجيبوا لدعوته بل رشقوه هو ورجاله بالنبال، فلم رأى ذلك كعب وصحبه قاتلوهم أشد قتال حتى قُتلوا فيما عدا رجلا واحدا أصيب بجراح. فلما ورد عليه الليل تحامل حتى أتى الرسول ﷺ بالمدينة فأخبره بما حدث له ولأصحابه، وقد فشلت هذه الغزوة فيما عدا بعض معلومات الاستطلاع التي علمها رسول الله ﷺ من المقاتل المصاب.

(حضارة الدولة العربية في عهد الرسول والخلفاء الراشدين والدولة الأموية - د. أحمد رمضان أحمد محمد/ ١٠٨).

*** ذات الأنوار:**

من مخطوطات التصوف في دار الكتب الظاهرية بدمشق (أو بمكتبة الأسد)

الرقم ٧٩٤٣

قصيدة تائبة في المعاني الصوفية والفلسفية مكونة من ٥٠٦ أبيات.

نظم: أبي المظفر عامر بن عامر البصري المتوفى سنة ٦٩٦ هـ/ ١٢٩٧ م.

أولها: قال الشيخ ... بسم الله رب البنية العظمى والكلمة العليا مظهر الأشياء بحقائقها ...

مطلع القصيدة:

تجلى لي المحبوب من كل وجهة
فشاهدته في كل معنى وصورة

آخرها:

سعيت بجد بالغ لذوي الحجى
بكشف معاني كم عيون أجلتي

... تمت بحمد الله وحسن توفيقه.

الخط نسخ معتاد، الحبر: أسود وبعض كلماته بالأحمر.

ق ١١٣ - ١٣١، س ١٣، ١٦ × ١٠ سم كلمات السطر ٨ هامش ٣ سم

تاريخ النسخ: ١٠١٥ هـ.

(فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية. التصوف - وضع محمد رياض المالح ١/ ٥٨١).

*** ذات أنواط:**

شجرة خضراء عظيمة كانت الجاهلية تأتيها كل سنة تعظيما لها، فتعلق عليها أسلحتها وتذبح عندها، وكانت قريبة من مكة. وقيل: إنهم كانوا إذا أتوا يحجون يعلقون أرديتهم عليها ويدخلون الحرم بغير أردية تعظيما للبيت،

ولذلك سميت ذات أنواط . يقال : ناط الشيء ينوطه نواطا إذا علقه . ولها ذكر في الحديث حين مر النبي ﷺ وبعض أصحابه بتلك الشجرة بين مكة وحُنين ، فقال بعضهم : يا رسول الله ، اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط (المعالم الأثيرة / ٣٣) .

وعن هذا الحديث يقول الإمام ابن تيمية : ولما كان للمشركين شجرة يعلقون عليها أسلحتهم ويسمونها ذات أنواط ، قال بعض الناس : «يارسول الله ، اجعل لنا ذات أنواط ، كما لهم ذات أنواط ، فقال : الله أكبر ، قلتم كما قال قوم موسى لموسى : اجعل لنا إلها كما لهم آلهة ، إنها السنن لتركبن سنن من كان قبلكم» .

فأنكر النبي ﷺ مجرد مشابهتهم الكفار في اتخاذ شجرة يعكفون عليها ، معلقين عليها سلاحهم ، فكيف بما هو أطَم من ذلك من مشابهتهم المشركين ، أو هو الشرك بعينه؟

فمن قصد بقعة يرجو الخير بقصدها ، ولم تستحب الشريعة ذلك فهو من المنكرات ، وبعضه أشد من بعض ، سواء كانت البقعة شجرة أو غيرها ، أو قناة جارية ، أو جبلا ، أو مغارة ، وسواء قصدها ليصلي عندها ، أو ليدعو عندها ، أو ليقرأ عندها ، أو ليذكر الله سبحانه عندها ، أو لينسك عندها ، بحيث يخص تلك البقعة بنوع من العبادة التي لم يشرع تخصيص تلك البقعة به ، لا عينا ولا نوعا (اقتضاء الصراط المستقيم (٣١٤ ، ٣١٥) .

(المعالم الأثيرة في السنة والسيرة ــ إعداد وتصنيف محمد محمد حسن شُرَّاب / ٣٣ ، واقتضاء الصراط المستقيم لشيخ الإسلام ابن تيمية ـ بتحقيق محمد حامد الفقي / ٣١٤ ، ٣١٥ انظر أيضا السيرة النبوية لابن هشام ــ قدم لها وعلق عليها وضبطها الأستاذ طه عبد الرءوف سعد ٤ / ٦٤) .

*** ذات الأوتار:**

ذات الأوتار: أربع أسطوانات مربعة تغني عن الحلقة الاعتدالية ، وهي من مخترعات «تقي الدين الراصد» . الحلقة الاعتدالية : حالة تنصب في دائرة المعدل . ليعلم بها التحول الاعتدالي) .

(معجم العلماء العرب ــ باقر أمين الورد ، مراجعة الأستاذ كوركيس عواد ١ / ٢٦٤) .

*** ذات الجنب: PLEURISY**

مما يرد في مصنفات التراث الإسلامي في الطب : وهو ورم في الصدر والأضلاع ونواحيها ، ومن أنواعه الشوصة والبرسام (كتاب التنوير / ١٠٩) كما يعرف بأنه ورم في الجنب من داخل نواحي الحجاب يكون في جوانبه اللحمية وهي الشوصة (زاد المسافر / ٢٥٤) .

ويفرد الإمام ابن قيم الجوزية فصلا في هدى رسول الله ﷺ في علاج ذات الجنب جاء فيه مايلي :

روى الترمذي في جامعه ــ من حديث زيد بن أرقم ـ أن النبي ﷺ ، قال : «تداووا من ذات الجنب بالقسط البحري والزيت» (أخرجه ابن ماجه وأحمد والحاكم)

ذات الجنب ــ عند الأطباء ـ نوعان : حقيقي ، وغير حقيقي . فالحقيقي : ورم حار يعرف في نواحي الجنب في الغشاء المستبطن للأضلاع . وغير الحقيقي : ألم يشبهه ، يعرض في نواحي الجنب عن رياح غليظة مؤذية ، تحتقن بين الصِّفاقات ، فتحدث وجعا قريبا من وجع ذات الجنب الحقيقي . إلا أن الوجع في هذا القسم ممدود ، وفي الحقيقي ناخس .

قال صاحب القانون : «قد يعرض في الجنب والصفاقات والعضل ، التي في الصدر والأضلاع ونواحيها ، أورام مؤذية جدا موجعة ، تسمى : شوصة ، وبرساما ، وذات الجنب . وقد تكون أيضا أوجاعا في هذه الأعضاء ، ليست من ورم ولكن من رياح غليظة ، فيظن : أنها من هذه العلة ولا تكون . قال : واعلم أن كل وجع في الجنب قد يسمى : ذات الجنب ، اشتقاقا من مكان الألم . لأن معنى ذات الجنب : صاحبة الجنب . والغرض به ههنا : وجع الجنب . فإذا عرض في الجنب ألم عن أي سبب كان ، نسب إليه . وعليه حمل كلام أبقراط في قوله : إن أصحاب ذات الجنب ينتفعون بالحمام . وقيل : المراد به كل من به وجع جنب ، أو وجع رئة من سوء مزاج ، أو من أخلاط غليظة أو لذاعة ، من غير ورم ولا حمى» .

قال بعض الأطباء : وأما معنى ذات الجنب ، في لغة اليونان ، فهو : ورم الجنب الحار ؛ وكذلك : ورم كل واحد من الأعضاء الباطنة . وإنما سمى ذات الجنب ورم ذلك العضو :

إذا كان ورما حارا فقط. ويلزم ذات الجنب الحقيقى خمسة أعراض، وهى: الحمى، والسعال، والوجع الناخس، وضيق النفس، والنبض المنشارى (هذا الوصف ينطبق على الوجع الصدرى نتيجة التهاب الرئة، ويعالج الآن بالأدوية المضادة للميكروبات، مثل أقراص السلفا وحقن البنسلين).

والعلاج الموجود فى الحديث ليس هو لهذا القسم، لكن للقسم الثانى الكائن عن الريح الغليظة. فإن القسط البحرى - وهو: العود الهندى؛ على ما جاء مفسرا فى أحاديث أخر - صنف من القسط: إذا دق دقا ناعما، وخلط بالزيت المسخن، ودلك به مكان الريح المذكور، أو لعق -: كان دواء موافقا لذلك، نافعا له، محللا لمادته، مذهبا لها، مقويا للأعضاء الباطنة، مفتحا للسدد. والعود المذكور فى منافعه كذلك. قال المسبحى: «العود حار يابس قابض، يحبس البطن، ويقوى الأعضاء الباطنة، ويطرد الريح، ويفتح السدد، نافع من ذات الجنب، ويذهب فضل الرطوبة. والعود المذكور جيد للدماغ. قال: ويجوز أن ينفع القسط من ذات الجنب الحقيقية أيضا: إذا كان حدوثها عن مادة بلغمية، لا سيما فى وقت انحطاط العلة. والله أعلم».

وذات الجنب: من الأمراض الخطرة. وفى الحديث الصحيح عن أم سلمة، أنها قالت: «بدأ رسول الله ﷺ بمرضه: فى بيت ميمونة، وكان كلما خف عليه: خرج وصلى بالناس؛ وكان كلما وجد ثقلا، قال: مروا أبا بكر فليصل بالناس. واشتد شكواه حتى غُمر. ومن شدة الوجع، اجتمع عنده نساؤه، وعمه العباس، وأم الفضل بنت الحرث، وأسماء بنت عميس. فتشاوروا فى لدِّه: فلدوه وهو مغمور. فلما أفاق قال: من فعل بى هذا؟ هذا من عمل نساء جئن من هنها. وأشار بيده إلى أرض الحبشة. وكانت أم سلمة وأسماء لدتاه. فقالوا. يارسول الله؛ خشينا أن يكون بك ذات الجنب. قال: فيم لددتمونى؟ قالوا: بالعود الهندى، وشىء من ورس وقطران من زيت. فقال: ما كان الله ليقذفنى بذلك الداء. ثم قال: عزمت عليكم: أن لا يبقى فى البيت أحد إلا لُد، إلا عمّى العباس».

وفى الصحيحين: عن عائشة رضى الله تعالى عنها؛ قالت: «لددنا رسول الله ﷺ، فأشار: أن لا تلدونى. فقلنا: كراهية المريض للدواء. فلما أفاق قال: ألم أنهكم أن لا تلدونى؟! لا يبقى منكم أحد إلا لُدَّ، غير عمى العباس: فإنه لم يشهدكم».

قال أبو عبيد: «عن الأصمعى اللدود: ما يسقى الإنسان فى أحد شقى الفم؛ أُخذ من لديدى الوادى، وهما: جانباه. وأما الوَجُور فهو فى وسط الفم». قلت: واللدود (بالفتح) هو: الدواء الذى يُلَدُّ به؛ والسعوط: ما أدخل من أنفه.

وفى هذا الحديث - من الفقه -: معاقبة الجانى بمثل ما فعل سواء، إذا لم يكن فعله محرما لحق الله. وهذا هو الصواب المقطوع به لبضعة عشر دليلا قد ذكرناها فى موضع آخر وهو منصوص أحمد. وهو ثابت عن الخلفاء الراشدين. وترجمة المسألة بالقصاص فى اللطمة والضربة. وفيها عدة أحاديث لا معارض لها البتة؛ فيتعين القول بها (الطب النبوى / ٦٤-٦٦).

ويتناول داود الأنطاكى هذا المرض ومرض الشوصة باعتباره من أمراض الجهاز التنفسى أو أمراض آلات النفس فيقول فى «النزهة المبهجة»:

ذات الجنب والشوصة مرضان اتحدا مادة وعلاجا، وهما عبارة عن تحيز ما فسد من الأخلاط بين الأغشية فإن كان فى أحد الجانبين فذات الجنب وعلامته الحمى ومنشارية النبض والسعال مطلقا والنفس غالبا وأسلمه البلغمى وأردؤه السوداوى وقد ينفجر ولو من خارج فى النادر وإلا بأن استبطن الخلط غير ما ذكر فهى الشوصة ويقال لما بين الكتفين منها ذات العرض ومقابلها ذات الصدر ومنها البرسام وقد تكون فى العضل وفى المنتصف وأى جهة حلتها منعت الميل إليها والنوم عليها وقد تعم فتمنع من الكون على سائر الأشكال.

وعلاماتها: يبس العصب والعضل وعدم الحركة وعلامات الخلط الغالب. العلاج لابد من الفصد مطلقا لكن بالخلاف فى ذات الجنب أولا وبعد ثلاث من جانب الوجع والإكثار من التضمد بالبنفسج والشعير والإكليل وكل مافيه تحليل كالجندبادستر. ومن شرب البنفسج وقد تمنع الشوصة التناول فمن الحيل المختارة أن يدق القرنفل والكندر والفلفل وتحشى به تفاحة ويشمها العليل طويلا فإنها تنحل وقد يزاد

الفريبيون للتعطيس قالوا: ومتى قارن السعال أو النفث غشى وقلق من الوجع فلا مطمع في الحياة والله أعلم.

(النزهة المبهجة / ٤٩، ٥٠).

ويقول التهانوى:

ذات الجنب عند الأطباء ورم حار مؤلم فى نواحى الصدر إما فى العضلات الباطنة أو فى الحجاب المستبطن أى الداخل أو الحجاب الحاجز بين آلات الغذاء وآلات التنفس أو فى العضلات الخارجة الظاهرة أو الحجاب الخارج بمشاركة الجلد أو بغير مشاركته. وأهول هذا الورم ما كان فى الحجاب الحاجز نفسه ويسمى ذات الجنب الخالص هذا عند الشيخ فإنه لم يفرق بينها وبين الشوصة والبرسام فهى ألفاظ مترادفة عنده وقال السمرقندى إن البرسام هو الورم العارض للحجاب الذى بين الكبد والمعدة وهو حجاب يحول عارضا بينها يتصل بالحجاب الحاجز، والشوصة هو الورم العارض فى أضلاع الخلف وذات الجنب الخالص هو الورم العارض للغشاء المستبطن للأضلاع والحجاب الحاجز إما فى الجانب الإيمن والأيسر كذا فى الإقسرائى وفى بحر الجواهر ذات الجنب ورم حار مؤلم فى نواحى الصدر فإن كان فى عضل الصدر وخصوصا الداخلة أو فى حجاب الأضلاع من داخل يسمى شوصة وإن كان فى الغشاء المستبطن للصدر يسمى برساما وإن كان فى الحجاب يسمى ذات الجنب باسم العام.

(كشاف اصطلاحات الفنون ٢ / ٢٢٤).

ويفرد ابن الجزار الباب الثانى عشر من كتابه للكلام على الشوصة وذات الجنب وننقله فيما يلى:

إن الدم إذا كثر وفار بقوة حرارة الأبدان الباطنة، ترقت له بخارات إلى الرأس فإذا وافت تلك البخارات منافس الرأس ضيقة متكاثفة منضمة، منعها ذلك من الخروج منها حتى إذا حميت بحرارة الدماغ ذابت وسالت وانعكست راجعة إلى أسفل وقطرت على الصدر كما تقطر رطوبات الحمامات المتصاعدة إلى سقوفها إذا لم يمكنها الخروج من السقوف. فإن مالت المادة فى وقت انصبابها من الرأس إلى الحجاب الفاصل المعروف بديافراغاه تولد من ذلك فى هذا الحجاب الورم الحار المعروف بالشوصة على الحقيقة. وإن مالت المادة أيضا فى انصبابها من الرأس إلى العضل واللحم المنسوج بالأضلاع، أحدث فيها ورما يعرف بذات الجنب ويسمى شوصة على الاستعارة والمجاز، لا على الحقيقة، لأن الشوصة مخصوصة بخواص أربعة. إحداهن صلابة الحمى ودوامها. والثانية نخس فى الجنب حتى يمتنع من الانقلاب من جنب إلى جنب. الثالثة سعال دائم. الرابعة عسر النفس وشدة البهر. والسبب فى صلابة الحمى ودوامها قرب الموضع الألم من القلب ومجاورته له. والسبب فى نخس الجنب أن العلة فى عضو عصبى لطيف الجس دائم الحركة متصل بالدماغ بمشاركته له بالعصب. والسبب فى السعال الدائم أن المادة فى الأعضاء الجاذبة لريح التنفس. وإذا كان فى الأوعية التى يسلك فيها ريح النفس مادة تؤذيها احتالت الطبيعة فى دفع ذلك وإخراجه عنها بالسعال واللهث والسبب فى عظم التنفس أن العلة فى أحد آلات النفس، وهو الحجاب الفاصل.

وأكثر ما تعرض الشوصة لمن كان مزاجه حارا رطبا فى زمان الربيع بالطبع وفى زمان الشتاء بالعرض.

وأما ذات الجنب، فيستدل عليها بما يعرض لأصحابها من بقاء ذات الجنب من غير سعال ولا نفث أصلا لأن العلة خارجة من آلات النفس. وإذا غمز على موضع الألم باليد من خارج أحس صاحبه الألم. وكثيرا ما يظهر الورم إلى خارج. وأكثر ما تتولد الشوصة عن الدم الخالص النقى، وربما كان تولدها عن الدم الحار المرى أو الدم الغليظ السوداوى أو الدم الرطب البلغمانى. وربما كانت من الأخلاط كلها أو جلها. وإنما يستدل على الخلط المولد لها من لون النفث وذلك أن النفث إذا كان أحمر، دل على أن المادة من هدم محض. وإن كان أصفر، دل على أن المُرة الصفراء أغلب على مزاج الدم. وإذا كان أسود دل على أن عليه الاحتراق على الدم وإما على بسيطة المرة الصفراء أو انتقالها إلى المرة السوداء. وإذا كان أبيض دل على البلغم. وقد يعرض أيضا بين ذلك مع ما ذكرنا من أحوال العليل، وذلك أن المادة متى كانت دموية كان البدن ممتلئا والسعال رطبا والعطش قليلا وإذا كانت المادة صفراوية كان البدن

نحيفا والسعال يابسا والعطش قليلا وإن كانت المادة سوداوية كان البدن نحيلا والنبض رقيقا ضامرا والبول رصاصيا . وإن كانت بلغمانية كان السعال رطبا غزيرا والعطش قليلا . وإن كانت المادة مركبة من الأخلاط كلها أو جلها ، كان النفث متلونا بألوان الأخلاط التى تركبت المادة منها ، وكانت أحوال العليل أيضا كذلك وأفضل هذه الأنواع كلها النفث الأحمر لأنه دليل على الدم . والدم الخالص أحمد الأخلاط وأفضلها عند الطبيعة بسرعة العادة لفعل الطبيعة وقبولها النضج وانتقاله إلى الأبيض من قرب . وربما نفث العليل فى ابتداء المرض . يعنى فى اليوم الثالث أو الرابع للطاقة المادة وسرعة إجابتها لفعل الطبيعة . فيدل ذلك على خفة المرض وسرعة انحلاله وخاصة إذا كان النفث يسيرا أبيض سلسا مجتمعا سهل الخروج فى سعلة أو سعلتين وربما تأخر النفث لغلظ المادة وبعد انقيادها . فيدل ذلك على ثقل المرض وطول مدته وبعد انحلاله . وإن كان النفث مع ذلك لا يخرج إلا بمشقة وسعال شديد ، دل ذلك على ضعف القوة وعجزها ولم يؤمن عليها إلاأن يكون لها طاقة على احتمال المرض ومقاومته .

ففيما أتيناه من الكلام والعلم كفاية إن شاء الله . فينبغى لنا الآن أن نذكر علاج هذه العلة ، فنقول إنه يجب أن ننظر أولا من أى سبب عرض الورم فى الحجاب . فإن دلنا البرهان الذى ذكرنا على أن العلة دموية ، نظرنا ، فإن ساعدتنا قوة العليل وسنه ومزاجه ومزاج الفصل من السنة وطبيعة الهواء الحاضر والعادة ، بادرنا عند ذلك بإخراج الدم من الباسليق من جانب العلة قبل أن يأخذ المرض فى الصعود ، وخاصة إن كان الألم متصاعدا ، حتى ينتهى إلى الترقوة

فقد أمر أبقراط فى كتاب تدبير الأمراض الحادة إذا شاركت النواحى العالية للجنب فى الألم ، أن يفصد العليل العرق المعروف بالباسليق . وزعم جالينوس أن هذا العرق إذا فصد كما أمر أبقراط كان جذبه للدم من العضو العليل واستفراغه منه أكبر وأسرع ، إن استفراغه للدم حينئذ يكون بحسب ميل الأخلاط الفاعلة للورم وبحسب الناحية من الحجاب الذى فيه الورم .

وأمرنا أيضا إذا شاركت النواحى السفلانية للجنب فى الألم أن يستفرغ البدن بالإسهال ، واستفراغه أيضا فى هذا الموضع إنما هو بحسب ميل الأخلاط وبحسب الموضع الذى حدث فيه الورم من الحجاب فإن يساعده فى استعمال الفصد ما ذكرنا وكانت نوعية المرض موجبة لذلك وإن كانت القوة ضعيفة ، فإنا لا نخرج الدم على أى حال وأن نحذر غاية الحذر . فإن فى إخراجه مع ضعف البدن خطرا . وقدمنا الضمادات المسكنة لحدة الدم والتى فيها بعض التحليل مثل الضماد المتخذ من ورق البنفسج وأصل الخطمى والشعير المرضوض . يطبخ ذلك ويصفى ويلقى عليه دهن بنفسج وتغمس فيه خرقة كتان ناعمة ويضمد به الموضع بارد إن كان الزمان حارا أو فاترا إن كان الزمان باردا . وإن كانت الحرارة لينة ، فيخلط مع هذا الضماد جزء من بابونج ويلزم العليل حسو الشعير المحكم الصنعة أو سكر سليمانى أو شراب بنفسج ، إن كان فى الطبيعة امتناع والحمى قوية . وإن كانت الحمى لينة والسعال قويا طبخنا لهم مع حسو الشعير سبستان وعناب وعود سوس مرضوض وحب سفرجل . ويعطى فى آخر النهار لباب الخبز المغسول مع لوز مقشر وسكر مسحوق .

وإن كان العليل ممن قد جرت عادته من الإكثار من الغذاء أو لمن يعسر عليه حسو الشعير ولباب الخبز المغسول ، فيعطى القرع والقطن والخبازى بدهن اللوز الحلو . وإذا كان فى يوم الإنذار ، أمرنا العليل أن يمتنع من الغذاء ، أو اقتصرنا به على حسو الشعير فقط . وإن كان السعال قويا ، أمرنا باستعمال شراب العناب والسبستان وبالمواظبة على الحبوبات التى وصفنا فى علاج السعال المتولد من الحر الشديد . وإن كانت الطبيعة متعذرة ، أسهلنا بالترنجبين ولب خيار شنبر المنقى بعد أن قد يمرس فى ماء قد طبخ فيه عناب وإجاص وشىء من زبيب منزوع العجم أو يؤخذ بنفسج مربى وترنجبين ولب خيار شنبر منقى فيمرس فى ماء حار ويصفى ويشرب . وإن كانت مادة العلة حارة مرية ، ودل على ذلك البرهان الذى قدمنا ، ضمد الموضع بالضمادات الملينة بعد أن نجعل قوة التبريد فيه أكثر من قوة التحليل ، مثل هذا الضماد .

وصفته : يؤخذ من أصل الخطمى ونوار البنفسج ، من كل واحد مثقالان ، صندل أبيض ودقيق شعير ، من كل واحد

درهم، جرادة القرع، ثلاثة مثاقيل. يدق ذلك وينخل ويعجن بماء ورق البزر قطونا أو بماء حى العالم أو بماء الرجلة ويلقى عليه دهن بنفسج ويضمد به الموضع إن شاء الله. وإن كان فى الطبيعة امتناع، أسقى ماء القرع المشوى فى الفرن بعد أن يحل فيه ترنجبين وبنفسج مربى ولب خيار شنبر منقى ويتوقى إحذار الطبيعة فى مثل هذه العلة إلا عند الضرورة، فإنها ربما أجابت من قبل نفسها إجابة يعسر حبسها. وإن كان السعال قويا مع تعذر الطبيعة، فليحل الترنجبين والبنفسج المربى فى ماء قد طبخ فيه سبستان منزوع الأقماع. ويشرب من شراب البزرقطونا، أو من شراب البنفسج الذى نذكره فى هذا الباب، إن شاء الله تعالى.

وإن كانت الطبيعة معتدلة، فليعط المريض بالغداة لعاب البزر قطونا بماء الرمان الحلو وشراب البنفسج وشىء من دهن البنفسج. ويأخذ من حسو الشعير المحكم الصنعة بدهن لوز وسكر طبرزد. ويكون استعماله لهذا بعده بساعة وفى آخر النهار لباب الخبز المغسول مع سكر ودهن لوز. ويتعاهد مص الرمان المشوى بدهن حب القرع أو بدهن بنفسج، ويدهن الجبين بدهن النيلوفر أو بدهن البنفسج أو دهن الورد مع الشمع الأبيض وشىء من كثيراء مسحوق ويجعل من الرجلة والكزبرة الرطبة وورق البزر قطونا بدهن بنفسج أو دهن ورد ويضمد به الجبين إن شاء الله تعالى.

صفة شراب بنفسج. مدبر للشوصة والسعال اليابس وبدو السل، وقد جربته فحمدته. يؤخذ من ورق البنفسج وكثيراء بيضاء وحب سفرجل وشعير مقشور وبزر خطمى وبزر قثاء ولب القرع، من كل واحد ستة دراهم، عناب وسبستان، من كل واحد عشرون عددا. يجمع ذلك ويطبخ فى أربعة أرطال من ماء القرع المشوى على نار لينة حتى يرجع إلى رطلين ويصفى بمنخل، ثم يعاد إلى النار مع رطل سكر سليمانى ويطبخ حتى يصير فى قوام الأشربة، إن شاء الله تعالى. ويسقى منه أوقية مع لعاب البزر قطونا ودهن بنفسج.

وإن كانت العلة متولدة عن الدم الرطب البلغمانى أو عن الدم الغليظ السوداوى، فينبغى أن يؤمر العليل بأن يكمد الجبين بأسفنجة قد غمست فى ماء حار. فإن لم ينحل الوجع بذلك، كمدناه بأسفنجة قد غمست فى ماء البابونج وبعض الأدوية المحللة مثل هذه الضماد:

صفته: يؤخذ من بزر كتان أربعة دراهم، أصل الخطمى، ثلاثة دراهم، جلنار وشعير مقشور، من كل واحد درهمان. يطبخ الجميع بالماء طبخا جيدا ويصفى ويلقى عليه دهن خيرى أو دهن بابونج وينزل فيه أسفنج البحر ويكمد به الموضع أو يعمد إلى جاورس مقلو وملح، فيوضعان فى خرقة ويكمد به الموضع أو يؤخذ بابونج وشبت وإكليل الملك وبزر كتان وحلبة وخطمى ودقيق شعير مقشور. من كل واحد جزء. يدق ذلك ويعجن بدهن بابونج أو دهن المرزنجوش أو بعض الأدهان المحللة معا ويلطخ على خرقة ويضمد به الموضع.

وإن كان السعال قويا فيسقى مطبوخ الزوفا محلولا فيه ورد مربى أو يعطى شراب الفراسيون أو لعوق الطباشير أو بعض الأدوية التى ذكرنا للسعال البارد السبب. وإذا صارت العلة إلى الهبوط، فيعطى شراب العسل والميبختج ويسقى ماء الشعيرالمطبوخ بالعنب والسبستان وعود السوس واللوز الحلو والفانيد ويتغذى بالحمص ودهن اللوز أو دهن الشيرج ويمرخ الصدر بدهن البابونج أو بدهن الياسمين أو دهن الخيرى أو دهن الغار أو دهن المرزنجوش أو دهن النرجس أو دهن القسط وما أشبه ذلك من الأدهان المسخنة المحللة، إن شاء الله تعالى (زاد المسافر / ٢١٠ ـ ٢١٦).

كذلك يفرد أبو بكر الرازى الفصل الثالث من كتابه للكلام على «الفروق بين أمراض وأحوال حادثة بما فى الصدر والجنب» ويحصرها فى أربعة فروق. وننقل هذا الفصل فيما يلى وسوف نتبع كل فرق من هذه الفروق بتعليق المحقق الدكتور سلمان قطايه، ونميزه بعبارة «قال المحقق».

قال أبو بكر الرازى:

فى فروق بين أمراض وأحوال حادثة بما فى الصدر والجنب وهى أربعة فروق:

الأول: ما الفرق بين الشوصة وذات الجنب؟

الجواب: اجتمعا فى أكثر الدلائل، وفى الحقيقة وهو المرض المادة وافترقا بالمحل وببعض الدلائل، فهو إذن ذات الجنب يقال على ورم الغشاء المستبطن للأضلاع، والشوصة على ورم العضل الذى فى الأضلاع.

ومن النـاس من ينقـل اسم ذات الجنب إلى الشـوصـة ويجعل ذات الجنب منها حقيقية، ومنها غير حقيقية. ومنهم من يستعمل اسم الشـوصـة على ذات الجنب، واسم ذات الجنب على الشـوصـة، وكل ذلـك غيـر ضـار بعـد معـرفـة حقيقتهما وخواصهما.

وأما الفرق من جهة الدليل فهو أن الـوجع فى ورم الغشاء يكون نـاخسا، وميله إلى الباطـن، وتارة يكون عاليـا تنجذب معه الترقوة، وتـارة يكون منسفـلا، ويحس بالوجـع معه فى ضلـوع الخلف، وتكـون سائر الأعضـاء المشـاركـة فى ذات الجنب أشهر منها فى الشوصـة، والنبض يكون منشاريا، وأما الشوصـة وهى ورم العضل. فالأعراض المشتركـة فيها أخف، والأعراض المشتـركة هي السعـال، وعسر النفس، والحمى. إلا أن الحمى يختل حـالهـا فيهما على حسـب مقدار المـادة المورمـة وعنفها، والوجع يكـون فى الشوصـة ممددا أميل إلى الضرباني ويكون أظهر والنبض فيها ليس شديد الصلابة.

قال المحقق:

يكـرس الرازى هـذا الفصل، وبعض الأسئلـة من الفصل التـالى لموضـوع بالغ الأهميـة، وشديـد الصعوبـة من حيث التشخيص حتى اليـوم رغم التقدم الـذى أحرزه الطب، وهـو التشخيص التفـريقى بين مختلف التجمعـات القيحيـة فى المنطقة الواقعة ما بين غشاء الجنب والكبد.

يعرّف الـرازى ذات الجنب بقوله (الفصـول ـ ص: ١١٣ بند: ٣٥٠) «إن سبب ذات الجنب ورم حار فى ناحية الغشاء المستبطن للأضلاع.

ثم يبـدأ بـالتفـريق فى السـؤال الأول، بين ذات جنب المصلية Plèuresie Sèro - Fibrinèuse ذات المنشأ السلى، وبين الخـراج تحت الحجـاب الحـاجـز- Abces Sous Phrènique (الشوصـة) أو ذات الجـنب القيحيـة Empyène.

والمعلـوم أن الخراجـات تحـت الحجـاب هى التهـاب صفاق (بريطـوان) متوضعة وهى تقع عامة فى المسـافة مابين عضلة الحجاب الحاجز والمعى الغليظ المتوسط.

والنـوع المقصود فى هـذا السـؤال هـو الخراج ذو التطـور العلوى الـذى يظهر بأعراض صـدرية. من هنا تنشأ صعـوبة التشخيص بينه وبين ذات الجنب.

وغشـاء الجنب Plevre هـو: الغشاء المستبطـن للأضـلاع وعضلة الحجاب الحاجز Diaphragme هو العضل الذى فى الأضـلاع وكل الأعـراض المـذكـورة فى الجـواب صحيحة ودقيقة، وخاصة الألم المشع نحو الترقوة clavicule.

ولعل الـرازى أشار إلى ابن سينـا فى تلميحه عن الأطبـاء الذى يخلطون بين الشوصة وذات الجنب.

إذ يقول ابن سينـا (القانـون ـ ج ٢ ـ ص: ٢٣٨): إنـه قد يعـرض فى الحجب والصفـاقـات والعضل التى فى الصـدر ونواحيها، والأضـلاع أورام دموية موجعة جـدا تسمى شوصة وبرساما وذات جنب».

قال الرازى:

الثانى: ما الفرق بين ورم الرئه وذات الجنب؟

الجواب: اشتـركا فى الحقيقـة، أعنى الورم، وفى السبب وهى الأخلاط وفى بعض الدلائل، أما بالمحل فقد عُلِم، وأما بـالـدلالـة فهى أن الـوجـع فى ذات الـرئة يُحَس فى الصـدر، ويكون ثقيـلا، وعسر النفس معها شـديدا، والنبض مـوجبا، والسعال أكثر؛ وأمـا ذات الجنب فالوجع يكون فيهـا ناخسا، وفى الجنب والسعـال أنقص، وربما كـان أشـد، والنبـض يكـون منشاريـا.

قال المحقق:

الثـانى: يستمـر الـرازى فى التشخيص التفـريقى لـذات الجنب مع بـاقى الآفات التى يصعب التشخيص معهـا. وكل الكتب الطبية القديمة والحديثـة تشير إلى أن هذه الآفات هى على الغالب:

التهاب الرئة Pnèumonie.

وسرطان الرئة Cancer du Poumon.

والتهاب التامور Pèricardite.

والخـراج تحت الحجـاب ذو التطـور العلـوى وهـو على نـوعين: كبـدى أيمن وكبـدى أيسـر لـذلك فمن الطبيعى أن يتعرض الرازى لورم الرئة:

قال الرازى:

الثـالـث: ماالفـرق بين ورم العضل الـداخل فى الشوصـة وبين الخارج؟

الجواب: اتفقا فى الحقيقة، أعنى الورم، وفى السبب، وهى المادة الخلطية، وفى كيفية الوجع، وهو الضربان، وافترقا بالمحل وقد علم وبالدليل ذلك أن الورم إن كان فى العضل الخارج كان ظاهرا للحس ويؤلم بأدنى ملامسة ويتبعه ازدياد الوجع فى زمان النبساط النفس، ويعرى عن السعال، وإن كان الورم فى العضل الداخل لم يظهر للحس، ويكون معه سعال قليل ويكون عسر النفس معه أشد ويتبعه اشتداد الوجع فى زمان الانقباض.

قال المحقق:

الثالث: أن ورم العضل الخارج هو خرج الجدار الصدرى. وورم العضل الداخل فى الشوصة، هو ذات الجنب القيحية.

وفى هذه الحال تكون العلامات صحيحة وصادقة.

ويقول الرازى (الفصول ـ ص: ١١٤ ـ بند: ٣٥٠) «إذا كان الورم فى العضل الخارج من الأضلاع، كانت غير صحيحة. وإذا كانت فى العضل الداخل فى الأضلاع، والذى يقرب من الغشاء المستبطن للأضلاع فهى صحيحة»:

قال الرازى:

الرابع: ماالفرق بين ذات الجنب وورم غشاء الكبد؟

الجواب: اشتركا فى الحقيقة، وهو الورم وفى السبب وهو الخلط وفى بعض الدلائل كالنخس وانجذاب الترقوة، وافترقا بالمحل وببعض الأدلة، أما افتراقهما بالمحل قد عُلم، وأما بباقى الأدلة فهو أن الوجع فى ورم غشاء الكبد يكون مركبا من الوجع الناخس والثقيل ويتغير معه البول ولون البدن. وربما عرض لأصحابه عسر البول. ولا يوجد فيه ما يوجد فى أصحاب ذات الجنب من باقى أعراضها كالسعال وعسر النفس، وإن عرضا فيسير ما يكونان وبحال أنقص. وأما ذات الجنب يتبعها تلك الأعراض بكمالها، ويكون لون البدن والبول بحال أصلح.

قال المحقق:

الرابع: التفريق هنا، دواما، بين ذات الجنب والخراج تحت الحجاب الكبدى الأيمن والذى يسميه الرازى هنا ورم غشاء الكبد.

قال الرازى (الفصول ـ ص ٦٩ ـ بند: ١٩٣) « الماء والطعام، إذا وردا على المعدة، احتوت عليها وطحنتهما، حتى يصير منهما شىء بمنزلة ماء الشعير الثخين الذى يسميه الأطباء: الكيلوس. ثم إنه يصير من هناك إلى الأمعاء الاثنى عشر والصائم. وينبت من باطن الكبد عروق تسمى المساريقا تجىء إلى أسافل المعدة، وإلى الأمعاء، فتمتص هذا الكليوس، كامتصاص عروق الشجر موادها من الأرض، حتى يحصل ذلك الكيلوس فى العروق التى فى لحم الكبد، ويستحيل هناك دما. ويتولد فيه عند الطبخ والاستحالة رغوة: وهو المرار الأصفر، وثفل: وهو المرار الأسود. كما يتولد فى سائر العصارات التى تطبخ. ثم إن المرارة تجتذب هذه الرغوة، والطحال يجتذب ذلك الدردى والكليتان تجتذبان فضلة ما فيهما من الماء الرقيق. فينقى الدم حينئذ، ويصلح أن يكون منه لحم مخلف على الجسد. ومن أجل ذلك يدل البول على حال الدم، مقصر هو فى الطبيخ، أو مفرطه» «كتاب ما الفارق أو الفروق / ١١٢ ـ ١٢٦).

(كتاب التنوير فى الاصطلاحات الطبية لأبى منصور الحسن بن نوح القمرى ـ تحقيق وفاء تقى الدين / ١٠٩، وزاد المسافر وقوت الحاضر لابن الجزار ـ تحقيق د. محمد سويسى ود. الراضى الجازى / ٢٥٤، ٢١٠ ـ ٢١٦، والطب النبوى لابن قيم الجوزية ـ كتب المقدمة وراجع الأصل وصحح وأشرف على التعليقات الأستاذ عبد الغنى عبد الخالق. وضع التعاليق الطبية د. عادل الأزهرى، وخرج الأحاديث محمود فرج العقدة / ٦٤ ـ ٦٦، والنزهة المبهجة لداود بن عمر الأنطاكى، المطبوع بهامش تذكرة أولى الألباب للمؤلف نفسه ٢ / ٤٩، ٥٠، وكشاف اصطلاحات الفنون للتهانوى ٢ / ٥٢٤، وكتاب ما الفارق أو الفروق أو كلام فى الفروق بين الأمراض لأبى بكر محمد بن زكريا الرازى ـ تقديم وتحقيق وشرح د. سلمان قطاية / ١٢٢ ـ ١٢٦).

*** ذات الجيب:**

ذات الجيب: مسطرتان منتظمتان انتظام ذات الشعبتين.

(معجم العلماء العرب ـ باقر أمين الورد ١ / ٢٦٤).

*** ذات الجيش:**

بالقرب من المدينة بعد ذى الحليفة. ويقال «أولات الجيش»: موضع له ذكر فى السيرة والحديث، فهو أحد منازل النبى ﷺ إلى بدر، وإحدى مراحله عند انصرافه من غزاة بنى المصطلق، وهناك نزلت آية التيمم عندما جيّش

رسول الله ﷺ فى ابتغاء عقد عائشة رضى الله عنها . بل عندما حُبِس . قال البلادى : ذات الجيش : تلعة كبيرة تسيل عن ثنايا مُفَرِّحات وتصب فى العقيق من الغرب قبل ذى الحليفة ، وتعرف بالشلبية .

(المعالم الأثيرة فى السنة والسيرة ـ إعداد وتصنيف محمد محمد حسن شراب / ١١٩ ، ٩٤ ، ومعجم المعالم الجغرافية فى السيرة النبوية ـ عاتق بن غيث البلادى / ٨٧) .

*** ذات حج:**

منزلة من منازل الحج أنشأ فيها العثمانيون منذ عهد سليمان القانونى قلعة . وفيها بركة ماء .

(المواكب الإسلامية فى الممالك والمحاسن الشامية لمحمد بن عيسى بن كنان الصالحي الدمشقي ، تحقيق ودراسة د. حكمت إسماعيل ، مراجعة محمد المصرى ق ٢ / ٣٥٤ ، والكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة لنجم الدين الغزى ـ حققه وضبط نصه د. جبرائيل سليمان جبور ٣ / ١٥٧) .

*** ذات الحلق:**

ذات الحلق : أعظم الآلات هيئة ومدلولا ، وهى خمس دوائر متحدة ، من نحاس وهى : دائرة البروج ودائرة نصف النهار والمركزة على الأرض ، ودائرة العرض ، ودائرة الميل ، وكذلك الدائرة الشمسية التى يعرف بها سمت الكواكب .

(معجم العلماء العرب ـ باقر أمين الورد ، مراجعة الأستاذ كوركيس عواد ١ / ٢٦٤) .

*** ذات الحلل ومهاة الكلل:**

مخطوط مصور فى معهد المخطوطات العربية بالقاهرة .

وهى منظومة مطلعها :

بحمد الله رب العالمينا

ورب العرش أبدأ مستعينا

نظمها علم الدين أبو الحسن على بن محمد بن عبد الصمد السخاوى المتوفى سنة ٦٤٣ .

نسخة كتبت فى عصر المؤلف وعليها إجازة بخطه مؤرخة سنة ٦٣٥ .

[سوهاج ٢٦٥ أدب ٥٥ص ١٦×٢٣ سم] .

(فهرس المخطوطات المصورة ١ / ٤٦٨) .

وقد أوردها صاحب إيضاح المكنون تحت عنوان «ذات الحلل» وقال : قصيدة على طريق اللغز لعلم الدين على بن محمد السخاوى صاحب «تحفة الفراض وطرفة المرتاض» (إيضاح ١ / ٥٣٩) .

(فهرس المخطوطات المصورة ، معهد المخطوطات العربية ـ تصنيف فؤاد سيد ١ / ٤٦٨ و إيضاح المكنون للبغدادى ١ / ٥٣٩) .

*** ذات الخطيم:**

ذات الخطيم : موضع بين المدينة وتبوك ، به مسجد لرسول الله .

(المعالم الأثيرة فى السنة والسيرة ـ إعداد وتصنيف محمد محمد حسن شراب / ١١٩) .

*** ذات الدوائر والصور:**

ذات الدوائر والصور : كتاب مصور فى دعوة الجن وتسخيره وهو مروى عن آصف بن برخيا بن أشمويل وزير سليمان عليه السلام ولاشك أنه مختلق .

(كشف الظنون ١ / ٨٢١) .

*** ذات الرشد:**

ذات الرشد : فى عدد الآى وشرحها للموصلى .

(كشف الظنون ١ / ٨٢١) .

*** ذات الرقاع (غزوة.):**

غزوة ذات الرقاع فى سنة أربع : قال ابن هشام : وإنما قيل لها غزوة ذات الرقاع لأنهم رقعوا فيها راياتهم ، ويقال ذات الرقاع : شجرة بذلك الموضع ، يقال لها : ذات الرقاع (السيرة النبوية ٣ / ١١٩) .

وجاء فى تيسير الوصول : عن أبى موسى رضى الله عنه قال : «خرجنا مع رسول الله ﷺ فى غزاة ونحن ستة نفر ، بيننا بعير نعتقبه فنقبت أقدامنا ونقبت قدماى ، وسقطت أظفارى ، فكنا نلف على أرجلنا الخرق ، فسميت غزوة ذات الرقاع لما كنا نعصب من الخرق على أرجلنا» أخرجه الشيخان .

اعتقاب المركوب : هو أن يركبه واحد بعد واحد ، ونقب البعير : بكسر القاف إذا رقت أخفافه ، والمراد به هنا تقرحت وسقطت (تيسير الوصول ٣ / ١٨٧) .

ويلخص الحافظ أبو الفداء إسماعيل بن كثير أحداث غزوة الرقاع فيقول : وقنت رسول الله ﷺ شهرا يدعو على الذين قتلوا القراء أصحاب بئر معونة (ورد فى صحيح البخارى كتاب المغازى (باب الرجيع) أن نبى الله ﷺ قنت شهرا فى صلاة الصبح يدعو على أحياء من أحياء العرب : على رعل وذكوان وعصية وبنى لحيان . انظر مادة «بئر معونة» فى م ٨ / ١٢٣ - ١٣٥) .

ثم غزا ﷺ غزوة ذات الرقاع ، وهى (غزوة نجد) ، فخرج فى جمادى الأولى من هذه السنة الرابعة يريد محارب وبنى ثعلبة بن سعد بن غطفان ، واستعمل على المدينة أبا ذر الغفارى . فسار حتى بلغ نخلا ، فلقى جمعا من غطفان فتواقفوا ، ولم يكن بينهم قتال ، إلا أنه صلى يومئذ صلاة الخوف فيما ذكره ابن إسحاق وغيره من أهل السير ، وقد استشكل لأنه قد جاء فى رواية الشافعى وأحمد والنسائى عن أبى سعيد أن النبى ﷺ حبسه المشركون يوم الخندق عن الظهر والعصر والمغرب والعشاء فصلاهن جميعا ، وذلك قبل نزول صلاة الخوف ، قالوا وإنما نزلت صلاة الخوف بعسفان كما رواه عياش الزرقى قال : كنا مع النبى ﷺ بعسفان فصلى بنا الظهر ، وعلى المشركين يومئذ خالد بن الوليد . فقالوا : لقد أصبنا منهم غفلة ، ثم قالوا : إن لهم صلاة بعد هذه هى أحب إليهم من أموالهم وأبنائهم فنزلت - يعنى صلاة الخوف - بين الظهر والعصر فصلى بنا العصر ففرقنا فريقين . . وذكر الحديث . أخرجه الإمام أحمد وأبو داود والنسائى . (الحديث رواه النسائى فى سننه عن أبى العياش الزرقى جـ ٣ ص ١٧٦ ، ١٧٧ . ورجال النسائى رجال الصحيح . وانظر نيل الأوطار للشوكانى ٣ / ٣٤٠) .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : كان رسول الله ﷺ نازلا بين ضَجْنان وعسفان ، محاصرا المشركين ، فقال المشركون : إن لهؤلاء صلاة هى أحب إليهم من أبنائهم وأبكارهم ، أجمعوا أمركم ثم ميلوا عليهم ميلة واحدة . فجاء جبريل عليه السلام فأمره أن يقسم أصحابه نصفين ... وذكر الحديث . رواه النسائى والترمذى وقال : حسن صحيح . (الحديث رواه النسائى فى كتاب الصلاة (باب صلاة الخوف) ورجال إسناده ثقات عند النسائى وتمام الحديث : «فيصلى بطائفة منهم وطائفة مقبلون على عدوهم قد أخذوا حذرهم وأسلحتهم فيصلى بهم ركعة ثم يتأخر هؤلاء ويتقدم أولئك فيصلى بهم ركعة تكون لهم مع النبى ﷺ ركعة ركعة وللنبى ﷺ ركعتان» . انظر : سنن النسائى جـ٣ / ١٧٤ . وانظر : نيل الأوطار ٣ / ٣٤١) .

وقد عُلم بلا خلاف أن غزوة عسفان كانت بعد الخندق ، فاقتضى هذا أن ذات الرقاع بعدها ، بل بعد خيبر ، ويؤيد ذلك أن أبا موسى الأشعرى وأبا هريرة رضى الله عنهما شهداها ، أما أبو موسى الأشعرى ففى الصحيحين (انظر صحيح البخارى فى كتاب المغازى (باب غزوة ذات الرقاع) . ورواه مسلم فى صحيحه فى كتاب المغازى أيضا) عنه أنه شهد غزوة ذات الرقاع ، وأنهم كانوا يلفون على أرجلهم الخرق لما نقبت (أى رقت وتخرقت لمشيهم حفاة) فسميت بذلك . وأما أبو هريرة فعن مروان بن الحكم أنه سأل أبا هريرة : هل صليت مع رسول الله ﷺ صلاة الخوف؟ قال : نعم . قال : متى؟ قال : عام غزوة نجد ، وذكر صفة من صفات صلاة الخوف ، أخرجه الإمام أحمد وأبو داود والنسائى (انظر سنن النسائى ٣ / ١٧٣ فى كتاب الصلاة باب صلاة الخوف وانظر أيضا سنن أبى داود فى كتاب الصلاة) .

وقد قال بعض أهل التاريخ : إن غزوة ذات الرقاع أكثر من مرة ، واحدة كانت قبل الخندق وأخرى بعدها ، قلت : إلا أنه لا يتجه أنه صلى فى الأولى صلاة الخوف إن صح حديث أنها إنما فرضت فى عسفان .

وقد ذكروا أنه كانت من الحوادث فى هذه الغزوة قصة جمل جابر وبيعه من رسول الله ﷺ ، وفى ذلك نظر ، لأنه جاء أن ذلك كان فى غزوة تبوك ، إلا أن هذا أنسب لما أنه كان قد قُتل أبوه فى أُحد ، وترك الأخوات ، فاحتاج أن يتزوج سريعا من تكفلهن له .

قالت المؤلفة : قصة الجمل هذه أوردها ابن هشام فى السيرة ٣ / ١٢٠ ، ١٢١ ، فارجع إليها إن شئت اهـ .

ومنها حديث جابر أيضا فى الرجل الذى سبوا امرأته فحلف ليهريقن دما فى أصحاب محمد ﷺ ، فجاء ليلا - وقد أرصد رسول الله ﷺ رجلين ربيئة للمسلين من العدو (أى عين

وطليعة ينظر للقوم لئلا يدهمهم عدو) وهما عباد بن بشر وعمار بن ياسر رضى الله عنهما ـ ضُرب عباد بن بشر بسهم وهو قائم يصلى، فنزعه ولم يبطل صلاته، حتى رشقه بثلاثة أسهم، فلم ينصرف منها حتى سلّم، وأنبه صاحبه، قال: سبحان الله، هلاَّ أنبهتني؟! فقال: إني كنت في سورة فكرهت أن أقطعها.

ومنها حديث غورث بن الحارث الذى هَمَّ برسول الله ﷺ وهو قائل تحت الشجرة، استل سيفه وأراد ضربه، فصده الله عنه، وحبست يده، واستيقظ رسول الله ﷺ من نومه، فدعا أصحابه فاجتمعوا إليه، فأخبرهم عنه وما همَّ به غورث من قتله، ومع هذا كله أطلقه وعفا عنه ﷺ، وهذا كان فى غزوة ذات الرقاع، إلا أنها التى بعد الخندق كما أخرجاه فى الصحيحين، عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال: أقبلنا مع رسول الله ﷺ حتى إذا كنا بذات الرقاع، قال: كنا إذا أتينا على شجرة ظليلة تركناها لرسول الله ﷺ، قال: فجاء رجل من المشركين وسيف رسول الله ﷺ مُعَلَّق بالشجرة، فأخذ السيف، فاخترطه (أى: سله) فقال لرسول الله ﷺ: أتخافني؟ قال: لا، قال فمن يمنعك مني؟ قال: الله. قال: فتهدده أصحاب رسول الله ﷺ، فأغمد السيف وعلَّقه، قال: فنودى بالصلاة، فصلى بطائفة ركعتين، ثم تأخروا وصلى بالطائفة الأخرى ركعتين، وكانت لرسول الله أربع ركعات، وللقوم ركعتان. واللفظ لمسلم (الفصول / ٥٣ ـ ٥٦).

عن أبي عباس الزرقى رضى الله عنه قال: «كنا مع رسول الله ﷺ بعسفان (موضع بين مكة والمدينة، بينه وبين مكة نحو ثلاث مراحل) فاستقبلنا المشركون، عليهم خالد بن الوليد (قبل أن يسلم، وكان قائدا لهم) وهم بيننا وبين القبلة (أى كان العدو فى جهة القبلة) فصلى بنا رسول الله ﷺ الظهر. فقالوا: قد كانوا على حال لو أصبنا غرتهم (أى غفلتهم فى صلاتهم)، قالوا: تأتي عليهم الآن صلاة هى أحب إليهم من أبنائهم وأنفسهم (أى صلاة العصر) ثم قال: فنزل جبريل عليه السلام بهذه الآيات بين الظهر والعصر: **﴿وإذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة فلتقم طائفة منهم معك وليأخذوا أسلحتهم فإذا سجدوا فليكونوا من ورائكم ولتأت طائفة أخرى لم يصلوا فليصلوا معك وليأخذوا حذرهم وأسلحتهم ود الذين كفروا لو تغفلون عن أسلحتكم وأمتعتكم فيميلون عليكم ميلة واحدة﴾** [النساء: ١٠٢].

قال: فحضرت (أى صلاة العصر) أمرهم رسول الله ﷺ، فأخذوا السلاح. قال: فصففنا خلفه صفين، قال: ثم ركع، فركعنا جميعا؛ ثم رفع، فرفعنا جميعا، ثم سجد النبى ﷺ بالصف الذى يليه والآخرون قيام يحرسونهم (أى تخلف الصف المؤخر عن السجود معه لأجل الحراسة) فلما سجدوا وقاموا جلس الآخرون فسجدوا فى مكانهم. ثم تقدم هؤلاء إلى مصاف هؤلاء، وجاء هؤلاء إلى مصاف هؤلاء، ثم ركع، فركعوا جميعا، ثم رفع فرفعوا جميعا، ثم سجد النبى ﷺ والصف الذى يليه، والآخرون قيام يحرسونهم. فلما جلس جلس الآخرون، فسجدوا، فسلم عليهم، ثم انصرف قال (القائل: أبو عباس الزرقى) فصلاها رسول الله ﷺ وعلى آله وسلم مرتين، مرة بعسفان، ومرة بأرض بنى سليم (رواه أحمد ٧ / ٣) وعسفان على ثمانية برد من المدينة، وعسفان أول غزوة شرعت فيها صلاة الخوف على الراجح، وسببها، ما رواه البيهقى بسنده عن أبى العباس الأصم).

عن أبى العباس الأصم، حدثنا أحمد بن عبد الجبار وغيره، قالوا: «لما أُصيب خُبيب وأصحابه، خرج رسول الله ﷺ طالبا بدمائهم، ليصيب من بنى لحيان غرة، فسلك طريق الشام، ليرى أنه لا يريد بنى لحيان، حتى نزل بأرضهم، فوجدهم قد حذروا (أخذوا حذرهم) وتمنعوا فى رءوس الجبال، قال رسول الله ﷺ: «لو أنا هبطنا عسفان لرأت قريش أنا قد جئنا مكة» فخرج فى مائتى راكب، حتى نزل عسفان، ثم بعث فارسين حتى جاءا كراع الغميم، ثم انصرفا فذكر أبو عباس الزرقى أن رسول الله ﷺ صلى بعسفان صلاة الخوف» رواه البيهقى فى الدلائل (المنتخب من السنة ١ / ٢٠٧، ٢٠٨).

قال الزين العراقى فى ألفيته.

ذات الرقاع ثم بدر الموعد
فدومة فالخندق اذكروا عدد

(العجالة السنية / ١٧٠).

(السيرة النبوية لابن هشام ـ قدم لها وعلق عليها وضبطها الأستاذ طه عبد الرءوف سعد ٣ / ١١٩ ـ ١٢٣، وتيسير الوصول إلى جامع الأصول

للإمام ابن الديبع الشيبانى ٣ / ١٨٧ ، والفصول فى سيرة الرسول ﷺ للحافظ أبى الفداء إسماعيل بن كثير / ٥٣ ـ ٥٦ ، والمنتخب من السنة . المجلس الأعلى للشئون الإسلامية . الطبعة الثانية . القاهرة ١٣٥٥ هـ / ١٩٦٦ م ١ / ٢٠٧ ، ٢٠٨ والعجالة السنية على ألفية السيرة النبوية للحافظ زين الدين العراقى ـ الإمام عبد الرزاق المناوى ، قام بتصحيحه والتعليق عليه فضيلة الشيخ إسماعيل الأنصارى / ١٧٠ . انظر أيضا الدرر فى اختصار المغازى والسير لابن عبد البر ـ تحقيق د. شوقى ضيف / ١٦٦ ، ١٦٧) .

*** ذات الرئة Pneumonia:**

قال التهانوى : ذات الرئة عندهم هى ورم فى الرئة كذا فى بحر الجواهر وفى الإقسرائى هى ورم حار فى الرئة (كشاف ٢ / ٥٢٤) .

وذات الرئة أحد أمراض الجهاز التنفسى ، أو أمراض آلات النفس كما سماها صاحب النزهة المبهجة إذ يقول :

ذات الرئة : هو ورم جرمها خاصة وأسبابه أحد الأخلاط والبخارات من الأعلى إن تقدم صرع وذبحة وإلا فمن غيره . وعلاماته الوجع وضيق النفس والعطش والحمى والنفث الكثير إن كانت المادة رطبة وخفة الحمى والناخس إن كانت باردة وإلا العكس ، وأما حمرة الوجه والوجنة والسعال (النزهة المبهجة / ٤٨) .

(كشاف اصطلاحات الفنون للتهانوى ٢ / ٥٢٤ ، والنزهة المبهجة لداود بن عمر الأنطاكى ، المطبوع بهامش كتاب ذكره أولى الألباب للمؤلف نفسه ٢ / ٤٨ . انظر أيضا كتاب التنوير فى الاصطلاحات الطبية لأبى منصور الحسن بن نوح القمرى ـ تحقيق وفاء تقى الدين / ٢٣) .

*** ذات الزراب:**

على مرحلتين من تبوك فى طريق المدينة ، به مسجد لرسول الله ﷺ .

(المعالم الأثيرة فى السنة والسيرة ـ إعداد محمد محمد حسن شراب / ١١٩) .

*** ذات السلاسل (غزوة.) ٨ هـ:**

جاءت فى قول ابن إسحاق : وغزوة عمرو بن العاص «ذات السلاسل» من أرض بنى عذرة . وكان من حديثه أن رسول الله ﷺ بعثه يستنفر العرب إلى الشام ذلك أن أم العاص ابن وائل كانت امرأة من بلى ، فبعثه رسول الله ﷺ إليهم يستألفهم لذلك ، حتى إذا كان على ماء بأرض جذام يقال له «السلسل» ، وبذلك سميت تلك الغزوة ، غزوة «ذات السلاسل» .

ويعلق صاحب معجم المعالم الجغرفية على ذلك بقوله : كذا جاء فى هذا النص ، إنها من أرض بنى عذرة ، ثم يقول : ماء بارض جزام . والقبيلتان متجاورتان ، فديار عذرة كانت من وادى القرى (وادى العلا اليوم) إلى تبوك إلى تيماء ، وتقرب من خيبر شمالا . وديار جذام كانت بين تبوك والبحر ، أما المتقدمون فلهم فى ذات السلاسل أقوال ، ولم يستطع أحد تحديدها . غير أنها وردت فى شعر جران العود ، مما يدل على أنها موضع بعينه ، والأكثر احتمالا أنها من أرض عذرة لقربها من بلاد العود حيث ذكرها (معجم المعالم الجغرافية / ١١٥٩) .

يقول الأستاذ الدكتور أحمد رمضان : فى السنة الثامنة للهجرة بعث الرسول ﷺ بغزوة إلى بلاد الشام ، فكانت غزوة ذات السلاسل ، وكانت بقيادة عمرو بن العاص ومعه ثلثمائة فارس ، أمده الرسول بمائتى فارس آخرين ضموا خيرة المهاجرين والأنصار وكان من بينهم أبو بكر وعمر رضى الله عنهما ، إلا أن هذه الغزوة لم تأت بنتائج حاسمة اللهم إلا استطلاع أحوال بلاد الشام عن قرب ، وهو ما يطلق عليه الاستطلاع بالقوة (حضارة الدولة العربية / ١٠٨ ، ١٠٩) .

(معجم المعالم الجغرافية فى السيرة النبوية ـ عاتق بن غيث البلادى / ١٥٩ ، وحضارة الدولة العربية فى عهد الرسول والخلفاء الراشدين والدولة الأموية ـ د. أحمد رمضان أحمد محمد / ١٠٨ ، ١٠٩ . انظر أيضا المعالم الأثيرة فى السنة والسيرة ـ إعداد محمد محمد حسن شراب / ١٤٢) .

*** ذات السلاسل (معركة.) ١٢ هـ / ٦٣٣م:**

أول لقاء عسكرى فى جنوب العراق بين المسلمين بقيادة خالد بن الوليد وهرمز نائب كسرى على رأس جيوش الفرس ، وكان شريفا فى الفرس . وهو أخبث الناس طوية وأشدهم كفرا . وسميت ذات السلاسل لكثرة من سُلسل بها من فرسان فارس لئلا يفروا . وابتدأ القتال بمبارزة بين خالد وهرمز ، ثم تدخلت مقدمة الجيشين ، واشتد القتال إلى أن انهزم أهل فارس وغنم المسلمون أمتعتهم وسلاحهم (معجم المعارك الحربية / ١٥٥) .

ويصف الرائد نهاد عباس الاستعداد للمعركة وسيرها فيقول :

ذات السلاسل محرم ١٢ هـ

الموقف العام

المسلمون

بعد أن انتهت معارك الردة وتمت تصفيتهم على يد الصديق أبى بكر رضي الله عنه كان المثنى بن حارثة الشيبانى قد استأذن الخليفة فى فتح العراق فأذن له وفى الوقت نفسه أرسل الخليفة الصديق أمرا إلى خالد بن الوليد يأمره بالتحرك إلى العراق ويقول له «سر إلى العراق حتى تدخلها وابدأ بفرج الهند وهى الأبلة (مدينة بجوار البصرة حاليا) وتألف أهلها ومن كان فى ملكهم» (تاريخ الطبرى ٣ / ٣٤٣).

كما أرسل أمرا إلى عياض بن غنم بالتوجه إلى العراق «سر حتى تأتى المصيخ فابدأ بها ثم ادخل العراق من أعلاها حتى تلقى خالدا».

تحركت قوات المسلمين بقيادة خالد بن الوليد مع اتخاذ ترتيبات المسير وتوقف قبل دخول حدود العراق فى منطقة التحشد وقد قسم خالد بن الوليد جيشه إلى المجموعات التالية :

١ ـ المجموعة القتالية الأولى (الفرقة الأولى) بقيادة المثنى ابن حارثة.

٢ ـ المجموعة القتالية الثانية (الفرقة الثانية) بقيادة عدى ابن حاتم.

٣ ـ المجموعة القتالية الثالثة (الفرقة الثالثة) بقيادة عاصم ابن عمرو.

٤ ـ المجموعة القتالية الرابعة (الفرقة الرابعة) بقيادة خالد ابن الوليد.

الفرس.

علم الفرس بتوجه قوات المسلمين بقيادة خالد بن الوليد فعملوا على حشد قواتهم، وأسرع هرمز بالتوجه إلى الكواظم للقاء بخالد بن الوليد وعاد عندما علم أن جيش المسلمين متوجه إلى الحفير فتوجه بقواته إلى الحفير.

الاستعداد للمعركة.

عندما أنهى خالد بن الوليد استعداداته للقتال ونظم قواته باتخاذ التشكيلات المناسبة أرسل رسالة إلى هرمز حاكم «الأبلة» يدعوه إلى واحد من ثلاث : إما الإسلام ، أو الجزية، أو القتال. واختار القتال. أطلق خالد بن الوليد المجموعات القتالية بفاصل يوم واحد ما بين المجموعة والأخرى وطلب من قادة المجموعات التوجه إلى محاور مختلفة والالتقاء بالحفير. كتب هرمز إلى شيرين بن كسرى يطلعه بأمر رسالة خالد بن الوليد ونظم هرمز قواته الجاهزة وتوجه إلى الحفير فوضع على مجنبته قباذ وأنوشجان وقيد جنده بالسلاسل ولما بلغ هرمز أن خالد بن الوليد توجه إلى الكاظمة قاد قواته ونظم مواقعه فى موقع بين جيش المسلمين ونهر الفرات.

علم خالد بن الوليد بالأمر فأمر جنده قائلا لهم «ألا انزلوا وحطوا أثقالكم. فلعمرى ليصيرن الماء لأصبر الفريقين وأكرم الجندين» (تاريخ الطبرى ٣ / ٣٤٣).

سير المعركة :

بدأ القتال بين جيش المسلمين بقيادة خالد بن الوليد وجيش الفرس بقيادة هرمز وقد اتبع خالد بن الوليد خطة محكمة للتأثير على معنويات الفرس وذلك باندفاعه باتجاه قائدهم هرمز واندفع فى الوقت نفسه القعقاع بن عمرو فى اتجاه المجموعة التى تقوم بحماية هرمز واستطاع خالد بن الوليد قتل هرمز منذ اللحظات الأولى لبدء القتال، ونجح القعقاع فى إبادة الحماية لقائد الفرس. استمرت المعركة طوال النهار وقسما من الليل انتهت بتدمير قوات الفرس وفرار من تبقى منهم ومعهم قباذ وأنوشجان.

بعد انتهاء المعركة أكمل المسلمون عملية استثمار الفوز ومطاردة الفارين من الفرس وإعادة تنظيم قوات المسلمين (العمليات التعرضية والدفاعية / ٧٠ ـ ٨٠).

(معجم المعارك الحربية ـ ماجد اللحام / ١٥٥، والعمليات التعرضية والدفاعية عند المسلمين ـ الرائد نهاد عباس شهاب الجبورى / ٧٨ ـ ٨٠).

انظر موقع ذات السلاسل على الخريطة المصاحبة لمادة «بزاخة (موقعة ـ)» فى م ٧ / ٧٣.

*** ذات السمت والارتفاع:**

ذات السمت والارتفاع : وهى نصف حلقة قطرها سطح من سطوح أسطوانة متوازية السطوح يعلم بها السمت والارتفاع، وهى من مخترعات العلماء العرب.

(معجم العلماء العرب ـ باقر أمين الورد، مراجعة الأستاذ كوركيس عواد ١ / ٢٦٤).

*** ذات الشظ:**

أرجوزة لمحمد بن الجزى. مخطوط بكلية الطب ـ جامعة طهران.

(مجلة معهد المخطوطات العربية. معهد المخطوطات العربية. القاهرة جـ ٢ م ٣ ربيع الثانى ١٣٧٧ هـ ـ نوفمبر ١٩٥٧ م. طبعة ثانية ١٤١٤ هـ ـ ١٩٩٣ م / ٣٧٥).

*** ذات الشعبتين:**

ذات الشعبتين : وهى ثلاث مساطر على كرسى يعلم بها الارتفاع.

(معجم العلماء العرب ـ باقر أمين الورد، مراجعة الأستاذ كوركيس عواد ١ / ٢٦٥).

*** ذات الشفا فى سيرة النبى والخلفا:**

من مخطوطات التاريخ والتراجم والسير فى مكتبة المتحف العراقى.

الرقم ٢٤٣٧٤

لشمس الدين محمد بن محمد بن يوسف العمرى الجزرى المتوفى سنة ٨٣٣ هـ / ١٤٢٩ م.

الأول

(قال محمد هو ابن الجزرى

الحمد للمهيمن المقتدر

والشكر لله على ما قد هدى

من نظم سيرة النبى أحمدا

نسخة جيدة كتبت بخط النسخ سنة ١١١٨ هـ / ١٧٠٦م.

القياس ٥٠ ص ٢١×١٦ سم ١٠ س

معجم المؤلفين ١١ / ٢٩١ فهرس المطبوعات العراقية ١ / ٢٧٦ (طبعت أكثر من مرة).

قالت المؤلفة : ورد فى إيضاح المكنون ١ / ٥٣٩ تحت عنوان ذات الشفا فى سيرة المصطفى ومن بعده من الخلفا»

وتوجد منه عدة نسخ نوردها فيما يلى، وقد احتفظنا بأرقامها التسلسلية كما جاءت فى النص :

٣٥٠ ـ نسخة أخرى.

كتبت سنة ١١٨٩ هـ / ١٧٧٥ م.

الرقم ٢١٣٠٨

القياس ٤٦ ص ٢٣ × ١٠سم ١٣س

٣٥١ ـ نسخة أخرى.

كتبها عبد القادر سنة ١١٩٢ هـ / ١٧٧٨ م ناقصة الأول.

الرقم ٢٢٤١٤ / ٢

القياس ٦٠ ص ٢١ ×١٦ سم ٩ س

٣٥٢ ـ نسخة أخرى.

كتبها محمود القاضى بن إسماعيل سنة ١١٩٩ هـ / ١٧٨٤ م عليها حواشى وشروح.

الرقم ٥١٤٨

القياس ٥٤ ص ٢١,٥×١٦,٥سم ١٢س

٣٥٣ ـ نسخة أخرى.

كتبت سنة ١١٤٨ هـ / ١٧٣٥ م

الرقم ٢٣٧٨٠ / ٢

القياس ٢٠ ص ١٥×١١سم ١٢س

٣٥٤ ـ نسخة أخرى.

تقع ضمن مجموع كتب سنة ١٢٠٠ هـ / ١٧٨٥م.

الرقم ١٨٦٩٥ / ٣

القياس ٤٢ ص ٢١×١٦سم ١٣س

٣٥٥ ـ نسخة أخرى.

كتبها محمد بن إسماعيل فى قرية ترانباد سنة ١٢٢١ هـ / ١٨٠٦ م.

الرقم ٢١٨٣٠ / ٣

القياس ٦٠ ص ٢١×١٥سم ٩س

٣٥٦ ـ نسخة أخرى.

كتبها إبـراهيم البرزنجـى ضمن مجموع سنـة ١٢٢١ هـ/ ١٨٠٦م

الرقم ٣٠٣٠٠/ ٤

القياس ٣٤ ص ١٠,٥×١٥,٥ سم ١٦س

٣٥٧ـ نسخة أخرى.

كتبت سنة ١٢٢٢ هـ/ ١٨٠٧ م.

الرقم ٩٨٢٤/ ١

القياس ٥٢ ص ١٦×١١سم ١١س

٣٥٨ـ نسخة أخرى.

كتبهـا بقلـم النسخ الخطـاط أحمـد مـلا على مـوطـرة الصفحات بمداد ذهبى

الرقم ٢٤٧٥٩

القياس ٥٥ ص ٢٠,٥×١٣سم ١٠س

٣٥٩ـ نسخة أخرى.

كتبهـا عبد القـادر الحسينى بن حسن رسول سنـة ١٢٨٧ هـ/ ١٨٧٠ م

الرقم ٢٤٢٠٥/ ٢

القياس ٦٨ ص ٢٢,٥×١٧,٥سم ٩س

٣٦٠ـ نسخة أخرى.

كتبهـا رسـول أبى وفـاء فى قريـة بيتى سنـة ١٢٩٢ هـ/ ١٨٧٥م.

الرقم ١٦٥٧٢

القياس ٥٤ ص ٢٤×١٧سم ١٠س

٣٦١ـ نسخة أخرى.

كتبها حسن بن رسول سنة ١٣٣١ هـ/ ١٩١٢ م.

الرقم ١٦٨٨٢/ ١

القياس ٣٦ ص ٢١×١٥سم ١٥س

٣٦٢ـ نسخة أخرى

جيـدة الخط نـاقصة الـديبـاجة كتبـت سنة ١٢٣٠ هـ/ ١٨١٤ م.

الرقم ١٦٥٨٠

القياس ٥٠ ص ٢٠,٥×١٥سم ١٠س

٣٦٣ـ نسخة أخرى.

كتبها سليمان بن كمونة فى بلده لاوا.

الرقم ١٨٢٠٨/ ١

القياس ٣٩ ص ٢٢,٥×١٦سم ١٠س

٣٦٤ـ نسخة أخرى.

كتبها رسـول بن محمد بن حسـن بن عيسى عليها مقـابلة ناقصة الديباجة

الرقم: ١٧٢١٩/ ١

القياس ٤٠ص ٢١×١٥سم ١١س

٣٦٥ـ نسخة أخرى

ناقصـة الأول كتبها محمـود المزنـادى سنة ١٣٢٣ هـ/ ١٩٠٥م.

الرقم ٢١٣٨٠/ ١

القياس ١٠ ص ٢٢×١٦سم ١٣س

٣٦٦ـ نسخة أخرى.

كتبها محمد صالح بن أحمـد بن عبد الحميد سنة ١٣٠٣ هـ/ ١٨٨٥ م.

الرقم ٢١١٩٠

القياس ٧٠ ص ١٨×١٢سم ١٠س

٣٦٧ـ نسخة أخرى

كتبها عارف بن حاجى عبد العزيز فى مسجد شيخ عبد الله

الرقم ٢٨٠٨١/ ٢

القياس ٨٤ ص ٢٢×١٧سم ٧س

٣٦٨ـ نسخة أخرى.

كتبها محمد بن محمد سنة ١٢٤٠ هـ/ ١٨٢٤ م.

الرقم ٢٢٦٢٣/ ١

القياس ٥٦ ص ١٥×١١ سم ١٦س

٣٦٩ـ نسخة أخرى.

كتبت سنة ١٣٠٥ هـ/ ١٨٨٧.

الرقم ٢٢٤٧٢

القياس ٥٠ ص ٢٢×١٨سم ١١س

٣٧٠ـ نسخة أخرى

عليها حواش وشروح ناقصة الآخر

الرقم ٢٤٧٤٣

القيام ٦٤ ص ٢١,٥×١٦سم ٨س

٣٧١ ـ نسخة أخرى.

كتبها فى السليمانية محمد بن عبد الله عليها حواش وشروح ناقصة الأول الرقم ٢٥٨٤ / ١

القياس ٨٤ ص ٢١×١٥,٥سم ٦س

٣٧٢ ـ نسخة أخرى.

عليها حواش وشروح.

الرقم ٢١٧٧٣ / ١

القياس ٦٦ص ١٥×١٠سم ١١س

٣٧٣ ـ نسخة أخرى

جيدة الخط عليها حواش وشروح

الرقم: ١٠٠٩٥ / ١

القياس ٣٤ص ٢٢×١٦ سم ١٩س

٣٧٤ ـ نسخة أخرى.

الرقم ٢٦٥١٧

القياس ٤٦ ص ٢٣×١٧سم ١١س

٣٧٥ ـ نسخة أخرى.

ناقصة الآخر عليها حواش وتعليقات.

الرقم ٢٣٥١٠

القياس ٥٢ ص ٢٣×١٥سم ٨س

٣٧٦ ـ نسخة أخرى

عليها حواش وشروح كثيرة ناقصة الأول والآخر

الرقم ٢٣٥٥٩

القياس ١١٠ ص ١٦×١١,٥سم ٨س

٣٧٧ ـ نسخة أخرى.

حديثة الخط عليها حواش وشروح.

الرقم ٣٢٤٧٠

القياس ٥٨ ص ٢١×١٧سم ٩س

(مخطوطات التاريخ والتراجم والسير فى مكتبة المتحف العراقى ـ أسامة ناصر النقشبندى وظمياء محمد عباس/ ١٨٣ ـ ١٩٢).

*** ذات الشفا فى مدح المصطفى:**

من قصائد المدائح النبوية للإمام على بن محمد بن عبد الصمد، علم الدين السخاوى (٥٦٨ ـ ٦٤٣ هـ / ١١٦٣ ـ ١٢٤٥ م) الذى وصفه صاحب غاية النهاية بالمقرئ، المفسر، النحوى، اللغوى، الشافعى، شيخ مشايخ الإقراء بدمشق (غاية النهاية ١/ ٥٦٨، ٥٦٩) وهى القصيدة التى أنشدها للرحالة العبدرى تاج الدين العراقى الذى لقيه بالإسكندرية إذ يقول العبدرى: وأنشدنى له أيضا (أى للعلم السخاوى) قصيدته التى سماها ذات الشفا فى مدح المصطفى ﷺ، وحدثنى بها عنه سماعا (رحلة العبدرى/ ١١٦).

وها نحن ننقل هذا القصيدة بتمامها ـ رغم طولها ـ تبركا بها. قال الناظم رحمه الله:

قف بالمدينة زائرا ومسلِّما
واشكر صنيع الدمع فيها إن هَمَا

فهى المنازل لم تزل تشتاقُها
أبدًا وكنت بها المعنى المغرما

الصق بتربتها الفؤاد فكم شفت
داءً دفينا قد أذاب المسقما

عجبا لصبٍّ عاينتها عينُه
فوعى الجواب أو استطاع تكلما

هذا هو الحرم الشريف فقف به
واقر السلام على الرسول متمما

وقُل السلام عليك يا من أنقذ الـ
ـضُلَّال من ظلم الجهالة والعما

ياسيد الهادين ياخير الورى
حَسَبًا وأوسعهم ندًا وتكرُّما

يا خاتم الرسل الكرام ومن له
الآيات تحكى فى السماء الأنجما

وله انشقاق البدر والجذع الذى
أبدى حنينا والجماد تكلما

والماء ينبع فى الإناء ومن دعا
زمرا إلى النزر اليسير فأطعما

ودعا بأشجار الفلاة فأقبلت
وغدا على الحجر الأصم فسلما

وعلا على متن البراق مشرفا
وسما إلى أعلا السماء معظَّما

أصـــاحـب الـــوجـــه البهىِّ كـأنمـــا
القمـــر المنيـــر إليـــه فـى النـور أنتمـــا
يـــا صـــاحب الخلق الـــرضى فمـا يُـرى
إلا رحيمـــــا مُغضيـــــا أو منعمـــــا
يـــا صـــاحب القـــدِّ الـــرشيق فـإن مشى
بين الـــرجـــال عـــلا على من قـــد سمـــا
يـــا مطلع الإيمـــان نـــورا مشــــرقـــا
يمحـــو من الكفـــران ليـــلا مظلمـــا
صلى عليك الله مـــــا انهل الحيــــــا
فكســـا الـــريـــاض مفـــوفـــا ومنمنمـــا
وعليك من ربى الســـــلام مضـــاعفـــا
مـــا رددت ورق الحمـــام تـــرنمـــا
وأتـــت إليك اليعمـــــلات مشـــوقـــة
تطـــوى المهـــامـــة والقفـــار على الظمـــا
وعلى أبى بكــــــر خليفتك الــــــذى
للحق قـــام مثقفـــا ومقـــومـــا
وغـــدا بأعبـــاء الخـــلافـــة نـــاهضـــا
لا عـــاجـــزا فيهـــا ولا متلـــومـــا
وعلى سبيل الله أنفق مـــــالــــــه
حتى تخلل بـــالعبـــاءة معـــدمـــا
سمـــاه بـــالصِّـــدِّيق صـــدق يقينـــه
سبق الـــرجـــال إلى النجـــاة فـأسلمـــا
وغـــدا بـــديل المصطفى متمسكـــا
وعلى أوامـــــره يشـــد مصممـــــا
وأنيســــه فـى الغـــار حيث يقـــول لا
تحـــــزن فـإن الله أمنع مَـنْ حمـــــا
وضجيعـــه فـى قبـــره ورفيقـــه
يـــوم القيـــامـــة فى الجنـــان منعَّمـــا
وعلى أميـــر المـــؤمنين منكِّس الأ
صنـــام حين غـــدا عليهـــا مسلمـــا

عمـــر الـــذى للـــدين كـــان مـــؤيـــدا
ولمن يعـــانـــده مـــذلا مـــرغمـــا
فـى الحـق فـضٌّ لـيـنٌ متعـــــاظمٌ
يجفـــو القـــوى لـــه ويُـــدنى الأيِّمـــا
سلس القيـــاد لمن يـــرى فيـــه رضـى الـــرْ
رَحمـن صعـب حيـن يخشى المأتمـــا
فتح الفتـــوح وســـاد للـــدين العـــلا
وغـــدا بـــه رفع الضـــلال مهـــدمـــا
وعلى بن عفـــان الـــذى استحيت لأجـــ
ـــل وقـــاره مـــلائكـــة السمـــا
القـــانت العفـــو الصبـــور أحـــاطت الـــ
ـــبلوى فـأذعن للقضـــاء مسلِّمـــا
عثمـــان ذى النـــورين صهـــر المصـــ
ـــطفى زوج ابنتيـــه غدا بـذلك مكـرمـا
الجـــامع القـــرءان والحبـــر الـــذى
فـى فكـــه نطق الجمـــاد فـأفهمـــا
جعـل النبى المصطفى يـــده لـــه
عـن كفـــه بـــدلا إلى أن يقـــدمـــا
وعلى أبى الحسن الإمـــام المـــرتضى
ذى الفخـــر والنسب الكـــريم المنتمـــا
زوج البتـــول أخى الـــرســـول فتى الـــوغى
مـــا فـــرَّ قط ولا تـأخـــر محجمـــا
وبجم؟ قـــال المصطفى مـن كنت مـــو
لاه فمـــــولاه على معلمـــــا
يـــارب وال وليـــه ونصيـــره
أبـــدا وعـــاد عـــدوه أنى ارتمـــا
من كـــان فى الأحكـــام أقضاهـم وبالـــ
ـــعلم المصـون عـن البـريـة أعلمـــا
وبنـــوه والصحب الكـــرام جميعهم
والتـــابعـــون لمن خـــلا وتقـــدمـــا

وعلى ابنـة الصـديق عـائشـة التى
فى شأنهـا نـزل الكتـاب معظمـا
وجميـع أزواج النبـى وءالــــه
صلى عليهـم ربنـا وتـرحمـا
يـاسيـد الأبـرار جئتك أشتكى
ألمـا ألمَّ وحـادثـا قـد أظلمـا
إنـى أتيتك تـائبـا متنصـلا
مستغفـرا مـن زلتى متنـدمـا
يـاذا الجـلال ارحم بحق المصطفى
العبـد الفقيـر المستجيـر المجـرمـا
وامْنُنْ عليـه بتـوبـة تمحـو بهـا
مـا كـان منـه ومـا جنـاه وقـدَّمـا
واغفـر لمُنشـدهـا على ذنبـه
واغفـر لمنشئهـا علىٍّ وارحمـا
فبمـدح أحمـد يـرجـوان شفـاعـة
ذا منشـدا فـرحـا وذاك منظمـا
واغفـر لمستمـع دعـا لهمـا فمـا
أجـدى دعـاء المـؤمنين وأكـرمـا

(رحلة العبدرى المسماة الرحلة المغربية لأبى عبد الله محمد بن محمد العبدرى الحيحى ـ حققه وقدم له وعلق عليه محمد الفاسى / ١١٦ ـ ١١٨).

*** ذات الصدر:**

مما يرد فى مصنفات التراث الإسلامى فى الطب. قال التهانوى:

ذات الصدر عندهم هى ورم يحدث فى الحجاب القاسم للصدر بنصفين فى الجانب الموضوع على البطن وإن كان فى الجانب الموضوع على القفاء يسمى ذات العرض

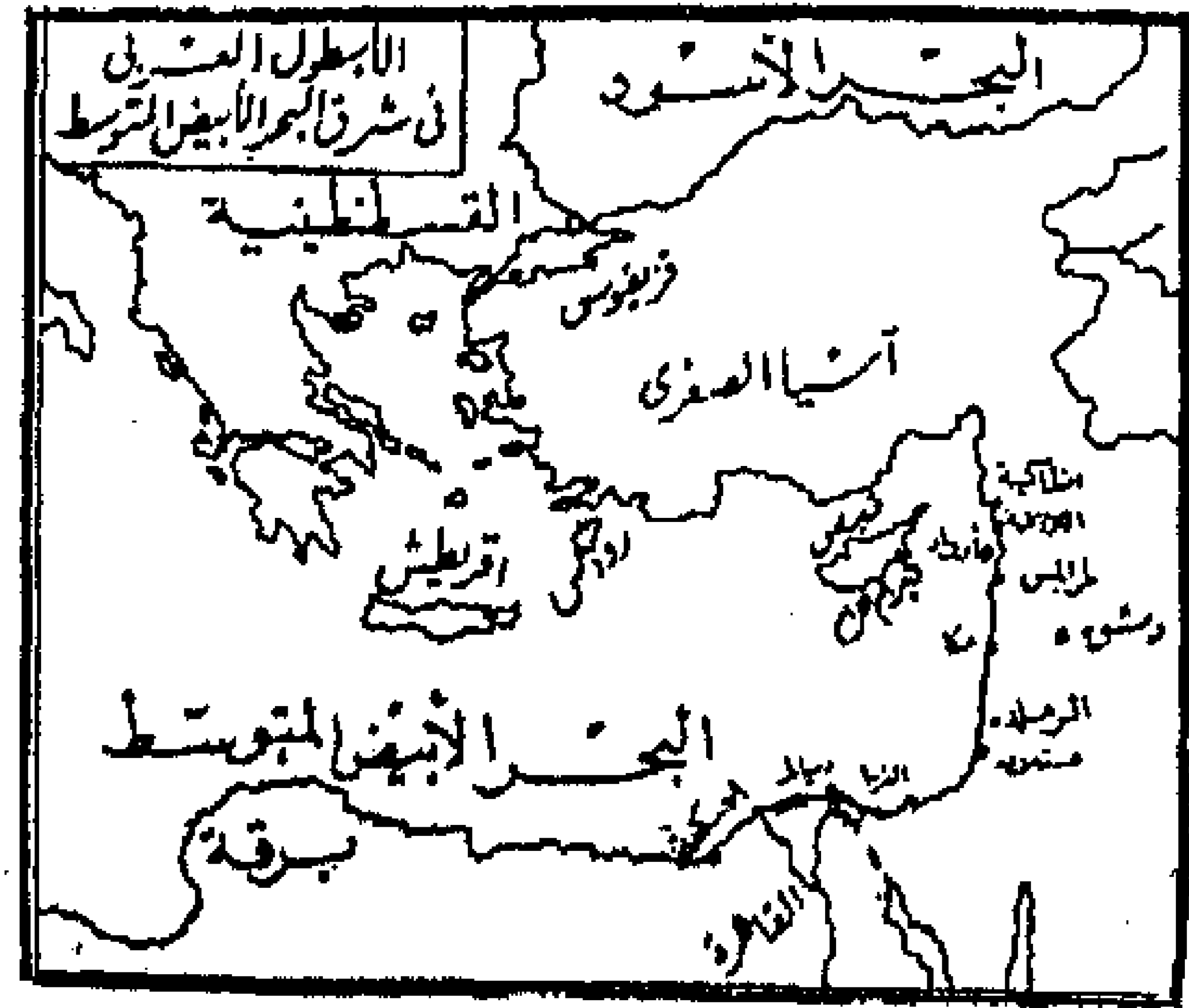
(كشاف اصطلاحات الفنون ٢ / ٥٢٤).

*** ذات الصوارى (معركة ـ) ٣٤ هـ / ٦٥٥ م:**

(وترد فى بعض المراجع بلفظ «السوارى» بالسين). من المعارك الحاسمة المشرفة فى تاريخنا العربى الإسلامى وهى أول معركة بحرية هامة خاضها العرب المسلمون بتاريخ ٣٤ هـ / ٢٩ آب (أغسطس) ٦٥٤ م بقيادة عبد الله بن سعد بن أبى السرح، ضد الأسطول الرومى بقيادة الإمبراطور البيزنطى قسطنطين الذى خلف هرقل. وكان الأسطول العربى يتألف من ٢٠٠ مائتى سفينة والرومى يضم ألف سفينة. وعندما تم الالتحام ربط العرب كل سفينة لهم بسفينة رومية بخطاف معدنى، وأصبح القتال بالسلاح الأبيض فأصبحت مياه البحر مشبعة بالدماء، وأطلق عليها معركة اليرموك البحرية. وانتصر العرب، وقضوا على أسطورة تفوق الأسطول الرومى. ومهَّد هذا النصر لسيطرة العرب على طرق الملاحة فى البحر الأبيض المتوسط. وهو أول نصر حاسم كبير للأسطول العربى الإسلامى الفتى. وجرت أحداث هذه المعركة على سواحل مصر غرب الإسكندرية (معجم المعارك الحربية / ١٥٥).

والناظر إلى أسلوب العرب فى هذه المعركة يجد أنهم استخدموا فيها أسلوب القتال البرى فربطوا السفن إلى بعضها البعض ـ كما سبق القول ـ لتصبح ميدانا أشبه بميادين القتال البرية بعدما فشلت أساليبهم القتالية فى حرب الروم باستخدام النبال ثم الحجارة، مما يؤيد بعد نظر الخليفة عمر بن الخطاب رضى الله عنه من أن الوقت لم يكن قد حان لقتال المسلمين فى البحر، إلا أن النصر من عند الله كما هو الحال دائما لما كان فى نفوس المسلمين من قوة عقيدة وحب للاستشهاد لرفع راية الحق فى سبيل الله ... وهكذا فإن الخليفة عمر بن الخطاب رضى الله عنه لما نهى معاوية عن الغزو البحرى من سواحل الشام لم يكن ذلك عن خوف أو خشية من البحر، وإنما كان بُعد نظر ابن الخطاب إذ تبين له عدم خبرة العرب فى مبدأ الأمر فى المعارك الحربية إذا ما قورنوا بالبيزنطيين أو الفرس، ولعل هذا هو السبب كذلك فى فشل الحملة التى شنها العلاء بن الحضرمى حاكم البحرين على فارس أيام عمر رضى الله عنه («الملاحة البحرية فى العصور الوسطى» / ٦٨، ٦٦).

وللواء البحرى المتقاعد وفيق بركات دراسة قيمة ركز فيها على معركة ذات الصوارى من وجهة نظر فن الحرب البحرية الحديثة، وهو فى خلال ذلك يلم بما جاء فى عدد من المؤلفات من دراسات لهذه المعركة من الناحية التاريخية، وهو ما ننقله لك فيما يلى، وقد أبقينا على رءوس الفقرات التوضيحية كما وردت فى النص. يقول الباحث.



١ ـ الخلاف التاريخى حول أسباب المعركة وموقعها :

يجمع المؤرخون على أن معركة ذات الصوارى كانت معركة فاصلة حاسمة بين العرب والروم تقرر فيها مصير البحر الأبيض المتوسط وأن المعركة انتهت بانتصار حاسم للمسلمين وتعتبر حدًّا فاصلا فى تاريخ البحر المتوسط، ذلك أن قنسطانز كان يرمى إلى تحطيم قوة المسلمين البحرية فى مهدها ولو أنه وفق فى ذلك لظلت سيادة البحر المتوسط أو حوضه الشرقى على الأقل بيد البيزنطيين دون المسلمين.

ولكنهم يختلفون فى أسباب قيام تلك المعركة ومكان حدوثها :

ـ الدكتور إبراهيم العدوى، أستاذ التاريخ الإسلامى فى جامعة القاهرة، يذكر: «وعجَّل قنسطانز باستخدام أسطوله حين ترامت إليه سنة ٦٥٥ م أنباء استعدادات بحرية هائلة يعدها معاوية بن أبى سفيان والى الشام إذ ذاك لضرب القسطنطينية ذاتها عاصمة الروم، وجهد قنسطانز على أن يتلافى هذا الخطر العربى المقبل على عاصمته قبل اقترابه منها، وعوّل على الخروج قاصدا الشام ليدمر الأساطيل العربية هناك قبل إبحارها من قواعدها ... أعاد معاوية حشد قواته فى حين وصلت سفن من مصر إلى سواحل الشام وخرج الأسطول العربى الشامى ـ المصرى قاصدا القسطنطينية (العدوى/ ٣٨) ...

ـ الدكتور أنور عبد العليم أستاذ علوم البحار بكلية العلوم ـ جامعة الملك عبد العزيز (السعودية) يذكر: «... إذ حاول إمبراطور الروم قسطنطين (كونستانز) الثانى إرجاع مدينة الإسكندرية من العرب فجهز حملة ٧٠٠ ـ ١٠٠٠ سفينة تصدت لها ٢٠٠ سفينة إسلامية مصرية وسورية بقيادة عبد الله ابن أبى السرح وتمكنت من هزيمة البيزنطيين» (الملاحة وعلوم البحار عند العرب/ ٩٢).

ـ ويؤيده فى ذلك جميل خانكى إذ يقول : «لعل أول انتصار بحرى أحرزه الأسطول المصرى فى ذلك العهد عند قدوم الإمبراطور البيزنطى قنسطانت الثانى بن هرقل لغزو الإسكندرية ... على رأس أسطول مكون من ١٠٠٠ سفينة وفى رواية أخرى ٥٠٠ فقط ... وقد اشترك معاوية فى هذه الموقعة البحرية إذ أنه لما بلغه مقدم ابن هرقل خرج من الشام بأسطوله وانضمت وحدته إلى مراكب عبد الله بن سعد» (تاريخ البحرية المصرية/ ١٣٧).

ـ بينما يرى المؤرخان الدكتور أحمد مختار العبادى والدكتور السيد عبد العزيز سالم رأيا مخالفا تماما فى قولهما : «... ولما كانت الموقعة قد دارت بالقرب من ساحل ليكيا فالأرجح أن هناك سببا آخر دعا العرب إلى الاقتراب من هذا الساحل بآسيا الصغرى، واعتقد أنهم كانوا يسعون إلى الحصول على مصدر جديد للأخشاب الجيدة اللازمة لصناعة السفن مثل خشب البلوط الصلد اللازم لصناعة الصوارى والقرايا والأقواس» (تاريخ البحرية الإسلامية فى مصر والشام/ ٢٩).

«كما أن التفسير الذى أورده الدكتور إبراهيم أحمد العدوى للاشتباك البحرى فى ذات الصوارى ويتلخص فى أن أخبارا ترامت إلى قنسطانز باستعدادات بحرية هائلة وأخرى برية يقوم بها معاوية لضرب عاصمة البيزنطيين الضربة الأخيرة يبدو لنا غير مقنع لأنه لا يستند لا على أسانيد وثائقية ولا حتى على استدلالات منطقية» (تاريخ البحرية الإسلامية مصر والشام / ٢٩). ويرى المؤرخان المذكوران : «أن قنسطانز قد ترامت إليه أنباء هذه الحملة (يقصد حملة للحصول على الأخشاب) بدليل أنه كان متأهبا لاستقبال سفن الأسطول الإسلامى بسفن لم ير العرب مثل عددها قط، ولو أن العرب كانوا ينوون حقا غزو القسطنطينية لما غامروا بالخروج فى سفن قليلة نسبيا ولما هالهم عدد السفن البيزنطية ...» (المرجع السابق/ ٣٠).

أما ما يتعلق بموقع المعركة هناك أيضا تباين واضح فى تحديده، فنرى الدكتور أنور عبد العليم يقول: «وسميت هذه الموقعة بذات الصوارى لكثرة صوارى السفن التى استخدمت فيها (د. عبد العليم / ٩٣) ويرى الرأى نفسه السيد جميل خانكى: «... عرفت فى المراجع العربية بغزوة ذات الصوارى لكثرة ساريات السفن التى التحمت فى القتال، واشتهرت فى المصادر الأوروبية بوقعة فونيكه (phoenicus) لوقوعها بالقرب من ثغر فونيكه غرب الإسكندرية (خانكى / ١٣٧).

ـ وقد أورد الدكتور إبراهيم العدوى نفس الرأى: «عرفت بوقعة ذات الصوارى بسبب كثرة صوارى السفن المشتركة فى القتال(العدوى / ٤٢).

ـ أما الدكتور العبادى والدكتور سالم فيريان رأيا مخالفا تماما بالاستناد إلى مراجع تاريخية معروفة: «... ونستدل على هذا الرأى بأن كلمة ذات الصوارى لم تطلق نسبة إلى كثرة صوارى السفن كما يزعم فريق من المؤرخين العرب ولكن نسبة إلى موقع بهذا الاسم استنتاجا من قول الطبرى «فركب فى مركب وحده ما معه إلا القبط حتى بلغوا ذات الصوارى فلقوا جموع الروم فى خمسماية مركب أو ستمائة) (الطبرى ٥ / ٧٠). وقوله أيضا: «وأقام عبد الله بذات الصوارى بعد هزيمة الروم» (الطبرى ٣ / ١١٨) ولا يمكن أن يسمى موضع بهذا الاسم إلا لكونه مصدرا لأخشاب تصنع منها الصوارى...» (عبادى وسالم / ٣٠).

٢ ـ سير المعركة وأحداثها الهامة:

كان الإمبراطور قنسطانز الثانى يؤمن بأن المقادير قد ادخرته لإنقاذ دولته من ضعفها ودفع خطر الأسطول العربى عنها، فبادر بإعداد الوسائل التى تمكنه من المحافظة على وحدة بلاده والقضاء على طلائع البحرية العربية التى هجمت على دياره، وأخذ فى تدعيم قوة الروم البحرية وبعث الحياة فى قواعد بلاده البحرية واتخذ الإجراءات التى تكفى خلق تعاون بحرى بين آسيا الصغرى وبلاد اليونان وأعاد بناء أسطول قوى عمد إلى اتخاذه سبيلا لطرد العرب من مياه البحر الأبيض المتوسط واسترداد سيادة الروم على ذلك البحر.

«وعجل قنسطانز باستخدام أسطوله حين ترامت إليه فى سنة ٦٥٥ م أنباء استعدادات بحرية هائلة يعدها معاوية بن أبى سفيان، والى الشام إذ ذاك لضرب القسطنطينية نفسها عاصمة الروم وجهد قنسطانز على أن يتلافى هذا الخطر العربى المقبل على عاصمته قبل اقترابه منها وعول على الخروج قاصدا الشام ليدمر الأساطيل العربية هناك قبل إبحارها من قواعدها (العدوى / ٣٧، ٣٨) إلا أن المقريزى فى كتابه المواعظ والاعتبار فى ذكر الخطط والآثار ج ١ ص ١٦٩٠ يذكر توجها آخر، حيث يقول فى وصف للمعركة: «قدم قسطنطين بن هرقل لغزو الإسكندرية سنة ٣٤ هـ على رأس أسطول من ١٠٠٠ سفينة ...»

وقد نشط وكلاء الروم فى الشام لعرقلة استعدادات العرب البحرية وكان معاوية قد حشد معداته البحرية فى مدينة طرابلس فقام اثنان من الروم بفتح سجن المدينة وأطلقا سراح عدد كبير من أسرى الروم ثم هاجموا دار الحاكم العربى وأحرقوا العدد والعتاد التى بذل معاوية فى جمعها كثيرا من الجهد والعناء ثم فروا جميعا إلى آسيا الصغرى (العدوى / ١٨) لكن الأسطول العربى ظل سليما وبذلك أعاد معاوية حشد قواته، على حين وصلت سفن من مصر بقيادة واليها عبد الله ابن أبى السرح إلى سواحل الشام وخرج الأسطول العربى (الشامى المصرى) قاصدا القسطنطينية (يذكر الباحث هنا أنه تبنى فى هذه الدراسة فكرة أن المعركة نشبت بالقرب من آسيا الصغرى) وعندما وصل الأسطول العربى إلى ليكيا بآسيا الصغرى القى مرساه عند وينكس حيث بلغه نبأ اقتراب أسطول الروم وعلى رأسه الامبراطور قنسطانز نفسه وكان قنسطانز بن هرقل قد «خرج فى جمع لم يجتمع للروم مثله منذ كان الإسلام» (العدوى / ٣٨) وكان أسطوله يتألف من خمسمائة سفينة مزودة بآلات الحرب، راع العرب منظرها ولا سيما الذين سبق لهم أن اشتبكوا مع الروم فى معارك بحرية، ووصف أحد المشتركين فى الحملة البحرية العربية شعوره حين تقابل الأسطول العربى مع سفن الروم قائلا: «فالتقينا فى البحر فنظرنا إلى مراكب ما رأينا مثلها قط» (الطبرى ٥ / ٦٩).

وكانت مراكب المسلمين مئتى مركب ونيفا فقام عبد الله وقال للناس: «بلغنى أن ابن هرقل قد أقبل عليكم فى ألف مركب فأشيروا علىّ» فقام رجل من أهل المدينة كان متطوعا مع عبد الله فقال: «أيها الأمير إن الله مع الصابرين» فقال عبد الله: «اركبوا» (المقريزى ١ / ١٦٩) وكان قائد أسطول الشام فى معركة ذات الصوارى بسر بن أرطاة».

وحين التقى الجمعان فى البحر كانت الرياح غير ملائمة فقضى العرب والروم ليلتهما انتظارا لما يسفر عنه الصباح، وأخذا يستعدان فيها ويعملان على تقوية الروح المعنوية، فبات العرب يصلون ويدعون الله، فى حين قضى الروم ليلتهم يضربون بالنواقيس، وفى صبيحة اليوم التالى دارت المعركة، واشترك فيها الإمبراطور قنسطانز نفسه حيث أخذ يصدر من سفينته تعليمات لقتال العرب ويتابع منها الأنباء بانتظام عن سير المعركة (الطبرى ٥/ ٧٠).

بدأ العرب القتال بالأقواس والسهام فأدرك قنسطانز تفوق جنده عليهم لأن العرب يجيدون هذا السلاح فى الحروب البرية فقط وأن الموقف الآن بحريا وليس بريا، وأن ذخيرتهم سوف تنفد سريعا، وتحقق ما رآه قنسطانز إذ اضطر العرب لاستبدال الأقواس والرماح التى نفدت بالحجارة وقذف العدو بها، وهنا أيقن الإمبراطور مرة أخرى أن الفوز حليف أسطوله.

غير أن العرب حين رأوا نفاد ذخيرتهم من الحجارة وأن العدو ما زال بعيدا عن متناول سفنهم وأنه يراوغ ويماطل لإنهاك قواهم ربطوا سفنهم بعضها إلى بعض وقذفوا خطاطيف فى البحر جذبوا بها سفن الروم إليهم ثم أخذوا من ظهور السفن المتلاحمة ميادين قتال أشبه بميادين البر. وحين وصلت أنباء تلك الخطة الجديدة إلى الإمبراطور قنسطانز أدرك فشل حملته وأن الهزيمة لا شك محيقة بجنده» (ابن عبد الحكم فتوح مصر / ١٦٠).

«فلقوهم فاقتتلوا بالنبل والنشاب وتأخر ابن هرقل لئلا تصيبه الهزيمة وجعلت القوارب تختلف إليه بالأخبار فقال: «ما فعلوا؟» قالوا «قد اقتتلوا بالنبل والنشاب»: «غلبت الروم» ثم أتوه فقال: «ما فعلوا؟» قالوا: «قد نفدت الحجارة وربطوا المراكب بعضها ببعض يقتتلون بالسيوف» قال: «غلبت الروم» (المقريزى ١ / ١٦٩).

وتحقق استنتاج قنسطانز إذ وثب العرب على الروم بالسيوف والخناجر وأعملوا فيهم التقتيل واشتد الصراع وكثر القتلى حتى وصف شاهد عيان هذه المعركة قائلا: « رجعت الدماء إلى الساحل تضربها الأمواج، وطرحت الأمواج جثث الرجال ركاما» (الطبرى ٥ / ٧٠) و «... وقتل عدد وفير من الطرفين المتحاربين إلى أن انهزم ابن هرقل جريحا ولم ينج من الروم إلا الشريد» (ابن الأثير: الكامل فى التاريخ ٣ / ٤٨).

وقد أبدى الفريقان المتحاربان من صنوف التفانى فى الواجب وضروب الشجاعة ما سجلته مراجع العرب والروم على السواء (العدوى / ٥٠) ومن الأمثلة على ذلك أن العرب نسوا فى غمرة المعركة مخاوفهم واستماتوا فى الدفاع عن سفينة القيادة التى أقلت والى مصر عبد الله بن أبى سرح، فقد عمد الامبراطور قنسطانز حين علم بخطوة العرب الجديدة إلى نشر الفوضى فى صفوفهم بالقضاء على سفينة القيادة عندهم، فأمر جنده بقذف خطاف علق على سفينة أمير البحر العربى عبد الله بن أبى السرح وأخذ الروم يجذبون المركب العربى إليهم. وكاد الروم ينجحون فى أسر مركب القيادة العربى لولا شجاعة أحد الجنود العرب ويدعى «علقمة بن يزيد العطيفى» إذ رمى هذا الجندى بنفسه على السلاسل التى كانت تجذب سفينة القيادة العربية وأخذ يعمل فيها القطع برغم ما تعرض له من ضربات العدو وسهامه وكُلل عمل علقمة بالنجاح، إذ قطع السلسلة وأنقذ سفينة القيادة العربية من الوقوع فى الأسر. ونال هذا الجندى العربى ثناء زوجة أمير البحر التى تسمى بثينة حيث كانت على ظهر السفينة أثناء القتال وقد شاءت الأقدار فيما بعد أن يظفر ذلك الجندى بزواجه من بثينة بعد وفاة زوجها (المقريزى ١ / ١٦٩) أوردها خانكى «بسيسة» ووردت فى بعض المصادر «بثينة» وهلك عنها علقمة فتزوجها كريب بن أبرهة وقد حضر المعركة.

وأظهر الروم فى تلك المعركة تفانيا فى الدفاع عن سفينة قيادتهم إذ بعد نجاح العرب فى إنقاذ سفينة قيادتهم هجموا على الروم بشدة واقتحموا السفينة المقيم عليها الإمبراطور وأعملوا القتل فى جندها، وكاد الإمبراطور يقع فى قبضة العرب لولا أنه تنكر باستبدال زيه بملابس ابن أحد ضاربى الطبول على سفينة وهرب من المعركة على مركب آخر فرَّ به إلى صقلية (العدوى / ٤١).

وبفرار الإمبراطور قضى العرب على تلك (الأرمادا) التى أعدها الروم، وخرجوا ظافرين من معركة حامية الوطيس.

وتجلت أولى النتائج الهامة التى ترتبت على انتصار الأسطول العربى فى تلك الواقعة الفاصلة فى تدعيم سيادة العرب على الشواطىء الشرقية للبحر الأبيض المتوسط وطلّق أباطرة الروم فكرة استرداد البلاد التى كانت تابعة لهم من يد العرب وفضلوا الاعتراف بالأمر الواقع.

٣ ـ المعركة وفن الحرب البحرية :

إن دراسة معركة ذات الصوارى من وجهة نظر فن الحرب البحرية الحديثة تقودنا إلى النتائج التالية :

(أ) تصميم الروم البيزنطيين على وضع حد لنشاط البحرية العربية وكسر شوكتها نهائيا بعد تحقيق التعاون بين آسيا الصغرى واليونان، لكن تقديراتهم وخططهم فشلت فى تحقيق الهدف المنشود.

(ب) دلت المجهودات العربية على أن الأسطول العربى قد أصبح قوة كبيرة وحقيقة واقعة خاصة بعد أن بلغ التعاون بين الشام ومصر أوجه.

(جـ) خاض الجانبان عملية بحرية تسمى فى فن الحرب الحديثة «عملية تدمير قوى العدو فى البحر» بعد أن كان البيزنطيون يخططون لخوض «عملية تدمير قوى الأسطول العربى فى القواعد».

(د) يستدل من دراسة المراجع التاريخية أن الروم قد فرضوا توقيت المعركة لكن النتيجة جاءت نصرا للعرب.

(هـ) استخدم الأسطول العربى أسلحة البر فى البحر. (القوس والنشاب والمقلاع والحجارة والسيوف والخناجر).

(و) خلال سير المعركة ابتكر البحارة العرب من وحى الموقف فى ساحة القتال أسلوبا تكتيكيا مناسبا إذ ربطوا السفن إلى بعضها وجذبوا إليها سفن العدو ومدوا الجسور وحولوا المعركة إلى ما يشبه المعركة البرية.

(ز) اعتمد البحارة العرب على الشجاعة والقوة والتضحية والمبادرة الفردية والإيمان وعقيدة الجهاد.

(ح) استشار أمير البحر العربى مرؤوسيه فى التصدى للأسطول المعادى قبل اتخاذ القرار بالهجوم، وهذا يشبه إلى حد ما أسلوب القادة فى اتخاذ قرار المعركة فى العصر الحديث.

(ط) طبق أمراء البحر العرب مبادئ التعاون على مستويات عالية استراتيجية بين قطرين وبين أسطولين انضويا تحت قيادة واحدة (أمير البحر عبد الله بن أبى سرح والى مصر).

(ى) لجأ معاوية إلى تجهيز القوات وحشدها تمهيدا للانطلاق من طرابلس ثم اشترك فى المعركة نظرا لأهميتها (حسب بعض المصادر التاريخية).

(ك) طبق أمراء البحر العرب مبادئ التوجيه المعنوى والدينى قبل بدء الحرب ﴿كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة﴾[البقرة : ٢٤٩]

(ل) أن الإبحار بالأساطيل الكبيرة على هذه المسافات البحرية الشاسعة يدل على خبرة واسعة فى القيادة والسيطرة والإمداد والملاحة البحرية والاستطلاع لدى بحارة الأسطول العربى الإسلامى.

(م) استخدم الطرفان الجواسيس لمعرفة استعداد وتجهيزات وتحركات كل طرف.

(ن) أن استخدام الأسطول البحرى لتحقيق أهداف استراتيجية كبرى يدل على مدى اتساع الأفق السياسى والعسكرى للقادة العرب فى ذلك التاريخ.

(س) أن الخبرات المكتسبة والدروس المستفادة من هذه العملية البحرية الكبيرة قد ساعدت الأسطول العربى لاحقا فى غزو القسطنطينية وفى خوض المعارك البحرية اللاحقة وساعدت إلى حد كبير فى ترسيخ المجد البحرى العربى فى صفحات التاريخ العالمى.

(ع) وبصورة عامة كانت مراحل المعركة تدريبا ميدانيا للأسطول العربى الإسلامى اهـ.

ونسوق فيما يلى المصادر التى وردت فى الدراسة إتماما للفائدة :

١ ـ د. إبراهيم أحمد العدوى : قوات البحرية العربية.

٢ ـ جميل خانكى : تاريخ البحرية المصرية.

٣ ـ الطبرى (أبو جعفر محمد بن جرير) : تاريخ الرسل والملوك.

٤ ـ د. أنور عبد العليم : الملاحة وعلوم البحار عند العرب.

٥ ـ د. أحمد مختار العبادى : د. السيد عبد العزيز سالم : تاريخ البحرية الإسلامية فى مصر والشام.

٦ ـ فتحى عثمان : الحدود الإسلامية البيزنطية.

٧ ـ الكندى : كتاب الولاة وكتاب القضاة.

٨ ـ ابن الأثير (على بن أحمد بن أبى الكرم) : الكامل فى التاريخ.

٩ ـ المقريزى (تقى الدين أحمد بن على) : المواعظ والاعتبار فى ذكر الخطط والآثار.

١٠ ـ د . على حسنى خربوطلى : الإسلام فى حوض المتوسط .

١١ ـ ابن عبد الحكم : فتوح مصر .

(معجم المعارك الحربية ـ ماجد اللحام / ١٥٥ ، و «الملاحة البحرية فى العصور الإسلامية» ـ خالد محمد القاسمى . تاريخ العرب والعالم . السنة الثامنة . العددان ٩١ ، ٩٢ . أيار (مايو ـ) حزيران (يونيو) ١٩٨٦ م ، الموافق شعبان ـ رمضان ١٤٠٦ هـ / ٦٨ ، ٦٩ ، و «معركة ذات الصوارى بين التاريخ وفن الحرب» ـ اللواء البحرى المتقاعد وفيق بركات . تاريخ العرب والعالم . السنة العاشرة . العددان ١١٩ ، ١٢٠ . تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٨٨ م ، الموافق محرم ـ صفر ١٤٠٩ هـ / ٣٥ ـ ٣٩ . انظر أيضا تاريخ العالم الإسلامى ـ د . إبراهيم أحمد العدوى / ١٤٤ ـ ١٤٩) .

انظر موقع «ذات الصوارى» على الخريطة المصاحبة لمادة «البابين (موقعة ـ)» فى م ٦ / ٣٦٧ ، وانظر مادة «البحرية الإسلامية» فى م ٦ / ٤٤٣ ـ ٤٤٩ .

*** ذات عرق:**

مَهَلُّ أهل العراق ، وهو الحد الفاصل بين نجد وتهامة (المعالم الأثيرة / ١٢٠) قال عنها المقدسى : ذات عرق : قرية بها آبار قريبة المستقى ، يابسة عابسة على منزلين . أخبرنا إبراهيم بن عبد الله الأصبهانى قال : أخبرنا محمد بن إسحاق السراج قال : حدثنا قتيبة بن سعيد قال : حدثنا الليث بن سعد قال : حدثنا نافع مولى ابن عمر عن عبد الله بن عمر : أن رجلا قام فى المسجد فقال : يارسول الله من أين تأمرنا أن نهل ، قال رسول الله ﷺ : يهل أهل المدينة من ذى الحليفة ، ويهل أهل الشام من الجحفة ، ويهل أهل نجد من قرن . فقال ابن عمر : يزعمون أن رسول الله ﷺ قال : يهل أهل اليمن من يلملم فى حديث آخره ويهل أهل العراق من ذات عرق اهـ (أحسن التقاسيم / ٧٩ ، ٨٠) .

(المعالم الأثيرة فى السنة النبوية ـ إعداد وتصنيف محمد محمد حسن شراب / ١٢٠ ، وأحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم للمقدسى المعروف بالبشارى ـ وضع مقدمته وهوامشه وفهارسه د. محمد مخزوم / ٧٩ ، ٨٠) .

*** ذات العشيرة (غزوة ـ):**

ثالث غزوات رسول الله ﷺ : قال الزَّين العراقى فى ألفيته :

ثم بواط بعد فالعشير
فبدر الأولى فبدر الكبرى

فأولى غزواته ﷺ «الأبواء» (انظرها فى حرف الألف فى م ٢ / ٢٣٣) وتعرف أيضا بغزوة ودَّان ، والثانية بواط ، والثالثة ذات العشيرة ، وفيما يلى شرح البيت للشيخ المناوى :

الثالثة : غزوة ذات العشيرة بضم العين المهملة وشين معجمة وقيل مهملة مفتوحة بعدها مثناة تحتية وراء مهملة على لفظ التصغير ويقال بزيادة هاء فى آخره وبعدمه نسبت إلى المكان الذى وصلوا إليه وهو موضع لبنى مدلج بناحية الينبع وبين الينبع والمدينة تسعة برد خرج إليها فى جمادى الأولى وقيل الآخرة على رأس ستة عشر شهرا من مهاجرته وحمل لواءه وكان أبيض حمزة بن عبد المطلب خرج من المدينة فى خمسين ومائة وقيل فى مائتين من المهاجرين وثلاثين يعتقبونها ولم يكره أحدا على الخروج فسلك على نقب ﷺ بنى ذبيان (فى سيرة ابن هشام «بنى دينار») نزل تحت شجرة ببطحاء ابن أزهر فصلى عندها فثم مسجده وصنع له طعام فأكل هو وصحبه فوضع الأثافى أى حلقة البرمة معلوم هناك ثم ارتحل فهبط بليل فنزل بمجتمعه واستقى له من بير الضبوعة ثم سلك الفرش حتى لقى الطريق بصخيرات اليمام ثم اعتدل حتى نزل ذات العشيرة يعترض لعير قريش لما نزلت من الشام فوجدها مضت بأيام فوادع بنى مدلج ورجع ولم يلق حربا وأقام فيها أياما من جمادى الآخرة وكنى فيها عليا بأبى تراب حين وجده نائما وعمار بن ياسر وقد علق به تراب فأيقظه برجله قال ألا حدثكما بأشقى الناس رجلين أحيمر ثمود الذى عقر الناقة والذى يضربك ياعلى على هذه ووضع يده على قرنه حتى يبل منها هذه وأخذ بلحيته ، وقول الناظم ثم بواط أى بعد بواط العشيرة .

(العجالة السنية على ألفية السيرة النبوية للعراقى . الشيخ المناوى ـ قام بتصحيحه والتعليق عليه فضيلة الشيخ إسماعيل الأنصارى / ١٥٣ ، ١٥٤) .

انظر ما أوردناه عن كنية «أبى تراب» فى مادة «أبو تراب» فى م ٩ / ٢٠٤

*** ذات العماد فى أخبار أم البلاد:**

ذات العماد فى أخبار أم البلاد : للشيخ محيى الدين

عبد القادر بن محمد الشهير بابن قضيب البان المتوفى بحلب سنة ١٠٤٠ أربعين وألف.

(كشف الظنون ١ / ٨٢١).

*** ذات الفوائد:**

ذات الفوائد: رسالة في الكيميا لمؤيد الدين حسين بن على الطغرائى المتوفى سنة ٥١٥ خمس عشرة وخمسمائة.

(كشف الظنون ١ / ٨٢١).

*** ذات الكبد:**

قال التهانوى:

ذات الكبد عندهم هى ورم يحدث فى الكبد لمواد حارة أو باردة تنصبُّ وتورِّمها.

(كشاف اصطلاحات الفنون ٢ / ٥٢٤).

*** ذات الكرسى (كوكبة):**

من الكواكب الثابتة التى ذكرها القزوينى فى عجائبه فقال:

كوكبة ذات الكرسى هى صورة امرأة قاعدة على كرسى له قائمتان كقائمة المنبر وعليه مسند وقد أدلت رجليها وهى فى نفس المجرة فوق الكوكب الذى على رأس قيقاوس وكواكبها ثلاثة عشر كوكبا، والعرب تسمى النير من هذه الكواكب الكف المخضب وهى كف الثريا اليمنى المبسوطة، فشبهت العرب تلك الكواكب بيد مبسوطة والكواكب النيرة منها بأنامل مخضوبة.

(عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات للقزوينى / ٢٥).

*** ذات النُّصب:**

ذات النصب: بضم النون والصاد المهملة وباء موحدة: موضع أقطعه النبى ﷺ لبلال بن الحارث، بينها وبين المدينة أربعة برد، والبريد أربعة فراسخ، والفرسخ ثلاثة أميال، فالمسافة ثمانية وخمسون ميلا.

(المعالم الأثيرة فى السنة والسيرة - إعداد وتصنيف محمد محمد حسن شراب / ١٢٠).

*** ذات النطاقين:**

هى أسماء بنت أبى بكر انظر هذه المادة فى م ٤ / ٤٨٧ - ٤٨٩.

*** ذات الهدى:**

ذات الهدى: قصيدة طويلة لأبى الطيب محمد بن محمد بن عبيد الله بن الشخير الصيرفى الشاعر نقض بها قصيدة ابن بسام (على بن محمد البغدادى المتوفى سنة ٣٠٣ ثلاث وثلثمائة وله هجاء خبيث).

(كشف الظنون لحاجى خليفة ١ / ٨٢١).

*** ذات الوَدْع:**

الأوثان ويقال: هو وثن بعينه، وقيل سفينة نوح عليه السلام وبكل منهما فسر قول عدى بن زيد العبادى:

كلا يمينا بذات الودع لو حدثت
فيكم وقابل قبر الماجد الزارا

الأخير قول ابن الكلبى قال: يحلف بها وكانت العرب تقسم بها وتقول بذات الودع

(عن تاج العروس)

(كتاب الأصنام لابن الكلبى - بتحقيق الأستاذ أحمد زكى. تكملة بأسماء الأصنام والبيوت المعظمة التى لم يذكرها ابن الكلبى جمعها المحقق / ١١١).

*** ذات الوفا فى شرح ذات الشفا:**

من مخطوطات التاريخ والتراجم والسير فى مكتبة المتحف العراقى وجاء بيانه كما يلى:

الرقم ٢٠٧٥٧

لمحمد يوسف السليمانى الشافعى الشهير بالمحجر.

الأول (الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله ...)

وهى شرح لمنظومة ذات الشفا فى سيرة النبى ثم الخلفا لابن الجزرى المتوفى سنة ٨٣٣ هـ / ١٤٢٩ م. وضعها المؤلف للسلطان عبد الحميد خان.

نسخة جيدة عليها بعض التعليقات ناقصة الآخر.

القياس ٣٢ ص ٢٢×١٧,٥سم ١٨س

(مخطوطات التاريخ والتراجم والسير فى مكتبة المتحف العراقى - أسامة ناصر النقشبندى وظمياء محمد عباس / ١٩٢).

قالت المؤلفة: سبق أن ورد فى هذا المصدر نفسه مادة

بعنوان «ذات الشفا في سير النبى والخلفا» بواو العطف بدلا من «ثم» وهو نفس المخطوط .

* الذاتى:

قال التهانوى :

الذاتى بياء النسبة عند المنطقيين يطلق بالاشتراك على معان منها يقال الذاتى لكل شيء ما يخصه ويميزه عن جميع ما عداه وقيل ذات الشيء نفسه وعينه وهو لا يشتمل العرض . والفرق بين الذات والشخص أن الذات أعم من الشخص لأن الذات يطلق على الجسم وغيره الشخص لا يطلق إلا على الجسم هكذا في الجرجانى .

منها في كتاب إيساغوجى فإنه يطلق في هذا المقام على جزء الماهية والمراد به الجزء المفرد المحمول على الماهية وهو منحصر في الجنس والفصل وربما يطلق على ما ليس بخارج وهذا أعم من الأول لتناوله نفس الماهية وجزئها والتسمية على الأول ظاهرة وعلى الثانى اصطلاحية محضة والخارج عن الماهية يسمى عرضيا وربما يطلق الذاتى على الجزء مطلقا سواء كان محمولا على الماهية أو لم يكن كالواحد للثلاثة .

ثم إنهم ذكروا للذاتى خواصا ثلاثة : الأولى أن يمتنع رفعه عن الماهية بمعنى إنه إذا تصور الذاتى وتصور معه الماهية امتنع الحكم بسلبه عنها بل لا بد من أن يحكم بثبوته لها .

الثانية أن يجب إثباته للماهية على معنى أنه لا يمكن تصور الماهية إلا مع تصوره موصوفة به أى مع التصديق بثبوته لها وهى أخص من الأولى لأنه إذا كان تصور الماهية بكنهها مستلزما لتصور التصديق بثبوته لها كان تصورهما معا مستلزما لذلك التصديق كليا بدون العكس إذ لا يلزم من كون التصورين كافيين في الحكم بالثبوت أن يكون أحدهما كافيا مع ذلك وهاتان الخاصتان ليستا خاصتين مطلقتين لأن الأولى تشتمل اللوازم البينة بالمعنى الأعم والثانية بالمعنى الأخص .

الثالثة وهى خاصة مطلقة لا يشارك الذاتى فيها العرضى اللازم وهى أن يتقدم على الماهية في الوجودين الخارجى والذهنى بمعنى أن الذاتى والماهية إذا وجدا بأحد الوجودين كان وجود الذاتى متقدما عليها بالذات أى العقل يحكم بأنه وجد الذاتى أولا فوجدت الماهية وكذا في العدميين لكن التقدم في الوجود بالنسبة إلى جميع الأجزاء وفى العدم بالقياس إلى جزء واحد فإن قيل هذه الخاصة تنافى ما حكموا به من أن الذاتى متحد مع الماهية في الجعل والوجود لاستحالة أن يكون المتقدم في الوجود متحدا فيه مع المتأخر عنه وتنافى صحة حمل الذاتى على الماهية لامتناع حمل أحد المتغايرين في الوجود على الآخر. ويستلزم أن يكون كل مركب في العقل مركبا في الخارج مع أنهم صرحوا بخلافها .

قلنا ما ذكرناه خاصة للجزء مطلقا فإنه أينما كان جزء كان متقدما في الوجود والعدم هناك فالجزء العقلى متقدم على الماهية في العقل لا في الوجود ولا في الخارج فلا يلزم شيء مما ذكرتموه فإذا أريد تمييزه أيضا عن الجزء الخارجى زيد الحمل على اعتبار التقدم المذكور ليمتاز به عنه أيضا .

وهذه الخواص إنما توجد للذاتى إذا خطر بالبال مع ما له الذاتى لا بمعنى أنه لا تكون ثابتة للذاتى إلا عند الإخطار بالبال فربما لا تكون الماهية وذاتياتها معلومة وتلك الخاصيات ثابتة لها فضلا عن إخطارها بالبال بل بمعنى أنها إنما يعلم ثبوتها للذاتيات إذا كانت مخطورة بالبال والشيء خاطر بالبال أيضا كذا قيل .

وقد يعرف الذاتى أى الجزء مطلقا بما لا يصح توهمه مرفوعا مع بقاء الماهية كالواحد للثلاثة إذ لا يمكن أن يتوهم ارتفاعه مع بقاء ماهية الثلاثة بخلاف وصف الفردية إذ يمكن أن يتوهم ارتفاعها عنها مع بقائها نعم يمتنع ارتفاعها مع بقاء ماهية الثلاثة موجودة فالحال ههنا المتصور فقط وهناك التصور والمتصور معا والسر في ذلك أن ارتفاع الجزء هو بعينه ارتفاع الكل لا إنه ارتفاع آخر ومن المستحيل أن يتصور انفكاك الشيء عن نفسه بخلاف ارتفاع اللوازم فكأنه مغاير لارتفاع الماهية تابع له فأمكن تصور الانفكاك بينهما مع استحالته ، وكذا ارتفاع الماهية مغاير لا رتفاعها مستتبع له فجاز أن يتصور انفكاك بينهما مع استحالته ، وكذا ارتفاع الماهية أحدهما عن الآخر.

ويقال أيضا : الذاتى : ما لا يحتاج إلى علة خارجة عن علة الذات بخلاف العرضى فإنه محتاج إلى الذات وهى خارجة عن علتها كالزوجية للأربعة المحتاجة إلى ذات الأربعة .

ويقال أيضا هو ما لا تحتاج الماهية في اتصافها به إلى

علة مغايرة لذاتها فإن السواد لون لذاته لا بشيء آخر يجعله لونا وهذه خاصة إضافية لأن لوازم الماهية كذلك أن الثلاثة فرد في حد ذاته لا بشئ آخر يجعلها متصفة بالفردية هذا كله خلاصة ما في شرح المطالع وما حققه السيد الشريف في حاشيته .

وذكر في العضدي أن الذاتي ما لا يتصور فهم الذات قبل فهمه . وقال السيد الشريف في حاشيته مأخذه هو ما قيل من أن الجزء لا يمكن توهم ارتفاعه مع بقاء الماهية بخلاف اللازم إذ قد يتصور ارتفاعه مع بقائها فمعناه أن الذاتي محمول لا يمكن أن يتصور كون الذات مفهوما حاصلا في العقل بالكنه ولا يكون هو بعد حاصلا فيه وهذا التعريف يتناول نفس الماهية إذ يستحيل تصور ثبوتها عقلا قبل ثبوتها فيه والجزء المحمول إذ يمتنع تصور ثبوت الذات في العقل وهو معنى كونه مفهوما قبل ثبوته فيه أي مع ارتفاعه عنه .

ثم قال صاحب العضدي : وقد يُعرف الذاتي بأنه غير معلل . قال المحقق التفتازاني : أي ثبوته للذات لا يكون لعلة لأنه إما نفس الذات أو الجزء المتقدم بخلاف العرضي أنه إن كان عرضا ذاتيا أوليا يعلل بالذات لا محالة كزوجية الأربعة وإلا فبالوسائط كالضحك للإنسان لتعجبه .

وما يقال إنه إن كان لازما بينا يعلل بالذات وإلا فبالوسائط إنما يصح لو أريد العلة في التصديق ولو أريد ذلك انتقض باللوازم البينة فإن التصديق بثبوتها للملزومات لا يعلل بشيء أصلا . نعم يشكل ما ذكر بما أطبق المنطقيون من أن حمل الأجناس العالية على الأنواع إنما هو بواسطة المتوسطات وحمل المتوسطات بواسطة السوافل حتى صرح ابن سينا أن الجسمية للإنسان معللة بحيوانيته انتهى .

ومرجع هذا التعريف إلى ما مر سابقا من أن الذاتي ما لا يحتاج إلى علة خارجة عن علة الذات كما لا يخفى . ثم قال صاحب العضدي وقد يعرف الذاتي بالترتب العقلي وهو الذي يتقدم على الذات في التعقل انتهى .

وذلك لأنهما في الوجود واحد لا إثنينية أصلا فلا تقدم وهذا التفسير مختص بجزء الماهية والأولان يعمان نفس الماهية أيضا وحقيقة التعريفين الأخيرين يرجع إلى الأول وهو ما لا يتصور فهم الذات قبل فهمه لأن عدم تعليل الذاتي مبني على أنه لا يمكن فهم الذات قبل فهمه بل بالعكس والتقدم في التعقل مستلزم لذلك وإن لم يكن مبنيا عليه كذا ذكر المحقق التفتازاني في حاشيته .

ومنها في غير كتاب إيساغوجي قال شارح المطالع والسيد الشريف ما حاصله إن للذاتي معان آخر في غير كتاب إيساغوجي يقال عليها بالاشتراك وهي على كثرتها ترجع إلى أربعة أقسام .

الأول : ما يتعلق بالمحمول وهو أربعة : الأول المحمول الذي يمتنع انفكاكه عن الشيء ويندرج فيه الذاتيات ولوازم الماهية بينة كانت أو غير بينة ولوازم الوجود كالسواد للحبشي .

والثاني : الذي يمتنع انفكاكه عن ماهية الشيء ويندرج فيه الثلاثة الأول فقط فهو أخص من الأول والثالث ما يمتنع رفعه عن الماهية بالمعنى المذكور سابقا في خواص الذاتيات فهو يختص بالذاتيات واللوازم البينة بالمعنى الأعم فهو أخص من الثاني فإن من المعلوم أن ما يمتنع رفعه عن الماهية في الذهن بل يجب إثباته لها عند تصورهما كان الحكم بينهما من قبيل الأوليات فلابد أن يمتنع انفكاكه عنها في نفس الأمر وإلا ارتفع الوثوق عن البديهيات وليس كلما يمتنع انفكاكه عن ماهية الشيء يجب أن يمتنع رفعه عنها في الذهن لجواز أن لا يكون ذلك الامتناع معلوما لنا كما في تساوي الزوايا الثلاث لقائمتين في المثلث .

والرابع ما يجب إثباته للماهية وقد عرفت معناه أيضا فهو يختص بالذاتيات واللوازم البينة بالمعنى الأخص كل من هذه الثلاثة الأخيرة أخص مما قبله .

والثاني ما يتعلق بالحمل وهو ثمانية : الأول أن يكون الموضوع مستحقا للموضوعية كقولنا الإنسان كاتب فيقال له حمل ذاتي ولمقابله حمل عرضي .

والثاني أن يكون المحمول أعم من الموضوع وبإزائه الحمل العرضي فالمحمول في مثل قولنا الكاتب بالفعل الإنسان ذاتي بهذا المعنى عرضي بالمعنى الأول لأن الوصف وإن كان أخص ليس مستحقا أن يكون موضوعا للذاتي .

والثالث أن يكون المحمول حاصلا بالحقيقة أي محمولا عليها بالمواطأه والاشتقاق حمل عرضي ، ومنهم من فسر الحامل للموضوع بالحقيقة بما يكون قائما به حقيقة سواء كان

حاملا له بمقتضى طبعه أو لقاسر كقولنا الحجر متحرك إلى تحت أو إلى فوق وما ليس كذلك فحمله عرضي كقولنا جالس السفينة متحرك فإن الحركة ليست قائمة به حقيقة بل بالسفينة وهذا أشهر استعمالا حيث يقال للساكن فى السفينة المتحركة إنه متحرك بالعرض لا بالذات.

والرابع أن يحصل لموضوعه باقتضاء طبعه كقولنا الحجر متحرك إلى أسفل وما ليس باقتضاء طبع الموضوع عرضي.

والخامس أن يكون دائم الثبوت للموضوع وما لا يدوم عرضي.

السادس أن يحصل لموضوعه بلا واسطة وفى مقابله العرضي.

والسابع أن يكون مقوما لموضوعه وعكسه عرضي.

والثامن إن يلحق لا لأمر أعم أو أخص ويسمى فى كتاب البرهان عرضا ذاتيا سواء كان لاحقا بلا واسطة أو بواسطة أمر مساو وما يلحق بالأمر الأخص أو الأعم عرضي.

اعلم أن حمل الواحد قد يكون ذاتيا باعتبار وعرضيا باعتبار آخر فتأمل فى الأقسام الثمانية وكيفية اجتماعها وافتراقها.

والثالث ما يتعلق بالسبب فيقال لإيجاب السبب للمسبب إنه ذاتي إذا ترتب عليه دائما كالذبح للموت أو أكثريا كشرب السقمونيا للإسهال، وعرضي إن كان الترتب أقليا كلمعان البرق للعثور على المطر.

والرابع ما يتعلق بالوجود فالموجود إن كان قائما بذاته يقال إنه موجود بذاته كالجوهر وإن كان قائما بغيره يقال إنه موجود بالعرض كالعرض.

(كشاف اصطلاحات الفنون للتهانوى ٢/ ٥٢٠ـ٥٢٤)

***الذارع:**

ذكره برهان الدين الحلبي فيمن رمى بوضع الحديث وقال عنه:

أحمد بن نصر الذارع. بغدادى مشهور يكنى أبا بكر. فمن أباطيله ذكر الذهبى حديثا فى فضل على رضى الله عنه ثم قال الذهبى فى آخره فهذا من إفك الذارع انتهى.

وقد ذكر له ابن الجوزى حديثا فى فضل أبى بكر رضى الله عنه ثم قال: هذا الذارع، كأنه بلغه عن الإثنانى فسرقه وركّب له إسنادا، وقبله من كلام الخطيب، والحمل عندى على الذارع وأنه مما صنعت يداه (**الموضوعات ٢ / ١٤٨**) ثم ذكر ابن الجوزى حديثا آخر فى فضل على رضى الله عنه ثم قال: هذا حديث لا يشك أنه من عمل الذارع كان كذابا يضع الأحاديث. (الموضوعات ١ / ٣٨٤) ثم ذكر حديثا آخر فى فضل على رضى الله عنه ثم قال: واضعه الذارع (الموضوعات ١ / ٣١٤).

(الكشف الحثيث عمن رمى بوضع الحديث لبرهان الدين الحلبي - حققه وعلق عليه صبحى السامرائى. الجمهورية العراقية، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية. إحياء التراث الإسلامى (٥٢) الكتاب الثانى والخمسون. مطبعة العانى. بغداد ١٩٨٤ / ٨٤).

***الذارع:**

قال السمعانى:

الذارع: بفتح الذال المشددة المنقوطة والراء المهملة بعد الألف وفى آخرها العين المهملة، هذه النسبة إلى الذرع للثياب والأرض والمشهور بهذه النسبة عدى بن أبى عمارة الذارع الجرمى، من أهل البصرة، يروى عن قتادة وزياد النميرى، روى عنه القاسم بن عيسى الطائى ــ روى عنه البصريون.

وإسماعيل بن صديق الذارع، كنيته أبو الصباح، روى عنه إبراهيم بن عرعرة.

وأبو بكر أحمد بن نصر الذارع النهروانى، يروى عن هاشم ابن القاسم أبى الحسن العصفرى، ويقال كان غير ثقة، روى عنه أبو على بن دوما النعالى.

وأبو عبد الله محمد بن صالح بن شعبة الواسطى، يعرف بكعب الذارع، قدم بغداد وحدث بها عن عاصم بن على وعمر بن حفص بن غياث وأبى سلمة التبوذكى وعباد بن موسى القرشى وداود بن شبيب، روى عنه يحيى بن محمد بن صاعد ومحمد بن عمرو الرزاز ومحمد بن عبد الله بن أحمد بن عتاب وأبو بكر بن مالك الإسكاف، وكان ثقة، ومات فى ذى القعدة سنة ست وسبعين ومائتين.

وأبو الحسن شعيب بن محمد الذارع، من أهل بغداد، سمع إسحاق بن أبى إسرائيل وجعفر بن محمد بن عمران الثعلبى ومحمد بن سهل بن عسكر ويعقوب بن إبراهيم

الـدورقي وأبا كـريب محمـد بن العـلاء وسفيان بن وكيع وأبـا سعيد الأشج وهارون بن إسحـاق الهمداني ، روى عنه محمد ابن المظفر وعلى بن عمـر السكرى وأبـو حفص بن شاهين ، وكان ثقة ، ومات في شوال سنة ثمان وثلاثمائة .

وسعيد بن محمـد الذارع البصـرى ، يروى عن أبي حفص عمـرو بن على الفـلاس ، روى عنه أبـو القـاسم سليمـان بن أحمد بن أيوب الطبراني .

وإبراهيم بن الفضل بن أبي سويد الذارع ، بصرى ، يروى عن حماد بن سلمـة وعمارة بن زاذان وأبي عوانة وعبـد الواحد ابن زياد ، روى عنه بندار وأبو حاتم وأبو زرعة الرازيان ، وذكره يحيى بن معين فقال إنه كثيـر التصحيف لا يقيمها . وقال أبو حـاتم الـرازى : إبراهيم بن أبـي سويـد من ثقـات المسلمين رضا .

والحسين بن محمد الـذارع ، يروى عن خالـد بن الحارث وفضل بن سليمان النميرى ومحمد بـن حمران ، سمع منه أبو حاتم الرازى وقـال كتبت عنه في المرحلة الثالثـة . هكذا ذكره ابنه أبو محمد عبد الرحمن .

(الأنساب للسمعاني ـ تقديم وتعليق عبد الله عمر البارودى ٣/ ٥) .

*** الذاريات (سورة.):**

السـورة رقم ٥١ من ســور القرآن الكـريم وفقــا لتـرتيب المصحف مكية وعدد آياتها سـتـون اتفاقا ، ورءوس آياتها (١) ذروا (٢) وَقْـرا(٣) يُسْـرا(٤) أمْرا (٥) لصـادق (٦) لـواقع (٧) الحُبُك (٨) مختلـف (٩) أفك (١٠) الخــرَّاصــون (١١) سـاهـون (١٢) الدِّين (١٣) يُفتنـون (١٤) تستعجلـون (١٥) وعيون (١٦) مُحسنين (١٧) يهجعـون (١٨) يستغفرون (١٩) والمحروم (٢٠) للموقنين (٢١) تبصرون (٢٢) تُوعدون (٢٣) تنطقـون (٢٤) المكـرمين (٢٥) مُنكـرون (٢٦) سمين (٢٧) تأكلون (٢٨) عليم (٢٩) عقيم (٣٠) العليم (٣١) المرسلون (٣٢) مجـرمين (٣٣) طين (٣٤) للمسـرفين (٣٥) المـؤمنين (٣٦) المسلمين (٣٧) الأليم (٣٨) مبين (٣٩) مجنون (٤٠) مُليم (٤١) العقيم (٤٢) كـالرَّميم (٤٣) حين (٤٤) ينظـرون (٤٥) مُنتصـرين (٤٦) فـاسقين (٤٧) لمـوسعـون (٤٨) الماهدون (٤٩) تذكَّرون (٥٠) مُبين (٥١) مُبين(٥٢) مجنون (٥٣) طـاغـون (٥٤) بملـوم (٥٥) المـؤمنين (٥٦) ليعبـدون (٥٧) يُطعمــون (٥٨) المتين (٥٩) فـلا يستعجلــون (٦٠) يوعدون (سعادة الدارين / ٦٧) .

بسم الله الرحمن الرحيم والذاريات ذروا (١) فالحاملات وقرا (٢) فالجاريات يسرا (٣) فالمقسمات أمرا (٤) إنما توعدون لصادق (٥) وإن الدين لواقع (٦) والسماء ذات الحبك (٧) إنكم لفي قول مختلف (٨) يؤفك عنه من أفك (٩) قتل الخراصون (١٠) الذين هم في غمرة ساهون (١١) يسألون أيان يوم الدين (١٢) يوم هم على النار يفتنون (١٣) ذوقوا فتنتكم هذا الذي كنتم به تستعجلون (١٤) إن المتقين في جنات وعيون (١٥) آخذين ما آتاهم ربهم إنهم كانوا قبل ذلك محسنين (١٦) كانوا قليلا من الليل ما يهجعون (١٧) وبالأسحار هم يستغفرون (١٨) وفي أموالهم حق للسائل والمحروم (١٩) وفي الأرض آيات للموقنين (٢٠) وفي أنفسكم أفلا تبصرون (٢١) وفي السماء رزقكم وما توعدون (٢٢) فورب السماء والأرض إنه لحق مثل ما أنكم تنطقون (٢٣) هل أتاك حديث ضيف إبراهيم المكرمين (٢٤) إذ دخلوا عليه فقالوا سلاما قال سلام قوم منكرون (٢٥) فراغ إلى أهله فجاء بعجل سمين (٢٦) فقربه إليهم قال ألا تأكلون (٢٧) فأوجس منهم خيفة قالوا لا تخف وبشروه بغلام عليم (٢٨) فأقبلت امرأته في صرة فصكت وجهها وقالت عجوز عقيم (٢٩) قالوا كذلك قال ربك إنه هو الحكيم العليم (٣٠)

(صدق الله العظيم)

قال الإمـام السيوطي عمـا ورد عن النبي ﷺ من التفـاسير المصرح برفعها إليه غير ما ورد في أسباب النزول : أخرج البزار عن عمر بن الخطاب قال : ﴿**الذاريات ذروا**﴾ : هي الرياح ، ﴿**فالجاريات يُسرا**﴾ [٣] : هي السفن ، ﴿**فالمقسمات أمرا**﴾ [٤] : هي الملائكة . ولولا أني سمعت رسول الله ﷺ يقوله ما قلته (الإتقان ٢/ ٢٥٩) .

عن أنس رضى الله عنه في قوله تعالى : ﴿**كانوا قليلا من الليل مـا يهجعون**﴾ [١٧] قال : كـانوا يُصلُّـون بين المغرب والعشاء» . أخرجه أبو داود .

وزاد في روايــة : وكــــذلك ﴿**تتجافى جنــوبهم عن المضاجع**﴾ [السجدة : ١٦] (تيسير الوصول ١/ ١٧٤) .

ويجمل الإمام الفيروزابادى خصـائص سورة الذاريات في البصيرة الواحدة والخمسين من بصـائره فيقول : السورة مكية ، عدد آيـاتها ستون . وكلماتهـا ثلثمائة وستون . وحـروفها ألف ومائتـان وسبع وثمانون . مجمـوع فواصل آياتهـا (قفاك معن) سميت بالذاريات لمفتتحها .

معظم مقصود السورة : ذكر القسم بحَقِّيَّة البعث والقيامة ،

والإشارة إلى عذاب أهل الضلالة، وثواب أرباب الهداية، وحجة الوحدانية، وكرامة إبراهيم في باب الضيافة، وفي إسحاق له بالبشارة، ولقوم لوط بالهلاكة، ولفرعون وأهله من الملامة، ولعاد وثمود وقوم نوح من الدمار والخسارة، وخلق السماء والأرض للنفع والإفادة، وزوجية المخلوقات؛ لأجل الدلالة، وتكذيب المشركين لما فيه للرسول - ﷺ - من التسلية، وتخليق الخلق لأجل العبادة، وتعجيل المنكرين بالعذاب والعقوبة في قوله: ﴿فلا يستعجلون﴾ [٥٩].

الناسخ والمنسوخ:

فيها من المنسوخ آيتان ﴿فتول عنهم﴾ م [٥٤] ﴿وذكّر فإن الذكرى﴾ ن [٥٥] ﴿وفي أموٰلهم حق﴾ م [١٩] (آية الزكاة) ن (يأتي تفصيل ذلك فيما بعد إن شاء الله تعالى).

المتشابهات:

قوله تعالى: ﴿إن المتقين في جنٰت وعيون * ءاخذين﴾ [١٥، ١٦] وفي الطور ﴿في جنٰت ونعيم * فٰكهين﴾ [الطور: ١٧، ١٨] ليس بتكرار؛ لأن ما في هذه السورة متصل بذكر ما به يصل الإنسان إليها، وهو قوله تعالى ﴿إنهم كانوا قبل ذلك محسنين﴾ [١٦] وفي الطور متصل بما ينال الإنسان فيها إذا وصل إليها، وهو قوله: ﴿ووقٰهم ربهم عذاب الجحيم * كلوا واشربوا﴾ [الطور: ١٨، ١٩].

قوله تعالى: ﴿إني لكم منه نذير مبين﴾ [٥٠] وبعده: ﴿إني لكم منه نذير مبين﴾ [٥١] ليس بتكرار؛ لأن كل واحد منهما متعلق بغير ما يتعلق به الآخر. فالأول متعلق بترك الطاعة إلى المعصية، والثاني متعلق بالشرك بالله تعالى.

فضل السورة.

فيه من الأحاديث الضعيفة حديث أُبي: من قرأ ﴿والذاريات﴾ أُعطي من الأجر عشر حسنات، بعدد كل ريح هبت، وجرت في الدنيا، وحديث علي: يا علي من قرأ ﴿والذاريات﴾ رضى الله عنه ويشم ريح الجنة من مسيرة خمسمائة عام، وله بكل آية قرأها مثل ثواب فاطمة (بصائر ١ / ٤٣٩، ٤٤٠).

وعن حكمة وقوع سورة الذاريات، بعد سورة قٓ في ترتيب المصحف يقول الإمام السيوطي: لما ختمت [قٓ] بذكر البعث، واشتملت على ذكر الجزاء، والجنة والنار، وغير ذلك من أحوال القيامة، افتتح هذه السورة بالإقسام على أن ما توعدون من ذلك لصادق، وإن الدين - وهو الجزاء - لواقع.

ونظير ذلك: افتتاح المرسلات بذلك، بعد ذكر الوعد والوعيد والجزاء في سورة الإنسان (الوعد والوعيد في الإنسان ﴿إنا أعتدنا للكافرين سلاسل وأغلالا﴾ [٤] وما بعدها، وأقسم على صحة ذلك في أول المرسلات ﴿إن ما توعدون لواقع﴾ [٧])(تناسق الدرر / ١١٨).

وعن أسباب نزول بعض آيات من سورة الذاريات يقول الإمام السيوطي:

أخرج ابن جرير وابن أبي حاتم عن الحسن بن محمد ابن الحنفية أن رسول الله ﷺ بعث سرية فأصابوا وغنموا، فجاء قوم بعدما فرغوا، فنزلت ﴿وفي أموالهم حق للسائل والمحروم﴾ [١٩].

وأخرج أيضا ابن منيع وابن راهويه والهيثم بن كليب في مسانيدهم من طريق مجاهد عن علي قال: لما نزلت ﴿فتول عنهم فما أنت بملوم﴾ [٥٤] لم يبق منا أحد إلا أيقن بالهلكة، إذا أمر النبي ﷺ أن يتولى عنا، فنزلت ﴿وذكّر فإن الذكرى تنفع المؤمنين﴾ [٥٥] فطابت أنفسنا.

وأخرج ابن جرير عن قتادة قال: ذكر لنا أنه لما نزلت ﴿فتولّ عنهم﴾ الآية اشتد على أصحاب رسول الله ﷺ ورأوا أن الوحي قد انقطع وأن العذاب قد حضر، فأنزل الله ﴿وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين﴾ (أسباب النزول / ٢٥٧).

وفي السماء رزقكم وما توعدون

١٤٠٥

[الذاريات: ٢٢]

ويطرح الإمام الرازى أسئلة افتراضية مما قد يدور فى الأذهان بشأن سورة الذاريات، ويجيب عنها بطريقة «فإن قيل، قلنا»، وذلك على النحو التالى.

فإن قيل: كيف قال تعالى: ﴿إنما توعدون لصادق﴾ [٥] والصادق وصف القائل لا وصف الوعد؟

قلنا: قيل صادق بمعنى مصدوق كـ﴿عيشة راضية﴾ [الحاقة: ٢١] و ﴿ماء دافق﴾ وقيل معناه لصدق، فإن المصدر قد جاء على وزن اسم الفاعل كقولهم: قمت قائما: وقولهم: لحقت بهم اللائمة: أى اللوم.

فإن قيل: كيف قال تعالى: ﴿إن المتقين فى جنات وعيون﴾[١٥]والمتقون لا يكونون فى الجنة فى العيون؟

قلنا: معناه أنهم فى الجنات والعيون الكثيرة محدقة بهم من كل ناحية وهم فى مجموعها لا فى كل عين، ونظيره قوله تعالى: ﴿إن المتقين فى جنات ونَهَر﴾[القمر: ٥٤] لأنه بمعنى أنهار، إلا أنه عدل عنها رعاية للفواصل.

فإن قيل: كيف قال تعالى: ﴿وتركنا فيها آية للذين يخافون العذاب الأليم﴾ [٣٧] أى فى قرى قوم لوط، وقرى قوم لوط ليست موجودة، فكيف توجد فيها العلامة؟

قلنا: الضمير فى قوله فيها عائد إلى تلك الناحية والبقعة لا إلى مدائن قوم لوط. الثانى: أنه عائد إليها. ولكن «فى» بمعنى «من» كما فى قوله تعالى: ﴿ويوم نبعث فى كل أمة شهيدا﴾[النحل: ٨٩] وقوله تعالى:

﴿وارزقوهم فيها﴾ [النساء: ٥] ويؤيد هذا الوجه مجيئه مصرحا به فى سورة العنكبوت بلفظ «من» فى قوله تعالى: ﴿ولقد تركنا منها آية بينة لقوم يعقلون﴾ [العنكبوت: ٣٥] ثم قيل: الآية آثار منازلهم الخربة. وقيل: هى الحجارة التى أبقاها الله تعالى حتى أدركها أوائل هذه الأمة. وقيل: هى الماء الأسود الذى يخرج من الأرض.

فإن قيل: كيف قال الله تعالى: ﴿ومن كل شىء خلقنا زوجين﴾[٤٩] أى صنفين، مع أن العرش والكرسى والقلم واللوح لم يخلق منها إلا واحد؟

قلنا: قيل معناه ومن كل حيوان خلقنا ذكرا أو أنثى، وقيل معناه: ومن كل شىء تشاهدونه خلقنا صنفين كالليل والنهار، والصيف والشتاء، والنور والظلمة، والخير والشر، والحياة والموت، والبحر والبر والسماء والأرض، والشمس والقمر، ونحو ذلك.

فإن قيل: كيف قال تعالى هنا ﴿ففروا إلى الله﴾ [٥٠] وقال سبحانه فى موضع آخر: ﴿ويحذركم الله نفسه﴾ [آل عمران: ٢٨، ٣٠].

قلنا: معنى قوله: ﴿ففروا إلى الله﴾ أى الجئوا إليه بالتوبة. وقيل معناه: ففروا من عقوبته إلى رحمته، ومعنى قوله: ﴿ويحذركم الله نفسه﴾ أى يخوفكم عذاب نفسه أو عقاب نفسه. وقال الزجاج: معنى نفسه إياه كأنه قال: ويحذركم الله إياه، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿يريدون وجهه﴾ [الأنعام: ٥٢] و [الكهف: ٢٨] أى إياه، فظهر أنه لا تناقض بين الآيتين.

فإن قيل: كيف قال تعالى: ﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾ [٥٦] وإذا قلنا: خلقهم للعبادة كان مريدا لها منهم فكيف أرادها منهم ولم توجد منهم؟

قلنا: فيه وجوه: أحدها أنه عام أريد به الخاص وهم المؤمنون؛ بدليل خروج البعض منه بقوله تعالى: ﴿ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والإنس﴾ [الأعراف: ١٧٩] ومن خلق لجهنم لا يكون مخلوقا للعبادة.

الثانى: أنه على عمومه، والمراد بالعبادة التوحيد، وقد وحده الكل يوم أخذ الميثاق، وهذا الجواب يختص بالإنس،

إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ

[الذاريات: ٥٨]

لأن أخذ الميثاق مخصوص بهم بالآية، وقيل معناه: إلا ليكونوا عبيدا لي. وقيل معناه: إلا ليذلوا (عند أحمد والشافعي: ليذلوا لي ويخضعوا) ويخضعوا وينقادوا لما قضيته وقدرته عليهم فلا يخرج عنه أحد منهم. وقيل: معناه إلا ليعبدون إن اختاروا العبادة لا قسرا وإلجاء، وقيل: إلا ليعبدون العبادة المرادة في قوله تعالى: ﴿ولله يسجد من في السموات والأرض طوعا وكرها﴾ [الرعد: ١٥] والعموم ثابت في الوجوه الخمسة.

إن قيل: ما فائدة قوله تعالى: ﴿وما أريد أن يطعمون﴾ [٥٧] بعد قوله: ﴿ما أريد منهم من رزق﴾ [٥٧].

قلنا: معناه ما أريد منهم من رزق لأنفسهم، وما أريد أن يطعمون: أي أن يطعموا عبيدي، وإنما أضاف الإطعام إلى ذاته المقدسة لأن الخلق عياله وعبيده، ومن أطعم عيال غيره فكأنه أطعمه، ويؤيده ما جاء في الحديث الصحيح «إن الله عز وجل يقول يوم القيامة: يا ابن آدم استطعمتك فلم تطعمني» أي استطعمك عبدي فلم تطعمه (الأنموذج الجليل ٥ / ٤٥٢ ـ ٤٥٥. انظر ألفية مسائل الرازي وأجوبتها / ٣٢٤ ـ ٣٢٧).

ويسوق فضيلة الشيخ الشنقيطي الأدلة التي يدفع بها إيهام وجود تعارض بين بعض آيات كتاب الله الكريم، فيقول عن سورة الذاريات:

قوله تعالى: ﴿هل أتاك حديث ضيف إبراهيم المكرمين﴾ [٢٤] لا يخفى ما بين هذا النعت ومنعوته من التنافي في الظاهر، لأن النعت صيغة جمع والمنعوت لفظ مفرد.

والجواب: أن لفظة الضيف تطلق على الواحد والجمع، لأن أصلها مصدر ضاف، فنقلت من المصدرية إلى الإسمية، كما تقدم في سورة البقرة. (دفع إيهام الاضطراب / ٢٧٤).

وعن ما ادعى عليه النسخ من سورة الذاريات يقول الحافظ ابن الجوزي:

الآية الأولى:

قوله تعالى: ﴿وفي أموالهم حق للسائل والمحروم﴾ [١٩] الحق ها هنا: النصيب، وفيه قولان.

الأول: أنه ما يصلون به رحما، أو يُقْرون به ضيفا، أو يحملون به كَلاًّ، أو يغنون به محروما وليس بالزكاة. قاله ابن عباس رضي الله عنهما والثاني: أنه الزكاة، قاله قتادة وابن سيرين، وقد زعم قوم أن هذه الآية اقتضت وجوب إعطاء السائل والمحروم فذلك منسوخ بالزكاة، والظاهر أنها حَثٌّ على التطوع ولا يتوجه نسخ.

الآية الثانية...

قوله تعالى: ﴿فتول عنهم فما أنت بملوم﴾ [٥٤] زعم قوم أنها منسوخة، ثم اختلفوا في ناسخها: فقال بعضهم: آية السيف، وقال بعضهم إن ناسخها ﴿وذكِّر فإن الذكرى تنفع المؤمنين﴾ [٥٥] وهذا قد يخيل أن معنى قوله تعالى ﴿فتول عنهم﴾ أعرض عن كلامهم، فلا تكلمهم، وفي هذا بُعد. فلو قال: هذا إن كان المعنى أعْرِض عن قتالهم صلح نسخها بآية السيف، ويحتمل أن يكون معنى الآية أعْرِض عن مجادلتهم فقد أوضحت لهم الحجج، وهذا لا ينافي قتالهم (نواسخ القرآن / ٢٣٠، ٢٣١).

وقد قسم حجة الإسلام الغزالي لباب القرآن إلى نمط الجواهر، ونمط الدرر، فعرف جواهر القرآن بأنها الآيات التي وردت في ذات الله عز وجل وصفاته وأفعاله خاصة، كما عرف درر القرآن بأنها الآيات التي وردت في بيان الصراط المستقيم، والحث عليه. وقد ذكر من الجواهر الآيات التالية.

قوله تعالى ﴿وفي الأرض آيات للموقنين * وفي أنفسكم أفلا تبصرون * وفي السماء رزقكم وما توعدون * فورب السماء والأرض إنه لحق مثل ما أنكم تنطقون﴾ [٢٠ ـ ٢٣].

وقوله: ﴿والسماء بنيناها بأيد وإنا لموسعون * والأرض فرشناها فنعم الماهدون * ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون﴾ [٤٧ ـ ٤٩].

كما ذكر من الدرر الآيات الثلاث الآتية.

قوله تعالى: ﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون * ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون * إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين﴾ [٥٦ ـ ٥٩] (جواهر القرآن ودرره / ١١٣، ١٦٦).

ويشرح الإمام ابن قيم الجوزية الأقسام التي وردت في سورة الذاريات، ثم يتبع الشرح بتفسير بعض آيات السورة تفسيرا يأخذ بالألباب، وننقل بعضه فيما يلي، مع ملاحظة أننا احتفظنا بأرقام فصول البحث حتى يمكن الاستدلال بها أو الإحالة عليها. قال المؤلف رحمه الله:

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿والذاريات ذروا * فالحاملات

وقرا * فالجاريات يسرا * فالمقسمات أمرا ﴾ [الذاريات : ١-٤] أقسم بالذاريات وهي الرياح تذرو المطر، وتذرو التراب، وتذرو النبات إذا تهشم، كما قال تعالى ﴿فأصبح هشيما تذروه الرياح﴾ [الكهف : ٤٥] أي تفرقه وتنشره . ثم بما فوقها وهي السحاب الحاملات وقرا . أي ثقلا من الماء، وهي روايا الأرض، يسوقها الله سبحانه على متون السحاب والرياح . كما في جامع الترمذي من حديث الحسن عن أبي هريرة قال : بينما نبي الله ﷺ جالس في أصحابه إذ أتى عليهم سحاب، فقال نبي الله ﷺ «هل تدرون ما هذا؟» قالوا: الله ورسوله أعلم . قال «هذا العنان، هذه روايا الأرض، يسوقها الله تبارك وتعالى إلى قوم لا يشكرونه، ولا يدعونه»ثم أقسم سبحانه بما فوق ذلك، وهي ﴿الجاريات يسرا﴾ [٣] وهي النجوم التي من فوق الغمام، و (يسرا) أي : مسخرة مذللة منقادة . وقال جماعة من المفسرين : إنها السفن تجري ميسرة في الماء جريا سهلا . ومنهم من لم يذكر غيره . واختار شيخنا رحمه الله القول الأول . وقال هو أحسن في الترتيب، والانتقال من السالف إلى العالي ؛ فإنه بدأ بالرياح، وفوقها السحاب، وفوقه النجوم، وفوقها الملائكة المقسِّمات أمر الله الذي أمرت به بين خلقه . والصحيح أن ﴿المقسمات أمرا﴾ [٤] لا تختص بأربعة، وقبل : هم جبريل يقسم الوحي والعذاب وأنواع العقوبة على من خالف الرسل، وميكائيل على القطر والبرد والثلج والنبات، يقسمها بأمر الله، وملك الموت يقسم المنايا بين الخلق بأمر الله، وإسرافيل يقسم الأرواح على أبدانها عند النفخ في الصور، وهم المدبرات أمرا . وليس في اللفظ ما يدل على الاختصاص بهم . والله أعلم .

وأقسم سبحانه بهذه الأمور الأربعة لمكان العبرة والآية، والدلالة الباهرة على ربوبيته ووحدانيته، وعظم قدرته . ففي الرياح من العبر هبوبها وسكونها، ولينها وشدتها، واختلاف طبائعها وصفاتها ومهابها وتصريفها، وتنوع منافعها، وشدة الحاجة إليها . فللمطر خمسة رياح : ريح ينشر سحابه، وريح يؤلف بينه، وريح تلقحه، وريح تسوقه حيث يريد الله، وريح تذرو أمامه وتفرقه وللنبات ريح، وللسفن ريح، وللرحمة ريح، وللعذاب ريح، إلى غير ذلك من أنواع الرياح . وذلك تقضي بوجود خالق مصرف لها مدبر لها، يصرفها كيف يشاء، ويجعلها رخاء تارة، وعاصفة تارة، ورحمة تارة، وعذابا تارة ؛ فتارة يحيي بها الزرع والثمار، وتارة يغطيها بها، وتارة ينجِّي بها السفن، وتارة يهلكها بها، وتارة ترطب الأبدان، وتارة تذيبها، وتارة عقيما، وتارة لاقحة، وتارة جنوبا، وتارة دبورا، وتارة صبا، وتارة شمالا، وتارة حارة، وتارة باردة، وهي مع غاية قوتها ألطف شيء وأقبل المخلوقات لكل كيفية سريعة التأثر والتأثير، لطيفة المسارق بين السماء والأرض . إذا قطع عن الحيوان الذي على وجه الأرض هلك، كبحر الماء الذي إذا فارقه حيوان الماء هلك، يحبسها الله سبحانه إذا شاء، ويرسلها إذا شاء، تحمل الأصوات إلى الآذان، والرائحة إلى الأنف، والسحاب إلى الأرض الجرز، وهي من روح الله تأتي بالرحمة، ومن عقوبته تأتي بالعذاب، وهي أقوى خلق الله كما رواه الترمذي في جامعه من حديث أنس بن مالك عن النبي ﷺ قال «لما خلق الله الأرض جعلت تميد . فخلق الجبال، فقال بها عليها، فاستقرت، عجبت الملائكة من شدة الجبال وقالوا يارب، هل من خلقك شيء أشد من الجبال؟ قال نعم، الحديد . قالوا : يارب، فهل من خلقك شيء أشد من الحديد؟ قال نعم، النار . قالوا : يارب فهل من خلقك شيء أشد من النار؟ قال نعم، الماء . قالوا : يارب، هل من خلقك أشد من الماء؟ قال نعم، الريح . قالوا : يارب فهل من خلقك أشد من الريح؟ قال نعم، ابن آدم، تصدق بصدقة بيمينه يخفيها عن شماله» ورواه الإمام أحمد في مسنده وفي الترمذي في حديث قصة عاد أنه لم يرسل عليهم من الريح إلا قدر حلقة الخاتم، لم تذر من شيء أتت عليه إلا جعلته كالرميم وقد وصفها الله بأنها عاتية . قال البخاري في صحيحه : عتت على الخزنة، فلم يستطيعوا أن يردوها .

والمقصود أن الريح من أعظم آيات الرب الدالة على عظمته وربوبيته وقدرته .

ثم أقسم بالسحاب، وهو من أعظم آيات الله في الجو . في غاية الخفة، ثم يحمل الماء والبرد، فيصير أثقل شيء، فيأمر الرياح، فتحمله على متونها، وتسير به حيث أمرت، فهو مسخر بين السماء والأرض، حامل لأرزاق العباد والحيوان، فإذا أفرغه حيث أمر به اضمحل وتلاشى بقدرة الله، فإنه لو بقي لأضر النبات والحيوان فأنشأه سبحانه في زمن يصلح إنشاؤه فيه، وحمله من الماء ما يحمله، وساقه إلى بلد شديد الحاجة إليه .

فسل السحاب من أنشأه بعد عدمه؟ وحمله الماء والثلج والبرد؟ ومن حمله على ظهور الرياح؟ ومن أمسكه بين السماء والأرض بغير عماد؟ ومن أغاث بقطره العباد، وأحيا به البلاد، وصرفه بين خلقه كما أراد، وأخرج ذلك القطر بقدر معلوم، وأنزله منه، وأفناه بعد الاستغناء عنه، ولو شاء لأدامه عليهم فلم يستطيعوا إلى دفعه سبيلا، ولو شاء لأمسكه عنهم لا يجدون إليه وصولا وسل الرياح، من أنشاها بقدرته؟ وصرفها بحكمته، وسخرها بمشيئته، وأرسلها بشرا بين يدى رحمته، جعلها سببا لتمام نعمته، وسلطانا على من شاء بعقوبته؟ ومن جعلها رخاء، وذارية. ولاقحة، ومثيرة، ومؤلفة، ومغذية لأبدان الحيوان، والشجر، والنبات، وجعلها قاصفا، وعاصفا، ومهلكة وعاتية؟ إلى غير ذلك من صفاتها. فهل ذلك لها من نفسها وذاتها أم بتدبير مدبر شهدت الموجودات بربوبيته، وأقرت المصنوعات بوحدانيته، بيده النفع والضر، وله الخلق والأمر، تبارك الله رب العالمين؟

وفسل الجاريات يسرا من السفن: من أمسكها على وجه الماء، وسخر لها البحر؟ ومن أرسل لها الرياح التى تسوقها على الماء سوق السحاب على متون الرياح؟ ومن حفظها فى مجراها ومرساها من طغيان الماء وطغيان الريح؟ فمن الذى جعل الريح لها بقدر لو زاد عليها لأغرقها ولو نقص عنه لعاقها؟ ومن الذى أجرى لها ريحا واحدة تسير بها، ولم يسلط على تلك الريح ما يصادمها ويقاومها، فتتموج فى البحر يمينا وشمالا، تتلاعب بها الريح؟ ومن الذى علم الخلق الضعيف صنعة هذا البيت العظيم، الذى يمشى على الماء، فيقطع المسافة البعيدة، ويعود إلى بلده يشق الماء ويمخره، مقبلا ومدبرا بريح واحدة، تجرى فى موج كالجبال **﴿ومن آياته الجوار فى البحر كالأعلام * إن يشأ يسكن الريح فيظللن رواكد على ظهره إن فى ذلك لآيات لكل صبار شكور* أو يوبقهن بما كسبوا ويعفوا عن كثير﴾** [الشورى: ٣٢ـ٣٤] ومن الذى حمل فى هذا البيت نبيه وأولياءه خاصة، وأغرق جميع أهل الأرض سواهم؟.

وسل الجاريات يسرا من الكواكب، والشمس، والقمر: من الذى خلقها، وأحسن خلقها، ورفع مكانها، وزين بها قبة العالم، وفاوت بين أشكالها، ومقاديرها، وألوانها، وحركاتها، وأماكنها من السماء، فمنها الكبير، ومنها الصغير، والمتوسط، والأبيض، والأحمر، والزجاجى اللون، والدرى اللون، والمتوسط فى قبة الفلك، والمتطرف فى جوانبها، وبين ذلك؟ ومنها ما يقطع الفلك فى شهر، ومنها ما يقطعه فى عام، ومنها ما يقطعه فى ثلاثين عاما، ومنها ما يقطعه فى أضعاف ذلك. ومنها ما لا يزال ظاهرا لا يغيب بحال، فهو أبدى، ومنها أبدى الخفاء، ومنها ما له حالتان ظهور واختفاء، ومنها ماله حركتان حركة عرضية من المشرق إلى المغرب، وحركة ذاتية من المغرب إلى المشرق. فحالما يأخذ الكوكب فى الغروب فإذا كوكب آخر فى مقابلته، وكوكب آخر قد طلع، وهو آخذ فى الارتفاع والتصاعد، وكوكب آخر فى الربع الشرقى وكوكب آخر فى وسط السماء، وكوكب آخر قد مال عن الوسط، وآخر قد دنا من الغروب، وكأنه رقيبه ينتظر بطلوعه غيبته.

وأنت إذا تأملت أحوال هذه الكواكب وجدتها تدل على المعاد كما تدل على المبدأ وتدل على وجود الخالق، وصفات كماله، وربوبيته وحكمته، ووحدانيته أعظم دلالة. وكل ما دل على صفات جلاله ونعوت كماله دل على صدق رسله، كما جعل الله النجوم هداية فى طريق البر والبحر، فهى هداية فى طرق العلم بالخالق سبحانه، وقدرته وعلمه، وحكمته، والمبدأ والمعاد، والنبوة، ودلالتها على هذه المطالب لا تقصر عن دلالتها على طرق البر والبحر، بل دلالتها للعقول على ذلك أظهر من دلالتها على الطرق الحسية، فهى هداية فى هذا وهذا.

(٧٨) فصل.

وأما دلالة المقسِّمات أمرا وهم الملائكة، فلأن ما يشاهد من تدبير العالم العلوى والسفلى وما لا يشاهد إنما هو على أيدى الملائكة، فالرب تعالى يدبر بهم أمر العالم، وقد وكل بكل عمل من الأعمال طائفة منهم، فوكل بالشمس والقمر والنجوم، والأفلاك طائفة منهم، ووكل بالقطر والسحاب طائفة، ووكل بالنبات طائفة ووكل بالأجنة والحيوان طائفة، ووكل بالموت طائفة، وبحفظ بنى آدم طائفة، وبإحصاء أعمالهم وكتابتها طائفة، وبالوحى طائفة، وبالجبال طائفة، وبكل شأن من شئون العالم طائفة، هذا مع ما فى خلق

الملائكة من البهاء والحسن وما فيهم من القوة والشدة، ولطافة الجسم، وحسن الخلقة، وكمال الانقياد لأمره، والقيام فى خدمته، وتنفيذ أوامره فى أقطار العالم.

ثم أقسم سبحانه بهذه الأمور على صدق وعده، ووقوع جزائه بالثواب والعقاب فقال: ﴿إنما توعدون لصادق﴾ [٥] أى ما توعدون من أمر الساعة والثواب والعقاب لحق كائن، وهو وعد صدق لا كذب ﴿وإن الدين لواقع﴾[٦] أى إن الجزاء لكائن لا محالة. ويجوز أن تكون (ما) موصولة، والعائد محذوف. والمعنى أن الذى توعدونه لصادق، أى كائن وثابت. وأن تكون مصدرية، أى إن وعدكم لحق وصدق.

ووصف الوعد بكونه صادقا أبلغ من وصفه بكونه صدقا. ولا حاجة إلى تكلف جعله بمعنى مصدق فيه. بل هو صادق نفسه، كما يوصف المتكلم بأنه صادق فى كلامه. فوصف كلامه بأنه صادق. وهذا مثل قولهم: سر كاتم، وليل قائم، ونهار صائم، وماء دافق ومنه ﴿عيشة راضية﴾ [الحاقة: ٢١] وليس ذلك بمجاز، ولا مخالف لمقتضى التركيب.

وإذا تأملت هذا التناسب والارتباط بين المقسم به والمقسم عليه وجدته دالا عليه، مرشدا إليه.

ثم أقسم سبحانه ﴿بالسماء ذات الحُبُك﴾ [٧] أصل الحبك فى اللغة إجادة النسج، يقال: حبك الثوب إذا أجاد نسجه، وحبل محبوك إذا كان شديد الفتل، وفرس محبوك الكفل، أى: مدمجه، وقال شمر: المحبوك فى اللغة ما أجيد عمله. ودابة محبوكة: إذا كانت مدمجة الخلق. وقال أبو عبيدة، والمبرد: الحبك: الطريق، واحدها حباك، وحباك الحمام: طرائق على جناحيه وحباك الماء طريقه. وقال الفراء: الحبك تكسير كل شىء، كالرمل إذا مرت به الريح والماء الدائم إذا مرت به الريح. وتجعد الشعر حبك أيضا، واحدها حبيكة، مثل طرق وطريقة، وحباك مثل مثال ومثل. والمقصود بهذا كله ما أفصح به ابن عباس، فقال: يريد الخلق الحسن.

وروى سعيد بن جبير عنه قال: الحبك حسنها واستواؤها. وقال قتادة: ذات الخلق الشديد. وقال مجاهد: متقنة البنيان. وقال أيضا: ذات الطرائق ولكنها بعيدة من العباد فلا يرونها، كحبك الماء إذا ضربته الريح، وكحبك الرمل، وكحبك الشعر. وقال عكرمة: بنيانها كالبرد المسلسل.

قلت وفى الحديث فى صفة الدجال «ورأسه حبك» أى جعد الشعر، ومن أحسن ماقيل فى تفسير الحبك ما ذكره الترمذى فى تفسير الجامع من حديث الحسن، عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «هل تدرون ما فوقكم؟» قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: «فإنها الرقيع سقف محفوظ، وموج مكفوف» وذكر الحديث (روى الترمذى فى تفسير سورة الحديد عن الحسن عن أبى هريرة قال: بينما رسول الله ﷺ جالس وأصحابه إذ أتى عليهم سحاب. فقال نبى الله ﷺ «هل تدرون هذا؟» قالوا الله ورسوله أعلم. قال «هذا العنان. هذه روايا الأرض، يسوقه الله إلى قوم لا يشكرونه ولا يدعونه» ثم قال «هل تدرون مافوقكم؟» قالوا: الله ورسوله أعلم قال «فإنها الرقيع، سقف محفوظ، وموج مكفوف» ثم قال «هل تدرون كم بينكم وبينها؟» قالوا: الله ورسوله أعلم. قال «بينكم وبينها خمسمائة سنة» ثم قال « هل تدرون ما فوق ذلك» و قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: « فإن فوق ذلك سماءين ما بينهما مسيرة خمسمائة عام » حتى عد سبع سموات ما بين كل سماءين ما بين السماء والأرض ثم قال «هل تدرون ما فوق ذلك» و قالوا: الله ورسوله أعلم. قال «فإن فوق ذلك العرش بينه وبين السماء بعد ما بين السماءين» ثم قال « هل تدرون ما الذى تحتكم؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. قال «فإنها الأرض» ثم قال «هل تدرون ما الذى تحت ذلك؟» قالوا: الله ورسوله أعلم قال «فإن تحتها أرضا أخرى، بينهما مسيرة خمسمائة سنة» حتى عد سبع أرضين بين كل أرضين مسيرة خمسمائة سنة. ثم قال «والذى نفس محمد بيده لو أنكم دليتم بحبل إلى الأرض السفلى لهبط على الله، ثم قرأ ﴿هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شىء عليم﴾ [الحديد: ٣] قال الترمذى: هذا حديث غريب من هذا الوجه. ويروى عن أيوب ويونس بن عبيد وعلى بن زيد قالوا: لم يسمع الحسن من أبى هريرة: وفسر بعض أهل العلم هذا الحديث، فقالوا: إنما هبط على علم الله وسلطانه، وعلم الله وقدرته وسلطانه فى كل مكان، وهو على العرش كما وصف فى كتابه ا هـ).

(٧٩) فصل.

ثم ذكر المقسم عليه فقال: ﴿إنكم لفى قول مختلف * يؤفك عنه من أفك﴾ [٨، ٩] فالقول المختلف أقوالهم فى القرآن وفى النبى ﷺ، وهو خرص كله، فإنهم لما كذّبوا بالحق اختلفت مذاهبهم، وآراؤهم، وطرائقهم، وأقوالهم. فإن الحق شيء واحد وطريق مستقيم. فمن خالفه اختلفت به الطرق والمذاهب، كما قال تعالى ﴿بل كذبوا بالحق لما جاءهم فهم فى أمر مريج﴾ [ق: ٥] أى: مختلط ملتبس. وفى ضمن هذا الجواب: أنكم فى أقوال باطلة متناقضة، يكذب بعضها بعضا، بسبب تكذيبهم بالحق.

ثم أخبر سبحانه أنه يصرف بسبب ذلك القول المختلف من صرف. فعن ههنا فيها طرف من معنى التسبيب، كقوله ﴿وما نحن بتاركي آلهتنا عن قولك﴾ [هود: ٥٣].

وقوله ﴿من أُفِك﴾ أى من سبق فى علم الله أنه يضل، ويؤفك، كقوله ﴿فإنكم وما تعبدون * ما أنتم عليه بفاتنين *إلا من هو صال الجحيم﴾ [الصافات: ١٦١ ـ ١٦٣].

وقالت طائفة: الضمير يرجع إلى القرآن، وقيل إلى الإيمان، وقيل إلى الرسول، والمعنى يصرف عنه من صرف حتى يكذب به.

ولما كان هذا القول المختل خرصا وباطلا قال ﴿قُتل الخراصون﴾ [١٠] أى المكذبون ﴿الذين هم فى غمرة ساهون﴾ [١١] وجهالة قد غمرت قلوبهم أى غطتها وغشتها، كغمرة الماء وغمرة الموت، فالغمرات ما غطاها من جهل، أو هوى، أو سكر، أو غفلة، أو حب، أو بغض أو خوف، أو غم، ونحو ذلك. قال تعالى ﴿بل قلوبهم فى غمرة من هذا﴾ [المؤمنون: ٦٣] أى غفلة، وقيل جهالة.

ثم وصفهم بأنهم ساهون فى غمرتهم، والسهو الغفلة عن الشيء وذهاب القلب عنه، والفرق بينه وبين النسيان أن النسيان الغفلة بعد الذكر والمعرفة، والسهو لا يستلزم ذلك.

ثم قال ﴿يسألون أيان يوم الدين﴾ [١٢] استبعادا للوقوع وجحدا. فأخبر تعالى أن ذلك ﴿يوم هم على النار يفتنون﴾ [١٣] والمشهور فى تفسير هذا الحرف أنه بمعنى يحرقون ولكن لفظة «على» تعطى معنى زائدا على ما ذكروه، ولو كان المراد نفس الحرق لقيل يوم هم فى النار يفتنون. ولهذا لما علم هؤلاء ذلك قال كثير منهم: على بمعنى فى، كما تكون فى بمعنى على. والظاهر أن فتنتهم على النار، قيل فتنتهم فيها لهم عند عرضهم عليها، ووقوفهم عليها فتنة، وعند دخولهم، والتعذيب بها فتنه أشد منها، ومن جعل الفتنة ههنا من الحريق أخذه من قوله تعالى ﴿إن الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات ثم لم يتوبوا﴾ واستشهد على ذلك أيضا بهذه اللفظة التى فى الذاريات. وحقيقة الأمر أن الفتنة تطلق على العذاب وسببه، ولهذا سمى الله الكفر فتنة، فهم لما أتوا بالفتنة التى هى أسباب العذاب فى الدنيا سمى جزاءهم فتنة، ولهذا قال ﴿ذوقوا فتنتكم﴾ [١٤] وكان وقوفهم على النار وعرضهم عليها من أعظم فتنتهم، وآخر هذه الفتنة دخول النار والتعذيب بها ففتنوا أولا بأسباب الدنيا وزينتها. ثم فتنوا بإرسال الرسل إليهم، ثم فتنوا بمخالفتهم وتكذيبهم، ثم فتنوا بعذاب الدنيا، ثم فتنوا بعذاب الموت، ثم يفتنون فى موقف القيامة، ثم إذا حشروا إلى النار ووقفوا عليها وعرضوا عليها، وذلك من أعظم فتنتهم، ثم الفتنة الكبرى التى أنستهم جميع الفتن قبلها.

(٨٠) فصل

ثم ذكر سبحانه جزاء من خلص من هذه الفتن بالتقوى، وهو الجنات والعيون، وأنهم ﴿آخذون ما آتاهم ربهم﴾ من الخير والكرامة.

وفى ذلك دليل على أمور: منها قبولهم له. ومنها رضاهم به. ومنها وصولهم إليه بلا مانع ولا عائق. ومنها أن جزاءهم من جنس أعمالهم. فكما أخذوا ما أمرهم به فى الدنيا وقابلوه بالرضا والتسليم وانشراح الصدر، أخذوا ما آتاهم من الجزاء كذلك. ثم ذكر السبب الذى أوصلهم إلى ذلك، وهو إحسانهم المتضمن لعبادته وحده لا شريك له، والقيام بحقوقه، وحقوق عباده. ثم ذكر ليلهُم وأنهم قليل هجوعهم منه.

وقد قيل إن (ما) نافية، والمعنى ما يهجعون قليلا من الليل، فكيف بالكثير؟ وهذا ضعيف لوجوه أحدها: أن هذا ليس بلازم لوصف المتقين الذين يستحقون هذا الجزاء. الثانى: أن قيام من نام من الليل نصفه أحب إلى الله من قيام من قامه كله. الثالث: أنه لو كان المراد بذلك إحياء الليل

جميعه لكان أولى الناس بهذا رسول الله ﷺ، وما قام ليلة حتى الصباح . الرابع : أن الله سبحانه إنما أمر رسوله أن يتهجد بالقرآن من الليل لا في الليل كله ، فقال ﴿ومن الليل فتهجد به﴾ [الإسراء : ٧٩] الخامس : أنه سبحانه لما أمره بقيام الليل في سورة المزمل إنما أمره بقيام النصف ، أو النقصان منه ، أو الزياده عليه ، فذكر له هذه المراتب الثلاثة ، ولم يذكر قيامه كله . السادس : أنه ﷺ لما بلغه عن عثمان بن مظعون أنه لا ينام من الليل بعث إليه فجاء فقال «ياعثمان أرغبت عن سنتي؟» قال لا والله يارسول الله ، ولكن سنتك أطلب ، قال «فإني أنام وأصلي ، وأصوم وأفطر ، وأنكح النساء ، فاتق الله يا عثمان ، فإن لأهلك عليك حقا ، وإن لضيفك عليك حقا ، وإن لنفسك عليك حقا ، صم وأفطر ، وصل ونم» رواه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي من حديث عائشة) ولما بلغه عن زينب بنت جحش أنها تصلي الليل كله حتى جعلت حبلا بين ساريتين إذا فترت تعلقت به أنكر ذلك وأمر بحله (رواه البخاري ومسلم عن أنس بن مالك) السابع : أن الله أثنى عليهم بأنهم كانت ﴿تتجافى جنوبهم عن المضاجع﴾ [السجدة : ١٦] . وتقلق عنها حتى يقوموا إلى الصلاة ، ولهذا جازاهم عن هذا التجافي ــ الذي سببه قلق القلب واضطرابه حتى يقوم إلى الصلاة ــ بقرة الأعين الثامن : أن الصحابة الذين هم أول وأولى من دخل في هذه الآية ــ لم يفهموا منها عدم نومهم بالليل أصلا . روى بجير بن سعد عن سعيد عن قتادة عن أنس في قوله ﴿كانوا قليلا من الليل ما يهجعون﴾ [١٧] قال : كانوا يصلون ما بين المغرب والعشاء . التاسع : أن في هذا التقرير تفكيكا للكلام وتقديما لمعمول العامل المنفي عليه ، لأنك تجعل قليلا مفعول يهجعون ، وهو منفي ، والبصريون لا يجيزون ذلك وإن أجازه الكوفيون . وفصل بعضهم ، فأجازه في الظرف ، ولم يجزه في غيره .

(٨١) فصل .

وقيل : ما زائدة ، وخبر كان ﴿يهجعون﴾ و ﴿قليلا﴾ منصوب إما على المصدرية ، أي هجوعا قليلا . وإما على الظرف ، أي زمنا قليلا .

واستشكل هذا بأن نوم نصف الليل وقيام ثلثه ، ثم نوم سدسه أحب القيام إلى الله . فيكون وقت الهجوع أكثر من وقت القيام . فكيف يثنى عليهم بما الأفضل خلافه؟

وأجيب عن ذلك بأن من قام هذا القيام فزمن هجوعه أقل من زمن يقظته قطعا . فإنه مستيقظ من المغرب إلى العشاء ، ومن الفجر إلى طلوع الشمس . فيبقى ما بين العشاء إلى طلوع الفجر فيقومون نصف ذلك الوقت فيكون زمن الهجوع أقل من زمن الاستيقاظ .

ثم أخبر عنهم بأنهم مع صلاتهم بالليل كانوا يستغفرون الله عند السَّحَر . فختموا صلاتهم بالاستغفار والتوبة فباتوا لربهم سُجَّدا وقياما ، ثم تابوا إليه واستغفروه عقيب ذلك وكان النبي ﷺ إذا سلم من صلاته استغفر ثلاثة وأمره الله سبحانه أن يختم عمره بالاستغفار . وأمر عباده أن يختموا إفاضتهم من عرفات بالاستغفار وشرع ﷺ للمتوضئ . أن يختم وضوءه بالتوبة . فأحسن ما ختمت به الأعمال التوبة والاستغفار .

ثم أخبر سبحانه عن إحسانهم إلى الخلق مع إخلاصهم لربهم . فجمع لهم بين الإخلاص والإحسان ، ضد ﴿الذين هم يراءون * ويمنعون الماعون﴾ [الماعون : ٥ ، ٦] وأكد إخلاصهم في هذا الإحسان بأن مصرفه للسائل والمحروم ، الذي لا يقصد بإعطائه الجزاء منه ولا الشكور . والمحروم المتعفف الذي لا يسأل .

وتأمل حكمة الرب تعالى في كونه حرمه بقضائه ، وشرع لأصحاب الجدة إعطاءه ، وهو أغنى الأغنياء ، وأجود الأجودين ، لم يجمع عليه بين الحرمان بالقدر والشرع ، شرع عطاءه بأمره وحرمه بقدره ، فلم يجمع عليه حرمانين .

(٨٢) فصل .

ثم ذكرهم سبحانه بآياته الأفقية والنفسية ، فقال ﴿وفي الأرض آيات للموقنين * وفي أنفسكم أفلا تبصرون﴾ [٢٠ ، ٢١] فآيات الأرض أنواع كثيرة ، منها خلقها وحدوثها بعدم عدمها وشواهد الحدوث والافتقار إلى الصانع عليها لا تجحد . فإنها شواهد قائمة بها . ومنها بروز هذا الجانب فيها عن الماء ، وكون مقتضى الطبيعة أن يكون مغمورا به . ومنها سعتها وكبر خلقها . ومنها تسطيحها ، كما قال تعالى ﴿وإلى الأرض كيف سطحت﴾ [الغاشية : ٢٠] ولا ينافي ذلك كونها كرية . فهي كرة في الحقيقة ، لها سطح يستقر عليه الحيوان .

ومنها أنه جعلها فراشا لتكون مقر الحيوان ومساكنه. وجعلها قرارا. وجعلها مهادا. ذلولا توطأ بالأقدام، وتضرب بالمعاول، والفئوس، وتحمل على ظهرها الأبنية الثقال. فهى ذلول مسخرة لما يريد العبد منها، وجعلها بساطا. وجعلها كفاتا للأحياء تضمهم على ظهرها، وللأموات تضمهم فى بطنها. وطحاها فمدها وبسطها، ووسعها ودحاها فهيأها لما يراد منها بأن أخرج منها ماءها ومرعاها، وشق فيها الأنهار، وجعل فيها السبل والفجاج. ونبه بجعلها مهادا وفراشا على حكمته فى جعلها ساكنة. وذلك آية أخرى إذ لا دعامة تحتها تمسكها، ولا علاقة فوقها، ولكنها لما كانت على وجه الماء كانت تكفأ فيه تكفأ السفينة. فاقتضت العناية الأزلية، والحكمة الإلهية أن وضع عليها رواسى يثبتها بها، لئلا تميد، وليستقر عليها الأنام، وجعلها ذلولا على الحكمة فى أن لم تكن فى غاية الصلابة والشدة كالحديد، فيمتنع حفرها وشقها، والبناء فيها، والغرس، والزرع، وبعث القوم عليها، والمشى فيها، ونبه بكونها قرارا على الحكمة فى أنها لم تخلق فى غاية اللين والرخاوة والدماثة. فلا تمسك بناء، ولا يستقر عليها الحيوان ولا الأجسام الثقيلة. بل جعلها بين الصلابة والدماثة. وأشرف الجواهر عند الإنسان الذهب، والفضة، والياقوت، والزمرد. فلو كانت الأرض من هذه الجواهر لفاتت مصالح العباد والحيوان منها، وتعطلت المنافع المقصودة منها، وبهذا يعلم أن جواهر التراب أشرف من هذه الجواهر وأنفع وأبرك، وإن كانت تلك أعلى وأعز، فغلاؤها وعزتها لقلتها. وإلا فالتراب أنفع منها، وأبرك، وأنفس؛ وكذلك لم يجعلها شفافة، فإن الجسم الشفاف لا يستقر عليه النور. وما كان كذلك لم يقبل السخونة، فيبقى فى غاية البرد، فلا يستقر عليه الحيوان، ولا يتأتى فيه النبات. وكذلك لم يجعلها صقيلة براقة، لئلا يحترق ما عليها بسبب انعكاس أشعة الشمس، كما يشاهد من احتراق القطن ونحوه عند انعكاس شعاع الجسم الصقيل الشفاف. فاقتضت حكمته سبحانه أن جعلها كثيفة غبراء، فصلحت أن تكون مستقرا للحيوان، والأنام والنبات. ولما كان الحيوان الهوائى لا يمكنه أن يعيش فى الماء كالحيوان المائى أبرز له جانبها كما تقدم وجعله على أوفق الهيئات لمصالحه وأنشأ منها طعامه وقوته. وكذلك خلق منها النوع الإنسانى. وأعاده إليها ويخرجه منها.

(٨٣) فصل.

ومن آياتها أن جعلها مختلفة الأجناس، والصفات، والمنافع مع أنها قطع متجاورات، متلاصقة. فهذه سهلة، وهذه حزنة، تجاورها وتلاصقها، وهذه طيبة تنبت، وتلاصقها أرض لا تنبت. وهذه تربة، وتلاصقها رمال. وهذه صلبة، ويلاصقها ويليها رخوة. وهذه سوداء، ويليها أرض بيضاء. وهذه حصى كلها، ويجاورها لا يوجد فيها حجر. وهذه تصلح لنبات كذا وكذا وهذه لا تصلح له بل تصلح لغيره. وهذه سبخة مالحة. وهذه بضدها. وهذه ليس فيها جبل، ولا معلم. وهذه مسجرة بالجبال. وهذه لا تصلح إلا على المطر. وهذه لا ينفعها المطر، بل لا تصلح إلا على سقى الأنهار، فيمطر الله سبحانه الماء على الأرض البعيدة، ويسوق الماء إليها على وجه الأرض.

فلو سألتها من نَوَّعها هذا التنوع؟ ومن فرق أجزاءها هذا التفريق؟ ومن خصص كل قطعة منها بما خصها به؟ ومن ألقى عليها رواسيها، وفتح فيها السبل، وأخرج منها الماء والمرعى؟ ومن أمسكها عن الزوال؟ ومن بارك فيها، وقدر فيها أقواتها، وأنشأ منها حيوانها ونباتها؟ ومن وضع فيها معادنها وجواهرها ومنافعها؟ ومن هيأها مسكنا ومستقرا للأنام؟ ومن يبدأ الخلق منها، ثم يعيده إليها، ثم يخرجه منها؟ ومن جعلها ذلولا غير مستصعبة ولا ممتنعة؟ ومن وطأ مناكبها، وذلل مسالكها، ووسع مخارجها، وشق أنهارها، وأنبت أشجارها، وأخرج ثمارها؟ ومن صدعها عن النبات، وأودع فيها جميع الأقوات؟ ومن بسطها، وفرشها ومهدها وذللها، وطحاها، ودحاها، وجعل ما عليها زينة لها؟ ومن الذى يمسكها أن تتحرك فتتزلزل فيسقط ما عليها من بناء ومعلم، أو يخسفها بمن عليها فإذا هى تمور؟ ومن الذى أنشأ منها النوع الإنسانى الذى هو أبدع المخلوقات، وأحسن المصنوعات، بل أنشأ منها آدم، ونوحا، وإبراهيم، وموسى، وعيسى، ومحمدا ﷺ وعليهم أجمعين، وأنشأ منها أولياءه، وأحباءه وعباده الصالحين؟ ومن جعلها حافظة لما استودع فيها من المياه والأرزاق، والمعادن، والحيوان؟ ومن جعل بينها وبين

الشمس والقمر هذا القدر من المسافة، فلو زادت على ذلك لضعف تأثرها بحرارة الشمس ونور القمر؛ فتعطلت المنفعة الواصلة إلى الحيوان والنبات بسبب ذلك. ولو زادت في القرب لاشتدت الحرارة والسخونة ـ كما نشاهده في الصيف ـ احترقت أبدان الحيوان والنبات. وبالجملة كانت تفوت هذه الحكمة التي بها انتظام العالم؟ من الذي جعل فيها الجنات والحدائق، والعيون؟ ومن الذي جعل باطنها بيوتا للأموات وظاهرها بيوتا للأحياء؟ ومن الذي يحييها بعد موتها فينزل عليها الماء من السماء ثم يرسل عليها الريح ويطلع عليها الشمس، فتأخذ في الحبل، فإذا كان وقت الولادة مخضت للوضع، واهتزت وأنبتت من كل زوج بهيج.

فسبحان من جعل السماء كالأب، والأرض كالأم، والقطر كالماء الذي ينعقد منه الولد، فإذا حصل الحب في الأرض، ووقع عليه الماء، أثرت نداوة الطين فيه، وأعانتها السخونة المختفية في باطن الأرض، فوصلت النداوة والحرارة إلى باطن الحبة، فاتسعت الحبة وربت، وانتفخت، وانفلقت عن ساقين: ساق من فوقها وهو الشجرة. وساق من تحتها وهو العرق. ثم عظم ذلك الولد حتى لم يبق لأبيه نسبة إليه. ثم وضع من الأولاد بعد أبيه آلافا مؤلفة، كل ذلك صنع الرب الحكيم في حبة واحدة لعلها تبلغ في الصغر إلى الغاية. وتلك هي البركة التي وضعها الله سبحانه في هذه الأم.

فيا لها من آية تكفي وحدها في الدلالة على وجود الخالق، وصفات كماله وأفعاله، وعلى صدق رسله فيما أخبروا به بإخراج من في القبور ليوم البعث والنشور.

فتأمل اجتماع هذه العناصر الأربعة وتجاورها وامتزاجها، وحاجة بعضها إلى بعض، وانفعال بعضها عن بعض، وتأثيره فيه وتأثره به، بحيث لا يمكنه إلا الاتباع، من التأثر والانفعال. ولا يستقل الآخر بالتأثير، ولا يستغنى عن صاحبه، وفي ذلك أظهر دلالة على أنها مخلوقة، مصنوعة، مربوبة، مدبرة، حادثة بعد عدمها، فقيرة إلى موجد غني عنها، مؤثر غير متأثر، قديم غير حادث، تنقاد المخلوقات كلها لقدرته، وتجيب داعي مشيئته، وتلبي داعي وحدانيته وربوبيته، وتشهد بعلمه وحكمته، وتدعو عباده إلى ذكره وشكره وطاعته وعبوديته ومحبته، وتحذرهم من بأسه ونقمته، وتحثهم على المبادرة إلى رضوانه وجنته.

فانظر إلى الماء والأرض، كيف لما أراد الرب تعالى امتزاجهما وازدواجهما أنشأ الرياح، فحركت الماء، وساقته إلى أن قذفته في عمق الأرض، ثم أنشأ لها حرارة لطيفة سماوية، وحصل بها الإنبات. ثم أنشأ لها حرارة أخرى أقوى منها حصل بها الانفتاح وكانت حالته الأولى تضعف عن الحرارة الثانية، فادخرت إلى وقت قوته وصلابته. فحرارة الربيع للإخراج. وحرارة الصيف للانضاج. هذا وإن الأم واحدة، والأب واحد، واللقاح واحد والأولاد في غاية التباين والتنوع. كما قال تعالى: ﴿**وفي الأرض قطع متجاورات وجنات من أعناب وزرع ونخيل صنوان وغيرصنوان يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الأُكل إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون**﴾ [الرعد: ٤].

فهذا بعض آيات الأرض، ومن الآيات التي فيها وقائعه سبحانه التي أوقعها بالأمم المكذبين لرسلهم، المخالفين لأمره. وأبقى آثارهم دالة عليهم كما قال تعالى: ﴿**وعادا وثمود وقد تبين لكم من مساكنهم**﴾ [العنكبوت: ٣٨] وقال في قوم لوط: ﴿**وإنكم لتمرون عليهم مُصبحين * وبالليل أفلا تعقلون**﴾ [الصافات: ١٣٧، ١٣٨] وقال: ﴿**فأخذتهم الصيحة مشرقين * فجعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليهم حجاره من سجيل * إن في ذلك لآيات للمتوسمين * وإنها لبسبيل مقيم**﴾ [الحجر: ٧٣ ـ ٧٦] أي بطريق ثابت لا يزول عن حاله، وقال: ﴿**وإن كان أصحاب الأيكة لظالمين *فانتقمنا منهم وإنهما لبإمام مبين**﴾ [الحجر: ٧٨، ٧٩] أي ديار هاتين الأمتين لبطريق واضح يمر به السالكون. وقال تعالى: ﴿**وسكنتم في مساكن الذين ظلموا أنفسهم وتبين لكم كيف فعلنا بهم**﴾ [إبراهيم: ٤٥] وقال عن قوم عاد ﴿**فأصبحوا لا يرى إلى مساكنهم**﴾ [الأحقاف: ٢٥] ﴿**أو لم يهد لهم كم أهلكنا من قبلهم من القرون يمشون في مساكنهم**﴾ [السجدة: ٢٦] فأي دلالة أعظم من رجل يخرج وحده، لا عدة له ولا عدد، ولا مال. فيدعو الأمة العظيمة إلى توحيد الله والإيمان به وطاعته، ويحذرهم من بأسه ونقمته، فتتفق كلمتهم، أو أكثرهم على تكذيبه، ومعاداته. فيذكرهم أنواع العقوبات الخارجة عن قدرة البشر، فيغرق المكذبين كلهم تارة، ويخسف بغيرهم الأرض تارة. ويهلك آخرين بالريح. وآخرين بالصيحة، وآخرين بالمسخ، وآخرين بالصواعق وآخرين بأنواع العقوبات، وينجو داعيهم ومن معه. والهالكون أضعاف أضعاف أضعافهم عددًا وقوة،

ومنعة وأموالا:

فيـــالـك من آيـــات حتى لــــو اهتــــدى
بهـن مــــريــــد الحق كن هـــــواديـــا
ولكـن علـى تلـك القلـــــوب أكنـــــة
فليسـت وإن أصغت تجيب المنـــاديـــا

فهلا امتنعوا ـــ إن كانوا على الحق وهم أكثرهم عددا، وأقوى شوكة ـــ بقوتهم وعددهم من بأسه وسلطانه، وهلا اعتصموا من عقوبته، كما اعتصم من هو أضعف منهم من أتباع الرسل؟

ومن الآيات التى فى الأرض مما يحدثه الله فيها كل وقت ما يصدق به رسله فيما أخبرت به، فلا تزال آيات الرسل وأعلام صدقهم، وأدلة نبوتهم يحدثها الله سبحانه وتعالى فى الأرض، إقامة للحجة على من لم يشاهد تلك الآيات التى قاربت عصر الرسل، حتى كأن أهل كل قرن يشاهدون ما يشاهده الأولون أو نظيره، كما قال: **﴿سنُريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق﴾** [فصلت: ٥٣] وهذه الإرادة لا تختص بقرن دون قرن، بل لابد أن يرى الله سبحانه أهل كل قرن من الآيات ما يبين لهم أنه الله الذى لا إله إلا هو، وأن رسله صادقون، وآيات الأرض أعظم مما ذكر، وأكثر، فنبه باليسير منها على الكثير.

(٨٤) فصل

ثم قال **﴿وفى أنفسكم فلا تبصرون﴾** [٢١] لما كان أقرب الأشياء إلى الإنسان نفسه دعاه خالقه وبارئه ومصوره، وفاطره من قطرة ماء إلى التبصر، والتفكر فى نفسه. فإذا تفكر الإنسان فى نفسه استنارت له آيات الربوبية، وسطعت له أنوار اليقين، واضمحلت عنه غمرات الشك والريب، وانقشعت عنه ظلمات الجهل. فإنه إذا نظر فى نفسه وجد آثار التدبير فيه قائمات، وأدلة التوحيد على ربه ناطقات، شاهدة لمدبره، دالة عليه، مرشدة إليه؛ إذا يجده مكونا من قطرة ماء: لحوما منضدة، وعظاما مركبة، وأوصالا متعددة، مأسورة مشددة بحبال العروق والأعصاب، قد قمطت وشدت، وجمعت بجلد متين، مشتمل على ثلاثمائة وستين مفصلا ما بين كبير وصغير، وثخين ودقيق، ومستطيل ومستدير، ومستقيم ومنحن، وشدت هذه الأوصال بثلاثمائة وستين عرقا، للاتصال والانفصال، والقبض والبسط، والمد والضم، والصنائع والكتابة.

وجعل فيه تسعة أبواب: فبابان للسمع، وبابان للبصر، وبابان للشم، وبابان للكلام والطعام والشراب والتنفس وبابان لخروج الفضلات التى يؤذيه احتباسها. وجعل داخل بابى السمع مرا قاتلا، لئلا تلج فيها دابة تخلص إلى الدماغ فتؤذيه. وجعل داخل بابى البصر مالحا، لئلا تذيب الحرارة الدائمة ما هناك من الشحم. وجعل داخل باب الطعام والشراب حلوا، ليسيغ به ما يأكله ويشربه. فلا يتنغص به لو كان مُرًّا أو مالحا.

وجعل له مصباحين من نور كالسراج المضىء، مركبين فى أعلى مكان منه، وفى أشرف عضو من أعضائه، طليعة له. وركب هذا النور فى جزء صغير جداً يبصر به السماء والأرض وما بينهما، وغشاه بسبع طبقات وثلاث رطوبات، بعضها فوق بعض، حماية له وصيانة وحراسة. وجعل على محله غلقا بمصراعين أعلا وأسفل، وركب فى ذيل المصراعين أهدابا من الشعر وقاية العين، وزينة وجمالا. وجعل فوق ذلك كله حاجبين من الشعر، يحجبان العين من العرق النازل. ويتلقيان عنها ما ينصب من هناك. وجعل سبحانه لكل طبقة من طبقات العين شغلا مخصوصا، ولكل واحد من الرطوبات مقدارا مخصوصا، لو زاد على ذلك أو نقص منه لاختلت المنافع والمصالح المطلوبة. وجعل هذا النور الباصر فى قدر عدسة. ثم أظهر فى تلك العدسة صورة السماء والأرض، والشمس والقمر والنجوم، والجبال، والعالم العلوى والسفلى، مع اتساع أطرافه، وتباعد أقطاره. واقتضت حكمته سبحانه أن جعل فيها بياضا وسوادا، وجعل القوة الباصرة فى السواد، وجعل البياض مستقرا لها ومسكنا، وزين كلا منهما بالآخر. وجعل الحدقة مصونة بالأجفان والحواجب كما تقدم، والحواجب بالأهداب، وجعلها سوداء، إذ لو كانت بيضاء لتفرق النور الباصر، فضعف الإدراك، فإن السواد يجمع البصر، ويمنع من تفرق النور الباصر. وخلق سبحانه لتحريك الحدقة وتقليبها أربعا وعشرين عضلة، لو نقصت عضلة واحدة لاختل أمر العين.

ولما كانت العين كالمرآة، التى إنما تنطبع فيها الصور إذا كانت فى غاية الصقالة والصفاء، وجعل سبحانه هذه الأجفان متحركة جدا بالطبع إلى الانطباق، من غير تكلف، لتبقى هذه المرآة نقية صافية من جميع الكدورات. ولهذا لما لم يخلق لعين الذبابة أجفانا فإنها لا تزال تراها تنظف عينها بيدها من آثار الغبار والكدورات.

(٨٥) فصل.

وكما جعل سبحانه العينين مؤديتين للقلب ما يريانه، فيوصلانه إليه كما تراياه جعلهما مرآتين للقلب، يظهر فيهما ماهو مودع فيه من الحب والبغض، والخير والشر، والبلادة والفطنة، والزيغ والاستقامة. فيستدل بأحوال العين على أحوال القلب، وهو أحد أنواع الفراسة الثلاثة: وهى فراسة العين، وفراسة الأذن، وفراسة القلب فالعين مرآة للقلب، وطليعة ورسول. ومن عجيب أمرها أنها من ألطف الأعضاء، وأبعدها تأثرا بالحر والبرد، على أن الأذن على صلابتها وغلظها لتتأثر بهما أكثر من تأثر العين على لطافتها. وليس ذلك بسبب الغطاء الذى عليها من الأجفان؛ فإنها لو كانت منفتحة لم تتأثر بذلك تأثر الأعضاء اللطيفة.

(٨٦) فصل.

ومن ذلك: الأذنان، شقهما تبارك وتعالى فى جانبى الوجه، وأودعهما من الرطوبة ما يكون معينا على إدراك السمع. وأودعهما القوة السمعية. وجعل سبحانه فى هذه الصدفة انحرافات واعوجاجات، لتطول المسافة قليلا، فلا يصل الهواء إلا بعد انكسار حدته فلا يصدمها وهلة واحدة، فيؤذيها. وأيضا لئلا يفجأها الداخل إليها من الدبيب والحشرات، بل إذا دخل إلى عوجة من تلك الانعطافات وقف هناك، فسهل إخراجه.

وكانت العينان فى وسط الوجه والأذنان فى جانبيه، لأن العينين محل الملاحة والزينة والجمال، وهما بمنزلة النور الذى يمشى بين يدى الإنسان، وأما الأذنان فكان جعلهما فى الجانبين لكون إدراكهما لما خلف الإنسان، وأمامه، وعن يمينه، وعن شماله سواء. فتأتى المسموعات إليهما على نسبة واحدة، وخلقت العينان بغطاء، والأذنان بغير غطاء. وهذا فى غاية الحكمة. إذا لو كان للأذنين غطاء لمنع الغطاء إدراك الصوت، فلا يحصل إلا بعد ارتفاع الغطاء، والصوت عرض لإثبات له، فكان يزول قبل كشف الغطاء، بخلا ما ترا العين فإنه أجسام وأعراض لا تزول بما بين كشف الغطاء وفتح العين. وجعل سبحانه الأذن عضوا غضروفيا ليس بلحم مسترخ، ولا عظم صلب، بل هى بين الصلابة واللين، فتقبل بلينها، وتحفظ بصلابتها، ولا تنصدع انصداع العظام، ولا تتأثر بالحر والبرد، والشمس والسموم تأثر اللحم. إذ المصلحة فى بروزها لتتلقى ما يرد عليها من الأصوات وأخبار.

(٨٧) فصل.

ومن ذلك الأنف؛ نصبه سبحانه فى وسط الوجه قائما معتدلا، فى أحسن شكل وأوفقه للمنفعة، وأودعه حاسة الشم، التى يدرك بها الروائح وأنواعها، وكيفياتها، ومنافعها ومضارها. ويستدل بها على مضار الأغذية والأدوية، ومنافعها. وأيضا فإنه يستنشق بالمنخرين الهواء البارد الرطب، فيؤديه إلى القلب، فيتروح به، فيستغنى بذلك عن فتح الفم أبدا. وجعل تجويفه بقدر الحاجة، فلم يوسعه عن ذلك، فيدخله هواء كثير، ولم يضيقه فلا يدخله من الهواء ما يكفيه وجعل ذلك التجويف مستطيلا، لينحصر فيه الهواء، وينكسر برده وحدته قبل أن يصل إلى الدماغ. فلولا ذلك لصدمه بحدته وقوته.

والهواء الذى يستنشقه الأنف ينقسم شطرين: شطرا يصعد إلى الدماغ، وشطرا ينزل إلى الرئة، وهو من آلات النطق، فإن له إعانة على تقطيع الحروف. وكما أن تجويفه جعل لاستنشاق الهواء، فإنه جعل مصبا لفضلات الدماغ. تنحدر منه فى تلك القصبة، فيخرج، فيستريح الدماغ، ولذلك جعل عليها سترا، ولم يجعلها بارزة تستقبحها العيون. وجعل فيها تجويفا. فإنه قد ينسد أحدهما، أو يعرض له آفة تمنعه من الإدراك والاستنشاق، فيبقى التجويف الثانى نائبا عنه يعمل عمله، كما اقتضت الحكمة مثل ذلك فى العينين.

ثم تأمل الهواء الذى يستنشقه الأنف، كيف يدخله أولا من المنخرين، وينكسر برده هناك، ثم يصل إلى الحلق، فيعتدل مزاجه هناك. ثم يصل إلى الرئة ألطف ما يكون. ثم تبعثه الرئة إلى القلب، فيروح عن الحرارة الغريزية التى فيه.

ثم ينفذ من القلب إلى العروق المتحركة، ويبلغ إلى أقاصى أطراف البدن. ثم إذا سخن فى الباطن وخرج عن حد الانتفاع خرج عن تلك الأقاصى إلى البدن، ثم إلى الرئة، ثم إلى الحلقوم، ثم إلى المنخرين خارجا، فيخرج منهما ويعود عوضه هواء بارد نافع، والنفس الواحد من أنفاس العبد إنما يتم بمجموع هذه الأمور والقوى، والأفعال. وهو له فى اليوم والليلة. أربعة وعشرون ألف نفس، لله فى كل نفس عدة نعم، قد وقفت على القليل منها، فما ظنك بما وراء التنفس من الأعضاء، والقوى، ومنافعها، وتمام النعمة بها؟.

(٨٨) فصل.

وأما الفم فمحل العجائب، وباب الطعام، والشراب، والنفس، والكلام، ومسكن اللسان الناطق الذى هو آلة العلوم، وترجمان القلب، ورسوله المؤدى عنه.

ولما كان القلب ملك البدن، ومعدنا للحرارة الغريزية، فإذا دخل الهواء البارد وصل إليه فاعتدلت حرارته وبقى هنالك ساعة فسخن واحترق، فاحتاج القلب إلى دفعه وإخراجه. فجعل أحكم الحاكمين إخراجه سببا لحدوث الصوت فى الحنجرة، والحنك، واللسان، والشفتين، والأسنان مقاطع ومخارج مختلفة، وبسبب اختلافها تميزت الحروف بعضها عن بعض ثم ألهم العبد تركيب تلك الحروف ليؤدى بها عن القلب ما يأمر به.

فتأمل الحكمة الباهرة حيث لم يضع سبحانه ذلك المستغنى عنه المحتاج إلى دفعه وإخراجه، بل جعل فيه إذا استغنى عنه منفعة ومصلحة هى من أكمل المنافع والمصالح. فإن المقصود الأصلى من النفس هو اتصال الريح البارد إلى القلب. فأما إخراج النفس فهو جار مجرى دفع الفضلة الفاسدة. فصرف ذلك سبحانه، إلى رعاية مصلحة ومنفعة أخرى. وجعله سببا للأصوات والحروف والكلام.

قالت المؤلفة: نحرص فى تدريسنا لعلم الأصوات على إبراز هذه المعجزة الإلهية، وذلك فى مجال ربط العلوم العقلية بالدين اهـ.

ثم إنه سبحانه جعل الحناجر مختلفة الأشكال: فى الضيق، والسعة، والخشونة، والملاسة، لتختلف الأصوات باختلافها. فلا يتشابه صوتان: كما لا تتشابه صورتان. وهذا من أظهر الأدلة. فإن هذا الاختلاف ــ الذى بين الصور والأصوات على كثرتها وتعددها فقلما يشتبه صورتان أو صوتان ـ ليس فى الطبيعة ما يقتضيه. وإنما هو صنع الله الذى أتقن كل شىء، وأحسن كل شىء خلقه. فتبارك الله رب العالمين، وأحسن الخالقين. فميز سبحانه بين الأشخاص بما يدركه السمع والبصر.

(٨٩) فصل.

وأودع اللسان من المنافع منفعة الكلام ــ وهى أعظمها ـ ومنفعة الذوق والإدراك، وجعله دليلا على اعتدال مزاج القلب وانحرافه، كما جعله دليلا على استقامته واعوجاجه فترى الطبيب يستدل بما يبدو للبصر على اللسان. من الخشونة، والملاسة، والبياض والحمرة، والتشقق وغيره، على حال القلب والمزاج. وهو دليل قوى على أحوال المعدة والأمعاء، كما يستدل السامع بما يبدو عليه من الكلام على ما فى القلب، فيبدو عليه صحة القلب وفساده معنى وصورة.

(٩٠) فصل.

وجعل سبحانه اللسان عضوا لحميا، لا عظم فيه ولا عصب، لتسهل حركته. ولهذا لا تجد فى الأعضاء من لا يكترث بكثرة الحركة سواه فإن أى عضو من الأعضاء إذا حركته كما تحرك اللسان لم يطق ذلك، ولم يلبث أن يكل ويخلد إلى السكون، إلا اللسان، وأيضا فإنه من أعدل الأعضاء وألطفها، وهو فى الأعضاء بمنزلة رسول الملك ونائبه. فمزاجه من أعدل أمزجة البدن ويحتاج إلى قبض وبسط، وحركة فى أقاصى الفم وجوانبه. فلو كان فيه عظام لم يتهيأ منه ذلك، ولم يتهيأ منه الكلام التام ولا الذوق التام...

(٩١) فصل.

وجعل سبحانه على اللسان غلقين: أحدهما الأسنان، والثانى الفم وجعل حركته اختيارية. وجعل على العين غطاء واحدا. ولم يجعل على الأذن غطاء. وذلك لخطر اللسان وشرفه، وخطر حركاته، وكونه فى الفم بمنزلة القلب فى الصدر. وذلك من اللطائف. فإن آفة الكلام أكثر من آفة النظر، وآفة النظر أكثر من آفة السمع. فجعل للأكثر آفات

طبقين، وللمتوسط طبقا، وجعل الأقل آفة بلا طبق.

(٩٢) فصل

وجعل سبحانه الفم أكثر الأعضاء رطوبة، والريق يتحلل إليه دائما لا يفارقه. وجعله حلوا لا مالحا كماء العين، ولا مرا كالذى فى الأذن، ولا عفنا كالذى فى الانف، بل هو أعذب مياه البدن وأحلاها. حكمة بالغة. فإن الطعام والشراب يخالطه، بل هو الذى يحيل الطعم ويمتزج به امتزاج العجين بالماء. فلولا أنه حلو لما التذ الإنسان، بل ولا الحيوان، بطعام ولا شراب ولا ساغه إلا على كره وتنغيص. ولما كان كثير من الطعام لا يمكن تحوله إلا بعد طبخه، جعل الرب تعالى له آله للتقطيع والتفصيل، وآلة للطحن. فجعل آلة القطع - وهى الثنايا وما يليها حادة الرؤوس ليسهل بها القطع - وجعل النواجذ وما يليها من الأضراس مسطحة الرءوس، عريضة، ليتأتى بها الطحن، ونظمها أحسن نظام كاللؤلؤ المنظم فى سلك، وجعلها من الجانب الأعلى والأسفل، ليتأتى بها القطع والطحن. وجعلها من الجانب الأيمن والأيسر، إذ ربما كانت إحدى الآلتين، أو تعطلت أو عرض لها عارض. فينتقل إلى الآلة الأخرى. وأيضا لو كان العمل على جانب واحد دائما أوشك أن يتعطل ويضعف.

وتأمل كيف أنبتها سبحانه من نفس اللحم، وتخرج من خلاله نابتة، كما ينبت الزرع فى الأرض، ولم يكسها سبحانه لحما، كسائر العظام سواها، إذ لو كساها اللحم لتعطلت المنفعة المقصودة ولما كانت العظام محتاجة إلى لحم يكسوها ويحفظها، ويتلقى عنها الحرارة والبرد، ويحفظ عليها رطوبتها، لم تكمل مصلحة الحيوان إلا بهذه الكسوة، ولما كانت عظام الإنسان محتاجة إلى ذلك من وجه، مستغنية عنه من وجه، جعلت كسوتها منفصلة عنها وجعلت هى المكتسبة العارية لتمام المنفعة بذلك. ولما كانت آلة القطع والكسر والطحن لم تنشأ مع الطفل من أول نشأته - كسائر عظامه، لعدم الحاجة إليها - عطل عنها وقت استغنائه عنها بالرضاع، وأعطيها وقت حاجته إليها. وفيه حكمة أخرى، وهى أنه لو نشأت معه من حين يولد لأضرت بحلمة الثدى إذ لا عقل له يحرزه عن عضها، فكانت الأم تمتنع من إرضاعه.

ومن عجيب أمرها الاتفاق والموالاة التى بينها وبين المعدة، فإنه يسلم إليها الشىء اليابس والصلب فتطحنه، ثم تسلمه إلى اللسان فيعجنه. ثم اللسان يسلمه إلى الحلق فيوصله إلى المعدة فتنضجه وتطبخه. ثم يرسل إليها منه معلومها المقدر لها. فإذا عجزت عن قطع شىء وطحنه عجزت المعدة عن إنضاجه وطبخه. وإذا كلت الأسنان كلت المعدة، وإذا ضعفت ضعفت.

وهى تصحب الإنسان وتخدمه ما لم يرها، فإذا وقعت عينه عليها فارقته الأبد.

(كأن الشيخ المؤلف رحمه الله يريد الرؤية التى تكون بخلعها عن موضعها لا التى تكون بالمرآة مثلا). وهى سلاح ومنشار، وسكين، وروح، وزينة، وفيها منافع ومصالح غير هذه (التبيان / ١٧٤ - ١٩٦).

ويلخص صاحب ألفية التفسير المعانى التى وردت فى سورة الذاريات فى هذه الأبيات وقد احتفظنا بأرقام الأبيات كما وردت فى النص.

٧٥٠ـ وقد أقسم المولى كثيرا مؤكدا
على أن بعث الخلق آت بلا مِرا

٧٥١ـ ولكنهم رغم الأدلة أوردت
كصخر أصم ليس يسمع أو يَرَى

٧٥٢ـ يخوّفهم حينا وحينا عقيبه
يقص عليهم شؤم من كان أنكرا

٧٥٣ـ فبادوا وما عادوا لإصلاح حالهم
فلست ترى إلا العناد مُسيطرا

(ألفية التفسير / ٥٧، ٥٨).

أما ما ورد عن رسم المصحف فقد جاء فى «المقنع» عن سورة الذاريات ما يلى:

١ - ما حذفت منه الألف اختصارا: ﴿ففالوا سلما قال سلم﴾ [٢٥].

٢ - ما حذفت منه الياء اجتزاء بكسر ما قبلها منها:

﴿ليعبدون﴾ [٥٦]

﴿أن يطعمون﴾ [٥٧]

﴿فلا يستعجلون﴾ [٥٩]

٣ ـ إثبات الياء زائدة أو لمعنى : ﴿والسماء بنينها بأييد﴾ [٤٧].

٤ ـ ﴿يوم هم﴾ .

قال أبو حفص الخزاز ﴿يوم هم﴾ مقطوع حرفان ليس في القرآن غيرهما : في غافر ﴿يوم هم بارزون﴾ [١٦]، وفي الذاريات ﴿يوم هم على النار يفتنون﴾ [١٣]

٥ ـ ما اتفقت على رسمه مصاحف أهل الأمصار: ﴿والسماء بنينٰها بأييد﴾ [٤٧] بياءين (المقنع / ٢٣، ٤٠، ٥٣، ٨٠، ٩٣).

أما عن رسم المصحف العثماني بالنسبة لسورة الذاريات فقد أورد الخوارزمي ما يلي :

﴿يسئلون﴾ [١٢] بغير ألف .

﴿يوم هم ﴾ [١٣] مقطوع .

﴿بأييد﴾ [٤٧] بيائين .

(موجز كتاب التقريب / ٨٣).

أما عن القراءات السبع بالنسبة لسورة الذاريات فقد أوردها ابن مجاهد كما يلي :

١ ـ قوله تعالى : ﴿إنه لحق مثلَ ما أنكم تنطقون﴾ [٢٣].

قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر وحفص عن عاصم : (مثلَ ما) نصبا .

وقرأ عاصم في رواية أبي بكر وحمزة والكسائي : (مثلُ ما) بالرفع .

٢ ـ قوله تعالى : ﴿فأخذتهم الصٰعقة﴾ [٤٤].

قرأ الكسائي وحده : (أخذتهمُ الصَّعْقة) [بغير ألف]

وقرأ الباقون : (الصٰعقة) بألف .

٣ ـ واختلفوا في كسر الميم وفتحها من قوله تعالى : ﴿وقوم نوح من قبل﴾ [٤٦].

فقرأ ابن كثير ونافع وابن عامر وعاصم : (وقومَ نُوحٍ) بالنصب .

وقرأ أبو عمرو وحمزة والكسائي : (وقوم نوح) خفضا .

[ياءات الإضافة].

في السورة ياءا إضافة : ﴿إني لكم﴾ [٥٠] و ﴿إني لكم﴾ [٥١] لا اختلاف في إسكانهما .

وفي هذه السورة ثلاث ياءات محذوفة :

﴿ليعبدون﴾ [٥٦].

﴿يطعمون﴾ [٥٧].

﴿فلا يستعجلون﴾ [٥٩].

(كتاب السبعة في القراءات / ٦٠٩).

قال الإمام الشاطبي رحمه الله في منظومته المعروفة بالشاطبية :

وفي الصَّعقة اقْصر مُسْكن العين (ر) اويا
وقوم بخفض الميم (شـ) ـرِّف (حـ) سمَّلا

(متن حرز الأماني / ١٨٢).

ويشرح الإمام أبو شامة البيت ورقمه ١٠٤٦ في المنظومة ، فيقول :

هذ تقييد لما لفظ به ، فالقصر حذف الألف من الصاعقة ، وفي قوله مسكن العين نظر ، وصوابه مسكن الكسر ، فإن الإسكان المطلق ضده الفتح ، على ما تقرر في الخطبة وغيرها ، فما وقع ذلك إلا سهوا عما التزمه باصطلاحه ، إن قيل الصعقة لا كسر فيها ، كيف يقول مسكن الكسر؟ قلت : وكذلك لابد فيها ، فكيف قال اقصر ، إنما ذلك باعتبار القراءة الأخرى ، أي اسكن في موضع الكسر ، ولم يتعرض الشيخ لهذا في شرحه أولا ، ثم في آخر عمره زاد في شرحه نكتا في مواضع هذا منها ، قال : قوله مسكن العين أراد به عين الفعل كما قال ، لا عين راجع ، وهذا زيادة إغراب في البيت ، وغير مخلص من الإشكال ، والصاعقة اسم النازلة والصعقة مصدر صعقتهم ، فقوله فأخذتهم الصعقة كما قال ـ أخذتهم الصيحة ـ قال أبو علي : قيل إن الصعقة مثل الزجرة ، وهو الصوت الذي يكون عن الصاعقة ، قوله : وقوم ، يريد وقوم نوح بالخفض عطف على ﴿وفي موسى﴾ [٣٨] وقوله ﴿وفي موسى﴾ عطف على ﴿وتركنا فيها آية﴾ أي وفي موسى وفي عاد ، وفي ثمود وقوم نوح آيات والنصب على : وأهلكنا قوم نوح أو واذكر قوم نوح وانقضى النظم لما في الذاريات ، ثم شرع في حروف والطور (إبراز المعاني / ٦٨٩ ، ٦٩٠).

وفى المصادر التى تتناول القراءات العشر جاء ما يلى:

١ ــ قال ابن الجزرى عن الزوائد فى سورة الذاريات: الزوائد ثلاث: ﴿ليعبدون﴾ [٥٦]، ﴿يطعمون﴾ [٥٧]، ﴿يستعجلون﴾ [٥٩] أثبتها فى الحالين يعقوب (تقريب النشر / ١٧٦).

٢ ــ ذكر الإمام ابن مهران الأصبهانى الإمالة فى سورة الذاريات كما يلى:

﴿والذاريات ذروا﴾ [١]، ﴿فالحاملات وقرا﴾ [٢] ﴿فالجاريات يسرا﴾ [٣] يميل ذلك كله شيئا قليلا، والذال أقلها، والجيم أشبعها والله أعلم.

﴿آخذين﴾ [١٦] قليلا، ﴿للسائل﴾ [١٩] قليلا.

﴿فنعم﴾، ﴿الماهدون﴾ [٤٨] قليلا، وإن كان رفعا، والله أعلم (الغاية فى القراءات العشر/ ٤٧٦).

وأما عن القراءات الشاذة فقد اكتفينا بذكر المصنفات فيها فى ثبت المراجع.

وأما من حيث أنواع الوقف: التام، والكافى، والحسن، والقبيح فى سورة الذاريات فيبينها الإمام أبو عمرو الدانى على النحو التالى:

جواب القسم ﴿إنما توعدون لصادق﴾ [٥] فلا وقف دونه، ﴿وإن الدين لواقع﴾ [٦] تام ومثله ﴿من أفك﴾ [٩] ﴿يوم الدين﴾ [٢٢] كاف، ومثله ﴿يفتنون﴾ [١٣] ﴿يستعجلون﴾ [١٤] تام، وقال يعقوب ﴿كانوا قليلا﴾ [١٧] تام، وهو قول الضحاك والمعنى، كان عددهم قليلا، والآية دالة على قلة نومهم، لا على قلة عددهم، والمعنى، كان هجوعهم أى نومهم قليلا، وبذلك جاء التفسير، حدثنا محمد ابن عبد الله قال: حدثنا أبى قال: حدثنا على قال: حدثنا أبو داود قال: حدثنا يحيى بن سلام فى قوله تعالى: ﴿كانوا قليلا من الليل ما يهجعون﴾ قال تفسير الحسن يقول، كانوا لا ينامون منه إلا قليلا ﴿والمحروم﴾ [١٩] كاف، ومثله ﴿وفى أنفسكم﴾ ﴿ينطقون﴾ تام، وكذلك آخر كل قصة فيها ﴿قالوا سلاما﴾ [٢٥] كاف، ومثله ﴿قال سلام﴾ ﴿قال ربك﴾ [٣٠] تام، ورأس الآية أتم. ﴿العذاب الأليم﴾ ـ ٣٧ ـ أتم والفواصل بعد كافية. ﴿وقوم نوح من قبل﴾ [٤٦] كاف، ومثله ﴿بأيد﴾ أى بقوه، ﴿قوما فاسقين﴾ [٤٦] تام، ومثله ﴿تذكرون﴾ [٤٩] ﴿نذير مبين﴾ [٥٠] الأول تام. ﴿نذير مبين﴾ [٥١] ﴿كذلك﴾ تام، أى، الأمر كذلك ﴿أتواصوا به﴾ [٥٣] كاف، ﴿طاغون﴾ [٥٣] تام ومثله ﴿المؤمنون﴾ [٥٥] ومثله ﴿أن يطعمون﴾ [٥٧] ورؤوس الآى قبل كافية وبعد تامة (المكتفى / ٣٣٦).

(سعادة الدارين فى بيان وعد آى معجز الثقلين ــ الشيخ محمد بن على بن خلف الحسينى الشهير بالحداد / ٦٧، والإتقان فى علوم القرآن للحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطى ٢ / ٢٥٩، وتيسير الوصول إلى جامع الأصول للإمام ابن الديبع الشيبانى ١ / ١٧٤، وبصائر ذوى التمييز للإمام الفيروزابادى ـ تحقيق الأستاذ محمد على النجار ١ / ٤٣٩، ٤٤٠، وتناسق الدرر فى تناسب السور للإمام جلال الدين عبد الرحمن السيوطى ـ دراسة وتحقيق عبد القادر أحمد عطا/ ١١٨، وأسباب النزول (لباب النقول فى أسباب النزول) لجلال الدين عبد الرحمن بن أبى بكر السيوطى ــ تحقيق وتعليق الأستاذ قرنى أبى عميرة / ٢٥٧، والأنموذج الجليل فى أسئلة وأجوبة من غرائب التنزيل للإمام محمد بن أبى بكر عبد القادر الرازى ـ تحقيق الشيخ إبراهيم عطوة عوض وجماعة من علماء مجلة الأزهر، هدية مجلة الأزهر. جمادى الآخرة ١٤١٠ هـ/ ٥ / ٤٥٢ ـ ٤٥٥، ومسائل الرازى وأجوبتها من غرائب آى التنزيل للمحقق نفسه / ٣٢٤ ـ ٣٢٧، ودفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب ــ فضيلة الشيخ محمد الأمين الجكنى الشنقيطى / ٢٧٤، ونواسخ القرآن للحافظ جمال الدين أبى الفرج عبد الرحمن بن الجوزى / ٢٣٠، ٢٣١، وجواهر القرآن ودرره لحجة الإسلام أبى حامد الغزالى / ١١٣، ١٦٦، والتبيان فى أقسام القرآن لابن قيم الجوزية ــ صححه وعلق عليه فضيلة الشيخ طه يوسف شاهين / ١٧٤ ـ ١٩٦، وألفية التفسير ـ حسين على دحلى / ٥٧، ٥٨، والمقنع فى رسم مصاحف الأمصار للإمام أبى عمرو الدانى / ٢٣، ٤٠، ٥٣، ٨٠، ٩٣، وموجز كتاب التقريب فى رسم المصحف ليوسف بن محمود الخوارزمى ـ تحقيق عبد الرحمن آلوجى / ٨٣، وكتاب السبعة فى القراءات لابن مجاهد ــ تحقيق د. شوقى ضيف / ٦٠٩، ومتن حرز الأمانى ووجه التهانى المعروف بالشاطبية للإمام الشاطبى / ١٨٢، وإبراز المعانى من حرز الأمانى فى القراءات السبع للإمام الشاطبى، للإمام أبى شامة ـ تحقيق وتقديم وضبط إبراهيم عطوة عوض / ٦٨٩، ٦٩٠، وتقريب النشر فى القراءات العشر لابن الجزرى ـ تحقيق وتقديم إبراهيم عطوة عوض / ١٧٦، والغاية فى القراءات العشر للحافظ ابن مهران الأصبهانى ــ تقديم د. أحمد علم الدين رمضان الجندى و د. مصطفى مسلم، دراسة وتحقيق محمد غياث الجنباز / ٤٧٦، والمكتفى فى

الوقف والابتدا لأبى عمرو الدانى ـ دراسة وتحقيق جايد زيدان مخلف / ٣٣٦. انظر أيضـا المبسوط فى القـراءات العشر لابن مهـران الأصبهانى ـ تحقيق سبيع حمزة حاكمى / ٤١٥، ومختصر فى شواذ القرآن من كتاب البـديع لابن خالـويه، عنى بنشره ج ـ برجشتراس / ١٤٥، والقـراءات الشـاذة وتـوجيهها من لغـة العـرب ـ عبد الفتـاح القـاضى / ٨٥، ٨٦، والتيسير فى القراءات السبع لـلإمام أبى عمرو الـدانى ـ عنى بتصحيحه أوتوبرتزل / ٢٠٣، وسراج القـارئ المبتدى وتذكار المقرئ المنتهى لابن القـاصح العـذرى / ٣٥٨، والمحتسب فى تبيين وجـوه شواذ القـراءات والإيضاح عنها لابن جنى ـ بتحقيق علـى النجدى ناصف ود. عبد الحليم النجار ود. عبد الفتاح إسماعيل شلبى ٢ / ٤٠٨ والجامع لما يحتاج إليه من رسم المصحف لابن وثيـق الأنـدلسى ـ تحقيق د. غـانم قـدورى / ١٣٠، وأسرار التكرار فى القـرآن (البرهان فى توجيه متشابـه القرآن لما فيه من الحجة والبيان) لتاج القراء محمود بن حـمزة بن نصر الكرمانى ـ دراسة وتحقيق عبد القادر أحمد عطا / ١٩٦).

مـلاحظة: الصـور المصاحبـة لهـذه المادة أخـذت من المصادر التالية:

١ ـ صورة سـورة الذاريـات بـالخط المغربى أخـذت من كتاب «التربية الإسلامية» المقرر على السنة الثامنة من التعليم الأساسى بالمملكة المغربية / ٥٠، ٥١.

٢ ـ صـورةالآيـة ٢٢ من سـورة الـذاريـات أخـذت من الموسوعة الجامعة للخط العربى ـ كتبها محمد حداد / ٣٧.

٣ ـ صورة الآيـة ٥٨ من سورة الذاريات أخـذت من كتاب بـدائع الخط العربى ـ نـاجى زين الـدين المصرف، شـكل ٦١٦.

*** الذاكر (زاوية-):**

ذكرها على مبارك فى الزوايا وقال عنها:

هـذه الزاويـة كانت بجـوار حمـام الدود بشـارع السيوفيـة أخذها شارع محمد على، وكان بها ضريح الشيخ تاج الدين الذاكر.

قال الشعـرانى: كان الشيخ تـاج الدين وجهـه يضىء من نور قلبه ذا سمت حسن وأخلاق جميلـة، وكان يفرش زاويته باللباد الأسود لئلا يسمع وقع أقدامهم إذا مشوا ويقول: حضرة الفقراء من حضرة الحق لا ينبغى أن يكـون فيها علو صوت ولا حس، وكان أصحابـه فى غاية الكمال وكان كثيـر الشفاعات عند الأمراء. مات رضى الله عنـه سنة نيف وعشرين وتسعمائة ودفن بزاويته انتهى ولم يبق لقبره الآن أثر.

(الخطط التوفيقية الجديدة لعلى باشا مبارك ٦ / ٧٦).

*** ذال إذ:**

عن أحكام ذال إذ يقول الإمام الشاطبى فى منظومته:

١ ـ نعم إذ (تـ) ـمَشَّت (ز) ينب (صـ) ـال (د) لها
(سـ) ـمى (جـ) ـمال واصلا من تـوصَّلا

٢ ـ فإظهـارهـا (أ) جـرى (د) وام (نـ) ـسيمها
وأظهـر (ر) يـا (قـ) ـوله واصف (جـ) ـلا

وأدغم (ضـ) ـنكاواصل (تـ) ـوم (د)ره
وأدغم (مـ) ـولى وجـده (د)ائم ولا

(متن حرز الأمانى / ٥١).

ويشرح الشيخ على محمد الضباع الأبيات فيقول:

اختلفوا فى إدغامها وإظهارها عند ستة أحرف وهى حروف تجد وحروف الصفير وهى الصاد والزاى والسين نحو إذ تبرأ إذ جـاءوكم ـ إذ دخلـوا ـ إذ سمعتموه ـ إذ صـرفنـا ـ إذ زين، فأظهرها عند الستة الحرميـان وعاصم وأدغمها فيهن أبو عمرو وهشام وأظهرهـا الكسائى وخلاد عند الجيم خاصة وأدغماها فى الخمسة البـاقية وأدغمها خلف فى التاء والـدال وأظهرها عنـد الأربعـة البـاقية وأدغمهـا ابن ذكـوان فى الـدال خـاصـة وأظهرها عند الخمسـة الباقية (تقريب النفع فى القراءات السبع / ٥١).

كما يشرح الأبيات الإمام ابن القـاصح ويذكر أسماء القراء الذين وردت رموزهم فيها، وهى الموضوعة بين أقواس فيقول:

البيت الأول:

كأن الناظم رحمه الله قدَّر أن مستدعيـا استدعى منه الوفاء بما وعده فى قوله سأذكر ألفـاظا فقال مجيبا له نعم ثم أتى بإذ وحروفهـا الستة فى بيت على مـا وعد به وحـروف إذ الستة هى أوائل الكلم الست التى تلى إذ وهـى التـاء من تمشت والـزاى من زينب والصاد من صال والـدال من دلها والسين من سمى والجيم من جمال، وأمثلتها على الترتيب فالتاء إذ تبرأ إذ تخلق ونحـوه والـزاى إذ زين وإذ زاغت ليـس غيـرهمـا والصـاد وإذ صرفنا ولا ثـانى لها والدال إذ دخلوا بالحجـر وصٓ والذاريات

وإذ دخلت جنتك ليس غيرهـا والسين لولا إذ سمعتمـوه ظن ولـولا إذ سمعتمـوه قلتم ليس غيرهمـا والجيم وإذ جعلنـا وإذ جاءتهم ونحوه والواو فى قوله واصلا فاصلة وما بعدها تمم به البيت وصـال بمعنى استطـال والـدل : الـدلال، والسمى : الرفيع .

البيت الثانى :

أخبر أن المشار إليهم بالهمزة والدال والنون فى قوله أجرى دوام نسيمها وهـم نافع وابن كثيـر وعاصم أظهـروا ذال إذ عند حروفها الستة وأتى بالرموز مؤخرة لعدم الالتباس، وقوله وأظهر ريا إلى آخره. أخبـر أن المشار إليهما بالراء والقـاف فى قوله ريا قوله وهما الكسائى وخـلاد أظهرا الذال عند الجيم خاصة فتعين لهما الإدغام فى باقى الحروف وأتى بما شرط من تقديم الرمز ثم أتى بالواو ثم أتى بالحرف المختلف فى إدغامه والواو فى وأظهـر وفى واصف للفصـل، والنسيم : الـريح الطيبـة، والريا، بالقصر. الرائحة الطيبة، وجلا أى كشف.

البيت الثالث :

أخبر رحمه الله أن المشار إليه بالضاد فى قوله ضنكا وهو خلف أدغم فى التـاء والـدال فتعين لـه الإظهار عنـد الأربعـة الباقية، وقوله وأدغم مولى إلى آخره أخبر أن المشار إليه بالميم من قوله مولى وهو ابن ذكوان أدغم فى الدال فتعين له الإظهار عند الخمسة الباقية وتعين لباقى القراء وهما أبو عمرو وهشام إدغام ذال إذ فى حروفها الستة والواو فى وأدغم فى الموضعين وفى ولا للفصل والواو فى واصل وفى وجده للفصل بين الرمز والحروف المختلف فى إدغامها، والضنك : الضيق، والتوم . جمع تـومة والتـومـة : خرزة تعمل من الفضـة كـالدرة والـدر معروف، والمولى هنـا الولى والوجد الغنى والـرواية بضم الواو وقـد تكسر وعليـه قـرأ روح من وجـدكم، الـولا بكسر الـواو : المتابعة .

توضيح : القراء فى فصل ذال إذ على ثلاث مراتب : منهم من أظهرهـا عند حـروفها الستـة وهم نافع وابن كثيـر وعاصم ومنهم من أدغمها فى حـروفها الستـة وهما أبو عمـرو وهشام ومنهم من أظهرها عند بعضها وأدغم فى بعضها وهم الكسائى وخلف وخلاد وابن ذكوان فأما الكسائى وخلاد فإنهما أظهراها عند الجيم وأدغماها فيما بقى، وأما خلف فإنه أدغم فى التاء والدال وأظهر عنـد ما بقى وأما ابن ذكوان فـانه أدغم فى الدال وأظهر عندما بقى (سراج القارىء المبتدى / ٩٣، ٩٤).

وعن ذال إذ أيضا يقول الإمام ابن الجزرى فى منظومته :

إذ فى الصفيـــر وتجـــد أدغـم (حـــلا)
(لـــ)ـــى وبغيـر الجيـم (قـــ)ـــاض (ر) تـلا
والخلف فى الـــدال (مـــ)ـــصيب و (فتى)
قـــد وصل الإدغـــام فى دال وتـــا

(طيبة النشر / ٢٥).

وعن ذال إذ فى قـراءة حمـزة يقـول الشيخ المتـولى فى منظومته :

وإذ فى صفيـــر عنـــد خـــلاد ادغمـن
وفى الـــدال والتـا عنـــد حمـــزة أدخـــلا

أمر بإدغـام ذال إذ فى حروف الصفيـر الثلاثـة وهى الزاى والسين والصـــاد لخـلاد، نحـو إذ زين، إذ سمعتمـــوه، إذ صرفنا، كما أمر بإدغـام ذال إذ فى الدال والتاء لحمزة نحو إذ تأتيهم .

وقوله : أدخلا أى أدغمـا، والإدغام لأجل قرب ذال إذ من هذه الحروف فى المخرج (مرشد الأعزة / ٢٤، ٢٥).

كما جاء هذا البيت فى منظومة ابن برى الموسومة بالنجوم الطوالع :

وإذ لأحـــرف الصفيـــر أظهـــرا
ولهجـــاء جـــدت ليس أكثـــرا

(النجوم الطوالع / ٩٧).

(متن حرز الأمانى ووجه التهانى فى القراءات السبع للإمام الشاطبى / ٥١، وتقريب النفع فى القراءات السبع الشيخ على محمد الضباع، المطبوع فى نفس الكتاب / ٥١، وسراج القارئ المبتدى وتذكار المقرئ المنتهى لابن القـاصح العـذرى / ٩٣، ٩٤، وطيبـة النشـر فى القـراءات العشر للإمام ابن الجزرى ـ بمراجعة وتحقيق صاحب الفضيلة الشيخ على محمـد الضباع / ٢٥، ومـرشد الأعـزة إلى شرح رسـالة حمـزة نظم الشيخ محمد بن أحمد الشهير بالمتولى ـ محمد حافظ برانق، ومحمد سليمان صالح ـ حققه وراجعه فضيلة الأستاذ عبد الفتاح القاضى. الحاج إبراهيم مصطى تاج. طنطـا. الطبعة الأولى ١٣٨٤ هـ ـ ١٩٦٤ م / ٢٤، ٢٥، والنجوم الطوالع على الدرر اللوامع فى أصل مقرأ الإمام نـافع لابن برى ـ شرح الشيخ سيدى إبراهيم المارغنى المفتى المالكى بالديـار التونسية / ٩٧، ٩٨).

انظر : الذال الساكنة .

* **الذال الساكنة:**

للذال الساكنة ـ عند التقائها بحرف بعدها ــ حكمان: الإدغام أو الإظهار.

١ ـ تدغم الذال الساكنة ـ بلا غنة ـ إذا جاء بعدها حرف الظاء فى موضعين هما: ﴿إذ ظلمتم﴾[الزخرف: ٣٩] وتقرأ «إظَّلمتم» و ﴿إذ ظلموا﴾[النساء : ٦٤] وتقرأ «إظلموا ولا ثالث لهما فى التنزيل.

٢ ـ وتظهر الذال الساكنة عند بقية الأحرف: لقالون وورش إدغام الذال بالتاء فى ﴿اتخذتم﴾ تقرأ «اتختّم» أينما وقعت، وكذلك ﴿اتخذت﴾ تقرأ (اتختُّ) فى حين يقرءان «عـذت» بإظهار الذال.

أما الدورى فله: إدغام الذال الساكنة من «إذ» عندما يليها أى من الحروف الستة: «ت، ج، د، ز، س، ص» نحو ﴿إذ تبرأ﴾ [البقرة: ٢٦٦]، ﴿إذ جاءوكم﴾ [الأحزاب: ١٠]، ﴿إذ دخلت﴾ [الكهف : ٣٩]، ﴿وإذ زين﴾ [الأنفال: ٤٨]، ﴿إذ سمعتموه﴾ [النور: ١٢]، ﴿وإذ صرفنا﴾ [الأحقاف: ٢٩] وتقرأ كل منها كما يلى «إتبرأ»، «إجاءوكم»، «إدخلت»، «وإذين»، «إسَّمعتموه»، «وإصرفنا» كما أدغم الذال فى التاء فى كل من ﴿عُذت﴾ [غافر: ٢٧ والدخان: ٢٠]، و ﴿نبذتها﴾ [طه : ٩٦]، و ﴿أخذت﴾ و ﴿اتخذت﴾ حيثما وردت إفرادا أو جمعا يقرأ كلا منها كما يلى: «عت»، «نبتها»، «أخت»، «اتخت».

(حق التلاوة ــ حسنى شيخ عثمان. مكتبة الأردن. الزرقاء. الطبعة التاسعة ١٤١٠ هـ/ ١٩٩٠ م/ ١٦٠).

انظر: ذال إذ

* **ذاهب:**

من ألفاظ الجرح.

(معجم مصطلحات توثيق الحديث ـ د. على زوين/ ٣٦).

انظر مادة «الجرح والتعديل (علم ـ)» فى م ١٢/ ١٠٩ ـ ١١٦.

* **ذاهب الحديث:**

من ألفاظ الجرح.

(معجم مصطلحات توثيق الحديث ـ د. على زوين/ ٣٦).

انظر مادة «الجرح والتعديل (علم ــ)» فى م ١٢/ ١٠٩ـ١١٦.

* **ذُباب:**

ذباب: بضم الذال المعجمة، وموحدتان بينهما ألف:

قال ابن إسحاق فى الحديث عن الخروج لغزوة تبوك: وضرب عبد الله بن أبى ومن معه على حدة عسكره أسفل منه، نحو ذباب (معجم المعالم الجغرافية/ ١٣١).

يقول الأستاذ شراب:

وهو جبل أو أكمة بالمدينة يفصل بينها وبين جبل سلع ثنية الوداع، فإذا خرجت من المدينة، فسلكت ثنية الوداع ـ الشامية ــ للمتجه إلى تبوك فالأردن ــ كان ذباب على يمينك وسلع على يسارك، أقول: مع أن هذا التحديد فى العصر الحديث، إلا أنه لا يدل القارئ على المكان، لأن المعالم التى كان يظن أنها ثابتة أخذت تزول بفعل الآلات المدمرة، حيث لا يعرف أحد من شباب المدينة أين تقع ثنية الوداع، لأن الجبلين اللذين كانت تمر الثنية بينهما قد أزيلا، ولم يعد المكان يسمى بهذا الاسم، وكانت فى بداية ما يسمى اليوم شارع أبى بكر الصديق (سلطانة)، أما جبل ذباب فهو فى أول شارع عثمان بن عفان (العيون) المتفرع من سلطانة. وأكتب هذا الكلام وأنا أسكن ملاصقا له، وهو مكسو بالعمائر، ويقع ففى «حى النصر» بالمدينة (المعالم الأثيرة/ ١٢٠).

(معجم المعالم الجغرافية فى السيرة النبوية ـ عاتق بن غيث البلادى/ ١٣١، والمعالم الأثيرة فى السنة والسيرة ــ إعداد وتصنيف محمد محمد حسن شراب/ ١٢٠).

* **الذباب:**

قال الإمام النووى: الذباب معروف واحدته ذبابة وجمعه فى القلة أذبة وفى الكثرة ذبان بكسر الذال وتشديد الباء كغراب وأغربة وغربان وقراد وأقردة وقردان. قال الجوهرى قال أبو عبيد يقال أرض مذبة يعنى بفتح الميم والذال أى ذات ذباب. وقال الفراء أرض مذبوبة كما يقال أرض موحوشة أى ذات وحش قال الواحدى قال الزجاجى سمى هذا الطائر ذبابا لكثرة حركته واضطرابه (تهذيب الأسماء واللغات ٣/ ١٠٩).

وقال الراغب الأصفهانى : الذباب يقع على المعروف من الحشرات الطائرة وعلى النحل والزنابير ونحوهما .

قال الشاعر:

فهذا أوان العرض حيٌّ ذبابه

زنابيره والأزرق المتلمس

وقوله تعالى : ﴿وإن يسلبهم الذباب شيئا﴾ [الحج : ٧٣] فهو المعروف ، وذباب العين إنسانها سمى به لتصوره بهيئته أو لطيران شعاعه طيران الذباب . وذباب السيف تشبيها به فى إيذائه ، وفلان ذباب إذا كثر التأذى به . وذببت عن فلان طردت عنه الذباب ، والمذبة ما يطرد به ثم استعير لمجرد الدفع فقيل ذببت عن فلان (المفردات / ١٧٧) .

ويرد ذكر الذباب في مصنفات التراث الإسلامى فى علم الحيوان ، وعلم الطب ، وفى الطب النبوى مما نوضحه فيما يلى :

أما عن علم الحيوان فقد ذكره القزوينى فى عجائب الهوام والحشرات وخواص أجزائها فقال :

ذباب : هى أصناف كثيرة تتولد من العفونة لم يخلق لها أجفان لصغر حدقتها ومن شأن الأجفان تصقيل الحدقة من الغبار فخلق لها يدان يقومان مقام الأجفان ، فلهذا ترى الذباب على الدوام يمسح بيديه حدقتيه ، وله خرطوم يخرجها إذا أراد مص الدم ويدخلها إذا روى ، ولها بطن وفيها يجرى الصوت كما يجرى في العصب من النفخ ، ولا يقدر على المشى إذ ليس له مفصل ، وخلق رءوس أرجلها خشنة لئلا تنزلق إذا وقعت على الأشياء الملسة ، والذباب يصيد البق فلذلك لا يرى البق إلا فى الليل عند سكون الذباب : قال الجاحظ : لولا أن الذباب يأكل البق ويطلبها فى زوايا البيت لما كان لأهلها فيها قرار ، وإذا أصاب الحيوان جراحة وسقط عليها الذباب فيفضى إلى هلاكها إن لم يكن فى موضع يصل إليه فم الحيوان لأن الذباب إذ وقع على الجراحة ونمَّ عليها يتولد من ونيمها الدود ، والجراحة إذ تولد فيها الدود أهلكت ونيم الذباب على الأبيض أسود وعلى الأسود أبيض ، وونيمه ذو لونين كزرق العصفور فيظهر على كل لون ما يخالفه ... ومنها صنف يقال له ذباب الحمر كبير جدا لا يقع إلا على الحمير وصنف آخر يقال له ذباب الكلاب لا يقع إلا على الكلاب ، وصنف آخر يقال له ذباب الأسد لا يقع إلا على الأسد ، وإذا رأت بالأسد دما أو خدشا لا تنقلع عنه حتى تهلكه كما ذكرنا فى الذر مع الحية فإنه يهلكها .

(عجائب المخلوقات / ٢٩٤ ، ٢٩٥) .

وقال المظفر الرسولى نقلا عن عبد الله البيطار صاحب «الجامع لقوى الأدوية والأغذية» وقد رمز إليه بالرمز «ع» :

الذباب ألوان ، فللإبل ذباب ، وللبقر ذباب ، وللناس ذباب ، وأصله دود ، وذباب الناس يتولد من الزبل (المعتمد ١ / ١٧٧) .

وقال داود الأنطاكى : الذباب : معروف . يتولد حيث تكثر الأرواث فيكون دودا أبيض ثم يتخلق فى دون أسبوع ويقتله البرد والحر الشديدان ويهوى الحلو ويفر من الزيت ومن العشب الموسوم بقليانس والكافور والزرنيخ وهو أصناف كثيرة وأجوده الأسود والأزرق منه والأصفر (تذكرة أولى الألباب ١ / ١٦١) .

وقد بسط القول فيه الكمال الدميرى (انظر ترجمته تحت عنوان «الدميرى (كمال الدين)و فى م ١٧ / ٥٤٦ ـ ٥٤٨) ، ونتقله فيما يلى مع ما أورده ـ كعادته ـ من استطرادات مفيدة . قال رحمه الله :

الذباب : معروف ، واحدته ذبابة . . يجمع كغراب وأغربة ...

ولا يقال ذبابات إلا فى الديون قال الراجز * أو يقضى الله ذبابات الديون * وأرض مذبة بفتح الميم والذال أى ذات ذباب وقال الفراء أرض مذبوبة كما يقال أرض موحوشة أى ذات وحوش وسمى ذبابا لكثرة حركته واضطرابه وقيل لأنه كلما ذب آب وكنيته أبو حفص وأبو حكيم وأبو الحدرس والذباب أجهل الخلق لأنه يلقى نفسه فى الهلكة ... ولم يخلق للذباب أجفان لصغر أحداقها .

ومن شأن الأجفان أن تصقل مرآة الحدق من الغبار فجعل الله لها عوضا من الأجفان يدين تصقل بهما مرآة حدقتها فلهذا ترى الذباب أبدا يمسح بيديه عينيه وهو أصناف كثيرة متولدة من العفونة قال الجاحظ الذباب عند العرب يقع على الزنابير والنحل والبعوض بأنواعه كالبق والبراغيث والقمل والصؤاب والناموس والفراش والنمل والذباب المعروف عند الإطلاق

العرفى وهو أصناف النعر والقمع والخازباز والشعراء وذباب الكلاب وذباب الرياض وذبابا الكلا والذباب الذى يخالط الناس يخلق من السفاد وقد يخلق من الأجساد ويقال إن الباقلا إذ أعتق فى موضع استحال كله ذبابا وطار من الكوى التى فى ذلك الموضع ولا يبقى فيه غير القشر انتهى، روى الحاكم عن النعمان بن بشير رضى الله تعالى عنه أنه قال وهو على المنبر سمعت رسول الله ﷺ يقول «ألا إنه لم يبق من الدنيا إلا مثل الذباب تمور فى جوها فالله الله فى إخوانكم من أهل القبور فإن أعمالكم تعرض عليهم» ومعنى تمور تذهب وتجيء والجو ما بين السماء والأرض وفى مسند أبى يعلى الموصلى من حديث أنس رضى الله تعالى عنه أن النبى ﷺ قال عمر الذباب أربعون ليلة والذباب كله في النار إلا النحل وهو فى الكامل فى ترجمة : عمرو بن شقيق عن مجاهد عن ابن عمر رضى الله عنهما أنه قال قال رسول الله ﷺ : « الذباب كله فى النار إلا النحل» قيل كونه فى النار ليس بعذاب له وانما ليعذب أهل النار بوقوعه عليهم وروى النسائى والحاكم عن أبى المليح عن أبيه أسامه بن عمير بن عامر الأقيش الهذلى البصرى قال كنت رديف رسول الله ﷺ فعثر بعيرنا فقلت تعس الشيطان فقال ﷺ «لا تقل تعس الشيطان فإنه يعظم حتى يصير مثل البيت ويقول بقوته ولكن قل بسم الله فانه يصغر حتى يصير مثل الذبابه» ورواه أبو داود عن أبى المليح عن رجل قال: كنت رديف رسول الله ﷺ فعثرت دابته فقلت إلخ ورواه ابن السنى كما رواه النسائى والحاكم وصرح فيه بأن أبا المليح رواه عن أبيه أسامة بن مالك وكلتا الروايتين صحيحة فإن الرجل المجهول فى رواية أبى داود صحابى والصحابة كلهم عدول لا تضر الجهالة بأعيانهم وقال الإمام العلامة الذهبى الرجل المجهول المبهم أبو عزة ورواه خالد الحذاء عن أبى تميمة الهجيمى عن أبيه خالد قال كنت رديفا للنبى ﷺ فعثرت الناقة فقال إلى آخره، كذا هو فى أسد الغابة فى ذكر المنسوبين إلى القبائل وأما قوله «تعس» فقيل معناه هلك وقيل سقط وقيل عثر وقيل لزمه الشر وتعس بفتح العين وكسرها والفتح أشهر ولم يذكر الجوهرى غير الفتح وروى الطبرانى وابن أبى الدنيا حديث أبى أمامة رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال: « وكل بالمؤمن مائة وستون ملكا يذبون عنه ما لم يقدر عليه فمن ذلك سبعة أملاك يذبون عنه كما يذب عن قصعة العسل الذباب فى اليوم الصائف ولو بدوا لكم لرأيتموهم على كل سهل وجبل كل باسط يديه فاغر فاه ولو وكل العبد إلى نفسه طرفة عين لاختطفته الشياطين . والعرب تجعل الذباب والفراش والنحل ونحوها كلها واحدا وجالينوس يقول إنه ألوان فللإبل ذباب وللبقر ذباب وأصله دود صغار يخرج من أبدانهن فيصير ذبابا وزنابير.

وذباب الناس يتولد من الزبل ويكثر الذباب إذا هاجت ريح الجنوب ويخلق فى تلك الساعة وإذا هبت ريح الشمال خف وتلاشي وهو من ذوات الخراطيم كالبعوض انتهى ومن عجيب أمره أنه يلقى رجيعه على الأبيض أسود وعلى الأسود أبيض ولا يقع على شجرة اليقطين ولذلك أنبتها الله على نبيه يونس عليه الصلاة والسلام لأنه حين أخرج من بطن الحوت لو وقعت عليه ذبابة لآلمته فمنع الله عنه الذباب بذلك فلم يزل كذلك حتى تصلب جسمه ولا يظهر كثيرا إلا فى الأماكن العفنة ومبدأ خلقه منها ثم من السفاد.

وهو من الحيوانات الشمسية لأنه يختفى شتاء ويظهر صيفا وما أحسن قول أبى العلاء المعرى ووفاته سنة تسع وأربعين وأربعمائة.

يا طالب الرزق الهنى بقوة
هيهات أنت بباطل مشغوف
رعت الأسود بقوة جيف الفلا
ورعى الذباب الشهد وهو ضعيف

ولمحمد الأندلسى فى المعنى:

مثل الرزق الذى تطلبه
مثل الظل الذى يمشى معك
أنت لا تدركه متبعا
وإذا وليت عنه تبعك

وفى المعنى أيضا لأبى الخير الكاتب الواسطى:

جرى قلم القضاء بما يكون
فسيان التحرك والسكون
جنون منك أن تسعى لرزق
ويرزق فى غشاوته الجنين

وقد أجاد الأمير سيف الدين على بن فليح الظاهرى فى التحذير من احتقار العدو بقوله:

لا تحقرن عدوا لان جانبه
وإن تراه ضعيف البطش والجلد
فللذبابة في الجرح المديد يد
تنال ما قصرت عنه يد الأسد

وفي تاريخ ابن خلكان في ترجمة الإمام يوسف بن أيوب ابن زهرة الهمذاني الزاهد صاحب المقامات والكرامات والأحوال الظاهرات أنه جلس يوما للوعظ فاجتمع إليه العالم فقام من بينهم فقيه يعرف بابن السقاء وآذاه وسأله عن مسألة فقال له الإمام يوسف اجلس فإني أجد من كلامك رائحة الكفر ولعلك أن تموت على غير دين الإسلام فقدم رسول ملك الروم إلى الخليفة فخرج ابن السقاء مع الرسول إلى القسطنطينية فتنصر ومات نصرانيا. وكان ابن السقاء قارئا للقرآن محمودا في تلاوته وحكى من رآه بالقسطنطينية قال رأيته مريضا ملقى على دكة وبيده مروحة يدفع بها الذباب عن وجهه فقلت له هل القرآن باق على حفظك فقال ما أذكر منه إلا آية واحدة وهي ﴿ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين﴾ [الحجر : ٢] والباقي أنسيته اهـ. نعوذ بالله من سخطه وخذلانه ونسأله حسن الخاتمة. فانظر يا أخي كيف هلك هذا الرجل وخذل بالانتقاد وترك الاعتقاد نسأل الله السلامة فعليك يا أخي بالاعتقاد وترك الانتقاد على المشايخ العارفين والعلماء العاملين والمؤمنين الصالحين فإن حرابهم مسمومة فقلَّ من تعرض لهم وسلم فسلِّم تسلم ولا تنتقد تندم واقتد بإمام العارفين ورأس الصديقين وعلامة العلماء العاملين في وقته الشيخ محيي الدين عبد القادر الكيلاني رحمه الله تعالى لما عزم على زيارة قطب الغوث بمكة وقال رفيقاه ما قالا فقال أما أنا فذاهب على قدم الزيارة والتبرك لا على قدم الإنكار والامتحان فآل أمره إلى أن قال قدمي هذا على رقبة كل ولي وآل أمر أحد رفيقيه إلى الكفر وترك الإيمان بالانتقاد وترك الاعتقاد كما اتفق في هذه الحكاية وآل أمر الآخر إلى اشتغاله بالدنيا وتركه خدمة المولى لقلة التوفيق فنسأل الله التوفيق والهداية والإماتة على الإيمان به وبرسوله والاعتقاد الحسن في أوليائه وأصفيائه بمحمد وآله. حدث يحيى بن معاذ أن أبا جعفر المنصور كان جالسا فألحَّ على وجهه ذباب حتى أضجره فقال انظروا من بالباب فقالوا مقاتل بن سليمان فقال عليَّ به فلما دخل عليه قال له هل تعلم لماذا خلق الله الذباب؟ قال نعم ليذل به الجبابرة فسكت المنصور. ومقاتل ابن سليمان مشهور بتفسير كتاب الله العزيز وأخذ الحديث عن جماعة قال الإمام الشافعي رضي الله عنه الناس كلهم عيال على ثلاثة على مقاتل بن سليمان في التفسير وعلى زهير بن أبي سلمى في الشعر وعلى أبي حنيفة في الفقه قعد مقاتل بن سليمان يوما فقال سلوني عما دون العرش فقال له رجل. آدم عليه الصلاة والسلام لما حج أول حجة حجها من حلق رأسه؟ فقال ليس هذا من علمكم ولكني ابتليت لما أعجبتني نفسي. وقيل إنه قيل له الذرة أو النملة أمعاؤها في مقدمها أو مؤخرها فلم يدر ما يقول فكانت عقوبة عوقب به وأنشد أبو عمرو بن العلاء في هذا المعنى.

من تحلى بغير ما هو فيه
فضحته شواهد الامتحان

والعلماء مختلفون فيه فمنهم من وثقه ومنهم من كذبه وترك حديثه قيل إنه كان يتكلم في الصفات بما لا تحل الرواية عنه وقيل إنه كان يأخذ عن اليهود والنصارى علم القرآن الذي يوافق كتبهم وكان مشبها قال ابن خلكان وغيره وهذا لا أعتقد صحته وتوفي مقاتل بن سليمان في سنة خمس وخمسين ومائة.

وفي مناقب الإمام الشافعي أن المأمون سأله فقال لأي شيء خلق الله الذباب فقال مذلة للملوك فضحك المأمون وقال رأيته وقد وقع على جسدي فقال نعم ولقد سألتني عنه وما عندي جواب فلما رأيته قد سقط منك بموضع لا يناله منك أحد فتح الله لي فيه بالجواب فقال لله درك وفي شفاء الصدور وتاريخ ابن النجار مسندا أن النبي ﷺ كان لا يقع على جسده ولا ثيابه ذباب أصلا.

الحكم: كل أنواعه يحرم أكلها وفيه وجد أنه يحل حكاه الرافعي وقال المادي من الفقهاء من أباح الذباب المتولد من مأكول كالفول ونحوه ولعل قائل هذا القول هو الذي يقول بإباحة المتولد من الفواكه.

فرع: قال في الإحياء في أول كتاب الحلال والحرام لو وقعت ذبابة أو نملة في قدر طبيخ وتهرت أجزاؤها لم يحرم أكل ذلك الطبيخ لأن تحريم أكل الذباب والنمل ونحوهما إنما كان للاستقذار ولا يعد هذا مستقذرا قال ولو وقع فيه جزء

من لحم آدمى ميت لم يحل أكل ذلك الطبيخ حتى لو كان لحم الآدمى وذن دانق حرم الطبيخ لا لنجاسته فإن الآدمى الميت طاهر على الصحيح خلافا لأبى حنيفة ولكن لأن أكل لحم الآدمى حرام لحرمته لا لاستقذاره بخلاف الذباب هذا كلام الغزالى رحمه الله تعالى قال فى شرح المهذب الصحيح المختار أنه لا يحرم أكل الطبيخ فى مسألة لحم الآدمى لأنه صار مستهلكا فهو كالبول وغيره إذا وقع فى قلتين من الماء فإنه يجوز استعمال جميعه لأن البول صار باستهلاكه كالعدم

وروى البخارى وأبو داود والنسائى وابن ماجه وابن خزيمة وابن حبان أن النبى ﷺ قال: إذا وقع الذباب فى إناء أحدكم فليمقله فإن فى أحد جناحيه داء وفى الأخر دواء وإنه يتقى بجناحه الذى فيه الداء وفى رواية النسائى وابن ماجه أن أحد جناحى الذباب سم والآخر شفاء فاذا وقع فى الطعام فامقلوه فإنه يقدم السم ويؤخر الشفاء قال الخطابى وقد تكلم على هذا الحديث بعض من لا خلاق له وقال كيف يكون هذا وكيف يجتمع الداء والشفاء. فى جناحى ذبابة وكيف تعلم ذلك من نفسها حتى تقدم جناح الداء وتؤخر جناح الشفاء وما أداها إلى ذلك قال وهذا سؤال جاهل أو متجاهل فإن الذى يجد نفسه ونفس سائر الحيوانات قد جمع فيها بين الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة وهى أشياء متضادة إذا تلاقت تفاسدت ثم يرى أن الله قد ألف بينها وقهرها على الاجتماع وجعل منها أقوى الحيوان التى منها بقاؤه وصلاحه لجدير أن لا ينكر اجتماع الداء والشفاء فى جزأين من حيوان واحد، وأن الذى ألهم النحلة أن تتخذ البيت العجيب الصنعة وتعسل فيه وألهم الذرة أن تكتسب قوتها وتدخره لأوان حاجتها إليه هو الذى خلق الذبابة وجعل لها الهداية إلى أن تقدم جناحا وتؤخر جناحا لما أراده من الابتلاء الذى هو مدرجة التعبد والامتحان الذى هو مضمار التكليف وله فى كل شىء حكمة وعنوان وما يذكر إلا أولو الألباب انتهى (حياة الحيوان الكبرى ١ / ٣١٨-٣٣١).

قالت المؤلفة: أخرج الحافظ السيوطى فى الجامع الصغير من رواية البخارى وابن ماجه عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «إذا وقع الذباب فى شراب أحدكم فليغمسه ثم لينزعه، فإن فى إحدى جناحيه داء وفى الأخرى شفاء» (الجامع الصغير ١ / ٣٧).

وقد أفرد له الإمام ابن قيم الجوزية فصلا فى هديه ﷺ فى إصلاح الطعام الذى يقع فيه الذباب وإرشاده إلى دفع مضرات السموم بأضدادها جاء فيه ما يلى: فى الصحيحين من حديث أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «إذا وقع الذباب فى إناء أحدكم فامقلوه فإن فى أحد جناحيه داء وفى الآخر شفاء». وفى سنن ابن ماجه عن أبى سعيد الخدرى أن رسول الله ﷺ قال: «أحد جناحى الذباب سم والآخر شفاء، فإذا وقع فى الطعام فامقلوه فإنه يقدم السم ويؤخر الشفاء».

هذا الحديث فيه أمران: أمر فقهى وأمر طبى. فأما الفقهى فهو دليل ظاهر الدلالة جدا على أن الذباب إذا مات فى ماء أو مائع فإنه لا ينجسه وهذا قول جمهور العلماء، ولا يعرف فى السلف مخالف فى ذلك. ووجه الاستدلال به أن النبى ﷺ أمر بمقله وهو غمسه فى الطعام، ومعلوم أنه يموت من ذلك ولا سيما إذا كان الطعام حارا، فلو كان ينجسه لكان أمرا بإفساد الطعام وهو ﷺ إنما أمر بإصلاحه ثم عدّى هذا الحكم إلى كل ما لا نفس له سائلة كالنحلة والزنبور والعنكبوت وأشباه ذلك إذ الحكم يعم بعموم علته وينتفى لانتفاء سببه، فلما كان سبب التنجيس هو الدم المحتقن فى الحيوان بموته، وكان ذلك مفقودا فيما لا دم له سائل، انتفى الحكم بالتنجيس لانتفاء علته، ثم قال: «من لم يحكم بنجاسة عظم الميتة إذا كان هذا ثابتا فى الحيوان الكامل مع ما فيه من الرطوبات والفضلات وعدم الصلابة، فثبوته فى العظم الذى هو أبعد عن الرطوبات والفضلات واحتقان الدم أولى، وهذا فى غاية القوة، فالمصير إليه أولى. وأول من حفظ عنه فى الإسلام أنه تكلم بهذه اللفظة فقال: «ما لا نفس له سائلة» إبراهيم النخعى رضى الله عنه، وعنه تلقاها الفقهاء، والنفس فى اللغة يعبر بها عن الدم، ومنه نفست المرأة بفتح النون إذا حاضت، ونُفست بضمها إذا ولدت.

وأما المعنى الطبى فقال أبو عبيد: معنى «أمقلوه» اغمسوه ليخرج الشفاء منه كما خرج الداء، يقال للرجلين هما يتماقلان إذا تغاطا فى الماء.

واعلم أن للذباب عندهم قوة سمية يدل عليها الورم والحكة العارضة عن لسعه، وهى بمنزلة السلاح، فإذا سقط فيما يؤذيه اتقاه بسلاحه، فأمر النبى ﷺ أن يقابل تلك السمية بما أودعه الله سبحانه فى جناحه الآخر من الشفاء فيغمس كله

فى الماء والطعام فيقابل المادة السمية المادة النافعة فيزول ضررها. وهذا طب لا يهدى إليه كبار الأطباء وأئمتهم، بل هو خارج من مشكاة النبوة. ومع هذا فالطبيب العالم العارف الموفق يخضع لهذا العلاج ويقر لمن جاء به بأنه أكمل الخلق على الإطلاق، وأنه مؤيد بوحى إلهى خارج عن القوى البشرية. وقد ذكر غير واحد من الأطباء أن لسع الزنبور والعقرب إذا دلك موضعه بالذباب نفع منه نفعا بينا وسكّنه، وما ذلك إلا للمادة التى فيه من الشفاء (زاد المعاد ٣/ ٩٩، ١٠٠).

ونعود إلى الكمال الدميرى لنستكمل ما بدأناه عن الذباب. قال رحمه الله:

وقد تأملت الذباب فوجدته يتقى بجناحه الأيسر وهو مناسب للداء كما أن الأيمن مناسب للدواء وقد استفيد من الحديث أنه إذا وقع فى المائع لا ينجسه لأنه ليس له نفس سائلة هذا هو المشهور وفى قول ينجسه كسائر الميتات النجسة وفى ثالث مخرج أن ما يعم وقوعه كالذباب والبعوض لا ينجس وما لا يعم كالخنافس والعقارب ينجس وهو متجه لا محيد عنه ومحل الخلاف فى ميتة أجنبية أما الناشىء منه كدود الفواكه والجبن والخل فلا ينجس ما مات فيه بلا خلاف كذا قاله الشيخان وابن الرفعة وحكى الدارمى فى المسألة ثلاثة أوجه ثالثها الفرق بين الكثير والقليل ومحل ذلك ما لم يتغير به لكثرته فإن كثر وتغير به فالأصح أنه ينجسه ومحله أيضا إذا وقع فيه بنفسه فإذا طرح فيه ضر.

فرع: لو وقع الزنبور أو الفراش أو النحل وأشباه ذلك فى الطعام هل يؤمر بغمسه لعموم قوله ﷺ «إذا وقع الذباب فى أناء أحدكم» الحديث وهذه الأنواع كلها يقع عليها اسم الذباب فى اللغة كما تقدم نقله عن الجاحظ وغيره وقد قال على رضى الله تعالى عنه فى العسل إنه مذقة ذبابة، وروى الذباب كله فى النار إلا النحل كما سبق فسمى الكل ذبابا وإذا كان كذلك فالظاهر وجوب حمل الأمر بالغمس على الجميع إلا النحل فإن الغمس قد يؤدى إلى قتله وهو حرام.

الأمثال قال الله تعالى: **﴿يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له﴾** [الحج: ٧٣] معنى ضرب أثبت وألزم نحو **﴿ضربت عليهم الذلة﴾** [البقرة: ٦١] وضربت عليهم الجزية ويحتمل أن يكون من الضريب الذى هو المثل وهذا المثل من أبلغ ما أنزل الله تعالى فى تجهيل قريش ... والشهادة على أن الشيطان خدعهم حيث وصفوا بالإلهية التى تقتضى الاقتدار المقدورات كلها والإحاطة بالمعلومات عن آخرها صورا وتماثيل وأدل من ذلك على عجزهم وإنتفاء قدرتهم أن هذا الخلق الأذل الأقل لو اختطف منهم شيئا فاجتمعوا على أن يستخلصوه منه لم يقدروا وعن ابن عباس رضى الله عنهما أن الأصنام كانت ثلثمائة وستين صنما حول الكعبة وكانوا يضمخونها بأنواع الطيب ويطلون رؤوسها بالعسل وكان الذباب يذهب بذلك وكانوا يتألمون من هذه الجهة فجعلت مثلا وقالوا أجرأ من ذبابة وأهون من ذبابة وأطيش وأخطأ من الذباب لأنه يلقى نفسه فى الشيء الحار والشيء الذى يلتصق به ولا يمكنه التخلص وقالوا أوغل من ذباب قال الشاعر:

أوغل فى التطفيل من ذباب ... *على طعام وعلى شراب*

لو أبصر الرغفان فى السحاب ... *لطار فى الجو بلا حجاب*

قال أبو عبيد كان رجل من أهل الكوفة يقال له طفيل بن دلال من بنى عبد الله بن غطفان وكان يأتى الولائم من غير أن يدعى إليها وكان يقال له طفيل الأعراس وكان أول رجل لابس هذا العمل فى الأمصار فصار مثلا ينسب إليه كل من يقتدى به وقالوا أزهى من ذبابة وقال أصابه ذباب لادغ يضرب لمن نزل به شر عظيم يرق له من سمعه وقالوا ما يساوى متك ذباب يضرب للشيء الحقير والمتك العرق الذى فى باطن الذكر وهو كالخيط فى باطنه على خلقة العجان وفى كتاب النصائح لابن ظفر قال: رأيت فى أخبار بعض الملوك أن وزيره أشار عليه بجمع الأموال وادخارها وقال إن الرجال وإن تفرقوا عنك اليوم متى احتجتهم عرضت عليهم الأموال فتهافتوا عليك فقال هل لهذا من شاهد قال نعم هل بحضرتنا الساعة ذباب قال لا فأمر الوزير بجفنة فيها عسل فأحضرت فتساقط عليها الذباب فاستشار الملك بعض خواص أصحابه فنهاه عن ذلك وقال لا تغير قلوب الرجال فليس كل وقت أردتهم يحضرون فقال فهل لذلك من دليل قال نعم إذا أمسينا أخبرتك فلما أظلم الليل

قال للملك أحضر جفنة العسل فأحضرت فلم تحضر ذبابة فرجع الملك عن رأيه الأول .

الخواص : قال الجاحظ إذا ضرب اللبن بالكندس ونضح به البيت لم يدخله ذباب ...

التعبير: الذباب في المنام خصم ألد وجيش ضعيف وربما دل اجتماعه على الرزق الطيب وربما دل على الداء للحديث المتقدم وربما دلت رؤيته على الأعمال السيئة والوقوع فيما يوجب التقريع لقوله تعالى **﴿إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له﴾** إلى قوله **﴿ضعف الطالب والمطلوب﴾** [الحج : ٧٣] .

(حياة الحيوان الكبرى ١ / ٣١٢ـ٣٢٣) .

وعن طرد الذباب يقول العالم ابن النفيس : يقتلها الزرنيخ وحده، أو باللبن، ودخانه، ودخان الكندر، وطبيخ الخربق الأسود (الموجز في الطب / ٣٢٢) .

(تهذيب الأسماء واللغات للإمام محيي الدين بن شرف النووي ٣ / ١٠٨، والمفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني ــ تحقيق وضبط محمد سيد كيلاني / ١٧٧ ، وعجائب المخلوقات وغرائب الموجودات للقزويني / ٢٩٤، ٢٩٥ ، والمعتمد في الأدوية المفردة للمظفر الرسولي ـ صححه وفهرسه مصطفى السقا ١ / ١٧٧ ، وتذكره أولى الألباب لداود ابن عمر الأنطاكي ١ / ١٦١ ، وحياة الحيوان الكبرى للشيخ كمال الدين الدميري ١ / ٣١٨ ـ ٣٣١ ، والجامع الصغير للحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي ١ / ٣٧، وزاد المعاد في هدى خير العباد للإمام ابن قيم الجوزية ٣ / ٩٩، ١٠٠ ، والموجز في الطب لابن النفيس ـ تحقيق الأستاذ عبد الكريم الغرباوي، مراجعة د. أحمد عمار / ٣٢٢. انظر أيضا الطب النبوي للحافظ أبي عبد الله محمد بن أحمد الذهبي ــ قدم له وخرج آياته الشيخ قاسم الشماعي الرفاعي / ٨٨، ٨٩، ومعجم التداوي بالأعشاب والنباتات الطبية للإمام الحافظ شمس الدين أبي عبد الله بن قيم الجوزية / ٤٠) .

*** ذباب بن الحارث:**

قال عنه شيخ الإسلام الحافظ ابن حجر:

ذباب : بموحدتين الأولى خفيفة وضم أوله ابن الحارث بن عمرو بن معاوية بن الحارث بن ربيعة بن بلال بن أنس الله بن سعد العشيرة المذحجي ... روى ابن شاهين من طريق ابن الكلبي حدثنا الحسن بن كثير حدثني يحيى بن هانئ بن عروة عن أبي خيثمة عبد الرحمن بن أبي سبرة قال كان لسعد العشيرة صنم يقال له قراص يعظمونه وكان سادنه رجلا منهم يقال له ابن وقشة قال عبد الرحمن فحدثني ذباب بن الحارث قال كان لابن وقشة رئيس من الجن يخبره بما يكون فأتاه ذات يوم فأخبره بشيء فنظر إليَّ فقال يا ذباب يا ذباب يا ذباب اسمع العجب العجاب بعث محمد بالكتاب يدعو بمكة فلا يجاب قال فقلت له ما هذا قال لا أدرى كذا قيل لي فلم يكن إلا قليل حتى سمعنا بمخرج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فأسلمت وسرت إلى الصنم فكسرته ثم أتيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فأسلمت وقال ذباب في ذلك :

تبعت رسول الله إذ جاء بالهدى
وخلفت قراصا بدار هوان
ولما رأيت الله أظهر دينه
أجبت رسول الله حين دعاني

وأخرجه ابن منده في دلائل النبوة له من هذا الوجه وأغفله في الصحابة فاستدركه أبو موسى . قلت ورواه المعافى في الجليس عن ابن دريد بإسناد آخر قال حدثنا السكن بن سعيد عن عباس بن هشام بن الكلبي عن أبيه وذكره البيهقي في الدلائل معلقا . وروى ابن سعد عن ابن الكلبي عن أبيه عن سلمة بن عبد الله بن شريك النخعي عن أبيه قال كان عبد الله ابن ذباب الأنسي مع علي بصفين وكان له غناء . .

(الإصابة في تمييز الصحابة لشيخ الإسلام الحافظ ابن حجر العسقلاني ٢٠/ ١٧٠، ١٧١) .

***الذبح:**

قال الراغب الأصفهاني :

ذبح : أصل الذَّبح شق حلق الحيوانات والذِّبح المذبوح، قال تعالى : **﴿وفديناه بذبح عظيم﴾** [الصافات : ١٠٧] وقال **﴿إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة﴾** [البقرة : ٦٧] وذبحت الفارة شققتها تشبيها بذبح الحيوان، وكذلك ذبح الدن، وقوله : **﴿يُذبِّحون أبناءكم﴾** [البقرة : ٤٩] على التكثير أي يذبح بعضهم أثر بعض . وسعد الذابح اسم نجم، وتسمى الأخاديد من السيل مذابح .

(المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني ــ تحقيق وضبط محمد سيد كيلاني / ١٧٧) .

انظر : الذبيحة

* **الذبح لغير الله عز وجل:**

الكبيرة الثامنة والخمسون من الكبائر السبعين التى أحصاها الإمام الذهبى وقال عنها: مثل أن يقول باسم الشيطان أو الصنم، باسم الشيخ فلان. قال الله تعالى: **﴿ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه﴾** [الأنعام: ١٢١]. قال ابن عباس: يريد الميتة والمنخنقة إلى قوله **﴿وما ذبح على النصب﴾** وقال الكلبى: ما لم يذكر اسم الله عليه أو يذبح لغير الله تعالى. وقال عطاء: ينهى عن ذبائح كانت تذبحها قريش والعرب على الأوثان وقوله تعالى: **﴿وإنه لفسق﴾** [الأنعام: ١٢١] يعنى وإن كل ما لم يذكر اسم الله عليه من الميتة فسق أو خروج عن الحق والدين **﴿وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ليجادلوكم﴾** [الأنعام: ١٢١] أى يوسوس الشيطان لوليه فيلقى فى قلبه الجدال بالباطل وهو إن المشركين جادلوا المؤمنين فى الميتة، قال ابن عباس: أوحى الشيطان إلى أوليائه من الإنس كيف تعبدون شيئا لا تأكلون ما يقتل وأنتم تأكلون ما قتلتم؟ فأنزل الله هذه الآية **﴿وإن أطعتموهم﴾** يعنى فى استحلال الميتة **﴿إنكم لمشركون﴾** [الأنعام: ١٢١] قال الزجاج وفى هذا دليل على أن كل من أحل شيئا مما حرم الله أو حرم شيئا مما أحل الله فهو مشرك.

فإن قيل: كيف أبحتم ذبيحة المسلم إذا ترك التسمية والآية كالنص فى التحريم؟ قلت أن المفسرين فسروا ما لم يذكر اسم الله عليه فى هذه الآية بالميتة ولم يحمله أحد على ذبيحة المسلم إذا ترك التسمية وفى الآية أشياء تدل على أن الآية فى تحريم الميتة ومنها قوله **﴿وإنه لفسق﴾** ولا يفسق آكل ذبيحة المسلم التارك للتسمية.

ومنها قوله تعالى: **﴿وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ليجادلوكم﴾** والمناظرة إنما كانت فى الميتة بإجماع من المفسرين لا فى ذبيحة تارك التسمية من المسلمين. ومنها قوله تعالى: **﴿وإن أطعتموهم أنكم لمشركون﴾** والشرك فى استحلال الميتة لا فى استحلال الذبيحة التى لم يذكر اسم الله عليها.

وقد أخبرنا أبو منصور بإسناده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال سأل رجل رسول الله ﷺ فقال: أرأيت الرجل منا يذبح وينسى أن يسمى الله تعالى فقال النبى ﷺ «اسم الله على فم كل مسلم» (رواه الطبرانى فى الأوسط وفيه مروان بن سالم الغفارى وهو متروك اهـ مجمع الزوائد).

وأخبرنا أبو منصور أيضا بإسناده عن ابن عباس أن النبى ﷺ قال: «يكفيه اسمه، وإن نسى يسمى حين ذبح فليسم ويذكر الله ثم ليأكل»

(رواه الدارقطنى وفيه راو سيء الحفظ وهو محمد بن سنان صدوق ضعيف الحفظ ورواه عبد الرزاق بسند صحيح إلى ابن عباس موقوفا عليه من كلامه اهـ من بلوغ المرام وشرحه سبل السلام).

وأخبرنا عمرو بن أبى عمرو بإسناده عن عائشة رضى الله عنها أن قوما قالوا: يارسول الله أن قوما يأتون باللحم لا ندرى أذكر اسم الله عليه أم لا؟؛ فقال رسول الله ﷺ «سموا عليه وكلوا» هذا آخر كلام الواحدى رحمه الله وقد تقدم قوله ﷺ «لعن الله من ذبح لغير الله» (رواه مالك والبخارى رحمه الله كما فى بلوغ المرام للحافظ ابن حجر وشرحه سبل السلام لأمير المؤمنين الصنعانى رحمه الله تعالى).

(الكبائر للإمام أبى عبد الله محمد شمس الدين الذهبى. ط دار الكتب الأزهرية. القاهرة ١٤٠٤ هـ ـ ١٩٨٤ م / ١٦٨ ـ ١٧٠، وط دار التراث العربى ـ القاهرة ١٤٠٢ هـ ـ ١٩٨٢ م / ١٦٤، ١٦٥).

* **الذُّبحانى:**

قال السمعانى:

الذبحانى: بضم الذال المعجمة وسكون الباء المنقوطة بواحدة وفتح الحاء المهملة وفى آخرها النون، هذه النسبة إلى ذبحان هو بطن من رعين فيما أظن، والمشهور بالانتساب إليه عبيد بن عمرو بن صالح بن ذبحان الرعينى ثم الذبحانى شهد فتح مصر، ذكره فى كتبهم.

وعبد الملك بن عمر بن جابر الرعينى ثم الذبحانى، حدث عنه سليمان بن عبد الله بن أبى فاطمة، مات سنة خمس وسبعين ومائة ـ قاله ابن يونس.

وأبو عمر طاهر بن أبى معاوية واسمه إياد بن الحمير الذبحانى، حكى عنه ابنه أبو حمير، وهو يروى عن المفضل ابن فضالة ـ قاله ابن يونس.

وأياد بن طاهر بن إياد الرعينى ثم الذبحانى، يكنى

أبا حمير، كتبت عنه من حفظه، توفى سنة أربعة وثلاثمائة، وهو من ولد بنات المفضل بن فضالة ـ قاله ابن يونس.

(الأنساب للسمعانى ـ تقديم وتعليق عبد الله عمر البارودى ٣ / ٦).

* **الذُّبحة** Angina:

مما يرد فى مصنفات التراث الإسلامى فى علم الطب. ضبطها صاحب كتاب التنوير بضم الذال حيث أوردها فى عرض الخوانيق، إذ ذكر أن الذبحة أحد أنواعه (كتاب التنوير/ ٢٣)

وقد بسط القول فى هذا المرض الطبيب القيروانى ابن الجزار (انظر ترجمته فى حرف الجيم فى م ١٢ / ١٤٧، ١٤٨) فشخص الداء ووصف الدواء، قال رحمه الله فى الباب الأول من المقالة الثالثة عن الذبحة:

إنه ربما انحدرت من الرأس فضلة فتصير إلى الحنجرة، فيعرض من ذلك الذبحة، فربما قتلت من يومها أو الثانى أو الثالث. وهو من الأمراض الحادة القاتلة سريعا. وإنما سميت بهذا الاسم لأنها تخنق الإنسان بغتة، فيعرض له من ذلك شدة النفس وضيقه حتى إنه ربما امتنع العليل من الطعام والشراب. فإن أكل أو شرب فقليل نزر. وهذه الفضلة المنحدرة إلى الحنجرة قد تكون دموية أو صفراوية، وربما كانت بلغمية غليظة لزجة أو بلغما مالحا لطيفا، وليس يعرض هذا الورم من فضلة مرة سوداء لأن هذه العلة من العلل الحادة السريعة الاهتياج كما بينا فى الابتداء. والمرَّة السوداء لا يستحكم ورمها إلا فى زمن طويل. فلذلك لا يكون هذا الداء من المرة السوداء. والتنفس الخاص بأصحاب الذبحة هو الطويل، والعلة على طول تنفسهم ضيق مواضع الحلق والحنجرة فيهم وإنهم لا يقدرون أن يستنشقوا بسرعة من الهواء بمقدار يحتاجون إليه. فإذا لم يقدروا على ذلك ضاق نفسهم وكان استنشاقهم له فى مدة أطول. ومن أجل ذلك صار قصر النفس فى أصحاب الذبحة دلالة محمودة، وليس محمودا إذا كان التنفس فى أصحاب الذبحة يكون فى مدة طويلة كما بينا. وقد ذكر جالينوس عند تفسيره كتاب أبقراط فى تقدمة المعرفة أن أردأ أصناف الذبحة التى يبلغ من شدتها أن يضطر المريض إلى الانتصاب، وما كان الألم فيه شديدا ولم يظهر معه فى الحلق ولا فى الرقبة (عرض من الأعراض) وأقل من هذه الأصناف رداءة الأصناف التى لا يعسر معها التنفس، لكن الألم يكون شديدا مع الورم فى الحلق والرقبة وحمرتها، وأقل من هذه أيضا رداءة فى الدرجة الثالثة التى لا يكون الألم فيها شديدا ولا صعبا ولا يعسر فيها التنفس، وما كانت هذه حالها من الذبحة، والحنجرة فيها سليمة من العلة، وإنما اجتماع المادة فيها فى الحلق وفى الرقبة أو فيهما جميعا. وقد ينبغى لنا أن نذكر البرهان الدال على معرفة الخلط المتولد منه هذه العلة، فنقول إنه متى عرض هذا الداء من قبل الدم، فإن العليل يكون ممتلىء البدن محمر الوجه، دارّ العروق. وقد يكون ضربان عروقه ممتليا شديدا ويرى الورم حارا أحمر ويخيل للمريض أنه يجد فى حلقه شبيها بطعم الشراب الشديد وأن تدبيره فيما سلف تدبير تولد الدم. وإن عرض من فضل مرة صفراء، وجد العليل غما شديدا مع حدة وجع وعطش وحر شديد مع تدخن فى الحلق. وتكون عروقه ضامرة شديدة الضربان. وإن كان من فضل بلغم لزج لم يوجد فيه شىء مما وصفنا، إلا أنه يورم لذلك لسانه ويسترخى ويكون وجعه لينا. وإن كان من قبل بلغم مالح، وجد العليل فى فيه طعم الملح المر، ويكون صوته مثل صوت جراء الكلاب. فإذا أردنا أن نعالج من به هذا الداء، نظرنا. فإن كانت العلة متولدة من قبل الدم ودل على ذلك البرهان الذى ذكرنا، أمرنا العليل بفصد القيفال ويخرج له من الدم على مقدار قوته، وذلك إن أمكن الزمان والسن والبلد. ولأبقراط فى كتاب أبيديميا فصل قال فيه الذبحة والرمد ينبغى أن يفصد صاحبهما العرق. وقال جالينوس فى تفسيره لهذا الفصل إن من البين أن أبيقراط إنما يأمرنا بالفصد بحسب ما توجبه هاتان العلتان إذا كانت القوة محتملة له. وذلك أن الذى يدلنا على أنه ينبغى أن يستعمل الفصد أمران، أحدهما عظم العلة، والآخر مقدار القوة واحتمالها. والذبحة من الأمراض العظيمة دائما. وإن تبين لنا أن الدم مستويا بمرة صفراء، فينبغى لنا أن نلين الطبيعة بمطبوخ متخذ من الخيار شنبر والترنجبين الخراسانى والتمر الهندى والعناب ونوّار بنفسج وما أشبه ذلك... وتلين الطبيعة بحقنة متخذة من نوار البنفسج وبزر الخطمى واليابونج والإجاص والعناب وما أشبه ذلك. وإن رأينا أن حدة الصفراء قد انكسرت وخرجت بالإسهال، أمرنا

عند ذلك بفصد القيفال حتى يخرج ما حرقت الصفراء من الدم لأنها تسلك معه في مجاريه بخفتها ولطافتها. فإذا نحن فصدنا العرق وأخرجنا الدم بعد إخراجنا المرة الصفراء بالإسهال اللطيف أو بتسكينها بالأدوية الباردة. فإن لم يمكن الإسهال وتبين لنا أن مادتها قد انقطعت، رجعنا عند ذلك إلى نفس العضو الذى فيه الورم، فنعالجه بالأدوية النافعة له ونجعل ما نعالجه به في ابتداء الوجع بما يردع المادة الحادة المنحلبة إلى الحنجرة.

ويقوى ذلك العضو مثل أن يغرغر برب التوت وحده أو مع لسان الحمل أو نمرس نخالة الشعير فى خل خمر ثم يصفى ويؤمر العليل أن يتغرغر بها أو بماء قد طبخ فيه جلنار أو ورد أو سماق أو عفص أو عدس أو ماء عنب الثعلب أو ماء البزر قطونا الرطب وما أشبه ذلك من الأدوية القابضة المردعة. فإذا نحن فعلنا هذا فى الابتداء وتبين لنا أن المادة ارتدعت عن التحلب من العضو الذى فيه العلة، أخذنا عند ذلك فى تحليل تلك الفضلة من العضو وتذويبها مثل أن يغرغر العليل برب التوت وبرب العنب وشىء من مر أحمر، أو يغرغر بماء الشعير الدقيق مع سكر نبات، أو يغرغر بلبن الماعز الحليب أو بلبن الأتن مع شىء من سكر أو ميبختج، أو يغرغر بماء الحسو المداف بالرمان المر، أو يتغرغر بماء عنب الثعلب أو بماء الرازيانج الرطب والكزبرة الرطبة بسكر طبرزد وشىء من زعفران، أو يمرس فى مائها لب الخيار شنبر. أو تغرغر برب الآس مع الميبختج أو يتغرغر بماء البقلة الحمقاء مع دهن ورد. فأى هذه الأدوية تهيأ، أمرنا العليل أن يتغرغر به. فإنها تحلل العلة ثم تمنعه من الطعام إلا ما لا بد منه. وتأخذ من حب القثاء وحب البطيخ وحب القرع الحلو، فيقشر الجميع من قشره ويرض حتى يصير كالدماغ ثم يجعل فى برمة ويجعل معه شىء من نشا ويطبخ بدهن لوز وكثيراء ويستعمل على الريق. أو يؤخذ من نشا فيداف بلبن حليب ويجعل فيه فانيد ودهن لوز وشىء من لب حب القثاء المقشر المسحوق ويتحساه صاحب الذبحة. ويكون طعامه السرمق والبقلة اليمانية والبقلة الحمقاء، أو القرع مع دهن اللوز الحلو، إن شاء الله تعالى.

وإن كان روم الحلق تولد من قبل البلغم ودل على ذلك البرهان الذى ذكرنا مع لين الوجع ورخاوة الورم وورم اللسان واسترخائه، أمرنا العليل أن يستفرغ بدنه بالأدوية التى تنزل البلغم وتحقنه بحقن لها حدة، ونغرغره فى ابتداء العلة برب الجوز مع شىء من شبّ، أو برب الجوز مع شىء من ماميران أو يتغرغر بماء قشور الجوز الرطب أو بماء ثمر التوت أو يتغرغر بماء عنب الثعلب مع حضض أو صبر. فإذا أردعنا الفضلة المائلة إلى العضو بما ذكرنا، أخذنا عند ذلك فى تذويب الفضلة وتحليل الورم كما ذكرنا آنفا، وذلك أنا نأمر العليل أن يتغرغر برب الجوز مع العاقر قرحا وميبختج. أو يتغرغر (بسكنجبين عسلى أو يتغرغر برب الآس وماء سلاقة التين أو يتغرغر بلبن الماعز الحليب مع شىء من خرء كلب أبيض. (أو يؤخذ خرء كلب أبيض) فيدق دقا ناعما ويعجن بعسل ويطلى به داخل الفم، فإنه قوى جدا.

وزعم جالينوس أنه ليس يوجد فى هذه العلة دواء أقوى من هذا. وهو أن يؤخذ خرء كلب أبيض فيسحق وينخل وينفخ منه فى الحلق. أو يؤخذ خرء كلب وشىء من مرارة الثور، فتخلطان مع شىء من عسل ويطلى منه بريشة ويتغرغر به.

وزعم جالينوس أن مرارة الثور إذا تحنك بها نفعت من الخناق العارض من سقوط اللهاة وكذلك مرارة الضأن إذا تحنك بها نفعت من الخناق العارض من سقوط اللهاة وكذلك مرارة الضأن إذا تحنك بها نفعت من الخناق العارض من النوازل أو سقوط اللهاة. أو يؤخذ أصول الكرنب فتحرق وتسحق رمادها ويخلط مع عسل منزوع الرغوة ويتغرغر به، فإنه برؤه إن شاء الله تعالى.

أو يطبخ الفجل مع شىء من سكنجبين عسلى ويتغرغر به فإنه نافع من الخناق الكائن من الرطوبة. أو يتغرغر بدواء هذه صفته، وقد جربته فيمن أصابته الذبحة من البلغم حتى لا يتبين كلامه، فوجدته نافعا. يؤخذ من أصل السوس مثقالان وعاقر قرحا وسليخة وأصل الأذخر وحب حرمل، من كل واحد درهمان، وحُلب ومُر أحمر من كل واحد وزن مثقال، وزعفران وفلفل وسنبل هندى ومرزنجوش مجفف، من كل واحد وزن درهم. يدق ذلك وينخل ويعجن بعسل منزوع الرغوة ويؤخذ منه قدر بندقة، فيداف بماء قد طبخ فيه قشر الرمان، أو مطبوخ ريحانى أو سكنجبين ويتغرغر به مرة بعد أخرى فإنه برؤه إن شاء الله تعالى...

صفة غرغرة ألفتها للبلة المتولدة من البلغم والاختناق ووجع الحلق، يؤخذ من ورق الورد وأصل السوس، من كل واحد مثقال، دار فلفل ودار صينى وزعفران، من كل واحد درهم، شب وقاقلة ومر أحمر وحب حرمل وزنجبيل يابس

وقسط، من كل واحد نصف مثقال. تدق الأدوية وتنخل وتعجن بعسل منزوع الرغوة. ويؤخذ منه بقدر البندقة، فتحل فى ماء قد طبخ فيه عفص أو فى ماء عنب الثعلب أو ماء حار وسكنجبين أو مع رب عنب ويتغرغر به مرارا.

(زاد المسافر / ١٦٠ـ ١٦٥).

وفى كتابه النفيس «ما الفارق» يوضح العلامة أبو بكر الرازى (انظر ترجمته فى حرف الباء فى م ٧ / ٣٤٥ـ ٣٥١) الفروق بين الخوانيق والذبحة، وبين الذبحة وورم اللوزتين، وذلك عن طريق السؤال والجواب، وما يخصنا هنا هو هذان الفرقان اللذان أدرجهما تحت الثالث (أى الفرق الثالث) والرابع فيقول:

الثالث: ما الفرق بين الخوانيق والذبحة؟

الجواب: اشتركا فى الحقيقة، وهو الورم. وافترقا بالمحل على ما فى إن الذبحة يطلق على ورم عضل المرىء والخوانيق على ورم عضل الحنجرة، أو على ما قيل من إطلاق الاسمين على المسميين بالعكس، وقد قيل إن الذبحة يقال على ورم العضل الداخل من الحنجرة أو المرىء والخوانيق على ورم عضلها الخارج ومن الناس من يفرق بينهما، فيطلق الاسمين على ورم العضلين بالترادف. وهذا لا يضر مع العلم بهما. وبعلاجهما.

الرابع: ما الفرق بين الذبحة وورم اللوزتين؟

الجواب: اتفقا فى كونهما ورما وفى السبب، وهى المادة المورمة وافترقا بالمحل أن الذبحة ورم العضل، وأما ورم اللوزتين فهو ورم يعرض للحم الذى فى أصل اللسان على جانبى الحلق حتى يعسر اللسان عند الكلام، وربما يعسر معه الازدراد إلا أن تعسره مع الذبحة يكون معه الألم عند أقصى الحلق ولا يظهر للجس، وورم اللوزتين يظهر ويدرك، بالجس من خارج الحلق فى المواضع الرخوة (ما الفارق / ٩٥ ، ٩٧).

ويعقب الأستاذ الدكتور سلمان قطاية محقق الكتاب على وصف أبى بكر الرازى، ويربط بينه وبين ما يقوله الطب الحديث، وذلك على النحو التالى:

الثالث: الفرق السريرى بين الإصابتين حسب معلوماتنا الحاضرة: هو أن توضّع الخناق يكون فى البلعوم الفمى (أى الحلق والحلقوم حسب التسمية القديمة) Oro-pharuntx.

أما الذبحة فتوضعها إلى أسفل البلعوم السفلى Hypophrynx والحنجرة، وبديهى أن عسر التنفس فى الثانية أشد من الأولى.

وهذا ما حاول الرازى تفسيره بقوله: إن الذبحة هى ورم العضل الداخل من الحنجرة والمرىء. وأما الخناق فهو ورم العضل الخارج.

ويعرف ابن سينا الخوانيق (القانون ٢ / ١٩٨) (أوردنا نبذة عنها فى م ١٦ / ٤٦٢) بأنها «امتناع نفوذ النفس إلى الرئة والقلب». فعلى هذا، فإن ورم المرىء لا دخل له فى الموضوع لأن ورمه لا يسبب خناقا إلا إذا عظم وانتقل إلى الرغامى، وهذا نادر جدا.

الرابع: الفرق بينهما هو فى مكان توضّع الآفة. ففى الذبحة، كما قلنا، يكون التوضع فى الأسفل (عند أقصى الحلق) أما فى اللوزتين فهو فيهما.

والمعلوم أنه فى حالة التهاب اللوزتين الحاد تنتفخ العقد البلغمية فى العنق، وهو ما يعنيه التعبير العامى «بنات الأذنين».

وهذا «ما يظهر ويدرك بالجس من خارج الحلق فى المواضع الرخوة» ولنلاحظ أن الرازى شأنه شأن كل علماء عصره. لا يميز بين مختلف أسباب إصابات المنطقة بالخناقات أو الذبحات. والسبب هو عدم معرفة الجراثيم.

لذا فقد اختلط الأمر بين الديفتريا والتهاب اللوزتين الحاد البسيط (ما الفارق / ٩٤، ٩٦).

(كتاب التنوير فى الاصطلاحات الطبية لأبى منصور الحسن بن نوح القمرى ـ تحقيق وفاء تقى الدين / ٢٣، وزاد المسافر وقوت الحاضر لابن الجزار. المقالات الثلاث الأولى ـ تحقيق د. محمد سويسى، ود. الراضى الجازى / ١٦٠ ـ ١٦٥، وكتاب ما الفارق أو الفروق أو كلام فى الفروق بين الأمراض لأبى بكر محمد بن زكريا الرازى ـ تقديم وتحقيق وشرح د. سلمان قطاية / ٩ ـ ٩٧).

* **الذَّبْل:**

قال عنه المظفر الرسولى نقلا عن عبد الله بن البيطار صاحب «الجامع لقوى الأدوية والأغذية» الذى رمز إليه بالحرف «ع»:

هو جلد السلحفاة الهندية، إذا صنع منه مُشط ومُشط به الرأس أذهب النخالة من الشعر، وأخرج الصِّئبان، وإذا أُحرق

وعجن رماده ببياض البيض، وطلى به على شُقاق الكعبين والأصابع نفعه، ونفع أيضا من شقاق الباطن العارض عند النفاس، ويذهب آثاره، وقيل هو جلد السلحفاة البحرية (المعتمد ١ / ١٧٧، ١٧٨).

وقال عنه داود الأنطاكي:

الذبل: عظم السلحفاة الهندية لاجلدها كما ظن وهو شديد السواد ومنه ما يضرب إلى صفرة وأجوده الرزين الصلب البراق بارد يابس فى الثانية إذا حك وشرب أضعف البواسير وأسقطها وكذا ضماده وإن طلى على الأورام والسرطانات والخنازير حللها وشربه بالعسل يلحم الجراح وقروح القصبة ويقطع النفث وحمى الربع ...

ومن خواصه: أن مشطه يمنع القمل وسقوط الشعر وإذا تختمت به النساء منع الإسقاط وسهل الولادة وضماده يسرد الوثى وبروز المقعدة وفرزجته تمنع سيلان الرطوبات وهو يضر الكبد ويصلحه التفاح وشربته إلى نصف درهم وبدله عظم القنفذ(التذكرة ١ / ١٦١).

(المعتمد فى الأدوية المفردة للمظفر الرسولى - صححه وفهرسه مصطفى السقا ١ / ١٧٧، ١٧٨، وتذكرة أولى الألباب لداود بن عمر الأنطاكى ١ / ١٦١).

الذبول Consumption - phtisis:

الذبول: ذهاب لحم البدن وجفافه (زاد المسافر / ٢٥٤) قال عنه التهانوى: الذبول بالضم وضم الموحدة المخففة: قال الحكماء: هو ضد النمو، وهما من أنواع الحركة الكمية، ويفسر بانتقاص حجم أجزاء الجسم الأصلية بسبب ما ينفصل عنه فى جميع الأقطار على نسبة طبيعية فبقيد الانتقاص خرج النمو والسمن والتخلخل والورم والازدياد الصناعى لأنها ازدياد حجم الأجزاء والأصلية صفة الأجزاء وخرج بها الهزال لأنه انتقاص فى الأجزاء الزائدة وتفسير الأجزاء الأصلية، وبقيد بسبب ما ينفصل عنه يخرج التكاثف الحقيقى لأنه بلا انفصال والمراد الانتقاص الدائمى لأنه المتبادر بناء على كونه الفرد الكامل فلا ينتقض التعريف برفع الورم إذا كان عن الأجزاء الأصلية فى جميع الاقطار لأنه لا يكون دائما فى الأجزاء الأصلية ولا يظهر فائدة قيد على نسبة طبيعية ويجرى فى هذا التفسير بظاهره ما يجئ فى تعريف النوم كذا يستفاد من العلمى فى بحث الحركة ويطلق الذبول أيضا على بعض أقسام البحران ويسمى بالذوبان. ويطلق أيضا على أقسام حمى الدق (كشاف ٢ / ٥١٤).

(زاد المسافر وقوت الحاضر لابن الجزار ـــ تحقيق د. محمد سويسى، و د. الراضى الجازى / ٢٥٤، وكشاف اصطلاحات الفنون للتهانوى ٢ / ٥١٤).

***الذبيانى:**

قال السمعانى:

الذبيانى: بضم الذال المعجمة وسكون الباء الموحدة والياء المفتوحة آخر الحروف بعدها الألف وفى آخرها النون، هذه النسبة إلى ذبيان قال الدارقطنى: ذُبيان وذِبيان واحد وقال: قال ابن الأعرابى: رأيت الفصحاء يختارون الكسر. وهو اسم لبطون، فأما ذبيان بطن من غطفان وهو ذبيان بن بغيض بن ريث بن غطفان بن سعد بن قيس منهم النابغة الذبيانى الشاعر، ذكر ذلك ابن حبيب فى كتاب مختلف القبائل. واسم النابغة هو زياد بن معاوية بن جابر بن ضباب ابن جابر بن يربوع بن غيظ بن مرة بن عوف بن سعد بن ذبيان ابن بغيض، سمى النابغة بقوله:

وحلت فى بنى القين بن جسر
فقد نبغت لنا منهم شئون

ويكنى النابغة أبا أمامة، ذكر هذا كله الدارقطنى. وقال أيضا: وفى الأزد ذبيان بن ثعلبة بن الدؤل بن سعد مناة بن غامد. قال: وفى بجيلة ذبيان بن ثعلبة بن معاوية بن زيد بن الغوث بن أنمار. قال: وفى ربيعة ذبيان بن كنانة بن يشكر. قال: وفى همدان ذبيان مالك بن معاوية بن صعب بن دومان.

وفيها أيضا ذبيان بن عليان بن أرحب بن دعام بن مالك. قال: وفى بلى ذبيان بن هميم بن ذهل بن هنى بن بلى. قال وذبيان بن سعد بن عذرة من ولده عصام بن شهبر بن الحارث ابن ذبيان الذبيانى، كان عصام من فرسان العرب وفصحائهم وأحزمهم رأيا وله يقول الشاعر.

نفس عصام سودت عصاما
وعلمته الكر والإقداما

ومنه المثل المعروف «كن عصاميا ولا تكن عظاميا».

(الأنساب للسمعانى تقديم وتعليق عبد الله عمر البارودى ٢ / ٦، ٧).

***الذبيح:**

يناقش الإمام ابن قيم الجوزية مسألة كون الذبيح هو إسماعيل وليس إسحاق عليهما السلام فيقول:

أمر إبراهيم أن يذبح ابنه بكره وفى لفظ وحيده ولا يشك أهل الكتاب مع المسلمين أن إسماعيل هو بكر أولاده والذى غر أصحاب هذا القول أن فى التوراة التى بأيديهم اذبح ابنك إسحاق قال وهذه الزيادة من تحريفهم وكذبهم لأنها تناقض قوله اذبح بكرك ووحيدك ولكن اليهود حسدت بنى إسماعيل على هذا الشرف وأحبوا أن يكون لهم وأن يسوقوه إليهم ويحتازوه دون العرب ويأبى الله إلا أن يجعل فضله لأهله وكيف يسوغ أن يقال إن الذبيح إسحاق والله تعالى قد بشر أم إسحاق به وبابنه يعقوب فقال تعالى عن الملائكة إنهم قالوا لإبراهيم لما أتوه بالبشرى ﴿**لا تخف إنا أرسلنا إلى قوم لوط * وامرأته قائمة فضحكت فبشرناها بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب**﴾ [هود: ٧٠، ٧١] فمحال أن يبشرها بأنه يكون له ولد ثم يأمر بذبحه ولا ريب أن يعقوب داخل فى البشارة فتناول البشارة لإسحاق ويعقوب فى اللفظ واحد وهذا ظاهر الكلام وسياقه فإن قيل لو كان الأمر كما ذكرتموه لكان يعقوب مجرورا عطفا على إسحاق فكانت القراءة ومن وراء إسحاق يعقوب أى ويعقوب من وراء إسحاق قيل لا يمنع الرفع أن يكون يعقوب مبشرا به لأن البشارة قول مخصوص وهو أول خبر سار صادق وقوله تعالى ﴿**ومن وراء إسحٰق يعقوب**﴾ جملة متضمنة لهذه القيود فتكون بشارة بل حقيقة البشارة هى الجملة الخبرية. ولما كانت البشارة قولا كان موضع هذه الجملة نصبا على الحكاية بالقول كأن المعنى: وقلنا لها من وراء إسحاق يعقوب. والقائل إذا قال بشرت فلانا بقدوم أخيه وثقله فى أثره لم يعقل منه إلا بشارة بالأمرين جميعا هذا مما لا يستريب ذو فهم فيه ألبتة ثم يضعف الجر أمر آخر وهو ضعف قولك مررت بزيد ومن بعده عمر ولأن العاطف يقوم مقام حرف الجر فلا يفصل بينه وبين المجرور كما لا يفصل بين حرف الجار والمجرور.

ويدل عليه أيضا أن الله سبحانه لما ذكر قصة إبراهيم وابنه الذبيح فى سورة الصافات قال ﴿**فلما أسلما وتله للجبين * وناديناه أن يا إبراهيم * قد صدقت الرؤيا إنا كذلك نجزى المحسنين * إن هذا لهو البلاء المبين * وفديناه بذبح عظيم * وتركنا عليه فى الآخرين * سلام على إبراهيم * كذلك نجزى المحسنين * إنه من عبادنا المؤمنين**﴾ [الصافات: ١٠٣ ـ ١١١] ثم قال تعالى: ﴿**وبشرناه بإسحاق نبيا من الصالحين**﴾ [الصافات: ١١٢] فهذه بشارة من الله تعالى له شكرا على صبره على ما أمر به وهذا ظاهر جدا فى أن المبشر به غير الأول بل هو كالنص فيه فإن قيل فالبشارة الثانية وقعت على نبوته أى لما صبر الأب على ما أمر به وأسلم الولد لأمر الله جازاه الله على ذلك بأن أعطاه النبوة. قيل البشارة وقعت على المجموع على ذاته ووجوده وأن يكون نبيا ولهذا نصب نبيا على الحال المقدر أى مقدار نبوته فلا يمكن إخراج البشارة أن تقع على الأصل ثم تخص بالحال التابعة الجارية مجرى الفضلة هذا محال من الكلام بل إذا وقعت البشارة على نبوته فوقوعها على وجوده أولى وأحرى وأيضا فلا ريب أن الذبيح كان بمكة ولذلك جعلت القرابين يوم النحر بها كما جعل السعى بين الصفا والمروة ورمى الجمار تذكيرا لشأن إسماعيل وأمه وإقامة لذكر الله ومعلوم أن إسماعيل وأمه هما اللذان كانا بمكة دون إسحاق وأمه ولهذا اتصل مكان الذبح وزمانه بالبيت الحرام الذى اشترك فى بنائه إبراهيم وإسماعيل وكان النحر بمكة من تمام حج البيت الذى كان على يد إبراهيم وابنه إسماعيل زمانا ومكانا ولو كان الذبح بالشام كما يزعم أهل الكتاب ومن تلقى عنهم لكانت القرابين والنحر بالشام لا بمكة وأيضا فإن الله سبحانه سمى الذبيح حليما لأنه لا أحلم ممن أسلم نفسه للذبح طاعة لربه ولما ذكر إسحاق سماه عليما فقال تعالى ﴿**هل أتاك حديث ضيف إبراهيم المكرمين * إذ دخلوا عليه فقالوا سلاما قال سلام قوم منكرون**﴾ [الذاريات: ٢٤، ٢٥] إلى أن قال: ﴿**قالوا لا تخف وبشروه بغلام عليم**﴾ [الذاريات: ٢٨] وهذا إسحاق بلا ريب لأنه من امرأته وهى المبشرة به. وأما إسماعيل فمن السرية وأيضا فإنهما بشرا به على الكبر واليأس من الولد وهذا بخلاف إسماعيل فإنه ولد قبل ذلك، وأيضا فإن الله سبحانه أجرى العادة البشرية أن بكر الأولاد أحب إلى الوالدين ممن بعده وإبراهيم عليه السلام لما سأل ربه الولد ووهبه له تعلقت شعبة من قلبه بمحبته والله تعالى قد اتخذه خليلا والخلة منصب يقتضى توحيد المحبوب بالمحبة وأن لا يشارك بينه وبين غيره فيها فلما أخذ الولد شعبة من قلب الوالد جاءت غيرة الخلة تنتزعها من قلب الخليل فأمره بذبح المحبوب فلما أقدم على ذبحه وكانت محبة الله أعظم عنده من محبة الولد خلصت الخلة حينئذ من شوائب المشاركة فلم يبق فى الذبح مصلحة إذ

كانت المصلحة إنما هى فى العزم وتوطين النفس فيه فقد حصل المقصود فنسخ الأمر وفدى الذبيح وصدق الخليل الرؤيا وحصل مراد الرب .

ومعلوم أن هذا الامتحان والاختبار إنما حصل عند أول مولود ولم يكن ليحصل فى المولود الآخر دون الأول بل لم يحصل عند المولود الآخر من مزاحمة الخلة ما يقتضى الأمر بذبحه وهذا فى غاية الظهور.

وأيضا فإن سارة امرأة الخليل ﷺ غارت من هاجر وابنها أشد الغيرة فإنها كانت جارية فلما ولد إسماعيل وأحبه أبوه اشتدت غيرة سارة فأمر الله سبحانه أن يبعد عنها هاجر وابنها ويسكنها فى أرض مكة ليبرد عن سارة حرارة الغيرة وهذا من رحمته ورأفته فكيف يأمره سبحانه بعد هذا أن يذبح ابنها ويدع ابن الجارية بحاله ، هذا مع رحمة الله لها وإبعاد الضرر عنها وجبره لها فكيف يأمر بعد هذا بذبح ابنها دون ابن الجارية؟ بل حكمته البالغة اقتضت أن يأمر بذبح ولد السرية فحينئذ يرق قلب الست على ولدها وتتبدل قسوة الغيرة رحمة ويظهر لها بركة هذه الجارية وولدها وأن الله لا يضيع بيت هذه وابنها منهم ويرى عباده جبره بعد الكسر ولطفه بعد الشدة وأن عاقبة صبر هاجر وابنها على البعد والوحدة والغربة والتسليم إلى ذبح الولد آلت إلى ما آلت إليه من جعل آثارهما ومواطىء أقدامهما مناسك لعباده المؤمنين ومتعبدات لهم إلى يوم القيامة وهذه سنته تعالى فيمن يريد رفعه من خلقه أن يمن عليه بعد استضعافه وذله وانكساره قال تعالى **﴿ونريد أن نمن على الذين استضعفوا فى الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين﴾** [القصص : ٥] وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم (زاد المعاد ١ / ١٦ ، ١٧).

ويجىء هذا السؤال فى فتاوى فضيلة الشيخ عطية صقر: من الذى أمر الله إبراهيم بذبحه من أولاده ، هل هو إسحاق أم إسماعيل؟ ويجيب عنه فضيلته مستندا إلى عدد من المصادر منها زاد المعاد الذى أوردناه أعلاه ، ومما ذكره فضيلته ما يلى :

وروى الحاكم فى المستدرك عن معاوية بن أبى سفيان قال : كنا عند رسول الله ﷺ فأتاه أعرابى فقال : يارسول الله ، خلَّفت البلاد يابسة والماء يابسا ، هلك المال وضاع العيال ، فعُد علىَّ مما أفاء الله عليك يا ابن الذبيحين ... ... قال : فتبسم رسول الله ﷺ ولم ينكر عليه . وقد ذكره الزمخشرى فى الكشاف ، وقال الزيلعى فى تخريج أحاديثه : غريب ...

وجاء فى كتب السيرة أن عبد المطلب نذر إن رزقه الله عشرة بنين ليذبحن أحدهم قربانا لله ، وذلك عندما منعته قريش من حفر زمزم ولم يكن معه إذ ذاك إلا ولده الحارث ، وعندما رزق بالبنين وأراد أن يوفى بنذره جاءت القرعة على عبد الله «والد النبى ﷺ بعدُ» حتى افتدى أخيرا بمائة من الإبل ، ولهذا روى أن النبى ﷺ قال «أنا ابن الذبيحين» أى إسماعيل الذى أمر الله أباه إبراهيم بذبحه ، وعبد الله والده ، الذى كان سيذبح ...

إن كبار العلماء من السلف قالوا : إن الذبيح هو إسماعيل كما روى ذلك عطاء بن أبى رباح عن ابن عباس ، ومجاهد عن ابن عمر ، والشعبى يقول : رأيت قرنى الكبش فى الكعبة (كذا) وعمر بن عبد العزيز استدعى يهوديا بالشام أسلم وحسن إسلامه فشهد بأن الذبيح إسماعيل . وأبو عمرو بن العلاء سأله الأصمعى عن الذبيح فقال له : أين ذهب عقلك ، متى كان إسحاق بمكة؟ إنما كان إسماعيل بمكة وهو الذى بنى البيت مع أبيه والمنحر بمكة .

يقول الآلوسى بعد أن ساق أقوال العلماء فى ذلك : والذى أميل إليه أن الذبيح إسماعيل لأنه المروى عن كثير من أئمة أهل البيت ولم أتيقن صحة حديث مرفوع يقتضى خلاف ذلك ، وحال أهل الكتاب لا يخفى على ذوى الألباب .

هذا هو ما أثير حول هذا الموضوع لخصته من كتب السيرة ، ومن زاد المعاد لابن القيم وغيره من المصادر، ينتهى إلى أن الذبيح هو إسماعيل ، وما سبق فى ذلك هو اجتهادات واستنباطات يؤيدها حديث الحاكم عن معاوية بعدم إنكار الرسول على من ناداه بابن الذبيحين ، كما يؤيدها ما روى عنه ﷺ من قوله «أنا ابن الذبيحين» (أحسن الكلام ٢ / ٢٩٤ ، ٢٩٧).

(زاد المعاد فى هدى خير العباد للإمام ابن قيم الجوزية ١ / ١٦ ، ١٧ ، وأحسن الكلام فى الفتاوى والأحكام ـ فضيلة الشيخ عطية صقر. ط دار الغد العربى ٢/ ٢٩٤ ، ٢٩٧).

يمكنك استكمال معلوماتك فى هذا الصدد بالرجوع إلى مادة «إسماعيل عليه السلام» فى م ٤/ ٥٨٢ ـ ٥٩٢ .

*الذبيحة:

جاء في اللسان: الذبح: قطع الحلقوم من باطن عند النصيل، وهو موضع الذبح من الحلق. والذبيحة: الشاة المذبوحة، وشاة ذبيحة، وكذلك الناقة، وإنما جاءت ذبيحة بالهاء لغلبة الاسم عليها. قال الأزهري: الذبيحة اسم لما يذبح من الحيوان، وأنث لأنه ذهب به مذهب الأسماء لا مذهب النعت. فإن قلت: شاة ذبيح، أو كبش ذبيح أو نعجة ذبيح لم تدخل فيها الهاء لأن فعيلاً إذا كان نعتا في معنى مفعول يُذكَّر، يقال امرأة قتيل، وكف خضيب. وقال الأزهري: الذبيح: المذبوح، والأنثى ذبيحة، وإنما جاءت بالهاء لغلبة الاسم عليها (اللسان ١٧ / ١٤٨٥)

وجاء في كشاف اصطلاحات الفنون: الذبيحة بالفتح كالعقيدة لغة ما سيذبح من النعم فإنه منتقل من الوصفية الى الاسمية إذ الذبيح ما ذبح كما في الرضي وغيره فليس الذبيحة المزكاة [المذكاة] كما ظن وشريعة قطع الحلقوم من باطن عند المفصل وهو مفصل ما بين العنق والرأس وهو مختار المطرزي والمشهور أنه قطع الأوداج وهو شامل لقطع المرىء أيضا ولذا قالوا زكاة الاختيار ذبح أي قطع الأوداج بين الحلق واللبة أي المنحر وعروقه المرىء أي مجرى الطعام والشراب، والودجان وهما عرقان عظيمان في جانبي قدام العنق بينهما الحلقوم والمرىء فالذبح شرعا على قسمين اختياري وهو ما مر واضطراري وهو قطع عضو أيما كان بحيث يسيل منه الدم المسفوح وذلك في الاصطياد وهكذا في جامع الرموز (كشاف ٢ / ٥١١).

التسمية على الذبيحة:

«عن رافع بن خديج رضى الله عنه قال: كنا مع النبى صلى الله عليه وسلم بذى الحليفة، فأصاب الناس جوع فأصبنا إبلا وغنما، وكان النبى ﷺ فى أخريات الناس. فعجلوا فنصبوا القدور، فدفع إليهم النبى ﷺ، فأمر بالقدور، فأكفئت، ثم قسم فعدل عشرة من الغنم ببعير، فند منها بعير، وكان فى القوم خيل يسيرة فطلبوه، فأعياهم، فأهوى إليه رجل بسهم، فحبسه الله، فقال النبى - ﷺ - إن لهذه البهائم أوابد: كأوابد الوحش، فما ندَّ عليكم منها - فاصنعوا به هكذا قال: وقال جدِّى: إنا لنرجو أو نخاف أن نلقى العدو غدا، وليس معنا مُدى أفنذبح بالقصب؟ فقال ما أنهر الدم، وذُكر اسم الله عليه - فكُله ليس السن والظُّفُر، وسأخبركم عنه: أما السن فَعَظْمٌ، وأما الظُّفُر فمدى الحبشة».

«رواه البخارى ومسلم وأبو داود والترمذى والنسائى وابن ماجه»

وإليك الشرح:

«عن رافع بن خديج» بفتح الخاء المعجمة وكسر الدال المهملة وبعد التحتية جيم «قال: كنا مع النبى ﷺ بذى الحليفة» بضم الحاء وبفتح اللام: موضع على ستة أميال من المدينة المنورة، ويعرف الآن بآبار على، وهو ميقات أهل المدينة الذى لا يجوز أن يتجاوزه مريد مكة منهم إلا محرما: بحج أو عمرة: ذكر النووى، وجزم أبو بكر الحازمى وياقوت بأنه مكان بالقرب من ذات عرق بين الطائف ومكة.

(فأصبنا إبلا وغنما) أى من المغانم. «وكان النبى ﷺ فى أخريات الناس»: آخرهم ليصونهم ويحفظهم، إذ لو تقدمهم لخيف أن يقتطع الضعيف منهم: وهو ﷺ كما وصفه الله تعالى ﴿بالمؤمنين رءوف رحيم﴾ [التوبة: ١٢٨]، «فعجلوا» من الجوع الذى كان بهم، وذبحوا ما غنموه قبل القسمة «فنصبوا القدور» ووضعوا ما ذبحوه فيها، وفى رواية الثورى: فأغلوا القدور أى أوقدوا النار تحتها حتى غلت «فدفع» بضم الدال المهملة مبنيا للمفعول أى وصل «فأمر» ﷺ «بالقدور أن تكفأ» فأكفئت بضم الهمزة وسكون الكاف أى فقلبت وأفرغ ما فيها: من المرق كما قاله النووى: عقوبة لهم: قال وأما اللحم فلم يتلفوه، بل يحمل على أنه جمع ورُد إلى المغنم، ولا يظن أنه أمر بإتلافه. مع نهيه ﷺ عن إضاعة المال، وهذا من مال الغانمين وأيضا فالجناية بطبخه لم تقع من جميع مستحقى الغنيمة، فإن منهم من لم يطبخ ومنهم المستحقون للخمس، فإن قيل إنه لم ينقل أنهم حملوا اللحم إلى المغنم قلنا ولم ينقل أنهم أحرقوه، وأتلفوه: فيجب تأويله على وفق القواعد، لكن فى حديث عاصم بن كليب عن أبيه وله صحبة عن رجل من الأنصار قال: (أصاب الناس حاجة شديدة وجهد فأصابوا غنما فانتهبوها فإن قدورنا لتغلى بها إذ جاء رسول الله ﷺ على فرسه فأكفأ قدورنا بفرسه ثم جعل يرمل اللحم بالتراب، ثم قال: إن النهبة ليست بأحل من الميتة).

«رواه أبو داود بإسناد جيد على شرط مسلم» وترك تسمية الصحابى لا يضر، ولا يقال: لا يلزم من تتريبه: إتلافه ولإمكان تداركه بالغسل: لأن سياق الحديث يشعر بإرادة المبالغة فى الزجر عن ذلك: وهو كونهم: انتهبوا، ولم يأخذوا

باعتدال، فلو كان بصدد أن ينتفع به بعد ذلك لم يكن فيه كبير زجر: لأن الذى يخص الواحد منهم نـزر يسير، فكان إفسادها عليهم مع تعلق قلوبهم بها، وحاجتهم إليها وشهوتهم لها أبلغ فى الزجر: قاله فى الفتح وغيره.

«ثم قسم» ﷺ«فعـدل» قابل «عشرة» ولأبى ذر عشرا «من الغنم ببعير» لنفاسـة الإبل إذ ذاك، أو قلتها، وكثرة الغنم، أو كانت هزيلة: بحيث كان قيمة البعير عشر شياه، وحينئذ فلا يخالف ذلك القاعدة فى الأضاحى: من أن البعير يجزئ عن سبع شيـاه لأن ذلك هـو الغـالب فى قيمـة الشـاة والبعيـر، المعتدلين، فالأصل أن البعير لسبعة ما لم يعرض عارض من نفـاسة ونحوها، فيتغيـر الحكم بحسب ذلك وبهـذا تجتمع الأخبار الـواردة فى ذلك «فندَّ» بـالنون وتشـديد الـدال: فنفر، وذهب على وجهـه شـاردا، واستصعب «منهـا» من الإبل المقسومة بعير «وكان فى القوم خيل يسيرة»: قال ذلك تمهيدا لعـذرهم فى كـون البعيـر الـذى نـد أتعبهم ولم يقـدروا على تحصيله «فطلبـوه فأعياهم» أتعبهم، أى طلبـوه، ففاتهم ولم يقدروا على تحصيله «فأهوى إليـه رجل» أى قصد نحوه ورماه «بسهم فحبسه الله» بالسهم أى جعل إصابة السهم له سببا فى وقوفـه فهو عز وجل خـالق الأسباب والمسببـات «فقال النبى ﷺ، إن لهـذه البهائم» جمع بهيمـة: قـال فى القامـوس كل ذات أربع قـوائم وفى رواية الثـورى وشعبة ... «إن لهـذه الإبل أوابد» بفتح الهمـزة والواو وكسر الباء بعدهـا دال مهملة جمع آبدة بالمد وكسر الموحدة أى غريبة يقال: جاء فلان بآبدة أى بكلمة أو فعلة منفرة، ويقال تأبدت أى توحشت والمراد أن لها توحشا ونفرة من الإنس «فما ند عليكم منها فاصنعوا به هكذا» أى فاصنعـوا به صنعا مثل ذلـك وكلوه: كما عنـد الطبرانى: قال: أى عباية بن رفاعة «وقال جدى» هو راوى الحديث رافع ابن خديج، وزاد عبد الرزاق عن الثورى فى روايته يارسول الله إنا لنرجو أو قال «نخاف» بالشك من الراوى. «أن نلقى العدو غدا وليس معنا مدى» بضـم الميم والدال المهملة، مقصورا مخففا: جمـع مدية بسكون الدال: سكينـة وسميت المـدية فيمـا قيل: لأنهـا تقطع مـدى حيـاة الحيـوان، والمـدى هـو الغاية: فمعنى وليس معنا مدى أى سكاكين نذبح بها ما نغنمه من العدو أو نذبح بها ما نأكله: لنقوى به على العدو إذا لقيناه «أفنذبح بالقصب» أى أتأذن فنذبح بالقصب؟ وقال الكرمانى فإن قلت ما الغرض من ذكر لقاء العدو عند السؤال عن الذبح بالقصب ـ قلت: غرضه أنـا لو استعملنا السيوف فى المذابح لكلَّت، وعند اللقاء نعجز عن المقـاتلة بها «فقال» ﷺ مجيبا بجواب جامع لوصف آلة الذبح يعرف منه جواب سؤالهم: «ما أنهر الدم» بسكـون النون وبعد الهاء المفتـوحة راء مهملة أى أساله وصبـه بكثرة: شبهه بجرى المـاء فى النهر «وذُكر» بضم الـذال المعجمة مبنيـة للمفعول «اسم الله عليـه فكله». أفـاد ذلك حل أكل المـذبوح بمـا أنهر الـدم إذا ذكر اسم الله عليـه سواء أنهر بقصب أو غيره إلا ما استثنى بقوله ﷺ «ليس السن والظفر وسأخبركم عنه» ولأبى ذر عن الكشميهنى: وسأحدثكم عنه أى عن المستثنى وهو السن والظفر «أما السن فعظم» قال ابن الصـلاح كـان ﷺ قـد قـرر عنـدهم أن الـذكـاة لا تحل بالعظـم، فلذا اقتصر علـى قوله عظم: عنـد بيان منع الـذبح بالسـن ثم قال ﷺ: فى بيـان منع الذبح بـالظفر «وأمـا الظفر فمدى الحبشة».

ومنع الذبح بالظفر لما فى الـذبح به من تعذيب الحيوان ولا يقع بـه غالبـا إلا الخنق، والقـرآن صريح فى تحـريم أكل المنخنقـة، ففى الحـديث منع الـذبح بـالسن والظفـر، ثم إن الحـديث علـق حل الأكل على مجمـوع الأمـرين: الإنهـار والتسميـة، والمعلـق على شيئين لا يكتفى فـى تحققـه إلا باجتماعهما وينتفى بانتفاء أحدهما، ولكن تقييد البخارى فى عنوان البـاب بتعمد تـرك التسمية مشعـر بالتفـرقة بين العمد والنسيان. ويدل لذلك قوله «قال ابن عباس رضى الله عنهما» من نسى التسمية: عند الذبح «فلا بأس» بأكل ما ذبح.

ومفهومه عدم الحل مع ترك التسمية عمدا.

ويؤخذ من الحديث ما يأتى:

١ ـ شرط التسمية على الذبيحة عند الذبح لحلها.

٢ ـ الذبح بكـل ما أنهر الدم إلا السن والظفر: فـالذبح لا يحل بهما.

٣ ـ حل أكل مـا رمى بالسهم، فجرح فى أى مـوضع كان من جسده بشـرط أن يكون وحشيا أو متوحشـا لتحقيق العجز عن ذكاة الاختيار.

وقال ابن عبـاس رضى الله عنهما (ما أعجـزك من البهائم مما فى يديك فهـو كالصيد) رأى ما أعجـزك ذبحه من البهائم

الإنسية «مما فى يديك» مما كان لك، وفى تصرفك، فتوحش (فهو كالصيد): فى أى شىء منه أصبته فهو ذكاته، وقال ابن عباس أيضا فى بعير تردى فى بئر (من حيث قدرت عليه فذكه).

٤ ـ منع التصرف فى الغنيمة قبل قسمتها.

٥ ـ أن للحاكم أن يحرم من أخذ من الغنيمة قبل القسمة ما أخذ منها: زجرا له.

٦ ـ سؤال أهل الذكر عما لا يعلم للحاجة إلى علمه كما سأل الصحابة النبى ﷺ عن حكم الذبح بالقصب.

«ما أنهر الدم من القصب والمروة والحديد».

١ ـ عن نافع سمع ابن كعب بن مالك: يخبر ابن عمر أن أباه أخبره أن جارية لهم كانت ترعى غنما بسَلْع، فأبصرت بشاة من غنمها موتا، فكسرت حجرا فذبحتها به، فقال لأهله: لا تأكلوا، حتى آتى النبى ﷺ، فأسأله أو حتى أرسل إليه من يسأله، فأتى النبى ﷺ أو بعث إليه، فأمر النبى ﷺ بأكلها.

رواه أحمد والبخارى

شرح حديث رقم ١

«عن نافع» مولى ابن عمر «سمع ابن كعب بن مالك» رجح الحافظ ابن حجر أن اسم هذا الابن عبد الرحمن «يخبر ابن عمر» عبد الله رضى الله عنهما «أن أباه أخبره أن جارية لهم كانت ترعى غنما» مملوكة لهم «بسلع» بفتح السين المهملة وسكون اللام جبل بالمدينة «فأبصرت بشاة من غنمها موتا» أى رأت أنها على حالة تفضى إلى الموت: لو أنها تركت بلا ذبح «فكسرت حجرا» ذا حد «فذبحتها به فقال» كعب «لأهله لا تأكلوا» أى من هذه الشاة «حتى آتى النبى ﷺ فأسأله أو» قال «حتى أرسل إليه من يسأله» بالشك من الراوى «فأتى» كعب «النبى ﷺ أو بعث إليه» من سأله ﷺ بالشك من الراوى «فأمر النبى ﷺ بأكلها»: والأمر للإباحة، لا للوجوب: وفى الأمر بأكلها التنصيص على حل الذبح بالحجر الحاد الذى يسيل الدم: كالحجر الذى ذبحت به الجارية، وكالمروة وهى حجر أبيض، أو الذى تقدح منه النار، بخلاف الحجر المثقل: كالبندقة: فإن به الوقذ لا الذبح، والمقتولة به موقوذة لا يحل أكلها: بنص القرآن الكريم.

٢ ـ وعن عدى بن حاتم: قال: قلت: يارسول الله. إنا نصيد الصيد، فلا نجد سكينا إلا الظرار، وشقة العصا؟ فقال: ﷺ: (أَمِرِ الدم بما شئت، واذكر اسم الله عليه).

رواه البخارى. ومسلم. وأبو داود. والنسائى.

ويؤخذ من الحديث ما يأتى:

١ ـ إباحة الذبح بالحجر الحاد الذى يسيل الدم.

٢ ـ حل أكل الذبيحة بالحجر الحاد.

٣ ـ حل أكل ما ذبح بغير إذن المالك، فالجارية ذبحت الشاة بغير إذن مالكها، فأمر ﷺ بأكلها.

٤ ـ إدراك الحيوان المصاب الذى يحل أكله: بالذبح: حرصا على المال من الضياع.

٥ ـ جواز التصرف فى مال الغير بغير إذنه عند الضرورة لإصلاحه وحفظه.

٦ ـ حل أكل ما ذبحته المرأة سواء أكانت كبيرة أم صغيرة، طاهرة أم غير طاهرة، حرة أم أمة: لأنه ﷺ أباح أكل الشاة التى ذبحتها الجارية ولم يستفصل عن شىء من ذلك.

٧ ـ امتناع المسلم ومنع أهله أكل ما لم يتحقق حله: كما كان من كعب رضى الله عنه من امتناعه، ومنعه لأهله عن الأكل من الشاة المذبوحة بالحجر قبل سؤال النبى ﷺ عن الحكم: ولكن ذلك من باب الورع، وأما الامتناع والمنع الواجبان فحيث يتحقق الحرام.

٨ ـ سؤال المسلم لأهل العلم عما لا يعلم حرصا على سلامة دينه بالوقوف عند حدود الله تعالى.

شرح حديث ٢.

(الظرار) بالظاء المعجمة بعدها راءان مهملتان بينهما ألف: قال فى القاموس: الظر: بالكسر. والظُّرر. والظررة: الحجر أو المدور المحدد منه، والجمع ظرار (وشقة العصا) بكسر الشين المعجمة أى ما يشق منها ويكون محددا (أمر الدم) بفتح الهمزة وكسر الميم وبالراء مخففة من مار الشىء: إذا جرى أى أجرى الدم وأساله «بما شئت»: من كل مجر للدم ومسيل له إلا السن والظفر: لما سبق فى حديث التسمية على الذبيحة.

والحديث يفيد جواز الذبح بكل محدد من حديد وغيره، مع ذكر اسم الله على الذبيحة.

ذبيحة الأعراب ونحرهم.

عن عائشة: رضى الله عنها ـ أن قوما قالوا للنبى: ﷺ إن قوما يأتوننا باللحم لاندرى: أذكر اسم الله عليه أم لا؟ فقال: سموا عليه أنتم وكلوا: قالت: وكانوا حديثى عهد بالكفر «رواه البخارى والنسائى، وابن ماجه».

(عن عائشة: رضى الله عنها ـ أن قوما قالوا للنبى ﷺ: إن قوما يأتوننا باللحم): من البادية: لأن رواية النسائى: (إن ناسا من الأعراب) أى سكان البادية، وهى هنا بادية المدينة (لا ندرى أذكر اسم الله عليه) على ذبيحة هذا اللحم (أم لا؟) وفى هذا السؤال دليل على أن اشتراط التسمية على الذبيحة من أحكام الدين المشهورة (فقال) ﷺ (سموا عليه أنتم وكلوا) فأباح: ﷺ الأكل من ذبائح الأعراب مع وجود الشك عند هؤلاء السائلين فى أن هؤلاء الأعراب سموا على الذبائح أم لا، والتسمية التى أرشد السائلين إليها هى التسمية عند البدء فى تناول الطعام.

وكأنه ﷺ. يقول لهم: المطلوب منكم أن تأتوا بما يهمكم، فتسموا أنتم وتأكلوا مريحين أنفسكم من عناء الشك: ما دام لم يبلغكم سبب يقتضى التحريم، وقال الإمام ابن تيمية: فى منتقى الأخبار: فى بيان ما دل عليه ذلك القول النبوى الكريم فى إجابة هؤلاء السائلين: (وهو دليل على أن التصرفات والأفعال تحمل على حال الصحة والسلامة إلى أن يقوم دليل الفساد).

فالتصرفات والأفعال صحيحة وسليمة يؤخذ بها، حتى يقوم دليل على فسادها فتهمل، ولا يعمل بها (قالت) عائشة رضى الله عنها (وكانوا حديثى عهد بالكفر) المراد بهؤلاء: القوم الذى كانوا يأتون باللحم: لما رواه أبو داود، والنسائى عن عائشة رضى الله عنها (أنهم قالوا: يارسول الله: إن قوما حديثو عهد بجاهلية يأتون بلحمان لاندرى أذكروا اسم الله عليها أما لا، أنأكل منها؟ فقال: سموا الله وكلوا).

فيؤخذ من الحديث ما يأتى:

١ ـ حل أكل ذبيحة الأعراب ونحرهم.

٢ ـ عدم الحكم على الأشياء بالشك.

٣ ـ التسمية على الطعام عند الأكل.

٤ ـ حمل التصرفات والأفعال على حال الصحة والسلامة حتى يقوم دليل على فسادها.

(المنتخب من السنة ٩ / ٢٠٦ ـ ٢١٤).

(لسان العرب لابن منظور ١٧ / ١٤٨٥، وكشاف اصطلاحات الفنون للتهانوى ٢ / ٥١١، والمنتخب من السنة. المجلس الأعلى للشئون الإسلامية. القاهرة ١٣٩٠هـ ـ ١٩٧٠ م، ٩ / ٢٠٦ ـ ٢١٤. انظر أيضا اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم لشيخ الإسلام ابن تيمية ـ بتحقيق محمد حامد الفقى / ١١٣ ـ ٢٦٢).

يمكنك استكمال معلوماتك فى هذا الصدد فى مادة «الذكاة».

*** ذخائر الآثار:**

ذخائر الآثار: فى الفقه لأبى الفتح إبراهيم بن مسلم المعروف بفقيه سلطان المقدسى المتوفى سنة ٥١٨.

(كشف الظنون ١ / ٨٢١).

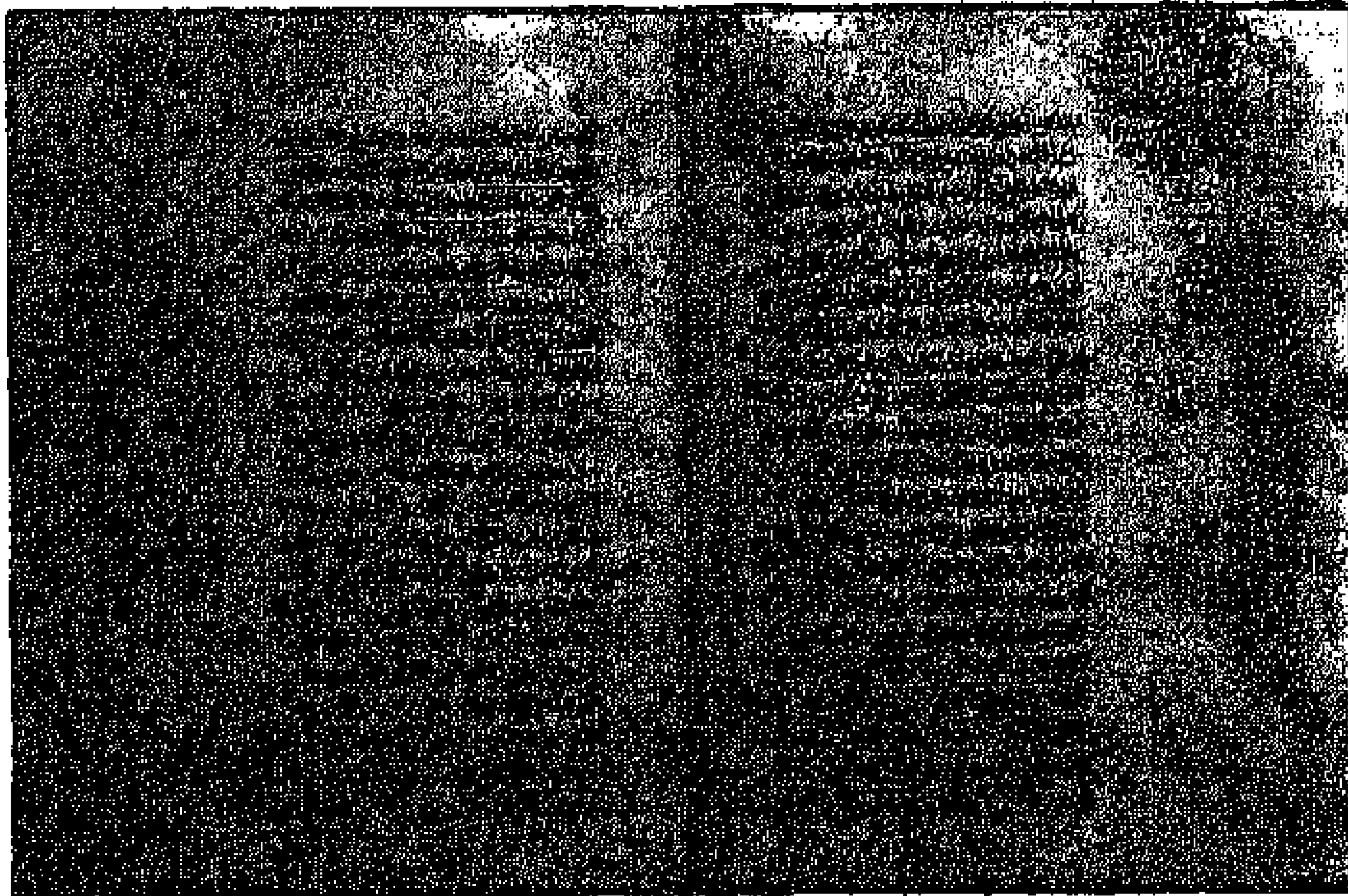
*** ذخائر الأخرة شرح ذخر المتأهلين:**

من مخطوطات الفقه الحنفى بدار الكتب الظاهرية بدمشق (أو بمكتبة الأسد) وجاء بيانه كما يلى:

الرقم ٥٢٧٦

ذخر المتأهلين والنساء فى تعريف الأطهار والدماء: تأليف محمد بن بير على الشهير ببركلى المتوفى سنة ٩٨١ هـ / ١٥٨٣ م

ذخائر الآخرة شرح ذخر المتأهلين، تأليف: إسحاق بن حسن الزنجانى ثم التوقادى المتوفى سنة ١١٠٠ هـ / ١٦٨٩م.



أوله : إن أحسن ما يبدأ به المرام، بعد البداءة باسم الملك المتعالى حمدا لله الواحد.

وآخره : قال رسول الله ﷺ وعلى آله : إذا لم تستحى [تسنح] فاصنع ما شئت. نسأل الله تعالى أن يجعل ما كتبناه حجة لنا لا علينا إنه هو الوهاب، وإليه المرجع والمآب.

نسخة جيدة. كتبت فى حياة المؤلف.

الخط معتاد. المتن مشار فوقه بخطوط حمراء، كتبه سعد الله بن يونس بن يوسف بن على سنة ١٠٩٩.

[٤٠-٧٨] ق	١٩س	٢٠×١٣ سم

المراجع : معجم المؤلفين ٢ / ٢٣٢، ٩ / ١٢٣، كشف الظنون ١ / ٨٢٢.

نسخة ثانية.

الرقم ٩٤٣٧

تتفق مع الأولى فى بدايتها ونهايتها.

نسخة جيدة. الخط نسخ جيد. المتن مشار فوقه بالحمرة.

كتبه - كما جاء فى الورقة ١١٣ - محمد بن خليل المغنياوى ثم الإزميرى سنة ١١١٢.

وهو مسائل مشكلة فى أبواب الفقه والجواب عليها.

[١١٥-١٤٧] ق	٢٥س	٢٢×١٦س

(فهرس الظاهرية ١ / ٣٤٣، ٣٤٤).

كما يوجد مخطوطه فى مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية بالرياض، ونشرت مجلة الفيصل صورة المخطوط المطبوعة هنا وكتبت عنه ما يلى : رتبه المؤلف فى مقدمة وستة فصول تحدث فيها عن بعض المسائل الفقهية الخاصة بالنساء. واللوحتان اللتان أمامنا بهما زخارف كتابية. ومع استيعاب الفنان المسلم لعناصر الزخارف النباتية والهندسية من الحضارات الأخرى وتطويرها، فقد كان أول من بدأ باستعمال الزخارف الكتابية حتى أضحى هذا الاتجاه الزخرفى أحد العناصر المميزة لفنون المسلمين والموحدة لإطارها الحسى العام.

والصورة تظهر براعة الفنان المسلم فى إتقان الزخرفة الكتابية، فقد جاءت الشروح والتعليقات بأشكال فنية مختلفة، فظهرت على شكل هندسى دائرى إلى جانب شكل خنجر على حاشية الصفحة اليمنى، وفى حاشية الصفحة اليسرى كتب الناسخ اسمه وهو حسين حسن، عن طريق الزخرفة الكتابية بالإضافة إلى كتابة بعض الشروح على شكل مرشَّة.

ومثل هذه الزخرفة الكتابية ذات أهمية، فعلاوة على كونها تضفى جمالا فنيا على المخطوطة، فهى فى الوقت نفسه تعبر عن نوعية الأدوات وأشكالها، والتى كانت مستخدمة فى العصر الذى كتبت فيه المخطوطة (مجلة الفيصل / ٢).

هذا وتوجد نسخة من المخطوط بمكتبة البلدية بطنطا وقد جاء فى العنوان لفظ «المؤهلين» بدل «المتأهلين» (مجلة معهد المخطوطات / ٣٧٥).

(فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية. الفقه الحنفى - وضع محمد مطيع الحافظ ١ / ٣٤٣، ٣٤٤، ومجلة الفيصل. العدد (١٨٤) شوال ١٤١٢ هـ - إبريل ١٩٩٢ م / ٢. وجاء به أن الكتاب شرح لكتاب «ذخيرة المتأهلين»، ومجلة معهد المخطوطات العربية، معهد المخطوطات العربية، القاهرة جـ ٢ م ٣ ربيع الثانى ١٣٧٧ هـ - نوفمبر ١٩٥٧. طبعة ثانية ١٤١٤ هـ ١٩٩٣ م / ٣٧٥).

*** الذخائر الأشرفية فى الألغاز الحنفية:**

الذخائر الأشرفية فى الألغاز الحنفية : لابن الشحنة عبد البر بن محمد الحنفى المتوفى سنة ٩٢١ ذكره ابن نجيم وانتخبه فى الفن الرابع من الأشباه (كشف ١ / ٨٢١).

يوجد مخطوطه بدار الكتب الظاهرية بدمشق (أو بمكتبة الأسد) وجاء بيانه كما يلى :

الرقم ٥٥٣٢

تأليف سرى الدين أبى البركات عبد البر بن محمد بن محمود بن الشحنة المتوفى سنة ٩٢١ هـ.

وهو فى مسائل مشكلة الحل فى أبواب الفقه والجواب عليها.

أوله : الحمد لله الذى كشف بالعلماء كل مشكل وملغز، وأوضح بالفهماء كل عويص ومتشابه وميز.

وآخره : فقد روى أبو داود من حديث أبى هريرة رضى الله عنه : من جُعل قاضيا فقد ذُبح بغير سكين.

نسخة جيدة وقديمة ومصححة.

الخط نسخ معتاد، بعض الكلمات مكتوبة بالحمرة، كتب سنة ١٠٤٠.

[١ ـ ٥٤]ق ١٩س ٥,٢٠×١٥ سم

طبعات الكتاب: طبع بهامش كنز البيان مختصر توفيق الرحمن للشيخ مصطفى الطائى، وبهامش توفيق الرحمن بشرح كنز دقائق البيان.

المراجع: معجم المؤلفين ٥ / ٧٧، معجم المطبوعات ١ / ١٣٧.

نسخة ثانية:

الرقم ٥٥٧١

تتفق مع الأولى فى بدايتها وتختلف عنها فى نهايتها بتقديم وتأخير.

آخره: فإذا قعد الإمام طويت الصحف، المهجر هو المبكر الآتى فى أول ساعة.

نسخة عادية.

الخط فارسى جيد. بعض الكلمات مكتوبة بالحمرة، كتبه محمد مراد الحلبى سنة ١٣٠٠ هـ.

٨٩ ق ١٧ س ٢٢×١٦سم

(مخطوطات الظاهرية ١ / ٣٤٤، ٣٤٥).

كما يوجد مخطوط فى مكتبة متحف «مولانا» فى قونيا، وجاء بيانه كما يلى:

مكتوب بخط التعليق، حافات الأوراق مجدولة بالذهب.

مجهول الكاتب ومكان الكتابة. يرد ذكر تصحيحه فى شوال ١٢٦١ هـ.

أوقفه الحاكم أول بداءة قونية. ويرد اسم الكتاب فى المتن (الذخائر الإشرافية) الورقة ٢ أ.

أوله: بعد البسملة، الحمد لله الذى كشف بالعلماء كل مُشكل وملغز...

آخره: وأنا أسأل الواقف عليه بعين الإنصاف أن يصلح ما فيه من الزلل ويفصح عما فيه من الخطأ والخلل وأن يدعو إلى [يدعو لى] بالمغفرة ووفاء الديون وخاتمة الخير (عنه) تجرع كأس المنون فإنه ...

وقد وقع التصحيح من يد الفقير إلى رحمة القدير على النورى مدرس بلونه فى شوال سنة إحدى وستين ومائتين وألف.

مقياس المجلد: ٢٣,٥ × ١٤,٥.

مقياس الكتابة: ١٦,٤ × ٨,٥.

عدد الأوراق: ٧٢.

عدد الأسطر: ٢٣.

رقمه فى الخزانة: ١٣٧٦.

رقم المجلد: ١٧٨.

(المخطوطات العربية / ١٣١).

وتوجد نسخه مصورة فى معهد المخطوطات العربية وجاء بيانها كما يلى:

تأليف عبد الله بن الشحنة.

نسخة كتبت فى القرن الثانى عشر.

[دار الكتب ١٩٥٩٧ ب ١٣٠ق ١٤ × ٢١ سم]

(فهرس المخطوطات المصورة ١ / ٢٩٠).

(كشف الظنون لحاجى خليفة ١ / ٨٢١، وفهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية. الفقه الحنفى ـ وضع محمد مطيع الحافظ ١ / ٣٤٣، ٣٤٤، والمخطوطات العربية فى مكتبة متحف «مولانا» فى قونيا. مركز الخدمات والأبحاث الثقافية ق ٥ / ١٣١، وفهرس المخطوطات المصورة، معهد المخطوطات العربية ـ تصنيف فؤاد سيد ١ / ٢٦٠).

*** ذخائر الله:**

من اصطلاحات الصوفية: قوم من أوليائه تعالى يدفع بهم البلاء عن عباده كما يدفع بالذخيرة بلاء الفاقة.

(اصطلاحات الصوفية للشيخ كمال الدين عبد الرزاق القاشانى ـ تحقيق وتعليق د. محمد كمال إبراهيم صقر / ١٦٢).

*** ذخائر الحكم:**

ذخائر الحكم: مجلد للإمام أبى الحسن على بن زيد البيهقى المتوفى سنة ٥٦٥ خمس وستين وخمسمائة.

(كشف الظنون ١ / ٨٢١).

*** ذخائر العقبى فى مناقب ذوى القربى:**

ذخائر العقبى فى مناقب ذوى القربى: مجلد لمحب الدين أحمد بن عبد الله الطبرى المتوفى سنة ٦٩٤ أربع وتسعين وستمائة (كشف ١ / ٨٢١).

يوجد مخطوطه فى مكتبة المتحف العراقى وجاء بيانه كما يلى:

الرقم ١٨٩٦.

لمحب الدين أحمد بن عبد الله بن محمد بن أبى بكر الطبرى المتوفى سنة ٦٩٤ هـ ـ ١٢٩٥ م.

الأول (الحمد لله على خصوص المنح وعموم النعماء وله الشكر على ما أولى من عظائم المنن وكرائم ...)

وهو كتاب فى ما ورد فى الأخبار والآثار فى فضل قرابة النبى رتبه المؤلف على قسمين وهى:

القسم الأول: يتضمن ما جاء فيهم على وجه العموم والإجمال.

القسم الثانى: يتضمن ما جاء فيهم على وجه التخصيص وتفصيل الأحوال.

نسخة جيدة كتبها بخط النسخ الجيد على بن حسب الله ابن محمد العجلانى سنة ٨٦١ هـ ١٤٥٦ م.

القياس ٣٠١ ص		٢٦,٥ × ١٨ سم		٢٣س

معجم المؤلفين ١ / ٢٩٨ طبع أكثر من مرة (مخطوطات التاريخ والتراجم والسير / ١٩٣).

كما توجد نسخة مصورة فى معهد المخطوطات العربية بالقاهرة، وجاء بيان المخطوط كما يلى.

لمحب الدين أبى جعفر أحمد بن عبد الله بن محمد الطبرى الآملى، المتوفى سنة ٦٩٤ هـ.

(بروكلمان ١ / ٣٦١ وملحق ١ / ٦١٥).

أوله: «الحمد لله على خصوص المنح وعموم النعماء ... أما بعد، فإن الله عز وجل اصطفى محمدا ﷺ على جميع من سواه ...».

وآخره: «قال أبو بكر لعمر رضى الله عنهما: انطلق بنا إلى أم أيمن... ويقال إنها التى شربت بوله ﷺ... تم كتاب ذخائر العقبى».

نسخة كتبت بخط نسخى جيد، سنة ٨٦١ هـ، كتبها على ابن حسب الله العزى العجلانى، فى ١٥٥ ورقة، ومسطرتها ٢٣ سطرا.

[المتحف العراقى ١٨٩٦]		UNESCO

(فهرست / ١٨٢).

(كشف الظنون لحاجى خليفة ١ / ٨٢١، ومخطوطات التاريخ والتراجم والسير فى مكتبة المتحف العراقى ـ أسامة ناصر النقشبندى وظمياء محمد عباس / ١٨٢، وفهرست المخطوطات المصورة، معهد المخطوطات العربية، التاريخ، جـ٢ ق ٤ القاهرة ١٣٩٠ هـ ـ ١٩٧٠ م / ١٨٢ وفيه فى العنوان «و مناقب» بدلا من «فى مناقب»).

*** ذخائر العلوم وما كان فى سالف الدهر:**

ذخائر العلوم وما كان فى سالف الدهر: للشيخ الإمام أبى الحسن على بن حسين المسعودى المتوفى سنة ٣٤٦ ست وأربعين وثلثمائة.

(كشف الظنون ١ / ٨٢٢).

*** الذخائر فى فروع الشافعية:**

الذخائر فى فروع الشافعية: للقاضى أبى المعالى مجلى ابن جميع المخزومى الشافعى المتوفى سنة ٥٥٠ خمسين وخمسمائة وهو من الكتب المعتبرة فى هذا المذهب.

(كشف الظنون ١ / ٨٢٢).

*** الذخاير فى كشف السراير:**

من مخطوطات الكيمياء والصنعة والإكسير والسيمياء فى دار الكتب الظاهرية بدمشق (أو بمكتبة الأسد) وجاء بيانه كما يلى:

الرقم ٧٤

مؤلف الكتاب: ؟ ...

مواضيع المخطوط:

تتضمن مقدمة وجيزة، وعدة أبواب ورسائل، وصفات تبحث فى العقاقير وتركيبها وما يصنع منها، وفى المعادن والأدوية: «وهم عشرون عقارا أو قال عشرون حجرا الذهب، والفضة والنحاس، والحديد، والقزدير، والرصاص، والإسراب، والزجاج، والزيبق، والزاج، والكبريت، والصدف والزرنيخ، والمرقشيتا الذهبية والفضية، والعقاب، والزنجفر، والمرتك، والملح، والحيوانين ليس من الأحجار».

ورسالة خالد بن يزيد، ورسالة نهاية الفخرة فى ملاغم الزهرة.

وخمس رسائل لمحمد بن اميل فى معنى الحجر:

الرسالة الأولى فى الرطوبات إذا يبست ونقيت الطبايع فهو النحاس ...

الرسالة الثانية فى كيفية إنسان المعقول ...

الرسالة الثالثة فى معنى التركيب ...

الرسالة الرابعة فى معنى التزوج ...

والرسالة الخامسة فى البيان ...

ثم عدة صفات منها :

صفة تركيب الإكسير ...

وعدة أقوال منها :

القول فى الرصاص ...

القول فى القصدير ...

القول فى الزجاج ...

وأبواب عديدة منها :

باب فى عمل الفص ...

باب إذا قطر الشعر ...

فاتحة المخطوط

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم قال الحكيم أفلاطونس أما بعد لما كتمت الناس أمر الحكمة التى من بعد رمزها عادت كبرق خلب ... وقال فيها أحد الشعراء :

وبالصناعة لا تحفل فإن لها

حقيقة هى والفقهاء فى فرق

فاستخرت الله ... وسمية [وسميته] كتاب الذخاير فى كشف السراير وهو التعفين وقع على اليقين ... ورد أن على بن أبى طالب ... قال يوما لأصحابه ... والله إنى لأعلم أن فى الزيبق الرجراج والإسراب والزاج والحديد المزعفر وزنجار النحاس الأخضر لكنوز لا يوتى على عابرها ...

خاتمة المخطوط :

... ثم تذيب الحديد المذكور وترجمه بالأملاح المكيبة وتقلبه سبيكة درهم من السبيكة على خمسة قلعى منقى يقوم فضة مليحة وكان الفراغ من هذه النسخة المباركة على يد ... ملا على بن فتح الله الخالدى فى يوم الخميس المبارك سابع شهر شعبان المكرم سنة ثلاثين وألف من الهجرة النبوية على صاحبها ...

أوصاف المخطوط والملاحظات عليه :

نسخة جيدة ، كتبت بخط نسخى جميل جدا وحبر أسود ، أُطرت صفحاتها بالحبر الأحمر ، ترك لها هامش بعرض ٣ سم . عليه بعض الشروح والوصفات ، ولها تعقيبة منتظمة فى آخر كل ورقة ، عليها تملك باسم محمد ... سنة ١٣٢٦ هـ . وجاء على هامش الصفحة : ٦١ خاتم فُهِم من كتابته : المحسن محمد بن ... خان فى مصر سنة ١٠٢٧ هـ . يستشهد المؤلف بفيثاغورس ، وجابر ، والفضل بن الفضل تلميذ ذى النون ، وخالد بن يزيد ، ودومقراط ، ومحمد ابن اميل وغيرهم ... عدد الأوراق : ٨١ بقياس ٢٠ × ١٥ سم . وعدد السطور : ١٩ سطرا . جلدها كرتون مغلف بجلد بنى مزخرف بحالة جيدة .

اسم الناسخ وتاريخ النسخ :

ملا على بن فتح الله الخالدى سنة ١٠٣٠ هـ .

(فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية : العلوم والفنون المختلفة عند العرب ـ وضع مصطفى سعيد الصباغ / ٤٥٠ ـ ٤٥٢) .

*** ذخائر القصر :**

انظر : ابن طولون :

*** الذُّخر :**

بضم الذال وإسكان الخاء ، وأصله فى اللغة لما يذخر من النفائس ، وهو مصدر ذخرت الشيء أذخره . والذخرى نسبة إليه للمبالغة (التعريف بمصطلحات صبح الأعشى / ١٥٢) .

وجاء فى اللسان فى مادة «ذخر» : ذخر الشيء يذخره ذُخرا وادّخره ادِّخارا : اختاره ، وقيل : اتخذه ، وكذلك اذَّخرته ، وهو افْتَعَلْتُ . وفى حديث الضحية : كلوا واذَّخروا ، وأصله اذتخرته فثقلت التاء التى للافتعال مع الذال فقلبت ذالا وأدغمت فيها الذال الأصلية فصارت ذالا مشددة ، ومثله الاذّكار من الذكر . وقال الزجاج فى قوله تعالى : ﴿**تدخرون فى بيوتكم**﴾ [آل عمران : ٤٩] أصله تذْتخرون ، لأن الذال حرف مجهور لا يمكن النفس أن يجرى معه لشدة اعتماده فى مكانه ، والتاء مهموسة ، فأبدل من مخرج التاء حرف مجهور يشبه الذال فى جهرها وهو الدال فصار تدخرون . وأصل الإدغام أن تدغم الأول فى الثانى . قال : ومن العرب من يقول تذَّخرون ، بذال مشددة ، وهو جائز والأول أكثر .

والذخيرة : واحدة الذخائر ، وهى ما ذخر قال :

لعمرك ! ما مال الفتى بذخيرة

ولكن إخوان الصفاء الذخائر

وكذلك الذخر، والجمع أذخار (اللسان ١٧ / ١٤٩٠).

وقد غلب استعماله كلقب للعسكريين فى عصر المماليك، وقد يطلق على غيرهم. وقد استعمل فى تكوين بعض الألقاب المركبة مثل «ذخر الإسلام والمسلمين»، وكان يستعمل لبعض الملوك: مثل صاحب تونس، وملك التكرور؛ «وذخر الأمة» وهو من ألقاب أكابر العسكريين كنواب السلطنة؛ «وذخر الدولة»، «وذخر الغزاة والمجاهدين»، «وذخر الطالبين» وهو من ألقاب الصلحاء أى الذين يطلبون الوصول إلى الحق، «وذخر المسلمين» وهو من ألقاب الملوك، وكان يكتب به لإمام الزيدية باليمن؛ «وذخر الملة» وهو من ألقاب العسكريين؛ «وذخر الممالك» وهو من ألقاب الملوك؛ «وذخر المملكة»، «وذخر الموحدين» وهو من ألقاب أكابر العسكريين كالنائب الكافل ونحوه، «وذخر أمير المؤمنين» وهو دون «خليل أمير المؤمنين» فى مصطلح كتاب الإنشاء فى عصر الممالك (الألقاب الإسلامية / ٢٩٢).

(التعريف بمصطلحات صبح الأعشى ـ محمد قنديل البقلى / ١٥٢ عن صبح الأعشى للقلقشندى ٦ / ١٤، ولسان العرب لابن منظور ١٧ / ١٤٩٠، والألقاب الإسلامية ـ د. حسن الباشا / ٢٩٢).

*** ذخر الأرامل والمحتاجين:**

ذخر الأرامل والمحتاجين: أطلق على السلطان الملك الأشرف شعبان فى نص بتاريخ سنة ٧٧٠ هـ فى مدرسته. وهو من الألقاب المعروفة عند السنيين فى هذا العصر الذى يعتبر عصر النهضة السنية؛ وقد شاع فى هذه النهضة التحدث بالفضائل الإسلامية التى حث عليها الإسلام، واشتهر بها المسلمون الأول فى صدر الإسلام لاسيما عمر بن الخطاب. فيلاحظ أنه فى عصر هذه النهضة ظهرت الألقاب التى تشير إلى هذه الفضائل الإسلامية، ويتضح ذلك جليا بمقارنة هذه الألقاب ببعض الصفات التى عرف بها عمر بن الخطاب وعلى بن أبى طالب وأمثالهما من مسلمى الصدر الأول: فقد قال عبد الله بن عباس لمعاوية فى وصف عمر بن الخطاب:

« ... كان والله حليف الإسلام، ومأوى الأيتام، ومنتهى الإحسان، ومحل الإيمان، وكهف الضعفاء، ومعقل الحنفاء ... »؛ كما قال فى على بن أبى طالب « ... كان والله علم الهدى، وكهف التقى، ومحمل الحجا، وبحر الندا، وطود النُهى، وكهف العلا، للسورى داعيا إلى المحجة، متمسكا بالعروة الوثقى ... ».

(الألقاب الإسلامية ـ د. حسن الباشا / ٢٩٣).

*** ذخر الإسلام:**

انظر: الذخر.

*** ذخر الإسلام والمسلمين:**

انظر: الذخر.

*** ذخر أمير المؤمنين:**

ذخر أمير المؤمنين: من ألقاب المأمون البطائحى الوزير الفاطمى التى وردت فى سجله عند إسناد الوزارة إليه.

(الألقاب الإسلامية ـ د. حسن الباشا / ٢٠١).

*** ذخر الطالبين:**

انظر: الذخر.

*** ذخر العطشان:**

ذخر العطشان: منظومة تركية فى الطب لخضر بن عمر العطوفى المتوفى سنة ٩٤٨ ثمان وأربعين وتسعمائة نظمها للسلطان بايزيد.

(كشف الظنون ١ / ٨٢٢).

*** ذخر المسلمين:**

انظر: الذخر.

*** ذخر المتأهلين والنساء فى تعريف الأطهار والدماء:**

ذخر المتأهلين والنساء فى تعريف الأطهار والدماء: للمولى الفاضل محمد بن بير على الشهير ببركلى المتوفى (سنة ٩٨١ إحدى وثمانين وتسعمائة) أوله: الحمد لله الذى جعل الرجال على النساء قوامين ... إلخ وهو مرتب على مقدمة وستة فصول وتذنيب وفى المقدمة نوعان الأول فى تفسير الألفاظ المستعملة والثانى فى القواعد الكلية، والفصل الأول فى ابتداء ثبوت الدماء الثلاثة والثانى فى المبتدأة والمعتادة والثالث فى الانقطاع والرابع فى الاستمرار والخامس فى المضلة والسادس فى الأحكام والتذنيب فى حكم الجنابة والحدث وعذر المعذور أتمه فى يوم التروية سنة ٩٧٩ تسع وسبعين وتسعمائة (كشف ١ / ٨٢٢، ٨٢٣).

وهو من مخطوطات الفقه الحنفى بدار الكتب الظاهرية بدمشق (أو بمكتبة الأسد)، وجاء بيانه كما يلى، تحت عنوان قصير هو «ذخر المتأهلين»:

الرقم ٥٥١٤

تأليف: محمد بن بير البركوى أو بركلى المتوفى سنة ٩٨١ هـ/ ١٥٧٣ م انظر ترجمته فى حرف الباء فى م ٧ / ٤٢ - ٤٦).

وهى رسالة فى معرفة الدماء المختصة بالنساء وتعريف الأطهار والدماء.

وقد رتبها المؤلف على مقدمة وفصول ستة.

أولها: الحمد لله الذى جعل الرجال على النساء قوامين... أما بعد فقد اتفق الفقهاء على فرضية علم الحال.

آخرها: وما أصاب ثوب المعذور أكثر من قدر الدرهم فعليه غسله إن كان مفيدا وإن كان بحال لو غسله يتنجس ثانيا قبل الفراغ من الصلاة جاز أن لا يغسله.

نسخة جيدة، ضمن مجموع.

الخط نسخ معتاد. كتب سنة ١٠٩٠ هـ.

[٩٨ ١٠٥]ق ٢١س ٢٠×١٥سم

المراجع: معجم المؤلفين ٩ / ١٢٣.

نسخة ثانية

الرقم ٥٥٥٨

تتفق مع الأولى فى بدايتها ونهايتها.

نسخة جيدة، ضمن مجموع.

الخط نسخ جيد، كتب سنة ١١٠١ هـ.

[٢٥ - ٤٠] ق ١٣س ٢١ ×١٥سم

(كشف الظنون لحاجى خليفة ١ / ٨٢٢، ٨٢٣، وفهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية. الفقه الحنفى - وضع محمد مطيع الحافظ ١ / ٣٤٥، ٣٤٦).

*** ذخر المتقين:**

ذخر المتقين: فى الموعظة أوله: الحمد لله على ما منح لعباده الصالحين... إلخ لهبة الله بن عثمان بن خضر وهو فى شرح الحديث الأربعين. العشرة التى فى الباب الأول فى حق العلماء السوء والثانية فى حق العلماء الأخيار والثالثة فى حق الفقراء والرابعة فى الزهاد.

(كشف الظنون ١ / ٨٢٣).

*** ذخر المعاد على وزن بانت سعاد:**

مخطوط مصور فى معهد المخطوطات العربية بالقاهرة وجاء بيانه كما يلى:

لشرف الدين محمد بن سعيد البوصيرى، المتوفى سنة ٦٩٦ هـ كشف الظنون ١ / ٨٢٣.

وهى قصيدة عارض بها قصيدة كعب بن زهير بانت سعاد.

أوله: قال... البوصيرى رحمه الله تعالى ورضى عنه:

إلى متى أنت باللذات مشغول
وأنت عن كل ما قدمت مسئول

وآخره قوله:

دامت عليك صلاة الله يكفلها
من المهيمن إبلاغ وتوصيل
ما لاح ضوء صباح واستسرَّ به
من الكواكب قنديل فقنديل

كمل ذخر المعاد على وزن بانت سعاد بحمد الله وحسن عونه وتوفيقه.

نسخة بقلم مغربى جيد مضبوط، كتبت سنة ١٢٧٠ هـ. ضمن مجموعة من ص ٢٩٦ / ٣٠٩.

٧ ورقات ١٧ سطرا.

(المغرب - الرباط ٣٧٠ د).

(فهرست المخطوطات المصورة، معهد المخطوطات العربية. الأدب جـ ١ ق ٣ القاهرة ١٩٨٠ / ٢٥٥).

انظر: ذخر المعاد فى معارضة بانت سعاد.

أوردنا قصيدة بانت سعاد فى حرف الباء تحت عنوان «بانت سعاد (قصيدة -)» فى م ٦ / ٤٠٧ - ٤١٠ فانظرها فى موضعها.

*** ذخر المعاد فى معارضة بانت سعاد:**

ذخر المعاد فى معارضة بانت سعاد: قصيدة للبوصيرى شرحها الفقيه محمد بن عبد الملك بن دعثين «عبد السلام ابن عبد الحفيظ بن عبد الله بن دعثين» اليمنى وسماه إعداد الزاد ألفه سنة ٩٩٠ تسعين وتسعمائة.

(كشف الظنون ١ / ٨٢٣).

انظر : ذخر المعاد فى معارضة بانت سعاد، وذخر المعاد فى معارضة قصيدة بانت سعاد.

*** ذخر المعاد فى معارضة قصيدة بانت سعاد:**

من مخطوطات الأدب فى مكتبة المتحف العراقى وجاء بيانه كما يلى:

الرقم ٨٥٩٦/ ٢

لعلى بن محمد سعيد بن عبد الله السويدى البغدادى المتوفى سنة ١٢٣٧ هـ/ ١٨٢١ م.

الأول:

(يـا غـافـلا غـره وعـد وتسـويل
وغـره الحـرص إذ بـاداه تأميل
أمـا كفـاك أمـا تجـدى الأقـاويل
إلى متى أنت بـاللـذات مشغـول
وأنت عن كل ما قدمت مسؤول ...)

كتبه المؤلف فى دمشق تلبية لطلب عبد الرحمن باشا الكردي، وقد شرح الأصل والتسميط أبو الفوز محمد أمين السويدى، وسماه (المنح الإلهية فى شرح تسميط البوصيرية).

كتب هذه النسخة، محمود شكرى الآلوسى سنة ١٣١٩ هـ/ ١٩٠١ م.

٣١ ص　　٢٢×١٧ سم　　٢٩س.

الأعلام ٥ / ١٧، هدية العارفين ١ / ٧٧٣، فهرس الأوقاف ٣ / ٨٢ طبعت ضمن مجموع بالقاهرة ١٨٩٧ م ذخائر التراث ١ / ٣٩٩.

والمؤلف من علماء الحديث فى العراق، ولد ببغداد وتوفى بدمشق، له مؤلفات كثيرة، منها العقد الثمين في بيان مسائل الدين، تاريخ بغداد، شرح التعرف فى الأصلين والتصوف. (الأعلام ٥ /١٧).

(مخطوطات الأدب فى المتحف العراقى ـ أسامة ناصر النقشبندى وظمياء محمد عباس / ٣٠٧).

قالت المؤلفة : أوردنا ترجمة محمود شكرى الآلوسى فى حرف الألف تحت عنوان «الآلولسى (محمود شكرى)» فى م ١ / ٥٦١ ـ ٥٧٠ فانظرها فى موضعها.

*** ذُخر الملوك والسلاطين:**

كان يكتب به عن النواب من نسبة ألقاب المقر الشريف، وقد أورده الصلاح الصفدى فى دستوره عن نائب الشام.

(التعريف بمصطلحات صبح الأعشى ـ محمد قنديل البقلى / ١٥٤، عن صبح الأعشى للقلقشندى ٦/ ١٣١).

*** ذخر الممالك:**

من ألقاب بعض الملوك، وكذلك من ألقاب الوزراء من أرباب الأقلام، وورد ذكره فى مرتبة المقر الشريف.

(التعريف بمصطلحات صبح الأعشى ـ محمد قنديل البقلى / ١٥٤، عن صبح الأعشى للقلقشندى ٦/ ٤٩، ١٤٧).

*** ذَخكت:**

بفتح أوله، وسكون ثانيه : من قرى أسفيجاب (معجم البلدان لياقوت الحموى ٣/ ٤).

انظر : الذخكتى.

***الذَّخكتى:**

الذَّخكتى : بفتح الذال المعجمة والكاف بينهما الخاء المعجمة وفى آخرها التاء ثالث الحروف، هذه النسبة إلى ذخكت وهى مدينة بالروذبار وراء نهر سيحون من وراء بلاد الشاش، منها أبو نصر أحمد بن عثمان بن أحمد المستوفى الذخكتى أحد الأئمة، سكن سمرقند وحدث بها عن الشريف أبى نصر محمد بن محمد بن على الزينبى البغدادى، روى عنه أبو حفص عمر بن محمد بن أحمد النسفى الحافظ، وتوفى سنة ست وخمسمائة بسمرقند.

(الأنساب للسمعانى ـ تقديم وتعليق عبد الله عمر البارودى ٣/ ٨).

*** الذخير والعدة فى شرح البردة:**

من المخطوطات المصورة فى معهد المخطوطات العربية بالقاهرة، وجاء بيانه كما يلى:

لمحمد على بن علان الصديقى

أوله : الحمد لله الذى شرح بمدح نبينا ﷺ منا القلوب ... أما بعد: فهذا تعليق لطيف، وترصيف قريب منيف، على القصيدة المبينة عن كمال المودة المسماة بالبردة للعارف بالله ... البوصيرى ... لخصته من شرح المحدث الشهير أبى العباس أحمد بن أبى بكر القسطلانى، الملخص هو من شرح المحقق ابن مرزوق المغربى التلمسانى ، وزدت

فيه كثيرا من المزيد ... وجعلته أحبولة على أبواب كرم سيد المرسلين ... وسميته الذخر والعدة في شرح البردة ...

وآخره: بدأت في تأليفه يوم الأربعاء ١٣ ذي القعدة الحرام سنة ١٠٤٣ هـ وأتممته يوم السبت آخر يوم من الشهر المذكور... وكان ذلك بمسكني بجبل أبي قبيس تقبل الله ذلك بمنِّه، وهو حسبي ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

نسخة بقلم معتاد، كتبها مؤلفها سنة ١٠٤٣ هـ.

٦٣ ورقة		٢٥ سطرا		١٥ × ٢١ سم

(دار الكتب المصرية ٤١٦ شعر تيمور).

(فهرست المخطوطات المصورة، معهد المخطوطات العربية. الأدب جـ١ ق٣ القاهرة ١٩٨٠م/ ٢٥٦).

*** ذخيرة:**

قال ياقوت: ذخيرة: بلفظ واحدة الذخائر: موضع ينسب إليه التمر.

(معجم البلدان ٣ / ٤).

*** الذخيرة:**

من مصنفات التراث الإسلامي في الفقه المالكي.

مخطوط مصور في معهد المخطوطات العربية بالقاهرة وجاء بيانه كما يلي:

تأليف شهاب الدين أحمد بن إدريس القرافي المتوفى سنة ٦٨٤ هـ.

- الجزء الأول من نسخة كتبت سنة ٨٥٨.

مخروم من الأول - يبتدىء با لكلام على مقدمة في الفقه وينتهي بالباب الثاني والعشرين في تارك الصلاة.

[دار الكتب ٣٤ فقه مالك		٢١١ق		١٨×٢٧سم]

- الجزء الثاني من النسخة نفسها كتب سنة ٨٥٨ يبتدىء بأول كتاب الزكاة وينتهي بكتاب النكاح [دار الكتب ٣٤ فقه مالك ٢٤٩ ق ١٨ × ٢٧ سم].

- الجزء الرابع من نسخة كتب حوالي القرن التاسع أوله بخط مغربي والباقي بخط معتاد يبتدئ بباب بيع الخيار وينتهي بكتاب العدة.

[دار الكتب ٣٤ فقه مالك		٢٦٦ ق		١٨×٢٧سم]

- الجزء الخامس من نسخة كتبت حوالي القرن التاسع بقلم معتاد.

يبتدىء بكتاب الوقف وينتهي بالفصل الرابع في الاستحقاق

[دار الكتب ٣٤ فقه مالك		٢٩٣ق		١٨×٢٧سم]

- الجزء الخامس من نسخة أخرى كتبت في القرن العاشر يبتدىء بكتاب أمهات الأولاد وينتهي بكتاب الحدود.

[دار الكتب ٣٥ فقه مالك		٤٥١ ق		١٦×٢٣سم]

- الجزء السادس من نسخة كتبت في القرن العاشر يبتدىء بكتاب الفرائض وينتهي بآخر الكتاب.

[دار الكتب ٣٥ فقه مالك		٣٢٥ق		١٦×٢٣سم]

(فهرس المخطوطات المصورة، معهد المخطوطات العربية - تصنيف فؤاد سيد ١ / ٢٧٩، ٢٨٠).

*** ذخيرة الأعلام بتواريخ الخلفاء الأعلام وأمراء مصر الحكام وقضاة قضاتها في الأحكام من فتحها الإسلامي العُمَري لزمن ناظمها:**

من مصنفات التراث الإسلامي في التاريخ.

مخطوط مصور في معهد المخطوطات العربية بالقاهرة وجاء بيانه كما يلي:

وهي منظومة لأحمد بن سعد الدين الغمري العثماني الشافعي، المتوفى سنة ١٠٥٠ هـ.

(بروكلمان ٢ / ٢٩٧ وملحق ٢ / ٤٠٨).

أولها:

*بدأت باسم الواحد الرحمن		رب رحيم دائم السلطان*

*والحمد لله الذي قد ابتدع		جميع خلقه وأتقن ما صنع*

وآخرها:

*أو الشريا قرط ذا جمال		ونظمها فصل بالإجمال*

نسخة كتبت بقلم معتاد فرغ من نظمها سنة ١٠٤٠ وكتبت سنة ١١١٤. وهي في ١٩٧ ورقة، ومسطرتها ٢٣ سطرا.

[رواق الشوام - الأزهر ٧٠ تاريخ]		unesco

(فهرست / ١٨٢، ١٨٣).

وتوجد نسخة بالمعهد الدينى ـ دمياط (مجلة معهد المخطوطات / ٣٧٥)

(فهرست المخطوطات المصورة، معهد المخطوطات العربية، التاريخ، جـ ٢ ق ٤. القاهرة ١٣٩٠ هـ ـ ١٩٧٠ م م / ١٨٢، ١٨٣، ومجلة معهد المخطوطات العربية جـ ٢ م ٣ ربيع الثانى ١٣٧٧ هـ ـ نوفمبر ١٩٥٧ م. طبعة ثانية ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٣ م / ٣٧٥).

*** ذخيرة التلا، فى أحكام «كلا»:**

من مصنفات التراث الإسلامى فى القراءات والتجويد مخطوط مصور فى معهد المخطوطات العربية بالقاهرة وجاء بيانه كما يلى :

وهى منظومة لمحمد بن على بن موسى بن عبد الرحمن المحلى الخزرجي الأنصارى. كتبت سنة ٦٦٤ بخط مؤلفها.

[أحمد الثالث ١٧٣٤ (٧) ٣ق ١٨×٢٤ سم]

(فهرس المخطوطات المصورة، معهد المخطوطات العربية ـ تصنيف فؤاد سيد ١ / ٩).

قالت المؤلفة : مكتبة أحمد الثالث فى طوبقبو سراى باستانبول.

*** الذخيرة الجليلة شرح الوسيلة فى الحساب:**

لمحمد بن محمد بن أبى بكر الأزهرى البلبيسى توجد منه نسخة ببليبسيك عدد ٨٢٨ بروكلمان م ٢ / ٥، جـ ٢ / ١٢٦ (مجلة معهد المخطوطات العربية جـ١ م ١٨ ربيع الثانى ١٣٩٢ هـ ـ ١٩٧٢ م / ٧٥).

*** ذخيرة خوارز مشاهى:**

من مصنفات التراث الإسلامى فى علم الطب

أدرجه حاجى خليفة تحت هذا العنوان وقال عنه :

ذخيرة خوارز مشاهى : فى الطب لزين الدين إسماعيل ابن حسين الجرجانى الطبيب المتوفى سنة ٥٣٠ إحدى وثلاثين وخمسمائة فارسى فى اثنى عشر مجلدا كذا فى العيون ألفه لعلاء الدين تكش الخوارزمشاهى انتخب منه كتابا وسماه أغراض باسم ايل رسلان يقال إنه أحيا الطب به. وقد ترجمه بالتركية أبو الفضل محمد بن إدريس الدفترى المتوفى سنة ٩٨٢ اثنين وثمانين وتسعمائة (كشف ١ / ٨٢٤، ٨٢٥).

يوجد مخطوطه فى مكتبة المتحف العراقى وقد أدرج تحت هذا العنوان أيضا وجاء بيانه كما يلى :

لزين الدين إسماعيل بن الحسن بن محمد بن أحمد الحسينى العلوى المتوفى سنة ٥٣١ هـ وقبل ٥٣٥ هـ (١١٣٧ ـ ١١٤١ م).

الأول (الحمد لله حمد الشاكرين والصلاة على النبى محمد وآله الطاهرين وهو حسبنا ...)

وضعها المؤلف لعلاء الدين تكشى الخوارزمشاهى والذى سمى الكتاب باسمه ورتبه في عشرة كتب وجعل كل كتاب فى عدة مقالات. وهذه النسخة والنسخ التى تليها تكمل الكتاب. والمواضيع التى تتناولها الكتب العشرة هى :

الكتاب الأول فى بيان حد الطب والأخلاط والأمزجة ويقع فى ٦ مقالات.

الكتاب الثانى فى شرح الأمزجة وأحوال النبض وتغيرات أحوال البول والغائط فى ٩ مقالات.

الكتاب الثالث فى الأهوية والأطعمة والأشربة وجعله المؤلف فى قسمين وكل قسم فى ٧ مقالات.

الكتاب الرابع فى بيان تقدمة المعرفة والبحران ويقع فى ٤ مقالات.

الكتاب الخامس فى الحميات ويقع فى ٦ مقالات.

الكتاب السادس فى جزئيات الأمراض ويقع فى ٢١ مقالة.

الكتاب السابع فى أنواع الأورام والبثور وجعله فى ٨ مقالات.

الكتاب الثامن فى السموم المعدنية والنباتية والحيوانية فى ٦ مقالات.

الكتاب العاشر وجعله قرباذين فى الأدوية والمعاجين وهو فى مقالتين.

(انظر مادة «الإقراباذين» فى م ٥ / ٥٠٦ ـ ٥١٠).

معجم المؤلفين ٢ / ٢٦٤، والزريعة ١٠ / ١٠.

فرغ منها المؤلف سنة ٥٠٤ هـ ١١١٠ م.

نسخة نفيسه تتضمن الكتب الثلاثة الأولى كتبت سنة ٨١٨ هـ / ١٤١٥ م.

فى أولها فهرس لأبواب وموضوعات الكتاب.

القياس ٥١٨ ص ٢٧ × ١٧ سم ١٥س

وتوجد عدة نسخ ننقل بيان كل منها فيما يلي ، وقد احتفظنا بالأرقام التسلسلية كما وردت في النص .

٢٢٤ ـ نسخة أخرى .

تتضمن قسما من الكتاب الرابع والكتاب الخامس

الرقم ١٦٩٧٢

القياس ١٥٨ ص ٣٣,٥ × ٢١,٥ سم ٢٦س

٢٢٥ ـ نسخة أخرى .

تتضمن الكتاب الخامس .

كتبها ميرزا محمد مزيد الله الشريف الحزرولى سنة ١٠١٦ هـ / ١٦٠٧ م بخط النستعليق بالمدادين الأسود والأحمر.

الرقم ٢٦٢٦٧ .

القياس ٧٢ ص ٢٤×١٧سم ٤٢س

٢٢٦ ـ نسخة أخرى .

تتضمن الكتاب السادس

كتبت بخط النستعليق وبالمدادين الأسود والأحمر ترقى للقرن الحادى عشر الهجرى السابع عشر الميلادى ناقصة الأول والآخر.

الرقم ١٢٠٠٧١

القياس ١٩٤ ص ٢٧ × ١٧ سم ٢٥س

٢٢٧ـ نسخة أخرى .

تتضمن الكتب الأربعة الأخيره السابع والثامن والتاسع والعاشر.

نسخة خزائنية كتبت بقلم جيد على ورق مائل للزرقة لماع مؤطرة الصفحات بمداد ذهبى وأزرق ترقى للقرن الحادى عشر الهجرى السابع عشر الميلادى .

الرقم ١٢٠٤٦ .

القياس ٢٤٨ ص ٢٩,٥×١٦,٥ سم ٣١س

٢٢٨ ـ نسخة أخرى تتضمن قسما من الكتاب الثانى .

الرقم : ٢٠٤٥٠٥

القياس ٤٨ ص ٢٤,٥×١٨,٥سم ١٧س

٢٢٩ ـ نسخة أخرى .

تتضمن قسما من الكتاب الثالث جيدة الخط مؤطرة الصفحات بمداد ذهبى عليها آثار رطوبة ترقى للقرن الثانى عشر الهجرى الثامن عشر الميلادى .

الرقم : ١٨٢٨٩ .

القياس ١٥٦ ص ٣١,٥×٢٠,٥سم ١٩س

(مخطوطات الطب والصيدلة والبيطرة / ١٢٣ ـ ١٢٥).

وتوجد نسخة مصورة فى معهد المخطوطات العربية بالقاهرة وقد أدرجت فى «الفهرست» تحت عنوان «الذخيرة الخوارزمشاهية» وجاء بيانها كما يلى :

ألفها وترجمها إسماعيل بن الحسين الجرجانى المتوفى سنة ٥٣١هـ.

أوله : الحمد لله رب العالمين ... اعلموا ... أني بعد بلوغي السبعين من عمرى جمعت بخوارزم كتاب الذخيرة الخوارزمشاهية فى الطب باللغة العجمية، وبعد فراغى منه وجدت كل من نظر فى ذلك الكتاب يتأسف عليه ... ويقول : ليتك جمعت هذا الكتاب على هذا الترتيب باللغة العربية ... فاستعنت بالله سبحانه ... وأخذت فى هذا النقل.

وآخره مبتور، ينتهى أثناء الباب الرابع فى معرفة سبب الموت فجأة، وآخر ما فيه : فلذلك ينبغى أن ينقص خصب البدن.

نسخة بقلم نسخى من خطوط القرن السادس .

٢٦٠ صفحة ٢٣ سطرا .

[طهران كتبخانه ملى ملك ٤٧٧٢]

(فهرست المخطوطات المصورة / ٩٧).

كما توجد نسخة مدرجة تحت هذا العنوان أيضا «الذخيرة الخوارزمشاهية» فى كلية الطب ـ جامعة طهران (مجلة معهد المخطوطات العربية / ٣٧٥).

ونورد فيما يلى ترجمة لمؤلف «ذخيرة خوارزمشاهى» حيث فاتنا إدراجها فى موضعها، وقد أدرجها الزركلى تحت عنوان «الجرجانى (ـ٥٣١ هـ / ـ ١١٣٧ م) وقال :

إسماعيل بن حسين، أبو إبراهيم، زين الدين الجرجانى، طبيب، باحث، من أهل جرجان، أقام فى خوارزم، وبها صنف كتبه « الطب الملوكى» و «الرد على الفلاسفة» و «تدبير يوم وليلة» و «زبدة الطب» مخطوط فى مجلدين. وله

بالفارسية «ذخيرة خوارزمشاهي» ومختصره «الأغراض» وتداول الناس كتبه في أيامه (الأعلام ١ / ٣١٢) انظر أيضا تاريخ حكماء الإسلام / ١٧٢ ـ ١٧٤).

(كشف الظنون لحاجي خليفة ١ / ٨٢٤، ٨٢٥، ومخطوطات الطب والصيدلة والبيطرة في مكتبة المتحف العراقي ـ أسامة ناصر النقشبندي / ١٢٣ ـ ١٢٥، وفهرست المخطوطات المصورة، معهد المخطوطات العربية جـ٣ العلوم ق ٢ الطب. الكتاب الثاني القاهرة ١٣٩٨ هـ ـ ١٩٧٨ م/ ٩٧، ومجلة المخطوطات العربية. القاهرة جـ ٢ م ٣ ربيع الثاني ١٣٧٧ هـ ـ نوفمبر ١٩٥٧ م. طبعة ثانية ١٤١٤ هـ ـ ١٩٩٣ م / ٣٧٥، والأعلام للزركلي ١ / ٣١٢. انظر أيضا تاريخ حكماء الإسلام لظهير الدين البيهقي ـ عنى بنشره وتحقيقه محمد كرد علي / ١٧٢ ـ ١٧٤).

*** الذخيرة الخوارزمشاهية:**

انظر : ذخيرة خوارزمشاهي

*** ذخيرة العباد في تعريب زاد المعاد:**

أدرج في الفهرس تحت الرقم التسلسلي D274-00 وجاء عنه ما يلي :

لمحمد باقر الإصبهاني المجلسي (١١١٠ هـ / ١٧٠٠م) عربه عائذ الله بن صالح الأواكي .

٣٠٠ ورقة تقريبًا . القرن الثالث عشر.

ملاحظات : زاد المعاد هو لمحمد الباقر (فهرس / ٣٨).

ثم أدرج تحت الرقم التسلسلي ١٤٤ D 364 وجاء عنه ما يلي :

لتقي محمد إصفهاني (١١١٠ هـ / ١٧٠٠ م).

١٢٥ ورقة تقريبا . في القرن الثالث عشر.

ملاحظات : أدعية مختلفة .

(فهرس المخطوطات العربية في الإمبروزيانا بميلانو ـ وضعه د. صلاح الدين المنجد جـ ٢ ق ١ / ٣٨، ٨١).

*** ذخيرة العقبى:**

من مصنفات التراث الإسلامي في الفقه الحنفي .

يوجد مخطوطه بالخزانة العمرية في مكتبة المتحف العراقي وجاء بيانه كما يلي :

للمولى يوسف بن جنيد التوقاتي الرومي المعروف بأخي جلبي (أخي زاده) المتوفى سنة ٩٠٥ هـ / ١٤٩٩ م .

الأول (الحمد لله الذي شرح صدر الشريعة الغراء فملأه بالأحكام الشرعية البيضاء والصلاة والسلام ...).

ابتدأ بتأليفها سنة ٨٩١ هـ / ١٤٨٦ م وفرغ منها سنة ٩٠١ هـ / ١٤٩٥ م وهي حاشية في الفقه الحنفي لصدر الشريعة الأصغر عبيد الله بن مسعود المتوفى سنة ٧٥٠ هـ / ١٣٤٩ م على وقاية الرواية في مسائل الهداية لبرهان الشريعة المحبوبي المتوفى في حدود سنة ٦٧٣ هـ / ١٢٧٤ م .

نسخة جيدة عليها حواش وشروح في أولها فهرس كتبها بخط النسخ إبراهيم ابن سيدي الحنفي الأنقروي في مدينة أنقرة سنة ٩٥٢ هـ / ١٥٤٥ م .

الرقم ٢٢٣٦١ .

٤٦٢ ص .

القياس : ٢٥,٥ × ١٧,٥ سم ٢٥ سطرا

(مخطوطات الخزانة العمرية / ٣٨، ٣٩).

كما يوجد مخطوط في مكتبة متحف «مولانا» في قونيا وجاء بيانه كما يلي :

طرف البداية ناقصة . مكتوب بخط النستعليق .

والكتاب حاشية على «الوقاية» لصدر الشريعة محبوب بن عبيد الله المحبوبي ...

أوله : الحقيقة كطهارة البدن والثوب والمكان ...

آخره : بل يكن حكمه حكم الأخرس فلا يعتبر إشارة ...

تمت كتابة هذه الرسالة الشريفة المسمى [المسماة] بذخيرة العقبى لصدر الشريعة العظمى على يد أضعف عباد الله عيسى بن علي ... تاريخ سنة ثمان وثلاثين وتسعمائة يوم الخميس أوائل محرم الحرام .

مقياس المجلد : ٣٥×١٧

مقياس الكتابة : ١٧,٥ × ١١

عدد الأوراق : ٢٨٣

عدد الأسطر : ٢٣

رقمه في الخزانة : ١٣٥٧

رقم المجلد : ١٦٢ (المخطوطات العربية / ١٣٢).

(مخطوطات الخزانة العمرية في مكتبة المتحف العراقي ـ بغداد. مركز الخدمات والأبحاث الثقافية ق ٦ / ٣٨، ٣٩، والمخطوطات العربية في مكتبة متحف «مولانا» في قونيا. مركز الخدمات والأبحاث الثقافية ق ٥ / ١٣١، ١٣٢. انظر أيضا كشف الظنون لحاجي خليفة ١ / ٨٢٣).

*** ذخيرة العقبى فى ذم الدنيا:**

ذخيرة العقبى فى ذم الدنيا: تسع مقالات لمعين الدين أشرف المعروف بميرزا مخدوم المتوفى سنة ٩٨٨ ثمان وثمانين وتسعمائة ألفه للسلطان مراد خان وأهداه إليه أوله: الحمد بمن (الحمد لله حمد من) استحال أن يأتى بثناء يليق بعزته ... إلخ.

(كشف الظنون ١ / ٨٢٣).

*** ذخيرة الفتاوى أو الذخيرة البرهانية:**

ذخيرة الفتاوى: المشهورة بالذخيرة البرهانية للإمام برهان الدين محمود بن أحمد بن عبد العزيز بن عمر بن مازه البخارى المتوفى سنة ٦١٦ (فى المصدر التالى سنة ٥٧٠ هـ) اختصرها من كتابه المشهور بالمحيط البرهانى كلاهما مقبولان عند العلماء أوله الحمد لله مستحق الحمد والثناء. ... إلخ. قال الإمام برهان الدين إن سيدنا الإمام الصدر الشهيد حسام الدين ... جمع مسائل قد استفتى عنها وأحال جواب كل مسأله إلى كتاب موثوق به أو إلى إمام يعتمد عليه وهى وإن صغر حجمها فقد حوت كثيرا من الأحكام وقد جمعت أنا فى حداثة سنى وعنفوان عمرى فى إفتاء ما رفع إلىَّ من مسائل الواقعات أيضا وضممت إليها أجناسها من الحادثات وجمعت أيضا جمعا آخر استفتى منى مدة مقامى بسمرقند وذكرت فيها جواب ظاهر الرواية وأضفت إليها من واقعات النوادر وما فيها من أقاويل المشايخ وكان يقع فى قلبى أن أجمع بين هذه الأصول الثلاثة وأمهد لها أساسا وأجعلها أصنافا وأجناسا وقد انضم إلى ما وقع فى قلبى التماس بعض الأحباب فشرعت فى هذا الجمع وأوضحت أكثر المسائل بالدلائل وسميت المجموع بالذخيرة وشَّحته بالفوائد الكثيرة (كشف ١ / ٨٢٣، ٨٢٤).

يوجد مخطوطه فى خزانة المدرسة الأحمدية (فى محلة الجلوم ــ البهراقية) بحلب، وهى الآن تحت رعاية الأوقاف، وجاء بيان أجزائه كما يلى:

ذخيرة الفتاوى أو الذخيرة البرهانية ـ الجزء الأول ـ

تأليف: برهان الدين محمود بن أحمد بن عبد العزيز بن عمر بن مازة البخارى المتوفى سنة ٥٧٠ هـ / ١١٧٤م.

كتاب جمع فيه المصنف مسائل استفتى بها عندما كان مفتيا بسمرقند ومسائل أخرى استفتى بها الصدر حسام الدين برهان الأئمة وضم إلى تلك المسائل أجناسها من الحادثات، وأضاف إليها واقعات النوادر وما فيها من أقاويل المشايخ. وكان يعود فى كل مسألة يستفى بها إلى كتاب موثوق به أو إلى إمام يعتمد عليه، فحصل من ذلك هذا الكتاب فى الفتاوى. ويضم الجزء الأول هذا اثنى عشر كتابا هى:

الطهارة والصلاة والزكاة والصوم والحج والنكاح والطلاق والنفقات والعتاق والمكاتب والولاء والأيمان.

أوله بعد البسملة: «الحمد لله مستحق الحمد والثناء ومنزل اللطف والنعماء ...»

آخره: «... هكذا ذكر محمد رحمه الله والله أعلم. تم هذا الجزء المبارك بحمد الله وعونه وحسن توفيقه يتلوه فى الجزء الذى يليه كتاب الحدود، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم».

نسخة جيدة لم نقف على تاريخ نسخها إذ لم يختم هذا الجزء بختمة تشير إلى اسم الناسخ وتاريخ النسخ غير أننا نقدِّر أنها نسخت فى القرن العاشر الهجرى، خطها تعليق معتاد دقيق الحروف إلا أنه مقروء.

(٣٨٣) ق المسطرة (٣٥) س الأحمدية (٤٢٨ / ١) الفقة والفتاوى بروكلمان ١ / ٦٤٢.

الجزء الثانى.

يحتوى هذا الجزء على تسعة عشر بابا هى: (الحدود ـ السرقة ـ السير ـ الاستحسان ـ التحرى ـ اللقيط ـ اللقطة ـ الإباق ـ المفقود ـ الغصب ـ الوديعة ـ العارية ـ الشركة ـ الصيود ـ الذبائح ـ الأضحية ـ الوقف ـ الهبة ـ البيوع) وينتهى بآخر الفصل السادس من البيوع.

أوله بعد البسملة: «كتاب الحدود: هذا الكتاب يشتمل على ثمانى [ثمانية] فصول.».

آخره: «... ففى البيع بشرط الخيار أولى والله أعلم بالصواب، يتلوه الكتاب السابع فى الشروط».

هذه النسخة من جنس نسخة الجزء الأول، كتبت بخط نسخ جيد دقيق الحروف، وجعلت العناوين بالحمرة.

(٢٩٤)ق المسطرة (٣٥) س الأحمدية (٤٢٨ / ٢) الفقه والفتاوى.

الجزء الثالث:

يشتمل هذا الجزء على فصول من كتاب البيوع، وعلى سبعة أبواب:

الصرف ـ المداينات ـ الحوالة ـ الصلح ـ الرهن ـ المضاربة ـ الإجارات.

وينتهى بنهاية الفصل الثالث والعشرين من كتاب الإجارات.

أوله بعد البسملة: «الفصل السابع فى الشروط التى تفسد البيع والتى لا تفسد ...».

آخره: «... إذا زلق رجله وسقط الحمل وهلك. والله أعلم بالصواب. تم الجزء الثالث من كتاب الذخيرة المباركة، ويتلوه فى المجلد الأخير، الفصل الرابع والعشرون، فى بيان حكم الأجير الخاص والمشترى بحمد الله تعالى».

خط نسخة هذا الجزء يختلف قليلا عن نسخ الجزأين السابقين، ولم نقف على تاريخ نسخها لم يذكر من اسم ناسخها سوى كلمة منصور وقد كتبها بخط نسخ معتاد مقروء.

(٢٨٥)ق المسطرة (٣٥) س الأحمدية (٤٢٨ / ٣) الفقه والفتاوى.

الجزء الرابع.

يشتمل هذا الجزء على بعض الفصول من كتاب الإجارة ثم على عشرة كتب وهى: الشفعة ـ القسمة ـ الحيطان ـ المزارعة ـ الشرب ـ الأشربة ـ الإكراه ـ الحجر ـ الوكالة ـ الكفالة ـ وهو آخر الكتاب.

أوله بعد البسملة: «الفصل الرابع والعشرون فى بيان أحكام الأجير الخاص والمشترك ...»

آخر الكتاب: «... بمثل ما قبض من المستأجر فكذا فيما سبق والله تعالى أعلم بالصواب.

فى ذيل هذه النسخة نص صغير يتحدث به عن الذخيرة، صورته: رأيت بخط شيخ الإسلام جوى زاده أن كتاب الذخيرة البرهانية يتم بكتاب الكفالة فى عامة النسخ.

وقد يوجد فى بعضها أربعة كتب كتاب القضاء المعنون فى بعضها بكتاب المحاضر والسجلات، وكتاب الشهادات وكتاب الإقرار وكتاب المأذون والباقى كتاب الدعوى وكتاب الجنايات وكتاب الديات وكتاب المعاقل وكتاب إحياء الموات وكتاب الوصايا وكتاب الخنثى وكتاب الفرائض، ثمانية كتب ناقص لم يفِ عمر المؤلف رحمه الله تعالى رحمة واسعة.».

ـ وفى ذيل نسخة هذا الجزء أثبت تاريخ نسخ جملة الكتاب وذلك سنة ٩٩٦ هـ. ولم يذكر اسم الناسخ. وخط نسخة هذا الجزء مثل سائر الأجزاء نسخ معتاد مقروء.

(٢١٩) ق المسطرة (٣٥) س الأحمدية (٤٢٨ / ٤) الفقه والفتاوى.

(المنتخب من المخطوطات العربية فى حلب. مركز الخدمات والأبحاث الثقافية ق ٤ / ١٨٢ ـ ١٨٥).

*** ذخيرة الفقر فى تفسير سورة والعصر:**

ذخيرة الفقر فى تفسير سورة والعصر: للشيخ شمس الدين محمد بن محمد بن محمد ابن أمير الحاج الحلبى الحنفى أتمه بالقدس سنة ٨٧٦ ست وسبعين وثمانمائة.

(كشف الظنون ١ / ٨٢٤).

*** الذخيرة فى أصول الفقه:**

الذخيرة فى أصول الفقه: لأحمد بن حسين المعروف بابن برهان الفارسى المتوفى سنة ٣٠٥ خمس وثلثمائة (٣٥٠).

(كشف الظنون ١ / ٨٢٥).

*** الذخيرة فى علم البصيرة:**

الذخيرة فى علم البصيرة: للشيخ أحمد بن محمد الغزالى المتوفى سنة ٥٢٠ عشرين وخمسمائة وهو أخو الإمام أبى حامد الغزالى أولها: الحمد لله المتوحد بالعظمة والكبرياء ... إلخ ذكر فيه أنه جمع فيه ما فرقه أبو حامد فى تصانيفه الكثيرة من العلوم وحصرها فى أربعة أصول (١) فى معرفة النفس (٢) فى معرفة الرب (٣) فى معرفة الدنيا (٤) فى معرفة الآخرة.

(كشف الظنون ١ / ٨٢٥).

*** الذخيرة فى فروع الحنفية:**

من مصنفات التراث الإسلامى فى الفقه الحنفى.

مخطوط مصور فى معهد المخطوطات العربية بالقاهرة وجاء بيانه كما يلى :

تأليف برهان الدين محمود بن أحمد بن عبد العزيز بن عمر البخارى المتوفى سنة ٦١٦ هـ اختصرها من كتابه الكبير (المحيط البرهانى) .

ـ الجزء الأول من نسخة كتبت سنة ٦٥٤ بقلم نسخ جميل بخط إبراهيم بن الحسين السرمارى الحنفى .

[أحمد الثالث ٨٤٨	١٧٠ ق	١٥×٢١سم] .

ـ الجزء الثانى من نسخة أخرى كتبت سنة ٧٢٦ وبقلم نسخ جيد، يبتدىء بكتاب النكاح وينتهى بآخر كتاب النفقات .

[أحمد الثالث ٨٤٨	٣١٧ق	١٧ × ٢٦ سم] .

ـ الجزء الثالث من النسخة السابقة كتب سنة ٧٢٦ هـ بقلم نسخ جيد، ويبتدىء بكتاب العتاق وينتهى بآخر كتاب السرقة .

[أحمد الثالث ٨٤٨	٣٠٦ق	١٧×١٦سم]

ـ الجزء الرابع من النسخة السابقة كتب سنة ٧٢٦ هـ بقلم نسخ نفيس، ويبتدىء بكتاب الصيد وينتهى بآخر كتاب البيوع .

(فهرس المخطوطات المصورة، معهد المخطوطات العربية ـ تصنيف فؤاد سيد ١ / ٢٦١) .

قالت المؤلفة : مكتبة أحمد الثالث بطوبقبو سراى باستانبول .

*** الذخيرة فى فروع المالكية:**

الذخيرة فى فروع المالكية : لشهاب الدين أبى العباس أحمد بن إدريس القرافى المالكى المتوفى سنة ٦٨٤ أربع وثمانين وستمائة وأيضا فيه لأبى الخير جعفر بن محمد المروزى المتوفى ٤٤٢ اثنتين وأربعين وأربعمائة وفى فروع الشافعية للقاضى أبى على حسن بن عبد الله البندنيجى البغدادى الشافعى المتوفى سنة ٤٢٥ خمس عشرين وأربعمائة (كشف ١ / ٨٢٥) .

يوجد مخطوط كتاب القرافى بخزانة جامع القرويين بمدينة فاس (المجلد الأول منه) برقم ٦٨ ى (مجموعة مختارة / ٢٢٠) .

(كشف الظنون لحاجى خليفة ١ / ٨٢٥، ومجموعة مختارة لمخطوطات عربية نادرة من مكتبات عامة في المغرب . مركز الخدمات والأبحاث الثقافية ق ١ / ٢٢٠) .

*** الذخيرة فى محاسن أهل الجزيرة:**

الذخيرة فى محاسن أهل الجزيرة : يعنى جزيرة أندلس لأبى الحسن على المعروف بابن بسام الشاعر المتوفى سنة ٤٠٣ ثلاث وأربعمائة (٣٠٢) (لاحظ الاختلاف فى تاريخ وفاته فى المصادر التالية) (انظر ترجمته فى م ٧ / ٨٤، ٨٥) وقد اختصره أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الأنصارى اللغوى المتوفى سنة ٧١١ إحدى عشرة وسبعمائة وسماه بلطائف الذخيرة (كشف ١ / ٨٢٥) .

يقول الدكتور عمر الدقاق :

ألف هذا الكتاب على بن بسام الأندلسى من رجال القرن السادس الهجرى وأسماه «الذخيرة فى محاسن أهل الجزيرة» ويقصد بالجزيرة الأندلس والذخيرة من أهم المصادر التى تتناول تراجم شعراء الأندلس ونتاجهم الأدبى .

ويبدو أن ما دفع ابن عبد ربه إلى تأليف كتابه العقد الفريد فى القرن الرابع هو أيضا ما دفع ابن بسام إلى تأليف الذخيرة. فقد كانت معارضة المشارقة والتشبه بهم شغل كثير من أهل الأندلس . وكما نسج ابن عبد ربه كتابه على منوال عيون الأخبار حذا ابن بسام فى الذخيرة حذو يتيمة الدهر. وقد جهر ابن بسام بهذا العزم فى خطبة كتابه ولم يجد فى هذا غضاضة لأن الأصالة لا يضيرها مثل هذا التأثر، وفى ذلك يقول: « . . وإنما ذكرت هؤلاء اتساء بأبى منصور فى تأليفه المشهور المترجم بيتيمة الدهر فى محاسن أهل العصر.

ويبدو أن ابن بسام كان يرمى فى كتابه أيضا إلى أن يوضح مدى اقتداره على التأليف بما لا يقل عن أمثاله فى المشرق وأن يعرض فى الوقت نفسه تفوق قومه الأندلسيين فى فنون القول .

وابن بسام يتبنى منهج الثعالبى فيجعل كتابه أيضا فى أربعة أقسام متبعا فى ذلك مبدأ الأقاليم :

القسم الأول: فى قرطبة وما حولها فى وسط الأندلس .

القسم الثانى : فى إشبيلية وما يصاقبها من غرب الأندلس .

القسم الثالث : فى بلنسية وما يليها من شرق الأندلس .

القسم الرابع : فى الملمين بالأندلس والطارئين عليها من إفريقيا والمشرق .

والذخيرة تشبه اليتيمة من وجوه أخرى، منها غلبة السجع والتأنق اللفظى على عبارة المؤلف فى التعريف بالشعراء والترجمة لهم وذكر أخبارهم ونقدهم . ومن هذه الوجوه أيضا عنايته بالملوك والأمراء والرؤساء ومأثور كلامهم، وما يكون من تأثيرهم فى الأدب . غير أن ابن بسام كما يرى طه حسين أبعد نظرا من الثعالبى وأنفذ بصيرة وأعمق تفكيرا وأدق منه ملاحظة لما يكون من الصلة القوية بين طبيعة البيئة وبين النتاج الأدبى .

وقد قصر ابن بسام ذخيرته على أدباء عصره على غرار ما فعل الثعالبى فى يتيمته، والكتاب يتسم بغزارة النصوص ويشتمل على كثير من منظوم القول ومنثوره، فهو من هذه الزاوية ينطوى على مختارات أدبية وافرة، كما أنه ينطوى فى الوقت نفسه على تراجم كثيرة لأدباء القرن الخامس الهجرى من الأندلسيين ويبلغ عددهم ١٥٤ ترجمة أكثرها يتناول بإسهاب أعيان الأدب والسياسة ممن عاصرهم ابن بسام أو تقدموه قليلا .

ويفصح ابن بسام عن منهجه فى خطبة كتابه فيقول بأسلوب أهل عصره المتأنق : « ... ولا تعديت أهل عصرى ممن شاهدته بعمرى أو لحقه بعض أهل دهرى، إذ كل مردد ثقيل وكل متكرر مملول . وقد مجت الأسماع (يا دار مية بالعلياء فالسند) وملّت الطباع (لخولة أطلال ببرقة ثهمد) ومحت (قِفا نَبْكِ) فى يد المتعلمين ... وليس الفضل على زمن بمقصور... » .

ثم يقول ابن بسام فى زهو : «وضمنت كتابى هذا من أخبار أهل الأفق ما لعلى سأربى به على أهل المشرق» .

وكتاب الذخيرة كبير الحجم ويقارب فى ذلك العقد الفريد(مصادر التراث العربى / ٢٥٠ـ٢٥٢).

ويبسط المؤرخ عبد الله عنان الكلام على هذا الكتاب النفيس فيقول رحمه الله . للعنوان الذى اتخذه ابن بسام لكتابه مغزى واضح ويصارحنا ابن بسام فى مقدمته بالدافع النفسى، الذى دفعه إلى تصنيف كتابه «الذخيرة»، وهو أنه رأى انصراف أهل عصره وقطره، إلى أدب المشرق والتزود منه، والإعجاب به، وإهمال أدب بلدهم، فأراد بوضع الذخيرة وجميع ما تضمنه من رائق المنثور والمنظوم، أن يبصر أهل الأندلس بتفوق أدبائهم، وروعة إنتاجهم، وأنه من حقهم أن يزهوا بأدبهم، وأن يتذوقوه، وأن الإحسان ليس مقصورا على أهل المشرق . ومن الواضح أيضا أن ابن بسام أراد أن يعارض بكتابه فى محاسن أهل الجزيرة، أى جزيرة الأندلس، أديب المشرق الكبير أبا منصور الثعالبى صاحب «يتيمة الدهر فى محاسن أهل العصر»، فالذخيرة واليتيمة بذلك صنوان، يدعو كل منهما إلى تذوق محاسن قطره وفضلا عن هذه الظاهرة التى حرص ابن بسام على أن يؤكدها لكتابه، فإن كتاب «الذخيرة»، يعتبر ـ بمحتوياته من التراجم القوية العديدة، لعشرات من رجالات الأندلس ومفكريها وأدبائها، والمختارات النثرية والشعرية المنوعة، والنبذ التاريخية الكثيرة الموضوعة والمقتبسة، من مصادر عديدة سابقة ومعاصرة ـ يعتبر من أنفس مصادرنا التاريخية والأدبية والاجتماعية، ولا سيما عن عصر الطوائف وأمرائه وأدبائه وشعرائه .

ويشتمل كتاب «الذخيرة» وفقا لتصنيف مؤلفه على أربعة أقسام: القسم الأول «لأهل حضرة قرطبة وما يصاقبها من بلاد متوسطة الأندلس» . ويشتمل من الأخبار وأسماء الرؤساء وأعيان الكتاب والشعراء على جماعة» . والقسم الثانى «لأهل الجانب الغربى من الأندلس، وذكر أهل حضرة إشبيلية، وما اتصل بها من بلاد ساحل البحر المحيط الرومى، وفيه من الأخبار وأسماء الرؤساء وأعيان الكتاب جملة موفورة» . ويخصص القسم الثالث «لأهل الجانب الشرقى من الأندلس، ومن نجم من كواكب العصر فى أفق ذلك الثغر الأعلى، إلى منتهى كلمة الإسلام هنالك، وفيه من القصص وأسماء الرؤساء وأعيان الكتاب والشعراء طوائف» . والقسم الرابع يختص «بمن طرأ على هذه الجزيرة فى المدة المؤرخة من أديب شاعر وأوى إلى ظلها من كاتب ماهر، وذكر طائفة من مشهورى أهل تلك الآفاق، ممن نجم فى عصرنا بإفريقية والشام والعراق» .

تلك هى أقسام كتاب «الذخيرة» ومحتوياته . وإنه لما يدعو إلى الغبطة أن البحث قد استطاع أخيرا، أن يضع يده

على النص الكامل لكتاب «الذخيرة» بأقسامه ومجلداته الأربعة، بعد أن لبث مدة طويلة مفتقدا لبعض أجزائه.

ويتبع ابن بسام فى تأليف كتابه منهجا خاصا. فأما من الناحية التاريخية، فهو يصارحنا فى مقدمة كتابه، بأنه يعتمد فى التعريف بأخبار ملوك الجزيرة، وسرد قصصهم المأثورة، ووقائعهم المشهورة على ابن حيان، وينقل عنه ما سطر، وأنه عول على تاريخه الكبير فى أكثر ما يكتبه فى هذا الباب، وذلك إعفاء لنفسه من المسئولية، ومعارضة من أحرز فى وقته قصب السبق. وهذا الموقف فى الاعتماد على ابن حيان، يشهد لابن بسام بالروية، وسعة الأفق. ذلك لأنه لا يحجم فى الفصل الذى خصصه لابن حيان فى الذخيرة عن مهاجمته والحملة عليه، وانتقاده لأنه فى حديثه عن ملوك الطوائف وأمرائهم، يتقلب بين المديح والذم، وفقا لعواطفه وأهوائه، ويورد لنا فى التدليل على ذلك، ما يختتم به مقدمة كتابه «المقتبس» من إهدائه للمأمون بن ذى النون فى عبارات إجلال وتقدير، ثم ما عمد إليه بعد ذلك من توجيه رسالة تهنئة حارة إلى ابن عباد فاتح قرطبة، والمنتصر على ابن ذى النون، وابن بسام ينكر هذه الخلة فى التقلب والتناقض على ابن حيان. ومع ذلك فإن ابن بسام، يفرد فى الذخيرة فصلا كبيرا خاصا بابن حيان، ويعرب لنا فى أكثر من موضع عن عميق تقديره للمؤرخ الكبير، ولكتابه الجامع، وينقل منه عشرات الشذور التى تشهد بروعة عرضه لمختلف الحوادث، كما تشهد بقوة ملاحظته وبراعته النقدية.

وفيما عدا المسائل التاريخية البحتة، فإن ابن بسام يتولى بأن يقدم إلينا مختلف الشذور الأخرى، ثم هو فى أحيان كثيرة يعرض لنا بعض الحوادث التاريخية بقلمه وبأسلوبه الخاص، ويعرفنا صراحة بأنه هو كاتبها فى قوله «قال أبو الحسن» أو «قال ابن بسام»، وأكثر ما يقدمه إلينا الشذور والصور الأدبية، ويخصص ابن بسام لأكابر الشعراء والكتاب البارزين، فى كتابه، فصولا ضافية، وقد يصل ما يكتبه أحيانا عن أحدهم قدر كتاب برمته، وهذا ما فعله مثلا فى الكتابة عن أبى عامر بن شهيد، وأبى الوليد بن زيدون.

ويقدم إلينا ابن بسام شخصياته ما بين خلفاء وأمراء ووزراء وكتّاب وشعراء بطريقة خاصة، تقوم أولا على ذكر ما اتصفوا به من الصفات الأدبية، وثانيا على تقديم ما أمكن من آثارهم من مختار المنثور والمنظوم، ومن هؤلاء بالطبع كثير من رجالات الطوائف، الذين عاصرهم ابن بسام أو عاش قريبا من عصرهم.

وللشذور التى ينقلها ابن بسام عن ابن حيان فى ذكر أمراء الطوائف ووزرائهم وأدبائهم أهمية بالغة، لأنها كتبت بقلم معاصر قوى الملاحظة، شديد الاتصال، وهذه الشذور المعاصرة بالذات هى التى لم تصلنا من مؤلف ابن حيان، ومن ثم فإن لابن بسام أكبر الفضل فى نقلها إلينا على هذا النحو.

ويتبع ابن بسام فى معظم ما يكتبه طريقة السجع، ولكنه مع ذلك يكتب بأسلوب مشرق فى مجموعه، وإن كان السجع يطغى على بعض المعانى، ويذهب به إلى ضروب من المبالغة.

ويعتبر كتاب «الذخيرة» مثل كتاب «العقد الفريد» من الكتب الأندلسية المميزة لعصر بعينه، بيد أنه على النقيض من «العقد الفريد» الذى يغلب على محتوياته أدب المشرق، يعتبر أروع نموذج للأدب الأندلسى الرفيع، وإنك لتكاد تشعر من تلاوة محتوياته أنك تعيش مع شخصياته فى عصرهم، وفى ظروف مجتمعهم، وتتذوق مع مؤلفه تلك المختارات العديدة الرائقة التى يوردها من منثورهم ومنظومهم (تراجم إسلامية ٣٠١ ـ ٣٠٤).

واشتملت «الذخيرة ...» على ١٥٤ ترجمة مسهبة لأعيان الأدب والسياسة ممن عاصرهم المؤلف، أو تقدموه قليلا.

عنى بتحقيق «الذخيرة» والتعليق عليها ونشرها: د. إحسان عباس. وظهرت فى أربعة أقسام، كل قسم فى مجلدين اثنين (دار الثقافة ـ بيروت ١٩٧٥).

وكان قد ظهر بين سنتى ١٩٣٩ ـ ١٩٤٢ القسم الأول من «الذخيرة» فى مجلدين، بعناية لجنة من المحققين، ولجنة من المشرفين على التحقيق.

وفى سنة ١٩٤٥ ظهرت قطعة من القسم الرابع ثم توقفت اللجنة المضطلعة بتحقيق الكتاب عن متابعة عملها.

فى (نشرة «أخبار التراث العربى»: القاهرة ١ / ١٠ /

١٩٧٥، السنة ٥، ع ٨٤، ص ٦) أن «الأستاذ حسين يوسف خربوش، من الأردن، يعد رسالة دكتوراه موضوعها ـ ابن بسام وكتابه الذخيرة ـ، وذلك فى كلية الآداب بجامعة الإسكندرية تحت إشراف الدكتور مصطفى غازى، وقد اطلع على عدد من المخطوطات المتعلقة بموضوعه، ومنها نسخة الذخيرة الموجودة بالمعهد، وديوان ابن سهل الإسرائيلى».

لابن منظور (ت: ٧١١ هـ/ ١٣١١ م) صاحب «لسان العرب»: «لطائف الذخيرة»: اختصر به «الذخيرة فى محاسن أهل الجزيرة»: لابن بسام. (مخطوطات المجمع العلمى العراقى ٢ / ١٤٠).

ولدينا من مخطوطات «الذخيرة» ما يلى:

١ ـ مخطوط فى المجمع العلمى العراقى: القسم الثالث ـ القطعة الأولى، والقطعة الثانية. وجاء بيان المخطوط كما يلى:

(القسم الثالث ـ القطعة الأولى).

أوله: «البسملة ...، التصلية ...،

القسم الثالث من كتاب الذخيرة فى محاسن أهل الجزيرة:

ذكر الجانب الشرقى من جزيرة الأندلس، وتسمية من نجم فى أفقه كواكب العصر، وبرز فى ميادينه من فرسان النظم والنثر...».

آخره: الكلام على «جملة من أخبار هشام بن محمد الناصر أمير قرطبة». بخط مغربى جيد.

ق: ١ ـ ١٣٨أ، ٢٣ س.

(٥ / جغرافية ـ رحلات).

(القسم الثالث ـ القطعة الثانية).

أوله: (تتمة الكلام الذى ورد فى آخر (القطعة الأولى).

آخره: ترجمة: «الوزير الكاتب أبو [أبى] بكر بن ذى الوزارتين أبى الحسين بن رحيم ...» والظاهر أن القطعة هذه مخرومة الآخر.

بخط مغربى جيد.

ق: ١٣٨ ب ـ ٢٨٣، ٢٣ س والقطعتان: الأولى والثانية من القسم الثالث من «الذخيرة ...» ٢٨٣ ق)، مصورتان عن نسخة خطية فى (مكتبة الزاوية الحمزاوية بالمغرب).

(٦ / جغرافية ـ رحلات).

من «الذخيرة ...» بعض نسخ خطية، منها كاملة الأجزاء، ومنها ناقصة، مبثوثة فى خزائن كتب ديار الشرق والغرب. راجع بشأنها:

(«بروكلمان» ١: ٣٣٩؛ ذا: ٥٧٩).

(كوركيس عواد: «المخطوطات التاريخية فى خزانة كتب المتحف العراقى ببغداد» ص ٥٦).

(«مجلة معهد المخطوطات العربية» ١ [القاهرة ـ مايو ١٩٥٥] ع ١، ص ٤٥)، («فهرس المخطوطات العربية المحفوظة فى الخزانة العامة برباط الفتح ـ المغرب الأقصى» ٢: ١٦٧ ـ ١٦٨، الأرقام 2182 (D1324)؛ (D1350) («فهرس المخطوطات» دار الكتب ١: ٣٣٩)، («فهرس المخطوطات المصورة»: معهد المخطوطات العربية ـ القاهرة ـ ٢/ ٤: ١٨٣ ـ ١٨٤؛ الأرقام ١٦٣٣، ١٦٣٤، ١٦٣٥، ١٦٣٦)، (محمود على مكى: «تقرير عن المخطوطات العربية فى المغرب»: «صحيفة معهد الدراسات الإسلامية فى مدريد»: المجلدان: التاسع والعاشر ١٩٦١ ـ ١٩٦٢، ص ٤٤٨).

وفى خزانة جامعة القاهرة نسخة مصورة من (القسم الرابع) من «الذخيرة».

فى الخزانة التيمورية، برقم ٩٩٩ تاريخ (مخطوطات المجمع العلمى العراقى ٢ / ١٤٠ ـ ١٤٣).

٢ ـ مخطوط فى مكتبة المتحف العراقى وجاء بيانه كما يلى:

الرقم ١٥٨٦

لأبى الحسن على بن بسام الشنتريني المتوفى سنة ٥٤٢ هـ/ ١١٤٧م.

الأول (الحمد لله الذى أبرز ثمر الآداب فى سماء الكمال وجعل لها أهلا كالنجوم يقتدى بهم ويهتدى مدى الأيام والليالى ...).

وهو كتاب فى تأريخ الأندلس وأدبه رتبه المؤلف على أربعة أقسام وهى: ـ

القسم الأول لأهل قرطبة وما يعاقبها من وسط بلاد الأندلس وشمل أخبار الشعراء والأمراء والأعيان.

القسم الثانى لأهل الجانب الغربى من الأندلس وهو فى ذكر إشبيلية وما يجاورها من بلاد ساحل البحر المحيط الرومى وما فيها من أسماء وأدباء ورؤساء وأعيان.

القسم الثالث فى أهل الجانب الشرقى من الأندلس.

القسم الرابع تناول من طرأ على هذه الجزيرة من الأدباء والشعراء والمشاهير تتضمن هذه النسخة الجزء الأول من الكتاب كتبه محمود حمدى لخزانة عبد الحميد البكرى سنة ١٣٣١ هـ/ ١٩١٢ م.

القياس ٤٧٧ ص ٢٥×٣٥سم ٢٥س

بروكلمان ١ / ٣٣٩ ذ/ بروكلمان ١ / ٥٧٩ معجم المؤلفين ٧/ ٤٣ طبع.

نسخة أخرى.

الرقم ١٥٨٧

تتضمن الجزء الثانى الذى يكمل الجزء الأول السابق كتبها محمود حمدى لخزانة عبد الحميد البكرى سنة ١٣٣٢ هـ/ ١٩١٣ م.

القياس ٥١٦ ص ٢٥×٣٥سم ٢٥س

(مخطوطات التاريخ والتراجم والسير / ١٩٣ ، ١٩٤).

٣ ـ مخطوط فى الخزانة العامة بالرباط وجاء بيانه كما يلى، وليس فى عنوانه لفظ «أهل»، ويلاحظ أن رقمه ١٣٣٤د جاء فى النسخة المصورة بمعهد المخطوطات العربية ١٣٢٤ د:

١٣٣٤ د ــ الذخيرة فى محاسن الجزيرة ــ تأليف أبى الحسن على بن محمد بن نصر بن منصور بن بسام الشنتريني، المتوفى ـ حسبما يزعم البعض ــ سنة ٥٤٣هـ/ ١١٤٧ م.

أولها: أما بعد حمداً لله ولى الحمد وأهله، والصلاة والسلام على محمد خاتم رسله ... إلخ.

تكلم فيها على أدباء أهل جزيرة الأندلس، وأتى على عجائب علمهم، وغرائب نظمهم ونثرهم، وقسمها إلى أربعة أقسام... الموجود منها الأقسام الثلاثة الأولى.

بالقسم الأول ورقات ١٦٧، مسطرته ٢٩، مقياسه ٢٨٠ / ٢١٠.

بالقسم الثانى ورقات ١٥٧، مسطرته ٣٠، مقياسه ٢٧٠ / ١٩٥.

بالقسم الثالث ورقات ١٩٠، مسطرته ٢٥، مقياسه ٢٨٠ / ٢٠٥.

فرغ من القسم الثانى فى زوال يوم الأربعاء ٢٤ ذى القعدة ١٠٠٥، ومن القسم الثالث بتاريخ أواخر صفر سنة ١٠٠٣، والأجزاء الثلاثة المذكورة تم نسخها على يد أحمد بن الحاج على بن الحاج أبى القاسم بن محمد بن سودة الأندلسى، خط أندلسى جيد مشكول.

تكلم عنها بروكلمان فى ملحقه ج١ ص ٥٧٩.

طبع منها القسم الأول الخاص بأدباء قرطبة فى سفرين، باعتناء وتصحيح أحمد أمين، ومصطفى عبد الرزاق، وعبد الحميد العبادى، وعبد الوهاب عزام، وليفى بروفنصال، وطه حسين. القاهرة ١٣٥٨ ـ ١٣٦١ هـ (١٩٣٩ ـ ١٩٤٢ م).

وطبع الجزء الأول من القسم الرابع الخاص بمن طرأ على الجزيرة الأندلسية من الأدباء، باعتناء، وتصحيح الأساتذة: عبد العزيز محمد الأهوانى، وعبد القادر القط، ومحمد عبده عزام، مع إشراف الأستاذ عبد الوهاب عزام. القاهرة ١٣٦٤هـ (١٩٤٥ م).

١٣٥٠ د ـ نسخة أخرى منها ـ

الموجود منها القسم الرابع فقط.

وبه ورقات ٢٢٢، مسطرته ٣٠، مقياسه ٢٩٠ / ٢٨٥.

فرغ من نسخه يوم الأحد ٧ ربيع الثانى سنة ١١٢٦ خط مغربى جيد.

والقسم الرابع المذكور مأخوذ بالتصوير الشمسى عن النسخة الخطية المحفوظة بمكتبة ناظر أحباس مارستان فاس الفقيه العلامة السيد أحمد النميشى.

١٤٩٨ د ـ نسخة أخرى منه ـ

فى مجموع، من ورقة ١ / أ إلى ١٢ / ب، مسطرتها ٢٨، مقياسها ٢٣٠ / ١٧٥، خط مغربى وسط.

وعندنا منه ثلاث نسخة مسجلة تحت الأرقام الآتية: (١٠٢ د) ـ (١٥١ د) ــ (٤٧٨ د) (مجموعة مختارة ق ١ / ٦٤، ٦٥).

٤ ــ مخطوط مصور فى معهد المخطوطات العربية بالقاهرة، وجاء بيانه كما يلى، ويلاحظ أن الرقم هنا هو ١٣٢٤ د ، وهو نفسه فى المخطوط رقم ٣ السابق ذكره رقم ١٣٣٤ د :

لأبى الحسن على بن بسام الشنتريني، المتوفى سنة ٥٤٢ هـ.

(بروكلمان ١ / ٣٣٩ وملحق ١ / ٥٧٩).

القسم الأول

أوله : «أما بعد حمد الله ولى الحمد وأهله ... » .

وينتهى بأرجوزة فى دولة المرابطين بالأندلس، من آخر ترجمة أبى طالب عبد الجبار من أهل جزيرة شقر وآخر ما فيها :

ثم ولى على بن يوسف
مهتديا حكم أبيه يقتفى

نسخة كتبت بخط مغربى فى ١٦٧ ورقة، ومسطرتها ٢٩ سطرا.

[الرباط ١٣٢٤ د] Unesco

القسم الثانى من نسخة أخرى.

أوله : فصل فى ذكر الأعيان المشاهير من أرباب صناعة المنظوم والمنثور بحضرة إشبيلية ونواحيها» .

وينتهى بترجمة أبى محمد عبد الله بن صارة الشنتريني، وآخر ما فيه :

لم يرضه عرض الدنيا فجاد به
وضن بالأكرمين العرض والدين

نسخة كتبت بقلم مغربى، فرغ منها يوم الأربعاء ٢٤ من ذى القعدة سنة ١٠٠٥ وهى فى ١٥٧ ورقة ومسطرتها ٣٠ سطرا.

[الرباط ١٣٢٤ د] Unesco

القسم الثالث من نسخة أخرى

أوله : مبتور . وبعد ثلاث ورقات يبدأ «فصل فى ذكر ذى الوزارتين الكاتب... أبى عبد الرحمن بن طاهر» .

وينتهى بفصل يشتمل على طوائف مقلين، وآخره : «تم القسم الثالث من كتاب الذخيرة ... » .

نسخة كتبت بقلم مغربى بخط أحمد بن الحاج على بن الحاج أبى القاسم محمد بن سودة الأندلسى، فرغ منها أواخر صفر سنة ١٠٠٣ . وهى فى ١٩٠ ورقة، ومسطرتها ٢٥ سطرا.

[الرباط ١٣٢٤ د] Unesco

القسم الثالث من نسخة أخرى .

أوله «ذكر الجانب الشرقى من جزيرة الأندلس وتسمية من نجم فى أفقه من كواكب العصور» .

وينتهى بترجمة الوزير الكاتب أبى بكر بن ذى الوزارتين أبى الحسين بن رحيم .

نسخة كتبت بخط مغربى جيد، فى ٢٨٥ ورقة، ومسطرتها ٢٣ سطرا.

[الزاوية الحمزاوية ٤] Unesco

(فهرست المخطوطات المصورة/ ١٨٣، ١٨٤).

وجاء فى كتاب الأعراب الرواة ما يلى :

الذخيرة فى محاسن أهل الجزيرة: على بن بسام أبو الحسن المتوفى ٥٤٢ هـ لجنة التأليف والترجمة والنشر سنة ١٩٣٩ م وهو القسم الأول المجلد الأول أصدرته كلية الآداب جامعة فؤاد الأول ــ نسخة أخرى فى مجلدين وهما القسم الأول من المجلد الأول، والقسم الأول من المجلد الثانى طبع مصر سنة ١٩٤٢ م ١٠١٣٣ ج ـ نسخة أخرى وهى القسم الرابع من المجلد الأول طبع مصر سنة ١٩٤٥ م ١٠١٣٤ ج

(الأعراب الرواة/ ٣٣٤).

قالت المؤلفة : أوردنا طبعات كتاب «الذخيرة فى محاسن أهل الجزيرة» فى مادة «ابن بسام» فى م ٧ / ٨٤، ٨٥ فانظرها فى موضعها.

(كشف الظنون ١ / ٨٢٥، ومصادر التراث العربى ـ د. عمر الدقاق / ٢٥٠ ـ ٢٥٢، وتراجم إسلامية شرقية وأندلسية ـ محمد عبد الله عنان / ٣٠١ ـ ٣٠٤، ومخطوطات المجمع العلمى العراقى ـ دراسة وفهرسة ميخائيل عواد ٢ / ١٤٠ ـ ١٤٣، ومخطوطات التاريخ والتراجم والسير فى مكتبة المتحف العراقى ـ أسامة ناصر النقشبندى وظمياء محمد عباس / ١٩٣، ١٩٤، ومجموعة مختارة لمخطوطات عربية نادرة من مكتبات عامة فى المغرب. مركز الخدمات والأبحاث الثقافية ق ١ / ٦٤، ٦٥، وفهرست المخطوطات المصورة، معهد المخطوطات العربية، التاريخ،

جـ ٢ ق ٤ . القاهرة ١٣٩٠ هـ ـ ١٩٧٠ م / ١٨٣ ، ١٨٤ ، والأعراب الرواة ـ د. عبد الحميد الشلقامى / ٣٣٦).

*** الذخيرة فى محاسن الجزيرة:**

انظر: الذخيرة فى محاسن أهل الجزيرة.

*** الذخيرة فى المحاكمة بين الحكماء والغزالى:**

الذخيرة فى المحاكمة بين الحكماء والغزالى لعلاء الدين على الطوسى ... ألفها فى الروم ولما صار مرجوحا بتأليف خواجه زاده ترك الروم وسافر إلى خراسان.

(كشف الظنون ١ / ٨٢٥).

*** الذخيرة فى مختصر السيرة:**

الذخيرة فى مختصر السيرة: للشيخ برهان الدين إبراهيم ابن محمد المعروف بابن المرحل الشافعى ... انتقاها من سيرة ابن إسحاق وأضاف إليها من كتب عديدة فى سنة ٦١١ إحدى عشرة وستمائة ورتبها على ثمانية عشر مجلسا أولها: الحمد لله مظهر الحمد ومبديه ... إلخ.

(كشف الظنون ١ / ٨٢٥).

*** ذخيرة القصر فى تفسير سورة العصر:**

من مصنفات التراث الإسلامى فى التفسير وعلوم القرآن.

مخطوط مصور فى معهد المخطوطات العربية بالقاهرة، وجاء بيانه كما يلى:

تأليف محيى الدين الكافيجى الحنفى. نسخة كتبت سنة ٨٨١، بخط أبى حامد المقدسى الشافعى. وعليها توقيع الشيخ حسن العطار.

[سوهاج ١٠١٠ تفسير ١٢ق ١٤×٢٢سم.

(فهرست المخطوطات المصورة، معهد المخطوطات العربية، ـ تصنيف فؤاد سيد ١ / ٣٣).

قالت المؤلفة: مكتبة سوهاج هى مكتبة بلدية سوهاج بمحافظة جرجا.

*** الذخيرة الكافية:**

الذخيرة الكافية: فى الطب للشيخ عز الدين إبراهيم بن محمد الحكيم السويدى الدمشقى المتوفى سنة ٦٩٠ تسعين وستمائة.

(كشف الظنون ١ / ٨٢٤).

*** الذخيرة لأهل البصيرة:**

الذخيرة لأهل البصيرة: لأبى سعيد محمد بن على القرافى (العراقى) المتوفى فى مصر تقريبا سنة ٥١٠ عشر وخمسمائة.

(كشف الظنون ١ / ٨٢٥).

*** ذخيرة المحشر فى مولد الحجة المنتظر:**

من مخطوطات التاريخ والتراجم والسير فى مكتبة المتحف العراقى وجاء بيانه كما يلى:

الرقم ١٥٢٨١

للشيخ محمد بن عبد الله أبو عزيز محمد بن عبد الله الخطى البحرانى المتوفى فى حدود سنة ١٢٠٠ هـ ١٧٨٥ م.

الأول (الحمد لله الذى عدمت له النظائر بالأشباه وجرت خاضعة لقدرته الرياح ...).

نسخة جيدة كتبت بخط النسخ مفككة الصفحات ناقصة الآخر.

القياس ٢٠ ص ٢١,٥ × ١٥سم ١٥سم

الذريعة ١٠ / ١٨

(مخطوطات التاريخ والتراجم والسير فى مكتبة المتحف العراقى ـ أسامة ناصر النقشبندى وظمياء محمد عباس / ١٩٥).

*** ذخيرةُ مراديه:**

ذخيرةُ مراديه: فى علم الطب لمؤمن بن مقبل السيواسى ألفه سنة ٨٤١ إحدى وأربعين وثمانمائة ورتبه على خمس مقالات.

(كشف الظنون ١ / ٨٢٦).

*** ذخيرة الملك:**

من الألقاب المضافة إلى الملك. وقد أطلق فى الدولة الفاطمية على أبى المكارم المشرف بن أسعد قبل توليه الوزارة.

(الألقاب الإسلامية ـ د. حسن الباشا / ٢٩٣).

*** ذخيرة المماة فى القول بتلقين من مات:**

ذخيرة المماة فى القول بتلقين من مات ـ لمحمد بن إبراهيم المعروف بحنبلى زاده الحلبى المتوفى سنة ٩٧١ إحدى وسبعين وتسعمائة وهى رسالة مختصرة.

(كشف الظنون ١ / ٨٢٤).

*** ذخيرة الملوك:**

ذخيرة الملوك ـ فارسي للسيد علي بن شهاب الهمداني المتوفى سنة ٧٨٦ ست وثمانين وسبعمائة أوله: حمد بسيار وثناى بى شمار حضر ملكى را... إلخ رتبه على عشرة أبواب الأول فى الإيمان، الثانى فى العبودية، الثالث فى مكارم الأخلاق، الرابع فى حقوق الوالدين، الخامس فى أحكام السلطنة، السادس فى السلطنة المعنوية، السابع فى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، الثامن فى شكر النعمة، التاسع فى الصبر على المصائب، ، العاشر فى ذم الكبر والغضب. وقد ترجمه بالتركى مصطفى بن شعبان المتخلص بسرورى.

(كشف الظنون ١ / ٨٢٤).

*** ذخيرة الملوك فى علم السلوك:**

من مصنفات التراث الإسلامى فى التصوف والآداب الشرعية.

مخطوط مصور فى معهد المخطوطات العربية بالقاهرة وجاء بيانه كما يلى:

تأليف أحمد بن محمد بن المظفر بن المختار الرازى، نسخة كتبت فى سنة ٣٣٧ وقوبلت على نسخة المؤلف.

[لاله لى ٣٣٧٩ / ٢ ١٣ ق ١٨×٢٥سم]

(فهرس المخطوطات المصورة، معهد المخطوطات العربية ـ تصنيف فؤاد سيد ١ / ١٥٨).

قالت المؤلفة: مكتبة لاله لى ملحقة بالمكتبة السليمانية باستانبول.

*** الذخيرة والعدة فى مناقب أبى عبد الله بن منده:**

للحافظ أبى موسى المدينى.

(كشف الظنون ١ / ٨٢٦).

*** الذخيرة وكشف البراقع لأهل البصيرة:**

الذخيرة وكشف البراقع لأهل البصيرة: فى التعبير وهو مشتمل على ثمان مقالات أوله: الحمد لله مبدى أحكام القدرة فى دلائل الفكرة... إلخ. ذكر فى أوله شجرة مشتملة على الأبواب والفصول لمحمد بن على بن أحمد اليمنى المعروف بالهادى المتوفى سنة ٩٣٢.

(كشف الظنون ١ / ٨٢٦).

*** الذُّخَيرى:**

قال السمعانى:

الذخيرى: بضم الذال وفتح الخاء المعجمتين وبعدهما الياء آخر الحروف وفى آخرها الراء. هذه النسبة إلى ذخير وهو بطن من الصدف، قال ابن الكلبى: هو ذخير بن غسان بن جذام بن الصدف، قال قرأت ذلك فى نسب حضرموت.

(الأنساب للسمعانى ـ تقديم وتعليق عبد الله عمر البارودى ٣ / ٨).

*** الذَّخِينَوى:**

قال السمعانى:

الذخينوى: بفتح الذال المعجمة وكسر الخاء المعجمة وسكون الياء المنقوطة باثنتين من تحتها وفتح النون وفى آخرها الواو، هذه النسبة إلى قرية ذخينوى، على ثلاثة فراسخ من سمرقند، منها أبو محمد عبد الوهاب بن الأشعث بن نصر بن سورة بن عرفة بن سيار الحنفى الذخينوى، رحل فى طلب العلم إلى العراق، وكتب عن أبى حاتم محمد بن إدريس الرازى وعلى بن داود القنطرى والحسن بن عرفة العبدى وغيرهم، روى عنه محمد بن جعفر بن الأشعث وعلى بن النعمان الكبوذنجكثيان وأبو عمرو محمد بن إسحاق العصفرى، مات قبل الثلاثمائة.

(الأنساب للسمعانى ٣ / ٨).

*** الذُّر:**

انظر: الذرة.

*** ابن أبى ذر (عيسى) (-بعد ٤٩٧ هـ):**

من الطبقة السادسة والعشرين.

قال عنه الشمس الذهبى: الشيخ العالم الصدوق أبو مكتوم عيسى بن الحافظ الكبير أبى ذر عبد بن أحمد الأنصارى، الهروى، ثم السروى، سمع من أبيه شيئا كثيرا ومن محمد بن الحسين الصنعانى، وغير واحد. روى عنه أبو التوفيق مسعود بن سعيد، وعلى بن عمار المكى وآخرون.

وبعد سنة سبع وتسعين وأربعمائة انقطع خبره، وانتقل إلى الله.

(تهذيب سير أعلام النبلاء للإمام شمس الدين الذهبى - أشرف على تحقيق الكتاب شعيب الأرنؤوط. هذبه أحمد فايز الحمصى، راجعه عادل مرشد ٢ / ٤٦٢).

*** ابن أبى ذر (محمد) (٤٣٨-٥٣٠ هـ):**

أدرجه الحافظ شمس الدين الذهبى فى الطبقة الثامنة والعشرين وقال عنه: الشيخ الجليل الصدوق، مُسند وقته، أبو بكر محمد بن على بن الشيخ أبى ذر محمد بن إبراهيم الصالحانى الأصبهانى، والصالحان: محلة مشهورة. ولد سنة ثمان وثلاثين وأربعمائة، وكان آخر من حدَّث عن أبى طاهر بن عبد الرحيم.

حدث عنه أبو موسى المدينى، وخلف بن أحمد، وتميم ابن أبى الفتوح المقرئ، وعدة.

مات فى ثانى جمادى الآخرة سنة ثلاثين وخمسمائة عن اثنتين وتسعين سنة.

(تهذيب سير أعلام النبلاء للإمام شمس الدين الذهبى - أشرف على تحقيق الكتاب شعيب الأرنؤوط. هذبه أحمد فايز الحمصى، راجعه عادل مرشد ٢ / ٥٣٠).

*** أبو ذر الخُشنى (-٦٠٤ هـ / ١٢٠٨ م):**

مصعب بن محمد (أبى بكر) بن مسعود الخشنى الجيانى الأندلسى، أبو ذر، ويعرف كأبيه، بابن أبى الركب. قاض، من العلماء بالحديث والسير والنحو. له شعر. أصله من مدينة جيان ولد ونشأ فيها وتجول فى العدوة والأندلس، وولى القضاء فى جيان أيام المنصور، واستقر بفاس وتوفى بها. له كتب، منها «شرح غريب السيرة النبوية» مطبوع، جزءان، فى شرح أبياتها، نشرة بولس برونله، وسماه «شرح السيرة النبوية» وسمى مؤلفه «أبا ذر بن محمد» كما هو فى المخطوطة التى أخذ عنها على ما يظهر. ومن كتبه «شرح الإيضاح» و «شرح الجمل» (الأعلام ٧ / ٢٤٨) وقد جاء فى هامش ٣: وفى خزانة الأدب للبغدادى ٢ / ٥٢٩: «الخشنى» نسبة إلى خُشَيْن» قرية بالأندلس وقبيلة عن قضاعة.

وقد ذكر ابن رشيد فى ترجمته لأبى جعفر اللبلى وقد رمز له بالحرف جَ أن أبا جعفر اللبلى قال: وسمعت بستة الأحكام الصغرى لعبد الحق جميعها إلا يسيرا منها على شيخنا الفقيه العالم أبى القاسم عبد الرحمن بن رحمون المصمودى، عن أبى ذر الخشنى قراءة لجميعها، عن مصنفها قراءة من أبى ذر عليه ... إلخ (ملء العيبة ٢ / ٢١٧).

(الأعلام للزركلى ٧ / ٢٤٨، وملء العيبة لابن رشيد - تقديم وتحقيق سماحة الشيخ د. محمد الحبيب بن الخوجة ٢ / ٢١٧).

*** أبو ذر الغفارى (-٣٢ هـ / ٦٥٢ م):**

من رواة الحديث وهو جندب بن جنادة الغفارى (نسبة إلى غفار جده)، كان يتعبد قبل المبعث، أسلم مع رسول الله ﷺ بمكة، وكان رابع أربعة، وأقام بين أهله حتى هاجر النبى ﷺ فهاجر بعد غزوة الخندق، وبايع النبى ﷺ على أن لا تأخذه فى الله لومة لائم، وأن يقول الحق ولو كان مرا.

كان زاهدا متصدقا يحب العزلة، بقى فى الشام حتى سيره عثمان إلى الربذة، وبقى فيها حتى توفى.

أصح الأسانيد عنه ما رواه أهل الشام من طريق سعيد بن عبد العزيز عن ربيعة بن يزيد، عن أبى إدريس الخولانى عنه.

روى عن: عمر، وابن عباس، وابن عمر وغيرهم.

وروى عنه: الأحنف بن قيس، وعبد الرحمن بن غنم، وعطاء، وغيرهم.

كان يوازى ابن مسعود فى العلم، توفى بالربذة فى خلافة عثمان سنة ٣٢ اثنتين وثلاثين، ودفن بها وصلى عليه ابن مسعود قبل موت ابن مسعود بعشرة أيام، وأرسل عثمان إلى امرأته وأولاده فضمهم إلى أهله.

له ٢٨١ مائتان وثمانون حديثا وحديث.

(المبتكر / ٢٥٠-٢٥٢).

خرَّج له الجماعة كلهم، رويا له ثلاثة وثلاثين حديثا اتفقا على اثنى عشر، وانفرد البخارى بحديثين، ومسلم بتسعة عشر. عنه أنس وأبو مراوح وعبد الله بن الصامت. (الرياض المستطابة / ٢٧٢).

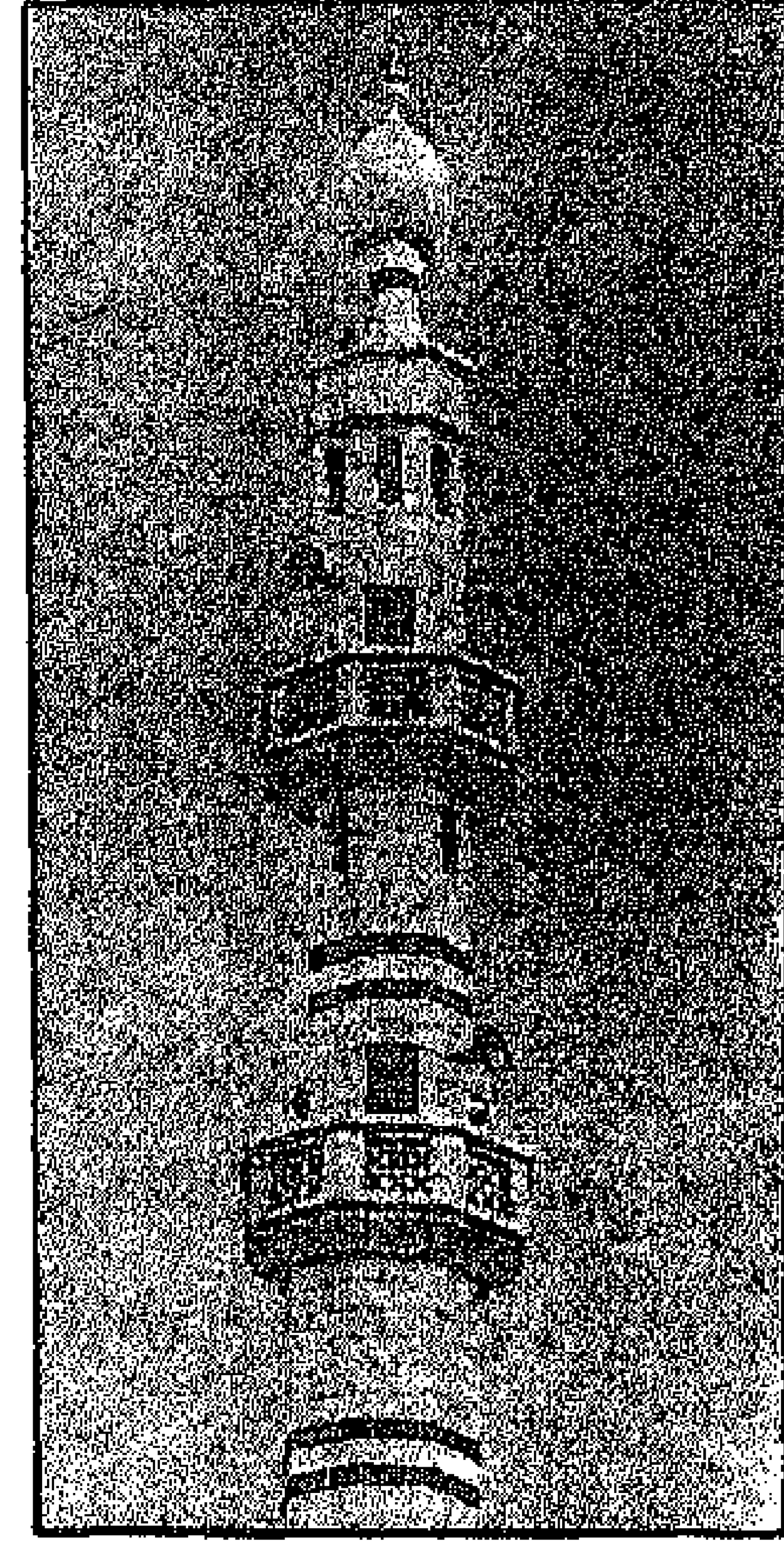
قال أبو اليقظان:

اسمة: جندب بن السكن، ولقبة: بُرير.

وقال الواقدى:

اسمه: برير بن جنادة.

وقال آخرون:


مئذنة مسجد أبي ذر الغفاري

جندب بن جنادة.

قال: وحدثني أبو الخطاب: قال: حدثنا أبو عتاب سهل بن حماد، قال: أخبرنا عمرو بن ثابت، عن: أبي إسحاق (السبيعي عمرو بن عبد الله بن عبيد)، عن: حنش ابن المعتمر (أبو المعتمر)، قال:

جئت و «أبو ذر» آخذ بحلقة باب الكعبة، وهو يقول: أنا أبو ذر الغفاري، من لم يعرفني فأنا جندب صاحب رسول الله ـ ﷺ، سمعت رسول الله ـ ﷺ ـ يقول: «مثل أهل بيتي مثل سفينة نوح، من ركبها نجا».

وهو من «غِفار»، و «غفار»: قبيلة من كنانة، وهو: غفار ابن مليل بن ضمرة بن بكر بن عبد مناة بن كنانة بن خزيمة.

وأسلم «أبو ذر» بمكة، ولم يشهد «بدرا» ولا «أحدا» ولا «الخندق»، لأنه حين أسلم رجع إلى بلاد قومه، فأقام فيها، حتى مضت هذه المشاهد، ثم قدم «المدينة» على رسول الله ﷺ ـ وكان «عثمان» سيره إلى «الربذة» (من قرى المدينة) فمات بها سنة اثنتين وثلاثين. وليس له عقب.

و «عبد الله بن الصامت»، ابن أخي «أبي ذر»، ويكنى: أبا نصر (المعارف/ ٢٥٢، ٢٥٣).

وقال عنه ابن عبد البر:

أبو ذر الغفاري، ويقال أبو الذر، والأول أكثر وأشهر، واختلف في اسمه اختلافا كثيرا؛ فقيل جندب بن جنادة، وهو أكثر وأصح ما قيل فيه إن شاء الله تعالى. وقيل: برير بن عبد الله، وبرير بن جنادة، وبرير بن عِشْرِقَة. وقيل: برير بن جندب، وقيل: جندب بن عبد الله. وقيل: جندب بن السكن. والمشهور جندب بن جنادة بن قيس بن عمرو بن مليل بن صعير بن حرام بن غفار. وقيل جندب بن سفيان بن جنادة بن عبيد بن الواقفة بن الحرام بن غفار بن مليل بن ضمرة بن كنانة بن خزيمة بن مُدْركة بن الياس بن مضر بن نزار الغفاري، وأمه رملة بنت الوقيعة، من بني غفار بن مليل أيضا.

كان من كبار الصحابة قديم الإسلام. يقال: أسلم بعد أربعة، فكان خامسا، ثم انصرف إلى بلاد قومه فأقام بها حتى قدم على النبي ﷺ المدينة، وله في إسلامه خبر حسن يروى من حديث ابن عباس، ومن حديث عبد الله بن الصامت عنه.

فأما حديث ابن عباس فأخبرنا أبو محمد عبد الله بن محمد بن عبد المؤمن، قال: حدثنا أبو بكر محمد بن بكر ابن داسة، قال: حدثنا أبو داود سليمان بن الأشعث، قال: حدثنا محمد بن حاتم بن ميمون، قال حدثنا عبد الرحمن بن مهدي، قال: حدثنا المثنى بن سعيد، عن أبي جمرة، عن ابن عباس، قال: لما بلغ أبا ذر مبعث رسول الله ﷺ بمكة قال لأخيه أُنيس: اركب إلى هذا الوادي، واعلم لي علم هذا الرجل الذي يزعم أنه يأتيه الخبر من السماء، واسمع من قوله، ثم ائتني. فانطلق الأخ حتى قدم مكة وسمع من قوله، ثم رجع إلى أبي ذر فقال: رأيته يأمر بمكة بمكارم الأخلاق، وسمعت منه كلاما ما هو بالشعر، فقال: ما شفيتني فيما أردت، فتزود وحمل شنَّة (وهي القربة الصغيرة) له فيها ماء حتى قدم مكة، فأتى المسجد، فالتمس النبي ﷺ وهو لا يعرفه، وكره أن يسأل عنه حتى أدركه الليل، فاضطجع، فرآه علي بن أبي طالب، فقال: كأن الرجل غريب. قال: نعم. قال: انطلق إلى المنزل. فانطلقت معه لا يسألني عن شيء ولا أسأله. قال: فلما أصبحت من الغد رجعت إلى المسجد فبقيت يومي حتى أمسيت وسرت إلى مضجعي فمر بي علي



مئذنة جامع أبي ذر الغفاري

فقال: أما آن للرجل أن يعرف منزله! فأقامه وذهب به معه وما يسأل واحد منهما صاحبه عن شيء، حتى إذا كان اليوم الثالث فعل مثل ذلك فأقامه عليٌّ معه، ثم قال له: ألا تحدثني ما الذى أقدمك هذا البلد؟ قال: إن أعطيتنى عهدا وميثاقا لترشدنى فعلت. ففعل، فأخبره على رضى الله عنه أنه نبى وأن ما جاء به حق، وأنه رسول الله ﷺ، فإذا أصبحت فاتبعنى، فإنى إن رأيت شيئا أخاف عليك قمت كأنى أريق الماء، فإن مضيت فاتبعنى، حتى تدخل معى مدخلى. قال: فانطلقت أقفوه حتى دخل على رسول الله ﷺ، ودخلت معه، وحييت رسول الله ﷺ بتحية الإسلام، فقلت: السلام عليك يارسول الله، فكنت أول من حيَّاه بتحية الإسلام، فقال: وعليك السلام من أنت؟ قلت: رجل من بنى غفار، فعرض عليَّ الإسلام فأسلمت، وشهدت أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله. فقال لى رسول الله ﷺ: ارجع إلى قومك فأخبرهم واكتم أمرك عن أهل مكة، فإنى أخشاهم عليك. فقلت: والذى نفسى بيده لأصوتن بها بين ظهرانيهم.

فخرج حتى أتى المسجد فنادى بأعلى صوته أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله. فثار القوم إليه فضربوه حتى أضجعوه، وأتى العباس فأكب عليه وقال: ويلكم، ألستم تعلمون أنه من غفار، وأن طريق تجارتكم إلى الشام عليهم؛ وأنقذه منهم، ثم عاد من الغد إلى مثلها، وثاروا إليه فضربوه؛ فأكب عليه العباس فأنقذه. ثم لحق بقومه، فكان هذا أول إسلام أبى ذر رضى الله تعالى عنه.

وأخبرنا عبد الله بن محمد، قال: حدثنا محمد بن بكر، قال: حدثنا أبو داود قال: حدثنا محمد بن سلمة المرادى، قال: حدثنا ابن وهب، قال: حدثنى الليث بن سعد، عن يزيد بن أبى حبيب، قال: قدم أبو ذر على النبى ﷺ وهو بمكة، فأسلم ثم رجع إلى قومه فكان يسخر بآلهتهم؛ ثم إنه قدم على رسول الله ﷺ المدينة، فلما رآه النبى ﷺ وهم فى اسمه فقال: «أنت أبو نملة»، فقال: أنا أبو ذر. قال: نعم أبو ذر.

وتوفى أبو ذر رضى الله عنه بالربذة سنة إحدى وثلاثين أو اثنتين وثلاثين، وقد قيل: توفى سنة أربع وعشرين. والأول أصح إن شاء الله تعالى.

وقال النبى ﷺ: «أبو ذر فى أمتى على زهد عيسى ابن مريم».

وقال أبو ذر: لقد تركنا رسول الله ﷺ وما يحرِّك طائر جناحيه فى السماء إلا ذكرنا منه علما.

حدثنا أبو عثمان سعيد بن نصر، قال: حدثنا قاسم بن أصبغ، حدثنا ابن وضاح، حدثنا ابن أبى شيبة، حدثنا الحسن ابن موسى الأشيب، حدثنا حماد بن سلمة، حدثنا على بن زيد بن جدعان، عن بلال بن أبى الدرداء - أن رسول الله ﷺ قال: «ما أظلَّت الخضراء، ولا أقلَّت الغبراء أصدق لهجة من أبى ذر».

ذكر سيف بن عمر، عن القعقاع بن الصلت، عن رجل من كليب بن الحلحال؛ عن الحلحال بن دُرِّى الضبى، قال: خرجنا حُجَّاجا مع ابن مسعود سنة أربع وعشرين ونحن أربعة عشر راكبا حتى أتينا على الربذة، فشهدنا أبا ذر فغسلناه وكفناه ودفناه هناك (الاستيعاب ٤ / ١٦٥٢ - ١٦٥٦).

وقال الذهبى:

اسمه جندب بن جنادة على الصحيح، وقيل جندب بن

سكن، وقيل بـرير بن عبـد الله أو ابن جنادة. أحد السـابقين الأولين، يقال كـان خامسا في الإسلام، ثم انصـرف إلى بلاد قومه وأقام بها بأمر النبي ﷺ، ثم لما هاجر النبي ﷺ هاجر أبو ذر إلى المدينـة. وروى أنه كان آدم جسيما كث اللحيـة. قال أبو داود لـم يشهد أبـو ذر بدرا وإنما ألحقـه عمر مـع القراء. وكان يـوازي ابن مسعود في العلم والفضل، وكان زاهـدا أمارا بالمعروف لا تأخذه في الله لومة لائم.

وعن النبي ﷺ قال: «ما أقلت الغبراء ولا أظلت الخضراء أصدق لهجة من أبي ذر». حسنة الترمذي من حديث عبد الله ابن عمـرو. وعن علي رضي الله عنه وسئل عن أبي ذر فقـال: وعى علما عجز الناس عنه ثم أوكى عليه فلم يخرج منه شيئا، وقال النبي ﷺ: «يا أبا ذر إني أراك ضعيفا وإني أحب لك ما أحب لنفسي لا تأمـرن على اثنين ولا تولين مـال يتيم»، وقال أبو غسـان النهدي: ثنا مسعود بن سعـد عن الحسن بن عبيد الله عن رياح بن الحارث عن ثعلبـة أن عليا قال: لم يبق اليوم أحـد لا يبـالي في الله لـومـة لائم غيـر أبي ذر ولا نفسي، ثم ضرب بيده على صدره.

وقال بـريدة بن سفيـان عن محمد بن كعب القـرظي عن ابن مسعود قال: لما سار رسول الله ﷺ إلى تبوك جعل لا يزال يتخلف الـرجل فيقـولون يـارسـول الله تخلف فلان، فيقـول: «دعوه فإن يكن فيه خير فسيلحقه الله بكم» حتى قيل يا رسول الله تخلف أبو ذر فقال مـا كان يقوله، فتلوم عليـه بعيره، فلما أبطأ عليه أخذ أبـو ذر متاعه فجعله على ظهـره ثم خرج يتبع رسول الله ﷺ ماشيا، ونظر ناظر من المسلمين فقال: إن هذا لرجل يمشي على الطريق فقـال رسول الله ﷺ: «كن أبا ذر»، فلما تـأمله القـوم قالـوا يا رسـول الله هو والله أبـو ذر، فقال: «يرحم الله أبا ذر يمشي وحده ويموت وحده ويحشر وحده»، فضرب الـدهر من ضربه وسيـر أبو ذر إلى الربذة فمـات بها، واتفق مـرور عبـد الله بن مسعـود بـه من الكـوفـة فصلى عليـه وشهده، ومناقب أبي ذر كثيرة.

روى عنـه أنس وجبير بن نفيـر وزيد بن وهب وسعيـد بن المسيب وأبو سالم الجيشـاني سفيان بن هانيء والأحنف بن قيس وعبـد الرحمـن بن غنم الأشعري وأبـو مـراوح وقيس بن عبـاد وسـويد بـن غفلة وأبـو إدريس الخـولاني وعبـد الله بن الصـامت والمعـرور بن سويـد وأبـو عثمـان النهدي وخلـق سواهـم.

وقـد استـوعـب ابن عسـاكـر في تـاريخ دمشق أخبـاره وأحواله، قـال حسين المعلم عن ابن بريدة كـان أبو ذر رجلا أسود كث اللحية، كان أبو موسى يكرمه ويقول مرحبا بأخي. فيقول: لست بأخيك إنما كنت أخاك قبل أن تُستعمل.

ومن أخبار أبي ذر أنه كان شجاعا مقداما، قال محمد بن سعد أنـا محمد بن عمـر ثنا ابن أبي سبـرة عن يحيى بن شبل عن خفاف بن إيماء بن رحضة قـال: كان أبو ذر رجلا يصيب وكان شجاعـا ينفرد وحده ويقطع الطريق ويغيـر على الصرم كأنـه السبع ثم إن الله قـذف في قلبه الإسـلام. ثنـا فضيل بن مرزوق حـدثتني جبلة بنت مصفح عن حاطب قال: قـال أبو ذر: ما ترك رسول الله ﷺ شيئا ممـا صبه جبريل وميكائيل في صدره إلا وقد صبه في صدري ولا تركت شـيئا مما صبـه رسول الله ﷺ في صدري إلا وقد صببته في صـدر مالك بن ضمرة. أبو إسحـاق السبيعي عن هانيء بن هانيء سمع عليًـا يقول: أبو ذر وعاء مليء علما ثم وكى عليه فلم يخرج منه شيء حتى قبض. أخرجه أبو داود.

شـريك عن أبي ربيعة الإيـادي عن ابن بـريدة عن أبيـه قال: قال رسول الله ﷺ: «أمرت بحب أربعة لأن الله يحبهم: علي وأبي ذر وسلمان والمقـداد». أبو ربيعة هذا خـرَّج له أبو داود وغيره، قال أبو حـاتم: منكـر الحديث. عبد الحميد بن بهرام ثنا شهر حدثتني أسماء (هي أسماء بنت يزيد) أن أبا ذر كان يخـدم النبي ﷺ فإذا فرغ مـن خدمته أوى إلـى المسجد وكـان هو بيتـه يضطجع فيـه فدخـل النبي ﷺ المسجد ليلـة فوجـده نائما فنكتـه برجلـه فجلس فقال له: «ألا أراك نـائما» قال: فأين أنام؟ هل لي من بيت غيره، فجلس إليه رسول الله ﷺ فقل: «كيف أنت إذا أخـرجـوك منه؟». قـال: ألحق بالشام فإن الشـام أرض الهجرة وأرض المحشر وأرض الأنبياء فأكـون رجـلا من أهلهـا، قـال: «كيـف أنت إذا أخـرجـوك منها؟». قال: أرجع إلى المسجد فيكون بيتي ومنزلي، قال: «فكيف أنت إذا أخرجـوك منه الثـانية؟» قـال: إذا آخذ سيفي فأقاتل عني حتى أموت، قال فكشـر إليه رسول الله ﷺ وقال: «أدلك على خيـر من ذلك: تنقـاد لهم حيث قادوك وتنسـاق

لهم حيث ساقوك حتى تلقاني وأنت على ذلك» . أخرجه الإمام أحمد. الأوزاعى حدثنى أبو كثير عن أبيه قال: أتيت أبا ذر وقد اجتمعوا عليه عند الجمرة الوسطى يستفتونه، فأتاه رجل فقال: ألم ينهك أمير المؤمنين عن الفتيا؟ فرفع رأسه وقال: أرقيب أنت عليَّ! لو وضعتم الصمصامة على هذه ثم ظننت أنى أنفذ كلمة سمعتها من رسول الله ﷺ قبل أن تجيزوا عليَّ لأنفذتها (أى تقتلونى وتنفذون فيَّ أمركم). رواه غير واحد عن الأوزاعى. واسم أبى كثير مرثد، صدوق. عن ثعلبة ابن الحكم عن على قال: لم يبق أحد لا يبالى فى الله لومة لائم غير أبى ذر ولا نفسى. ثم ضرب بيده على صدره. الجريرى عن أبى العلاء بن الشخير عن الأحنف قال: رأيت أبا ذر قام بالمدينة على ملأ من قريش فقال: بشِّر الكنَّازين برضف يحمى عليه فيوضع على حلمة ثدى أحدهم حتى يخرج من نغض كتفه فما رأيت أحدا رد عليه شيئا، وذكر الحديث وهو حديث صحيح. ابن لهيعة ثنا أبو قبيل سمعت مالك بن عبد الله الزيادى يحدث عن أبى ذر أنه دخل على عثمان فقال عثمان: ياكعب إن عبد الرحمن توفى وترك مالا فما ترى؟ قال: إن كان - يعنى زكى - فلا بأس، فرفع أبو ذر عصاه فضرب كعبا وقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما أحب أن لى هذا الجبل ذهبا أنفقه ويتقبل منى أذر خلفى منه ست أواق». أنشدك الله ياعثمان أسمعته مرارا؟ قال: نعم. (قال الذهبى فى سير أعلام النبلاء: هذا دال على فضل إنفاقه وكراهية جمعه، لا يدل على تحريم).

جعفر بن برقان عن ثابت بن الحجاج عن عبد الله بن سيدان قال تناجي عثمان وأبو ذر حتى ارتفعت أصواتهما ثم انصرف أبو ذر مبتسما وقال: سامع مطيع ولو أمرنى أن آتى عدن. وأمره أن يخرج إلى الربذة. الأعمش عن ميمون بن مهران عن عبد الله بن سيدان عن أبى ذر قال: لو أمرنى عثمان أن أمشى على رأسى لمشيت. وعن أبى جويرية عن زيد بن خالد الجهنى أن أبا ذر قال لعثمان: والله لو أمرتنى أن أحبو لحبوت ما استطعت. أبو عمران الجونى عن عبد الله بن الصامت قال: قال أبو ذر لعثمان يا أمير المؤمنين افتح الباب لا تحسبنى من قوم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية، يعنى الخوارج.

العوام بن حوشب حدثنى رجل عن شيخ وامرأته من بنى ثعلبة قالا: نزلنا بالربذة فمر بنا شيخ أشعث فقالوا: هذا من أصحاب رسول الله ﷺ فاستأذناه أن نغسل رأسه فأذن لنا واستأنس بنا، فبينا نحن كذلك إذ أتاه نفر من أهل العراق فقالوا يا أبا ذر فعل بك هذا الرجل وفعل فهل أنت ناصب لك راية، فقال لا تذلوا السلطان فإنه من أذل السلطان فلا توبة له، والله لو أن عثمان صلبنى على أطول خشبة لسمعت وصبرت ورأيت أن ذلك خير لى.

حميد بن هلال عن عبد الله بن الصامت قالت أم ذر: والله ما سير عثمان أبا ذر - تعنى إلى الربذة - ولكن رسول الله ﷺ قال له: «إذا بلغ البناء سلعا فاخرج منها». ابن شوذب عن غالب القطان قال. قلت: يا أبا سعيد أعثمان أخرج أبا ذر؟ قال: معاذ الله. أبو سعيد هو الحسن. أبو هلال عن قتادة عن سعيد بن أبى الحسن أن أبا ذر كان عطاؤه أربعة آلاف فإذا أخذه دعا خادمه فسأله ما يكفيه للسنة فاشتراه ثم اشترى فلوسا بما بقى، وقال إنه ليس من وعاء ذهب ولا فضة يوكأ عليه إلا وهو يتلظى على صاحبه. الأوزاعى عن يحيى قال: كان لأبى ذر ثلاثون فرسا يحمل عليها فكان يحمل على خمسة عشر منها يغزو عليها ويريح بقيتها فإذا رجعت حمل على الخمسة عشر الأخرى. ثابت البنانى قال: بنى أبو الدرداء مسكنا فمر عليه أبو ذر فقال: ما هذا تعمر دارا أمر الله بخرابها؟! حسين المعلم عن ابن بريدة قال: كان أبو موسى يكرم أبا ذر وكان أبو موسى خفيف اللحم قصيرا وكان أبو ذر رجلا أسود كث الشعر، فكان أبو موسى يقول: مرحبا بأخى، فيقول لست بأخيك إنما كنت أخاك قبل أن تستعمل. قيل لم يعش بعده ابن مسعود إلا نحو عشرة أيام، وقال الجريرى ثنا أبو العلاء بن عبد الله عن نعيم بن قعنب قال: أتيت أبا ذر فجاءت امرأته بثريدة فقال كل فإنى صائم: ثم قام يصلى ثم انفتل فأكل، فقلت إنا لله ما كنت أخاف أن تكذبنى! قال: ما كذبت إنى صمت من هذا الشهر ثلاثة أيام فكتب لى أجره وحل لى الطعام. انتهى كلام الذهبى.

(تاريخ الإسلام ٣ / ٢٣٠ - ٢٣٦).

وإليك قصة إسلام أبى ذر الغفارى كما أوردها صاحب دلائل النبوة:

حدثنا أبو على محمد بن أحمد بن الحسن قال: ثنا بشر ابن موسى قال: ثنا أبو عبد الرحمن المقرى قال: ثنا سليمان ابن المغيرة عن حميد بن هلال عن عبد الله بن الصامت عن أبى ذر الغفارى رضى الله عنه قال: خرجنا من قومنا غفار وكانوا يحلون الشهر الحرام، قال: فخرجت أنا وأخى أنيس وأمنا فانطلقنا حتى نزلنا على خال لنا، فأكرمنا خالنا وأحسن إلينا فحسدنا قومنا، قالوا له: إنك إذا خرجت من أهلك خالف إليهم أنيس، فجاء خالنا فثنى علينا ما قيل له، فقلت له: أما ما مضى من معروفك فقد كدرت ولا جماع لك فيما بعد، قال: فقربنا صرمتنا فاحتملنا عليها وتغطى خالنا بثوبه يبكى. فانطلقنا حتى نزلنا بحضرة مكة، وقد صليت يا ابن أخى قبل أن ألقى رسول الله ﷺ بثلاث سنين، فقلت: لمن؟ فقال: لله. قلت: أين توجه؟ قال: أتوجه حيث وجهنى الله أصلى عشاء حتى إذا كان من السحر ألقيت كأنى خفاء - يعنى خباء - حتى تعلونى الشمس، فقال أنيس: إن لى حاجة بمكة فاكفنى حتى آتيك، فانطلق أنيس فراث علىَّ - يعنى أبطأ - ثم جاء فقلت له: ما حبسك؟ قال: لقيت رجلا بمكة على دينك يزعم أن الله أرسله، قال: قلت له: فما يقول الناس له؟ قال: يقولون: شاعر، كاهن، ساحر، وكان أنيس أحد الشعراء، قال أنيس: والله لقد سمعت قول الكهنة فما هو بقولهم، ولقد وضعت قوله على إقراء الشعراء فما يلتئم على لسان أحد يقرئ أنه شعر، والله إنه لصادق وإنهم لكاذبون، فقلت: اكفنى حتى أذهب فأنظر، قال: نعم، وكن من أهل مكة على حذر فإنهم قد شنفوا له وقد تجهموا له.

قال: فانطلقت وقدمت مكة فاستضعف رجلا منهم، فقلت: أين هذا الذى تدعونه الصابىء؟ فأشار إلىَّ وقال: الصابئ، قال: فمال علىَّ أهل الوادى بكل مدرة وعظم فخررت مغشيا على، فارتفعت حين ارتفعت كأنى نصب أحمر، فأتيت زمزم فشربت من مائها وغسلت عنى الدماء. فلبثت بها يا ابن أخى ثلاثين من بين يوم وليلة ما لى طعام إلا ماء زمزم فسمنت حتى تكسرت عكن بطنى وما وجدت على كبدى سخفة جوع، فبينا أهل مكة فى ليلة قمراء إضحيان إذ ضرب الله على أسمختهم، فما يطوف بالبيت أحد غير امرأتين فأتتا علىَّ وهما تدعوان إسافا ونائلة (انظر هذه المادة فى م ٤ / ١٤١، ١٤٢) قال قلت: انكحا أحدهما الأخرى؟ قال: فما تناهتا عن قولهما، قال: فأتتا علىَّ فقلت: من مثل الخشبة غير أنى لم أكن، فانطلقتا تولولان وتقولان لو كان ها هنا أحد من أنفارنا، فاستقبلهما رسول الله ﷺ وأبو بكر وهما هابطان من الجبل فقال: ما لكما؟ قالتا: الصابىء بين الكعبة وأستارها، قال: فما قال لكما؟ قالتا: قال لنا كلمة تملأ الفم.

قال: فجاء رسول الله ﷺ وصاحبه فاستلم الحجر وطاف بالبيت فأتيته حين قضى صلاته. فكنت أول من حياه بتحية الإسلام قال: «وعليك ورحمة الله، ممن أنت؟» قلت: من غفار، فأهوى بيده إلى جبهته هكذا فقلت فى نفسى كره أن انتميت إلى غفار، فذهبت لآخذ يده فدفعنى عنه صاحبه وكان أعلم به منى فقال: متى كنت ها هنا؟ فقلت: كنت ها هنا منذ ثلاثين من بين يوم وليلة، قال: فمن كان يطعمك؟ قلت: ما كان لى طعام إلا ماء زمزم فسمنت حتى تكسرت عكن بطنى وما وجدت على بطنى سخفة جوع. فقال رسول الله ﷺ: «إنها مباركة، إنها طعام طُعْم»، فقال أبو بكر: يارسول الله أئذن لى فى طعامه الليلة. قال: ففعل فانطلق النبى ﷺ وأبو بكر وانطلقت معهما ففتح أبو بكر بابا فجعل يقبض لنا من زبيب الطائف، قال أبو ذر: فذلك أول طعام أكلته بها، قال: فغبرت ما غبرت فلقيت رسول الله ﷺ فقال: «إنى وجهت إلى أرض ذات نخل ولا أحسبها إلا يثرب فهل أنت مبلغ عنى قومك عسى أن ينفعهم الله بك ويأجرك فيهم؟» قال: فانطلقت حتى لقيت أخى أنيسا فقال: ما صنعت؟ قلت: صنعت إنى قد أسلمت وصدقت، قال أنيس: ما بى رغبة عن دينك فإنى قد أسلمت وصدقت، قال: فأتينا أمنا فقالت: ما بى رغبة عن دينكما فإنى قد أسلمت وصدقت؛ قال: فاحتملنا فأتينا قومنا فأسلم نصفهم قبل أن يقدم رسول الله ﷺ المدينة، وكان يؤمهم إيماء بن رحضة وكان سيدهم، وقال بقيتهم: إذا قدم رسول الله ﷺ أسلمنا، فقدم رسول الله ﷺ فأسلم بقيتهم، وجاءت أسلم فقالوا: يارسول الله نسلم على الذى أسلم عليه إخواننا، فأسلموا. فقال رسول الله ﷺ: «غفار غفر الله لها وأسلم سالمها الله». أخرجه مسلم وهذا لفظه.

وفى رواية عباس. فخرج فنادى أشهد أن لا إله إلا الله

وأشهد أن محمدا رسول الله، فقال المشركون: صبأ الرجل! فضربوه حتى سقط، فمر به العباس بن عبد المطلب فأكب عليه وقال: يا معشر قريش إنكم تجار وإن طريقكم على غفار، تريدون أن تقطع الطريق عليكم؟ فأمسكوا عنه، فلما كان اليوم الثانى عاد لمثل مقامه فعادوا لضربه فمر عليه العباس فقال لهم تلك فأمسكوا.

قال الشيخ: فسر النضر بن شميل وغيره غريب الألفاظ، قوله ألقيت كأنى خفاء، يعنى كساء غليظا يتخذ من وبر، شنفوا أبغضوا، وتجهموا أسمعوه ما يكره، والنصب حجر يذبحون عليه، سخفة جوع خفته، الصابىء الذى لا عقل له، الأنفار جمع نفر (دلائل النبوة / ٢٠٧ ـ ٢١٠).

وفى حلية الأولياء يصف الحافظ أبو نعيم الأصبهانى أبا ذر الغفارى بقوله: وأبو ذر الغفارى اعتزل مخالطة البرايا، وخدم الرسول وتعلم الأصول ونبذ الفضول. وقيل: التصوف التأله والتدله عن عليات التوله (الحافظ أبو نعيم الأصفهانى / ١٥٢).

ويحقق السخاوى فى صحة القول، بأن أبا ذر الغفارى مدفون بمصر فيقول:

هناك مشهد كتبت عليه العامة أبو ذر الغفارى وهذا ليس بصحيح والصحيح أنه بالربذة.

وقد ادعى أن السيد الشريف زيد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب قبره فى طريق مصر وهذا قول لا أصل له.

وذكر ابن خلكان أن هذا القبر يعرف عند أهل مصر بيحيى الدرعى وهذا أيضا لا أصل له.

وقيل إن أبا بصرة الغفارى مدفون بالمشهد الذى يقال إن فيه أبا ذر الغفارى وهذا غير صحيح وإنما يقال أنه مع سيدى عقبة بن عامر الجهنى اهـ. (تحفة الأحباب / ١٢٠، ١٢١).

هذا ويوجد فى حى الشاغور ـ القروانة، بدمشق جامع باسم جامع أبى ذر الغفارى أنشىء فى العهد العثمانى وقد جُدِّد سنة ١٣٤٢ هـ / ١٩٢٣م، ويقول الدكتور قتيبة الشهابى إن العامة تعتقد بوجود قبره فيه، علما بأن هذا الصحابى الجليل توفى بالربذة من قرى المدينة المنورة ودفن فيها سنة ٣٢ هـ / ٦٥٢م اهـ.

كما يوجد جامع آخر يحمل نفس هذا الاسم ويقع فى حى التضامن، وهو جامع معاصر أنشىء سنة ١٣٩١ هـ / ١٩٧١ م (مآذن دمشق / ٥٠٣، ٥٤٧) وترى هنا صورة مئذنة كل منهما.

له ترجمة فى «حلية الأولياء» ١ / ١٦٥ ـ ١٧٠، و «الإصابة» ٧ / ٦٠، و «الكنى والأسماء» ١١ / ٢٨، و «صفة الصفوة» ١ / ٢٩٨، و «الذريعة» ١ / ٣١٦، و «أبو ذر الغفارى» لعلى ناصر الدين. و «شذرات الذهب» (١ / ٣٩).

(المبتكر ـ عبد الوهاب عبد اللطيف / ٢٥٠ ـ ٢٥٢، والرياض المستطابة للإمام يحيى بن أبى بكر العامرى اليمنى / ٢٧٢، والمعارف لابن قتيبة ـ حققه وقدم له د. ثروت عكاشة / ٢٥٢، ٢٥٣، والاستيعاب فى معرفة الأصحاب لابن عبد البر ـ تحقيق على محمد البجاوى ٤ / ١٦٥٢ ـ ١٦٥٦، وتاريخ الإسلام للذهبى ـ عنى بتحقيق النص وتحرير الحواشى حسام الدين القدسى ٣ / ٢٣٠ ـ ٢٣٦، ودلائل النبوة للحافظ أبى نعيم الأصبهانى / ٢٠٧ ـ ٢١٠ والحافظ أبو نعيم الأصفهانى ـ عبد الحفيظ فرغلى على القرنى: أعلام العرب (١٣١) الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٧ / ١٥٢، وتحفة الأحباب وبغية الطلاب فى الخطط والمزارات والتراجم والبقاع المباركات لأبى الحسن نور الدين على بن أحمد بن عمر بن خلف بن محمود السخاوى / ١٢٠، ١٢١، ومآذن دمشق ـ د. قتيبة الشهابى. وزارة الثقافة. دمشق ١٩٩٣ / ٥٠٣، ٥٤٧. انظر أيضا الأعلام للزركلى ٢ / ١٤٠، والطبقات الكبرى لمحمد بن سعد كاتب الواقدى. كتاب التحرير. الجزء الثانى ٧ / ١١٢، وتهذيب سير أعلام النبلاء للإمام شمس الدين الذهبى ـ أشرف على تحقيق الكتاب شعيب الأرنؤوط، هذبه أحمد فايز الحمصى، راجعه عادل مرشد ١ / ٥١، ٥٢، ومرجع العلوم الإسلامية ـ د. محمد الزحيلى / ٦١، والطبقات الكبرى للإمام الشعرانى / ٢٢).

*** أبو ذر الهروى (-٤٣٤ هـ ١٠٤٣ م):**

أدرجه الإمام الشمس الذهبى فى الطبقة الثالثة والعشرين وقال عنه الحافظ الإمام المجود، العلاّمة، شيخ الحرم، أبو ذر، عبد بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن غفير بن محمد، المعروف ببلده بابن السماك، الأنصارى، الخراسانى الهروى المالكى، صاحب التصانيف، وراوى «الصحيح» عن الثلاثة المستملى، والحموى، والكشميهنى. ولد سنة خمس أو ست وخمسين وثلثمائة.

سمع أبا الحسن الدارقطنى، وعبد الوهاب الكلابى، وأبا إسحاق إبراهيم بن أحمد المستملى. وغيرهم. وألف «معجماً» لشيوخه، وحدث بخراسان وبغداد والحرم.

حدَّث عنه ابنه أبو مكتوم عيسى، وموسى بن على الصقلى، وعدة. قال أبو بكر الخطيب: كان ثقة ضابطا ديِّناً. مات بمكة فى ذى القعدة سنة أربع وثلاثين وأربعمائة (تهذيب سير أعلام النبلاء / ٣٢٥).

ذكر صاحب الأعلام من مصنفاته «تفسير القرآن» و «المستدرك على الصحيحين» و «السُّنَّة والصفات» و «معجمان» أحدهما فيمن روى عنهم الحديث، والثانى فيمن لقيهم ولم يأخذ عنهم (الأعلام ٣ / ٢٦٩).

(تهذيب سير أعلام النبلاء للإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبى ـ أشرف على تحقيق الكتاب شعيب الأرنؤوط، هذبه أحمد فايز الحمصى، راجعه عادل مرشد ٢ / ٣٢٥، والأعلام للزركلى ٣ / ٢٦٩).

*** أبو ذر اليزدى:**

من القراء الذين أحصاهم الإمام ابن الجزرى، وقال عنه: أسعد بن الحسين بن سعد بن على بن بندار القاضى أبو ذر اليزدى المقرى الإمام المحقق الضابط الناقل، ألف كتابا فى العشر سماه المنتقى رأيته، ورأيت له أيضا مختصرا، وجمع إمالات قتيبة، قرأ على محمد بن أبى نصر بأصبهان وأبى نصر ابن محمد المؤذن بجامع أصبهان فى سنة أربعين وخمسمائة، وبقى إلى بعد الثمانين وخمسمائة. ثم إنى لما دخلت مدينة يزد فى سنة ثمان وثمانمائة وقفت له على كتاب حافل سماه غاية المنتهى ونهاية المبتدى فى القراءات العشر أحسن فى تأليفه وأجاد فى تصنيفه قال فى أوله: أما بعد فإن هذا كتاب جمعت فيه خمسين رواية عن القراء العشرة الذين أجتمعت الأمة على إمامتهم والاقتداء بقراءاتهم وذكرت من كل رواية ما وقع إلىَّ من طريق عال مذكور مشهور زهاء أربعمائة طريق ثم ذكر باقى كلامه، ورأيته قد أسند فيه قراءته على أبى الكرم الشهرزورى وأبى منصور محمد بن عبد الملك بن خيرون، وعمر بن ظفر المغازلى، وهبة الله بن أبى طاهر بن سوار، وأبى محمد سبط الخياط، وسهل بن محمد الحاجى الأصبهانى، والحسن بن محمد بن أحمد الضريرى اليزدى سنة ست وعشرين وخمسمائة، وعبد الوهاب بن محمد الصابونى، ومحمد بن أحمد المعلم، وجابر بن محمد الأذانى، ومحمد بن إبراهيم بن محمد بن محمد بن أبرويه، وعبد الله بن على بن عبد الله الطامدى وروى القراءة عن والده أبى الفضل الحسين بن سعد، وروى كتاب السبعة لابن مجاهد قراءة على الشيخ أبى الحسن على بن عبد السيد بن محمد بن عبد الواحد الصباغ فى شهر رمضان سنة ست وثلاثين وخمسمائة بجامع القصر من بغداد عن عبد الله بن محمد بن هزار مرد الصريفينى، وقد وصل إلى الإسناد إليه مشافهة من الشيخ ظهير الدين عبد الله بن خضر بن مسعود إجازة منه شافهنى بها بمدينة يزد فى شعبان سنة ثمان وثمانمائة عن الشيخ تاج الدين عبد الله بن المجد بن... محمد بن محمود اليزدى.

(غاية النهاية فى طبقات القراء لابن الجزرى ١ / ١٥٩، ١٦٠).

*** أم ذر:**

أم ذر، زوجة أبى ذر الغفارى (انظر ترجمته) صحابية معروفة، وقد سكن زوجها أبو ذر فى مصر مدة.

يقول الحافظ السيوطى: فالظاهر أنها كانت معه، فإنها كانت تنتقل معه حيث انتقل، ولها رواية عن أبى ذر فى المسند، روى الأشتر النخعى عنها (حسن المحاضرة ١ / ٢٥٣).

وجاء فى الإصابة: أم ذر امرأة أبى ذر الغفارى (انظر ترجمته) قال ابن منده: لها ذكر فى وفاة أبى ذر، ووصل ذلك أبو نعيم من طريق مجاهد عن إبراهيم بن الأسير، وليس فيه ما يدل على أن لها صحبة بل فيه احتمال أن يكون تزوجها بعد النبى ﷺولكن وقفت على حديث فيه التصريح بأنها أسلمت مع أبى ذر فى أول الإسلام. أخرجه الفاكهى فى كتاب مكة: حدثنا ميمون بن أبى محمد الكوفى قال حدثنى أبو الصباح الكوفى بإسناد له يصل به إلى النبى ﷺ كان إذا أراد أن يبتسم قال لأبى ذر: يا أبا ذر: حدثنى ببدء إسلامك. قال: كان لنا صنم يقال له «نهم» فأتيته فصببت له لبنا ووليت، فحانت منى التفاتة فإذا كلب يشرب ذلك اللبن فلما فرغ رفع رجله فبال على الصنم فأنشأت أقول:

ألا يـــا نهم إنى قـــد بـــدا لى
مـــدى شـــرف يبعـــد منك قـــربـــا
رأيت الكلب ســــــامك حظ خسف
فلم يمنع قفـــاك اليـــوم كلبـــا

فسمعتنى أم ذر فقالت :

لقـــد أتيت جـــرمـــا
وأبـت عظمــــــــا
حين هجـــرت نهمـــا

فخبرتها الخبر فقالت :

ألا فـــابغنـــا ربـــا كـــريمـــا
جـــوادا فى الفضـــائل يـــا ابن وهب
فمـــا من ســـامـــه كلب حقيـــر
فلم يمنع يـــداه لنـــا بـــرب
فمـــا عبـــد الحجـــارة غيـــر غـــاوٍ
ركيك العقل ليس بـــــذى لب

قال : فقال ﷺ : صدقت أم ذر فما عبد الحجارة غير غاوٍ (الإصابة / ٢٢٩، ٢٣٠).

(حسن المحاضرة للحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطى ـ بتحقيق محمد أبى الفضل إبراهيم ١ / ٢٥٣، والإصابة فى تمييز الصحابة لشيخ الإسلام الحافظ ابن حجر العسقلانى جـ٨ م ٤ / ٢٢٩، ٢٣٠).

الذُّراح:

انظر: الذراريح .

*** الذراريح:**

الذُّراح حشرة حمراء أعظم من الذباب، تطير، فيها أنواع تُقتل وتُجفف وتُسحق وتُستعمل فى الطب الجمع ذراريح (المعجم الوسيط ١ / ٣١٠).

وقد أدرجها الكمال الدميرى تحت الاسم المفرد «الذراح» وقال عنها :

الذراح : قال الجواهرى الذراح والذروح بالضم دويبة حمراء منقطة بسواد تطير وهى من السموم والجمع الذراريح وقال سيبويه واحد الذراريح ذرحرح وليس عنده فى الكلام فعول بواحدة وكان يقول سبوح قدوس بفتح أوائلهما . والذراح أنواع فمنه ما يتولد من الحنطة ومنه دود الصنوبر ومنه ما فى أجنحته خطوط صفر ولونه مختلف وأجسامها كبار طوال ممتلئة قريبة الشبه من بنات وردان .

الحكم : يحرم أكلها لاستخباثها .

الخواص : الذراريح تنفع الجرب والعلة التى ينقشر معها الجلد ويخلط فى الأدوية الموافقة للأورام كالسرطان والقوابى الرديئة قال الرازى الا كتحال منها ينفع الطرفة فى العين وإذا طلى بها مسحوقة قتلت القمل وإذا طبخت فى زيت أبرأ ذلك الزيت داء الثعلب (حياة الحيوان الكبرى ١ / ٣٢٥).

وقد ذكرها المظفر الرسولى نقلا عن مصادر ثلاثة رمز لها بالحروف التالية :

ع : عبد الله بن البيطار صاحب «الجامع لقوى الأدوية والأغذية» .

ج : ابن جزلة صاحب «منهاج البيان فيما يستعمله الإنسان» .

ف : أبو الفضل حسن بن إبراهيم التفليسى .

قال :

الذراريح ـ «ع» مجربة فى علاج الأظفار البرصة إذا وضعت عليها مع قيروطى نافعة لها، أو مع مرهم قلعتها، حتى يسقط الظفر كله، وقد تخلط مع الأدوية النافعة للجرب والعلة التى يتقشر معها الجلد، ومع أدوية تقلع الثآليل المنكوسة المعروفة بالمسامير. والذراريح سم قاتل حار جدا، يقصد المثانة فيحرقها، ويخرج منها الدم واللحم بالبول، ويأخذ منها الغشاء، وتظلم منه العينان. وعلاجه : أن يتقيأ بماء الشِّبْث المطبوخ وسمن البقر، ويستنقع فى ماء حار، ويتمرخ بدهن الخل، ويحقن بماء كشك الشعير المطبوخ مع دهن ورد وبزر الكتان .

«ج» ثلاثة طساسيج منها تحرق المثانة، ومداواته بما ذكر، وبشرب اللبن الحليب واللعاب، ودهن اللوز الحلو والجُلاَّب والأمراق الدسمة، والبيض النيمرشت .

«ف» حيوان صغير طيار، أحمر اللون منقط بسواد، مختارها ما كان وسط لونها ذهبي، طبعه حار يابس جدا، ينفع من الجرب والبرص طلاء، ويشرب من الاستسقاء. الشربة: دانقان (المعتمد ١ / ١٧٨).

كما أوردها داود الأنطاكي وقال عنها: طير أكبرها كالزنابير تهوى النبات الطرى وأكثر وجودها في الذرة أوائل الصيف وأجودها ما مال إلى السواد والحمرة وكان عليها خطوط صفر عريضة وأردؤها الأسود والأخضر فالأحمر، وهى حارة يابسة فى الثانية أو الثالثة أو الرابعة تقطع وتحلل وتفتح السدد وتفتت الحصى عن تجربة وتدر الطمث والبول وتزيل الطحال شربا ومع مرق لحم البقر لا يقوم مقامها شيء فى الكلب وأهل مصر يسحقونها مع شيء من الزيت ويستعملونها لمن خاف الكلاب وفى الحقيقة هى مخصوصة بهذا الداء ومن خارج فى طلاء تمنع داء الثعلب والحكة والجرب والقروح والنمش وبقايا الجدرى والبهق والبرص والاكتحال بها يمنع البياض والظفرة وأصل السبل وتكفى عن الفولاذ هى محرقة تبوّل قطع دم فتظنها العامة كلابا مختلفة وتسقط الأجنة وتورث الخناق والكرب والمغص وتقرح الجلد فلذلك تتجنب فى إنبات الشعر على أنها من أكبر أدويته وتصلحها الأدهان وأن تجعل فى كوز وتحرق أو تغشى بخرقة وتسكب على خل يغلى فإن ذلك تلطيف كل حيوان سمي ويجعل معها الكثيرا ويقيء شاربها بسمن ومرق ويحثى الربوب والشربة ذروح واحد والصواب استعمال جملتها وقد ترمى أطرافها أو العكس وبدلها دود الصنوبر (التذكرة ١ / ١٦١).

وجاء في اللسان: «الزراح والذريحة والذرحرحة والذرحرح والذُّرُحرح والذُّروحة والذُّروح، رواها كراع عن اللحياني، كل ذلك دويبة أعظم من الذباب شيئا، مجزّع مبرقش بحمرة وسواد وصفرة، لها جناحان تطير بهما، وهو سم قاتل، فإذا أرادوا أن يكسروا حد سمه خلطوه بالقدس، فيصير دواء لمن عضه الكَلْبُ الكَلِبُ، والجمع ذراح وذراريح قال:

فلمـا رأت ألا يجيب دعاءها
سقته، على لـوح دماء الـذرارح

(لسان العرب ١٧ / ١٤٩٤).

(المعجم الوسيط ـ د. إبراهيم أنيس وزملائه ١ / ٣١٠، وحياة الحيوان الكبرى للشيخ كمال الدين الدميرى ١ / ٣٢٥، والمعتمد فى الأدوية المفردة للمظفر الرسولي ـ صححه وفهرسه مصطفى السقا ١ / ١٧٨، وتذكرة أولي الألباب لداود بن عمر الأنطاكي ١ / ١٦١، ولسان العرب لابن منظور ١٧ / ١٤٩٤).

*** الذراع:**

الذراع: من المرفق إلى أطراف أصابع اليد مؤنثة وقد تذكر كما فى القاموس. وفى المختار: ذراع اليد يذكر ويؤنث، ولفظ ابن السكيت الذراع أنثى وبعض العرب يذكر. قال ابن الأنباري: وأنشدنا أبو العباس عن سلمة عن الفراء شاهدا على التأنيث قول الشاعر:

أرمى عليهـا وهـو فـرع أجمع
وهـى ثـلاث أذرع وأصبع

وعن الفراء أيضا: الذراع أنثى، وبعض عُكْل يذكر فيقول خمسة أذرع؛ ويمكننا أن نستخلص من هذه النقول أن تأنيث الذراع كثير ومشهور وأن التذكير قليل جدا سمع من بعض العرب.

(الرسالة الرشادية فيما يجوز تذكيره وتأنيثه معا فى العربية ـ محمد رشاد عبد الظاهر خليفة / ٢٨. انظر أيضا تهذيب الأسماء واللغات للإمام محيى الدين بن شرف النووى ٣ / ١٠٩، ١١٠).

*** الذّرّاع:**

قال السمعانى:

الذرّاع: بفتح الذال المعجمة وتشديد الراء المهملة وفى آخرها العين المهملة، هذه النسبة إلى ذرع الأشياء ومعرفتها بالذراع، والمشهور بها أبو سعيد المثنى بن سعيد الضبعى الذراع القسام، وظنى أنه يذرع الأرض ويقسمها بين الشركاء، من التابعين، يروى عن أنس بن مالك رضى الله عنه، روى عنه عبد الله بن المبارك وعبد الرحمن بن مهدى.

(الأنساب للسمعانى ـ تقديم وتعليق عبد الله عمر البارودى ٣ / ٩).

*** الذّراع (مقياس):**

الذراع: مقياس إسلامى متعدد المقاسات فهناك ذراع اليد ويساوى ٤٨ سم، وذراع الحديد ٥٨ـ ٥٦ سم، وذراع العمل

أو الذراع المعمارى ويساوى ٧٥ سم (إتحاف الأخصا ١ / ١٢٧).

قال التهانوى: الذراع بالكسر والراء المهملة المخففة ... هى عند الفقهاء أربعة وعشرون أصبعا مضمومة سوى الإبهام بعدد حروف لا إله إلا الله محمد رسول الله وكل أصبع ست شعيرات مضمومة بطون بعضها إلى بعض ويسمى بذراع الكرباس وهو المعتبر فى تقدير العشر فى العشر واعتبره أهل الهيئة فى مساحة قطر الأرض والكواكب وأبعادها وثخن الأفلاك وهذا هو الذراع الجديد. وأما الذراع القديم فاثنان وثلاثون إصبعا، وقيل هو الهاشمى والقديم هو سبعة وعشرون إصبعا وقيل ذراع الكرباس سبع قبضات وثلاث أصابع. وقيل سبع قبضات بأصبع قائمة فى المرة السابعة وذراع المساحة ويسمى بذراع الملك أيضا سبع قبضات فوق كل قبضة إصبع قائمة. وقيل ذراع المساحة سبع قبضات وذراع الكرباس أنقص منه بأصبع وقيل ذراع المساحة سبع قبضات مع أصبع قائمة فى القبضة السابعة وذراع العامة ويسمى الذراع المكسر ست قبضات سميت بذلك لأنها نقصت من ذراع الملك أى ملك الأكاسرة بقبضة ذكره فى المغرب، ثم إن هذه الأذرع هى الطولية وتسمى بالخطية. وأما الذراع السطحى فهو ما يحصل من ضرب الطولى فى نفسه ويسمى بالذراع الجسمى هو ما يحصل من ضرب الطولى فى مربعه هكذا يستفاد من البرجندى وجامع الرموز وبعض كتب الحساب (كشاف ٢ / ٥١٣).

وجاء فى المعجم الوسيط أن الذراع الهاشمية أشهر أنواعه وهى ٣٢ إصبعا أو ٦٤ سنتيمترا (المعجم الوسيط ١ / ٣١١) (ذكرنا فى المادة السابقة أن «ذراع» يؤنث ويذكر).

ويقول يول كازانوفا إن الذراع الهاشمى أو ذراع العمل يبلغ ٦٥٦, ٠ من المتر (تاريخ ووصف قلعة القاهرة / ٤٦).

(إتحاف الأخصا بفضائل المسجد الأقصى لشمس الدين السيوطى - تحقيق د. أحمد رمضان أحمد ١ / ١٢٧ هامش ٣ للمحقق، وكشاف اصطلاحات الفنون للتهانوى ٢ / ٥١٣، والمعجم الوسيط ١ / ٣١١).

*** الذراع الهاشمى:**

انظر : الذراع (مقياس).

*** الذرارى فى أبناء السرارى:**

الذرارى فى أبناء السرارى: رسالة للسيوطى ذكرها صاحب الطراز المنقوش.

(كشف الظنون ١ / ٨٢٦).

*** الذرائع:**

جاء فى اللسان: الذريعة: الوسيلة. وقد تذرَّع فلان بذريعة، أى توسل، والجمع الذرائع. والذريعة، مثل الدريئة: جملٌ يُخْتل به الصيد، يمشى الصياد إلى جنبه فيستتر به، ويرمى الصيد إذا أمكنه، وذلك الجمل يُسَيَّب أولا مع الوحش حتى تألفه. والذريعة: السبب إلى الشىء، وأصله من ذلك الجمل ... قال ابن الأعرابى: سمى هذا البعير الدريئة والذريعة، ثم جُعلت الذريعة مثلا لكل شىء أدنى من شىء وقرَّب منه، وأنشد:

وللمنية أسباب تقرِّبها
كما تقرب للوحشية الذُّرُعُ

(لسان العرب ١٧ / ١٤٩٨).

ويتتبع الأستاذ الدكتور عبد العظيم عبد السلام شرف الدين الذرائع عند كل من أحمد بن حنبل، وابن تيمية، وابن القيم وذلك على النحو التالى:

(أ) ابن حنبل والذرائع.

أخذ الإمام أحمد بمبدأ «سد الذرائع»، ولذا حرم بيع السلاح عند الفتنة لأنه ذريعة إلى المعصية، ونظيره كل بيع أو إجارة أو معارضة تعين على معصية الله كبيع السلاح للكفار والبغاة وقطاع الطرق، وبيع الرقيق لمن يفسق به أو يؤجره لذلك، وإجارة داره أو حانوته لمن يقيم فيها المعصية، وعصر العنب لمن يتخذه خمرا.

ومن أخذه بالذرائع قوله: «إن من يمتنع عن إعطاء الطعام للمحتاج إليه حتى يموت جوعا يجب عليه الدية (انظر مادة «الدية» فى م ١٨ / ١٨٩ وما بعدها) لأن امتناعه عن إمداده بالطعام ذريعة إلى موته، ومن هذا أنه كره الشراء ممن يرخص سلعة لمحاربة جاره فى البيع، لأن الشراء منه يشجعه على ترخيص أسعاره، فيمتنع الناس عن الشراء من جاره، وقد

يؤدى فعله هذا إلى احتكاره السلع، فتزول المنافسة، ويستبد بالأسعار، ومن هذا أنه منع تلقى السلع قبل نزولها الأسواق لما فيه من غلاء الأسعار على العامة، ولما يلحق البائعين من غبن لجهلهم بالأسعار، والغبن ممنوع، وهذا الأخير ليس أخذا بالمصلحة المرسلة، فقد روى ابن مسعود حديثا يدل على نهى الرسول ﷺ عن تلقى الركبان، وقد فات هذا ابن القيم فاعتبره من الأخذ بالمصلحة المرسلة عند أحمد، ولم يعقب عليه.

(ب) ابن تيمية والذرائع.

وقد أخذ ابن تيمية بهذا المبدأ كذلك، وانتصر له فى فتاويه، ولم يشأ أن يتحدث عنها حديثا سطحيا، بل قد قسمها إلى ثلاثة أقسام:

١ ــ ذريعة يحتال بها إلى المحرم «كالجمع بين البيع والسلف» لأنه يفضى إلى الربا فقد يقرضه ألفا بألف، ويبيعه سلعة قيمتها ثمانمائة بألف، فالسلف والبيع أديا إلى الربا، فأحدهما يأخذ ألفين فى نظير ألف وثمانمائة، وكاشتراء البائع السلعة من مشتريها بأقل من الثمن أو بأكثر منه، وغير ذلك مما يقصد به التوصل إلى الربا.

٢ ــ ذريعة لا يحتال بها إلى المحرم: كسب الآلهة المفضى إلى سب الله، وكسب والد الغير المفضى إلى سب الآباء.

٣ ـ مباح أصلا يحتال به إلى إسقاط واجب كبيع النصاب فى أثناء الحول فرارا من الزكاة، وكإغلاء الثمن لإسقاط حق الشفعة، ونظيره كل ما يحتال به على إسقاط الحق.

وقد ساق أدلة على الأخذ بسد الذرائع بلغت الثلاثين، وأجتزىء منها بما يأتى:

١ ـ قال الله تعالى: ﴿ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عَدْوا بغير علم﴾ [الأنعام: ١٠٨] حرم سب آلهة المشركين لأنه ذريعة إلى سب المشركين لله، ومصلحة تركهم سب الله تعالى راجحة على مصلحة سبنا لآلهتهم.

٢ ـ نهى عليه السلام عن الجمع بين المرأة وعمتها، وبينها وبين خالتها، وأشار إلى العلة بقوله: «إنكم إذا فعلتم ذلك قطعتم أرحامكم»؛ لأن الجمع بينهما ذريعة إلى تباغض الزوجتين وقطيعة الرحم التى بينهما، ولو رضيت إحداهما بالجمع لم تلب إلى طلبها لأن طبع المرأة لا يرضى بمشاركة غيرها فى الزوجية؛ ولذا لما طلبت أم حبيب من الرسول أن يتزوج أختها درة لم يجبها الرسول إلى طلبها.

٣ ــ نهى النبى ﷺ عن الجمع بين البيع والسلف؛ لأن ذلك ذريعة إلى أن يبيعه سلعة قيمتها ثمانمائة؛ ويقرضه ألفا بألفين وفى ذلك ربا.

٤ ـ قضت السنة بحرمان القاتل من الميراث؛ لأنه لو ورث كان ذلك ذريعة إلى قتل الورثة مورثيهم استعجالا للإرث، واستمر فى عرض الأدلة الثابتة على سد الذرائع، وقال فى نهاية المطاف: «والكلام فى سد الذرائع واسع لا يكاد ينضبط، ولم نذكر من شواهد هذا الأصل إلا ما هو متفق عليه أو منصوص عليه أو مأثور عن الصدر الأول شائع عنهم» (الفتاوى ٣/ ١٤٥).

جـ ابن القيم والذرائع:

أما ابن القيم فقد اعتبر سد الذرائع، واعتد به كما اعتد به ابن حنبل وشيخه ابن تيمية، وقد بالغ فى الاعتداد به حتى اعتبره ربع التكليف فقال: «وباب سد الذرائع أحد أرباع التكليف، فإنه أمر ونهى، والأمر نوعان: أحدهما مقصود لنفسه، والثانى وسيلة إلى المقصود، والنهى نوعان: أحدهما ما يكون المنهى عنه مفسدة فى نفسه، والثانى ما يكون وسيلة إلى المفسدة، فصار سد الذرائع المفضية إلى الحرام أحد أرباع التكليف (أعلام الموقعين ٣/ ١٣٥، ١٨٦) وكما قال ابن القيم بسد الذرائع المفضية إلى الحرام قال باعتبار الذرائع المفضية إلى المطلوب، لأن وسيلة المطلوب مطلوبة، ووسيلة المحرم محرمة، ويقول مبينا أن ذلك هو مقتضى الحكمة التى يسير عليها الحكام، فكيف لا تسير على ذلك الشريعة المتسمة بالحكمة والعدل قال: «لما كانت المقاصد لا يتوصل إليها إلا بأسباب وطرق تفضى إليها كانت طرقها وأسبابها تابعة لها معتبرة بها، فوسائل المحرمات والمعاصى فى كراهتها والمنع منها بحسب إفضائها إلى غاياتها، فوسيلة المقصود تابعة للمقصود، وكلاهما مقصود، لكنه مقصود قصد الغايات وهى مقصودة قصد الوسائل، فإذا حرم الرب تعالى شيئا وله طرق ووسائل تفضى إليه فإنه يحرمها، ويمنع

منها تحقيقا لتحريمه وتثبيتا له ومنعا أن يقرب حماه، ولو أباح الوسائل والذرائع المفضية إليه لكان ذلك نقضا للتحريم، وإغراء للنفوس به، وحكمته تعالى وعلمه تأبى ذلك كل الإباء، بل سياسة ملوك الدنيا تأبى ذلك؛ فإن أحدهم إذا منع جنده أو رعيته أو أهل بيته من شيء، ثم أباح لهم الطرق والأسباب والذرائع الموصلة إليه لعد متناقضا، ويحصل من رعيته وجنده ضد مقصوده، وكذلك الأطباء إذا أرادوا حسم الداء منعوا صاحبه من الطرق والذرائع الموصلة إليه وإلا فسد عليهم ما يرومون إصلاحه، فما الظن بهذه الشريعة الكاملة التي هي في أعلى درجات الحكمة والمصلحة والكمال، ومن تأمل مصادرها ومواردها علم أن الله تعالى ورسوله سد الذرائع المفضية إلى المحارم بأن حرمها ونهى عنها» (أعلام الموقعين ٣/ ١١٩، ١٢٠)

(٢) أقسامها عنده:

ولم يفت ابن القيم أن يوضح القول في الذرائع، فقسمها تقسيما يوضح المحرم منها والمطلوب، ويقيم الدليل على ما يرى منعه، ويحسن أن نورد الأقسام التي ذكرها مع ضرب الأمثلة ليزول اللبس، فالذرائع عنده أربعة أقسام:

١ ـ وسيلة موضوعة للإفضاء إلى المفسدة كشرب المسكر المفضي إلى مفسدة السكر، والقذف المفضي إلى مفسدة القرية، والزنى المفضي إلى اختلاط المياه وفساد الفراش، وهذا القسم جاءت الشريعة بمنعه كراهة أو تحريما حسب درجاته في المفسدة.

٢ ـ وسيلة موضوعة للمباح قصد بها التوسل إلى المفسدة كمن يعقد النكاح قاصدا به التحليل، أو يعقد البيع قاصدا به الربا، أو يخالع قاصدا به الحنث.

٣ ـ وسيلة موضوعة للمباح لا يقصد بها التوسل إلى المفسدة، لكنها مفضية إليها غالبا، ومفسدتها أرجح من مصلحتها، وهذا كالصلاة في أوقات النهي فإنها لا يقصد بها مفسدة، ولكنها تؤدي إلى أن المصلي لا يقصد بصلاته وجه الله، وإنما يقصد عبادة الشمس كما فعل هذا المشركون، وكسبُّ آلهة المشركين بين ظهرانيهم فإنه مباح لا يقصد به التوسل إلى المفسدة، ولكنه يؤدي إلى أن يسب المشركون الله، وهذه المفسدة أرجح من مصلحة سب المسلمين آلهة المشركين، وكتزين المتوفى عنها في زمن عدتها فإنه مباح لا يقصد به مفسدة، ولكنه يؤدي إلى لفت الأنظار إليها وجذب قلوب الرجال نحوها، فيتقدمون لخطبتها، فتكذب، وتنكر ما في رحمها من ولد لتتزوج بمن تقدم لخطبتها.

٤ ـ وسيلة موضوعة للمباح وقد تفضي إلى المفسدة، ومصلحتها أرجح من مفسدتها كالنظر إلى المخطوبة، وفعل ذوات الأسباب في أوقات النهي، وكلمة الحق عند سلطان جائر. والشريعة جاءت بإباحة القسم الرابع أو استحبابه أو إيجابه حسب درجاته في المصلحة.

أما القسم الثاني والثالث فقد جاءت الشريعة بالمنع منهما، والأدلة على ذلك كثيرة، ثم أخذ ابن القيم في ذكر الأدلة الدالة على المنع، وأوصلها إلى تسعة وتسعين دليلا؛ وأجتزيء منها بما يأتي غير ذاكر ما ساقه ابن تيمية من أدلة؛ وذلك لأن ابن القيم قد ذكر أدلة ذكرها ابن تيمية في سد الذرائع، ثم تفرد هو بأدلة أخرى. وهذه الظاهرة ظاهرة الإكثار من الأدلة سبقت الإشارة إليها، وبينت أن السبب في ذلك هو حرصه على محاربة التقليد، والتناسق بين أهدافه ومنهجه، فلما كان من أهدافه محاربة التقليد نظريا كان في بحثه العلمي مجابا للتقليد؛ ولذا أكثر من الأدلة النقلية والعقلية، يمده في ذلك علم وفير وعقل خصب، ومن الأدلة التي ذكرها ما يأتي:

١ ـ قال الله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم والذين لم يبلغوا الحُلُم منكم ثلاث مرات﴾ [النور: ٥٨] أمر الله تعالى مماليك المؤمنين، ومن لم يبلغ منهم الحلم أن يستأذنوا عليهم في هذا الأوقات الثلاثة لئلا يكون دخولهم هجما بغير استئذان فيها ذريعة إلى اطلاعهم على عوراتهم وقت إلقاء ثيابهم عند القائلة والنوم واليقظة، ولم يأمرهم بالاستئذان في غيرها وإن أمكن في تركه تحقق هذه المفسدة لندورها وقلة الإفضاء إليها.

٢ ـ الشارع نهى أن يخطب الرجل على خطبة أخيه، أو يستام على سوم أخيه، أو يبيع على بيع أخيه، وما ذاك إلا لأنه ذريعة إلى التباغض والتعادي، فقياس هذا أنه لا يستأجر على إجارته، ولا يخطب ولاية أو منصبا على خطبته، وما ذاك إلا لأنه ذريعة إلى وقوع العداوة والبغضاء بينه وبين أخيه.

٣ ـ نهى الشرع المرأة إذا خرجت إلى المسجد أن تتطيب لأن ذلك ذريعة إلى ميل الرجال وتشوقهم إليها، فأمر ألا تتطيب وأن تقف خلف الرجال وألا تسبح فى الصلاة إذا نابها شىء، بل تصفق ببطن كفها على ظهر الأخرى سدا للذريعة وحماية من المفسدة.

٤ ـ نهى الرسول المرأة أن تسافر بغير محرم وذلك سد للذريعة؛ فإن سفرها بغير محرم ذريعة إلى الطمع فيها.

والأدلة التى ذكرها ابن القيم كلها تفيد اعتبار الشارع للذرائع، وأنه ينهى عن الشىء لأنه ذريعة إلى مفسدة، ويطلب الشىء لأنه ذريعة إلى المطلوب، وهذا كله يؤيد مسلك ابن القيم ومسلك ابن حنبل وابن تيمية وغيرهم من الحنابلة الذين أخذوا بسد الذرائع (ابن قيم الجوزية / ٣١٩ ـ ٣٢٥).

(لسان العرب لابن منظور ١٧ / ١٤٩٨، وابن قيم الجوزية ـ د. عبد العظيم عبد السلام شرف الدين ٣١٩ ـ ٣٢٥).

انظر: سد الذرائع.

*** الذرائع فى علم الشرائع:**

الذرائع فى علم الشرائع: لأبى الحسن محمد بن عبد الملك الكرجى (بالجيم) الشافعى المتوفى سنة ٥٣٢ اثنتين وثلاثين وخمسمائة وهو كتاب مختصر ذهب فيه إلى ترك القنوت فى صلاة الفجر ظانا صحة ما روى أنه عليه السلام تركه ويقول هذا مذهب إمامنا الشافعى لقوله إذا صح الحديث فهو مذهبى وقد صح انتهى ما ذكره السبكى.

(كشف الظنون ١ / ٨٢٦).

*** الذَّرعينى:**

قال السمعانى:

الذرعينى: بفتح الذال المعجمة والعين المهملة بينهما الراء ثم الياء الساكنة آخر الحروف وفى آخرها النون، هذه النسبة إلى ذرعينة وهى قرية من قرى بخارى، منها أبو زيد عمران بن موسى بن غرامش الذرعينى البخرى، يروى عن دران بن سفيان بن معاوية وإبراهيم بن فهد، روى عنه أبو بكر أحمد بن سعد بن نصر الزاهد.

(الأنساب ٣ / ٩).

*** الذُّرة:**

أورده المظفر الرسولى نقلا عن مصدرين رمز لهما كما يلى:

ع: عبد الله البيطار صاحب «الجامع لقوى الأدوية والأغذية».

ج: ابن جزلة صاحب «منهاج البيان فيما يستعمله الإنسان».

قال:

الذرة: «ع» جنس من الحبوب يكون على ساق أغلظ من ساق الحنطة والشعير بكثير، وورقها أغلظ وأعرض من ورقها، وأجودها الأبيض الرزين. وهى باردة يابسة مجففة، ولذلك صارت تقطع الإسهال، وإن استعملت من خارج كالضمادات بردت وجففت.

«ج» وتسمى الجاورس الهندى، ومنافعها مثله (فى المواكب الإسلامية «الجاوش»).

وجاء فى هامش (١) ما يلى:

الذرة والدخن: باردان يابسان، وغذاؤهما أقل من غذاء القمح والشعير. منفعتهما لأصحاب الاستسقاء والمترهلين، حابسان للبطن، وإذا أخذ شىء من الدخن وحمص، ووضع فى خرقة، وكُمد به البطن وهو حار سكن المغص. وضررهما: الإدمان على أكلهما يولد فى البدن دما سوداويا، ضارا غير محمود، دفع ضررهما: أن يؤكلا بالأمراق الدسمة، وأن يكثر آكلهما من دخول الحمام، ويأخذ بعده شيئا من العسل والشراب. (المعتمد ١ / ١٧٨)، والمواكب الإسلامية ٢ / ٢٦٤).

وجاء فى المواكب الإسلامية: الذرة ويسمى الجاوش، ويزرع كالعدس والكرسنة فى آذار (مارس)، وإذا زرع مع الدخن جاد، وخبزه كخبز الأرز (المواكب الإسلامية ٢ / ٢٦٤) وقال صاحب علم الملاحة: والذرة تزرع فى القيعان الرطبة والرملية الندية، ويزرع متأخر كالدخن (علم الملاحة / ١٠٨).

وعن إفلاح الـذرة يقـول ابن وحشيـة : تـزرع فى أربعـة وعشـرين يـوم تمضى من آذار (مارس) إلى مثلهـا من نيسـان (إبريل)، وتحتاج بعد طولها إلى التحفيف من الورق وتنظيفها فى كل أسبوع، ويوافقهـا فى منبتهـا الريـح الشمالى والريح الغربية، وذلك فى أول زرعها، فإذا نشأت وكبرت وافقها ريح الجنوب والشرقية، وهى تـزرع على وجهين: نثـرا، والتغطية بعده، ثم تسقى بـالماء. والثانى أن يجعل منها حبات كثيرة فى طين، ويجعل فـى الأتـراب ثم يغطى بـه بعـد أن يغمـر بالماء، فإذا بلغ نباتها طول شبر فليغمر بأخثاء البقر المعضن مع ورق القـرع والخطمى والسبستـان والسدر، ويجعل عليـه الماء، فإنه ينمـو نموا صالحا (مفتاح الـراحة / ١٢٧ عن الفـلاحة النبطية لابن وحشية).

(المعتمـد فى الأدوية المفـردة للمظفر الـرسـولى ـ صححـه وفهرسـه مصطفى السقـا ١ / ١٧٨ وهامش ١، والمـواكب الإسـلامية لمحمـد بن عيسى بن كنان الصالحى ـ تحقيق ودراسة د. حكمت إسماعيل، مراجعة محمد المصرى ق ٢ / ٢٦٤، وعلم الملاحة فى علم الفلاحة للشيخ عبد الغنى النابلسى / ١٠٨، ومفتاح الراحة لأهل الفلاحة لمؤلف مجهول من القرن الثامـن الهجرى ـ تحقيق ودراسة د. محمد عيسـى صالحية، ود. إحسان صدقى العمد / ١٢٧).

*** الذَّرَّة:**

جاء فى اللسـان : الذَّرُّ: صغار النمل، واحدتـه ذرة. قال ثعلب : إن مـائة منهـا وزن حبة من شعيـر، فكأنهـا جـزء من مائة. وقيل : الذرة ليس لها وزن، ويـراد بها ما يرى فى شعاع الشمس الـداخل فى النـافذة، ومنـه سمى الـرجل ذرًّا، وكنى بأبى ذر. وفى حـديث جبير بـن مطعم : رأيت يوم حنين شيئـا أسود ينـزل من السماء فوقع إلى الأرض فدب مثل الـذر، وهزم الله المشركين (انظـر مادة «حنين (غـزوة ـ)» فى م ١٥ / ٥١ ـ ٥٧) الذر : النمل الأحمر الصغير، واحدتها ذرة.

وفى حديث ابن عبـاس أن النبى ﷺ نهى عن قتل النحلة والنملة والصرد والهدهد . قال إبراهيم الحربى : إنما نهى عن قتلهن لأنهن لا يؤذين الناس، وهى أقل الطيور والدواب ضررا على الناس ممـا يتأذى الناس بـه من الطيور كالغـراب وغيره. قيل له : فالنملة إذا عضت تُقتـل؟ قال : النملة لا تعض إنما يعض الذر، قيل له : إذا عضـت الذرة تُقتل؟ قال : إذا آذتك فاقتلها . قال : والنملـة هى التى لهـا قوائم تكون فـى البرارى والخربات ، وهذه التى يتأذى الناس بها هى الذر (اللسان ١٧ / ١٤٩٤).

وجاء فى كشـاف اصطلاحـات الفنون : الـذرة بالفتح هى نصف سدس القطميـر... وقيل : الذرة ليس لهـا وزن كما فى بحر الجواهر (كشاف ٢ / ٥١١) والقطمير اثنا عشرة ذرة (كشاف ١ / ١٧٦) وجاء فى المعجم الـوسيط : القطمير: القشرة الـرقيقة على النـواة كاللفـافـة لها. والقطميـر الشىء الهين الحقيـر، يقال : ما أصبت منه قطميرا (المعجم الوسيط ٢ / ٧٤٧، والمعجم الوجيز / ٥٠٩).

قال الكمال الدميرى :

الذر : النمل الأحمر الصغير واحدته ذرة قال تعالى ﴿إن الله لا يظلم مثقال ذرة﴾ أى لا يبخس ولا ينقص أحـدا من ثواب عملـه مثقـال ذرة. أى وزن ذرة. سئل ثعلب عنهـا فقـال : إن مائة نملة وزن حبة والذرة واحدة منها، وقيل إن الذرة ليس لها وزن ويحكى أن رجلا وضع خبزا حتى علاه الذر وستره ثم وزنه فلم يزد شيأ وقيل الذر أجزاء الهباء فى الكوة وكل جزء منه ذرة ولا يكون لها وزن . وفى صحيح مسلم وغيره من حديث أنس رضى الله تعالى عنه فى شفاعة النبى ﷺ يوم القيامة ثم يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وكان فـى قلبه من الخير ما يزن ذرة صحَّفهـا شعبـة بن بسطام . وقـال مثقـال ذُرَة بضم الـذال وتخفيف الـراء وقال العبـدرى انمـا قال درة بـالدال المهملـة وتشديد الراء واحدة الدر، وهو تصحيف التصحيف . قال ابن بطـة من الحنابلـة فى تفسيـر الآيـة : مثقال مفعـال من الثقل والذرة والنملـة الصغيرة الحمـراء وهى أصغـر ما يكـون إذا مر عليها حول لأنها تصغر وتحرى كما تفعل الأفعى تقول العرب أفعى حارية وهى أشدها سما قال امرؤ القيس :

من القـاصـرات الطـرف لـو دب محـول
من الـذر فـوق الأتب منهـا لأثـرا

المحول الذى أتى عليه حول والأتب ثوب تلقيه المرأة فى عنقها بلا كم ولا جيب وقال حسان

لـو يـدب الحـولى من ولـد الـذر
عليهـا لأنـدبتهـا الكلـوم

أى لو دبت الحولية من الذر عليها لأثرت بها الكلوم وقال

السهيلى وغيره أهلك الله تعالى جرهم بالذر والرف حتى كان آخرهم موتا امرأة رؤيت تطوف بالبيت بعدها بزمان فتعجبوا من طولها وعظم خلقها حتى قال لها قائل أجنّيّة أنت أم إنسية فقالت بل إنسية من جرهم ثم اكترت من رجلين من جهينة بعيرا إلى أرض خيبر فلما أنزلاها استخبراها عن الماء فأخبرتهما فوليا فأتاها الذر فتعلق بها إلى أن انتهى إلى خياشيمها ثم نزل إلى حلقها فهلكت.

وعبر عن الذرة يزيد بن هرون بأنها دودة حمراء وهى عبارة فاسدة وروى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أنه قال الذرة رأس النملة وقال بعض العلماء لأن تفضل حسناتى سيئاتى بمثقال ذرة أحب إلىّ من الدنيا وما فيها قال الله تعالى **«فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره * ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره»** انتهى وهذه الآية كان رسول الله ﷺ يسميها الجامعة الفاذة أى المنفردة فى معناها .

وروى البيهقى فى الشعب من حديث صالح المرى عن الحسن عن أنس أن سائلا أتى النبى ﷺفأعطاه تمرة فقال السائل : سبحان الله نبى من أنبياء يتصدق بتمرة : فقال النبى ﷺ أو ما علمت أن فيها مثاقيل ذر كثير ثم أتاه آخر فسأله فأعطاه تمرة فقال تمرة من نبى من الأنبياء لا تفارقنى هذه التمرة ما بقيت ولا أزال أرجو بركتها أبدا فأمر له بمعروف وفى رواية قال للجارية اذهبى إلى أم سلمة فمر بها فلتعطه الأربعين درهما التى عندها قال أنس فما لبث الرجل أن استغنى . وروى الإمام أحمد فى مسنده بإسناد رجاله ثقات عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه أن النبى ﷺ قال : «يقتص للخلق بعضهم من بعض حتى الجماء من القرناء وحتى الذرة من الذرة . وأعطى سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه سائلا تمرتين فقبض السائل يده فقال له سعد يا هذا إن الله قد قبل منا مثاقيل الذر. وفعلت عائشة رضى الله تعالى عنها هذا فى حبة عنب . وسمع هذه الآية صعصعة بن عقال التميمى عند النبى ﷺ فقال حسبى لا أبالى أن لا أسمع آية غيرها وسمعها رجل عند الحسن البصرى فقال انتهت الموعظة فقال الحسن فقه الرجل .

وروى الحاكم فى المستدرك عن أبى أسماء الرحبى أن هذه السورة نزلت وأبو بكر الصديق رضى الله تعالى عنه يأكل مع النبى ﷺ فترك أبو بكر الأكل وبكى فقال له النبى ﷺ وما يبكيك فقال يا رسول الله أو نسأل عن مثاقيل الذر فقال رسول الله ﷺ يا أبا بكر ما رأيت فى الدنيا مما تكره فمثاقيل ذر الشر ويدخر الله لك مثاقيل ذر الخير إلى الآخرة قال والذرة نملة صغيرة حمراء لا يرجح بها ميزان . وروى الإمام أحمد فى الزهد عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه أن النبى ﷺ قال : «يجاء بالجبارين والمتكبرين يوم القيامة رجال على صور الذر يطؤهم الناس من هوانهم على الله حتى يقضى بين الناس قال ثم يذهب بهم إلى نار الأنيار قيل يارسول الله وما نار الأنيار قال عصارة أهل النار ورواه صاحب الترغيب والترهيب . وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن النبى ﷺ قال يحشر المتكبرون يوم القيامة أمثال الذر فى صور الناس يغشاهم الصغار من كل مكان ويساقون إلى سجن من النار يقال له بولس تعلوهم الأنيار ويسقون من طينة الخبال وهى عصارة أهل النار. رواه الترمذى وقال : حديث حسن غريب . وفى شعب الإيمان للبيهقى عن الأصمعى قال : مررت بأعرابية فى البادية فى كوخ فقلت لها يا أعرابية من يؤنسك ههنا قالت يؤنسنى مؤنس الموتى فى قبورهم قلت ومن أين تأكلين قالت يطعمنى مطعم الذرة وهى أصغر منى .

وفى المدهش للإمام العلامة أبى الفرج بن الجوزى أن رجلا من العجم طلب الأدب حينا فبينما هو فى بعض الطريق سائر إذ مر بصخرة ملساء فتأملها فإذا ذرٌ يدب عليها وقد أثر عليها من كثرة دبيبه ففكر وقال مع صلابة هذا الحجر وخفة هذا الذر قد أثر فيه هذا الأثر فأنا أحرى على أن أدوم على الطلب فلعلى أظفر ببغيتى فراجع الإثبات على الأدب فلم يلبث أن خرج مبرزا وهكذا يجب أن يكون طالب فائدة دينية أو دنيوية لاسيما طالب التوحيد والمعرفة أن يكون كرارا غير فرار فإما الظفر والغنيمة و إما القتل والشهادة .

وسئل أبو يزيد البسطامى رحمه الله تعالى عن العارف فقال هو أن يكون وحدانى التدبير فردانى المعنى صمدانى الرؤية ربانى القوة وحدانى العيش نورانى العلم خلدانى العجائب سماوى الحديث وحشى الطلب ملكوتى السر عنده مفاتح الغيب وخزائن الحكم وجواهر القدس وسرادقات الأبرار فإذا جاوز الحد وارتفع إلى أعلى فهو غير مدرك وحاله غير موصوف .

وفى صحيح مسلم عن ابن مسعود رضى الله عنه ان النبى ﷺقال «لا يدخل الجنة من كان فى قلبه مثقال ذرة من كبر» فقال رجل إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنا ونعله حسنة فقال: «إن الله جميل يحب الجمال الكبر بطر الحق وغمط الناس» ورواه الترمذى وقال حسن غريب وقيل المراد بالكبر ههنا الكبر عن الإيمان فصاحبه لا يدخل الجنة أصلا إذا مات عليه وقيل لا يكون فى قلبه كبر حين دخول الجنة كما قال الله تعالى ﴿ونزعنا ما فى صدورهم من غل﴾ [الأعراف: ٤٣] وهذان التأويلان فيهما بعد فإن الحديث ورد فى سياق النهى عن الكبر المعروف وهو الارتفاع على الناس واحتقارهم والظاهر فيه ما اختاره القاضى عياض وغيره من المحققين أنه لا يدخلها دون مجازاة أو لا يدخلها مع أول الداخلين وأما قوله فقال رجل فذلك الرجل هو مالك بن مرارة الرهاوى قاله القاضى عياض وأشار اليه ابن عبد البر. وحكى أبو القاسم خلف بن عبد الملك بن بشكوال فى اسمه أقوالا أحدها أنه أبو ريحانة واسمه شمعون وقيل ربيعة بن عامر وقيل سواد بالتخفيف بن عمرو وقيل معاذ بن جبل ذكره ابن أبى الدنيا فى كتاب الخمول والتواضع وقيل عبد الله بن عمرو بن العاص ومعنى قوله إن الله جميل أى أن كل أمره سبحانه حسن وجميل فله الأسماء الحسنى وصفات الجمال والكمال وقيل جميل بمعنى مجمل ككريم وسميع بمعنى مكرم ومسمع. وقال أبو القاسم القشيرى معناه جليل وقيل معناه ذو النور والبهجة أى مالكهما. وقيل معناه جميل الأفعال بكم والنظر إليكم يكلفكم اليسير ويعين عليه ويثيب عليه الجزيل سبحانه ما أكرمه. قال شيخ الإسلام يحيى النووى رحمه الله تعالى: هذا الاسم ورد فى الحديث الصحيح وورد فى الأسماء الحسنى وفى إسناده مقال والمختار جواز إطلاقه على الله تعالى ومن العلماء من منعه وقال إمام الحرمين أبو المعالى ما ورد به الشرع جوزنا إطلاقه وما لم يرد فيه إذن ولا منع لم نقض فيه بتجويز ولا منع فإن الأحكام الشرعية تتلقى من موارد الشرع ولو قضينا بتحريم أو تحليل لكنا مثبتين حكما بغير الشرع ثم لا يشترط فى جواز الإطلاق وورد ما نقطع به فى الشرع ولكن ما يقتضى العمل وإن لم يوجب العمل فإنه كاف إلا أن الاقيسة الشرعية من مقتضيات العمل ولا يجوز التمسك بها فى تسمية الله تعالى وصفته قال النووى: وقد اختلف أهل السنة فى تسميته تعالى ووصفه من أوصاف الكمال والجلال والمدح بما لم يرد به الشرع ولا منعه فأجازه طائفة ومنعه آخرون إلا أن يرد به شرع مقطوع به من نص كتاب أو سنة متواترة أو إجماع على إطلاقه فإن ورد به خبر واحد فقد اختلفوا فيه فأجازه طائفة وقالوا الدعاء به والثناء من باب العمل وذلك جائز بخبر الواحد ومنعه آخرون لكونه راجعا إلى اعتقاد ما يجوز أن يستحيل على الله تعالى وطريق هذا القطع قال القاضى والصواب جوازه لاشتماله على العمل ولقوله تعالى ﴿ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها﴾ [الأعراف: ١٨٠] وهو كما قال وأما قوله وغمط الناس كذا فى نسخ صحيح مسلم وكذلك ذكره أبو داود فى مصنفه وذكره الترمذى وغيره غمص بالصاد المهملة وهما بمعنى واحد وهو احتقارهم.

وأما رؤيته فى المنام فإنها تعبر بالنسل لقوله تعالى ﴿وإذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذرياتهم﴾ والذر أيضا يعبر بالضعفاء من الناس وقيل الذر جند لأنه من النمل والله تعالى أعلم (حياة الحيوان الكبرى ١ / ٣٢٢ ـ ٣٢٤).

(لسان العرب لابن منظور ١٧ / ١٤٩٤، وكشاف اصطلاحات الفنون ٢ / ٥١١ و ١ / ١٧٦، والمعجم الوسيط ٢/٧٤٧ والمعجم الوجيز / ٥٠٩، وحياة الحيوان الكبرى للشيخ كمال الدين الدميرى ١ / ٣٢٢ ـ ٣٢٤).

*** الذّرّة (فى العلوم الكونية):**

عن تاريخ اكتشاف الذرة وجزيئاتها يقول عدنان الشريف:

الذرة هى الوحدة الأولية أو اللبنة الأساسية التى تتكون منها عناصر الأشياء. وبالرغم من أن الفيلسوف اليونانى «لوقيبوس» (Leucippe) وتلميذه «ديموقريطوس» فى القرن الخامس قبل الميلاد قد أعطيا تصورا علميا عن الذرة فجعلاها اللبنة الأساسية للأشياء وأسمياها بالأتوم (Atom) (أى الشيء الذى لا يتجزأ) وكذلك بعض علماء الهند فى القرن السادس قبل الميلاد، إلا أن الإنسانية ظلت حتى القرن السابع عشر للميلاد تأخذ بآراء أرسطو الخاطئة ونظرية العناصر الأربعة فى الطبيعة التى تتكون منها الأشياء، أى الماء والهواء والتراب والنار. وفى أواسط القرن السابع عشر دخلت فكرة الذرة حيز الاختبار العلمى مع العالم الإنكليزى «بويل».

وفى سنة ١٨٠٨ وضع «دالتون» النظرية الذرية الحديثة التى تقول بأن عناصر الطبيعة مؤلفة من جزيئات أولية،

أعطاها اسم «أتوم» أى الشىء الذى لا يتجزأ، إكراما لعلماء اليونان الأقدمين الذين أطلقوا هذه التسمية على الذرات.

وفى سنة ١٨٩١ اكتشف «ستونى» و «تومسون» الألكترون، أحد جزيئات الذرة والوحدة الأساسية للطاقة الكهربائية.

وفى سنة ١٩١١ اكتشف «روذرفورد» نواة الذرة والبروتون الذى يدخل فى تركيبها.

وفى سنة ١٩٠٤ تمكن العالم «تيودور وليام ريشارد» من تحديد الوزن الذرى للذرات معتمدا على معادلة «أفوغادرو» الشهيرة.

ثم تعددت الاكتشافات فى عالم الذرة، وانتقلت الذرة من مجرد تصور فكرى قاله بعض الأقدمين إلى حقيقة ملموسة، وقد أمكن أخيرا فى سنة ١٩٧٠ رؤية بعض الذرات بواسطة المجهر الألكترونى.

وما يهمنا من هذا العرض السريع لتاريخ اكتشاف الذرة ومكوناتها هو التشديد على أن القرآن الكريم قد قال بوجود الذرة وقال بأن لها وزنا، وقال بأن هناك جزيئات أصغر منها، فى آيات لا لبس فيها ولا غموض هى الآتية:

﴿إن الله لا يظلم مثقال ذرة وإن تك حسنة يضاعفها﴾ [النساء: ٤٠].

﴿وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة فى الأرض ولا فى السماء ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا فى كتاب مبين﴾ [يونس: ٦١].

﴿لا يعزب عنه مثقال ذرة فى السماوات ولا فى الأرض ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا فى كتاب مبين﴾ [سبأ: ٣].

﴿قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة فى السماوات ولا فى الأرض﴾ [سبأ: ٢٢]

﴿فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره * ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره﴾ [الزلزلة: ٧، ٨].

فالذرة لغويا هى جزء من الشىء، يقال: ذَرَّرَ وذَرَّ، أى فرقه أجزاء. أما أن نفهم معنى كلمة ذرة بأنها ما يُرى فى شعاع الشمس الداخل فى النافذة، أو واحدة من صغير النمل كما جاء فى أكثر التفاسير، فربما كان ذلك، والله أعلم، معنى من معانى كلمة ذرة (انظر مادة «الذرة»).

- **﴿ومن كل شىء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون﴾** [الذاريات: ٤٩].

جاء فى لسان العرب لابن منظور: «والأصل فى الزوج الصنف والنوع من كل شىء، وكل شيئين مقترنين، شكلين كانا أو نقيضين، فهما زوجان وكل واحد منهما زوج».

لقد جاءت مختلف فروع العلوم المادية لتبين أن كل شىء فى الطبيعة بدءا من جزيئات الذرة وانتهاء بجميع المخلوقات الموجودة فى الكون له زوجه، وهذه أمثلة عن الزوجية فى الخلق كما كشفها علم الفيزياء الحديثة: لكل جزء من المادة زوجُه ويسمى بضده؛ فالألكترون وهو جزء من الذرة له زوجه المختلف عنه بالشحنة الكهربائية التى هى موجبة وتسمى بالبوزيتون والبروتون وهو جزىء يدخل فى تركيب نواة الذرة له زوجه المسمى بمضاد البروتون، والمادة لها زوجها ويسمى بالمادة المضادة Antimatiere وحتى الكوارك، وهو أصغر جزء فى الذرة ولا يزال حتى الآن افتراضا نظريا، له زوجُه، فهناك الكوارك ذو الشحنة الكهربائية السالبة وزوجُه الكوارك ذو الشحنة الموجبة. وبصورة عامة فبمقابل كل جُسيم أى جزىء من الذرة اكتشف علماء الفيزياء الذرية زوجَه، وهو جُسَيْم يشبهه ولا يختلف عنه إلا بالشحنة الكهربائية (من علم الفلك القرآنى / ٢٠ـ٢٢).

وعن النظرية الذرية فى التراث الإسلامى يقول الدكتور أحمد فؤاد باشا:

إذا كان المذهب الذرى الذى وضعه فلاسفة الإغريق لا يزال يحظى باهتمام كبير من جانب بعض المؤرخين وفلاسفة العلم الغربيين ــ ومن يدور فى فلكهم ــ يعرضون لتاريخ النظرية الذرية بالتحليل والتأصيل، فإن الأمر من جانبنا نحن المسلمين يجب أن نتناوله بكل الحذر ولا نبالغ فى تقديره فوق ما يجب، لأن هذا المذهب قام على كثير من الخيال ومن الجدل النظرى العقيم ولم يقم على منهج علمى منظم، وهو بعيد كل البعد عن المدرك المعاصر فى تركيب المادة وبناء الذرة، فضلا عن أنه يستند عند أنصاره ويذهب بهم إلى

أقصى حدود النزعة المادية الآلية التى تسير ـ فى نظرهم ـ جميع الأشياء بحتمية القانون الطبيعى.

وقد اطلع المسلمون الأوائل على آراء فلاسفة الإغريق فى «الذرة» أو «الجوهر الفرد» من خلال مترجماتهم إلى اللغة العربية، وخاصة ما جاء عن المذهب الذرى لديموقريطس فى كتابى «الميتافيزيقا» و «النفس» لأرسطو. وكان طبيعيا أن يتبرأ مفكرو الإسلام من هذا المبدأ الذى يجحد أصحابه الصانع المدبر للعالم، وينكرون وجود الخالق الواحد جل وعلا، كما ينكرون النبوة والبعث والحساب. وقد وصفهم الغزالى «فى المنقذ من الضلال» بالزنادقة، كما وسموا بالدهرية الذين عناهم القرآن الكريم بقوله : **﴿وقالوا ما هى إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر وما لهم بذلك من علم إن هم إلا يظنون * وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات ما كان حجتهم إلا أن قالوا ائتوا بآبائنا إن كنتم صادقين * قل الله يحييكم ثم يميتكم ثم يجمعكم إلى يوم القيامة لا ريب فيه ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾** [الجاثية : ٢٤ ـ ٢٦].

ولما كان المجال هنا لا يسمح بإسهاب الحديث حول كل ما جاء فى التراث الإسلامى بخصوص «النظرية الذرية» فإننا سنكتفى بالإشارة إلى مثالين ذوى مغزى يوضحان كيفية تناول المسلمين لهذه القضية الهامة من جانبيها الفكرى والعلمى التطبيقى.

١ ـ بالنسبة لفكرة «الذرة»، يأتى أبو الهذيل العلاف (من أشهر فلاسفة المعتزلة : ١٣٥ ـ ٢٣٥ هـ / ٧٥١ ـ ٨٤٩ م). فى مقدمة فلاسفة المسلمين الذين ساهموا فى أول صياغة إسلامية لنظرية «الجزء الذى لا يتجزأ» بحيث تنسجم انسجاما مطلقا مع مذهبهم الدينى ويقضى السياق العام لهذه النظرية عند العلاف بأن العالم يتكون من عدد من «الذرات» أو الجواهر المفردة، أو الأجزاء البسيطة التى لاتتجزأ، وإلى هذه الأجزاء التى لا تتجزأ تنحل جميع الموجودات، «إن الخردلة يجوز أن تتجزأ نصفين، ثم أربعة ثم ثمانية إلى أن يصير كل جزء منها لا يتجزأ، ويجوز على الجوهر الواحد الذى لا ينقسم إذا انفرد ما يجوز على الأجسام من الحركة والسكون، وما يتولد عنهما من المجامعة والمفارقة. وهذه الأجزاء تتحرك «فى خلاء»، لكنها لا تتحرك ولا تسكن بذاتها لأن الله من حيث هو ذات مريدة وقادرة هو الذى أوجد الحركة فيها والسكون». وقد أخذ بهذه النظرية بعد ذلك كثيرون من المعتزلة، ثم وضعها الأشاعرة، ولا سيما أبو الحسن الأشعرى وتلميذه الباقلانى، فى صورة أشمل جعلت منها مذهبا للأشاعرة.

٢ ـ أما بالنسبة للجانب العلمى من النظرية الذرية فى التراث الإسلامى فإننا نختار ما يدل عليه من إحدى التجارب الكيميائية العملية التى أجراها جابر بن حيان (٧٣٧ ـ ٨١٥ م) (أوردنا ترجمته فى م ١١ / ٣٩٢ ـ ٤٠٢ فانظرها فى موضعها). لتحضير الزنجفر «أو كبريتوز الزئبق» حيث يقول: «لتحويل الزئبق إلى مادة صلبة حمراء، خذ قارورة مستديرة وصب فيها مقدارا ملائما من الزئبق واستحضر آنية من الفخار بها كمية من الكبريت حتى يصل إلى حافة القارورة، ثم أدخل الآنية فى فرن واتركها فيه ليلة بعد أن تحكم سَدَّها، فإذا ما فحصتها بعد ذلك، وجدت الزئبق قد تحول إلى حجر أحمر، وهو ما يسميه العلماء بالزنجفر، وهى ليست مادة جديدة فى كليتها، والحقيقة أن هاتين المادتين لم تفقدا ماهيتهما، وكل ما حدث أنهما تحولتا إلى دقائق صغيرة امتزجت ببعضها، فأصبحت العين المجردة عاجزة عن التمييز بينهما، وظهرت المادة الناتجة من الاتحاد متجانسة التركيب، ولو كان فى قدرتنا وسيلة تفرق بين دقائق النوعين لأدركنا أن كلا منهما محتفظ بهيئته الطبيعية الدائمة». ويعلق أحد العلماء المعاصرين (د. عبد الحليم منتصر، تاريخ العلم ودور العلماء العرب / ١٥٨) على هذا الوصف العلمى بأنه تصوير عجيب للاتحاد الكيميائى لعل فيه شبها من تصوير دالتون «١٧٦٦ ـ ١٨٤٤ م» الذى جاء بعد جابر بألف عام، وقال بأن الاتحاد الكيميائى يكون باتصال ذرات العناصر المتفاعلة بعضها ببعض.

وإذا عقدنا مقارنة سريعة بين الطريقة التى عالج بها علماء المسلمين مشكلة الذرة على النحو الذى أوضحنا والطريقة التى اتبعها علماء الغرب إبان عصر النهضة الأوروبية الحديثة، نجد أن المذهب الذرى الإغريقى القديم قد عاد إلى الظهور على يد جاسندى «١٥٩٢ ـ ١٦٥٥ م»، وعلى أيدى علماء الكيمياء فى القرنين السابع عشر والثامن عشر،

فى صورة ضروب من الحدس الهندسى نستطيع اليوم أن ندرك مبلغ سذاجتها. والواقع أن المفكرين فى ذلك الحين لم يترددوا فى أن ينسبوا إلى الذرة كل المدركات الحسية المباشرة، بحيث إن الصورة الخاصة لذرات المادة تفسر إحساسات الذوق والرائحة واللون. وهكذا قيل إن ذرة البرد مدببة لأن البرد قارس، وأن تأثير الأحماض فى الأجسام القاعدية أشبه باختراق الطرف المدبب فى الأحماض لمسام القلويات. ولا شك فى أن مثل هذه التشبيهات ليست بذات قيمة علمية، بل إنها لا تصور لنا الظواهر تصويرا جيدا.

لكن الذرة الكيميائية كما تصورها «جابر» و «دالتون» فى عمليات الاتحاد الكيميائى بين العناصر لم تعد مع حلول القرن العشرين ذلك الجزء الذى لا يتجزأ. فقد أدى تطور النظرية الذرية إلى قيام علم الفيزياء النووية لدراسة التغيرات التى تتعرض لها نواة الذرة، ودراسة الإشعاع الذرى الطبيعى، ودراسة التفاعلات النووية، بل إن ظهور عالم الجسيمات الأولية وفيزياء الطاقات العالية قد أدى بنا الآن إلى الدخول فى مجال العلم الذى مازال يتكون، والبحث فى أعماق «الذرة» عن جزء جديد منها لا يقبل التجزئة!!

تُرى ...

ما دور علماء الأمة الإسلامية الآن، بعد أن اقترب الإنسان كثيرا من الرؤية المباشرة للذرات الكيميائية المفردة والإمساك بها لاستخدامها فى إجراء تجارب علمية لم تخطر يوما على بال بشر؟!

وأين إسهامات المسلمين الآن فى كل هذه المجالات الهامة وغيرها من مجالات العلوم المعاصرة وتقنياتها؟

هيهات - والحال كما نرى - أن يفعلوا مثلما أسلافهم فعلوا! (العلوم الكونية فى التراث الإسلامى / ٣٤-٣٩).

(من علم الفلك القرآنى - د. عدنان الشريف. دار العلم للملايين. بيروت. الطبعة الثانية سبتمبر ١٩٩٣ / ٢٠ - ٢٢، والعلوم الكونية فى التراث الإسلامى - د. أحمد فؤاد باشا «هدية مجلة الأزهر. رمضان ١٤١١ هـ/ ٣٤-٣٩).

*** أبو ذَرّة:**

أبو ذرة، اسمه الحارث بن معاذ بن زرارة الأنصارى الظفرى. هو أخو أبى نملة الأنصارى، شهد هو وأخوه أبو نملة مع أبيهما معاذ أُحُدا؛ ذكره الطبرى.

(الاستيعاب فى معرفة الأصحاب لابن عبد البر - تحقيق على محمد البجاوى ٤ / ١٦٥٦).

*** أم ذَرّة:**

مذكورة فى الصحابيات. حديثها عند محمد بن المنكدر أنها سمعت النبى ﷺ يقول: «أنا وكافل اليتيم يوم القيامة كهاتين».

(الإصابة فى تمييز الصحابة لشيخ الإسلام ابن حجر العسقلانى جـ٨ م ٤ / ٢٣٠).

*** ابن أبى ذروان (ـ٤٣٦ هـ):**

من القراء. ترجم له الإمام ابن الجزرى فقال عنه: على بن الحسن الربعى الدمشقى المعروف بابن أبى ذروان إمام مقرىء حافظ، أخذ القراءة عرضا عن على بن زهير البغدادى وعلى بن داود الدارانى وسلامة بن الربيع المطرز أصحاب ابن الأخرم والهيثم بن أحمد القرشى، وروى عنه عبد العزيز الكتانى والحسن بن أحمد بن أبى الحديد وأبو سعد السمان وتصدر للإقراء بدمشق، قال الكتانى: انتهت إليه الرئاسة فى قراءة الشاميين وكان ثقة مأمونا يحفظ غريب الحديث لأبى عبيد ويحفظ ألف حديث بأسانيدها، مات فى صفر سنة ست وثلاثين وأربعمائة وله ثلاث وسبعون سنة.

(غاية النهاية فى طبقات القراء لابن الجزرى - عنى بنشره ج برجشتراسر ١ / ٥٣٢).

*** الذَّرور Dusting powder:**

مما يرد فى مصنفات التراث الإسلامى فى الطب والصيدلة.

جاء فى اللسان: الذرور: ما ذررت ... والذرور، بالفتح، ما يذر فى العين وعلى القرح من دواء يابس. وفى الحديث: تكتحل المُحِدّ بالذَّرور، ويقال: ذررتُ عينه إذا داويتها به. وذَرَّ عينه بالذَّرور يذرُّها ذرًّا: كحلها (اللسان ١٧ / ١٤٩٤).

وجاء فى كتاب التنوير: الذرور: أدوية يابسة، تذر فى العين، أو على القروح والجراحات (كتاب التنوير / ٤٩).

وجاء فى زاد المسافر: الذرور: يطلق على كل ما سحق برسم قطع الرطوبات والدم وإصلاح الجراح، تنشر على الجروح أو الجلد عامة، توقف النزف فى الأنف والختان (زاد المسافر / ٢٥٤) وجاء مثله فى الموجز فى الطب والصيدلة / ٣٧٧.

ويبسط داود الأنطاكى الكلام على الذرور وأنواعه فيقول: الذرور يطلق على كل ما سحق برسم قطع الرطوبات والدم وإصلاح الجراح ولم يمس بمائع وفى أدوية العين ما زاد على ما ذكر بكونه مبردا لا يضر الإكثار منه وهو من التراكيب القديمة باعتبار قطع الدم وما عدا ذلك فمحدث.

ذرور أبيض سهل الاستعمال لطيف يوافق الأطفال للطفه ويحل الرمد ويخفف الرطوبة بسرعة. وصنعته: أنزروت جشمة من كل جزء حبة سوداء نشا من كل صنف جزء وقد يزاد إذا طال الوردينج ربع إسفيداج جزء ذرور أصفر ينفع مما ذكر. وصنعته: أنزروت جزء صبر زعفران بزر ورد من كل نصف أفيون دانقان وقد يزاد إذا كثرت الدمعة ماميثا واحد ومع الحمرة خولان هندى نصف واحد وبعض الكحالين يضيف الذرورين ويسميه المنصف وكثيرا ما يعالجون به فى البيمارستان المنصورى المصرى وأما الشاميون والعراقيون فيجمعون الأصفر والملكايا وأما أهل الحجاز فيقتصرون على الجشمة والأنزروت والهند تضيف إليه الكركم والنشا وكل من هؤلاء يبالغ فى تعظيم ما ذكر.

ذرور يلصق الجراح ويجفف الرطوبات ويلحم ويأكل اللحم الزائد، وصنعته: قشر رمان عفص زاج الأساكفة سعد قرطاس محرق من كل عشرة نحاس محرق خمسة شب مر دم أخوين من كل اثنان وقد يزاد أنزروت أو هو بدل الزاج قشر كندر من كل اثنان ذرور سريع الفعل فيما ذكر. وصنعته: صبر جلنار قشر كند ذرور يقطع الدم حيث كان ويجفف كل قرح كالجدرى. وصنعته: برادة الحديد والنحاس وشب وطين مختوم سواء ماميثا صبر كندر وفى السرطانات أنزروت فى الوهن والوجع من نحو ضربة دقيق كرسنة وشونيز من كل نصف أحدهما وقد تقرص الأوائل وتحرق فى فرن قبل الاستعمال وفى البواسير ... وأمراض المقعدة يزاد صوف قرع عفص محرقين بنحو الزفت أو القطران جلنار مرداسنج رصاص محرق من كل كأحد الأواخر وفى قوة الورم يزاد من السوسن الإسمانجونى مثل أحدهما قالوا ومن المجربات فى أمراض المقعدة رأس السمك المالح والجبن العتيق مجففين ذرورا ومتى كان هناك لحم ميت أو طلب توسيع الجراح فالمدار على أنواع الزاجات والزرنيخ وزبد البحر والأشق والأنزروت والزنجار وقشور النحاس والرصاص ذرورا أو فتائل أو مراهم حسبما يراه الطبيب ويقتضيه الحال وأما ما ينبت اللحم ويصلح القروح فمداره على الصبر ودم الأخوين والأنزروت والكندر والراتينج وأما ما يقطع الدم فالأفيون والجبس ووبر الأرنب والشادنة بالشروط المذكورة.

ذرور ينفع لطهور الصبيان فيصلحه ونحوه من الجراحات اللطيفة. وصنعته: ورد آس قنطريون جلنار أقاقيا دم أخوين أنزروت طين مختوم أو أرمنى طباشير مجموعة أو أى شىء منها حصل وقد يعمل منها مرهم ببياض البيض.

ذرور يغنى عن الحديد ويلحم ما استعصى، زرنيخ أصفر وأحمر من كل جزء زاج نورة بلا طفى من كل نصف جزء قلقند قلقديس ثمن جزء يعجن بخل ويترك فى الشعير أربعة وعشرين يوما ثم يصعد فالأعلى يدمل ويختم الجراح ويقطع الساعية والسافل يسقط نحو البواسير واللحم الزائد (التذكرة ١ / ١٦١، ١٦٢).

قالت المؤلفة: قد تبدو معظم هذه الأسماء غريبة علينا، ولكن الزائر لمحلات العطارة الكبيرة سوف يدهشه أن يجدها فيها، كما فعلتُ عدة مرات للتحقق من ذلك.

(لسان العرب لابن منظور ١٧ / ١٤٩٤، وكتاب التنوير والاصطلاحات الطبية لأبى منصور الحسن بن نوح القمرى ـ تحقيق وفاء تقى الدين / ٤٩، وزاد المسافر وقوت الحاضر لابن الجزار ـ تحقيق د. محمد سويسى و د. الراضى الجازى / ٢٥٤، والموجز فى تاريخ الطب والصيدلة ـ بإشراف. محمد كامل حسين / ٣٧٧، وتذكرة أولى الألباب لداود بن عمر الأنطاكى ١ / ١٦١، ١٦٢).

***الذرورات:**

انظر: الذرور.

*** الذروة:**

الذروة بالضم والكسر وهو المشهور وبسكون الراء فى

اللغـة العلـو وعنـد أهل الهيئـة تطلـق بـاشتـراك على معنيين أحدهما ما يسمى بالذروة المرئية المسماة أيضًا بالبعد الأبعد المقوم وهي موقع الخط الخـارج من مركز العالم المـار بمركز التـدويـر على أعلى التــدويـر ويقـابلهـا الحضيض المـرئي المسمى بالبعد الأقرب المقوم أيضًـا وتوضيحه أنا إذا أخرجنا خطـا من مركـز العالم إلى مـركـز التـدوير منتهيـا إلى السطح المحدب من الحـامل فلا محـالة يقطع ذلك الخط الحـامل على نقطتين مشتركتين بين التـدوير والحامل إحـداهما وهي النقطـة المشتركـة بين السطح المحدب للحـامل وبين سطح التدوير وهي التي هي مبدأ النطاق الأول تسمى بالذروة المرئية وهي نقطـة على أعلى التـدويـر بـالقياس إلى مـركـز العـالم وثانيتهما وهي النقطة المشتـركة بين السطح المقعر من الحال وبين سطح التدوير وهي التي هي مبـدأ النطاق الثالث تسمى بـالحضيض المـرئي وهي أقـرب نقطـة على أسفل التـدويـر بالقياس إلـى مركز العالم وثـانيهما ما يسمى بالـذروة الوسطية وقد تسمى أيضًا بـالذروة المستوية والبعـد الأبعد الوسط وهي مـوقع الخط الخـارج من مـركـز معـدل المسيـر أو من نقطـة المحـاذاة على أعلـى التـدويـر وبإزائهـا الحضيض الأوسط والوسطى والمستـوى والبعد الأقرب والـوسط فإنا إذا أخـرجنا خطـا من مــركـز معـدل المسيـر في المتحيـرة أو من نقطـة المحـاذاة في القمـر فتقـاطعه مـع أعلى التدويـر هـو الـذروة الــوسطى ومع أسفلـه هــو الحضيض الــوسطى ثم اعلم أن الذروتين وكذا الحضيضن ينطبق أحـدهما على الآخر إذا كان مـركز التـدوير في أوج الحـامل أو حضيضـه وفي غير هـذين الموضعين يفتـرقان هـذا كله خـلاصة ما فـي شرح الملخص للسيـد السند ومـا ذكر الفـاضل عبد العلي في شـرح التذكـرة حاشية شرح الملخص للقاضي.

(كشاف اصطلاحات الفنون للتهانوي ٢/ ٥١٨، ٥١٩).

*** الذروة الأنيسة بمشهد السيدة نفيسة:**

للشـريـف محمـد بن سعـد بن علي بن معمـر المـالكي الجـواني النّسـابـة نقيب الأشراف المتـوفى سنـة ٥٨٨ ثمـان وثمانين وخمسمائة.

(إيضـاح المكنــون في الــذيـل على كشف الظنــون للبغــــدادي ١/ ٥٤٧).

*** الذروة العليا في سيرة المصطفى:**

فارسي لظهيـر الدين علي بـن محمد الكازروني المتـوفى سنة ٦٩٤ أربع وتسعين وستمائة.

(إيضاح المكنون ١/ ٥٤٧).

*** ابن ذريح:**

أدرجـه الشمس الذهبي في الطبقة السـابعـة عشرة وقـال عنه: الإمـام المتقن الثقة. أبـو جعفر، محمد بـن صالح بن ذريح البغدادي العُكبري، سمع أبا ثور الكلبي وطبقته.

حـدث عنه إسحـاق النّعـالي، وأبـو بكر الإسمـاعيلي وآخرون

مات سنة سبع وثلاثمـائة، وقيل: توفي سنة ثمان، وقيل سنة ست، فالله أعلم. وثّقوه واحتجوا به.

(تهذيب سير أعلام النبلاء للإمـام شمس الدين الذهبي - أشرف على تحقيق الكتاب شعيب الأرنؤوط. هذّبه أحمد فايز الحُمصي، راجعه عاد مرشد ٢/ ٢٦).

*** الذّريرة:** acorus ca/ amus

sweet - flag,ca/amus

الذريرة نوع من الطيب (قصب الذريرة) (زاد المسافر/ ٢٥٥) والذريرة: ما أنتجت من قصـب الطيب، والذريرة: فتاتٌ من قصب الطيب الذي يجاء به من بلد الهند يشبه قصب النُشّاب وفي حـديث عـائشة: طيّبتُ رسـول الله ﷺ لإحـرامـه بذريرة (اللسان ١٧/ ١٤٩٤) وورد بلفظ: طيّبتُ رسول الله ﷺ بيدي بـذريـرة في حجـة الــوداع لحلــه وإحرامـــه (أخرجه البخـاري ١٠/ ٣١٣، ومسلــم ١١٨٩) (معجــم التــداوي بالأعشـاب/ ٤٠).

قال هـو نوع من الطيب مجموع من أخـلاط. وفي حديث النخعي: يُنثر علـى قميص الميت الذريرة، قيـل: هي فُتات قصب ما كـان لنُشّاب وغيره. قال ابن الأثير: هكـذا جاء في كتاب أبي موسى (اللسان ١٧/ ١٤٩٤).

(زاد المسافر وقوت الحاضر لابن الجزار - تحقيق د. محمد سويسي ود. الراضي الجـازي/ ٢٥٥، ولسان العـرب لابن منظـور ١٧/ ٤٩٤ ومعجم التداوي بالأعشـاب والنباتـات الطبية للإمـام شمـس الدين

عبد الله بن قيم الجوزية/ ٤٠ انظر أيضًا الطب النبوى لابن قيم الجوزية - كتب المقدمة وراجع الأصل وصحح وأشرف على التعليقات عبد الغنى عبد الخالق، وضع التعاليق الطبية د. عادل الأزهرى، وخرج الأحاديث محمد فرج العقدة/ ٩٠، ٢٣٨).

***الذريعة:**

انظر: الذرائع

***ذريعة الأبرار فى نعت النبى المختار:**

ذريعة الأبرار في نعت النبي المختار - قصيدة لامية لشافى أفندى عدد أبياتها ستة وتسعون. وقد ثلثها بعض الشعراء بالفارسية أولها:

ياحادي البوازل بكّر على ارتحالي

(كشف الظنون ١/ ٨٢٦)

*** الذريعة إلى تصانيف الشيعة:**

الشيخ أغابزرك، محمد محسن على بن محمد رضا، الطهرانى (١٣٨٩ هـ = ١٩٧٠م) (٩١).

ولد الشيخ فى طهران سنة ١٢٩٣هـ = ١٨٧٤م وتوفى بالنجف ظهر الجمعة ١٣ ذى الحجة سنة ١٣٨٩ هـ أى ٢٠ شباط سنة ١٩٧٠م.

(أوردنا ترجمته فى م ١/ ٤٧٤ ـ ٤٧٦ فانظرها فى موضعها).

هاجر إلى العراق سنة ١٣١٣هـ فهبط إلى النجف، وتتلمذ فى الفقه والأصول وعلم الكلام والحديث وغيرها على جهابذة عصره.

هبط إلى سامراء سنة ١٣٢٩ هـ على أثر وفاة أستاذه الشيخ محمد كاظم الخراسانى ومكث فيها ستا وعشرين سنة حتى صار من علمائها المدرسين.

وعاد إلى النجف سنة ١٣٥٥هـ فترك التدريس وعكف على التأليف حتى أواخر أيامه، وتضلع فى عدة علوم إلا أنه اشتهر بالتاريخ ونبغ فى الرجال والحديث.

عرف منذ نشأته الأولى بالعفة والورع والزهد والتقى والتواضع والاستقامة فى الحياة وتعود على البساطة منذ نعومة أظفاره.

وألف الشيخ أغابزرك ما زاد على عشرين كتابا فى مختلف العلوم الإسلامية.

وهو صاحب وفيات أعلام الشيعة.

وكتاب الذريعة أكبر موسوعة فى مؤلفات هذه الطائفة الشيعية والتى جمعت المحاسن والعيوب وكشفت عن ضحالة كشف الظنون.

وشرع المؤلف فى تأليف كتابه هذا فى أواخر سنة ١٣٢٩ هـ فى بلدة سامراء دار ولادة الإمام الثانى عشر ومدفن أبيه وجده الإمامين الهمامين أبى الحسن على بن محمد الهادى وأبى محمد الحسن العسكرى، وفرغ من تأليفه سنة ١٣٣٤هـ فرتب أجزاء الكتاب وعرضه على شيخه فقدره واستحسنه (الذريعة ١/ ٤ النسخة المطبوعة سنة ١٣٥٥هـ بمطبعة الغرى بالنجف).

وقد جمع أغابزرك الكتب المؤلفة على مر العصور ورتبها حسب العناوين وفى حالة التشابه فيراعى فيها أسماء مؤلفيها يأتى أولا باسم الكتاب بين قوسين ثم يذكر اسم المؤلف كاملا وسنتى الميلاد والوفاة إن وجدت ومكان وجود الكتاب ثم يذكر بدايته.

والذريعة تعد عملا ببليوجوافيا رائعا لم يظهر مثله أو ما يوازيه فى البلاد العربية فى العصر الحديث.

فبالذريعة استطاع أغابزرك أن يحيى آثار العلماء وحفظها من الضياع فصار له الذكر الجميل وقد أشار العلامة الشيخ الأجل ميرزا محمد الطهرانى العسكرى على الشيخ محمد محسن على تأليف هذا الكتاب وسماه أولا: بكشف الحجاب عن تصانيف الأصحاب.

والذريعة تحتوى على مصنفات الإمامية المشهور منها والمتداول وذلك بما تم الاطلاع عليه من مصنفات ومسائل وكتب ورسائل.

وطبع هذا الكتاب بمطبعة الغرى بالنجف سنة ١٣٥٥هـ / ١٩٣٦م.

وقد ورد بمعجم المؤلفين العراقيين ، أنه طبع وصدر منه ثمانية عشر جزءا فى واحد وعشرين مجلدا، النجف، طهران سنة ١٩٣٧ ـ ١٩٦٧م ولم يتم. وحتى سنة ١٩٧٠م صدر منه ١٩ جزءاً وصل بـه إلى حـرف العين. ولم يتم طبـع البـاقى بطهران، كمـا أشار إلى ذلك عبد الجبار عبـد الرحمن (دليل المراجع العربية والمعربة/ ٣٣، ٣٤).

وطبع منـه واحد وعشـرون جـزءا تقع فى ثـلاثة وعشـرين مجلدا ـ النجف ـ طهران ١٩٣٦ ـ ١٩٧١م، ولم يكمل طبعه وأشار إلى ذلك الأستـاذ كوركيس عواد، ثم ورد لـه أيضًا نفس المقـال فى مجلـة معهـد المخطوطـات (المجلـد السـادس والعشرون، الجزء الأول مايو ١٩٨٠/ ٧) أنه طبع منه عشرون جزءا تقع فى ثلاثة وعشرين مجلدا (النجف ـ طهران ١٩٣٦ـ ١٩٦٩م) ولم يكمل طبعه (المورد/ ١٧٢).

(المخطوطات العربية ـ عزت ياسين أبو هيبة/ ١٢٢ ـ ١٢٤).

*** الذريعة إلى معرفة أسرار الشريعة:**

الذريعـة إلى معرفـة أسرار الشـريعة: للشيخ نجم الـدين سليمـان بن عبد القـوى الطـوفى الحنبلى المتوفى سنـة ٧١٠ عشر وسبعمائة.

(كشف الظنون/ ٨٢٧).

***الذريعة إلى معرفة الأعداد الواردة فى الشريعة:**

الذريعـة إلى معرفة الأعـداد الواردة فى الشـريعة: للشيخ (للشمس) محمد بن أحمد بن عمـاد الإقفهسى المتوفى سنة ٨٦٧ سبع وستين وثمانمائة.

(كشف الظنون/ ٨٢٦).

***الذريعة إلى معرفة الشريعة:**

تأليـف عبـد الله بن محمـد بن هبـة الله بن مطهـر بن على المـوصلى المعروف بـابن أبى عصـرون الشافعى نـزيل دمشق المتـوفى سنـة ٥٨٥ خمس وثمـانين وخمسمـائة (إيضاح المكنون١/ ٥٤٢) وقـد أورده صاحب كشف الظنـون بلفظ «فى» فى العنوان بدلا من «إلى» وقال عنه:

الذريعة فى معرفة الشـريعة: لأبى سعد محمد بن عبد الله المعروف بـابن أبى عصرون مؤلف صفوة المـذهب الموصلى قاضى دمشق المتـوفى سنة ٥٨٥ خمس وثمـانين وخمسمائة (كشف ١/ ٨٢٦).

(إيضاح المكنون للبغدادى ١/ ٥٤٢، وكشف الظنون لحاجى خليفة ١/ ٨٢٦).

*** الذريعة إلى مكارم الشريعة:**

الـذريعـة إلـى مكارم الشـريعـة: لأبى حامـد محمـد بن محمد الغزالى المتوفى سنة ٥٠٥ خمس وخمسمائة.

(كشف الظنون: ١/ ٨٢٦).

*** الذريعة إلى مكارم الشريعة:**

الذريعة إلى مكـارم الشريعة: للإمـام أبى القاسم حسين ابن محمـد بن المفضل الـراغب الأصبهـانى ذكـره فى أوائل مفرداته أوله: نسأل الله تعالى جوده الذى هو سبب الوجود نورا يهدينا إلى الإقبال عليه ... إلخ وهى على سبعة فصول الأولى فى أحوال الإنسـان وقواه وفضيلته، الثـانى: فى العقل والعلم والنطق، الثالث: فيمـا يتعلق بالقوى الشهوية، الـرابع: فيما يتعلق بـالقـوى الغضبيـة، الخـامس: فى العـدالـة والظلم، السادس: فيما يتعلق بالصناعات، السابع: فى ذكر الأفعال. قيل إن الإمـام حجـة الإسلام الغـزالى كـان يستصحب كتـاب الذريعة دائما ويستحسنه لنفاسته (كشف ١/ ٨٢٧).

يوجد مخطوطه فى مكتبة الأوقاف المركزية فى السليمانية بالعراق، وجاء بيانه كما يلى:

مؤلفه: الحسين بن محمد بن المفضل المعروف بالراغب الأصفهانى (أبو القاسم) المتوفى سنة ٥٠٢ هـ

أوله: (نسأل الله بجوده الذى هو سبب الـوجود نورًا يهدينا إلى الإقبال عليه ويميل بنا إلى الإصغاء إليه . . . إلخ).

آخره: (فسهل يـا رب المجاز ويسِّر لى الجواز فقـد حان حصادى وأن تصلح فسادى).

نـاسخه: مجهـول، خطه ثلثى كتبت العنـاوين الرئيسيـة بالحبـر الأحمر صفحـاته مجـدولة، ورقـه ترمـة ثخين أملس أبيض فى أول المخطـوط يوجد تعـريف بالمـؤلف ومؤلفـاته. وختم الوقفيـة للوزير أحمـد باشـا البابانى. وفى آخـره جدول بأسماء الخلفـاء والأمراء من بدايـة العصر الإسـلامى إلى آخر القرن التـاسع الهجرى. تاريخ نسخـه مجهول ولكن حيث إن الناسخ أورد ذكـرا لأسماء الخلفاء والملوك والأمـراء، فقد ذكر أن آخـر ملوك التـرك فى الـديار المصـريـة فى القرن التـاسع الهجرى كان أبو نصر قـايتبائى يعتقد بأن النسخ كان فى القرن التـاسع، كمـا وأن قِـدم خطـه تعضد هـذا الاعتقـاد، جلـده مزخرف زخرفة فنية.

و: ١١٥

م: ٢٣×١٦

س: ٢٥ ت/ ١٨٣

مصادر الكتاب والمؤلف: معجم المؤلفين ٤/ ٥٩ وورد فى معجم المطبوعات العربية/ ٩٢٢ أن السيوطى سماه المفضل بن محمد الراغب الأصفهانى وفى هدية العارفين ٥/ ٣١١ أن تاريخ وفاته هو سنة ٥٠٠هـ.

(فهرس مخطوطات مكتبة الأوقات المركزية ١/ ٢١١، ٢١٢).

كما يوجد مخطوط مصور فى مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية بالرياض، وجاء بيانه كما يلى:

رقم الحفظ: ٣٥ـ ف.

الفن: أدب.

اسم المؤلف: الحسين بن محمد بن مفضل، الراغب الأصفهانى، أبو القاسم اسم الشهرة: الراغب الأصفهانى.

المصادر: بروكلمان ملحق ١/ ٥٠٥.

الأعلام ٢/ ٢٥٥.

كحالة ٤/ ٥٩.

بداية المخطوطة: نسأل الله أن يجعل بجوده الذى هو سبب الوجود نورًا يهدينا إلى الإقبال عليه . . . كنت قد أشرت إلى ما أمليته . . .

نهاية المخطوطة: فاجعل الدين كنهك، والعدل سيفك تنجو من كل سوء وتظفر على كل عدو والله أعلم.

نوع الخط: تعليق.

تاريخ النسخ: ٨٣٦ هـ/ ١٤٣٢ القرن٩ هـ.

عدد الأسطر: ٢٢س.

ملاحظات عامة، نسخة جيدة وكاملة، مثبت فى نهايتها مقابلة على الأصل مؤرخة فى سنة ٨٣٦ هـ.

مكان الحفظ: إسماعيل صائب، برقم ١٢٧٦ (فهرس المصورات الميكروفيلمية/ ٣٤).

(كشف الظنون لحاجى خليفة ١/ ٨٢٧، وفهرس مخطوطات مكتبة الأوقاف المركزية فى السليمانية ـ إعداد محمود أحمد محمد ١/ ٢١١، ٢١٢، وفهرس المخطوطات الميكروفيلمية بقسم المخطوطات. مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية. الرياض. العدد الثانى، السنة الثانية ١٤٠٨ هـ١٩٨٨م/ ٣٤).

***ذريعة الطعام فيما جاء فيه من الأحاديث والأخبار:**

تأليف عبد الرزاق بن مصطفى الأنطاكى فى مجلد، ثم لخصه وسماه خلاصة الذريعة (إيضاح المكنون للبغدادى ١/ ٥٤٣).

*** الذريعة فى أحكام الشريعة:**

تأليف مكى بن أبى محمد الدمشقى الشافعى المعروف بابن الزجاجية المتوفى سنة ٦١٥ خمس عشرة وستمائة وهى نظم المهذب فى الفروع.

(إيضاح المكنون١/ ٥٤٣)

***الذريعة فى معرفة الشريعة:**

انظر: الذريعة إلى معرفة الشريعة.

*** الذريعة فى أصول الفقه:**

مخطوط بالمجمع العلمى العراقى وجاء تعليق الأستاذ ميخائيل عواد على عنوان المخطوط فى هامش (١) كما يلى:

فى الذريعة إلى تصانيف الشيعة ١٠/ ٢٦: قوله: «الذريعة إلى أصول الشريعة للشريف المرتضى . . . مرتبًا على فصول . . .، رأيت نسخة منه فى مكتبة «حسينية كاشف الغطاء»، وأخرى بمكتبة شيخنا «الشريعة» كانت ناقصة فكتب نقيصها السيد مهدى بن السيد محمد بن محمد تقى ابن رضا بن بحر العلوم فى (١٣٠٦)، وكتب السماوى له فهرسًا لطيفًا فى نسخته، ونسخة السيد محمد صادق بحر العلوم بخط الشيخ حسن بن الشيخ على الحلى، ونسخة السيد على شبر بخط الشيخ أحمد قفطان (١٢٦٣)، ونسخة الشيخ منصور الساعدى الشروقى، وغير ذلك من النسخ. وقد كانت متناولة للعلماء من لدن تأليف الكتاب. وقد حرره العلامة الحلى وسماه «النكت البديعة فى تحرير الذريعة». ولخصه فريد خراسان (ت ٥٦٥) بعنوان «تلخيص مسائل الذريعة». وقد كتبوا له شروحًا، منها: شرح مسائل الذريعة للشيخ عماد الدين الطبرى . . . وشرح السيد كمال الدين المرتضى . . .».

أما بيان المخطوط فجاء كما يلي:

المؤلف: الشريف المرتضى (ت٤٣٦ هـ = ١٠٤٤م).

أولـه: «البسملة... رب يسر وأعن برحمتك فإنك القوى. الحمد لله حمد الشاكرين الذاكرين المعترفين بجميل آلائه وجزيل نعمائه، المستبصرين بتبصيره، المتذكرين بتذكيره، الذين تأدبوا بتثقيفه،... أما بعد: فإنى رأيت أن أملى كتابًا متوسطًا فى أصول الفقه، لا ينتهى بتطويل إلى الإملال، ولا باختصار إلى الإخلال، بل يكون للحاجة سدادًا، وللبصيرة زنادًا..».

آخره: «وافق الفراغ من تعليق هذا الكتاب يوم الجمعة بعد الظهر بساعة فى العشر الأول من شعر ربيع الثانى من شهور سنة ثمانية وأربعين وألف فى النجف الأشرف...، علقه لنفسه العبد الفقير... محمد فرج الحميرى أصلاً ومحتدًا والنجفى مسكنًا ومولدًا، حامدًا الله تعالى...».

جاء فى الورقة الأولى: «جمعتُ فى هذا المجلد المبارك الشريف، رسالتين عظيمتين شريفتين، إحداهما الذريعة فى أصول الفقه لسيدنا الأجل السيد المرتضى علم الهدى قدس سره، والثانية: العدة فى أصول الفقة لشيخنا محمد بن الحسن الطوسى، نور الله مرقده (توفى ٤٦٠ هـ. راجع بشأنه الذريعة إلى تصانيف الشيعة١٥/ ٢٢٧). قد اجتمعا بحمد الله فى مجلد واحد، قَلَّ أن يجتمعا. كتبتهما لنفسى عن نسختين قديمتين صحيحتين معتبرتين وأنا الفقير... محمد ابن فرج النجفى».

ويلى ذلك بخط حديث: هذا الكتاب عبارة عن الذريعة فقط للسيد المرتضى، المتوفى ٤٣٦ هـ ـ عبد الحليم» (هو الشيخ عبد الحليم آل كاشف الغطاء).

وفى الصفحة نفسها تعليقات مختلفة، ومن تملك النسخة، وقول أحدهم «هذا كتاب لو يباع بوزنه ذهبًا لكان البائع المغبونا».

يلى ذلك: «دخل فى مُلك الأقل جعفر ابن الشيخ خضر».

«ممن نظر فيه أقل الطلبة على ابن المرحوم سيد تقى الحكيم».

«نظر فيه العبد المذنب على بن أحمد أمين الخياط».

يلى ذلك: أربع صفحات، فيها «ترتيب أبحاث كتاب الذريعة وفيه أبواب» فى آخرها «جمعت هذا الفهرست ورتبته هذا الترتيب لأنى عازم بحول الله وقوته على النظر التام فى كل فصل... وأنا الفقير... محمد فرج النجفى».

يلى ذلك خمس صفحات فيها «فهرست ترتيب أبحاث كتاب العدة وضبط فصولها».

يلى ذلك: صفحة العنوان. فيها:

كتاب الذريعة فى أصول الفقه: تصنيف سيدنا المرتضى رضى الله عنه.

ملك كاتبها محمد فرج النجفى.

وفيها جملة ممن نظر فى النسخة، ومن تملكها.

نسخة مصورة بالسبرستات عن نسخة خطية فى خزانة الشيخ كاشف الغطاء فى النخف الأشرف. بخط الإجازة.

٢٢٩ق، ١٧س (٨/ فقه ـ فرائض ـ قضاء)

نسخة ثانية مصورة بالسبرستات عن نسخة خطية فى خزانة كتب الشيخ محمد الكرمى فى النجف الأشرف. أول النسخة بخط (شكسته) والبقية بخط (النسخ).

جاء فى آخرها: «... واتفق الفراغ من نسخه فى اليوم العاشر من شهر صفر ختم بالخير والضفر [كذا] أحد شهور السنة السابعة والتسعين بعد الألف، على يد فقير رحمة ربه الغنى إسحاق بن معتوق الحويزى، حامدا ومصليًا...».

يلى ذلك: «صور خط المصنف رحمه الله ووافق إتمام هذا الكتاب يوم الجمعة الحادى عشر من شوال من شهور سنة ثلاثين وأربعمائة هجرية».

فى أول الكتاب سبع صحائف، لا تدخل فى أصله.

١١٦ ق، ٢٤س (٩/ فقه ـ فرائض ـ قضاء).

(مخطوطات المجمع العلمى العراقى. دراسة وفهرسة ـ ميخائيل عواد ١/ ٥٧ـ٥٩).

*** ذريعة الوصول إلى علم الأصول «منظومة»:**

لمحمد بن أبى بكر الأشخر المتوفى ٩٨٩هـ.

مخطوط بمكتبة المؤرخ محمد بن محمد زبارة بصنعاء.

نسخة بدون تاريخ ٩ ق، ضمن مجموعة فى أصول الفقه للمؤلف:

(مجلة معهد المخطوطات العربية جـ١ م١٩، ربيع الآخر ١٣٩٣ هـ ـ مايو ١٩٧٣م/ ١١).

***ذريعة اليقين على أم البراهين:**

فى العقائد، للشيخ محمد نورى بن عمر النووى الجاوى الشافعى نزيل مصر، صاحب «الإبريز الدانى».

(إيضاح المكنون للبغدادى ١/ ٥٤٣).

انظر مادة «أم البراهين» فى م٦/ ٣٢.

***الذرية الطاهرة:**

الذرية الطاهرة ــ للدولابى (أبى بشر محمد بن أحمد الحافظ المشهور المتوفى سنة ٣١٠ عشرة وثلثمائة) من أجزاء الحديث ذكره فى الفصول المهمة.

(كشف الظنون لحاجى خليفة ١/ ٨٢٧).

***ذَفِران:**

ما زال ذفران معلوما يأخذ الطريق من الحمراء ــ بوادى الصفراء ـ إلى ينبع، يأخذ أولاً على الصُّفيراء، ثم على ذفران ثم على واسط.

ورأس ذفران نقب ضيق، يسمى نقب الفأر، لضيقه، ويسمى قلعة حرب، لأن بعض قبائل حرب كانت تعتصم فيه فتجد منه معتصمًا. فإذا تجاوزت النقب وجدت طريقًا يأخذ يسارًا فيمر بجبال يقال لها: الصُّفُر. وهو طريق صعب يطلع إلى وادى يليل فوق الصدمتين. وهذا هو طريقه ﷺ يوم بدر.

(معجم المعالم الجغرافية فى السيرة النبوية ــ عاتق غيث البلادى / ١٣١).

***الذكاء:**

قال التهانوى:

الذكاء بالفتح كالسواء سرعة الفطنة كذا فى القاموس وعرف بشدة قوة للنفس معدة لاكتساب الآراء أى العلوم التصورية والتصديقية وهذه القوة تسمى بالذهن. وجودة تهيؤها لتصور ما يرد عليها من الغير تسمى بالفطنة. والغباوة عدم الفطنة عما من شأنه الفطنة فمقابل الغبى الفطن كذا فى المطول فى بحث البلاغة. قال الجلبى ما حاصله أنه على هذا الذكاء أعم من الفطنة انتهى.

أقول بيانه أن الذهن قوة للنفس تهيؤ بها لاكتساب العلوم أى لتحصيلها بالنظر وغيره فإن الاكتساب أعم من النظر والاستدلال، والعلم أعم من أن يكون تصور مراد المتكلم من كلامه أى فهم معناه وإدراكه المعبر عنه بقوله لتصور ما يرد عليه من الغير، وأن يكون غير ذلك، فشدة هذه القوة وجودتها هى الذكاء ثم شدة هذه القوة وجودتها لتصور ما يرد عليه من الغير أى شدتها لتهيؤ النفس بهذا العلم الخاص أى العلم بمراد المتكلم هى الفطنة فهى أخص من الذكاء لأنها قسم منها.

قيل هذا بحسب اللغة وأما بحسب الاصطلاح فقد تستعمل الذكاء فى الفطانة يقال رجل ذكى ويريدون به المبالغة فى فطانته فعلى هذا مقابل الغبى يكون الذكى انتهى. فمعنى رجل ذكى رجل شديد الفطانة قد بلغ فى الفطانة النهاية. وفى الأطول ههنا سؤال مشهور وهو أن الذكاء يجامع اكتساب الرأى فكيف يكون معدا له؟ وأجيب بأن المعد بمعنى المهيىء لا بمعنى الاصطلاحى قال ونحن نقول يجوز أن يكون بمعنى المعد اصطلاحا ولا نسلم أن شدة القوة تجامع اكتساب الرأى بل حين حصول الاكتساب تفتر القوة. وقد يفسر الذكاء بملكة سرعة إنتاج القضايا وسهولة إخراج النتائج بواسطة مزاولة المقدمات المنتجة كالبرق اللامع فلا يشتمل ملكة اكتساب الآراء التصورية وسرعة الإنتاج وسهولة الاستخراج النظريتين فيكون أخص من التفسير الأول بمرتبتين انتهى كلام الأطول فى بحث التشبيه.

(كشاف اصطلاحات الفنون للتهانوى ٢ / ٥٢).

***الذكاة:**

سبق أن أوردنا مادة «الذبيحة»، ونورد هنا تكملة لها تحت الاسم الشرعى الذى تدرج به فى مصنفات علم الفقه، وهو «الذكاة».

قال الراغب الأصفهانى. ذكيت الشاة ذبحتها. وحقيقة التذكية إخراج الحرارة الغريزية، لكن خُصَّ فى الشرع بإبطال الحياة على وجه دون وجه، ويدل على هذا الاشتقاق قولهم

فى الميت خامد وهامد، وفى النار الهامدة ميتة (المفردات / ١٨٠).

تعريف الذكاة الشرعية :

الذكاة فى الأصل معناها التطيب، ومنه : رائحة ذكية أى طيبة، وسمى بها الذبح لأن الإباحة الشرعية جعلته طيبا .

وقيل : الذكاة معناها : التتميم، ومنه : فلان ذكى، أى : تام الفهم .

والمقصود بها هنا ذبح الحيوان أو نحره بقطع حلقومه أو مريئه (الحلقوم : مجرى النفس، والمرىء : مجرى الطعام والشراب من الحلق)، فإن الحيوان الذى يحل أكله لا يجوز أكل شىء منه إلا بالتذكية ما عدا السمك والجراد (فقه السنة م ٢ / ٢٣).

يقول الإمام ابن قدامة : يباح كل ما فى البحر بغير ذكاة، لقول رسول الله ﷺ فى البحر «الحل ميتته» لا ما يعيش فى البر فلا يحل حتى يُذكى، إلا السرطان ونحوه، ولا يباح من البرى شىء بغير ذكاة إلا الجراد وشبهه (السرطان من الحيوانات التى تعيش فى البر والبحر، وإنما أبيح بدون ذكاة لأنه لا دم فيه، والمقصود بالذكاة إخراج الدم).

والذكاة تنقسم ثلاثة أقسام : نحر وذبح وعقر. ويستحب نحر الإبل، وذبح ما سواها، فإن نحر ما يذبح أو ذبح ما ينحر فجائز... (عمدة الفقه / ١٢٢، ١٢٣).

بيان ما يذبح وما ينحر : الغنم من ضأن ومعز، وكذا سائر أنواع الطير من دجاج وغيره تذبح ولا تنحر. قال الله تعالى : ﴿وفديناه بذبح عظيم﴾ [الصافات : ١٠] أى كبش -.

والبقر يذبح، لقوله تعالى : ﴿إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة﴾ [البقرة : ٦٧] ويجوز نحرها، إذ ثبت نحرها عن النبى ﷺ، لأن لها موضعين لتذكيتها . موضع ذبح وموضع نحر. وأما الإبل فإنها تنحر ولا تذبح، وقد نحر النبى ﷺ الإبل قائمة معقولة اليد اليسرى (فى الصحيحين).

تعريف النحر والذبح : الذبح هو قطع الحلقوم والمرىء والودجين . والنحر هو طعن الإبل فى لبتها، واللبة موضع القلادة من العنق، وهو موضع تصل منه آلة الذبح إلى القلب فيموت الحيوان بسرعة .

كيفية الذبح والنحر. أما الذبح فهو أن تطرح الشاة على جنبها الأيسر مستقبلة القبلة بعد إعداد آلة الذبح الحادة، ثم يقول الذابح : بسم الله والله أكبر. ويجهز على الذبيحة فيقطع فى فوار واحد حلقومها ومريئها وودجيها .

وأما النحر فهو أن يعقل البعير من يده اليسرى قائما . ثم يطعنه ناحره فى لبته قائلا : بسم الله والله أكبر. ويواصل حركة الطعن حتى تزهق روحه . لقول ابن عمر رضى الله عنهما وقد مر برجل أناخ ناقته للذبح : «ابعثها قياما مقيدة سُنة محمد ﷺ» متفق عليه؛ (منهاج المسلم / ٥٠٠، ٥٠١).

وأما العقر فهو القتل بجرح فى غير الحلق واللبة . ويشرع فى كل حيوان معجوز عنه من الصيد والأنعام، لما روى أبو رافع أن بعيرا ند فأعياهم، فأهوى إليه رجل بسهم فحبسه، فقال رسول الله ﷺ : «إن لهذه البهائم أوابد كأوابد الوحش، فما غلبكم منها فاصنعوا به هكذا» (البخارى ٦ / ٦٣٨ برقم (٥٥٠٩) الذبائح والصيد باب ما ند من البهائم، ومسلم ٣ / ١٥٥٨ برقم (١٩٦٨) الأضاحى باب جواز الذبح بكل ما أنهر الدم، وأبو داود ٣ / ٢٤٨ برقم (٢٨٢١) الأضاحى باب الذبيحة بالمروة، والترمذى ٤ / ٨٢ برقم (١٤٩٢) الأحكام والفوائد باب ما جاء فى البعير والبقر... ، والنسائى ٧ / ٢٢٨ برقم (٤٤٠٩) الضحايا باب ذكر المنفلتة التى لا يقدر على أخذها، وابن ماجه (٣١٨٣) الذبائح ــ باب ذكاة الناد من البهائم، والدارمى ٢ / ١١ برقم (١٩٨٣) الأضاحى فى البهيمة إذا ندت ــ اللفظ له، وأحمد ٣ / ٤٦٣، ٤٦٤، والبيهقى ٩ / ٢٤٦ الصيد والذبائح باب ما جاء فى ذكاة ما لا يقدر على ذبحه . ولما تردى بعير فى بئر فتعذر نحره فجرح فى أى موضع من جسده فمات به حل أكله (عمدة الفقه / ١٢٤).

وعن الذكاة الشرعية فى المذاهب الأربعة جاء هذا البحث المستفيض للإمام عبد الرحمن الجزيرى . قال رحمه الله :

الذكاة ذبح أو نحر أو عقر حيوان مباح للأكل بشرائط مفصلة فى المذاهب على نحو ما يلى :

الحنفية

قالوا الذكاة الشرعية تنقسم قسمين : ذكاة الضرورة، وذكاة

الاختيار... فذكاة الضرورة هى جرح وقع فى أى جزء من بدن الحيوان، وإنما تكون فى حيوان غير مستأنس. فلو توحش غنم أو بقر أو بعير وتعسر ذبحه، ثم رمى بسهم فأصابه فى أى جزء من بدنه وأراق دمه وأماته، حل أكله. وكذا لو نفر البعير ولم يقدر صاحبه على أخذه إلا بجماعة ـ فإن له أن يرميه، ومتى جرح وسال دمه ومات بهذا الجرح حل أكله. ومثله ما إذا صال حيوان على أحد فرماه دفاعا عن نفسه فأماته، فإنه يحل أكله إذا جرحه وأسال دمه.

وكذا إذا وقع حيوان فى بئر وتعذر ذبحه، فرماه فجرحه وعلم أنه مات بالجرح أو لم يعلم إن كان قد مات به أو بغيره، فإنه يحل أكله. أما إذا علم أنه مات بغير الجرح فإن أكله لا يحل. وكذا إذا تعسرت بقرة فى الولادة فأدخل رجل يده فذبح ولدها حل أكله، فإن لم يقدر على ذبحه وجرحه حل أكله. وإن لم يذبح أو يجرح فلا يحل ولو ذبحت أمه... لأن ذكاة الأم ليس ذكاة لولدها عند أبى حنيفة، وقال (أبو يوسف ومحمد) إن تم خلقه أكل بذكاة أمه، لحديث «ذكاة الجنين ذكاة أمه». وحمل الإمام الحديث على التشبيه، يعنى أن ذكاة الجنين مثل ذكاة أمه.

وأما ذكاة الاختيار فهى الذبح بين مبدأ الحلق إلى مبدأ الصدر، بأن يقطع الودجين (وهما عرقان كبيران فى جانبى قدام العنق) ويقطع الحلقوم (وهو مجرى النفس)، والمرىء (وهو مجرى الطعام والشراب) ويكفى قطع ثلاثة منها فإن للإكثر حكم الكل، فلا بد من قطع الحلقوم أو المرىء مع الودجين، أو قطع ودج مع الاثنين. ويرى بعضهم ضرورة قطع الحلقوم والمرىء مع أحد الودجين... ومتى تحقق القطع على هذا الوجه صار الذبح شرعيا، وحل أكل الذبيحة، سواء كان الذبح فوق العقدة التى فى أعلى الحلق أو تحتها، ويشترط:

أولا ـ أن يكون الذابح مسلما أو كتابيا يهوديا أو نصرانيا إفرنجيا أو غيره. ويدخل فى النصرانى الصابىء لأنه يقر بعيسى عليه السلام. ويدخل فى اليهودى السامرة لأنهم يدينون بشريعة موسى عليه السلام... فكل هؤلاء تحل ذبيحتهم. ولا تحل ذبيحة غيرهم من وثنى ومجوسى ومرتد عن الإسلام، وكذا لا تحل ذبيحة الذين لا يدينون بكتاب.

وإذا ذكر الكتابى اسم المسيح، فقيل تحل، وقيل لا تحل... والتحقيق أنها لا تحل بلا خلاف إن سمع منه.

ثانيا ـ ألا يذبح صيد الحرم، فإن الصيد فى الحرم لا تحله الذكاة ولو كان الذابح غير محرم.

ثالثا ـ أن يترك التسمية عمدا. أما إن تركها سهوا فإن الذبيحة تكون حلالا.

ويشترط فى التسمية:

١ ـ أن تكون ذكرا خالصا، بأن يذكر اسم الله تعالى: بأى اسم من أسمائه، سواء كان مقرونا بصفة نحو: الله أكبر. الله أعظم. أو غير مقرون بصفة نحو: الله. الرحمن. أو يذكره بالتسبيح والتهليل. أما ذكر اسم الله مقرونا بدعاء ـ كقول: «اللهم اغفر لى» ـ فإن الذبيحة لا تحل به، ويستحب أن يقول: «باسم الله. الله أكبر».

٢ ـ وأن تكون التسمية من نفس الذابح حال الذبح، والرامى لصيد حال الرمى، ومرسل كلب الصيد حال الإرسال... فلو سمى غير الفاعل لا يحل الأكل.

٣ ـ وأن يكون الذبح عقب التسمية قبل تبدل المجلس. فإذا سمى واشتغل بأكل أو شرب، فإن طال لم يحل الذبح، وإلا حل. وحد الطول ما يستكثره الناظر. ويشترط ألا يقصد بالتسمية شيئا آخر ـ كالتبرك فى ابتداء الفعل ـ فإن فعل ذلك، أو نوى أمرا آخر غير الذبح، فإنها لا تحل. أما إذا لم تحضره النية أصلا فإنها تحل.

وتحل ذبيحة الصبى الذى يعرف التسمية، وإن لم يعلم أن التسمية شرط لحل الذبيحة على التحقيق، ومثله السكران إذا كان يعقل لفظ التسمية، وكذلك المجنون... فكل هؤلاء إذا كانوا يضبطون عمل الذبح ـ ويذكرون اسم الله، تحل ذبيحتهم، كما تحل ذبيحة الأخرس وذبيحة الأقلف ـ وهو الذى لم يختتن ـ بدون كراهة.

ويصح الذبح بكل ما يقطع العروق المشروط قطعها، ويسيل الدم... فيجوز الذبح بالسكين، وقشر القصب الأزرق (الغاب)، والمروة ـ وهى حجر أبيض كالسكين ـ وغير ذلك... ما عدا السن والظفر، فإنه لا يحل الذبح بهما إذا كانا متصلين، فإن انفصلا حل الذبح بهما مع الكراهة لما فيه من

تعذيب الحيوان، كالذبح بالسكين الكالَّة التى لا تقطع. وإذا ذبح لعظيم بقصد التقرب إليه وتعظيمه بالنحر، فإن ذبيحته لا تؤكل، لأنه أُهِلَّ بها لغير الله ... بخلاف ما يذبح للضيف بقصد إكرامه، فإنه جائز وإن قدم له غير المذبوح عند الأكل.

المالكية.

قالوا الذكاة الشرعية هى السبب الموصل لحل أكل الحيوان البرى اختيارا. وأنواعها أربعة: ذبح، ونحر، وعقر، وفعل يزيل الحياة بأى وسيلة ... فالذبح يكون فى البقر والجاموس والضأن والمعز والطير والوحش المقدور عليه، ما عدا الزرافة فإنها تنحر. ويعرف الذبح بأنه قطع الحلقوم والودجين من المقدم بمحدد بنية، ولا يشترط قطع المرىء. ويشترط أن يكون الذابح مميزا مسلما أو كتابيا، وألا يرفع يده رفعا طويلا باختياره قبل تمام الذبح.

ويشترط لحل ذبيحة الكتابى شروط: أن يذبح ما يحل له بشريعتنا، وألا يهل به لغير الله، وأن يذبح بحضرة مسلم مميز عارف بأحكام الذكاة إن كان الكتابى ممن يستحل الميتة ... فلا يحل أكل ذى ظفر ذبحه يهودى، كإبل وبط وأوز وزرافة من كل ما ليس بمنفرج الأصابع، لأن اليهود يحرمون أكل ذى الظفر، وثبت فى شريعتنا أنه محرم عليهم ... فإذا ذبحه فلا يحل. أما ما يحل لهم فى شريعتهم ــ كالحمام والدجاج ونحوهما ــ فإنها حلال إذا ذبحها.

النوع الثانى: النحر ــ ويكون فى الإبل والزرافة والفيلة، ويكره فى البقرة والجاموس، وكذا الخيل والبغال والحمر والوحشية. ويعرف النحر بأنه طعن مميز مسلم أو كتابى بلبة ــ بلا رفع طويل قبل التمام ــ بنية.

النوع الثالث: العقر، ويكون فى وحشى غير مقدور عليه إلا بعسر، سواء كان طيرا أو غيره. ويعرف بأنه جرح مسلم مميز حيوانا وحشيا بمحدد، أو حيوان صيد معلم، بنية وتسمية. ولا يصح العقر من كافر، وقيل يصح من الكتابى كالذبح.

ولا يصح العقر من صبى أو مجنون أو سكران. ولا يصح عقر حيوان مستأنس إذا شرد ... فلو نفرت بقرة أو غنم أو جمل، فإنه لا يصح عقره. وكذا لو سقط حيوان فى بئر، ولم يقدر على ذبحه إلا بالعقر فعقر، فإنه لا يؤكل. ولا يصح العقر بعصا أو حجر لا حد له. ويصح برصاصة لأنها أقوى من المحدد.

وأما الفعل المميت فهو ذكاة من لا دم له، كالجراد والدود، فإن ذكاته إماتته بأى سبب كالنار أو قطع الأسنان أو ضرب العصا أو نحو ذلك ... ويشترط نية ذكاته.

ويشترط فى الأنواع الأربعة ذكر اسم الله تعالى لمسلم ذاكر قادر، فإن نسى أو عجز ــ كأخرس ــ أكلت ذبيحته.

الشافعية

قالوا الذكاة الشرعية هى قطع الحلقوم والمرىء جميعا، فلو بقى شىء منهما لم يحل المذبوح. ويشترط أن يكون فى الحيوان حياة مستقرة قبل ذبحه إن وجد سبب يحال عليه الهلاك، وإلا فلا يشترط وجودها ... فالمريض بغير سبب يحال عليه هلاكه، لو ذبح آخر رمق، حل وإن لم يسل الدم ولم توجد حركة عنيفة.

والمراد بالحياة المستقرة ما يوجد معها الحركة الاختيارية بقرائن يترتب عليها غلبة الظن بوجود الحياة. ومن أماراتها انفجار الدم بعد قطع الحلقوم والمرىء، أو الحركة الشديدة. ولا فرق بين أن يكون قطع الحلقوم والمرىء من تحت الجوزة المعروفة أو من فوقها، لكن بشرط أن يبقى منها تدويرة متصلة بأصل العنق، وإلا لم يحل المذبوح لأنه حينئذ يسمى مزعا لا ذبحا. أما قطع الودجين فهو سُنة. ولو قطع الرأس كله كفى، ولكن يكره على المعتمد.

وإنما يشترط الذبح بهذه الصفة فى الحيوان المستأنس المقدور عليه، أما غير المستأنس ــ كغنم وبقر توحش وبعير نفر وغزال فى الصحراء وبهيمة سقطت فى بئر، ولا يمكن الوصول إلى ذبحها ــ فذكاته عقره فى أى موضع من بدنه بشىء يجرح ينسب إليه زهوق الروح، فلا ينفع العقر بحافر أو خف، ولا بخدش الحيوان خدشة لطيفة.

ويشترط لحل الذبح شروط:

أولا ــ قصد العين أو الجنس. فلو رمى شيئا ظنه حجرا أو حيوانا لا يؤكل فظهر أنه حيوان يؤكل، حل أكله ... لأنه كان يقصد عينا. وكذا لو رمى قطيع ظباء فأصاب واحدة منها، أو

قصد واحدة فأصاب غيرها، حل المرمى لقصد جنسه. فإذا لم يقصد العين أو الجنس لا يحل الحيوان ... فإذا وقعت منه السكين فأصابت حيوانا فذبح، أو احتك بسكين فانذبح، أو صال أحد بسيفه فأصاب مذبح حيوان، لا يحل المذبوح لعدم القصد.

ثانيا ـ أن يكون الإسراع بإزهاق روح الحيوان متمحضا لقطع الحلقوم والمرىء. فلو أخذ واحد فى قطعهما وأخذ الثانى فى نزع الأمعاء أو نخس الخاصرة، لم يحل.

ثالثا ـ وجود الحياة المستقرة قبل الذبح حيث وجد سبب يحال عليه الهلاك. فإذا جرح حيوان أو سقط عليه سقف أو نحوه، وبقيت فيه حياة مستقرة فذبح، حل ـ وهى ما عرفت بشدة الحركة أو انفجار الدم ـ وإن تيقن هلاكه بعد ساعة، وإلا فلا يحل لوجود سبب يمكن أن يسند إليه الهلاك، وهو الجرح أو سقوط السقف.

ولا يشترط تيقن الحياة المستقرة، بل يكفى ظن وجودها. وإذا وصل الحيوان قبل الذبح الى حالة فقد معها الإبصار والحركة الاختيارية بسبب مرض أو جوع ثم ذبح، فإنه يحل ولو لم ينفجر الدم أو يتحرك الحركة العنيفة. أما إذا أكل الحيوان طعاما انتفخ به حتى صار فى آخر رمق ثم ذبح، لا يحل ـ على المعتمد ـ ما لم توجد الحركة الشديدة أو انفجار الدم.

رابعا ـ أن يكون المذبوح مما يحل أكله، فلا يجوز ذبح ما لا يحل ولو لإراحته عند تضرره من الحياة.

خامسا ـ أن يكون القطع بمحدد ولو من قصب أو خشب أو ذهب أو فضة، إلا السن والظفر وباقى العظام فإنه لا يحل الذكاة بها، فإذا قتل الحيوان بغير محدد ـ بأن ضرب ببندقية أو سهم بلا نصل ولا حد، أو خنق بشرك فمات ـ فإنه يحرم فى ذلك كله.

سادسا ـ أن يكون القطع دفعة واحدة. فلو قطع الحلقوم وسكت ثم تمم الذبح. فإن كان الفعل الثانى منفصلا عن الأول عرفا، اشترط أن تكون فى الحيوان حياة مستقرة عند ابتداء العمل الثانى. وإن لم يكن الفعل الثانى منفصلا عن الأول عرفا، فلا تشترط الحياة المستقرة... وذلك كأن رفع السكين وأعادها فورا، أو ألقاها لكونها لا تقطع وأخذ غيرها فورا، أو سقطت منه فتناولها أو أخذ غيرها سريعا أو قلبها وقطع بها ما بقى ـ فكل ذلك جائز، إذ لا فصل فيه بين العمل الأول والثانى.

سابعا ـ ألا يكون الذابح محرما والمذبوح صيد برى وحشى، فإن كان كذلك فلا يحل المذبوح.

ثامنا ـ أن يكون الذابح مسلما أو كتابيا لا مجوسيًّا ولا وثنيًّا ولا مرتدًّا. فتحل ذكاة اليهودى والنصرانى كالمسلم، كما تحل ذكاة المجنون والسكران وغير المميز، ولو فى الحيوان الذى لا يقدر عليه على الراجح، لكن مع الكراهة ... وكذلك تكره ذكاة الأعمى.

ولا تشترط التسمية، وإنما تسن. وإذا ذكر اسم الله مقترنا باسم غيره ـ كأن قال «باسم الله واسم محمد» ـ فإن أراد الإشراك كفر وحرمت الذبيحة، وإن لم يرد الإشراك حلت الذبيحة ... ولكن يكره إن قصد التبرك، ويحرم إن أطلق لإيهام الشريك.

الحنابلة

قالوا الذكاة شرعا هى ذبح حيوان مقدور عليه مباح أكله يعيش فى البر، أو نحره ... إلا الجراد ونحوه مما لا يذبح أو ينحر. وتتحقق الذكاة الشرعية بقطع الحلقوم والمرىء... والحلقوم مجرى النفس، والمرىء (وهو البلعوم) مجرى الطعام والشراب. والنحر يكون فى اللبة، وهى الوهدة التى بين أصل العنق والصدر. ولا يشترط قطع الودجين ـ وهما عرقان محيطان بالحلقوم ـ ولكن الأولى قطعهما.

فإذا تعذر ذبح الحيوان أو نحره، عُقِر بأن يرمى بسهم أو نحوه فى أى موضع من جسمه فيجرحه ويميته، فيحل أكله كالصيد ـ فإذا نفر بعير فلم يقدر عليه، أو سقط حيوان مباح الأكل فى بئر وتعذر ذبحه فعقر، حل أكله بشرط أن يموت بالجرح الذى قصد به عقره، فإن مات بغيره فلا يحل أكله ولو كان الجرح موجبا لقتله. ويشترط أيضا أن تتوافر شروط الذابح فيمن رماه، فلو رماه مجوسى لا يصح أكله.

ويشترط لحل الذبيحة أربعة شروط:

الشرط الأول: أن يقول: «باسم الله» عند حركة يده بالذبح أو النحر أو العقر. ولا يقوم شيء مقام التسمية، فلو سبح الله لا يجزىء، وتجوز بغير العربية ولو مع القدرة على العربية. ويسن أن يكبِّر مع التسمية فيقول «باسم الله والله أكبر». فإن كان الذابح أخرس أومأ برأسه إلى السماء أو أشار إشارة تدل على التسمية بحيث يفهم منها أنه أراد التسمية، وهذا كاف فى حل ذبيحة الأخرس.

فإذا تركت التسمية عمدا أو جهلا لم تبح الذبيحة، لقوله تعالى: ﴿ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه﴾[الأنعام: ١٢١] وإن تركت التسمية سهوا، فإنها تحل، لحديث شداد ابن سعد عن النبى ﷺ الله عليه وسلم أنه قال: «ذبيحة المسلم حلال وإن لم يسم، إذا لم يتعمد».

ويشترط قصد التسمية على ما يذبحه، فلو سمى على شاة وذبح غيرها بتلك التسمية، لم تبح الثانية. ولا يضر الفصل اليسير بين التسمية والذبح. فلو سمى ثم تكلم وذبح حلت. وإذا أضجع شاة ليذبحها وسمى، ثم ألقى سكينته وأخذ غيرها وذبح حلت، وكذا إذا رد سلاما أو استقى ماء. والكتابى كالمسلم، فإذا ذكر اسم المسيح لا تحل الذبيحة، وإذا لم يعلم إن كان الذابح سمى أو لا، ذكر اسم الله أو غيره، فالذبيحة حلال.

الشرط الثانى: أهلية الذابح أو الناحر أو العاقر. وهو أن يكون عاقلا قاصدا التذكية، فلو وقعت السكين على حلق شاة فذبحتها لم تحل لعدم قصد التذكية. وأن يكون مسلما أو كتابيا ولو حربيا أو من نصارى بنى تغلب: لا فرق بين أن يكون ذكرا أو أنثى حرا أو عبدا، ولو جنبا وحائضا ونفساء وأعمى وفاسقا.

ولا تحل ذبيحة مجنون وسكران وصبى غير مميز، لأنه لا قصد لهم. فإذا كان الصبى مميزا تحل ذبيحته ولو كان دون عشر سنين. ولا تحل ذبيحة مرتد ولا مجوسى ولا وثنى ولا زنديق ولا كل من لا يدين بكتاب، أخذا من مفهوم قوله تعالى ﴿وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم﴾ [المائدة: ٥]، أى فلا يحل لكم طعام غيرهم.

الشرط الثالث: الآلة. وهو أن يذبح بآلة محددة تقطع أو تخرق بحدها لا تقطع أو تخرق بثقلها. ولا فرق فى المحددة بين أن تكون من حديد ـ كالسكين والسيف والنصل ونحوها ـ أو تكون من حجر أو خشب أو عظم ... إلا السن والظفر فلا يصح الذكاة بهما، سواء كانا متصلين أو منفصلين.

الشرط الرابع: أن يقطع الحلقوم والمرىء وقد تقدم بيانهما. وإذا ذبح كتابى ما يحرم عليه فى شريعته وثبت فى شريعتنا تحريمه عليه، يحل أكله... كما إذا ذبح يهودى لذى ظفر، وهى الإبل والنعام والبط، وما ليس بمشقوق الأصابع، فإن الله تعالى أخبر بأنه حرم عليهم كل ذى ظفر. وكذلك إذا ذبح ما يزعم أنه يحرم عليه ولم يثبت عندنا أنه يحرم عليه، كما إذا ذبح حيوانا ملتصقة رئته بأضلاعه، فإنهم يزعمون أن الرئة تحرم عليهم ويسمونها باللازقة.

ويسن أن تنحر الإبل ونحوها مما له رقبة طويلة، ويذبح غيرها كالبقر والغنم. ويسن أن يحد الشفرة أولا (السكين ونحوها)، وأن يحدها بعيدا عن الذبيحة، وألا يذبح واحدة والأخرى تنظر، وأن يضجع الذبيحة إن كانت شاة أو بقرة على جنبها الأيسر، ثم يقول: اللهم هذا منك وإليك ﴿إنى وجهت وجهى...﴾ [الأنعام: ٧٩] الآية ﴿إن صلاتى ونسكى ...﴾ [الأنعام: ١٦٢] باسم الله، الله أكبر. ثم يذبح.

ويكره كسر عنق المذبوح قبل أن تزهق روحه ويسكن، وكذلك يكره سلخه أو قطع عضو منه أو نتف ريشه قبل أن تزهق روحه ويكره ترك التوجه إلى القبلة. ويكره كل تعذيب للمذبوح بدون فائدة.

المالكية.

قالوا يجب نحر الإبل والزرافة والفيلة (لأنها تؤكل عندهم)؛ فإن ذبحت لم تؤكل. ويجب ذبح غيرها من الأنعام والوحوش والطيور، فإن نحرت لم تؤكل. ويجوز الأمران، والأفضل الذبح فى البقر والجاموس والخيل والبغال وحمر الوحش... وكل ذلك فى حالة السعة والاختيار. أما فى حالة الضرورة ـ كعدم آلة للذبح، أو كوقوع الحيوان فى حفرة فلم يمكن عمل ما يجب من ذبح أو نحر ـ فإنه فى هذه الحالة يجوز العكس فى الأمرين: بأن يذبح ما ينحر وينحر ما يذبح للضرورة.

ما يجوز أكله وما لا يجوز.

أحل الله تعالى للناس أن يأكلوا مما فى الأرض حلالا طيبا، وحرم عليهم أن يأكلوا الخبائث التى تضرهم فى أبدانهم وعقولهم، كما حرم عليهم أن يأكلوا مما فى أيدى الناس بالباطل. قال تعالى: **﴿يا أيها الناس كلوا مما فى الأرض حلالا طيبا﴾** [البقرة: ١٦٨]، وقال: **﴿ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث﴾** [الأعراف: ١٥٧].

فيحرم أكل الميتة، والدم ولحم الخنزير، وما أُهِلَّ لغير الله به ـ أى ما ذكر عند ذبحه اسم معبود غير الله تعالى ـ والمنخنقة، وهى التى ماتت بالخنق. والنطيحة، وهى التى نطحها حيوان فأماتها. والموقوذة، وهى التى ضربت فماتت. والمتردية، وهى التى سقطت من مرتفع فماتت. وما بقر حيوان مفترس بطنها إلا إذا ذبحت وفيها حياة ... فإن كل واحدة مما ذكر تحل حينئذ.

ويحرم أكل الحيوانات المفترسة كالسبع والنمر ونحوها كما يحرم أكل الكلاب والحمير الأهلية والبغال. أما الحمر الوحشية فأكلها حلال.

المالكية.

قالوا: يكره أكل الحيوانات المفترسة. ولهم فى الكلب والحمر الأهلية والبغال قولان: الكراهة والتحريم. والمشهور التحريم.

ويحرم أكل سباع الطير، وهو ما له ظفر يبطش به، كالصقر والباز ونحوه.

ويحل أكل الضب والضبع والثعلب والنعامة والخيل.

الحنفية

قالوا يحرم أكل الضب والضبع والثعلب، ويكره أكل الخيل كراهة تنزيه على المعتمد.

الحنابلة

قالوا يحرم أكل الثعلب.

المالكية

المشهور عندهم تحريم الخيل. وفيه قول بإباحتها.

ويحل أكل الطيور، كالحمام والبط والأوز والسمان والقنبر والزرزور والقطا والكروان والبلبل، وغير ذلك.

ويحل أكل الجراد. ويحرم أكل حشرات الأرض (صغار دوابها) كالعقرب والثعبان والفأرة والضفدع والنمل، وغير ذلك.

المالكية.

المشهور عندهم أن أكل حشرات الأرض جائز إن قبلتها طبيعة الآكل ولم تضر (الفقه على المذاهب الأربعة ٤ / ٤١٢ ـ ٤١٦).

وقد وردت إلى فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر رسالة عن الذكاة الشرعية من أحد المسلمين ببريطانيا هذا نصها:

إن فى بلاد الغرب ذبح الحيوان له طرق مختلفة حسب التفاصيل الآتية؛ وإنى أرجو من فضيلتكم أن تبينوا لى أى طرق يجوز أكل ذبيحتها للمسلم:

١ ـ طريقة ذبح «الخروف»: الخروف يضرب بصدمة كهربائية خفيفة تجعله مغمى عليه، ثم يذبحه مسلم مع تسمية الله ـ تعالى ـ، وفى وقت الذبح يكون الحيوان حيا، وعلامة الحياة هى: حركة اليدين والرجلين، وتنفسه وخروج الدم.

٢ ـ طريقة ذبح «البقرة». البقرة تضرب برصاص خاص يجعلها مغمى عليها ثم يذبحها مسلم مع تسمية الله، وتكون البقرة حية وقت الذبح وعلامتها: حركة اليدين، والرجلين، والعينين، وخروج الدم.

٣ ـ طريقة ذبح «الدجاجة»: الدجاجة تعلق برجلها ثم إنها تسير فى ماء مكهرب يجعلها مغمى عليها، ومن ثم يذبحها مسلم مع تسمية الله ـ تعالى ـ وتكون الدجاجة حية عند الذبح.

٤ ـ (أ) «الدجاجة» تمر بماء كهربائى معلقة برجلها ثم إنها تذبح بسكين ميكانيكى الذى يعمله مسلم بضغط زراره مع تسمية الله ـ تعالى ـ، وأنه لا يسم الله إلا مرة واحدة فقط حين يبدىء السكين ثم يستمر السكين يذبح الدجاج والسكين تارة يقطع أربعة عروق أو ثلاثة أو اثنين وتارة واحدا، فهل هذه الذبيحة حلال أو حرام للمسلم؟

(ب) إذا كان رجل مسلم قائما عند السكين الميكانيكى حين تمر «الدجاجة» أمام السكين هو يقول: «بسم الله تعالى» فهل يكفى هذه التسمية لحل الذبيحة أم لا مع العلم بأن الرجل لا يُعمل السكين؟

٥ ـ هل يجوز أن يقاس الذبح الميكانيكى بالذبح الاضطرارى؟

٦ ـ هل التسمية شرط للذبح أو شرط للمذبوح؟ لأنه لو كانت شرطًا للمذبوح فإنه بتعدده تتعدد التسمية وإلا فلا تتعدد التسمية.

٧ ـ إن مواطنى أمريكا وأوربا الذين يسمون أنفسم «يهود» «ونصارى» وما ذلك إلا رسميًّا منهم هل يجوز أكل ذبيحتهم للمسلم على الطرق المذكورة أعلاه أم لا؟

٨ ـ المسلم يترك التسمية عمدًا عند الذبح، على حرمته إجماع السلف أو فيه اختلاف؟

الجواب:

أولا: عن الأسئلة الثلاثة الأولى:

بأن ذبح المسلم (الخروف) مع تسميته الله ـ تعالى ـ بعد أن يضرب بصدمة كهربائية تجعله مغمى عليه وكذا (البقرة) بعد أن تضرب برصاص خاص يجعلها مغمى عليها و(الدجاجة) بعد سيرها وهى معلقة من رجلها بماء مكهرب يعتبر ذبحا شرعيا يحل معه أكل المذبوح شرعا ـ باتفاق الفقهاء ـ إذا كان الذبح بآلة غير «السن» «والظفر» تقطع بحدها ما يجب قطعه فى محل الذبح ـ السابق بيانه ـ (انظر أول المادة) وكان ضرب (الخروف) بالصدمة الكهربائية وضرب (البقرة) بالرصاص الخاص، وسير (الدجاجة) فى الماء المكهرب، لا يؤثر على حياة كل منها بمعنى أنه تبقى فى كل منها ـ بعدما فعل به ذلك ـ حياة مستقرة بحيث لو ترك من غير ذبح عاد إلى حياته الطبيعية ولو ذبح تفجر منه الدم، أو تحرك المذبوح بشدة.

وتكفى أية حياة ـ وإن قلّت ـ فى مذهب الإمام «أبى حنيفة».

أما إذا كان ضرب (الخروف) بالصدمة الكهربائية، وضرب (البقرة) بالرصاص الخاص وسير (الدجاجة) فى الماء المكهرب يؤثر فى حياة كل منها بحيث لو ترك كل منها من غير ذبح فقد حياته، ولو ذبح لم يتفجر منه الدم، أو لم يتحرك بشدة فإن الذبح ـ حينئذ ـ لا يفيد حله ولا جواز أكله شرعًا لأنه يكون واردًا ـ وقتئذ ـ على ميتة موقوذة أو منخنقة إذ يحتمل موت كل منها «بالصدمة الكهربائية» «وبالرصاص الخاص» «وبالسير فى الماء المكهرب» أو «بالتخدير» قبل ذبحه.

ونصوص فقه الشريعة الإسلامية تقضى بأنه إذا اجتمع فى الذبيحة سبب محرم، وآخر مبيح غلب المحرم على المبيح احتياطًا فتكون محرمة كما إذا رمى شخص طائرًا بسهم فجرحه فسقط فى الماء فانتشله الصائد ميتًا فإنه لا يحل أكله لاحتمال موته بالغرق، لا بجرح السهم، يدل لهذا ما روى البخارى ومسلم عن عدى بن حاتم قال: سألت رسول الله ﷺ قال: «إذا رميت بسهمك فاذكر اسم الله فإن وجدته قد قتل فكل إلا أن تجده قد وقع فى ماء فإنك لا تدرى الماء قتله أو سهمك».

ثانيا: وعن السؤال الرابع بقسميه أ، ب:

إن ذبح (الدجاجة) أو غيرها بعد مرورها بماء مكهرب ـ معلقًا من رجلها ـ بسكين ميكانيكية يديرها مسلم بضغط زرارها مع تسمية الله ـ تعالى ـ يعتبر ذبحًا شرعيًّا يحل معه أكلها إذا كانت السكين تقطع بحدها ما يجب قطعه فى موضع الذبح ـ المبين سابقًا ـ (انظر أول المادة) وكان مدير السكين الميكانيكية ـ بضغط زرارها ـ ممن توافرت فيه شروط الذابح السابق بيانه باعتبار تلك السكين الميكانيكية كالسكين التى فى يد الذابح، وحل أكل ذبيحتها التى ذكر اسم الله عليها ـ مديرها بنفسه حين ضغطه على زرارها.

أما إذا ذكر ـ اسم الله تعالى ـ على (الدجاجة) أو غيرها ـ حين الذبح ـ غير الذابح بسكين فى يده أو غير مدير السكين الميكانيكية فلا تحل ـ حينئذ ـ الذبيحة عند من يشترط من الفقهاء ذكر اسم الله عليها حين ذبحها ـ إذ التسمية ـ عندهم ـ شرط فى الذابح نفسه لحل ذبيحته، ومثله فى ذلك مدير السكين الميكانيكية حين ضغطه على زرارها كما هى شرط فى الصائد حين إرساله الجارحة أو السهم للصيد فلا تكفى تسمية غيرهم ممن ليس له دخل فى الذبح أو الصيد.

والأصل فى هذا قول الله ـ تعالى ـ:

﴿يسئلونك ماذا أُحل لهم قل أُحِل لكم الطيبات وما علمتم من الجوارح مُكلبين تعلمونهن مما علَّمكم الله فكلوا مما أمسكن عليكم واذكروا اسم الله عليه واتقوا الله إن الله سريع الحساب﴾[المائدة: ٤].

وقوله الرسول ﷺ لأبى ثعلبة الخشنى : «ما صدت بقوسك فذكرت اسم الله عليه فكل . . . » (من حديث متفق عليه . نيل الأوطار للشوكانى ٨/ ١٣٠ط دار الحديث) .

وقـولـه لعـدى بن حـاتـم : «إذا أرسلت كلبك المعلم وذكرت اسم الله تعالى فكل مما أمسك عليك فإن أكل منه فلا تأكل» (رواه أصحاب السنن) .

فـالمأمورون فى الآيـة السـابقة بـذكـر الله على المعلم من الجوارح حيـن إرسالـه للصيد ﴿واذكـروا اسم الله عليـه﴾ هم أنفسهم المرسلـون لهذه الجوارح المعلمة لغـرض الصيد دون غيرهم .

والمخـاطب فى الحـديث الشريف بـذكـر اسم الله على القوس حين رميـه بقصد الصيد «وذكـرت اسم الله عليه فكل» هو نفسه الصائد بقوسه دون غيره .

وكذا المخاطب فى الحديث الثانى ـ بذكر اسم الله تعالى ــ على الكلب المعلم حين إرسالـه للصيد «وذكـرت اسم الله تعالى فكل مما أمسك عليك» هـو نفس مرسل الكلب ، فدل ذلك على أن التسمية ـ عند من يشترطها من الفقهاء ـ شرط فى الصائد نفسه حين إرساله الجارحة المعلمة أو السلاح الجارح «كالقوس» «والسهم» ونحوهما لغرض الصيد حتى يحل أكل المصيد ومثله فى ذلك الذابح بيده ومدير السكين الميكانيكية التى تعتبر كالسكين فى يد الذابح .

ثالثا: وعن السؤال الخامس ونصه :

(هل يجـوز أن يقـاس الـذبح الميكـانيكى بـالــذبح الاضطرارى؟) .

إنـه لا يجـوز قيـاس الـذبح الميكـانيكى علـى الـذبح الإضطـرارى لأن الذبح الاضطـرارى إنما يكـون فيما لم يقـدر على ذبحه بين الحلق والصدر كحيوان نفر أو صال عليه ، أو وقع فى بئر فذكـاته ـ حينئذ ـ عقره بجرح مـزهق لروحه فى أى موضع من بدنه ـ كما بينا سابقًا (انظر أول المادة) .

أما الحيوان فى الذبح الميكانيكـى فهو مقدور على ذكاته بين الحلق والصدر فلا بـد من ذكاته ـ ليحل أكله شـرعًا ـ من قطع الحلقـوم والمرىء ، وأحـد الـودجين كمـا هــو عـنـد «الحنفية» أو قطع الحلقوم والودجين ، ولا يشترط قطع المرىء كما هو عند «المالكية» أو قطع الحلقوم والمرىء ، ولا يشترط الودجين بل يسن ذلك كما هو عند «الشافعية» والحنابلة» .

وقد سبق بيـان ذلك فى طريقة الـذبح الشرعية فيما قـدر عليه (انظر أول المادة) .

فعلَّـة جـواز الـذبح الاضطـرارى فى أى مكـان من جسـد الحيوان وهى عـدم القدرة على ذبح الحيـوان فيما بين الحلق والصدر التى تسوغ القيـاس أى إلحاق شىء بشىء فى حكمة لعلَّة مشتـركة جامعة بينهما ، غيـر موجودة فى الحيـوان الذى يذبح ميكانيكيًا إذ هو مقـدور على ذكاته بين الحلق والصدر، وما دامت علَّة المقيس عليه (الذبح الاضطرارى) غير موجودة فى المقيس (الذبح الميكانيكى) فـلا يصح قياسه على الذبح الاضطرارى لفقدان العلَّة التى تسوغ ذلك .

رابعا: وعن السؤال السادس :

هل التسمية شـرط للذبح أو شرط للمذبـوح؟ إن التسمية من الذابح شـرط عند بعض الفقهاء حين الـذبح لحل ذبيحته شرعًا فتتعدد وتتكرر ـ عندهم ـ بتعدد الحيوان أو الطير الذى يراد ذبحـه ـ وبـآلة فى اليد أو بـآلة ميكانيكيـة ـ لأنـه إذا تعدد الحيوان أو الطيـر الذى يـراد ذبحه وسمى الذابـح حين الذبح على واحد فقط صـدق على ما لم يسم عليه منها أنـه لم يذكر عليـه (اسم الله) فيكون داخـلاً تحت قـوله ــ تعالى ــ : ﴿ولا تأكلـــوا ممـــا لــم يـــذكــــر اسم الله عليـــه وإنــــه لفسق﴾ .[الأنعام : ١٢١] .

وعلى هذا: فيحل شرعًا ــ عند من يشترط التسمية لحل الذبيحة ـ أكل ما سمى عليه منها دون ما لم يسم عليه عمدًا .

أما عنـد من لم يشترط التسميـة من الفقهاء حين الـذبح ـ فالكل عنده ــ ما سمى عليه وما لم يسم عليه حلال شـرعًا ما دام لم يذكـر اسم غير الله ـ تعـالى ـ عليه لأن التسميـة ـ وقت الذبح ـ سنة عنده وليست شرطًا لحل المذبوح .

وبهذا يعلم جـواب الفقرة (أ) من السؤال الـرابع ونصها : (وأنه لا يسمى الله إلا مرة واحدة فقط حين يبدئ السكين ، ثم يستمر السكين يذبح الدجاج . .) .

إذ يجـوز أن تعتبـر التسميـة عنـد الضغط على زرار إدارة السكين دورانًا متصلا دون توقف تسمية على كل الدورة ، وما يحدث فيهـا من ذبح باعتباره عملاً غيـر منفصل فكأن الذبح لكل مـا مر بـه السكين قـد ذكر اسم الله عليـه وعندئذ يصيـر المـذبوح حـلالاً إذا قطع السكين العروق الأربعـة أو ثلاثـة أو

اثنين منها ــ على ما سبق بيانه ــ أما إذا قطع واحدًا فقط فلا يحل.

خامسًا: وعن السؤال السابع ونصه:

إن مواطني «أمريكا» «وأوربا» الذين يسمون أنفسهم يهودًا ونصارى وما ذلك إلا رسميًّا منهم فهل يجوز للمسلم أكل ذبيحتهم على الطرق المذكورة أعلاه أم لا؟

فإنه يجوز للمسلم الأكل من ذبائح أهل الكتاب - (اليهود والنصارى) مما أحله الله - سبحانه - من الماشية والطيور - بأية طريقة من الطرق السابقة - إذا توافرت الشروط التى سبق ذكرها فى ذبائح المسلم بأى طريقة منها لقوله تعالى: ﴿ **وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم**﴾[المائدة: ٥] أى ذبائحهم أو لحومهم لأنها هى التى كانت موضع الشك، أما باقى أنواع المأكولات فقد كانت حلالا بحكم أن الأصل فى الأشياء الإباحة لقوله تعالى: ﴿**هو الذى خلق لكم ما فى الأرض جميعًا**﴾ [البقرة: ٢٩] فإن ذكروا على ذبائحهم حين الذبح بسكين فى اليد أو حين الضغط على زرار السكين الميكانيكية غير اسم الله تعالى، وعلم ذلك أو شوهد لم تحل ذبائحهم عند جمهور الفقهاء حيث أُهل لغير الله به ويدل لهذا قول الله- تعالى - ﴿**إنما حَرَّم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أُهِل به لغير الله**﴾ [البقرة: ١٧٣].

وقوله تعالى: ﴿**حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به**﴾[المائدة: ٣].

وروى عن بعض الفقهاء: عطاء، والزهرى، وربيعة، والشعبى، ومكحول، حل أكلها إذا كان الذابح كتابيًّا لأنه ذبح على الملة وكانت هذه ملتهم قبل نزول القرآن وأحلها فى كتابه.

وقد روى هذا عن صحابيين جليلين: أبى الدرداء، وعبادة بن الصامت - رضى الله عنهم - أجمعين.

لكن العمل بقول الجمهور أولى وأحق لأنه الموافق للنص القرآنى المحرم لما أُهِل به لغير الله.

وأما من لم يعلم، ولم ير مخالفة لشرط من شروط الذبح المتفق عليها فإنه يحل له الأكل من ذبائحهم لإطلاق قوله - تعالى -: ﴿**وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم**﴾ [المائدة: ٥].

وللحديث الذى رواه البخارى والنسائى وابن ماجه عن عائشة: «إن قومًا قالوا: يا رسول الله إن قومًا يأتوننا باللحم لا ندرى أذكروا اسم الله عليه أم لا؟ فقال: سموا عليه أنتم وكلوا...» (نيل الأوطار للشوكانى ٨/ ١٣٩).

وجاء فى الخبر المشهور عن شعبة عن هشام بن زيد عن أنس بن مالك: أن يهودية أهدت إلى رسول الله ﷺ شاة أو ذراعًا فأكل منها، ولم يثبت أنه - ﷺ - سأل عن كيفية ذبحها (الروض النضير ٣/ ١٦٧ وما بعدها).

وقد أشار إلى ذلك ابن رشد فى كتابه: (بداية المجتهد) وابن حزم فى كتابه: (المحلى) فقالا: «**كل ما غاب عنا مما ذكاه مسلم فاسق أو جاهل أو كتابى فحلال أكله**».

وعليه: فمن علم أو شاهد مخالفة لشرط من شروط الذبح المتفق عليها حسبما تقدم حرم عليه أكل شىء منها لأنها حينئذ ميتة («فيما يحل أكله من الذبائح»/ ١٤٦٨، ١٤٧١ - ١٤٧٤).

(المفردات فى غريب القرآن للراغب الأصفهانى ــ تحقيق وضبط محمد سيد كيلانى / ١٨٠، وفقه السنة - فضيلة الشيخ السيد سابق م٢ وعمدة الفقة لابن قدامة - تخريج أبى عبد العزيز عبد الله بن سفر عبادة العبدلى الغامدى، ومحموذ غيلت البراق العتيبى / ١٢٢ - ١٢٤، ومنهاج المسلم - أبو بكر جابر الجزائرى ـــ ٥٠٠، ٥٠١، والفقه على المذاهب الأربعة للإمام عبد الرحمن الجزيرى. ط دار الشعب. كتاب الشعب ١١١، ١٣٨٠ ٤/ ٤١٢ - ٤١٦، وط دار إحياء التراث العربى. بيروت. الطبعة الثالثة. بدون تاريخ ١/ ٧٢٥ ــ ٧٣١، و«فيما يحل أكله من الذبائح» فتوى لفضيلة الإمام الأكبر. مجلة الأزهر. الجزء الحادى عشر، السنة السابعة والستون، ذو القعدة ١٤١٥هـ ــ إبريل ١٩٩٥م/ ١٤٦٨، ١٤٧١ ـــ ١٤٧٤. انظر أيضًا الطب الوقائى فى الإسلام - د. أحمد شوقى الفنجرى ـــ ٤٦ ــ ٤٨، واقتضاء الصراط المستقيم لشيخ الإسلام ابن تيمية/ ١١٣، ١١٤، وفتاوى الإمام الشاطبى لأبى إسحاق إبراهيم بن موسى الأندلسى - حققها وقدم لها محمد أبو الأجفان / ١٣٧).

* **ذَكَرَ:**

من ألفاظ التحمل سماعا من الشيخ

(معجم مصطلحات توثيق الحديث - د. على زوين / ٣٦).

انظر مادة «تحمل الحديث» فى م ٩ / ٦٣ - ٦٦.

*الذِّكْر:

أورده الإمام الفيروزابادى فى بصائره فقال عنه:

قال الله تعالى: ﴿صٓ والقرآن ذى الذكر﴾[صٓ: ١] أى ذُكر فيه قصص الأولين والآخرين. وقيل: ذى الشرف. وقوله تعالى ﴿فيه ذِكرُكُم﴾ [الأنبياء: ١٠] أى شرفكم وما تذكرون به. وكذلك قوله عز وجل: ﴿بل أتيناهم بذكرهم﴾ [المؤمنين: ٧١] أى بما فيه شرفهم.

والذكر تارة يقال ويراد به هيئة للنفس بها يمكن الإنسان أن يحفظ ما يقتنيه من المعرفة، وهو كالحفظ إلا أن الحفظ يقال اعتبارًا بإحرازه، والذكر يقال اعتبارًا باستحضاره. وتارة يقال لحضور الشيء القلب أو القول، ولهذا قيل: الذِّكر ذِكران: ذكر بالقلب وذكر باللسان، وكل واحد منهما ضربان: ذكر عن نسيان، وذكر لا عن نسيان، بل عن إدامة الحفظ. وكل قول يقال له ذكر.

فمن الذكر باللسان قوله تعالى: ﴿أأنزل عليه الذكر من بيننا﴾ [صٓ: ٨] أى القرآن وقوله تعالى: ﴿فأسألوا أهل الذكر﴾ [الأنبياء: ٧] أى الكتب المتقدمة وقوله تعالى: ﴿قد أنزل الله إليكم ذكرًا *رسولاً﴾ [الطلاق: ١٠، ١١] فقد قيل: الذكر هنا وصف للنبى ﷺ، كما أن الكلمة وصف لعيسى عليه السلام من حيث إنه بشّر به فى الكتب المتقدمة، فيكون قوله ﴿رسولاً﴾ بدلا منه. وقيل: ﴿رسولاً﴾ منتصب بقوله ﴿ذكرًا﴾، كأنه قيل: قد أنزلنا كتابًا ذاكرًا رسولا يتلو.

ومن الذكر عن النسيان قوله تعالى: ﴿وما أنسانيه إلا الشيطان أن أذكره﴾[الكهف: ٦٣].

ومن الذكر بالقول واللسان قوله تعالى: ﴿فاذكروا الله كذكركم﴾ [البقرة: ٢٠] وقوله تعالى: ﴿ولقد كتبنا فى الزبور من بعد الذكر﴾[الأنبياء: ١٠٥] أى من بعد الكتاب المتقدم وقوله تعالى: ﴿لم يكن شيئًا مذكورًا﴾[الإنسان: ١] أى موجودًا بذاته وإن كان موجودًا فى علم الله. وقوله تعالى: ﴿أوَلاَ يذكر الإنسان أنا خلقناه من قبل﴾ [مريم: ٦٧] أى أو لا يذكر الجاحد للبعث أول خلقه، فيستدل بذلك على إعادته؟! وقوله تعالى: ﴿ولذكر الله أكبر﴾ [العنكبوت: ٤٥] أى ذكر الله لعبده أكبر من ذكر العبد له، وذلك حث على الإكثار من ذكره. وقيل: إن ذكر الله إذا ذكره العبد خير للعبد من ذكر العبد للعبد. وقيل: معناه أن ذكر الله ينهى عن الفحشاء والمنكر أكثر مما تنهى الصلاة. وقوله تعالى: ﴿أهذا الذى يذكر آلهتكم﴾ [الأنبياء: ٣٦] يريد: يعيب آلهتكم. كذلك قوله تعالى: ﴿فتى يذكرهم يقال له إبراهيم﴾ [الأنبياء: ٦٠] من قولك للرجل: لئن ذكرتنى لتندمن، وأنت تريد: بسوء، فيجوز ذلك، قال عنترة بن شداد يخاطب امرأته:

لا تذكرى فرسى وما أطعمته

فيكون جلدك مثل جلد الأجرب

أى لا تعيبى مهرى: فجعل الذكر عيبًا. وأنكر أبو الهيثم أن يكون الذكر عيبًا، وقال فى قول عنترة: «لا تذكرى فرسى»: لا تولعى بذكره وذكر إيثارى إياه على عيالى باللبن.

وقوله تعالى: ﴿ذكر رحمة ربك عبده زكريا﴾ [مريم: ٢] معناه: ذكر ربك عبده برحمته. وقوله تعالى: ﴿أو يحدث لهم ذكرًا﴾ [طه: ١١٣]. أى تذكرًا وقوله تعالى: ﴿لو أن عندنا ذكرًا من الأولين﴾ [الصافات: ١٦٨] أى لو جاءنا ذكر كما جاء غيرنا من الأولين. وقوله تعالى: ﴿خذوا ما آتيناكم بقوة واذكروا ما فيه﴾ [البقرة: ٦٣] أى ادرسوا ما فيه. وقوله تعالى: ﴿واذكروا نعمة الله عليكم﴾ [البقرة: ٢٣١] أى احفظوها ولا تضيعوا شكرها، كما يقول العربى لصاحبه: اذكر حقى عليك. أى احفظه ولا تضيعه.

وتقول: ذكرته ذكرى غير مجراة (أى مصروفه منونة). وقوله تعالى: ﴿وذكرى للمؤمنين﴾ [الأعراف: ٢] الذكرى اسم أقيم مقام التذكير، كما تقول: اتقيت تقوى، ومنه قوله تعالى: ﴿وذكرى لأولى الألباب﴾ [صٓ: ٤٣] أى وعبرة لهم. وقوله عز وجل: ﴿ذكرى الدار﴾ [صٓ: ٤٦] أى يذكرون بالدار الآخرة ويزهّدون فى الدنيا. ويجوز أن يكون المعنى: يكثرون ذكر الآخرة. وقوله تعالى: ﴿فأنى لهم إذا جاءتهم ذكراهم﴾ [محمد: ١٨] يقول: فكيف لهم إذا جاءتهم الساعة بذكراهم وقوله تعالى: ﴿يتذكر الإنسان وأنى له الذكرى﴾ [الفجر: ٢٣] أى يتوب ومن أين له التوبة.

والتذكرة: ما يتذكر به الشيء، وهو أعم من الدلالة والأمارة وقوله تعالى: ﴿فتذكِّر إحداهما الأخرى﴾ [البقرة: ٢٨٢] قيل معناه: تعيد ذكره، وقيل: تجعلها ذكرًا فى الحكم. وقال بعض العلماء فى الفرق بين قوله تعالى:

﴿فاذكرونى أذكركم﴾ [البقرة: ١٥٢] وبين ﴿اذكروا نعمتى﴾ [البقرة: ٤٠] أن قوله ﴿اذكرونى﴾ مخاطبة أصحاب النبى ﷺ الذين حصل لهم فضل قوة بمعرفته تعالى، فأمرهم بأن يذكروه من غير واسطة، وقوله تعالى ﴿اذكروا نعمتى﴾ مخاطبة لبنى إسرائيل الذين لم يعرفوا الله إلا بالآية، فأمرهم أن يتصوروا نعمته فيتوصلوا بها إلى معرفته تعالى.

والتذكير: الوعظ، قال تعالى: ﴿فذكِّر إنما أنت مُذكِّر﴾ [الغاشية: ٢١]، وفى الحديث: «إن القرآن ذكر فذكِّروه»، أى جليل نبيه خطير فأجلوه، واعرفوا له ذلك وصفوه به. قالوا: رجل ذكر للشهم الماضى فى الأمور.

وقال بعضهم: ذكر الله الذِّكر فى القرآن على عشرين وجهًا:

الأول: ذكر اللسان ﴿فاذكروا الله كذكركم آباءكم﴾[البقرة: ٢٠٠].

الثانى: ذكر بالقلب ﴿ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم﴾ [آل عمران: ١٣٥].

الثالث: بمعنى الوعظ ﴿وذكِّر فإن الذكرى تنفع المؤمنين﴾[الذاريات: ٥٥]. ﴿فذكر إن نفعت الذكرى﴾ [الأعلى: ٩].

الرابع: بمعنى التوراة ﴿فاسألوا أهل الذكر﴾ [الأنبياء: ٧].

الخامس: بمعنى القرآن ﴿وهذا ذكر مبارك أنزلناه﴾ [الأنبياء: ٥٠].

السادس: بمعنى اللوح المحفوظ ﴿ولقد كتبنا فى الزبور من بعد الذكر﴾[الأنبياء: ١٠٥].

السابع: بمعنى رسالة الرسول ﴿أو عجبتم أن جاءكم ذكر من ربكم﴾ [الأعراف: ٦٩]. أى رسالة.

الثامن: بمعنى العبرة ﴿أفنضرب عنكم الذكر صفحًا﴾ [الزخرف: ٥]. أى العبر.

التاسع: بمعنى الخبر ﴿هذا ذكر من معى وذكر من قبلى﴾[الأنبياء: ٢٤].

العاشر: بمعنى الرسول ﴿قد أنزلنا إليكم ذكرًا * رسولا﴾ [الطلاق: ١٠، ١١].

الحادى عشر: بمعنى الشرف ﴿وإنه لذكرٌ لك ولقومك﴾ [الزخرف: ٤٤]. أى شرف.

الثانى عشر: بمعنى التوبة ﴿ذلك ذكرى للذاكرين﴾ [هود: ١١٤].

الثالث عشر: بمعنى الصلوات الخمس ﴿فاذكروا الله كما علمكم﴾[البقرة: ٢٣٩].

الرابع عشر: بمعنى صلاة العصر خاصة ﴿أحببت حب الخير عن ذكر ربى﴾[ص: ٣٢].

الخامس عشر: بمعنى صلاة الجمعة ﴿فاسعوا إلى ذكر الله﴾[الجمعة: ٩].

السادس عشر: بمعنى العذر من التقصير ﴿فإذا قضيتم الصلاة فاذكروا الله﴾ [النساء: ١٠٣].

السابع عشر: بمعنى الشفاعة ﴿اذكرنى عند ربك﴾ [يوسف: ٣٢]

الثامن عشر: بمعنى التوحيد ﴿ومن أعرض عن ذكرى﴾ [طه: ١٢٤]. ﴿ومن يعرض عن ذكر ربه﴾[الجن: ١٧].

التاسع عشر: بمعنى ذكر المنة ﴿اذكر نعمتى عليك﴾ [المائدة: ١١٠]، ﴿اذكروا نعمتى التى أنعمت عليكم﴾ [البقرة: ٤٠].

العشرون: بمعنى الطاعة والخدمة ﴿فاذكرونى أذكركم﴾ [البقرة: ١٥٢] أى اذكرونى بالطاعة أذكركم بالجنة.

والذَّكَر: خلاف الأنثى، وجمعه ذكور وذكران، قال تعالى: ﴿وما خلق الذكر والأنثى﴾ [الليل: ٣] أى ومن خلق، وقال: ﴿خلقناكم من ذكر وأنثى﴾ [الحجرات: ١٣]. أى آدم وحواء. وقال: ﴿يهب لمن يشاء إناثًا ويهب لمن يشاء الذكور﴾ [الشورى: ٤٩] وقال: ﴿خلق الزوجين الذكر والأنثى﴾[النجم: ٤٥].

وقال بمعنى التوأمين ﴿فجعل منه الزوجين الذكر والأنثى﴾ [القيامة: ٣٩] (تفسير الذكر والأنثى بالتوأمين غير ظاهر).

وبمعنى مريم البتول: ﴿وليس الذكر كالأنثى﴾ [آل عمران: ٣٦].

وقال تعالى: ﴿ألكم الذكر وله الأنثى﴾ [النجم: ٢١]، وقال: ﴿أتأتون الذكران من العالمين﴾ [الشعراء: ١٦٥]،

وقال: ﴿قل آلذكرين حرَّم أم الأنثيين﴾ [الأنعام: ١٤٣، ١٤٤] وقال ﴿للذكر مثل حظ الأنثيين﴾[النساء: ١١]، وقال: ﴿ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى﴾ [النساء: ١٢٤] (بصائر ٣/ ٩ـ١٦).

وقد أورد هذه المعلومات نفسها كل من التهانوى فى كشافه (٢/ ٥١٢، ٥١٣) وابن الجوزى فى منتخب قرة العيون (١١٧ـ١١٩) فارجع إليهما إن شئت.

(بصائر ذوى التمييز للإمام الفيروزابادى ـ تحقيق الأستاذ محمد على النجار ٣/ ٩ـ١٦. انظر أيضا كشاف اصطلاحات الفنون للتهانوى ٢/ ٥١٢، ٥١٣، ومنتخب قرة اللعيون النواظر فى الوجوه والنظائر فى القرآن الكريم للإمام ابن الجوزى ـ تحقيق ودراسة محمد السيد الصفطاوى، ود. فؤاد عبد المنعم أحمد/ ١١٧ـ١٢٢).

انظر: ذكر الله تعالى.

ذكر أخبار أصبهان:

***ذكر أخبار أصبهان**

من مخطوطات التاريخ فى مركز الملك فيصل بالرياض، وجاء بيانه كما يلى:

رقم الحفظ: ١٤١ ـ ف.

الفن: تاريخ.

عنوان المخطوطة: ذكر أخبار أصبهان.

اسم المؤلف: أحمد بن عبد الله بن أحمد، الأصبهانى، أبو نعيم.

اسم الشهرة: أبو نعيم الأصبهانى.

تاريخ وفاته: ٤٣٠ هـ/ ١٠٣٨م القرن: ٥هـ/ ١١م.

المصادر: بروكلمان ـ ملحق ١/ ٦١٦، ٦١٧

كحالة ١/ ٢٨٢، ٢٨٣

الأعلام ١/ ١٥٧

بداية المخطوطة: أخبرنا يوسف. الحمد لله رب العالمين ... أما بعد فإن بعض ... رعاهم الله سألهم الاحتذا بمن تقدمنا من السلف.

نهاية المخطوطة: ومن تبعها من الأعاجم ومن دخل فى هذا الدين فهو عربى.

نوع الخط: نسخ معتاد.

تاريخ النسخ: القرن ٦ هـ ١٤١م.

ملاحظات عامة: نسخة جيدة وكاملة فى نهايتها سماعان أُرِّخ أحدهما فى سنة ٥٩١ هـ.

مكان الحفظ: عارف حكمت برقم ٨٨ تاريخ.

(فهرس المصورات الميكروفيلمية بقسم المخطوطات. العدد الثانى، السنة الثانية ١٤٠٨ هـ ـ ١٩٨٨ م/١٦٨).

***ذكر أصول علمى الهندسة والحساب:**

مخطوط بدار الكتب الظاهرية بدمشق (أو بمكتبة الأسد)، وجاء بيانه كما يلى: مجموع رقمه ٨٦٥٦.

مؤلف الكتاب: أبو على الحسين بن عبد الله بن سينا: سنة: ٣٧٠ـ٤٢٨ هـ/ ٩٨٠ـ١٠٣٧ م.

مواضيع المخطوط:

تتضمن العناوين والأبحاث الآتية:

ذكر أصول هندسية يجب أن تعلم فى الخطوط المتصل بعضها ببعض...

ذكر أصول فى الخطوط المنفصل بعضها عن بعض...

ذكر أصول فى معنى الأضلاع والزوايا والمثلثات...

ذكر أعمال تتم بالبركار والمسطرة...

ذكر أصول فى المربعات والمثلثات التى جمعت معها وما يتولد منها...

ذكر أصول فى ضرب الخطوط وما يتولد منها..

ذكر أصول فى معنى الدواير...

ذكر أصول فى معنى النسبة...

ذكر أصول فى معنى تناسب السطوح وأضلاعها...

ذكر أصول فى معنى نسب تتعلق بالبراويز...

ذكر أصول فى المجسمات لتعلم نسبة الكرة إلى الكرة...

ورسومًا هندسية مناسبة مع كل موضوع.

فاتحة المخطوط:

بسم الله الرحمن الرحيم وما توفيقى إلا بالله.

ذكر أصول هندسية يجب أن تعلم فى الخطوط المتصل بعضها ببعض إذا قام خط مستقيم على خط مستقيم فإما أن تقوم ولا . . . فى الخطوط المنفصل بعضها عن بعض . . .

خاتمة المخطوط :

. . . ذكر أصول فى المجسمات لتعلم نسبة الكرة إلى الكرة . . . واقتصرنا على هذا المقدار فإن من عرف بهذا المقدار وتصوره تصورًا جيدًا وكان قابلاً لهذا العلم سهل عليه تفهم كتاب المجسطى إذا وجد معلمًا حاذقًا عالمًا لأن من لا يفهم شيئا لا يمكن أن يفهم الغير وليس كل من فهم شيئًا يمكنه أن يفهم الغير والله أعلم وهذا آخر الهندسيات ولله الحمد والمنة والصلاة على نبيه محمد وآله المقتدين به وسلم تسليما .

أوصاف المخطوط والملاحظات عليه :

نسخة جيدة، كتبت بخط نسخى وحبر أسود، قليلة التنقيط . أضيف إليها ورقتان فى أولها تختلف عن خط وورق المخطوط تتضمن ترجمة لابن سينا منقولة عن كتاب وفيات الأعيان لابن خلكان وأقوالا فى ابن سينا لصاحب شذرات الذهب ولابن الأثير والقفطى . جاءت ضمن مجموع من : ٢٣١ ورقة وزعت كما يأتى : ٢٠ ورقة لكتابنا هذا من ورقة ١٢١ ــ ١٤٠ ، و ٦٥ ورقة لكتاب الطبيعيات، و ٥٦ ورقة لكتاب النجاة، و ٢٠ ورقة فى الأرصاد، و ٧ ورقات فى صناعة الموسيقى، وأخيرًا ٦٣ ورقة فى الإلهيات . وتأثرت النسخة قليلاً بالرطوبة والأرضة، وترك لها هامش بعرض : ٣ سم . عليه بعض التصويبات والشروح . على الصفحة الأولى تملك باسم صدر الدين الشروانى وقفه على المتحفين من أولاده وتملكات أخرى غير واضحة . عدد أوراقه ٢٠ بقياس : ١٩,٥ × ١٥,٥ سم . وعدد السطور: ١٥ سطرًا . جلدها كرتون مغلف بجلد أسود قديم عليه زخارف وله لسان . ولم يذكر اسم الناسخ ولا تاريخ النسخ .

المصادر عن المؤلف والكتاب :

بروكلمان : ١/ ٤٥٢ ـ ٤٥٨

معجم المؤلفين : ٤/ ٢٠ .

معجم المطبوعات العربية والمعربة : ١/ ١٣١ .

كشف الظنون : ٢/ ١٩٢٩ .

الكتب العربية : ص١٢ .

طبعات الكتاب :

طبع مع كتاب القانون فى الطب فى روما سنة : ١٥٩٣ م .

وفى مطبعة الشيخ فرج الله الكردى بمصر سنة : ١٣٣١هـ .

وطبع مرة ثانية فى القاهرة فى مطبعة السعادة سنة : ١٩٣٨ م .

(فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية . العلوم والفنون المختلفة عند العرب ـ وضع مصطفى سعيد الصباغ/ ٣٩٠ ــ ٣٩٢) .

*** ذكر الله تعالى:**

نبدأ بهذا المجمل ثم نتبعه بالتفصيل إن شاء الله تعالى . قال صاحب مختصر الأحكام الفقهية :

الذكر : هو ما يجرى على اللسان والقلب من تسبيح الله تعالى، وتنزيهه، وحمده، والثناء عليه، والإكثار منه واجب مأمور به، ويذكر الله من يذكره، والذاكر متفرد بالسبق، حى على الحقيقة، وفق لرأس الأعمال الصالحة، واتخذ سبيل النجاة، ويصبح ذاكرا من واظب على الأذكار المأثورة صباحا ومساء، وفى كل الأوقات، وعلى جميع الحالات .

ويستحب الذكر سرا، فى ثوب نظيف، ببدن طاهر طيب الرائحة، مع استقبال القبلة، فى حلق للذكر .

والذاكر بكلمات التوحيد له عظيم المنزلة .

والذكر يثقل الميزان، ويريح النفس، والكلام بأحب الكلام إلى الله .

ومن الذكر الاستغفار، وهو حط للخطيئات، وصفته : استغفر الله، استغفر الله، استغفر الله .

وَاذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ

[الكهف : ٢٤]

ويستحب الذكر بالجوامع من الأدعية ، وأن يعد التسبيح بالأصابع فهو خير من السبحة .

ويندب ألا يخلو مجلس من ذكر الله ، والصلاة على نبية ﷺ، وعند انتهائه يدعو بدعاء ختام المجلس ليكون كفارة لما اقترف فيه .

(مختصر الأحكام الفقهية / ٦٢) .

وثمة أحاديث نبوية عديدة تدور حول ذكر الله تعالى وفضائل ذلك الذكر، منها ما يرد في مصنفات علوم الحديث، ومنها ما يرد في مصنفات علوم القرآن الكريم . وقد يقع فيها بعض التكرار ولكنه ليس تكرارا بلا فائدة إذ أن الإسناد قد يختلف في المكرر منها، وكذلك اللفظ مما يضيف إلى حصيلتنا من المعلومات جديدا .

ونبدأ بما أورده الإمام ابن الديبع ، وقد أبقينا على الأرقام التسلسلية كما وردت في النص : قال الإمام ابن الديبع ...

٤ ـ وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «ألا أخبركم بخير أعمالكم، وأرفعها في درجاتكم، وأزكاها عند مليككم، وخير لكم من إعطاء الوَرِق والذهب، وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم؟ قالوا : بلى يارسول الله قال : ذكر الله» . أخرجه مالك موقوفا، والترمذي مرفوعا .

٥ ـ وعن أنس رضي الله عنه قال : «قال رسول الله ﷺ : يقول الله عز وجل : أخرجوا من النار من ذكرني يوما أو خافني في مقام» أخرجه الترمذي .

٦ ـ وعن معاذ رضي الله عنه قال : «قال رسول الله ﷺ : ما من مسلم يبيت على طُهر ذاكرا لله تعالى، فيتعار من الليل، فيسأل الله تعالى خيرا من الدنيا والآخرة إلا أعطاه إياه» أخرجه أبو داود .

قوله : (فيتعار) أي ينتبه .

٧ ـ وعن جابر رضي الله عنه قال : «قال رسول الله ﷺ : إذا دخل الرجل بيته، أو آوى إلى فراشه ابتدره ملك وشيطان، يقول الملك : افتح بخير ويقول الشيطان : افتح بشر، فإن ذكر الله تعالى طرد الملك الشيطان، وظل يكلؤه، وإذا انتبه من منامه قالا ذلك، فإن هو قال . الحمد لله الذى ردَّ نفسى إليَّ بعد موتها ولم يميتها في منامها، الحمد لله الذى يمسك السموات السبع أن تقع على الأرض إلا بإذنه، فإن خر من فراشه فمات كان شهيدا، وإن قام وصلى صلى في فضائل» . أخرجه رزين .

٨ ـ وعن أنس رضي الله عنه قال : «قال رسول الله ﷺ : لأن أقعد مع قوم يذكرون الله تعالى من صلاة الغداة حتى تطلع الشمس أحب إليَّ من أن أعتق أربعة من ولد إسماعيل، ولأن أقعد مع قوم يذكرون الله تعالى من صلاة العصر حتى تغرب الشمس أحب إليَّ من أن أعتق أربعة» أخرجه أبو داود (تيسير الوصول ٢ / ٥٣، ٥٤) .

وقال الحافظ ابن حجر العسقلاني تحت عنوان :

الترغيب في من ذكر الله سرا وجهرا والمداومة عليه وما جاء في من لم يكثر من ذكر الله تعالى :

٥٤٩ ـ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : يقول الله عز وجل : أنا عند ظن عبدى بى . وأنا معه إذا ذكرني فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم . وإن تقرَّب إليَّ شبرا تقربت إليه ذراعا، وإن تقرَّب إليَّ ذراعا تقربت إليه باعا، وإن أتاني يمشى أتيته هرولة . أخرجاه .

ولأحمد في آخره قال قتادة : والله أسرع بالمغفرة . قلت وعلقها البخاري .

٥٥٠ ـ وأخرجه البزار من حديث ابن عباس بلفظ : قال



٣٤٤ ـ إلا بذكر الله تطمئن القلوب . خط ديواني جلي بقلم هاشم محمد الخطاط ببغداد سنة ١٣٧٢ هجرية .

الله تبارك وتعالى: يا ابن آدم إذا ذكرتنى خاليا ذكرتك خاليا، وإذا ذكرتنى فى ملأ ذكرتك فى ملأ خير من الذين تذكرنى فيهم. وسنده صحيح.

٥٥١ ـ وعن عبد الله بن بُسر أن رجلا قال: يا رسول الله إن شرائع الإسلام قد كثرت عليَّ فأخبرنى بشىء أتشبث به؟ قال: لا يزال لسانك رطبا من ذكر الله. رواه الترمذى. وحسنه وابن ماجه. وصححه ابن حبان والحاكم.

وقوله: أتشبث. بشين معجمة ثم موحدة ثم مثلثة، أى أتعلق.

٥٥٢ ـ وعن أبى الدرداء رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم، وأرفعها فى درجاتكم، وخير لكم من إنفاق الذهب والوَرِق. وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم، ويضربوا أعناقكم؟» قالوا: بلى. قال: ذكر الله». قال معاذ بن جبل: ما شىء أنجى من عذاب من ذكر الله، رواه أحمد وابن أبى الدنيا والترمذى، وابن ماجه وصححه الحاكم.

وأخرجه أحمد أيضا من حديث معاذ بسند جيد إلا أن فيه انقطاعا.

٥٥٣ ـ وعن أبى سعيد رضى الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: ليذكرن الله أقوام فى الدنيا على الفُرُش الممهدة يدخلهم الدرجات العُلى. أخرجه ابن حبان من رواية دراج عن أبى الهيثم عنه.

٥٥٤ ـ وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «أكثروا ذكر الله حتى يقولوا: مجنون». رواه أحمد وأبو يعلى وصححه ابن حبان والحاكم.

٥٥٥ ـ وعن أبى موسى رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: لو أن رجلا فى حجره دراهم يقسمها، وآخر يذكر الله كان الذاكر لله أفضل.

وفى لفظ: ما صدقة أفضل من ذكر الله. رواه الطبرانى، من وجهين بسندين.

٥٥٦ ـ وعن أم أنيس رضى الله عنها أنها قالت: يارسول الله أوصنى قال: اهجرى المعاصى، فإنها أفضل الهجرة، وحافظى على الفرائض فإنها أفضل الجهاد، وأكثرى من ذكر الله. فإنك لا تأتين الله بشىء أحب إليه من كثرة ذكره. رواه الطبرانى بسند جيد.

وفى رواية: واذكرى الله كثيرا، فإنه أحب الأعمال إلى الله أن تلقاه بها.

قال الطبرانى: أم أنس، ليست أم أنس بن مالك.

ثم يقول الحافظ ابن حجر تحت عنوان «الترغيب فى حضور مجالس الذكر والاجتماع على ذكر الله»:

٥٥٧ ـ عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ إن لله ملائكة يطوفون فى الطرق يلتمسون أهل الذكر، فإذا وجدوا قوما يذكرون الله تنادوا: هلموا إلى حاجتكم فيحفونهم بأجنحتهم إلى السماء الدنيا. قال: فيسألهم ربهم، وهو أعلم بهم: ما يقول عبادى؟ قال: يقولون: يسبحونك ويكبرونك ويحمدونك قال: فيقول: هلى رأونى؟ قال: فيقولون: لا والله يارب ما رأوك. قال: فيقول: كيف لو رأونى؟ قال يقولون: لو رأوك كانوا أشد لك عبادة، وأشد لك تمجيدا، وأكثر لك تسبيحا، قال فيقول: فما يسألونى؟ قال يقولون: يسألونك الجنة، قال فيقول: وهل رأوها؛ قال يقولون: لا والله يارب ما رأوها، قال فيقول: فكيف لو رأوها. قال: يقولون: لو أنهم رأوها كانوا أشد عليها حرصا، وأشد لها طلبا، وأعظم فيها رغبة. قال: فمم يتعوذون؟ قال: يتعوذون من النار. قال فيقول: وهل رأوها؟ قال يقولون: لا والله ما رأوها. قال فيقول: فكيف لو رأوها؟ قال: يقولون: لو أنهم رأوها كانوا أشد منها فرارا، وأشد لها مخافة. قال: فيقول: أُشهدكم أنى قد غفرت لهم. قال يقول ملك من الملائكة: فيهم فلان ليس منهم إنما جاء لحاجة. قال: هم القوم لا يشقى بهم جليسهم. رواه البخارى هكذا.

٥٥٨ ـ وعن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما قال: قلت: يا رسول الله ما غنيمة مجالس الذكر؟ قال: غنيمة مجالس الذكر الجنة. رواه أحمد بسند حسن.

٥٥٩ ـ عن أنس بن مالك رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا. قالوا: وما رياض الجنة؟ قال: حِلَقُ الذكر. رواه الترمذى، وقال: حسن غريب.

والرتع: الأكل والشرب فى خصب وسعة.

٥٦٠ ـ وعن عمرو بن عبسة رضى الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: عن يمين الرحمن. وكلتا يديه يمين: رجال ليسوا بأنبياء، ولا شهداء يغشى بياض وجوههم نظر الناظرين يغبطهم النبيون والشهداء، بمقعدهم وقربهم من الله عز وجل. قيل: يارسول الله من هم؟ قال: هم جُمَّاع من نوازع القبائل يجتمعون على ذكر الله فينتقون أطائب الكلام كما ينتقى آكل التمر أطائبه.

رواه الطبراني ـ وسنده مقارب.

والجُمَّاع ـ بضم الجيم، وتشديد الميم: من قبائل شتى، ومواضع مختلفة.

وقوله: نوازع: هو جمع نازع، وهو الغريب، ومعناه: أنهم لم يجتمعوا لقرابة بينهم، ولا نسب، ولا معرفة، وإنما اجتمعوا لذكر الله لا غير [٢: ٤٠٦، ١١].

ثم يقول الحافظ ابن حجر تحت عنوان: الترهيب من أن يجلس الإنسان مجلسا لا يذكر الله فيه ولا يصلى على نبيه محمد ﷺ:

٥٦١ ـ عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال: ما جلس قوم مجلسا لم يذكروا الله ولم يصلوا على نبيهم إلا كان عليهم ترة. فإن شاء عذبهم، وإن شاء غفر لهم. رواه أبو داود والترمذى وحسنه واللفظ له، وابن أبى الدنيا، والبيهقى.

وفى رواية أبى داود: ومن اضطجع مضجعا لا يذكر الله فيه كانت عليه ترة، ومن قعد مقعدا لم يذكر الله فيه كان عليه من الله ترة. وما مشى أحد ممشى لا يذكر الله فيه إلا كان عليه من الله ترة. ويقول تحت عنوان: الترغيب فى كلمات تكفر لغط المجلس.

٥٦٢ ـ عن رافع بن خديج رضى الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ بأخرة إذا اجتمع إليه أصحابه، فأراد أن ينهض، قال: سبحانك اللهم وبحمدك. أشهد أن لا إله إلا أنت. أستغفرك وأتوب إليك. عملت سوءا وظلمت نفسى فاغفر لى إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت. قال: قلنا: يا رسول الله إن هذه كلمات أحدثتهن؟ قال: أجل، جاءنى جبرائيل. فقال: يا محمد هن كفارات المجلس. رواه النسائى واللفظ له. وصححه الحاكم. وأخرجه الطبرانى فى المعاجم الثلاثة مختصرا بسند جيد وقوله: بأخرة بفتح الهمزة، والخاء المعجمة غير ممدود، أى بآخر أمره.

٥٦٣ ـ وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما أنه قال: كلمات لا يتكلم بهن أحد فى مجلس حق أو مجلس باطل عند قيامه ثلاث مرات إلا كفَّر بهن عنه. ولا يقولهن فى مجلس خير ومجلس ذكر إلا ختم الله له بهن كما يختم بالخاتم على الصحيفة: سبحانك اللهم وبحمدك لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك. رواه أبو داود، وابن حبان فى صحيحه.

ويقول تحت عنوان: الترغيب فى قول لا إله إلا الله وما جاء فى فضلها.

٥٦٤ ـ عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قلت: يارسول الله من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة؟ قال رسول الله ﷺ: لقد ظننت يا أبا هريرة أن لا يسألنى عن هذا الحديث أحد أول منك لما رأيت من حرصك على الحديث: أسعد الناس بشفاعتى يوم القيامة من قال: لا إله إلا الله خالصا من قلبه أو نفسه. رواه البخارى.

٥٦٥ ـ وعن جابر رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال: أفضل الذكر لا إله إلا الله: وأفضل الدعاء، الحمد لله. رواه النسائى وابن ماجه، وصححه ابن حبان والحاكم.

٥٦٦ ـ وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: أكثروا من شهادة أن لا إله إلا الله قبل أن يحال بينكم وبينها. رواه أبو يعلى بسند جيد (الترغيب والترهيب / ١٦٠ ـ ١٦٥).

ويعقد الإمام الرازى فصلا هو الفصل السادس فى كتابه «شرح أسماء الله الحسنى» يبسط القول فيه على ما يدل على فضل ذكر الله تعالى بأسمائه وصفاته جاء فيه ما يلى:

ويدل عليه القرآن والأخبار والعقول، أما القرآن فآيات إحداها قوله تعالى ﴿**ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها**﴾ [الأعراف: ١٨٠] واعلم أنه تعالى وصف أسماءه بالحسنى فى أربع آيات أولها قوله تعالى فى سورة الأعراف ﴿**ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون فى أسمائه سيجزون ما كانوا يعملون**﴾ [الأعراف: ١٨٠] والثانية قوله تعالى فى آخر سورة الإسراء: ﴿**قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أياما تدعوا فله الأسماء الحسنى**﴾ [الإسراء: ١١٠] والثالث قوله فى طه ﴿**الله لا إله إلا هو له الأسماء الحسنى**﴾ [طه: ٨]

والرابعة قوله فى سورة الحشر: ﴿ هو الله الخالق البارىء المصور له الأسماء الحسنى﴾ [الحشر: ٢٤] واعلم أن الحسنى تأنيث الأحسن كالكبرى والصغرى.

وفى وصف الأسماء بالحسنى وجوه. الأول أنها دالة على معان حسنة لأن أكمل الصفات وأجلها وأعلاها هى صفات الله تعالى، والثانى: المراد بالأسماء هاهنا الأوصاف الحسنة وهى الوصف بالوحدانية والجلال والعزة والإحسان وانتفاء شبه الخلق، وأما قوله: ﴿وذروا الذين يلحدون فى أسمائه﴾ [الأعراف: ١٨٠] فاعلم أن الإلحاد فى اللغة هو الزيغ والميل والذهاب عن سنن الصواب، ومنه يسمى الملحد ملحدا لأنه مال عن طريق الحق، ومنه اللحد فى القبر، إذا عرفت هذا فنقول الإلحاد فى أسماء الله تعالى يحتمل وجوها.

الأول: أن يوصف بما لا يجوز وصفه به كقول النصارى إنه جوهر وإنه أب المسيح، وقول الكرامية إنه جسم، أو يسلب عنه ما كان ثابتا له كقول المعتزلة ليس لله علم وقدرة وحياة، مع أنه أثبت العلم لنفسه فى قوله: ﴿أنزله بعلمه﴾ [النساء: ١٦٦] ﴿ولا تضع إلا بعلمه﴾ [فاطر: ١١] ﴿إن الله عنده علم الساعة﴾ [لقمان: ٣٤] ﴿ولا يحيطون بشىء من علمه﴾ [البقرة: ٢٥٥].

والثانى: أن الإلحاد في أسمائه مثل تسمية الأصنام بالآلهة واشتقاقهم اللات من الله والعزى من العزيز، ومن الآيات الدالة على فضل الذكر قوله ﴿اذكرونى أذكركم واشكروا لى ولا تكفرون﴾ [البقرة: ١٥٢] كلفنا فى هذه الآية بأمرين الذكر والشكر فقدم الذكر على الشكر لأن الذكر اشتغال به والشكر اشتغال بنعمته، واعلم أن الذكر على ثلاثة أقسام: ذكر باللسان وبالقلب وبالجوارح، فأما الذكر باللسان فهى الألفاظ الدالة على التحميد والتسبيح، وأما الذكر بالقلب فعلى ثلاثة أنواع أحدها أن يتفكر الإنسان فى دلائل الذات والصفات. وثانيها: أن يتفكر الإنسان فى دلائل التكاليف من الأمر والنهى والوعد والوعيد، ويجتهد حتى يقف على حكمها وأسرارها، وحينئذ يسهل عليه فعل الطاعات وترك المحظورات. وثالثها أن يتفكر الإنسان فى أسرار مخلوقات الله تعالى حتى تصير كل ذرة من تلك الذرات كالمرآة المجلوة المحاذية لعالم الغيب، فإذا نظر العبد بعين عقله إليها وقع شعاع بصره الروحانى منها على عالم الجلال، وهذا مقام لا غاية له وبحر لا ساحل له.

وأما ذكر الله تعالى بالجوارح فهى أن تصير الجوارح مستغرقة فى الطاعات وخالية عن المنهيات وبهذا التفسير سمى الله تعالى الصلاة ذكرا فقال: ﴿فاسعوا إلى ذكر الله﴾ [الجمعة: ٩] إذا عرفت ما ذكرناه علمت أن قوله تعالى ﴿فاذكرونى أذكركم﴾ يتضمن الأمر بجميع الطاعات، فأما قوله ﴿أذكركم﴾ فلا بد من حمله على إعطاء جميع الكرامات والخيرات، فأولها الثواب الذى هو الغاية القصوى فى طلب أرباب الشريعة، ثم التعظيم الذى هو الغاية القصوى لطلب أرباب الطريقة، ثم الرضوان الذى هو الغاية القصوى لطلب أرباب الحقيقة وقوله فى آخر سورة البقرة ﴿واعف عنا واغفر لنا وارحمنا﴾ [البقرة: ٢٨٦] إشارة إلى هذه المراتب، وقوله فى آخر الواقعة ﴿فروح وريحان وجنة نعيم﴾ [الواقعة: ٨٩] إشارة إليها.

واعلم أن الناس ذكروا عبارات فى تفسير هذه الآية (١) اذكرونى بالنعمة أذكركم بالرحمة (٢) اذكرونى بالدعاء أذكركم بإعطاء الآلاء والنعماء، دليله قوله ﴿ادعونى أستجب لكم﴾ [غافر: ٦٠] اذكرونى فى الدنيا أذكركم فى العقبى (٤) اذكرونى فى الخلوات أذكركم فى الفلوات (٥) اذكرونى فى الرخاء أذكركم فى وقت الرجاء (٦) اذكرونى بطاعتى أذكركم بمعونتى (٧) اذكرونى بالصدق والإخلاص أذكركم بالخلاص ومزيد الاختصاص (٨) اذكرونى بالربوبية فى الفاتحة أذكركم بالرحمة والمعونة فى الخاتمة (٩) اذكرونى بالخوف والرجاء أذكركم بالأمن والعطاء (١٠) اذكرونى بالصدق أذكركم بالرفق (١١) اذكرونى بالتوبة أذكركم بغسل الحوبة (١٢) اذكرونى بالإنابة أذكركم بالإجابة (١٣) اذكرونى بالندامة واشكروا لى بالسلامة أذكركم بالكرامة يوم القيامة وأحلكم دار المقامة.
(١٤) اذكرونى بالمجاهدة اذكركم بالهداية لقوله تعالى: ﴿والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا﴾ [العنكبوت: ٦٩] (١٥) اذكرونى بالشكر أذكركم بالزيادة لقوله تعالى: ﴿لئن شكرتم لأزيدنكم﴾ [إبراهيم: ٧] (١٦) اذكرونى بالصبر أذكركم بأوفى الأجر لقوله تعالى: ﴿إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب﴾ [الزمر: ١٠] (١٧) اذكرونى بالتوكل أذكركم

بالكفاية لقوله تعالى: ﴿ومن يتوكل على الله فهو حسبه﴾ (١٨) اذكروني بالإحسان أذكركم بالرحمة لقوله تعالى: ﴿إن رحمه الله قريب من المحسنين﴾ [الأعراف: ٥٦] (١٩) اذكروني بالاستغفار أذكركم بالمغفرة لقوله تعالى: ﴿ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما﴾ [النساء: ١١٠] (٢٠) اذكروني بمعرفتي أذكركم بمغفرتي (٢١) اذكروني بالتذلل أذكركم بالتطول (٢٢) اذكروني في السراء أذكركم في الضراء (٢٣) اذكروني بالطاعة أذكركم عند الساعة.

واعلم أنه تعالى لما أمر بالذكر في هذه الآية بين في سائر الآيات كيفية الذكر. منها أن يكون الذكر كثيرا فقال: ﴿والذاكرين الله كثيرا والذاكرات أعد الله لهم مغفرة وأجرا عظيما﴾ [الأحزاب: ٣٥] فختم أفعال الخير بالذكر وقال ﴿يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا﴾ [الأحزاب: ٤١] روى عبد الله بن بشر المازني قال «جاء رجل أعرابي إلى النبي ﷺ فقال أي الناس أفضل فقال ﷺ طوبى لمن طال عمره وحسن عمله، فقال يا رسول الله أي الأعمال أفضل فقال أن تفارق الدنيا ولسانك رطب بذكر الله».

وثانيها: أنه تعالى بين كيفية الذكر فقال ﴿الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم﴾ [آل عمران: ١٩١] أي في الليل والنهار والبر والبحر والسفر والحضر والغنى والفقر والصحة والمرض فلم يبق لابن آدم حال رابعة.. وقال أيضا: ﴿فاذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم﴾ [النساء: ١٠٣] قال بعض المحققين إن الله تعالى لم يفرض على أحد من عباده فريضه إلا جعل الله له حدا معلوما تنتهي إليه، وعذر أهلها في سائر الأحوال، إلا الذكر فإنه لم يجعل له حدا معلوما ينتهي إليه، ولم يعذر أحدا في تركه إلا من كان مغلوبا على عقله.

وثالثها: قال ﴿فاذكروا الله كذكركم آباءكم أو أشد ذكرا﴾ [البقرة: ٢٠٠] والعلماء ذكروا في هذا التشبية وجوها: الأول: كأنه يقول علمت من تقصيركم أنكم لا تذكروني كذكركم أولادكم فاذكروني كذكركم آباءكم. الثاني: أن ذكر الإنسان أباه يكون بالتعظيم وذكر الولد يكون بالشفقة، واللائق بحضرة الله هو التعظيم لا الشفقة. الثالث: أنت جئت من الأب في الظاهر ومن قدرتي في الحقيقة فأنت تحبني كما تحب أباك وأنا أحبك كما يحب الولد وإن كنت منزها عن الصاحبة والولد. الرابع: اذكروا الله كذكركم آباءكم أي بالوحدانية: لأن الابن لو نسب إلى غير الوالدين لاستنكف وتأبى، فلا تجعل لنفسك آلهة كثيرة واستح من إثبات الشركاء. والخامس: تذكر أباك للاستعانة به في المهمات، فاذكروني كما يذكر الطفل أباه عند نزول المهمات، السادس: قال ابن عباس إذا ذكر أبوك بسوء تغضب، فكذا إذا ذكر الله بسوء يجب أن تغضب. السابع: أول ما يتكلم الصبي بقوله إيابه فكذا يجب أن يكون ذكر الله تعالى في أول كلامك. الثامن: أنك تكون أبدا رطب اللسان بمناقب الأب، فكذلك يجب أن تكون أبدا رطب اللسان بتسبيح الله تعالى وتمجيده.

ورابعها: ذكر في آيات أخرى حكمة الذكر وهي من وجهين أحدهما قوله ﴿ألا بذكر الله تطمئن القلوب﴾ [الرعد: ٢٨] وفي تفسير هذه الآية وجهان أحدهما أن ما سوى الحق ممكن لذاته والممكن لذاته يحتاج إلى غيره فالممكن لذاته واقف عند نفسه بل واقف بغيره، فلا جرم ما دمت تنظر إلى الممكن من حيث هو امتنع وقوفك، أما الواجب لذاته فإنه مقطع الحاجات فامتنع الانتقال منه إلى غيره، فالطلبات تنقطع عند فضله والحاجات تزول عند التعلق به، فلهذا قال ﴿ألا بذكر الله تطمئن القلوب﴾. الثاني: أن جهات حاجات العبد غير متناهية والمخلوقات متناهية والمتناهي لا نسبة له إلى غير المتناهي، فإذا حاجة العبد لا تزول بمجموع المخلوقات، بل لا بد في مقابلة حاجاته التي لا نهاية لها من كرم وقدرة لا نهاية لهما وما ذاك إلا للحق سبحانه وتعالى، فلهذا قال ﴿ألا بذكر الله تطمئن القلوب﴾.

الحكمة الثانية للذكر: قوله تعالى: ﴿إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون﴾ (الأعراف: ٢٧] ففائدة الذكر إزالة الظلمة البشرية، وذلك لأن ما سوى الحق ممكن لذاته والممكن لذاته إذا ترك من حيث هو هو بقي على العدم والعدم منبع الظلمة، فكل ما سوى الله مظلم في ذاته، والحق واجب الوجود لذاته، فحضرته منبع الأنوار، فلا جرم كان الاشتغال بحضرة القدس وجناب الجلال يفيد وصول أنوار عالم الربوبية إلى باطن القلب فتزول ظلمات البشرية عن القلب والروح.

واعلم أنه تعالى كما بيَّن منافع الذكر بيَّن أيضا مفاسد الإعراض عن الذكر وهى أمور أربعة. الأول: قوله **﴿ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى * قال رب لم حشرتنى أعمى وقد كنت بصيرا * قال كذلك آتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تُنسى﴾**[طه: ١٢٤ - ١٢٦] وهذه الآيات صريحة فى أن ذكر الله بالنسبة إلى القلب كنسبة النور الباصر إلى الحدقة المعروفة، والثانى قال **﴿ومن يَعْشُ عن ذكر الرحمن نقيِّض له شيطانا فهو له قرين﴾** [الزخرف: ٣٦] وتحقيقه أن الشهوة والغضب والوهم والخيال كلها تدعو الإنسان إلى الاشتغال بالجسمانيات وذلك ضد الاشتغال بخدمة الله تعالى، والشىء كلما كان إلى أحد الضدين أقرب كان عن الضد الآخر أبعد، فهذه القوى لما كانت داعية إلى الجسمانيات والقرب من الجسمانيات بعد عن الروحانيات فهذا البعد هو المعنىُّ من قوله: **﴿ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين﴾** الثالث قوله تعالى **﴿ومن يعرض عن ذكر ربه يسلكه عذابا صعدا﴾** [الجن: ١٧] الرابع قوله تعالى **﴿يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله ومن يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون﴾**[المنافقون: ٩] ومما يدل على أن الذكر فى غاية الشرف أنه سبحانه وتعالى لما أراد أن يشرح علو درجة الملائكة فى مقام العبودية مدحهم بالذكر فقال **﴿فإن استكبروا فالذين عند ربك يسبحون له بالليل والنهار وهم لا يسأمون﴾** [فصلت: ٣٨] وقال تعالى: **﴿لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون * يسبحون الليل والنهار لا يفترون﴾** [الأنبياء: ١٩، ٢٠] وقال أيضا **﴿لا يستكبرون عن عبادته ويسبحونه وله يسجدون﴾** [الأعراف: ٢٠٦] وقال **﴿وترى الملائكة حافين من حول العرش يسبحون بحمد ربهم﴾** [الزمر: ٧٥] وقال **﴿ويؤمنون به ويستغفرون للذين آمنوا﴾** [غافر: ٧] هذا فى حق الملائكة، وأما فى حق البشر فقال **﴿فى بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال * رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله﴾** [النور: ٣٦، ٣٧] وقال لمحمد عليه الصلاة والسلام: **﴿سبح اسم ربك الأعلى﴾** وقال تعالى: **﴿وسبح بحمد ربك بالعشى والإبكار﴾** [غافر: ٥٥] وتمام الكلام فى آيات التسبيح وفوائدها مذكور فى أسرار التنزيل.

وأما الآثار (كان الأصح أن يقول: وأما السنة لأنه سيذكر الآثار فيما بعد) فأحدها ما روى الأعمش عن أبى صالح عن أبى هريرة رضى الله عنهم قال قال رسول الله ﷺ (قال الله تعالى أنا عند ظن عبدى بى وأنا معه، إذا ذكرنى فى نفسه ذكرته فى نفسى، وإن ذكرنى فى ملأ ذكرته فى ملأ خير منهم، وإن تقرب منى شبرا تقربت منه ذراعا، وأن تقرب منى ذراعا تقربت منه باعا، وإن أتانى يمشى أتيته هرولة) وثانيها: قال عليه الصلاة والسلام «إذا ذكر العبد ربه كتب الله له ذلك فى صحيفته ثم يعارض الملائكة يوم الخميس فيريهم الله ذكر عبده له بقلبه، فتقول الملائكة ربنا كل عمل هذا العبد أحصيناه أم هذا فلا نعرفه، فيقول الله تعالى إن عبدى ذكرنى بقلبه فأثبته فى صحيفته، فذلك قوله تعالى **﴿إنا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون﴾** [الجاثية: ٢٩] وثالثها قوله عليه الصلاة والسلام «ذكر الله علم الإيمان وحصن من الشيطان وبراءة من النفاق وحرز من النار» ورابعها قوله عليه الصلاة والسلام «مامن عبد يضع جنبه على الفراش ويذكر الله إلا كُتب ذاكرا إلى أن يستيقظ» وخامسها روى عن عمر رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ «يارب وددت أن أعلم من تحب من عبادك فأحبه، فقال إذا رأيت عبدى يكثر ذكرى فأنا أحبه، وإذا رأيت عبدى لا يذكرنى فأنا أبغضه» وسادسها: عن أبى هريرة عن النبى ﷺ قال «سبق المغردون، قيل ومن المغردون (فى مصادر أخرى «المفردون» بالفاء) قال المشتهرون بذكر الله يضع الذكر عنهم أثقالهم فيأتون يوم القيامة خفافا».
وسابعها: عن أبى الدرداء عن النبى عليه الصلاة والسلام «ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها وأرضاها عند مليككم وأرفعها فى درجاتكم قالوا بلى. وما ذاك يانبى الله قال ذكر الله» وثامنها: قال عليه الصلاة والسلام «من عجز عن الليل أن يكابده وعن المال أن ينفقه وعن العدو أن يجاهده فليكثر ذكر الله». وتاسعها: روى أن موسى عليه السلام قال يارب كيف يمكننى أن أعرف من أحببت ممن أبغضت؟ قال يا موسى إذا أحببت عبدا جعلت فيه علامتين قال يارب وما هما؟ قال ألهمته ذكرى لكى أذكره فى ملكوت السماء، وعصمته من محارمى لئلا يحل عليه عقابى وسخطى. وعاشرها: عن عبد الله بن بشر المازنى قال «جاء أعرابى إلى النبى ﷺ فقال أى الناس خير؟ فقال طوبى لمن طال عمره وحسن عمله، فقال

يارسول الله أى الأعمال أفضل؟ فقال أن تفارق الدنيا ولسانك رطب من ذكر الله».

وأما الآثار فأحدها قال كعب: نجد فى كتب الله المنزلة على الأنبياء عليهم السلام أن الله تعالى يقول: من شغله ذكرى عن مسألتى أعطيته أفضل ما أعطى السائلين. قلت: والبرهان العقلى يصدق ذلك وبيانه من وجهين: الأول: أن من كان مشغولا بذكر الله فقد أعطى الاستغراق فى معرفة الله تعالى والإعراض عن غير الله تعالى، ومن كان مشغولا بالسؤال أعطى استغراقا فى حب غير الله والإعراض عن الله، ولا شك أنه لا نسبة للأول إلى الثانى.

الوجه الثانى: أن الخليل عليه الصلاة والسلام كانت له حالتان حالة البداية وحالة النهاية، أما حالة البداية فهى أنه لما أراد السؤال قدم الثناء على السؤال فقال: ﴿الذى خلقنى فهو يهدين * والذى هو يطعمنى ويسقين * وإذا مرضت فهو يشفين * والذى يميتنى ثم يحيين﴾ [الشعراء: ٧٨ ــ ٨١] فهذه الأربعة كلها ثناء على الله، ثم مزج السؤال بالثناء فقال ﴿والذى أطمع أن يغفر لى خطيئتى يوم الدين﴾ [الشعراء: ٨٢] ثم صرح بعده بالسؤال فقال ﴿رب هب لى حكما وألحقنى بالصالحين﴾ [الشعراء: ٨٣] ولما فعل إبراهيم عليه الصلاة والسلام ذلك وكان النبى ﷺ مأمورا بمتابعته فى قوله ﴿أن اتبع ملة إبراهيم حنيفا﴾ [النحل: ١٢٣] لا جرم أنزل الله تعالى سورة الفاتحة على هذا الترتيب، وذلك لأن هذه السورة هى معراج المتعبدين فقال ﴿الحمد لله رب العالمين * الرحمن الرحيم* مالك يوم الدين﴾ [الفاتحة: ٢ ــ ٤] وهذا كله ثناء محض ثم قال ﴿إياك نعبد وإياك نستعين﴾ وهذا كله ثناء ممزوج بالسؤال ثم قال: ﴿اهدنا الصراط المستقيم﴾ [الفاتحة: ٥] إلى آخر السورة، وهو سؤال محض، فهذا هو الإشارة إلى بداية حال إبراهيم عليه الصلاة والسلام. وأما نهاية حاله فاعلم أنه قد اقتصر على الذكر وترك الطلب إلا على سبيل الرمز، فقال حين رمى فى المنجنيق إلى النار حسبى من سؤالى علمه بحالى، فهذا نهاية حال الخليل عليه الصلاة والسلام. وأما الحبيب صلوات الله وسلامه عليه، فإنه جعل نهاية إبراهيم عليه الصلاة والسلام بداية لحالة نفسه فقال: «أعوذ بعفوك من غضبك وأعوذ برضاك من سخطك وأعوذ بك منك لا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك» وفى هذه الكلمات مباحثات. أحدها: أن الألفاظ الثلاثة الأول أثنية ممزوجة بالطلب، ومتى كان الإنسان فى مقام الطلب كان مشغولا بنفسه، فعزل نفسه وانقطع نظره عن نفسه فقال «لا أحصى ثناء عليك» ثم لما صار فانيا عما سوى الله وصار باقيا فى الله قال «أنت كما أثنيت على نفسك».

وثانيها: قال بعضهم إنه عليه الصلاة والسلام إنما ذكر هذه الكلمات ليلة المعراج بين الجنة والنار فقال لا ألتفت إلى الجنة فإنها لو كانت نافعة بنفسها لم يقع لآدم فيها زلة، ولا ألتفت إلى النار إذ لو كانت محرقة بذاتها لما صارت بردا وسلاما على إبراهيم، ولكن أترك جنتك وأتمسك بعفوك وأترك النار وأخاف عقابك.

فلما أحس أن الجنة قائمة برضا المولى، وأن النار قائمة بسخط المولى أعرض عن الجنة والنار ورجع إلى صفة الملك الجبار، ثم وقع فى قلبه أنه كما أن قيام الجنة برضاه وقيام النار بسخطه، فذلك الرضا والسخط صفتان والصفة قيامها وقوامها بالموصوف، فترقى عن الصفة إلى الموصوف فقال: «أعوذ بك منك» وفيه لطائف. الأولى: معناه لو كان ها هنا غيرك لاستعذت به خوفا منك لكنه ليس فى الوجود إلا أنت فلا استعذت منك إلا بك. الثانية: أن الشكاية على ثلاثة أوجه: الشكاية من الحبيب إلى غير الحبيب وذلك يقتضى البراءة من الحبيب، والشكاية من غير الحبيب إلى الحبيب وهى تقتضى التشريك في المحبة أما الشكاية من الحبيب إلى الحبيب فهو عين التفريد والتوحيد، ثم هذه الشكاية ظاهرها شكاية وباطنها شكر؛ لأن معنى هذه الشكاية أنه ليس لى بد منك وليس لى أحد سواك، ولهذا قال أيوب عليه الصلاة والسلام ﴿أنى مسنى الضر﴾[الأنبياء: ٨٣] ثم إن الحق سبحانه قال ﴿إنا وجدناه صابرا نعم العبد﴾ [ص: ٤٤] كأنه قيل إن كان قد شكا منا إلى غيرنا صار هذا قدحا فى كونه صابرا لكنه شكا منا إلينا فبقى صابرا كما كان، فإنه لم يقل يا أيها الناس إنى مسنى الضر، بل نادى ربه أنه مسنى الضر، فعرض عجزه على قدرة مولاه وذله على عزته وحاجته على غناه، والثالث: قال أعوذ بك منك، والباء حرف الوصل ومن لابتداء الحركة والانفصال، فكأنه عليه الصلاة والسلام استعاذ بالوصال عن الفراق، وصار التقدير منهما إن عذبتنى فلا تعذبنى بذل الفراق.

ثم إنه عليه الصلاة والسلام لما ذكر هذه الكلمات فكأنه قيل له هذه الأثنية وإن كانت عالية الدرجة لكنها غير لائقة بك من وجوه. الأول: إن كلها يدل على طلب حصة النفس. والثاني: أنه إن كان التقدير هو الوصال فأى فائدة في السؤال، وإن كان التقدير هو الفراق فأي فائدة لهذا السؤال؟! والثالث: إنا عصمناك قبل وجودك عن ذل الفراق والحجاب فلما عصمناك من هذه المحنة قبل السؤال فما فائدة هذا السؤال، فعند هذا قال لا أحصى ثناء عليك، وهذا اعتراف بأن علم الخلق فى حضرته جهل وقدرتهم عجز وفصاحتهم عيٌّ وكأنه قيل له مرة أخرى: أنت فى المقام الأول كنت مشتغلا بقدرتك على الاستعاذة وفى هذا المقام صرت مشتغلا بعجزى عن الاستعاذة، فأنت فى الحالين مشغول بصفاتك.

وما لم ينقطع نظر الرجل عما سوى الله تعالى لا يصل إلى الله تعالى، فعند هذا قال «أنت كما أثنيت على نفسك» فقوله «لا أحصى» نفى وقوله «أنت كما أثنيت على نفسك» إثبات، وهذا الأمر لا يتم إلا بالنفى والإثبات، ثم عبر عن ذلك النفى بكلمة «لا» وعن ذلك الإثبات بكلمة «إلا» فصار المجموع قوله «لا إله إلا الله» فصار هذا معراجا لعامة العالمين، كما أن الأول معراج لسيد المرسلين، ولنرجع إلى الآثار الدالة على فضيلة الذكر.

الثانى: قال الضحاك بن قيس: اذكره فى الرخاء يذكرك فى الشدة، فإن يونس عليه السلام لما ذكره حين وقع فى البلاء صار سجنه مفتوحا وذكره مقبولا لأجل أنه كان ذاكرا قبل زمان البلاء، بدليل قوله سبحانه وتعالى **﴿فلولا أنه كان من المسبحين * للبث فى بطنه إلى يوم يبعثون﴾** [الصافات: ١٤٣، ١٤٤] وأما فرعون فإنه ما ذكره إلا عند نزول البلاء وهو وقت الغرق، فلا جرم ما صار مقبولا بدليل قوله **﴿الآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين﴾** [يونس: ٩١]

الثالث: قال بعض المشايخ للذكر خواص أربع: أحدها: الدوام، قال الله تعالى **﴿الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم﴾** [آل عمران: ١٩١] والثانى كونه كبيرا قال الله تعالى **﴿ولذكر الله أكبر﴾** [العنكبوت: ٤٥] والثالث الذكر بالذكر قال الله تعالى **﴿اذكرونى أذكركم﴾** [البقرة: ١٥٢] والرابع كثرته قال الله تعالى **﴿والذاكرين الله كثيرا﴾** [الأحزاب: ٣٥] قال بعضهم: إن الله تعالى سمى أربعة أشياء أكبر: الجنة قال **﴿والآخرة أكبر درجات﴾** [الإسراء: ٢١] والعذاب قال تعالى **﴿ولعذاب الآخرة أكبر﴾** [الزمر: ٢٦] والرضوان قال تعالى **﴿ورضوان من الله أكبر﴾** [التوبة: ٧٢] والذكر قال تعالى **﴿ولذكر الله أكبر﴾**[العنكبوت: ٤٥] ثم نقول الجنة والنار من أفعال الله تعالى، والرضوان والذكر من صفات الله، ولا شك أن صفة الله تعالى تكون أعظم من فعله وخلقه.

الخامس: علق أربعة بأربعة الوفاء بالوفاء **﴿وأوفوا بعهدى أوف بعهدكم﴾** [البقرة: ٤٠] والفسحة بالفسحة **﴿فافسحوا يفسح الله لكم﴾** [المجادلة: ١١] والمحبة بالمحبة **﴿إن كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله﴾** [آل عمران: ٣١] والذكر بالذكر **﴿اذكرونى أذكركم﴾** [البقرة: ١٥٢].

السادس: قيل الذكر على سبعة أنواع، ذكر العينين بالبكاء، وذكر الأذنين بالإصغاء، وذكر اللسان بالحمد والثناء، وذكر اليدين بالبذل والعطاء، وذكر البدن بالجهد والوفاء، وذكر القلب بالخوف والرجاء، وذكر الروح بالتسليم والرضاء.

السابع: قال على بن أبى طالب رضى الله عنه: الذكر بين الذكرين، والإسلام بين السيفين، والذنب بين فرضين. تفسيره أنه لا يقدر العبد على ذكر الله تعالى ما لم يذكره الله تعالى بالتوفيق عليه. ثم العبد إذا ذكر الرب تعالى فالرب تعالى يذكره مرة أخرى بالمغفرة، وقوله الإسلام بين السيفين أى يقاتل الكافر حتى يسلم فإذا أسلم وأراد أن يرجع عن الإسلام خوف بالقتل، وقوله والذنب بين فرضين أى فرض عليك أن لا تذنب فإذا أذنبت فرض عليك أن تتوب، كما قال تعالى **﴿يا أيها الذين آمنوا توبوا إلى الله توبة نصوحا﴾** [التحريم: ٨].

الثامن: قال على بن أبى طالب كرم الله وجهه كفى بى عزا أن أكون لك عبدا وكفى بى فخرا أن تكون لى ربا، إلهى وجدتك إلها كما أردت فاجعلنى عبدا كما أردت، ومن مناجاة يحيى بن معاذ الرازى: هذا سرورى بك فى دار الغربة فكيف سرورى بك فى دار القربة، هذا سرورى بك فى دار الخدمة فكيف سرورى بك فى دار النعمة، إلهى لا يطيب

الليل إلا بمناجاتك وطاعتك، ولا النهار إلا بالمواظبة على خدمتك وعبوديتك، ولا الدنيا إلا بذكرك، ولا الآخرة إلا ببرك. إلهى كيف أحزن وقد عرفتك، وكيف لا أحزن وقد عصيتك، إلهى كيف أدعوك وأنا الخاطىء اللئيم، وكيف لا أدعوك وأنت الرحيم الكريم.

التاسع: قيل حق على الإنسان أن لا يفتخر إلا بربه فإن بعض الناس يفتخرون بعبيد أمثالهم، فيقول أنا عبد فلان وصاحب فلان وصاحب دوابه ومتعهد لعياله، ثم يوم القيامة يفر بعضهم من بعض كما قال تعالى ﴿إذ تبرأ الذين اتُّبعوا من الذين اتَّبعوا﴾ [البقرة: ١٦٦] وقال تعالى ﴿ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيِّض له شيطانا فهو له قرين﴾ [الزخرف: ٣٦] ولكن أيها المسكين كن مواظبا على ذكر الله تعالى، فإن كل أحد يوم القيامة يقول نفسى نفسى، والجنة تقول أهلى أهلى، والنار تقول حقى حقى، والعبد يقول ربى ربى، والرب يقول عبدى عبدى.

العاشر: قال بعضهم: الناس يقولون الخباز لا يبيع الخبز بمجرد الكلام، والمولى يقول أنا لا أبيع الفردوس إلا بمجرد الكلام والدليل عليه قوله عليه الصلاة والسلام: «كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان فى الميزان» (الكلمتان هما: سبحان الله والحمد لله) وقال تعالى: ﴿والذاكرين الله كثيرا والذاكرات أعد الله لهم مغفرة وأجرا عظيما﴾ [الأحزاب: ٣٥].

(شرح أسماء الله الحسنى / ٤٧ - ٦١).

وقد ضمَّن الحكيم الترمذى مسائله مسألة فى الذكر ودرجاته، وهى المسألة الثالثة والستون، وهى مما يتصل بعلم التصوف، وقد جاء فيها ما يلى:

قال: الذكر غذاء المعرفة، والمعرفة حلوة نزهة، والقلب وعاؤها وخزانتها والصدر ساحته، والمعرفة ذات شعب: شعبة منها للجلال وشعبة للعظمة، وشعبة للرحمة، وشعبة للجمال، وشعبة للبهجة، وشعبة للسلطان، وشعبة للبهاء، وأصل هذه الشعب القدرة، ومن القدرة تتشعب هذه الشعب، ثم من كل شعبة منها تتشعب الأشياء.

فجوهر الذكر البهجة، فإذا بدا الذكر على القلب هاج الفرح، فلو لم يمازجه فرح النفس بها لطاب الذكر، ولكن النفس لما جاءت بمزاجها تكدر الفرح فانقطع المدد من المذكور فبقى الذكر مع كدورة الفرح، فأهل الصفاء يلتذون بالذكر لأن نفوسهم فى سجون القلب وسلطان المعرفة قد أحاطت بالنفس، فلا تقدر النفس أن تتحرك للمزاج والأخذ بنصيبها.

قال قائل: ذكرت المزاج، فصف لنا شيئا منه. قال: أما ظاهر المزاج فترى أحدهم فى الذكر يرقص وإن لم يرقص صفق بيديه، وإن لم يصفق حرك رأسه كالمعتوه، وإن لم يفعل ذلك تهادى بمنكبيه، فهذه الأفعال كلها من هيجان النفس والمزاج الذى أتت به.

وأما فى الباطن فالتفات القلب إلى الذكر، فذاك مزاج النفس فإن الذكر غير المذكور، فإذا كان الذكر من صاحب مرتبة ومجلس ونجوى فهناك انقطع عنه التفات القلب إلى الذكر، وبقيت عينا فؤاده شاخصتين إلى المذكور فهو مشغول به لا يتفرغ للالتفات إلى الذكر، فهؤلاء أهل صفاء الذكر، والذكر من الصدر، والعين إلى المذكور، واللذة فى الجوارح، فالنفس حينئذ مشغولة بلذة الجوارح، والقلب مشغول بالمذكور، والصدر معمور بالذكر.

وأصل الذكر فى القلب، وعمله بالفؤاد فى الصدر، فإذا خرجت المشيئة من باب الرحمة جرت الإرادة من باب الحكمة، هاج الذكر من ملك البهجة فثار ضوؤها إلى الصدر، فتراءى الضوء لعينى الفؤاد، فارتحل بعقله شاخصا إلى الله فصار ذلك الضوء مركبه إلى الله، والراكب عقله، فهذا هو الذكر. فالقلوب لها محلات، فمحلة العامة قلوبها محبوسة فى الجو لا تصعد لأن الشهوات قد ثقلتها، والهوى قد قيدها، وقلوب المريدين فى سيرهم فى منازلهم أين ما وقف فهو محله، وإنما قيده هواه، وثقله باقى شهواته.

وقلوب الواصلين فى محلاتهم عند العرش. وقد قيدهم باقى أهوائهم لا يصلون إلى مجالسه فى ملكه.

وقلوب أهل الصفو من الواصلين واصلة إليه فى مجالسه فذلك خالص النجوى وصافى الذكر، وهذا الصنف هم الذين قال موسى: «يا رب، أقريب فأناجيك أما بعيد فأناديك؟ قال: أنا جليس من ذكرنى». فالمجلس لهؤلاء.

فكل طبقة أصل الذكر لهم مما وصفنا بديا . وإنما ذكره بقدر ضوئه الذى خرج إلى صدره من معرفته ، فإنما تباينت المحلات لتباين المراكب ، لا يستوى من ركب حمارا دبرا بمن ركب فرسا عربيا ، فأهل الذكر على اختلاف طبقاتهم إنما ينال كل ذاكر من ذكر الله له على قدر ذكر العبد له ، وعلى قدر مركبه ، فالذكر يقرب العباد إلى الله ، لأنه مركب القلوب إلى الله ، فقربة الله إلى العبد على قدر قربة العبد إلى الله ، ولذلك قال : «إن تقرب منى شبرا تقربت إليه ذراعا» .

(جزء من حديث قدسي ، وصيغته المشهورة : (إذا تقرب إلىَّ عبدى شبرا تقربت إليه باعا ، وإن تقرب إلىَّ باعا تقربت إليه ذراعا ، وإذا جاءنى يمشى أتيته هرولة)والله أسرع إلى العبد من العبد إلى الله لأن سرعة الله إلى العبد بالفرح الصافى ، وسرعة العبد إلى الله بالفرح الممزوج ، لأن فرح الله بالعبد يخرج من باب الجود وهيجانه من حبه له ، وفرح العبد بالله يخرج من باب الضوء لأن الله غنى والعبد فقير ، فلذلك قال : «إن تقرب شبرا تقربت ذراعا» فأعلم العباد فى تنزيله شأن الذكر فقال : ﴿فاذكرونى أذكركم﴾ [البقرة : ١٥٢] فجعل ثواب الذكر ذكره للعبد : فالذكر هو ارتحال القلب إلى الله ، وذكر الله هو دنو الله من العبد ، فكل ذاكر إنما يحتظى من دنوه بقدر رحلته . وإنما ينال من الرحلة على قدر قوة الراحلة ، فراحلة تطير وراحلة تجمز وراحلة تسير على هينة ، وراحلة قطوف قعود تسير مرحلة فى يومين أو ثلاثة .

فانظر أين يبلغ الطائر ، وأين هذا إلى بلوغ هذا القطوف إلى الطائر وهذا الطائر قد أكل العرس كله ، وما بقى من نثارة العرس انتثر وتردى إلى هذا القطوف فى مكانه بمنزلة رجل على ذروة جبل يطعم طعاما فما تناثر من الذرو فأذرته الريح إلى سفح الجبل تناوله صاحب الراحلة القطوف ، وقد هيأ الله عرسا ، وملك العرس على عرشه طعمة للذاكرين وتزودا للمناجين ، ومشربا لأهل الصفوة كى يصدروا من عنده شباعا رواء أولئك الذين تناولوا الدنيا عن شبع ورواء فلم تضرهم أشبعهم طعام الحب ، وملأ عروقهم من حلاوته ، وأرواهم ماء الحياة فكلما تناولوا شيئا من الدنيا من مأكول أو مشروب أو ملبوس أو منكوح أو مركوب أو مبتذل كانت سمات الحب فى تلك الأشياء ظاهرة على قلوبهم فتلاشت حلاوة الأشياء فى حلاوة الحب الذى نالوا سماته فلم يضرهم لأن الضرر كان من حلاوة الأشياء ، فلما افتقدوا حلاوة الحب صارت الأشياء عليهم فتنة إن فرحوا بها صار الفرح بطرا وإن افتقدوها فحزنوا وأسفوا على فوتها جزعوا وعصوا الله فى جنبها ، فلما أشبعهم طعام الحب ماتت الرغبة منهم ، فلما أرواهم ماء الحياة مات الحرص منهم وقصر الأمل حتى صار العمر عندهم عدد الأنفاس ، كما قال رسول الله ﷺ حين اشترى أسامة جارية بمائة دينار إلى شهر ... : «إن أسامة لطويل الأمل ، والذى نفسى بيده إنى لأرفع اللقمة فما أظن أن أسيغها حتى أقبض ، وإنى لأرفع طرفى فما أظن أن شفرى يلتقيان حتى أقبض» (أخرجه الدارقطنى والبيهقى وأبو عوانة وضعفه البخارى ، راجع الأسرار المرفوعة بالأحاديث الموضوعة ص ٢١٩) .

وطبقة يصل إليهم من هذا العرس ريحه على المشام ، وطبقة وهى العامة تنال من هذه الريح كالخيال وكأثر الشىء فتقوى قلوبهم بذلك .

فالطبقة التى ولجت ملك العرش حتى أطلت عليه فصدرت شباعا رواء ، هم الذين وصفهم الله على لسان رسوله فقال : (من شغله ذكرى عن مسألتى أعطيته أفضل ما أعطى السائلين) راجع الحديث فى الترغيب والترهيب لكنه قال : من شغله القرآن ... إلخ .

وقال إن الترمذى رواه ، الترغيب ٢ / ٢٠٦ وكنز العمال ١ / ٤٣٤) فإنما شغله ذلك الطعام الذى أشبعه هناك فى العرس عن أن يذكر حاجة فيسأله لأنه شبع وروى ، فالشبعان ممتلىء لا يذكر شيئا لأنه قد سد أبواب الحاجة بشبعه ، فوعد من كان بهذه الصفة أن له عندى أفضل ما أعطى السائلين .

فإن قال له قائل : وما أفضل ما أعطى السائلين ؟ قال : الثبات وهو «الداشت» بالأعجمية ، فهذا حظه لا يناله إلا هذه الطبقة الواصلة فى ملك العرس الذين صدروا شباعا ، فإذا تخطوا هذا المحل إلى مالك الملك فصار المرعى بين يديه ، وهناك خلصوا إلى أصل العرش فطعموا من الجفنة ، ورتعوا بين يديه للمزاج والهناءة ، وهناك صاروا فى القبضة واستوجبوا

الثبات، وصاروا أمناء الله وخاصته، فهم أهل القبضة والذين يستعملهم، وهو قوله تبارك اسمه فيما حكى عنه رسوله ﷺ عن جبريل عليه السلام عن ربه تبارك وتعالى اسمه أنه قال: (فإذا أحببته كنت سمعه وبصره ويده ورجله، وفؤاده ولسانه، فبي يسمع وبي يبصر، وبي يبطش، وبي يمشي، وبي يعقل، وبي ينطق).

هذا جزء من حديث قدسي: (ما تقرب لي عبدي بأفضل مما افترضت عليه، وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه ... إلخ) فهذا عبد مرعي مكلوء محروس مربى بالعين، وهو من قوله تعالى: ﴿ولتصنع على عيني﴾ [طه: ٣٩] ودعوة الثبات هجيرا رسول الله ﷺ: (أي عادته وطبعه): «يا مقلب القلوب ثبت قلبي ...»

«يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك. أخرجه الإمام أحمد في مسند الإمام علي، تحقيق الساعاتي في باب الدعاء والحافظ في المغني وأقره الذهبي).

فأهل الثبات هجيراهم سؤال الثبات، وهم الذين يعلمون ما الثبات ومن أي ملك الثبات.

فالذاكرون تباينت طبقاتهم لاختلاف الأحوال في الذكر، فليس من أحد يذكر ربه، إلا وبُدُوّ ذلك الذكر من ربه، وذلك الذكر من الرب إذن للعبد في الارتحال إليه فإذا ذكر الله مبتديا فإنما ذكره من ملك البهجة، فذاك شوق الله إلى عبده ذكره ليهيج بذكره له من العبد ذكره فيهيج شوقه إلى الله كل على قدره.

فالعامة لا تقدر مطالعة هذا ولا تمييزه ولا تفطن لما يتردد في صدورهم من ذلك لأنهم في المرج والشجر الملتفة، وهي أشغال النفوس في الصدور، ولذلك قال رسول الله ﷺ: «تفرغوا من هموم الدنيا ما استطعتم فما أقبل عبد بقلبه على الله إلا أقبل الله بقلوب المؤمنين تفد إليه بالود والرحمة وكان الله بكل خير إليه أسرع»

(جاء في الجامع الصغير بالحديث أطول من هنا وقد اختصره الحكيم الترمذي. راجع الجامع الصغير ١ / ٣٣١، فقد أشار أن الحديث رواه الطبراني عن أبي الدرداء ورمز إليه بالضعيف).

فحثهم ﷺ على فراغ الصدر حتى يصير الصدر كمفازة جرداء حتى تبصر عينا الفؤاد ما يجري في الصدر من ضوء الذكر فيشرق، ولذلك قال رسول الله ﷺ في دعائه: «اللهم فرغ فؤادي لذكرك واغن قلبي من مفاقر الدنيا، وأعوذ بك من حب العيش عند حضرات الموت». (أخرجه الإمام أحمد في الثلاثيات عن ابن مسعود ٣ / ١٢٤) فإنما قال: تفرغوا من هموم الدنيا لأن أشغال الدنيا تصير في الصدر هموما فتصير كالمرج الشجراء الملتفة، فإذا فرغت فذلك التفريغ إنما هو لفؤادك ليبصر ضوء الذكر الهائج من القلب المضيء للصدر، فيرتحل إلى الله، وإنما يرتحل منه نور العقل ونور التوحيد المختلط بالبضعة، فإن العقل مسكنه في الدماغ وشعاعه وإشراقه متأد إلى نور التوحيد ومختلط في البضعة فذاك الذي يصير إلى الله فسمي ذلك قلبا لأنه نور العقل مختلط ببضعة القلب فنسبوا سيره إلى الله سير القلب ووصوله إلى المحل وصول القلب.

فالذكر الأول بُدُوُّه من الله من ملك البهجة اشتاق إلى الموحد لأنه محبوبه فهاج من الفرح الذي له بالعبد. فهاج العبد من العبد من معدن المعرفة، فأضاء الصدر فأبصرت عينا الفؤاد، . فارتحل القلب المختلط بلجمة الفؤاد إلى الله مشتاقا فصاروا على درجات وطبقات، فطبقة ذكرت ثم انقطع ذكرها ولم تقدر على الارتحال لثقل الشهوات، وجذب الهوى نفسه إلى الشهوات.

وطبقة ذكرت ثم ارتحل القلب فانقطع في بعض المسافة، فلما انقطع حاد يمينا وشمالا من حيث بلغ فلاحظ إحسانه وأياديه.

وطبقة ذكرت فارتحل القلب فجاوز مسافات الجو حتى وصل إلى القربة ثم انقطع هناك فحاد يمينا وشمالا فلاحظ المنن.

وطبقة ذكرت فارتحل القلب فصار إلى القربة ثم ولج ملكا من ملكه ثم انقطع فحاد يمينا وشمالا فلاحظ تدبيره.

وطبقة ذكرت فارتحل القلب إلى ملك الملك بين يديه، فلاحظ القدرة، ولم يقدر على ملاحظة القدر لأنه مستور عن الملائكة والرسل، فهذا المشغول بالله عاقه شغله بالله عن المسألة.

فذكر الله دنوه من العبد، فدنوه على قدر مصير العبد إليه

ولـذلك قال فيمـا روى عنـه: «أنـا مع عبدي مـا تحـركت بي شفتاه» (خرَّج العراقى الحديث فى الإحياء ونسبه إلى الحاكم والبيهقى وابن حبان وقـال: إنه صحيح الإسنـاد. الأحياء ٣ / ١٢٥).

فكل ذاكـر يرجع إليـه من ذكـره بما انتهى إليـه فمن انتهى ذكـره إلى محـل حـاد عنه إلى ذى الإحسـان رجـع إلى قلبـه بحلاوة الرحمة وغليل الـرأفة، ومن انتهى ذكره إلى محل حاد عنـه إلى ذكـر المنن رجـع إلى قلبـه بحـلاوة المحبـة البـارزة المحتظاة منها، ومن انتهى ذكره ـ إلى محل حاد عنه إلى ذكر التـدبير رجع إلى قلبـه بحـلاوة القربـة، ومن انتهى ذكـره إلى محل خلص إلى القدرة رجع قلبـه بحلاوة الفرح بـالله وحلاوة محبة الله البـاطنة، وهو الذى قـال رسول الله ﷺ: «إن الله إذا أحـب عبدا نادى: يا جبريل، إنى أحب فلانا فأحبوه، فينادى جبـريل فى السمـوات: ان الله قـد أحب فـلانـا ورضى عنـه فأحبـوه» (قال فى الجـامع الصغير: إن الحـديث رواه مسلم ورمز إليه بالصحة (الجامع الصغير ١ / ١٦٧).

حدثنا بذلك قتيبـة بن سعيد عن مالك بن أنس عن سهيل ابن أبى صـالح عن أبيــه عن النبى ﷺ، فليس هــذا الحب الموضـوع فى هذا الحـديث حب العـام لأن كل موحـد يحبه ربه، ولم يعطه التوحيد ولا مَنَّ بـه عليه إلا من حبه له، ولكن هــذا من الحب المخـزون عنــده لا المحتظى منـه لجميع الموحدين، والمخزون هذا الذى قال رسول الله ﷺ فيما روى عنه عن الله تبارك وتعالى أنه قـال: «ما تقرب إليَّ عبدى بمثل أداء مـا افترضت عليـه، وإن عبـدى ليتقـرب إلىَّ بعـد ذلك بـالنوافل حتى أحبـه، فإذا أحببتـه كنت سمعـه وبصره ويـده ورجله وفؤاده ولسـانه، فبى يسمع وبى يبصر وبى يبطش وبى يعقل وبى ينطق وبى يمشى» فهذا محبـوب يستعمله ربه وفى قبضته، ولـه الثبات من ربه ولـه الكلاءة والرعـاية، وروى عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إن الليل والنهار أربع وعشرون ساعة، ولله فى كل ساعة صدقة على عبيده، وما تصدق على امرىء بشىء أفضل من أن يلهمـه ذكـره» (أخـرجـه عبـد الـرزاق فى مصنفه ١٣ / ٢١).

فإلهام الذكر بُدُوُّ الذكر فإذا ذكره هاجت المعرفة فى القلب فيخـرج من هيجانـه الضـوء إلى الصدر فأبصـرتـه عينا الفـؤاد فارتحل عقله بديا فذاك الارتحـال ذكر القلب فذكر اللسان قد عم جميع الموحـدين وتناولوه إلا أن كل شىء يـرفع ثناؤه من معـدنه. ولـذلك قال رسـول الله ﷺ فيما روى عنـه: «إن من أمتى رجـالا الحـرف الواحـد من تسبيح أحـدهم يعـدل جبل أُحد» (أخرجه الـدارقطنى وابن عساكر والطبرانى فى المعجم ٣ / ٦ عن وهب بن منبه وضعفه الذهبى) وقال أيضا فيما روى عنه: «إن الـرجلين ليصليان جميعـا وبين صلاتيهمـا كما بين السماء والأرض» (يقول الدكتور الجيوشى محقق الكتاب: لم أعثر على هذا الحديث عند أحد ممن قرأت لهم غير الحكيم) فإنما برز الذكر على سائر الأعمـال لأن جوهر الذكر ما وصفنا بديا، ومن المعـرفة هاجت، ولذلك قـال معاذ بن جبل: «إن الذكر يزيد الإيمان شدة والقلوب حدة».

وروى عن رسول الله ﷺ أنـه قال: «ذاكـر الله فى الغافلين بمنزلـة الشجرة الخضـراء فى السنة الجـرداء» (جاء الحـديث بروايات مختلفة عند مسلم وأحمد والترمذى وأبى نعيم. راجع كشف الخفـاء ١ / ٤٢٠) حدثنـا إسمـاعيل بن نصر، قـال: حدثنا أصـرم بن حوشب، قال: حدثنا أبو سلمـة معاوية عن إسماعيل بن شعيب قال: قال رسول الله ﷺ: «من ذكر الله فى السوق تبسم الله إليـه، ومن تبسم الله إليه لم يعذبـه، ومن ذكر الله فى السوق ذكره الله بعدد من فى السوق».

حدثنا إسمـاعيل عن أبى نعيم عن سفيان عن أبى صالح الحنفى قـال: «إن الله ليضحـك إلى عبـده حين يـذكـره فى الأسـواق (أخـرج الحـديث أبـو يعلى فى مسنـده ٢ / ١٢١، والبيهقى فى السنن عن الحـارث بن أسـامـة وهـو ضعيف) (المسائل المكنونـة / ١٤٢ ـ ١٥٠) انظر مادة «الحكيـم الترمذى» فى م ١٤ / ٤٢٨ ـ ٤٣٦.

وقد أفـرد العارف بالله ابن عطاء السكنـدرى القسم الثانى من كتابه «القصد المجـرد» للكلام على «معرفة فضل أسم الله وشرف قـدره وشرح معـانى أسـراره واختصاص فـوائده وذكره» وجاء فيه ما يلى، وهو مما يتصل بعلم التصوف أيضا:

قال الله تعالى ﴿يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا * وسبحوه بكرة أصيلا﴾ [الأحزاب: ٤١، ٤٢] وقال عـز وجل ﴿الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم﴾ [آل عمران: ١٩١] قال رسول الله ﷺ «سبق المفردون قـالوا يارسول الله وما

المفـردون قال الـذاكـرين الله كثيرا والـذاكـرات» وقال عليـه الصلاة والسـلام عن الله تعالى «من شغلـه ذكرى عن مسئلتى أعطيه أفضل ما أُعطى السائلين» وقـال عليه الصـلاة والسلام «أشد الأعمال ثلاثة إنصـاف الرجل من نفسه ومواساة الأخ فى المـال وذكر الله عـز وجل». وقـال عليه الصـلاة والسلام «مـا عمل آدمى عمـلا أنجى له من عـذاب الله من ذكر الله» وقـال الحسن قلت أى الأعمـال أفضل يارسـول الله قال «أن تموت ولسانك رطب بذكر الله».

فانظر وفقك الله كيف جعل ذكر هذا الاسم اسم الله أفضل العبـادات لأن الله تعالى جعل لسـائر العبـادات مقدارا ووقتـا وزمانا. ولم يجعل لذكر هـذا الاسم مقدارا ولا وقتا ولا زمانا. وحض على الإكثار من ذكـره. فقال ﴿اذكروا الله ذكرا كثيرا﴾ [الأحزاب: ٤١] وقال ﴿والذاكرين الله كثيرا والذاكرات أعد الله لهم مغفرة وأجـرا عظيما﴾ [الأحزاب: ٣٥] وقال تعالى: ﴿واذكـروا الله كثيرا لعلكم تفلحـون﴾ [الأنفال: ٤٥] وقـال تعالى ﴿فاذكـروا الله كذكركم آباءكم أو أشـد ذكرا﴾ [البقرة: ٢٠٠].

وقـال رسول الله ﷺ «الـذاكـرون الله كثيـرا والذاكـرات هم السابقون والفائزون».

وروى أن فى التوراة مكتـوبا «استـوى الجبار بعزتـه فوق معاقد العـزِّ من عزِّه فاضطرب المـاء لهيبته ونادى الجليل جل جلاله أنا الله لا إله إلا أنا من ذكرنى ذكرته ومن سألنى أعطيته» ومنها أيضـا «قال يـا موسى أنـا الله القديم الأزلى خـالق مكة مفقر الـزنَّاة تارك تـاركى الصلاة عراة مغلى الأسعـار والأهواء مملـوءة ومُرخِّصهـا والأهـواء فارغـة ذلكـم الله ربكـم فاعبـدوه».

واعلم أن هـذا الاسم قد تقـدم الكلام عليه أولا فـى قسمه بنـور ما سمع من علمـه. وما فتـح الله به من إلهـامه وفهمـه. وإنما الحكمة فى تذكار ذكره. والحث على كثرة الذكر به دون غيـره وذلك لمحبة الله لـه. وتعظيمـه عنده. وعلو مقـداره، وتخصيص فضلـه وإظهـار شـرفـه على سـائر أذكـاره. ليقع التفكر فـى معانى أسراره. التـى تشرق على القلـوب والأبدان شموس أنواره وتـرسخ معرفة ذاكره. ويشتـد له حبه، وتكمل خصوصيته. ويـزداد به قربه. فإن من علامـة محبة المحبوب كثرة ذكره. ومن علامة المزيـد كثرة شكره. ومن علامة التوفيق اجتناب نهيه وامتثـال أمره. ومن علامة الـرضى الاستعمال فى الأوقات الفاضلة بصالحـات بره. وغلبة خيره على شره. وفى ذلك قال الشاعر:

كـــرِّر علىَّ الـــذِّكـــر مـن أسمـــائه
واجلـــوا القلـــوب بنـــوره وسنَـــائه
وَدِرِ الكُـــؤُس على النفـــوس فإنهـــا
تصبـــو إلـى المشـــروب مـن صَهْبَـــائه
اسمٌ بـــه الكـــون استفـــاد ضيـــاءه
فـى أرضـــه وفضـــائه وسمـــائه
حـــارت عقـــول القـــوم عنـــد صفـــاتـــه
نـــارت قلـــوب الخَلْق عنـــد ضيـــائه
وإذا تجلَّـى للقلـــوب جـــلالـــه
شعـــرت بســـر سنـــائه وبهـــائه
قـــرَّت قلـــوب المتقين بقـــربـــه
وعلـت على عليـــــائه وعـــلائه
عـــز اسمـــه للعـــارفيـن مُكـــررا
معـــروفـــة المعـــروف مـن آلائه

ومن تخصيص هذا الاسم المفـرد بالذكر أنه مـا من لفظة بالذكر من قل هـو الله أحد إلا وفيها تخصيص وإشارة ومعنى وفوائد عجيبـة. وأسرار وحكـم وعلوم ومعـارف جليلة غـريبة فههنا ﴿قل﴾ إشارة إلى الأمر ﴿هو﴾ إشارة إلى الإثبات لوجوده ﴿الله﴾ إشـارة لاسم ذات الألـوهيـة ﴿أحـد﴾ إشارة لإفراد الأحدية ﴿الله﴾ إشارة لذكر الاسم المفرد للتوحيد ﴿الصمد﴾ إشارة لتنـزيه الذات عن نفس البشـرية ﴿لم يلد﴾ إشارة إلى كمال التنزيه عمن سواه ﴿ولم يولد﴾ إشارة إلى إثبات الأزلية والقدم. ونفى السبقية والحدوث والعدم، وهى إشارة إلى عدم الضد، والشبيه، والنظير، والكفو، والند.

وسمى هذا الاسم بـالاسم المفرد لتكرار ذكـره وإفراده بين الاسم الآخر واسم الصمد. فاختص الحق سبحانه هذا الاسم الثانى وأفرده. وكرر ذكره ليذكر. كما خص الاسم باسم ذات الألوهية وبمعناها ظهر، وذكر فى الوجود واشتهر. فقال ﴿قل الله ثم ذرهم فى خوضهم يلعبون﴾ [الأنعام: ٩١] وقال ﴿وهو الله فى السمـــوات وفى الأرض﴾ [الأنعـام: ٣] أى معبـود. ومذكـور. ومحمود ومشكور. وجميع الخلق تحت أمـره ونهيه مقهور. يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور. ولا يخفى عليه شىء فيها من جميع الأمور.

وكذا الله أكبر. فيه خمسة أوجه. أحدها أن ذكر الله تعالى لنفسه، وتوحيده وتعظيمه وتمجيده، أكبر وأعظم من ذكر خلقه الضعفاء الفقراء وتوحيدهم له. لأنه هو الغنى الحميد.

الثانى أن ذكر هذا الاسم أعظم من ذكر غيره من أسمائه.

الثالث أن ذكر الله تعالى لعبده فى الأزل قبل كونه أعظم وأكبر إذا ذكره العبد فى الحال. وأسبق وأقدم وأتم وأسنى وأرفع وأشرف وأكرم. قال الله تعالى ﴿ولذكر الله أكبر﴾ الرابع إذا ذكر الله تعالى فى الصلاة أفضل وأكبر من ذكره فى غير الصلاة ومشاهدة المذكور فى الصلاة أعظم وأكمل وأكبر من الصلاة.

الخامس أن ذكر الله لكم بهذه النعم العظيمة، والمنن الجسيمة. وندبه إليكم بدعوته إياكم لطاعته أكبر من ذكركم له بالذكر عليها إذ لا تطيقون شكر نعمته.

ولهذا قال نبينا ﷺ «لا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك» معناه لا أطيق وكان أعلمهم وأشرفهم وأرفعهم قدرا وأفضلهم. فأظهر عجزه مع كمال علمه ومعرفته ﷺ.

ثم إن ما بعد توحيده شيء أعظم من الصلاة. ولهذا كانت ثانى قاعدة من قواعد الإسلام بقوله عليه الصلاة والسلام «بُنى الإسلام على خمس أن يوحد الله وإقام الصلاة» الحديث. وجعلت تكبيرة افتتاحها الله أكبر. ولم تجعل لغيره من الأسماء كلها. ولا يجوز غير ذلك لقول النبى ﷺ «تحريمها التكبير» وكذلك ذكر هذا الاسم فى الأذان. وفى كل تكبيرة للصلاة. فذكر هذا الاسم أفضل من جميع العبادات. وأقرب للمناجاة لا للصلاة ولا غيرها من أنواع الطاعات. وقد ورد فى الحديث عن الله عز وجل أنه قال « أنا جليس من ذكرنى» وقال «أنا عند ظن عبدى بى إذا ذكرنى فإن ذكرنى فى نفسه ذكرته فى نفسى وإن ذكرنى وحده ذكرته وحدى وإن ذكرنى فى ملأ ذكرته فى ملأ خير منه قال تعالى ﴿فاذكرونى أذكركم﴾ [البقرة: ١٥٢] ودليل تفضيله على الصلاة من نفس الآية قوله تعالى ﴿إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر﴾ [العنكبوت: ٤٥] وإنها كذلك وهى معظم الذكر ولكن ذكر الله أكبر منها ومن كل عبادة. لقوله تعالى ﴿ولذكر الله أكبر﴾ [العنكبوت: ٤٥] ولما روى أبو الدرداء عن النبى ﷺ أنه قال «ألا أخبركم بخير أعمالكم وأرفعها فى درجاتكم وأزكاها عند مليككم وخير لكم من إعطاء الذهب والورق وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم؟ قالوا بلى قال ذكر الله » ولقوله عليه الصلاة والسلام فى حديث معاذ بن جبل «ما عمل ابن آدم من عمل أنجى له من عذاب الله من ذكر الله» ومعنى ذكر الله سبحانه لعبده أن من ذكره بالتوحيد، ذكره بالجنة والمزيد. قال الله سبحانه ﴿فأثابهم الله بما قالوا جنات تجرى من تحتها الأنهار﴾ [المائدة: ٨٥] ومن ذكره باسمه المفرد أعنى «الله» ودعاه بإخلاص أجابه. قال الله تعالى ﴿وإذا سألك عبادى عنى فإنى قريب﴾ [البقرة: ١٨٦] الآية. ومن ذكره بالشكر ذكره بالمزيد. قال الله تعالى ﴿لئن شكرتم لأزيدنكم﴾ [إبراهيم: ٧] وما من عبد ذكره بذكر إلا ذكره بما يقابله عوضا له. فإن ذكره العارف بمعرفته، ذكره بكشف الحجاب لمشاهدته. وإن ذكره المؤمن بإيمانه، ذكره برحمته ورضوانه. وإن ذكره التائب بتوبته، ذكره بقبولها ومغفرته. وإن ذكره العاصى باعتراف زلته، ذكره بستره وأناته، وإن ذكره الفاجر بفجوره وغفلته، ذكره بعذابه ولعنته. وإن ذكره الكافر بكفره وجرأته، ذكره بعذابه وعقوبته. ومن هلله أجله. ومن سبحه أصلحه. ومن حمده أيده. ومن استغفره غفر له. ومن رجع إليه أقبل عليه فإن أحوال العبد كلها أربعة أحوال. منها أن يكون فى طاعة فيذكره برؤية المنة فى توفيقه لها. ومنها أن يكون فى معصية فيذكره بالستر والتوبة. ومنها أن يكون فى نعمة فيذكره بالشكر. ومنها أن يكون فى شدة فيذكره بالصبر.

وفى ذكر الله تعالى خمس خصال، رضى الله تعالى، ورقة القلب، وزيادة الخير، وحرز من الشيطان، ومنع من ركوب المعاصى. فما ذكره الذاكرون إلا بذكره لهم. وما عرفه العارفون إلا بتعريفه إياهم وما وحده الموحدون إلا بعلمه لهم وما أطاعه المطيعون إلا بتوفيقه لهم وما أحبه المحبون إلا بتخصيص محبته لهم. وما خالفه المخالفون إلا بخذلانه لهم. فكل نعمة منه عطاء. وكل محنة منه قضاء. وما أخفته السابقة أظهرته اللاحقة. وفى ذلك قال الشاعر:

يا فاضلا لم يزل ماذا أقول به ... وفضل ذكرك بالأعلام إذكار

بذكرك العبد خذ لى واهدنى رشدى ... فهديكم بطريق الرشد أنوار

وأهـد لى عمـلا تـرضـاه يـا أملى

واطلق لسـانى بـذكـر الحق إجهـار

واعلم أن كلمة التوحيد شيء بين النفى والإثبات . أولها لا إله وذلك نفى وتبرئة وجحد وكفر وإنكار. وآخرها إلا الله وذلك هو إنشاء وإثبات وإيمان وتوحيد ومعرفة وإسلام وشهادة وأنوار. فلا : تنفى الألوهية عما لا يستحقها ولا يجب له . وإلا الله إثبات الألوهية لمن يستحقها ويجب له حقيقة . وقد جمع معنى ذلك فى قوله تعالى ﴿**فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى**﴾[البقرة: ٢٥٦] ولا إله إلا الله هو للعامة طهارة لأفهامهم. من شبه خبالات أوهامهم. إثبات الوحدانية. ونفى الأثنينية. وهى للخاصة قوة فى أديانهم. وزيادة فى نور آمالهم بإثبات الذات والصفات، وتنزيهها عن تغير صفات الأحداث وطرو الآفات. وهو لخاصة الخاصة تنزيها عن ذكره ورؤية المنة والفضل بالشكر على شكرهم.

والناس فى التوحيد وذكره ثلاثة أصناف : صنف منهم عموما لأهل البداية. وهو التوحيد باللسان نطقا ومقالا واعتقادا وإخلاصا بأنوار شهادة التوحيد «لا إله إلا الله محمد رسول الله» وهو الإسلام وصنف خصوص وسط. وهو توحيد القلب تصريفا وصرفا واعتقادا وإخلاصا وهو الإيمان. وصنف خصوص الخصوص وهو توحيد العقل عيانا أو يقينا ومشاهدة وهو الإحسان .

وللذكر ثلاثة مقامات. ذكر باللسان. وهو ذكر عامة الخلق وذكر بالقلب. وهو ذكر خواص المؤمنين. وذكر بالروح. وهو لخاصة الخاصة. وهو ذكر العارفين بفنائهم عن ذكرهم وشهودهم إلى ذاكرهم. ومنته عليهم.

ولذاكر هذا الاسم المفرد أعنى الله حالات. حالة الوله والفناء. وحالة الحياة والبقاء. وحالة النعم والرضا...

روى أن فقيرا فى مجلس الشبلى رضى الله عنه صاح الله، فقال له الشبلى يا هذا إن كنت صادقا فقد اشتهرت، وإن كنت كاذبا فقد هلكت. وصاح رجل عند أبى القاسم الجنيد رحمه الله. فقال له الجنيد: يا أخى إن كان من ذكرته شاهدا لك وأنت حاضر معه، فقد هتكت الستر والاحترام والغيرة من شيم أوصاف المحب المستهام، وإن كنت ذكرته وأنت غائب عنه فذكر الغيبة غيبة والغيبة حرام. وحكى عن أبى الحسن الثورى رحمه الله أنه بقى فى منزله سبعة أيام لم يأكل ولم يشرب ولم ينم وهو يقول الله الله. وأخبر أبو القاسم الجنيد بحاله فقال أمحفوظ عليه أوقاته قيل له إنه يصلى الصلاة لوقتها فقال الحمد لله الذى حفظه ولم يجعل للشيطان عليه سبيلا. ثم قال لأصحابه قوموا بنا حتى نزوره فإما نفيده أو نستفيد منه. قيل فلما دخل عليه الجنيد قال يا أبا الحسن هو قولك الله الله بالله أم بنفسك فإن كنت القائل بالله فلست القائل له، فإنه المتكلم على لسان عبده. الذاكر نفسه بنفسه. وإن كنت القائل بنفسك فأنت مع نفسك فما معنى الوله. قال له الثورى نعم المؤدب أنت يا أستاذ فسكن ولهه :

ولهت بكم ذكـرا وحقًّـا لصبكم

يصيب بـذكـراكم ويفنى بكم عشقـا

فمن لم يجد شـوقـا إلى الحب غـالبـا

على العقل من وَجْد لعمـرى لقـد يشقى

ومـا الـذّكـر إلا أن يغيب بـذكـره

عن الـذّكـر فى المـذكـور من ولـه يلقى

ومـن كـان ذا عقل فليس لـه ذكْـرٌ

ومن غـاب عن ذكـر فَحقٌّ لـه يـرقى

واعلم أن الذكر هو التخلص من الغفلة والنسيان. بمداومة حضور القلب وإخلاص ذكر اللسان. مع رؤيته منه. السيد يجرى إطلاق الذكر على لسان العبد. وقيل الذكر هو الخروج من ميدان الغفلة إلى قضاء المشاهدة، على استيلاء الخوف وشدة المحبة وهيجان الشوق وقلة الغلبة. وحقيقة الذكر إفراد المذكور بغيبة الذاكر عن ذكره وفنائه فى المشاهدة والحضور لم يغيب مشاهدته فى مشاهدته فيشهد حقا بحق فيكون الله هو الذاكر والمذكور. فمن حيث جريان الذكر على لسان العبد كان ذاكرا له. ومن حيث تيسيره له وتسهيله على لسانه هو ذاكرا لعبده فما به ذكره. ومن حيث بعث الخاطر ابتدأ منه كان ذاكرا لنفسه على لسان عبده كما روى فى الحديث الصحيح أنه قال تعالى ﴿**كنت سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به ولسانه الذى ينطق به**﴾ الحديث وفى رواية أخرى ﴿**كنت له سمعا وبصرا ولسانا ويدا ومؤيدا**﴾ الحديث.

والذكر تختلف أنواعه وتتعدد. والمذكور واحد لا يتعدد.

ولا يتحدد. وأهل الذكر هم أحباب الحق من حيث اللوازم وهو على ثلاثة أقسام. ذكر جلى، وذكر خفى، وذكر حقيقى، فالذكر الجلى لأهل البداية وهو ذكر اللسان يصرف الشكر والثناء والحمد بتعظيم النعم والآلاء ورعى العهد وحسنته بعشرة إلى سبعين. والذكر الباطن الخفى لأهل الولاية وهو ذكر سر القلب بالخلاص من الفترة. والبقاء مع المشاهدة بلزوم مشاهدة الحضر وحسنته بسبعين إلى سبعمائة. والذكر الكامل الحقيقى لأهل النهاية. وهو ذكر الروح بشهود الحق إلى العبد. والتلخص من شهود ذكره ببقائه بالرسم والحكم وحسنته بسبعمائة إلى ما لا نهاية له بالتضعيف لأن المشاهدة فناء لا لذة فيها والروح له ذكر الذات. والقلب له ذكر الصفات واللسان له ذكر العادة للتعرضات.

فإذا صح ذكر الروح مكث القلب عن ذكره ذلك وذكر هيبة الذات. وفيه إشارة إلى التحقيق بالفناء. وإشعار بالقرب. وإذا صح ذكر القلب سكت اللسان وفتر عن ذكره وذلك ذكر الآلاء ونعمها أثر الصفات. وفيه إشارة إلى استدعاء وجود بقية دون فناء وإشعار تضعيف القبول. فإذا غفل القلب عن الذكر أقبل اللسان على الذكر عادة وتعرضا. ولكل واحد من هذه الأذكار آفة. فآفة ذكر الروح إطلاع سر القلب عليه وآفة ذكر القلب إطلاع النفس عليه. وآفة ذكر النفس التعرض للعلات. وآفة ذكر اللسان الغفلة والفتور وفى ذلك قال الشاعر:

هو الله فاذكره وسبح بحمده ... فلا ينبغى التسبيح إلا لمجده

عظيم له حق المحامد كلها ... فماذا عسى تقضيه أذكار عبده

لو البحر أضحى والبحار تمده ... مدادا ومحصى البحر عاد كمده

وأجهرت الأشجار تكتب حمده ... لإنفاد ما تحمده من دون عده

لزاد تسمى بالحميد وخلقه ... تسبح ما دام الوجود لمجده

ثم الناس فى الذكر على ثلاثة أقسام. عامة مفادون، وخاصة مجتهدون، وخاصة الخاصة مهتدون. فذكر العامة بداية للتطهير وذكر الخاصة وسط للتقدير. وذكر خاصة الخاصة نهاية للتبصير فذكر العامة بين نفى وإثبات. وذكر الخاصة إثبات فى إثبات وذكر خاصة الخاصة حق بحق إثبات الإثبات. من غير رؤية واسعة ولا التفات. فذكر الخائفين على وعيده. وذكر الراجين على وعده. وذكر الموحدين بتوحيده. وذكر المحبين على مشاهدته وذكر العارفين ذكره له لا بهم ولا لهم. فالعارف يذكر الله تشريفا وتعظيما. والعالم يذكر الله تنزيها وتمجيدا. والعابد يذكر الله خائفا وراجيا. والمحب يذكر الله ولَهًا. والموحد يذكر الله هيبة وإجلالا. والعامة تذكر الله عادة جارية. والعبد مقهور وللذكر مذكور. والمكلف غير معذور. وكيفية الذكر على ثلاثة أحوال. ذكر البداية للحياة واليقظة. وذكر التوسط للتنزيه والطهارة. وذكر النهاية للوصلة والمعرفة. فذكر الحياة واليقظة بعد التلبس بشروطه الإكثار من ذكر «ياحى ياقيوم لا إله إلا أنت». وذكر التطهير والتنزيه بعد التلبس بشروطه الإكثار من «حسبى الله الحى القيوم» وللذكر ثلاث مراتب. منها ذكر الغفلة وجزاؤه الطرد واللعن. وذكر الحضور قرب وزيادة وفضل. وذكر الاستغراق محبة ومشاهدة ووصل...

اعلم أن الذكر لا يخلو من ثلاثة أشياء إما ذكر اللسان بقرع باب الملك وهو كفارة ودرجات. وإما ذكر القلب بإذن مخاطب الملك وهو زلفا وقربات. وإما ذكر الروح بمكالمة الملك ومحادثته وهو حضور ومشاهدة. فالذكر باللسان والقلب غافل هو ذكر العادة العارى عن الزيادة. والذكر باللسان والقلب خاطر هو ذكر العبادة المخصوص بالإفادة. والذكر بكل اللسان وملء القلب هو الكشف والمشاهدة. ولا يعلم قدره إلا الله تعالى.

وروى (أن من أكثر فى بدايته من قراءة قل هو الله أحد نوَّر الله قلبه وقوى توحيده).

وروى البزار عن أنس بن مالك عن النبى ﷺ أنه قال «من قرأ قل هو الله أحد مائة ألف مرة فقد اشترى بها نفسه من الله تعالى ونادى مناد من قِبَلِ الله تعالى فى سمواته وفى أرضه ألا إن فلانا عتيق الله فمن له قبله تبعة فليأخذ من الله عز وجل».

وروى «أنه من أكثر من الاستغفار عمَّر الله قلبه وكثر رزقه

وغفر ذنبه ورزقه من حيث لا يحتسب وجعل له من كل ضيق فرجا ومخرجا ويؤتيه الدنيا وهى راغمة ولكل شىء عقوبة وعقوبة العارف الغفلة عن الحضور فى الذكر.

وفى الحديث الصحيح عن النبى ﷺ أنه قال «لكل شىء مصقلة ومصقلة القلب الذكر وأفضل الذكر لا إله إلا الله» وجلاء القلب وبياضه وتنويره بالذكر. وباب الفكر؛ فإن أرفع المجالس وأشرفها الجلوس مع الفكرة فى ميدان التوحيد والتوكل عمل القلب. والتوحيد قوله. وباب الذكر الفكر. وباب الفكر اليقظة. وباب اليقظة الزهد. وباب الزهد القناعة. وباب القناعة طلب الآخرة. وباب الآخرة التقوى وباب التقوى الدنيا. وباب الدنيا الهوى. وباب الهوى الحرص. وباب الحرص الأمل. والأمل هو الداء العضال الذى لا يبرأ. وأصل الأمل حب الدنيا. وباب حب الدنيا الغفلة. والغفلة هى غلاف على باطن القلب يتولد. والتوحيد هو الإكسير الذى لا يضر مع اسمه شىء. كما قيل «بسم الله الذى لا يضر مع اسمه شىء فى الأرض ولا فى السماء وهو السميع العليم» وأعظم التوحيد وليه وقلبه وجوهره توحيد هذا الاسم المفرد وإفراده ومعرفته (القصد المجرد/ ٦٨ ـ ٧٨).

أما عن الفتاوى فقد أورد الحافظ السيوطى المسألة التالية وأجاب عنها:

مسألة ـ «أذيبوا طعامكم بذكر الله والصلاة ولاتناموا عليه فتقسوا قلوبكم» هل هو وراد؟ وقد ذكر الشيخ نجم الدين الكبرا أن الذكر يقطع لقيمات الحرام هل له محمل؟ وهل هو جار على القواعد أم لا؟

الجواب ـ الحديث المذكور وارد أخرجه الطبرانى فى معجمه الأوسط، وابن السنى فى عمل يوم وليلة من حديث عائشة مرفوعا، وما ذكره الشيخ نجم الدين الكبرا جار على القواعد ومحمله على لقيمات يسيرة كما أشار إليه الشيخ بقوله لقيمات بالتصغير يأكلها الإنسان فى وقت غلبة الحرام على الدنيا كما فى زماننا هذا فإن ذلك يباح له من حيث الشرع كما نص عليه ابن عبد السلام. وغيره أنه لو عم الحرام الدنيا جاز للمسلم أن يأكل منه قدر القوت كما يباح للمضطر أكل الميتة وفى معناه قيل: لو كانت الدنيا دما عبيطا كان قوت المؤمن منها حلالا ومع كونه مباحا من حيث الشرع فإنه يورث ظلمة فى القلب ﴿قل لا يستوى الخبيث والطيب﴾ [المائدة: ١٠٠] فالذكر ينوره ويمحق تلك الظلمة كما أن الدواء يذهب الأخلاط المتولدة من الغذاء المذموم ويقطعها ﴿إن الحسنات يذهبن السيئات﴾ [هود: ١١٤].

كما أن للحافظ السيوطى رسالتين عن الذكر: الأولى بعنوان «إعمال الفكر فى فضل الذكر» وجاء فيها ما يلى عن الذكر والصدقة، بعد البسملة:

مسألة ـ فى الذكر والتسبيح والدعاء هل هو معادل للصدقة ويقوم مقامها فى دفع البلاء.

الجواب ـ الأحاديث والآثار صريحة فى ذلك وفى تفضيله على الصدقة، وأما كونه سببا لدفع البلاء فهو أمر لا مرية فيه فقد وردت أحاديث لا تحصى فى أذكار مخصوصة من قالها عصم من البلاء. ومن الشيطان. ومن الضر. ومن السم. ومن لذعة العقرب. ومن أن يصيبه شىء يكرهه، وكتاب الأذكار للشيخ محيى الدين النووى مشحون بذلك وكذا كتاب الدعاء للطبرانى. وللبيهقى فلا معنى للإطالة بذلك، وقد صح فى لا حول ولا قوة إلا بالله أنها تدفع سبعين بابا من الضر أدناها الفقر. وفى رواية أدناها الهم، وأخرج الحاكم ـ وصححه عن ثوبان مرفوعا ـ لا يرد القدر إلا الدعاء، وأخرج الحاكم أيضا من حديث عائشة مرفوعا الدعاء ينفع مما نزل ومما لم ينزل وإن البلاء لينزل فيتلقاه الدعاء فيعتلجان إلى يوم القيامة، وأخرج مثله من حديث ابن عمر. وأخرج أبو داود. وغيره عن ابن عباس مرفوعا من لزم الاستغفار جعل الله له من كل هم فرجا ومن كل ضيق مخرجا ورزقه من حيث لا يحتسب، وأخرج ابن أبى شيبة عن سويد بن جميل قال: من قال: بعد العصر لا إله إلا الله له الحمد وهو على كل شىء قدير قاتلن عن قائلهن إلى مثلها من الغد، وأخرج إسحاق ابن راهويه فى مسنده من طريق الزهرى قال: أتى أبو بكر الصديق بغراب وافر الجناحين فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ما صيد صيد ولا عضدت عضاه ولا قطعت وشيجة إلا بقلة التسبيح (الوشيجة ـ بالجيم ـ ما التف من شجر) وأخرجه أبو الشيخ فى كتاب العظمة من طريق ابن عون بن مهران عن أبى بكر موقوفا، وأخرج أبو نعيم فى الحلية مثله من حديث أبى هريرة، وأبو الشيخ فى العظمة نحوه من حديث

أبى الدرداء مرفوعا ما أخذ طائر ولا حوت إلا بتضييع التسبيح، ومن حديث أنس مرفوعا آجال البهائم كلها وخشاش الأرض فى التسبيح فإذا انقضى تسبيحها قبض الله أرواحها، ومن حديث يزيد بن مرثد مرفوعا لا يصاد شيء من الطير والحيتان إلا بما يضيع من تسبيح الله.

وأما تفضيل الذكر على الصدقة ففيه أحاديث كثيرة مرفوعة وموقوفة فمن الموقوفة ما أخرجه الحاكم، والترمذى عن أبى الدرداء مرفوعا «ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم وأرفعها فى درجاتكم وخير لكم من إعطاء الذهب والورق وأن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم قالوا: وما ذاك يا رسول الله؟ قال: ذكر الله» وأخرج الترمذى عن أبى سعيد الخدرى أن رسول الله ﷺ «سئل أى العباد أفضل درجة عند الله يوم القيامة؟ قال: الذاكرون الله كثيرا قلت يارسول الله ومن الغازى فى سبيل الله؟ قال: لو ضرب بسيفه فى الكفار والمشركين حتى ينكسر ويختضب دما لكان الذاكرون الله أفضل منه درجة» وأخرج الحاكم عن البراء مرفوعا «من قال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير عشر مرات فهو كعتق نسمة» وأخرج البيهقى فى شعب الإيمان من طريق أنس مرفوعا «لأن أقعد مع قوم يذكرون الله منذ صلاة الغداة حتى تطلع الشمس أحب إلىَّ من أن أعتق أربعة من ولد إسماعيل».

ففى هذين عدل الذكر بالعتق وتفضيله عليه. ومن الموقوفات، أخرج ابن أبى شيبة فى المصنف عن ابن مسعود قال: «لأن أسبح تسبيحات أحب إلىَّ من أن أنفق بعددهن دنانير فى سبيل الله» وأخرج عنه قال: «لأن أقول سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر أحب إلىَّ من أن أتصدق بعددها دنانير» وأخرج عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: «لأن أقول سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر أحب إلىَّ من أن أحمل على عدتها من خيل بأرسانها» وأخرج عن ابن عمر قال: «ذكر الله بالغداة والعشى أعظم من حطم السيوف فى سبيل الله وإعطاه المال سحا» وأخرج عن أبى الدرداء قال: «لأن أسبح مائة تسبيحة أحب إلىَّ من أن أتصدق بمائة دينار على المساكين» وأخرج عن معاذ بن جبل قال: «لو أن رجلين أحدهما يحمل على الجياد فى سبيل الله والآخر يذكر الله لكان الذاكر أعظم وأفضل أجرا» وأخرج عنه قال: «لأن أذكر الله من غدوة حتى تطلع الشمس أحب إلىَّ من أحمل على الجياد فى سبيل الله» وأخرج عن عبادة بن الصامت مثله، وأخرج عن سلمان الفارسى قال: «لو بات رجل يعطى القيان البيض وبات آخر يقرأ القرآن أو يذكر الله لرأيت أن ذاكر الله أفضل» وأخرج عن ابن عمرو قال: «لو أن رجلين أقبل أحدهما من المشرق والآخر من المغرب مع أحدهما ذهب لا يضع منه شيئا إلا فى حق والآخر يذكر الله حتى يلتقيا فى طريق كان الذى يذكر الله أفضلهما» فهؤلاء سبع صحابة صرحوا بتفضيل الذكر على الصدقة، ومن أقوال غير الصحابة أخرج ابن أبى شيبة عن أبي الأحوص قال: «لتسبيحة فى طلب حاجة خير من لقوح صفى (الصفى: الناقة الغزيرة اللبن، وكذلك الشاة) فى عام أزبة أو لزبة (أى شدة جدب) وأخرج عن أبى بردة قال: «لو أن رجلين أحدهما فى حجره دنانير يعطيها والآخر يذكر الله كان ذاكر الله أفضل» والآثار فى هذا المعنى كثيرة وفيما أوردناه كفاية.

ومما استدل به على تفضيل الذكر على سائر العبادات أنه لم يرخص فى تركه فى حال من الأحوال. أخرج ابن جرير فى تفسيره عن قتادة قال: «افترض الله ذكره عند أشغل ما تكونوا عند الضراب بالسيوف فقال: ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون﴾» والله اعلم.

أما الرسالة الثانية فهى بعنوان «نتيجة الفكر فى الجهد فى الذكر» جاء فيها بعد البسملة وهو يسوق الأحاديث الواردة فى فضل الذكر:

الحمد لله وكفى. وسلام على عباده الذين اصطفى، سألت أكرمك الله عما اعتاده السادة الصوفية من عقد حِلق الذكر والجهر به فى المساجد ورفع الصوت بالتهليل وهل ذلك مكروه أو لا؟

الجواب ـ إنه لا كراهة فى شيء من ذلك وقد وردت أحاديث تقتضى استحباب الجهر بالذكر. وأحاديث تقتضى استحباب الإسرار به والجمع بينهما أن ذلك يختلف باختلاف الأحوال والأشخاص كما جمع النووى بمثل ذلك بين الأحاديث الواردة باستحباب الجهر بقراءة القرآن والأحاديث الواردة باستحباب الإسرار بها وها أنا بين ذلك فصلا فصلا.

ذكـر الأحـاديث الـدالـة على استحبـاب الجهر بـالـذكـر تصريحا أو التزاما .

الحديث الأول: أخرج البخاري عن أبى هـريرة قال: قال رسول الله ﷺ : «يقول الله : أنا عند ظن عبدى بى وأنا معه إذا ذكرنى فإن ذكرنى فى نفسه ذكرته فى نفسى وإن ذكرنى فى ملإ ذكرته فى ملإ خير منه» والذكر فى الملأ لا يكون إلا عن جهر.

الحـديث الثانى: أخـرج البـزار والحاكم فى المستـدرك وصححه عن جابر قال: «خـرج علينا النبى ﷺ فقال: يا أيها النـاس إن لله سـرايا من المـلائكـة تحل وتقف على مجـالس الذكر فى الأرض فارتعوا فى ريـاض الجنة قالوا: وأين ريـاض الجنة؟ قال: مجالس الذكر فاغدوا وروحوا فى ذكر الله» .

الحديث الثالث: أخـرج مسلم، والحاكم واللفظ له عن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: إن لله ملائكة سيارة فضلا يلتمسون مجالس الذكـر فى الأرض فإذا أتوا على مجلس ذكر حف بعضهم بعضا بأجنحتهم إلى السماء فيقول الله: من أين جئتم؟ فيقولـون جئنا من عنـد عبادك يسبحـونك ويكبرونك ويحمـدونك ويهللونك ويسألـونك ويستجيـرونك فيقول مـا يسألون وهو أعلم فيقولون يسألونك الجنة فيقول: وهل رأوها فيقـولـون: لا يـارب فيقـول فكيف لـو رأوهـا ثم يقـول ومم يستجيـرونى؟ وهـو أعلم بهم فيقـولون من النـار فيقـول وهل رأوها فيقولون لا فيقول فكيف لو رأوها ثم يقول اشهدوا أنى قد غفـرت لهم وأعطيتهم ما سألـونى وأجـرتهم مما استجـارونى فيقـولـون ربنـا إن فيهم عبـدا خطـاء جلس إليهم وليس منهم فيقول وهـو أيضـا قـد غفـرت لـه هم القـوم لا يشقى بهم جليسهم» .

الحديث الرابع: أخرج مسلم. والترمذى عن أبى هريرة. وأبى سعيد الخدرى رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من قوم يذكرون الله إلا حفتهـم الملائكة وغشيتهم الرحمة ونزلت عليهم السكينة وذكرهم الله فيمن عنده» .

الحديث الخـامس: أخرج مسلم، والترمذى عن معـاوية «أن النبى ﷺ خـرج على حلقـة من أصحـابـه فقـال: مـا يجلسكم؟ قالوا: جلسنـا نذكر الله ونحمده فقـال: إنه أتانى جبريل فأخبرنى أن الله يباهى بكم الملائكة» .

الحديث السـادس: أخرج الحـاكم وصححه . والبيهقى فى شعب الإيمان عن أبى سعيد الخدرى قال: قال رسول الله ﷺ «أكثروا ذكر الله حتى يقولوا مجنون» .

الحـديث السابع: أخـرج البيهقى فى شعب الإيمـان عن أبى الجوزاء رضى الله عنـه قال: قال رسـول الله ﷺ: «أكثروا ذكر الله حتى يقـول المنافقون إنكـم مراءون» ـ مـرسل، ووجه الدلالة من هذا والذى قبله أن ذلك إنمـا يقال عند الجهر دون الإسرار.

الحديث الثامن: أخرج البيهقى عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا قالوا: يارسول الله وما رياض الجنة؟ قال حلق الذكر» .

الحـديث التاسـع: أخرج بقى بن مخلـد عن عبـد الله بن عمرو «أن النبى ﷺ مر بمجلسين أحـد المجلسين يدعون الله ويرغِّبون إليه والآخر يعلمون العلم فقال: كلا المجلسين خير وأحدهما أفضل من الآخر» .

الحـديث العـاشر: أخـرج البيهقى عن عبـد الله بن مغفل قال: قال رسـول الله ﷺ: «مامن قوم اجتمعـوا يذكرون الله إلا ناداهم مناد من السمـاء قوموا مغفورا لكم قـد بدلت سيئاتكم حسنات» .

الحـديث الحـادى عشر: أخـرج البيهقى عن أبى سعيـد الخدرى عن النبى ﷺ قال: «يقول الـرب تعالى يوم القيامة: سيعلم أهل الجمع اليوم من أهل الكـرم فقيل ومن أهل الكرم يـارسـول الله؟ قـال: مجالس الذكر فى المسـاجد» .

الحـديث الثـانى عشـر: أخـرج البيهقى عن ابن مسعـود قال: إن الجبل لينادى الجبل باسمه يـافلان هل مر بك اليوم لله ذاكر؟ فإن قال نعم استبشر ثم قرأ عبد الله ﴿لقد جئتم شيئا إدّا * تكاد السموات يتفطـرن منه﴾ [مريم: ٨٩، ٩٠] الآية وقال أيسمعون الزور ولا يسمعون الخير .

الحديث الثالث عشر: أخرج ابن جرير فى تفسيره عن ابن عبـاس فى قـولـه: ﴿فمـا بكت عليهـم السمـاء والأرض﴾ [الـدخـان: ٢٩] قـال: إن المـؤمن إذا مـات بكى عليـه من الأرض الموضع الـذى كان يصلى فيه ويذكـر الله فيه، وأخرج ابن أبى الدنيـا عن أبى عبيد قـال: إن المؤمن إذا مـات نادت بقاع الأرض عبد الله المؤمن مـات فتبكى عليه الأرض والسماء

فيقول الرحمن: ما يبكيكما على عبدى فيقولون ربنا لم يمش فى ناحية مناقط إلا وهو يذكرك. وجه الدلالة من ذلك أن سماع الجبال والأرض للذكر لا يكون إلا عن الجهر به.

الحديث الرابع عشر: أخرج البزار. والبيهقى بسند صحيح عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «قال الله تعالى: عبدى إذا ذكرتنى خاليا ذكرتك خاليا وإن ذكرتنى فى ملإ ذكرتك فى ملإ خير منهم وأكثر».

الحديث الخامس عشر: أخرج البيهقى عن زيد بن أسلم قال: قال ابن الأدرع «انطلقت مع النبى ﷺ ليلة فمر برجل فى المسجد يرفع صوته قلت: يارسول الله عسى أن يكون هذا مرائيا؟ قال: لا ولكنه أوّاه» وأخرج البيهقى عن عقبة بن عامر «أن رسول الله ﷺ قال لرجل يقال له ذو البجادين (اسمه عبد الله بن عبد نهم إنه أواه وذلك أنه كان يذكر الله»، وأخرج البيهقى عن جابر بن عبد الله أن رجلا كان يرفع صوته بالذكر فقال رجل: لو أن هذا خفض من صوته فقال رسول الله ﷺ: دعه فإنه أواه.

الحديث السادس عشر: أخرج الحاكم عن شداد بن أوس قال: «إنا لعند النبى ﷺ إذ قال: ارفعوا أيديكم فقولوا لا إله إلا الله ففعلنا فقال رسول الله ﷺ: اللهم إنك بعثتنى بهذه الكلمة وأمرتنى بها ووعدتنى عليها الجنة إنك لا تخلف الميعاد ثم قال أبشروا فإن الله قد غفر لكم».

الحديث السابع عشر: أخرج البزار عن أنس عن النبى ﷺ قال: إن لله سيارة من الملائكة يطلبون حلق الذكر فإذا أتوا عليهم حفوا بهم فيقول الله تعالى: غشوهم برحمتى فهم الجلساء لا يشقى بهم جليسهم».

الحديث الثامن عشر: أخرج الطبرانى. وابن جرير عن عبد الرحمن بن سهل بن حنيف قال: : نزلت على رسول الله ﷺ وهو فى بعض أبياته ﴿واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى﴾ [الكهف: ٢٨] فخرج يلتمسهم فوجد قوما يذكرون الله تعالى منهم ثائر الرأس وجاف الجلد وذو الثوب الواحد فلما رآهم جلس معهم وقال: الحمد لله الذى جعل فى أمتى من أمرنى أن أصبر نفسى معهم».

الحديث التاسع عشر: أخرج الإمام أحمد فى الزهد عن ثابت قال: «كان سلمان فى عصابة يذكرون الله فمر النبى ﷺ فكفوا فقال: ما كنتم تقولون؟ قلنا نذكر الله قال إنى رأيت الرحمة تنزل عليكم فأحببت أن أشارككم ثم قال: الحمد لله الذى جعل فى أمتى من أمرت أن أصبر نفسى معهم».

الحديث العشرون: أخرج الأصبهانى فى الترغيب عن أبى رزين العقيلى «أن رسول الله ﷺ قال له: ألا أدلك على ملاك الأمر الذى تصيب به خيرى الدنيا والآخرة؟ قال: بلى قال: عليك بمجالس الذكر وإذا خلوت فحرك لسانك بذكر الله».

الحديث الحادى والعشرون: أخرج ابن أبى الدنيا، والبيهقى، والأصبهانى عن أنس قال: قال رسول ﷺ: «لأن أجلس مع قوم يذكرون الله بعد صلاة الصبح إلى أن تطلع الشمس أحب إلىَّ مما طلعت عليه الشمس ولأن أجلس مع قوم يذكرون الله بعد العصر إلى أن تغيب الشمس أحب إلىَّ من الدنيا وما فيها.

الحديث الثانى والعشرون: أخرج الشيخان عن ابن عباس قال: إن رفع الصوت بالذكر حين ينصرف الناس من المكتوبة كان على عهد النبى ﷺ قال ابن عباس: كنت أعلم إذا انصرفوا بذلك إذا سمعته.

الحديث الثالث والعشرون: أخرج الحاكم عن عمر بن الخطاب عن رسول الله ﷺ قال: من دخل السوق فقال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيى ويميت وهو على كل شىء قدير كتب الله له ألف ألف حسنة ومحا عنه ألف ألف سيئة ورفع له ألف ألف درجة وبنى له بيتا فى الجنة» وفى بعض طرقه «فنادى».

الحديث الرابع والعشرون: أخرج أحمد، وأبو داود، والترمذى وصححه، والنسائى. وابن ماجه عن السائب أن رسول الله ﷺ قال: «جاءنى جبريل فقال: مر أصحابك يرفعوا أصواتهم بالتكبير.

الحديث الخامس والعشرون: أخرج المروزى فى كتاب العيدين عن مجاهد أن عبد الله بن عمر، وأبا هريرة كانا يأتيان السوق أيام العشر فيكبِّران لا يأتيان السوق إلا لذلك، وأخرج أيضا عن عبيد بن عمير قال: كان عمر يكبر فى قبته فيكبر أهل المسجد فيكبِّر أهل السوق حتى ترتج منى تكبيرا، وأخرج أيضا عن ميمون بن مهران قال: أدركت الناس وأنهم ليكبرون فى العشر حتى كنت أشبهها بالأمواج من كثرتها.

فصل: إذا تأملت مـا أوردنـا من الأحـاديث عـرفت من مجموعها أنـه لا كراهة البتة فى الجهـر بالذكر بل فيـه ما يدل على استحبـابه إمـا صريحـا أو التزامـا كما أشـرنا إليـه ، وأما معارضتـه بحديـث «خير الذكـر الخفى» فهـو نظير معـارضة أحـاديث المجهر بـالقرآن بحـديث المسـر بالقرآن كالمسـر بالصـدقة، وقد جمع النووى بينهمـا بأن الإخفاء أفضل حيث خاف الرياء أو تأذى به مصلون أو نيام والجهر أفضل فى غير ذلك لأن العمل فيـه أكثر ولأن فـائدتـه تتعدى إلى السـامعين ولأنـه يوقظ قلب القـارىء ويجمع همـه إلى الفكر ويصـرف سمعه إليـه ويطرد النـوم ويزيـد فى النشاط، وقـال بعضهـم: يستحب الجهر ببعض القراءة والإسـرار ببعضها لأن المسر قد يمل فيأنس بالجهر والجاهر قد يكل فيستريح بالإسرار انتهى، وكذلك نقول فى الذكر على هذا التفصيل وبه يحصل الجمع بين الأحـاديث فإن قلت: قال الله تعـالى: ﴿واذكر ربك فى نفسك تضرعـا وخيفة ودون الجهـر من القـول﴾ [الأعراف : ٢٠٥] قلت: الجواب عن هذه الآية من ثلاثة أوجه.

الأول: أنها مكيـة كآيـة الإسراء ﴿ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها﴾ [الإسراء: ١١٠] وقد نـزلت حين كان النبى ﷺ يجهر بالقرآن فيسمعه المشركون فيسبون القرآن ومن أنزله فأمر بترك الجهر سدا للذريعة كما نهى عن سب الأصنام لذلك فى قوله تعالى: ﴿ولا تسبُّوا الـذين يدعـون من دون الله فيسبوا الله عَدْوا بغير علم﴾ [الأنعام : ١٠٨] وقد زال هذا المعنى وأشار إلى ذلك ابن كثير فى تفسيره.

الثانى: أن جمـاعة من المفسرين منهم عبـد الرحمن بن زيد بن أسلم شيخ مالك، وابن جرير حملوا الآية على الذاكر حال قراءة القرآن وأنـه أمر له بالذكر علـى هذه الصفة تعظيما للقرآن أن ترفع عنـده الأصوات ويقويه اتصالهـا بقوله: ﴿وإذا قرىء القرآن فاستمعوا له وأنصتوا﴾ [الأعراف: ٢٠٤] قلت: وكأنه لما أمـر بالإنصات خشى من ذلك الإخـلاد إلى البطالة فنبه على أنه وإن كان مأمـورا بالسكوت باللسان إلا أن تكليف الذكـر بالقلب باق حتى لا يغفل عن ذكر الله ولـذا ختم الآية بقوله: ﴿ولا تكن من الغافلين﴾ [الأعراف: ٢٠٥].

الثالث: مـا ذكره الصوفيـة أن الأمر فى الآية خـاص بالنبى صلى الله تعالى عليه وآله وسلم الكامل المكمل وأما غيره ممن هو محل الوساوس والخواطر الرديئة فمأمور بالجهر لأنه أشد تأثيرا فى دفعهـا قلت: ويؤيده من الحـديث ما أخرجـه البزار عن معاذ بن جبل قال: قـال رسول الله ﷺ: «من صلى منكم بالليل فليجهـر بقراءته فإن المـلائكة تصلى بصـلاته وتسمع لقراءته وإن مـؤمن الجن الذين يكونون فى الهواء وجيـرانه معه فى مسكنه يصلون بصلاته ويستمعون قراءته وإنه ينطرد بجهره بقـراءتـه عن داره وعن الـدور التى حولـه فُسَّـاق الجن ومـردة الشياطين»

فإن قلت: فقد قال تعالى: ﴿ادعوا ربكم تضرعا وخفية إنه لا يحب المعتـدين﴾ [الأعـراف : ٥٥] وقـد فسـر الاعتـداء بالجهر فى الدعاء قلت الجواب عنه من وجهين، أحدهما أن الراجـح فى تفسيره أنـه تجاوز المأمـور به أو اختـراع دعوة لا أصل لها فى الشرع ويؤيده ما أخرجه ابن ماجه، والحاكم فى مستدركـه وصححه عن أبى نعـامة رضى الله عنـه « أن عبد الله ابن مغفل سمع ابنـه يقول: اللهم إنى أسألك القصـر الأبيض عن يمين الجنـة فقـال: إنى سمعت رسـول الله ﷺ يقـول: «سيكون فى هـذه الأمة قـوم يعتدون فى الـدعاء» فهـذا تفسير صحابى وهو أعلم بـالمراد. الثانى على تقديـر التسليم فالآية فى الدعاء لا فى الذكر والدعاء بخصوصه الأفضل فيه الإسرار لأنه أقـرب إلى الإجابـة ولذا قـال تعالى: ﴿إذ نادى ربـه نداء خفيا﴾ [مـريم : ٣] ومن ثم استحب الإسـرار بالاستعـاذة فى الصلاة اتفاقا لأنها دعاء.

فإن قلت فقـد نقل عن ابن مسعـود أنه رأى قـوما يهللـون برفع الصـوت فى المسجد فقال: مـا أراكم إلا مبتدعين حتى أخرجهم من المسجد قلت: هذا الأثر عن ابن مسعود يحتاج إلى بيان سنده ومن أخرجه من الأئمة الحفاظ فى كتبهم وعلى تقدير ثبـوته فهو معارض بـالأحاديث الكثيرة الثابتـة المتقدمة وهى مقـدمة عليـه عند التعـارض، ثم رأيت ما يقتضى إنكـار ذلك عن ابن مسعـود قـال الإمـام أحمـد بن حنبل فى كتـاب الزهد: ثنا حسين بن محمد ثنا المسعودى عن عامر بن شقيق عن أبى وائل قال: هـؤلاء الذين يزعمون أن عبـد الله كان ينهى عن الـذكر ما جـالست عبـد الله مجلسا قط إلا ذكـر الله فيه، وأخرج أحمد فى الزهد عن ثابت البنانى قال: إن أهل ذكر الله ليجلسـون إلى ذكـر الله وإن عليهم من الآثـام أمثـال الجبـال

وإنهم ليقومون من ذكر الله تعالى ما عليهم منها شيء (الحاوى للفتاوى ١ / ٣٨٥، ٣٨٧ـ ٣٩٤).

وثمة سؤال وجه إلى الإمام الأكبر الأسبق فضيلة الشيخ محمود شلتوت من الذكر بكلمة «أه» وأجاب عنه، فقال رحمه الله:

وهذا سؤال يطلب فيه صاحبه بيان المعنى المقصود من ذكر الله الذى طلبه القرآن وحببه وامتدح أهله: **﴿يأيها الذين ءامنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا﴾** [الأحزاب: ٤١] **﴿ولذكر الله أكبر﴾** [العنكبوت: ٤٥] **﴿والذاكرين الله كثيرا والذاكرات﴾** [الأحزاب: ٣٥] وهل منه هذا اللون الذى نراه ونسمعه من بعض المنتسبين إلى طوائف الصوفية فى الموالد والمجتمعات التى تعرف عندهم باسم الحضرات وهل يصح الذكر بكلمة: (أه) أو بكلمة: (لا إيلاه إيلا اللاه)؟.

والجواب: أن الأصل فى ذكر الله هو استحضار عظمته وامتلاء القلب بجلاله وجماله، وطريقة النظر والتفكير فى بديع الصنع المحكم، وآثار القدرة الباهرة، والحكمة البالغة، والسلطان النافذ؛ وهو بهذا المعنى أثر الإيمان الحق وأحساس المراقبة الصادقة، والباعث على كل خير، ويقابله الغفلة عن تلك العظمة، والغفلة عن تلك العظمة أثر لضعف الإيمان، وسبيل للرين على القلوب.

وكثيرا ما يطلق الذكر على التعبير اللسانى عن تلك العظمة باسم من أسماء الله الحسنى التى سمى الله بها نفسه فى كتابه، أو سماه بها رسوله. وهذا هو ما يعرفه الناس اليوم من كلمة: «ذكر الله» ولكن هذا الذكر اللسانى لا يحصل صاحبه على حظ الذاكرين عند الله إلا إذا كان ترجمة معبرة عن الذكر القلبى، وفى غير ذلك يكون حجة على صاحبه وذنبا يحاسب عليه، وأشد منه فى المؤاخذة به هذا اللون الذى نراه فى الموالد والمجتمعات المعروفة باسم «الحضرات» وإن من يسمعه ويرى القائمين به لا يتردد فى أنه نوع من الهزل والتمثيل الصاخب، والصياح المنكر الذى لا يمكن أن يكون معبرا عن خاصة ذكر الله فى قلوب المؤمنين: **﴿إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم﴾** [الأنفال: ٢] **﴿ألا بذكر الله تطمئن القلوب﴾** [الرعد: ٢٨].

أما الذكر بكلمة: «آه» بفتح الهمزة وسكون الهاء ـ فهى لفظ مهمل ليس له معنى فى اللغة، وليس قطعا من أسماء الله الحسنى التى وردت فى الكتاب، أو صح ورودها عن الرسول عليه السلام. وذكر الله عبادة، ولا يصح لنا أن نعبده إلا بما أذن لنا أن نعبده به؛ وإذن فالذكر بها كالذكر بالأسماء المحرفة، والمد المغيِّر للحروف والكلمات: فكلاهما ذكر فاسد وذكر حرام. وأخشى أن يكون المتمسكون بألوان هذا الذكر من الذين أمرنا الله بتركهم والإعراض عنهم: **﴿ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون فى أسمائه سيجزون ما كانوا يعملون﴾** [الأعراف: ١٨٠] ألا وإن تسمية الله بغير ما لم يسم به نفسه، والتحريف فيما سمى به نفسه، من أظهر صور الإلحاد فى أسمائه.

هذا وأرجو أن يهتم العلماء من رجال الصوفية بهذا الجانب، وأن يعملوا على منع الذكر بالأسماء المخترعة أو المحرفة. وأن يطهروا مجتمعات الذكر من صور المهازل الكثيرة التى نراها فى الموالد والحضرات؛ حتى تكون صورة صحيحة لجمال الإسلام وروعة العبادة، وسبيلا لقبول الذكر، ورضا الله والإثابة عليه.

وبعد، فكم فى الموالد والحضرات من عادات سيئة، وبدع منكرة لا يرضى بها الله، ولا يطئن إليها المؤمنون! والخير كل الخير أن يتحرى المؤمن فى عبادته كلها ما رسم الله لعباده وبينه رسوله، ودرج عليه المسلمون الأولون (الفتاوى / ١٨٠، ١٨١).

ويورد فضيلة الشيخ عطية صقر سؤالا بهذا المعنى أيضا وهو: ما حكم ذكر بعض أرباب الطرق الصوفية بلفظ «آه»؟ ويجيب عنه قائلا:

ج: مع التسليم بأن غاية التصوف تصفية النفس مما يبعدها عن الله، فإن الوسيلة المشروعة لذلك هى السير على منهج الله الذى وضعه لأوليائه وأعد لهم ثواب الأمن والسعادة كما قال سبحانه **﴿ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون * الذين آمنوا وكانوا يتقون * لهم البشرى فى الحياة الدنيا وفى الآخرة لا تبديل لكلمات الله ذلك هو الفوز العظيم﴾**[يونس: ٦٢ ـ ٦٤].

ومن المنهج الدينى لتصفية النفس ذكر الله، وقد حث الله عليه ووسع مجالاته وحدوده فقال **﴿يا أيها الذين آمنوا اذكروا**

الله ذكرا كثيرا * وسبحوه بكرة وأصيلا﴾ [الأحزاب : ٤١ ، ٤٢] وأسماء الله الحسنى خير ما يذكر به كما قال سبحانه ﴿ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها﴾ [الأعراف : ١٨٠] وقال ﴿قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أياما تدعوا فله الأسماء الحسنى﴾ [الإسراء : ١١٠] وأسماؤه سبحانه مذكورة في القرآن والسنة، حصرها بعض العلماء في تسعة وتسعين وقال إنها توقيفية، وقال بعضهم : إنها أكثر من ذلك.

وبصرف النظر عن حصر أسماء الله، وعن اختلاف العلماء في جواز ذكره بالاسم المفرد ـ فإن لفظ «آه» لم يثبت بسند صحيح أنه اسم من أسمائه تعالى. وعليه فلا يجوز الذكر به على ما رآه جمهور الفقهاء. وما يروى من أن النبي ﷺ زار مريضا كان يئن وأن أصحابه عليه الصلاة والسلام نهوه عن الأنين، وأنه قال لهم «دعوه يئن، فإنه يذكر اسما من أسمائه تعالى» لم يرد في حديث صحيح ولا حسن كما قرره الثقات. وما قيل في بعض الحواشي من أن لفظ «آه» هو الاسم الأعظم لا سند له.

وقد أفتى شيخ الجامع الأزهر المرحوم الشيخ محمد أبو الفضل الجيزاوي في هذه المسألة فقال ما نصه : إن هذا اللفظ المسئول عنه «آه» بفتح الهمزة وسكون الهاء ـ ليس من الكلمات العربية في شيء، بل هو لفظ مهمل لا معنى له مطلقا. وإن كان بالمد فهو إنما يدل في اللغة العربية على التوجع، وليس من أسماء الذوات، فضلا عن أن يكون من أسماء الله الحسنى التي أمرنا أن ندعوه بها ... إلى أن قال : ولا يجوز لنا التعبد بشيء لم يرد الشرع بجواز التعبد به. وفي الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ أنه قال «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد» [مجلة الأزهر ـ المجلد الثالث سنة ١٣٥١ هـ ص ٤٩٩] (أحسن الكلام ٣ / ٢٤٠، ٢٤١).

أما عن النظم فقد جاءت هذه الأبيات للشيخ المليباري في منظومته «هداية الأذكياء» في بيان أفضل الأعمال وكيفية الذكر وبيان المجاهدات.

(قد أجمع العراف جلهم على
أن أفضل الطاعات لله العلا
حفظ لأنفاس يكون خروجها
ودخولها بالله في الملأ الخلا
بالشد ثم المد تحت ثم فو
ق صفه له مع برزخ فاستكملا
أو ذكر تهليل وذا الذكر الخفي
من غير تحريك الشفاه تداولا)

ويشرح السيد بكري المكي الأبيات فيقول :

يعني قد أجمع معظم العارفين بالله تعالى على أن أفضل الطاعات لله تعالى حفظ الأنفاس وهو مراعاتها بحيث لا يصرفها إلا في طاعة الله تعالى بأن لا يخلو نفس من الأنفاس عن ذكر الله تعالى بأن يكون خروجها ودخولها بقول الله ولا فرق بين أن يكون بحضرة الملأ أي جماعة أو في الخلا أي الانفراد.

ثم ذكر كيفية النطق بهذه الكلمة الشريفة بقوله بالشد... إلخ أي أنه إذا نطق بها يظهر الشد ويمد ألفها ويبتدىء بها من تحت أي من السرة ثم يصعد بها إلى فوق حتى ينتهي إلى الدماغ وقوله صفه له مع برزخ أي يضم إلى لفظ الله صفة من صفاته بأن يستحضر عند قوله الله بصير أو قادر أو مريد أو سميع وهكذا إلى آخر صفات الله تعالى وأسمائه ويضم أيضا إلى ذلك استحضار شيخه المرشد ليكون رفيقه في السير إلى الله تعالى وقوله فاستكملا أي سائر آداب الذكر من الطهارة واستقبال القبلة وتنزيه السر من الدنيا وأن يذكر حبا لله وأن يغمض عينيه لأنه أسرع في تنوير القلب.

وقوله أو ذكر تهليل معناه أن حفظ الأنفاس كما يكون بقول الله كذلك يكون بذكر لا إله إلا الله وكيفية ذلك أن يحقق الهمزة من إله ويمد ألفه مدا طبيعيا أو أكثر ويفتح الهاء ويسكن الهاء من الله وأن يبدأ بلا من الجهة اليمنى ويرجع بإله إلى جهة صدره وبإلا الله إلى جهة القلب وهي اليسار ويضرب القلب بقول إلا الله ضربا قويا لتنزل الجلالة على القلب فتحرق سائر الخواطر الرديئة ويصغي حال الذكر إلى قلبه مستحضرا للمعنى حتى كأن قلبه هو الذاكر وهو يسمعه وينبغي أن لا يختم الذكر حتى يحصل له نوع من الاستغراق وشوق وهيمان ثم إذا ختم سكت وسكن واستحضر الذكر

بإجرائه على قلبه مترقبا لوارد الذكر فلعله يرد عليه وارد فى لمحة فيعمره بما لم تعمره المجاهدة ثلاثين سنة وهذا الوارد إما وارد زهد أو ورع أو تحمل أذى أو كشف أو محبة أو غير ذلك، وينبغى أن لا يشرب الماء عقبه أو أثناءه لأن للذكر حرارة تجلب الأنوار والتجليات والواردات وشرب الماء يطفىء تلك الحرارة وأقله أن يصبر نحو ساعة فلكية وكلما كان أكثر كان أحسن.

وقوله وذا الذكر ... إلخ أى أن حفظ الأنفاس بما ذكر هو الذكر الخفى وهو الذى تداوله أى استعمله الذاكر من غير تحريك شفتيه وهو أفضل من الجهر قال سيدى أبو بكر بن عبد الرحمن نفعنا الله به أوقية من أعمال السر تعدل بكذا وكذا قنطارا من أعمال الظواهر.

وفى تتمة فى الكلام على بعض فضائل الذكر ولا إله إلا الله يضيف الشارح مايلى:

قال ابن عباس رضى الله عنهما الليل والنهار أربعة وعشرون ساعة وحروف لا إله إلا الله محمد رسول الله أربعة وعشرون حرفا فمن قال لا إله إلا الله محمد رسول الله كفر كل حرف ذنوب ساعة فلا يبقى عليه ذنب إذا قالها فى كل يوم مرة فكيف بمن يكثر من قوله لا إله إلا الله ويجعله شغله ولله در القائل:

يا قوم لا تغفلوا بجهلكم
عن ذكر لا إله إلا هو
كيف تنام العيون عن ملك
سبحانه لا إله إلا هو
تنسوه فى الليل والنهار ولا
ينساكمو لا إله إلا هو
هو الإله العظيم قدرته
سبحانه لا إله إلا هو
يا فوز من مات وهو معتقد
يشهد أن لا إله إلا هو
سبحانه ما أعم رحمته
لمذنب تاب من خطاياه

وفى الحديث «من كان آخر كلامه من الدنيا لا إله إلا الله دخل الجنة» (كفاية الأتقياء / ١١٤، ١١٥، ١١٧).

(مختصر الأحكام الفقهية لعلى بن فريد الكشجنورى الهندى ــ تحقيق يوسف البدرى، مراجعة د. محمد أحمد عاشور / ٦٢، وتيسير الوصول إلى جامع الأصول للإمام ابن الديبع الشيبانى ٢ / ٥٣، ٥٤، والترغيب والترهيب، انتقاء شهاب الدين أحمد بن على بن حجر العسقلانى ــ صححه وضبطه محمد المجدوب / ١٦٠ ــ ١٦٥، وشرح أسماء الله الحسنى وهو الكتاب المسمى «لوامع البينات شرح أسماء الله تعالى والصفات للإمام شيخ الإسلام فخر الدين محمد بن عمر الخطيب الرازى ــ راجعه وقدم له وعلق عليه الأستاذ طه عبد الرءوف سعد / ٤٧ ــ ٦١، والمسائل المكنونة لأبى عبد الله محمد بن على الترمذى الحكيم ــ تحقيق د. محمد إبراهيم الجيوشى. دار التراث العربى. الطبعة الأولى ١٤٠٠ هـ ــ ١٩٨٠ م / ١٤٢ ــ ١٥٠، والقصد المجرد فى معرفة الاسم المفرد لابن عطاء السكندرى / ٦٨ ــ ٨٧، والحاوى للفتاوى للحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطى ١ / ٣٨٥، ٣٨٧ ــ ٣٩٤، والفتاوى ــ فضيلة الإمام الأكبر الشيخ محمود شلتوت شيخ الجامع الأزهر الأسبق / ١٨٠، ١٨١، وأحسن الكلام فى الفتاوى والأحكام ــ فضيلة الشيخ عطية صقر. ط دار الغد العربى ٣ / ٢٤٠، ٢٤١ وكفاية الأتقياء ومنهاج الأصفياء شرح السيد بكرى المكى بن السيد محمد شطا الدمياطى على منظومة هداية الأذكياء إلى طريق الأولياء للشيخ زين الدين بن على المعبرى ثم المليبارى / ١١٤، ١١٥، ١١٧ انظر أيضا خمسون فريضة للإمام محمد بن أبى بكر بن على ــ جمع وشرح يعقوب بن الشيخ محمد المختار الشهير بابن إمام الجامع فى بلده إكرن ــ نيجيريا. ط الحاج عبد السلام بن محمد بن شقرون. الطبعة الأخيرة / ٣٣، ٣٤، والوصية الجامعة للإمام شيخ الإسلام أحمد عبد الحليم بن تيمية ــ تحقيق أبى هاجر محمد السعيد زغلول. مكتبة التراث الإسلامى / ٣٨ ــ ٤٧، وتنقيح القول الحثيث بشرح لباب الحديث ــ محمد بن عمر النووى البنتنى / ٣٤ ــ ٣٦، وبهامشه لباب الحديث لجلال الدين السيوطى).

ملاحظة: صورة الآية الكريمة ﴿واذكر ربك إذا نسيت﴾ [الكهف: ٢٤] أخذت من كتاب «بدائع الخط العربى» لناجى زين الدين المصرف، شكل ٦٢٣ ص ٣٤٩ كتبها الخطاط مجدى الجبورى سنة ١٣٩٠ هـ. وصورة الآية الكريمة ﴿ألا بذكر الله تطمئن القلوب﴾ [الرعد: ٢٨] أخذت من كتاب «نفائس الخط العربى» لحسن قاسم حبش، شكل

٣٣٤ ص ٢١٤ كتبها هاشم محمد الخطاط ببغداد سنة ١٣٧٢ هـ.

*** ذكر الإمامة، وما يتعلق بوجوبها، وجوازها، والأحكام الخاصة والعامة، وإقامة الأدلة والبراهين على صحتها:**

من مصنفات التراث الإسلامي في علمي السياسة والاجتماع

مخطوط مصور في معهد المخطوطات العربية بالقاهرة.

أوله: الحمد لله الذي أكرمنا بمعرفته وتوحيده وأرشدنا إلى تقديسه وتمجيده وثبتنا على هدايته وتسديده ... إلخ

لمؤلف مجهول.

نسخة كتبت في سنة ٦٣٢ بخط نسخ كتبها عمر بن محمد بن إبراهيم بن عبد الله الواسطي.

[فيض الله ١١٧٢ ١٧٥ ق ١٥ × ١٨ سم]

(فهرس المخطوطات المصورة، معهد المخطوطات العربية - تصنيف فؤاد سيد ١ / ٥٥٠، ٥٥١).

قالت المؤلفة: مكتبة فيض الله ملحقة بمكتبة ملت باستانبول.

*** ذكر أمور تتعلق بالضاد والظاء مع أرجوزة في مخرج الضاد والظاء:**

من مخطوطات التجويد والقراءات في دار الكتب الظاهرية بدمشق (أو بمكتبة الأسد)

الرقم ٢٧٥٢.

المؤلف: محمد بن أحمد الأزهري المتوفى سنة ١٣١٣ هـ / ١٨٩٥ م.

فاتحة الرسالة: الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وصحبه أجمعين.

ذكر أمور تتعلق بالضاد والظاء، قال في النشر: المخرج السابع للجيم والشين المعجمة والياء غير المرئية من وسط اللسان بينه وبين وسط الحنك ويقال إن الجيم قبلها: وقال المهدوي: إن الشين تلي الكاف والجيم والياء تليان السين وهذه هي الحروف الشجرية.

خاتمة الرسالة: نحو أفضتم، وخضتم، واخفض جناحك. وفي تضليل، يقول جامعه: والأوفق ما تقدم من كلامه في مخرج الضاد للغة أهل مصر هو قول الخليل وفي ذلك قلت:

الضاد من وسط اللسان يلفظ
به كما عن الخليل يحفظ
يقول شجري أي كجيم السين يا
والشجر مفتح الضم احفظ متينا

أوصاف المخطوط: رسالة من القرن الثالث عشر الهجري، كتبت بخط معتاد وبالمداد الأسود، مع هذه الرسالة رسالة أخرى في مخرج الضاد للشيخ حسين مؤنس، وتقريظات للشيخ بكري العطار والشيخ أحمد دهمان والشيخ عبد الله المنجد، المخطوط بدون غلاف.

ق	م	س
٣(٦-٨)	١٨ × ٢٠	١٥

المصادر: الأعلام الشرقية: ٢ / ١٤٧، الأعلام: ٦ / ٢٤٦، هدية العارفين: ٢ / ٣٩٤.

(فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية. المصاحف - التجويد - القراءات - وضعه صلاح محمد الخيمي ١ / ٣٧٣، ٣٧٤).

*** ذكر الخاص بعد العام:**

من روائع النظم القرآني، وهو من أقسام الإطناب، ومنه قوله تعالى: **﴿حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى﴾** [البقرة: ٢٣٨].

يقول الزمخشري: الصلاة الوسطى، أي الوسطى بين الصلوات أو الفضلى من قولهم للأفضل: الأوسط، وهي صلاة العصر.

وإنما أفردت وعطفت على الصلوات لانفرادها بالفضل.

ومنه قوله تعالى: **﴿قال فرعون وما رب العالمين * قال رب السموات والأرض وما بينهما إن كنتم موقنين * قال لمن حوله ألا تستمعون * قال ربكم ورب آبائكم الأولين * قال إن رسولكم الذي أرسل إليكم لمجنون * قال رب المشرق والمغرب وما بينهما إن كنتم تعقلون﴾** [الشعراء: ٢٣-٢٨]

يقول الزمخشري: ذكر السموات والأرض وما بينهما قد استوعب الخلائق كلها، فما معنى ذكرهم وذكر آبائهم بعد ذلك، وذكر المشرق والمغرب؟

ويجيب: قد عمم أولا، ثم خصص من العام للبيان ـ أنفسهم وآباءهم لأن أقرب المنظور فيه من العاقل نفسه، ومن ولد منه، وما شاهد وما عاين من الدلائل على الصانع والناقل من هيئة إلى هيئة ومن حال إلى حال من وقت ميلاده إلى وقت وفاته. ثم خصص المشرق والمغرب. لأن طلوع الشمس من أحد الخافقين وغروبها في الآخر على تقدير مستقيم في فصول السنة، وحساب مستو ـ من أظهر ما استبدل به. ولظهوره انتقل إلى الاحتجاج به خليل الله [يريد إبراهيم عليه السلام] عن الاحتجاج بالإحياء والإماتة على نمروذ بن كنعان ﴿فبهت الذى كفر﴾ و[البقرة: ٢٥٨] ويشير الزمخشرى بذلك إلى قوله تعالى: ﴿ألم تر إلى الذى حاج إبراهيم فى ربه أن آتاه الله الملك إذ قال إبرهيم ربى الذى يحيى ويميت قال أنا أحيى وأميت قال إبراهيم فإن الله يأتى بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت الذى كفر﴾ [البقرة: ٢٥٨] (النظم القرآنى / ١٤٥، ١٤٦).

يقول السيوطى فى كلامه على الإطناب عن ذكر الخاص بعد العام وعكسه:

وذكر خاص بعد ذى عموم
منبها بفضله المعلوم
كعطف جبريل وميكال على
ملائك قلت وعكسه جلا

ويشرح ذلك بقوله: من أسباب الإطناب ذكر الخاص بعد العام وذلك للتنبيه على فضل الخاص حتى كأنه ليس من جنس العام تنزيلا للتغاير فى الوصف منزلة التغاير فى الذات نحو ﴿حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى﴾، ﴿من كان عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال﴾، ﴿ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف﴾ (شرح عقود الجمان / ٧٢).

(النظم القرآنى فى كشاف الزمخشرى ـ د. درويش الجندى / ١٤٥، ١٤٦، وشرح عقود الجمان فى علم المعانى والبيان لجلال الدين السيوطى / ٧٢).

*** ذكر الشعراء المحدثين:**

تأليف أحمد بن الفقيه الهمدانى المؤرخ المتوفى سنة ٣٦٥ خمس وستين وثلاثمائة (إيضاح المكنون للبغدادى ١ / ٥٤٣).

*** ذكر الصالحين:**

ذكر الصالحين: لداود بن محمد الأودنى الحنفى المتوفى فى حدود سنة ٣٢٠ ولأبى عبد الرحمن بن أبى الليث البخارى ... ذكره صاحب الخالصة.

(كشف الظنون ١ / ٨٢٧).

*** ذكر العالمين:**

ذكر العالمين: للإمام حجة الإسلام أبى حامد محمد بن محمد الغزالى المتوفى سنة ٥٠٥ خمس وخمسمائة.

(كشف الظنون ١ / ٨٢٧).

*** ذكر العام بعد الخاص:**

من خصائص النظم القرآنى، ومنه قوله تعالى: ﴿تعلمُ ما فى نفسى ولا أعلم ما فى نفسك إنك أنت علام الغيوب﴾ [المائدة: ١١٦].

يقول الزمخشرى: ﴿إنك أنت علام الغيوب﴾ تقرير للجملتين معا تعلم مافى نفسى، ولا أعلم ما فى نفسك لأن ما انطوت عليه النفوس من جملة الغيوب ولأن ما يعلمه علام الغيوب لا ينتهى إليه علم أحد.

ومنه قوله تعالى: ﴿رب اغفر لى ولوالدى ولمن دخل بيتى مؤمنا وللمؤمنين والمؤمنات﴾ [نوح: ٢٨].

يقول الزمخشرى: خص أولا من يتصل به، لأنهم أولى وأحق بدعائه، ثم عم المؤمنين والمؤمنات.

ومنه قوله تعالى: ﴿أيود أحدكم أن تكون له جنة من نخيل وأعناب تجرى من تحتها الأنهار له فيها من كل الثمرات﴾ [البقرة: ٢٦٦].

يقول الزمخشرى: النخيل والأعناب لما كانا أكرم الشجر وأكثرها منافع خصهما بالذكر وجعل الجنة منهما، وإن كانت محتوية على سائر الأشجار تغليبا لهما على غيرهما، ثم أردفهما كل الثمرات.

(النظم القرآنى فى كشاف الزمخشرى ـ د. درويش الجندى / ١٤٦، ١٤٧).

*** ذكر الفرق بين الأحرف الخمسة (الظاء ـ والضاد ـ والذال ـ والصاد ـ والسين):**

من مصنفات التراث الإسلامى فى علم اللغة.

مخطوط مصور فى معهد المخطوطات العربية بالقاهرة

تأليف عبد الله بن محمد بن السيد البطليوسى المتوفى سنة ٥٢١ .

نسخة كتبت سنة ١١٠٦ بخط نسخ عادى كتبها أحمد بن مصطفى

[راغب ١٤٣١ / ٢ ١٢٧ق ١٨ × ٢٤ سم]

(فهرس المخطوطات المصورة ، معهد المخطوطات العربية ـ تصنيف فؤاد سيد ١ / ٣٥٤) .

قالت المؤلفة : مكتبة راغب باشا مصلى مدرسة سى فى آقسراى باستانبول

* ذكر الفرق المبتدعة وأهل الأهواء ومذاهبهم:

من مصنفات التراث الإسلامى فى التوحيد ، والملل والنحل

مخطوط مصور فى معهد المخطوطات العربية بالقاهرة .

تأليف أبى محمد عثمان العراقى ، نسخة كتبت فى القرن العاشر تقريبا .

[البلدية ٦٤٢٠ د ٣٠ ق ١٦ × ٢٣سم]

(فهرس المخطوطات المصورة ، معهد المخطوطات العربية ـ تصنيف فؤاد سيد ١ / ١٢٤) .

* ذكر كل صحابى روى عن رسول الله ﷺ وغيرهم من التابعين:

من مخطوطات التراجم فى مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية بالرياض ، وجاء بيانه كما يلى :

رقم الحفظ : ٢٥ ـ ف

الفن : تراجم .

عنوان المخطوطة : ذكر كل صحابى روى عن رسول الله وغيرهم من التابعين .

اسم المؤلف : محمد بن الحسين الأزدى ، الموصلى ، أبو الفتح .

اسم الشهرة : الأزدى .

تاريخ وفاته : ٣٧٤ هـ / ٩٨٤ م .

المصادر: بروكلمان ، ملحق ١ / ٢٨٠ ، الأعلام ٦ / ٩٨ ، كحالة ٩ / ٢٣٢ .

بداية المخطوطة : قال أبو الفتح ... ذكر اسم كل صحابى روى عن رسول الله ... جعلت ذلك حروف أ ب ت ث ...

نهاية المخطوطة . ابن صفوان أبو صفوان الدمشقى اللخمى ، روى عن جماعة ...

نوع الخط : نسخى معتاد

تاريخ النسخ : ٧٨٣ هـ / ١٣٨١ م القرن ٨ هـ / ١٤ م

ملاحظات عامة : نسخة جيدة وكاملة ، تناول فيها المؤلف أسماء من تناقلوا الرواية عن رسول الله سواء من الصحابة أو التابعين ...

(فهرس المصورات الميكروفيلمية بقسم المخطوطات ، العدد الثانى ، السنة الثانية ١٤٠٨ هـ ـ ١٩٨٨م / ١) .

* ذكر لنا:

من ألفاظ التحمُّل سماعا من الشيخ

(معجم مصطلحات توثيق الحديث ـ د . على زوين / ٣٦) .

انظر مادة «تحمل الحديث» فى م ٩ / ٦٣ ـ ٦٦ .

* ذكر لى :

من ألفاظ التحمل سماعا من الشيخ .

(معجم مصطلحات توثيق الحديث ـ د . على زوين / ٣٦) .

انظر مادة « تحمل الحديث» فى م ٩ / ٦٣ ـ ٦٦ .

* ذكر قضية المهاجرين المسمين بالبلديين:

من مصنفات التراث الإسلامى فى التاريخ .

مخطوط فى معهد المخطوطات العربية بالقاهرة وجاء بيانه كما يلى :

لمؤلف مجهول .

(دليل مؤرخ المغرب ١٤٠ ، وفهرست الرباط ٢ : ١٤٨) .

أوله : «ذكر قضية المهاجرين ... وذلك أنه لما اشترى مولانا إدريس بن إدريس موضع مدينة فاس ... وشرع فى بنائها وأمر الناس بالبناء والغرس على أن من بنى موضعا أو غرس بستانا قبل استكمال السور عليها فهو له ...»

وآخره : «وكثرت الفتن والشرور واستولى على المدينة الظلم ... ولا يوجد إلا من ينصرهم عليه ويظاهرهم ليعلموا أمره ، فإنا لله وإنا إليه راجعون ... انتهى التقييد ...» .

نسخة كتبت بخط مغربى فى ١٢ ورقة، ضمن مجموعة من لوحة ١ ـ ١٢، ومسطرتها ١٩ سطرا.

[الرباط ١١١٥ د] UNESCO

(فهرست المخطوطات المصورة، معهد المخطوطات العربية، التاريخ، جـ٢ ق ٤، القاهرة ١٣٩٠ هـ ـ ١٩٧٠ م/ ١٨٥).

*** ذكر القلب الميت بفضائل أهل البيت:**

تأليف يوسف بن محمد بن مسعود السرمرى الحنبلى المتوفى سنة ٧٧٦ ست وسبعين وسبعمائة.

(إيضاح المكنون للبغدادى ١ / ٥٤٣).

*** ذكر ما عسر استخراجه على بعض العلماء من الآثار والأحاديث التى فى شرح الرافعى:**

من مخطوطات الحديث والمصطلح فى معهد المخطوطات العربية بالقاهرة.

تأليف عبد الوهاب السبكى. نسخة كتبت فى سنة ٨٢١.

[أيا صوفيا ٩٧٧ / ٢ (٥١ ـ ٥٨) ق ٢٣×١٥,٥ سم]

(فهرس المخطوطات المصورة، معهد المخطوطات العربية ـ تصنيف فؤاد سيد ١ / ٨٠).

قالت المؤلفة: مكتبة أيا صوفيا بمسجد أيا صوفيا باستانبول.

انظر مادة «أيا صوفيا (جامع ـ)» فى م ٦ / ـ ٢٥٥ ـ ٢٦٠.

*** ذكر ما جرى بين سيبويه والكسائى:**

مخطوط جامعة الإسكندرية وجاء بيانه كما يلى:

الرقم ٥٦١ / جعفر ولى

(رواية الفراء أبى زكريا يحيى بن زياد، المتوفى سنة ٢٠٧ هـ).

أولها: عن الفراء قال: قدم سيبويه رحمه الله على البرامكة، فعزم يحيى على الجمع بينه وبين الكسائى، فجعل لذلك يوما، فلما حضر سيبويه تقدمت أنا والأحمر فدخلنا...

آخرها: نسخة جيدة كتبها سيد على المرصفى، فى حدود سنة ١٢٣٠ هـ، بقلم نسخى دقيق، ضمن مجموعة.

٤ ق ٣٦ س ٢٥×١٨ سم

(فهرس مخطوطات جامعة الإسكندرية ـ إعداد يوسف زيدان. معهد المخطوطات العربية القاهرة ١٩٩٤ م، ١ / ٣٢١).

*** الذكر المخلَّد فى بيان اللفظ المولَّد:**

من مخطوطات علم اللغة فى معهد المخطوطات العربية بالقاهرة

قدمه مؤلفه إلى محمد راغب باشا الصدر الأعظم بالدولة العثمانية المتوفى سنة ١١٧٦

نسخة بقلم تعليق

[مكتبة السيد حسن حسنى عبد الوهاب بتونس ٢٨ ق]

*** ذكر المذكر والمؤنث (مما لا يجوز تغيير جنسه بحال):**

من مخطوطات علم اللغة فى معهد المخطوطات العربية بالقاهرة.

تأليف أبى الفتح عثمان بن جنى المتوفى سنة ٢٩٢.

نسخة كتبت سنة ٦٥٣ بخط مضبوط بالشكل لمحمد بن إبراهيم القواريطى،

[شهيد على ٢٣٤٩ / ٢ ٢ق حجم صغير]

(فهرس المخطوطات المصورة، معهد المخطوطات العربية ـ تصنيف فؤاد سيد ١ / ٣٥٥).

*** ذكر المسافات وصور الأقاليم:**

انظر مادة «البلخى» فى م ٧ / ٤٢١ ـ ٤٢٦.

*** ذكر مسائل خلافية فى أحكام فقهية:**

من مخطوطات الفقه الحنفى فى دار الكتب الظاهرية بدمشق (أو بمكتبة الأسد) وجاء بيانه كما يلى:

الرقم ٥٥٤٨

تأليف: ؟

رسالة فى أبواب الفقه والاختلاف فى أحكامها.

أولها: الحمد لله وكفى وسلام على عباده الذين اصطفى، وبعد: فهذا كتاب يذكر فيه بعض من المسائل الخلافية فى الأحكام الفقهية.

آخرها: وصار العرف عندهم بإطلاقه على الله تعالى كإطلاق سائر الأسماء الظواهر.

نسخة عادية حديثة، الخط نسخه معتاد.

[٥٧ ـ ٦٧] ق   ٢٦ س   ٢٠ × ١٥ سم

(فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية . الفقه الحنفي ـ وضع محمد مطيع الحافظ ١ / ٣٤٦، ٣٤٧).

* **ذكر من ملك من الروم بعد رفع المسيح إلى عهد نبينا ﷺ:**

مخطوط بجامعة الإسكندرية وجاء بيانه كما يلي :

الرقم ٥٢٤ / جعفر ولي .

لمجهول

أولها : زعموا أن ملك الشام جميعه صار بعد طيباريوس إلى ولده جايوس ، وكان ملكه أربع سنين ، ثم ملك بعده ابن له آخر اسمه فلوديوس .

آخرها : ثم ساروا إلى القسطنطينية ، وحصروها أربعين يوما ، وأغاروا على بلاد الروم ، واتصلت غاراتهم إلى بلاد الإفرنج ثم عادوا راجعين .

نسخة جيدة ، كتبت بخط نسخي متأخر ، بها خروم

١٦ ق   ١٥ س   ٢٤ × ١٧,٥ سم

(فهرس مخطوطات جامعة الإسكندرية ـ إعداد د. يوسف زيدان ١ / ٣٢٢).

* **ذكر نسب أبي بكر بن دريد وجمل من أخباره:**

من مخطوطات التاريخ في معهد المخطوطات العربية القاهرة .

أوله : «قال الفقيه الأستاذ أبو عبد الله محمد بن أحمد بن هشام اللخمي» .

وينتهي بنقول مختلفة .

نسخة كتبت بخط مغربي دقيق ضمن مجموعة من صفحة ٢٩ ـ ص ٥٨

[الزاوية الحمزاوية ٢٢٦]   UNESCO

(فهرس المخطوطات المصورة ، معهد المخطوطات العربية ، التاريخ ، جـ٢ ق٤ . القاهرة ١٣٩٠ هـ ـ ١٩٧٠ م / ١٨٥).

* **ذكر نسب بعض الصحابة ونسب الشرفاء الإدريسيين وغيرهم:**

المنسوب : لأبي بكر بن محمد بن أبي بكر السيوطي ، المتوفى ، سنة ٨٥٥ هـ (جاء في هامش (١) التعليق التالي : العجب من نسبة هذا الكتاب إلى سيوطي شافعي درس في القاهرة وتوفي بها ودفن ، مما يدل على صحة التشكيك في نسبة هذا الكتاب إلى المؤلف المشار إليه كما أشار إلى ذلك الشيخ عبد الحفيظ الفاسي في معجم الشيوخ ٢ / ١٣٦ رشاد) .

(فهرست الرباط ٢ : ١٦١) .

أوله : «ذكر نسب بعض الصحابة ونسب الأشراف الإدريسيين وغيرهم المستمد من رسول الله ﷺ بالنبي ﷺ محمد رسول الله ... »

وآخره : «انتهى ما أردناه من قبائل الشرفاء الكرام ... »

نسخة كتبت بخط مغربي ، في ١٩ ورقة ، ضمن مجموعة من لوحة ٩٤ ـ ١١٢ ، ومسطرتها ٢٣ سطرا .

[الرباط ١١٠٣ د]   UNESCO

(فهرست المخطوطات المصورة ، معهد المخطوطات العربية ، التاريخ ، جـ٢ ق ٤ . القاهرة ١٣٩٠ ـ ١٩٧٠ م / ١٨٥ ، ١٨٦).

* **الذكر والحذف:**

الذكر والحذف من أقسام علم المعاني :

إذا أريد إفادة السامع حكما فأي لفظ يدل على معنى فيه فالأصل ذكره وأي لفظ علم من الكلام لدلالة باقيه عليه فالأصل حذفه وإذا تعارض هذان الأصلان فلا يعدل عن مقتضى أحدهما إلى مقتضى الآخر إلا لداع ، فمن دواعي الذكر:

١ ـ زيادة التقرير والإيضاح نحو ﴿**أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون**﴾ [البقرة : ٥] .

٢ ـ والتسجيل على السامع حتى لا يتأتى له الإنكار كما إذا قال الحاكم لشاهد هل أقرَّ زيد هذا بأن عليه كذا؟ فيقول الشاهد : نعم زيد هذا أقر بأن عليه كذا .

ومن دواعي الحذف

١ ـ إخفاء الأمر عن غير المخاطب نحو أقبل تريد عليا مثلا .

٢ ـ وضيق المقام إما لتوجع نحو .

قال لي كيف أنت قلت عليل
سَهَرٌ دائم وحزن طويل

وإما لخوف فوات فرصة نحو قول الصياد : غزال .

٣ - والتعميم باختصار نحو ﴿والله يدعو إلى دار السلام﴾ [يونس : ٢٥] أى جميع عباده لأن حذف المعمول يؤذن بالعموم .

٤ - وتنزيل المتعدى منزلة اللازم لعدم تعلق الغرض بالمعمول نحو ﴿هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون﴾ [الزمر : ٩] .

ويعد من الحذف إسناد الفعل إلى نائب الفاعل فيقال حذف الفاعل للخوف منه أو عليه أو للعلم به أو الجهل نحو سُرِق المتاع ﴿وخُلِق الإنسان ضعيفا﴾ [النساء : ٢٨] .

(قواعد اللغة العربية - حفنى بك ناصف وزملائه / ١١٤ ، ١١٥) .

* **ذكرى الأمة فى أحوال الأئمة:**

من مخطوطات التاريخ والتراجم والسير فى مكتبة المتحف العراقى وجاء بيانه كما يلى :

الرقم ٢٤٥٣٣

للشيخ محمد السلافة بن ناصر بن الحسين النجفى المتوفى سنة ١٣٢٦ هـ / ١٩٠٨ م

الأول : (الحمد لله الذى خص محمد بشرف الحياء وطيب الوفاء فبلغ فى الحياة ما أوصى إليه ...) .

رتبها المؤلف على خمسة عشر بابا وجعله فى جزئين .

الجزء الأول فى ستة أبواب والجزء الثانى فى تسعة أبواب . تتضمن هذه النسخة الجزء الأول من الكتاب .

نسخة جيدة كتبها ابن المؤلف موسى بن محمد لايذ ١٣٣٦ هـ ١٩١٧ م .

القياس ٣٤٦ ص   ١٦,٥ × ١١ سم   ١٧ س

الذريعة ١٠ / ٢٨

(مخطوطات التاريخ والتراجم والسير فى مكتبة المتحف العراقى - أسامة ناصر النقشبندى وظمياء محمد عباس / ١٩٥) .

* **الذكرى فى الخمر:**

الذكرى فى الخمر : للعلامة أبى نصر محمد الشهير بمير صدر الدين الشيرازى رسالة ألفها سنة ٩٤١ إحدى وأربعين وتسعمائة (٨٩١) وبيّن فيها أحوالها . أولها : أستغفر الله العظيم الذى ... إلخ .

(كشف الظنون ١ / ٨٢٧) .

* **الذكريات فى القرآن الكريم:**

عن ذلك يقول صاحب الفضيلة الشيخ محمود شلتوت رحمه الله :

قال تعالى : ﴿وذكّر فإن الذكرى تنفع المؤمنين﴾ [الذاريات : ٥٥] .

الذكريات شأن طبيعى للإنسان :

لكل مجتمع فيما سلخ من حياته ، أحداث كان لها فى قوته أو ضعفه ، وفى علمه أو جهله . وفى نظامه أو فوضاه ، وفى استقراره أو اضطرابه ، وفى أمنه أو خوفه ، كان لها فى كل ذلك أو بعضه أثر بارز ، ينعم المجتمع بخيره إن كان خيرا ، ويشقى بشره إن كان شرا ﴿سُنّة الله فى الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا﴾ [الأحزاب : ٦٢] .

وإن هذه الأحداث التى يسجلها التاريخ لكل مجتمع مرآة صادقة تنظر فيها الأجيال المتعاقبة صور الماضى فتعرف أحداث الخير وأسبابها ، وأحداث الشر وعواملها ، فتسلك بالأولى سبيل الخير والرشاد ، وتنأى بالثانية عن مهاوى الردى والضلال ، ومن هنا استقر فى ضمير المجتمعات البشرية التطلع إلى ماضيها واستحضار أحداثه ، وتقليب النظر فيها وفى أسبابها ونتائجها ، لتمهد لنفسها سبل السير فى حياتها المقبلة على ضوء ما عرفت من أحداث الماضى ونتائجها .

وللمسلمين - باعتبارهم جماعة من الجماعات - أحداث مليئة بالعظات والعبر ، وشأنهم فى تذكرها واستحضارها من سجل ماضيهم ، شأن كل مجتمع بشرى يتحسس مواضع الضعف فى سيره فيتقيها ، وعوامل القوة والتقدم فينميها .

الذكريات فى القرآن :

وقد جاء القرآن الكريم فلفت الأنظار إلى هذا الشأن الطبيعى للمجتمعات . وأخذ يقص على الناس كثيرا من أنباء السابقين ، مصلحين ومفسدين ، ويقول : ﴿قد خلت من قبلكم سنن فسيروا فى الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين﴾ [آل عمران : ١٣٧] ويقول : ﴿وكلاً نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك وجاءك فى هذه الحق وموعظة وذكرى للمؤمنين﴾ [هود : ١٢٠] ﴿تلك من أنباء الغيب نوحيها إليك ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا فاصبر إن العاقبة للمتقين﴾ [هود : ٤٩]

ولم يكن شأن القرآن فى ذلك شأن المؤرخ، يعنى بتحديد الأزمنة والأمكنة وتعيين الأشخاص، ولا شأن الفنان الذى يخترع ما لا واقع له ليستخدمه فى التأثير بالتبشير والتنفير، وإنما كان شأنه أن يرشد بما يقص من واقع الماضى إلى موضع العظة والاعتبار، وإلى ما يحمل ذلك الواقع من سنن مطردة عليها نظمت المجتمعات وبنيت الحياة، فى خيرها وشرها؛ فهو يذكر قصة أصحاب الكهف لا للتسلية والسمر، وإنما يذكرها ليقدم بها مُثلا حية ذات روح فى قوة الإيمان والكفاح، والبعد بالنفس عن الخضوع للذلة والطغيان ﴿**إنهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى * وربطنا على قلوبهم إذ قاموا فقالوا ربنا رب السموات والأرض لن ندعو من دونه إلها لقد قلنا إذا شططا**﴾ [الكهف: ١٣، ١٤] ويذكر قصة موسى مع العبد الصالح ليرشد بها إلى ما ينبغى أن يكون عليه الإنسان فى طلب العلم من حسن التواضع واحتمال المشاق فى سبيله ﴿**هل أتبعك على أن تعلمن مما علمت رشدا**﴾ [الكهف: ٦٦] ويذكر قصة ذى القرنين ويقدم شخصية تعرف معنى العدل الذى تستقر به الحياة، وتضع قانونه الحازم ﴿**أما من ظلم فسوف نعذبه ثم يرد إلى ربه فيعذبه عذابا نكرا * وأما من آمن وعمل صالحا فله جزاءً الحسنى وسنقول له من أمرنا يسرا**﴾ [الكهف: ٨٧، ٨٨] وتعرف معنى النجدة فترد غائلة المعتدين على الضعفاء، الهادئين فى أوطانهم المسالمين لغيرهم ﴿**قالوا يا ذا القرنين إن يأجوج ومأجوج مفسدون فى الأرض فهل نجعل لك خرجا على أن تجعل بيننا وبينهم سدا * قال ما مكنى فيه ربى خير فأعينونى بقوة أجعل بينكم وبينهم ردما**﴾ [الكهف: ٩٤، ٩٥].

ويذكر قارون وأصحاب الأخدود مثلا فى البغى والطغيان، والتكالب على الدنيا، وتسخيرهم نعم الله فى إيذاء خلق الله ﴿**إن قارون كان من قوم موسى فبغى عليهم**﴾ إلى أن يقول فى خاتمته وعاقبة أمره: ﴿**فخسفنا به وبداره الأرض فما كان له من فئة ينصرونه من دون الله وما كان من المنتصرين**﴾ [القصص: ٧٦ـ٨١]. ﴿**قُتل أصحاب الأخدود * النار ذات الوقود * إذ هم عليها قعود * وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود * وما نقموا منهم إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد**﴾ [البروج: ٤ـ٨].

وهكذا يسلك القرآن إلى القلوب عن طريق التذكير بالأحداث الماضية.

ولم يقف القرآن فى التذكير عند أحداث الماضى الضاربة فى أعماق القدم، والتى كثيرا ما نسخت عصور الفناء آثارها كما طوت أبطالهم وعناصرها، بل عرض فى كثير من آياته إلى تذكير المسلمين ـ وهم فى المرحلة الثانية للدعوة ـ بأحداث المرحلة الأولى، وهى لا تزال غضة فى أذهانهم، حاضرة فى قلوبهم: ذكرهم وهم فى المدينة بما كانوا عليه وهم فى مكة من الضعف والخوف ﴿**واذكروا إذ أنتم قليل مستضعفون فى الأرض تخافون أن يتخطفكم الناس فآواكم وأيدكم بنصره ورزقكم من الطيبات لعلكم تشكرون**﴾ [الأنفال: ٢٦].

وذكرهم وهم فى المرحلة الثانية بأحداثها القريبة، التى لم تكد تغرب شمسها عن أفقهم ذكرهم بعقد التآخى بين مهاجريهم وأنصارهم، ذلكم التآخى الذى ربط القلوب، ووحد الكلمة، وصاروا به إخوانا يدعون إلى الخير، ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ﴿**وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون**﴾[آل عمران: ١٠٣].

وذكرهم وهم فى المرحلة نفسها بنعمة النصر فى بدر حينما صبروا واتقوا وكانوا على قلب رجل واحد ﴿**ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة**﴾ [آل عمران: ١٢٣].

وذكرهم بما أصابهم فى أُحُد حينما دب الفشل والتنازع فيما بينهم، ففرق صفوفهم وأغرى بهم عدوهم: ﴿**إذ تصعدون ولا تلوون على أحد والرسول يدعوكم فى أخرا كم**﴾ [آل عمران: ١٥٣].

وهكذا يعرض القرآن أحداث الماضى فى قربه وبُعده، وفى خيرها وشرها، على أنظار المسلمين.

(من توجيهات الإسلام ـ لفضيلة الإمام الأكبر الشيخ محمود شلتوت شيخ الجامع الأزهر الأسبق/ ٣٩٩ـ٤٠٢).

*** ابن ذكوان البعلبكى (٢٦٤ـ٣٥٤ هـ):**

هو محمد بن سليمان بن أحمد بن ذكوان أبو طاهر البعلبكى المؤذن مقرى معمر عالى السند صالح نزيل صيدا، ولد سنة أربع وستين ومائتين، أخذ القراءة عنه عرضا (ج)

هارون الأخفش، أخذ القراءة عنه عرضا (ج) عبد الباقى بن الحسن وجعفر بن أحمد بن الفضل، وروى عن أحمد بن محمد بن يحيى وزكريا بن يحيى خياط السنة وأحمد بن إبراهيم البسرى وحدث عنه أبو الحسين بن جميع وابنه السكن، قال الدانى قال لى أبو الفتح قال لى عبد الباقى لم يمكن أبو طاهر من نفسه فى أخذ القرآن على أحد فلما كان قبل موته بسنتين احتاج إلى تعليم الصبيان فكان يعلم بباب الجامع بصيدا فقرأت عليه وختمت عليه القرآن بعد مداراتى له ولولا ما لحقه من الإقلال لكان على الامتناع من الأخذ، مات سنة أربع وخمسين وثلثمائة وقيل سنة ستين.

(غاية النهاية فى طبقات القراء للإمام ابن الجزرى ٢ / ١٤٨).

*** ذكوان بن عبد قيس:**

ذكوان بن عبد قيس بن خلدة بن مخلد بن عامر بن زريق الأنصارى الخزرجى.. يكنى أبا السبع ذكره موسى بن عقبة وأبو الأسود فى أهل العقبة وفيمن استشهد بأُحُد وقال ابن المبارك فى الجهاد عن عاصم بن عمر عن سهيل بن أبى صالح لما خرج النبى صلى الله عليه وآله وسلم إلى أحد قال من ينتدب؟ فقام رجل من بنى زريق يقال له ذكوان بن عبد قيس أبو السبع فقال له النبى صلى الله عليه وآله وسلم من أحب أن ينظر إلى رجل يطأ بقدمه غدا خضرة الجنة فلينظر إلى هذا وذكر الحديث بطوله وروى الواقدى من طريق حبيب ابن عبد الرحمن قال لما خرج أسعد بن زرارة وذكوان بن عبد قيس يتنافران إلى عتبة بن ربيعة بمكة فسمعا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فأتياه فعرض عليهما الإسلام فأسلما فكانا أول من قدم المدينة بالإسلام وروى عمر بن شبة فى أخبار المدينة بإسناد له إلى أنس بن مالك أن سعد بن أبى وقاص اشترى من ذكوان بن عبد قيس بئر السقيا ببعيرين ومن طريق جابر نحوه وزاد أن أباه أوصاه أن يشتريها قال فوجدت سعدا قد سبقنى.

(الإصابة فى تمييز الصحابة لشيخ الإسلام الحافظ ابن حجر العسقلانى ٢ / ١٧٢).

*** ذكوان بن يامين:**

قال عنه شيخ الإسلام ابن حجر:

ذكوان بن يامين بن عمير بن كعب من بنى النضير.. كان يهوديا فقيل إنه أسلم استدركه أبو على الحيانى على أبى عمر فأورد من طريق ابن إسحاق أن ذكوان لقى أبا ليلى وعبد الله بن مغفل باكيين فقال ما يبكيكما. قالا جئنا نستحمل النبى صلى الله عليه وآله وسلم فلم نجد عنده ما يحملنا قال فأعطاهما ناضحا وزودهما وذلك فى غزوة تبوك قال الحيانى هذا يدل على أنه أسلم ولا يعين على الجهاد إلا مسلم. قلت لا يتعين ذلك لاحتمال أن يكون أعان عدوه على عدوه.

(الإصابة فى تمييز الصحابة لشيخ الإسلام الحافظ ابن حجر العسقلانى ٢ / ١٦٢، ١٧٣).

*** ذكوان السلمى:**

ذكوان السلمى: بضم أوله ذكر الأموى فى المغازى عن ابن إسحاق أنه شهد فتح مكة مع النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال وفيه يقول عباس بن مرداس السلمى:

وإنا مع الهادى النبى محمد
وفينا ولم يشوبها معشر الفا
خفاف وذكوان وعوف تخالهم
مصاعيب راقت فى طروقتها كلفا

واستدركه ابن فتحون

(الإصابة فى تمييز الصحابة لشيخ الإسلام الحافظ ابن حجر العسقلانى ٢ / ١٧٣).

*** ابن ذكوان (عبد الله) (١٧٣-٢٤٢ هـ / ٧٨٩-٨٥٧ م).**

أحد راويى ابن عامر وهو عبد الله بن أحمد بن بشر ويقال بشير بن ذكوان بن عمرو بن حسان بن دواد بن حسنون بن سعد بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر أبو عمرو وأبو محمد القرشى الفهرى الدمشقى الإمام الأستاذ الشهير الراوى الثقة شيخ الإقراء بالشام وإمام جامع دمشق، أخذ القراءة عرضا عن أيوب بن تميم وهو الذى خلفه فى القيام بالقراءة بدمشق قال أبو عمرو الحافظ وقرأ على الكسائى حين قدم الشام وروى الحروف سماعا عن إسحاق ابن المسيبى عن نافع، روى القراءة عنه ابنه أحمد بن أنس وأحمد بن المعلى وأحمد بن محمد بن ماموية وأحمد بن يوسف التغلبى وأحمد ابن محمد ويقال محمد بن أحمد بن محمد البيسانى

وأحمد ابن نصر بن شاكر بن أبي رجاء وإسحاق بن داود وإسماعيل بن الحويرس والحسين بن إسحاق وجعفر بن محمد بن كرا وسهل بن عبد الله بن الفرخان الزاهد وأبو زرعة عبد الرحمن بن عمرو الدمشقي وعبد الله بن عيسى الأصفهاني وعبد الله بن مخلد الرازي وعثمان بن خرزاذ وعلى ابن الحسن بن الجنيد ومحمد بن إسماعيل الترمذي ومحمد ابن القاسم الإسكندراني محمد بن موسى الصوري ومضر بن محمد الضبي وموسى بن موسى الختلي وهارون بن موسى الأخفش، وألف كتاب «أقسام القرآن وجوابها» وكتاب «ما يجب على قارىء القرآن عند حركة لسانه» قال أبو زرعة الدمشقي لم يكن بالعراق ولا بالحجاز ولا بالشام ولا بمصر ولا بخراسان في زمان ابن ذكوان أقرأ عندي منه، وقال الوليد ابن عتبة الدمشقي ما بالعراق أقرأ من ابن ذكوان، وقال النقاش قال ابن ذكوان أقمت على الكسائي سبعة أشهر وقرأت عليه القرآن غير مرة قلت إن كان رحل إليه للعراق فمحتمل وإلا فما نعلم أن الكسائي دخل الشام ثم وقفت على ما يدل أن الكسائي دخل الشام وأقرأ بجامع دمشق، ولد يوم عاشوراء سنة ثلاث وسبعين ومائة وتوفي يوم الاثنين لليلتين بقيتا من شوال وقيل لسبع خلون منه سنة الاثنتين وأربعين ومائتين وقد غلط من قال سنة ثلاث وأربعين (غاية النهاية ١ / ٤٠٤، ٤٠٥).

أما عن رواية ابن ذكوان فيقول الإمام ابن مهران الأصبهاني: قرأت بدمشق القرآن من أوله إلى آخره على أبي الحسن محمد بن النضر بن مر بن الحر الربعي المقرئ المعروف بابن الأخرم.

قال: وقرأت على أبي عبد الله هارون بن موسى بن شريك المعروف بالأخفش، قال: وقرأ الأخفش على عبد الله بن أحمد بن بشير بن ذكوان قال: وقال عبد الله بن ذكوان: قرأت على أيوب بن تميم التميمي. وقال أيوب: قرأت على يحيى ابن الحارث الذماري. وقال أيوب: قال لي يحيى بن الحارث قرأت على عبد الله بن عامر اليحصبي:

وقال عبد الله بن ذكوان: وقرأ عبد الله بن عامر على رجل، وقرأ الرجل على عثمان بن عفان رضي الله عنه. قال أبو الحسن (هو محمد بن النضر الربعي تقدم): قال أبو عبد الله الأخفش: لم يسم لنا عبد الله بن ذكوان الرجل الذي قرأ عليه عبد الله بن عامر وسماه لنا هشام بن عمار السلمي فقال: هو المغيرة بن أبي شهاب المخزومي، وكان قرأ على عثمان بن عفان رضي الله عنه (الغاية في القراءات العشر / ٧٢ ـ ٧٥).

وفي منظومة الشيخ أحمد بن محمد جابر المصري «مختصر قواعد التحرير لطيبة النشر» نجده قد صاغ الأبيات التالية:

أولا عن أصول ابن ذكوان، ثم عن فرش ابن ذكوان:

فأما عن أصول ابن ذكوان فيقول الناظم (ص ٢٥ ـ ٣١).

يمد ونسوله مع نسوله ونصله
ويقصه ألفه لما قصرنّ كذا صلا
لصوريهم صلها جميعا لأخفش
وما كان ربلي مع السكت موصلا
سوى يقفه ألفه فبالسكت أوصلا
بقصر جميع غنة اللام أهملا
وما اختلس المطوعي مع سكته
وإن تختلس عنه فالغن رتلا
ويرضه للصوري مختلس فقط
والأخفش يروى الوصل والقصر مجتلا
وإن يسكت النقاش أو مد يختلس
كذا الثان إن يسكت بما كان موصلا
ويختص سكت الفصل عنه بوصله
وحرف اقتده للأربع اقصر كذا صلا
ولا سكت للصوري بشان وأول
به وسط النقاش والسكت أهملا
به أيضا الصوري أمال ذوات را
بفتح له في الكافرين تحصلا
لصور فوسط مثل نجل ابن أخرم
ووسط لنقاش كذا عنه طولا
كالآن أبدل عند سكت وطوله
ومع سكت فصل لابن الأخرم أسجلا
وفي آلذا مات فاسأل بسكته
أأسجد بالتحقيق الأخفش رتلا

بــه سكت صُــور خُصَّ أن كــان أعجمي
بــلا فصل النَّقَّــاش والمُطْـوعي كــلا
وخصص بــه سكتــا لــرملي وأخــرم
بــالأخفش سكت الفصل خصِّص وأهمــلا
بــه طــول نَقَّــاش ومــا غَنَّ ســاكنــا
ســوى أخــرم مع ســاكــن الفصل حلَّــلا
وأدغم إذ في الــدال الأخــرم إن تَقُل
بــالإدغــام للصــوري فللسكت أهمــلا
وسكتــا وطــولا دع لنقَّــاش مُظهــرا
وإدغــام دال عنــه فـي الــزاي فــاحظــلا
وإطــلاق سكـت لابن الأخــرم فــامنعــا
بإظهــارهــا والــرمل بــالسكت أهمــلا
لــلادغــام والمُطَّــوعي مُــدغمــا قــرا
فللكــافــرين اضجــع وذا الــراء ميَّــلا
وأثبت الصــوري بــالخلف مُــدغم
ولا سكت والنقــاش أدغم مُسْجَــلا
بثــاء وسكت الفصل عنــد ابن أخــرم
وغَنَّــا على الإظهــار دع مــدغمــا فــلا
تُعمِّم لسكـت صــور إن يُــدغم افتحــا
لــه كــافــرين السكت والغن أهمــلا
وإدغــام أورثتم فخصص بصــورهم
ولا سكت معــه وافتح إن تُظهــرن فــلا
وللمُطَّــوِّعي في الــزُّخـرف أدغم بــه افتحا
لــه كــافــرين أظهــر لــلأخفش يُجتــلا
ويس والقــــــرآن أدغم لأخفــش
بــه سكت صــوريٌّ تخصَّص وانجــلا
لصُــور فأضجع كــافــريـن وذات را
أو الــرَّا فقط عنــه ومُطَّــوِّعي تــلا
بفتحهمــا أيضــا بــذا اختص سكتــه
كشــان لــرملي فتح الأخفش أسجــلا

وزاد أمل للــرمل وافتح لأخــرم
بــه سكت نقــاش كــذا الطــول أهمــلا
وللمُطَّــوِّعي فــافتح مع الصــاد فــاتحــا
بــه سكتُــه يختص كــاليــا تحمَّــلا
وفتحُ حِمَــار خُلْفُ الأخفش دع بــه
لغـنٍّ وسكت لابن الأخــرم واهمــلا
لنقَّــاشهم غنَّــا مع المــد فــاتحــا
وغُنَّ بميل سكتــه امنع مميَّــلا
ولا طــول مع مــا قــد أميل بخُلفــه
ســوى زاد ميِّل والحمَــار فخلِّــلا
وعمــران والمحــراب إن تسكت افتحــا
ولا تُضجع الثــاني بإظهــار إذ ولا
يُميل ســوى النَّقَّــاش لــرَّمْل أضجعن
بخُلْف حــواريين للسَّكت مُهمــلا
وحــرفي رآه السكت خصِّصه فــاتحــا
وهمــزا فقط إضجــاع الأخفش أهمــلا
كمطَّــوِّعي إضجــاع حــرفيــه وافتحن
لــه فــاتحــا حــرفيــه ذا الــرَّا فميِّــلا
مُميــلا لهمــز هــار افتح بخُلفــه
كنقــاشهم سكتــا لــه امنع مُميِّــلا
لمُطَّــوِّعي بــالفتح لا سكت وافتحــا
لــدى الــرَّا ومُــزجــاة لصــور فميِّــلا
كنقَّــاش دع سكتــا بهــذا لــديهمــا
وفي حــرف أدرى فتح نقــاش انجــلا
وميــلا بهــا خصِّص بسكت ابن أخــرم
بيــونس الاضجــاع عنــد أبي العــلا
لــرملي أتى أضجع لــلأخفش فــافتحــا
لمُطَّــوِّعيٍّ السكت بــالفتح أعمــلا
وسكتــا بميل الشــاربين لــه اخصُصــا
كفتح لــرملي فتح الأخفش أصِّــلا

لنقَّاش التجريد يلقاه مضجعٌ
ومن طرق الرملي جميعا فميلا
وخاب افترى ثلث لمُطَّوِّعيهم
فكلا بفتح مثل الأخفش فانقلا
وكُلاًّ أمل كالرمل أو خاب فافتحا
ومع ثالث فالغن حتما فأهملا
وإن تُضجعن كُلا فعيِّن لغُنَّة
ويختصُّ وجه السكت بالفتح في كلا
وإكراههن الإكرام للمزَّمل فافتحن
وخُلفا بسكت الكل بالميل حلَّلا
للأخرم والمفصول بالفتح خلفه
لمُطَّوِّعي افتح إن لهذين ميِّلا
مشارب فافتح يعقلون مخاطبا
به سكت رمل خصصن وميلا
مع التاء واخصص سكت مُطَّوِّعي به
والأخفش فيها الفتح لا غير أعملا

أما عن فرش ابن ذكوان فيقول الناظم (ص ٣١ - ٣٥):

والأخفش للتنوين يكسر واضمما
لنقاش لا سكت به وتنقَّلا
للأخرم في اجتثت كذلك رحمة
بلا مطلق والكسر إن يك مُسجلا
فلا سكت للرملي ورا مطوعي اضجعا
للرملي إبراهيم بالألف انقُلا
ومع ألف سكت ابن أخرم اتركا
وفي البقرة إطلاق سكت بذا اهملا
وغُنَّ بإضجاع الحمار وعنديا
فأطلق له سكتا لمُطَّوِّعي احظُلا
لغن وسكت فاتح الكل أو أمل
بغن أو اسكت ثم بالألف اعملا

بغنٍّ وفتح أو ببلا غُنَّة أمل
سوى الكافرين الذال أدغمه يافلا
ويبسط وبسطه صاد الأخرم أول
بسين لنقاش وسكتا فأعملا
بسين للرملي عكس سكت رفيقه
وبالسين يا عنه وبالصاد أسجلا
وسكتا للرملي اخصص بيائك نجزين
بها وسِّط النقاش والسكت أهملا
ومُطَّوِّعي بالنون الأخرم ياؤه
وتسألن فاحذف وسط السكت فاحظلا
وما تصفون الغيب فامنعه ساكتا
لصور كفتح عند مطوعي انقُلا
وخاطب بفتح مثل الأخفش فخِّما
لصور بفرق رقِّقا وسط اهملا
لسكت كغيب عند آخر نمله
ووجه خطاب لابن الأخرم نُقِّلا
وللمُطَّوِّعي في الكامل الغيب مضجع
لذي الرا وحرف الكافرين تقبَّلا
وإن تفتحن تا تخرجون فوسِّطا
ولا سكت للنقاش آتوا فطوِّلا
للأخفش والرملي بقصر رفيقه
مع السكت فامدد ثم بالقصر ميِّلا
والياس إن تسكت لمطوعي اقطعا
لرملي فَصلْ والقطع بالسكت مُسْجَلا
لأخرم امنع صل لنقَّاش تأمرو
بنونين إلا الرمل بالخُلف مهملا
لسكت وسكتا مطلقا خص أخرم
بتدعون تاء غيب نقَّاش اسجلا
به سكت صور خُصَّ مع فصل أخرم
وما لي أسكن عند الأخفش واحظُلا

لصـــور بـــه فـي الكـافـريـن إمـالـــة
وفتحـا لهـا فـاخصص بـذى الـرا مُمَيَّـلا
وللمُطَّـــوِّعى فـى الكـافـرين بميلهـا
لـلأخفش نـوِّن قلب للـرملى فـاحظـلا
بتنـوينـه افتح عنـد مطـوعى اتـركـا
لسكت ونصبـا عنـد يُـوحى ويُـرسـلا
لـدى أخـرم بـالنصب هـذا فخصِّصـا
لمطَّـوِّعى فتحـا وأيضـا فـأهمـلا
لسكت رفيق ثـم بـالـرفع مسكنـا
لمطـوعى وجـه الإمـالـة رتِّـلا
بــه وسِّط النقَّـاش للسكت تـاركـا
مُسيطـر الصـورى بصـاد لـه كـلا
ومـع سين نقـاش فـوسط لمـده
بـلا سكتـه والتـاء عنـه تنـزَّلا
بمـا تـؤمنـون التلـو أيضـا ومثلـه
لـدى أخـرم مع تـرك سكت أبى العـلا
وسكتـا وميل الكـافـرين فخصصـا
بـالاثبـات وقفـا عنـد حـرف سلاسـلا
لنقـاشـه يختص سكت بغيبـه
تشـاءون إلا عكس صـور تنقـلا
وسكـت بمفصـول بغيب ابن أخـرم
ومـوصـولـه يختص بـالعكس فـاعمـلا
ونخلقكـم الإدغـام يختص نـاقصـا
بفتـح وتـوسيط وبـالسكت مهمـلا
وفـى فـاكهين امـدد لمطـوعيهـم
ونقَّـاشهم واقصـر لـدى الـرمل واقبـلا

(مختصر قواعد التحرير / ٢٥-٣٥).

(غاية النهاية فى طبقات القراء للإمام ابن الجزرى ١ / ٤٠٤، والغاية فى القراءات العشر للحافظ أبى بكر أحمد بن الحسين بن مهران الأصبهانى - تقديم د. أحمد علم الدين رمضان الجندى، ود. مصطفى مسلم، دراسة وتحقيق محمد غياث الجنباز / ٧٢-٧٥ ، ومختصر قواعد التحرير لطيبة النشر - محمد بن محمد جابر المصرى / ٢٥-٣٥.

انظر أيضا الأعلام للزركلى ٤ / ٦٥، والبحث والاستقراء - محمد الصادق قمحاوى / ٣٨، والتذكرة فى القراءات للشيخ أبى الحسن طاهر بن عبد المنعم بن غلبون - تحقيق د. عبد الفتاح بحيرى إبراهيم ١ / ٥٦، ٥٧، وتاريخ القراء العشرة ورواتهم - الشيخ عبد الفتاح القاضى / ٢٣).

*** ابن ذكوان (عبد الرحمن) (١٧٣-٢٠٢ هـ / ٧٨٩-٨١٨ م):**

عبد الرحمن بن أحمد، أبو عمر، ابن ذكوان، عالم بالقراءات. كان شيخ الإقراء فى الشام. ولم يكن بالمشرق والمغرب فى زمانه أعلم بالقراءة منه.

(الأعلام للزركلى ٣ / ٢٩٣).

*** ذكوان مولى الأنصار:**

ذكوان مولى الأنصار. روى أبو يعلى من حديث جابر قال ابتعنا بقرة فى عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فانفلتت منا فعرض لها مولى لنا يقال له ذكوان بسيف فى يده فضربها فوقعت فلم ندرك ذكاتها فسألنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال: ما فاتكم من هذه البهائم فاحبسوه بما تحبسون به الوحش وفى إسناده حرام بن عثمان وهو ضعيف جدا.

(الإصابة فى تمييز الصحابة لشيخ الإسلام الحافظ ابن حجر العسقلانى ٢ / ١٧٣).

*** ابن ذكوان مولى بن العنبر (١٠٢-١٨٠ هـ):**

أبو عبيدة التنورى، البصرى، مولى بنى العنبر. وهو عبد الوارث بن سعيد بن ذكوان، العنبرى، التميمى. كان أحد الأئمة الحفاظ فى البصرة. ولد سنة ١٠٢ هـ. وعرض القراءة على أبى عمرو بن العلاء، فأصبح ثقة، حجة، ووصف بالعبادة والدين والفصاحة والبلاغة، فأخذ عنه القراءة واللغة كثير من أهل البصرة.

لكنه اتهم برأى القدرية، ذلك المذهب الذى أشغل أصحاب الديانات القديمة وقد نهى النبى ﷺ عن الخوض فى مسألة القدر مع وجوب الإيمان به، لأن معتنق ذلك المذهب يلقى عن نفسه مسئولية أخطائه وذنوبه، لأنها مقدرة عليه، وليس له فيها قدرة على تجنبها وعدم إتيانها.

وكان ابن ذكوان يرى القدر، ولكنه لم يدع إليه أو يحاول بثه بين المسلمين. توفى سنة ١٨٠ هـ بالبصرة. وصلى عليه

القاضي الشهير ابن سوار العنبري. (اعلام تميم ـ حسين حسن / ٢٥١، ٢٥٢).

*** ذكوان مولى رسول الله ﷺ:**

ذكوان مولى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.. ذكره ابن حبان في الصحابة وروى البغوى والطبرانى من طريق شريك عن عطاء بن السائب قال أوصى أبى بشيء لبنى هاشم فجئت أبا جعفر فبعثنى إلى امرأة عجوز وهى بنت على فقالت حدثنى مولى لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقال له طهمان أو ذكوان قال قال لى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا «تحل الصدقة لى ولا لأهل بيتى» قال البغوى وروى عن شريك فقال مهران وقيل ميمون وقيل باذام ولا أدرى أيها الصواب. قلت وقيل فيه أيضا هرمز وقيل كيسان وهى رواية جرير عن عطاء وقيل مهران وهو أصحها فإنها رواية سفيان الثورى عن عطاء بن السائب فى هذا الحديث.

(الإصابة فى تمييز الصحابة لشيخ الإسلام الحافظ ابن حجر العسقلانى ٢ / ١٧٣).

*** الذكواني:**

قال السمعانى، ويلاحظ أن ما بين قوسين هو من تعليقات الأستاذ عبد الله عمر البارودى:

الذكوانى: بفتح الذال المعجمة وسكون الكاف وفتح الواو بعدها الألف وفى آخرها النون، هذه النسبة إلى ذكوان وهو اسم لبعض أجداد المنتسب إليه، والمشهور بهذه النسبة أبو بكر محمد بن أحمد بن عبد الرحمن بن محمد بن عمر بن عبد الله بن ذكوان الذكوانى المعروف بأبى بكر بن أبى على (٣٣٣ ـ ٤١٩ هـ) من أهل أصبهان، كان من أولاد المحدثين، سمع أبا بكر أحمد بن موسى التيمى (بياض وفى أخبار أصبهان فى ترجمة الذكوانى «ولد سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة، وتوفى فى غرة شعبان من سنة تسع عشرة وأربعمائة، شهد وحدث ستين سنة، روى عن عبد الله بن جعفر بن أحمد وأبى عبد الله الكسائى، وسمع بمكة والأهواز والبصرة، وجمع وصنف الشيوخ، حسن الخلق قويم المذهب رحمة الله عليه»).

وحفيده أبو الحسين أحمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أحمد الذكوانى. (نحو ٣٩٠ ـ ٤٨٤ هـ من أهل أصبهان، كان من ثقات المحدثين ومشاهيرهم، وكان مكثرا صاحب أصول، صدوقا فى الروايات ثقة، أفاده أبوه أبو القاسم بن أبي بكر بن أبى على عن جماعة من الثقات، سمع أبا الفرج عثمان بن محمد البرجي وأبا بكر أحمد بن موسى بن مردويه الحافظ وجده أبا بكر بن أبى على وأبا طاهر السريجانى وطبقتهم، روى لى عنه الحافظ إسماعيل بن محمد بن الفضل وأبو نصر أحمد بن عمر الغازى وأبو سعد أحمد بن أبى الفضل البغدادى وأبو بكر محمد بن أبى نصر اللفتوانى وأبو مسعود عبد الجليل بن محمد بن كوتاه الأصبهانيون وجماعة سواهم.

وأبو جعفر أحمد بن محمد بن الحسين بن حفص بن الفضل بن يحيى بن ذكوان الذكوانى الهمدانى، يلقب بأحمولة، ثقة من أهل أصبهان، يروى عن جده الحسين وخلاد بن يحيى وأبى نعيم الفضل بن دكين، روى عنه عبد الرحمن بن الحسن بن موسى الأصبهانى، وتوفى فى شهر ربيع الأول سنة أربع وستين ومائتين.

وابن عمه (هو فى الحقيقة ابن عم أبيه) أبو محمد عبد الله بن الحسن بن حفص بن الفضل بن يحيى بن ذكوان الهمدانى الذكوانى ابن أخى الحسين بن حفص، روى عن عمه وبكر بن بكار، وكان مقدم البلد، وإليه التزكية وتعديل الشهود، عاش سبعا وسبعين سنة. روى عنه ابنه محمد بن عبد الله، وتوفى ليلة السبت النصف من رجب سنة أربع وخمسين ومائتين (فى اللباب «قلت فاته الذكوانى ـ نسبة إلى ذكوان وهم بطن كبير من سليم بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس عيلان ـ وهو ذكوان بن ثعلبة بن بهثة بن سليم، ينسب إليه خلق كثير، منهم صفوان بن المعطل بن رحضة بن المؤمل بن خزاعى بن محاربى بن مرة بن هلال بن فالج بن ذكوان السلمى الذكوانى، له صحبة، وهو الذى قال فيه أهل الإفك ما قالوا.

ومنهم عمير بن الحباب.

والجحاف بن حكيم السلميان الذكوانيان ـ الحباب بضم الحاء المهملة»).

(الأنساب للسمعانى ـ تقديم وتعليق عبد الله عمر البارودى ٣ / ١٠، انظر تهذيب سير أعلام النبلاء لشمس الدين الذهبى ـ أشرف على

تحقيق الكتاب شعيب الأرنؤوط، هذبه أحمد فايز الحمصى، راجعه عادل مرشد ٢ / ٣٠٦، ٣٠٧، ٣٣٤، ٤٥٠).

* **ذم البدع والأهواء:**

قال الله تعالى: ﴿ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله﴾[القصص: ٥٠] وقال تعالى: ﴿ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله﴾ [ص: ٢٦]

وعن عائشة رضى الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «من أحدث فى أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد» رواه البخارى ومسلم، ومعنى «رد» مردود عليه غير مقبول فعله منه أو من غيره.

وفى رواية:

«ومن عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد» ... متفق عليه. (الفرق بين الرواية الأولى «من أحدث» والرواية الثانية «من عمل» أن الأولى خاصة من أحدث البدعة، والثانية تشمل من أحدثها ومن فعلها وإن لم يحدثها فكل بدعة مردودة).

وعن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما عن النبى ﷺ أنه قال «من رغب عن سنتى فليس منى» (يشمل تاركها ومن استبدل بها غيرها) أخرجه البخارى وعن ابن مسعود رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أنا فرطكم على الحوض. وليختلجن رجال دونى فأقول يارب أصحابى فيقال إنك لا تدرى ما أحدثوا بعدك» ... متفق عليه.

(فرطكم. الفرط: بفتح الفاء والراء الذى يتقدم الواردين فيهيئ لهم ما يحتاجون والمراد أنه المتقدم للثواب والشفاعة يختلجن: يقتطعون وينتزعون بعيدا.

المراد المنافقون وكانوا معروفين بأسمائهم. أو دعائهم بذلك لشبههم بالصحابة فى إظهار الإسلام تلبيس إبليس لابن الجوزى ص ١٢).

قال عبد الله بن محيريز: يذهب الدين سنة سنة كما يذهب الحبل قوة قوة ... متفق عليه.

وقال معاذ بن جبل: يفتح القرآن على الناس حتى تقرأه المرأة والصبى والرجل فيقول الرجل قد قرأت القرآن فلم اتبع والله لأقومن به فيهم لعلى اتبع فيقوم به فيهم فلا يتبع فيقول: قد قرأت القرآن فلم اتبع، . وقمت فيهم فلم اتبع لاحتضرن فى بيتى مسجدا، فيحتضر فى بيته مسجدا فلا يتبع. فيقول لقد قرأت القرآن فلم أتبع وقمت به فيهم فلم أتبع وقد احتضرت فى بيتى مسجدا فلم أتبع والله لآتينهم بحديث لا يجدونه فى كتاب الله ولم يسمعوه من رسول الله ﷺ. لعلى أتبع فإياكم وما جاء به فإن ما جاء به ضلالة.

روى هذا الأثر أبو داود بلفظ آخر فقال: معاذ إن من ورائكم فتنا يكثر فيها المال ويفتح فيها القرآن حتى يأخذه المؤمن والمنافق والرجل والمرأة والصغير والكبير والعبد والحر فيوشك أن يقول قائل ما للناس لا يتبعونى وقد قرأت القرآن ما هم بمتبعى حتى أبتدع لهم غيره فإن ما أبتدع ضلالة وأحذركم زيفة الحكيم فإن الشيطان قد يقول كلمة الضلالة على لسان الحكيم وقد يقول المنافق كلمة الحق.

وقال عبد الله: تعلموا العلم قبل أن يقبض وقبضه أن يذهب أهله ألا وإياكم والتنطع والتعمق والبدع وعليكم بالعتيق وعن عمر رضى الله عنه أنه قال: سيأتى قوم يجادلونكم بشبهات القرآن فحذروهم بالسنن فإن أهل السنة أعلم بكتاب الله عز وجل.

وعن عثمان الأزدى قال: دخلت على ابن عباس رضى الله عنهما فقلت له أوصنى، فقال عليك بتقوى الله تعالى والاستقامة اتبع ولا تبتدع.

وروى البيهقى عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال: إن أبغض الأمور إلى الله تعالى البدع وإن من البدع الاعتكاف فى المساجد التى فى الدور (البيهقى فى كتاب السنن وأسنده أبو نعيم ثنا زمعة بن صالح عن عثمان بن حاضر الأزدى)

وروى أبو داود فى سننه عن حذيفة رضى الله عنه قال: كل عبادة لم يتعبد بها أصحاب رسول الله ﷺ فلا تتعبد بها فإن الأول لم يدع للآخر مقالا فاتقوا الله يا معشر القراء خذوا طريق من كان قبلكم.

ومن كلام عمر بن عبد العزيز رحمه الله: أوصيكم بتقوى الله والاقتصاد فى أمره واتباع أمر رسول الله ﷺ وترك ما أحدث المحدثون بعده (أبو داود وهو مختصر من كلام طويل، وابن وضاح ص ٣٠ من كلام طويل: البدع والنهى عنها، وابن الجوزى ص ٨٦ من كلام طويل).

وقال الحسن: لا يقبل الله لصاحب بدعة صوما ولا صلاة ولا حجا ولا عمرة حتى يدعها.

وقال محمد بن أسلم: من وقَّر صاحب بدعة فقد أعلن على هدم الإسلام.

وقال أبو معشر: سألت إبراهيم عن شيء من هذه الأهواء فقال ماجعل الله في شيء منها مثقال ذرة من خير ما هي إلا نزغة من الشيطان عليك بأول الأمر.

وعن ابن عمر رضي الله عنه قال: كل بدعة ضلالة وإن رآها الناس حسنة. وقال معمر كان طاوس جالسا يوما وعنده ابنه فجاء رجل من المعتزلة فتكلم في شيء فأدخل طاوس أصبعه [أصبعيه] في أذنيه وقال: يا بني ادخل أصبعك [أصبعيك] في أذنيك حتى لا تسمع من قوله شيئا فإن هذا القلب ضعيف ثم قال: أي بني شدد [أسدد] فما زال يقول شدد [اسدد] أي سر في الطريق المستقيم) حتى قام الرجل.

وعن محمد العيني قال: كان رجل معنا يختلف إلى إبراهيم فبلغ إبراهيم أنه دخل في الإرجاء فقال له إبراهيم: إذا قمت من عندنا فلا تعد (ابن الجوزي ص ١٢، والراوي محمد بن داود عن عيسى بن علي القيسي قال).

وقال محمد بن داود الحرائي [الحدائي]: قلت لسفيان بن عيينة إن هذا يتكلم في القدر ـ يعني ـ إبراهيم بن أبي يحيى ـ فقال سفيان: عرِّفوا الناس أمره واسألوا ربكم العافية.

وقال صالح الري: دخل رجل على ابن سيرين وأنا شاهد [حاضر مشاهد] ففتح بابا من أبواب القدر فتكلم فيه. فقال ابن سيرين: إما أن تقوم وإما أن نقوم.

وقال سلام بن مطيع: قال رجل من أهل الأهواء لأيوب لا أكلمه بكلمة فقال ولا بنصف كلمة. ابن الجوزي في تلبيس إبليس ص ١٢ والصواب سلام بن أبي مطيع والنص هكذا خطأ وصوابه «قال رجل من أهل الأهواء لأيوب أكلمك بكلمة قال لا ولا نصف كلمة».

وقال أيوب [السختياني]: ما ازداد صاحب بدعة اجتهادا إلا ازداد من الله بُعدا.

وقال سفيان الثوري رحمه الله: البدعة أحب إلى إبليس من المعصية ... المعصية يتاب منها والبدعة لا يتاب منها.

وقال: من سمع من مبتدع لم ينفعه الله بما سمع ومن صافحه فقد نقض الإسلام عروة عروة (نقص الإسلام: خرج منه شيئا فشيئا).

ولما مرض سلمان التيمي (ابن الجوزي في تلبيس إبليس ص ١٣ والصواب سليمان الهيثمي).

بكى بكاء شديدا فقيل له ما يبكيك، الجزع [أتجزع] من الموت؟ فقال لا ولكني مررت على قدري فسلمت عليه وأخاف أن يحاسبني ربي عليه.

وقال الفضيل بن عياض: من جلس إلى صاحب بدعة أحبط الله عمله وأخرج نور الإيمان أو قال الإسلام من قلبه.

وقال: إذا رأيت مبتدعا في طريق فخذ في طريق آخر ولا يرفع لصاحب بدعة إلى الله عمل. ومن أعان صاحب بدعة فقد أعان على هدم الإسلام.

وقال: من زوج كريمته من مبتدع فقد قطع رحمها (أي وسيعاقب عقاب قاطع الرحم).

وقال: من جلس مع صاحب بدعة لم يعط الحكمة، وإذا علم الله من رجل إنه مبغض لصاحب بدعة رجوت أن يغفر الله له.

وقال محمد بن النضر الحارثي: من أصغى إلى صاحب بدعة نزعت منه العصمة ووكل إلى نفسه.

وقال الليث بن سعد: لو رأيت صاحب هوى يمشي على الماء ما قبلته.

وقال الإمام الشافعي: رضي الله عنه: أما أنه قد قصر لو رأيته يمشي في الهواء ما قبلته (ابن الجوزي ص ١٤ وصحته أنه (أي الليث) ما قصر لو رأيته يمشي على الهواء ما قبلته).

وسأل رجل عمر بن عبد العزيز عن الأهواء فقال: الزم دين الصبي في المكتب واله عما سوى ذلك (الدادمي ١ / ٧٧ وفيه: عليك بدين الأعرابي والغلام في الكتاب، وابن الجوزي ص ٨٦).

وقال مالك بن أنس: إياكم والبدع قيل يا أبا عبد الله وما البدع؟ قال أهل البدع الذين يتكلمون في أسمائه وصفاته وكلامه وعلمه وقدرته ولا يسكتون عما سكت عنه الصحابة والتابعون كما تكلموا في الأحكام ولكنه باطل يدل على باطل.

وسئل سفيان الثوري عن الكلام فقال: دع الباطل أين أنت من الحق. اتبع السنة ودع البدعة.

وقال: وجدت الأمر بالاتباع.

وقال: عليكم بما عليه الحمالون والنساء فى البيوت والصبيان فى المكاتب من الإقرار والعمل.

وقال الإمام الشافعي رضى الله عنه: لأن يلقى الله العبد بكل ذنب ما خلا الشرك خير له من أن يلقاه بشىء من الأهواء.

وقال أيضا: لأن يبتلى المرء بما نهى الله عنه ما خلا الشرك بالله خير له من أن يبتليه بالكلام ...

وقال: ما ارتدى أحد الكلام فأفلح.

وقال أيضا حكى فى أصحاب الكلام أن يضربوا بالجريد ويحملوا على الإبل

ويطاف بهم فى العشاير والقبائل ويقال هذا جزاء من ترك الكتاب والسنة وأخذ فى الكلام.

وقال مالك: بئس القوم هؤلاء أهل الأهواء لا يسلم عليهم.

وقال أبو الحسن البغوى: قد مضت الصحابة والتابعون وأتباعهم وعلماء السنة على معاداة أهل البدع ومهاجرتهم.

وقال ابن عمر فى أهل القدر: خبرهم إنى برىء منهم وأنهم برآء منى.

وقال أبو قلابة: لا تجالسوا أصحاب الأهواء فإنى لا آمن من أن يغمسوكم فى ضلالهم ويلبسوا عليكم بعض ما تعرفون (الدارمى ١ / ٩٠ وفيه لا تجالسوا ... ولا تجادلوهم).

وقال سفيان: من سمع بدعة فلا يحكها لجلسائى ولا يلقها فى قلوبهم.

وقال أبو الحسن البغوى: قد كفر بعض أهل العلم طوائف منهم فروى عن جماعة من السلف تكفير من قال بخلق القرآن.

وروى ذلك عن مالك وابن عيينة وابن المبارك والليث بن سعد ووكيع بن الجراح.

وناظر الإمام الشافعى لحفص الفرد فقال القرآن مخلوق. فقال الشافعى كفرت بالله العظيم.

وقال محمد بن إسماعيل البخارى: نظرت فى كلام اليهود والنصارى والمجوس فما رأيت قوم أضل فى كفرهم من الجهمية وإنى لأستجهل من لا يكفّرهم إلا من لا يعرف كفرهم.

وقال مالك بن أنس: من بغض أحدا من أصحاب النبى ﷺ وكان فى قلبه عليهم غل فليس له حق فى فيىء المسلمين. ثم قرأ: **﴿ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فلله وللرسول ولذى القربى﴾** إلى قوله **﴿والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان﴾** [الحشر: ٧ـ٩].

وقال سفيان الثورى: من قدَّم عليا على أبى بكر وعمر فقد أذرى بالمهاجرين.

وذكر بين يديه رجل يتقص أصحاب رسول الله ﷺ فقرأ مالك هذه الآية: **﴿محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم﴾** إلى قوله: **﴿ليغيظ بهم الكفار﴾**[الفتح: ٢٩] ثم قال: من أصبح من الناس فى قلبه غل على أصحاب رسول الله ﷺ فقد أصابته هذه الآية.

وقال سفيان الثورى: من قدم عليا على أبى بكر وعمر أذرى بالمهاجرين والأنصار وأحسبه أن لا ينفعه مع ذلك عمل.

وقال أبو الحسن البغوى: وهذا الهجران والتبرء والمعادات لأهل البدع والمخالفين فى الأصول أما الاختلاف فى الفروع بين العلماء فاختلاف رحمة أراد الله أن لا يكون على المؤمنين حرج فى الدين فعلى المسلم إذا رأى رجلا يتعاطى شيئا من الأهواء والبدع معتقدا ويتهاون بشىء من السنن أن يهجره ويتبرأ منه ويتركه حيا وميتا فلا يسلم عليه إذا لقيه ولا يجيبه إذا ناداه والنهى عن الهجران فوق الثلاث فيما يقع بين الرجلين من التقصير فى حقوق الصحبة دون ما كان فى حق الدين فإن هجر أهل البدع والأهواء دايم إلى أن يتوبوا فعليك يا أخى باتباع السنة وقبولها وموالاة أهلها واجتناب البدع وردها ومعادات أهلها.

قال عبد الله بن مسعود رضى الله عنه كلمنى كلمات جوامع موانع فقال: لا تشرك بالله شيئا وزل مع القرآن حيث زال ومن جاءك بالحق فاقبل منه وإن كان بعيدا رفيضا، ومن جاءك بالباطل فرده عليه وإن كان قريبا حبيبا، وعليك بما قال ابن عمر رحمه الله: ثلاث أحب لنفسى ولإخوانى: هذه السنة أن يتعلموها ويسألوا عليها، والقرآن أن يتفقهوا ويسألوا عنه، ويدعوا الناس إلا من خير.

وقال الأوزاعى رحمه الله تعالى: خمس كان عليها

أصحاب النبى ﷺ لزوم الجماعة، واتباع السنة، وعمارة المسجد، وتلاوة القرآن، والجهاد فى سبيل الله - عز وجل - رزقنا الله الاتباع وإحياء السنن، وجنبنا البدع والأهواء فى السر والعلن.

(المحدثون فى مصر والأزهر - أ. د الحسينى هاشم، وأ. د. أحمد عمر هاشم / ٣٢٥-٣٣٣).

*** ذم التكسب بصناعة الطب:**

انظر : رسالة فى ذم التكسب بصناعة الطب.

*** ذم الثقلاء:**

لأبى عبد الله محمد بن خلف المرزبان البغدادى المتوفى سنة ٣٠٩ تسعة وثلثمائة.

(إيضاح المكنون للبغدادى ١ / ٥٤٣).

*** ذم الحسد:**

ذم الحسد: لابن أبى الدنيا ولأبى بكر محمد بن حسن المعرى المعروف بالنقاش الموصلى المتوفى سنة ٣٥١ إحدى وخمسين وثلثمائة وقيل غير ذلك.

(كشف الظنون لحاجى خليفة ١ / ٨٢٧).

*** ذم الخطأ فى الشعر:**

من مصنفات التراث الإسلامى فى علم الأدب. مطبوع.

مخطوط فى دار الكتب الظاهرية بدمشق (أو بمكتبة الأسد) وجاء بيانه كما يلى :

الرقم ٧٦٢٥.

لأبى الحسين أحمد بن فارس بن زكريا المتوفى سنة ٣٩٥ هـ / ١٠٠٤ م (ترجمته فى بروكلمان الذيل ١ / ١٩٧، ١٩٨، والأعلام ١ / ١٨٤، ومعجم المؤلفين ٢ / ٤٠).

أوله: «قال أبو الحسين أحمد بن فارس زكريا رحمه الله :

إن الله خلق خلقه كما شاء ولما شاء إظهارا وعلما للربوبية وخلق آدم عليه السلام وفضله على سائر الخلق بالبيان الذى آتاه النطق الذى علمه إياه، وأنشأ لآدم عليه السلام ذرية واختار من ذريته صفوة اصطفاهم للنبوة وأقامهم لتبليغ الرسالة ...».

آخره: «... فإن قالوا لا يجوز مد المقصور لأنه زيادة فى البناء قيل لا يجوز قصر الممدود لأنه نقص فى البناء ولا فرق.

وهذا آخر ما أردنا فى ذا المعنى، واليسير منه دال على ما وراءه وبالله التوفيق إلى الصواب وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم».

النسخة حديثة كتبت سنة ١٣١٢ والناسخ محمد على بن عبد الرحمن وهو ناسخ المجموع كله.

(١٥٥ أ-١٥٦ أ) ٢ ق ٢٤ س ١٧ × ٢٤ سم

(فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية. الأدب - وضعه رياض عبد الحميد مراد، وياسين محمد السواس ١ / ٢٢٨، ٢٢٩.

انظر أيضا كشف الظنون ١ / ٨٢٧ وفيه بلفظ «خطاء»).

*** ذم الدنيا:**

للشيخ الإمام أحمد الحنبلى الحموى.

(كشف الظنون ١ / ٨٢٧).

*** ذم الغضب:**

لابن أبى الدنيا. وله «ذم الغيبة».

(كشف الظنون ١ / ٨٢٧).

*** ذم الغضب والحقد والحسد:**

من مصنفات التراث الإسلامى فى السياسة والاجتماع

مخطوط مصور فى معهد المخطوطات العربية بالقاهرة.

تأليف أحمد بن حسن الطولونى المعمارى.

نسخة كتبت فى القرن الثامن بخط نسخ جميل مشكول، ناقصة من الآخر. وتنتهى : بفضيلة العفو عند الحقد.

[أحمد الثالث ١٤٥٢ ١٩ ق ١٣ × ٢٥]

(فهرس المخطوطات المصورة، معهد المخطوطات العربية - تصنيف فؤاد سيد ١ / ٥٥١).

قالت المؤلفة : مكتبة أحمد الثالث بطوبقبو سراى باستانبول.

*** ذم الكلام:**

ذم الكلام: لأبى إسماعيل عبد الله بن محمد الأنصارى الهروى المعروف بشيخ الإسلام المتوفى سنة ٤٨١ إحدى وثمانين وأربعمائة وانتقاه الإمام برهان الدين إبراهيم بن عمر

البقاعي المفسر حين سمع من الشيخ شهاب الدين ابن حجر الحافظ العسقلاني بالقاهرة في شهر رمضان سنة ٨٤٦ وسماه أحسن الكلام ومنتخبه الكبير ومنتخبه الصغير كلاهما له ذكره ابن حجر في المجمع.

(كشف ١ / ٨٢٨).

وهو من مصنفات التراث الإسلامي في علم التوحيد

يوجد مخطوطه المصور في معهد المخطوطات العربية بالقاهرة وجاء بيانه كما يلي:

نسخة كتبت في سنة ٥٧٣ تقريبا، وقرئت سنة ٦٨٥

[الظاهرية ٣٣٧ حديث]

(كشف الظنون لحاجي خليفة ١ / ٨٢٨، وفهرس المخطوطات المصورة، معهد المخطوطات العربية - تصنيف فؤاد سيد ١ / ١٢٥)

قالت المؤلفة: الظاهرية هي دار الكتب الظاهرية بدمشق.

*** ذم المكس:**

انظر: رسالة في ذم المكس.

*** ذم الملاهي:**

من مصنفات التراث الإسلامي في علم الملاهي (الشطرنج والنرد).

يوجد مخطوطه في دار الكتب الظاهرية بدمشق (أو بمكتبة الأسد) وجاء بيانه كما يلي:

المجموع رقم ٥٩

مؤلف الكتاب: أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي الدنيا سنة: ٢٠٨ - ٢٨١ هـ/ ٨٢٣ - ٨٩٤ م.

مواضيع المخطوط:

تشتمل على أحاديث شريفة للنبي محمد ﷺ في ذم وتحريم الملاهي مثل: الخمر - الميسر - العزف والغناء - النرد والشطرنج وغيرها ... وتحوي عدة أبواب منها:

باب في القمار...

باب في المراجح ...

باب في اللعب بالحمام ...

باب في الشطرنج ...

باب في عمل قوم لوط ...

باب في المخنثين ...

فاتحة المخطوط:

بسم الله الرحمن الرحيم توكلت على الله الحق المبين قرأت على الشيخ أبي طالب محمد بن علي ... قال حدثنا أبو علي الحسين بن صفوان البردعي ... قال حدثنا عبد الله ابن محمد بن عبيد بن أبي الدنيا قال حدثنا الهيثم بن خارجة قال حدثنا عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن أبي حازم عن سهل بن سعد الساعدي قال قال رسول الله ﷺ يكون في أمتي خسف وقذف ومسخ قيل يرسول [يارسول] الله متى قال إذا ظهرت المعازف والقيان واستحلت الخمر. حدثنا محمد قال حدثنا الحسن قال حدثنا عبد الله قال حدثنا أبو موسى الهروي ...

خاتمة المخطوط:

... باب في المخنثين ...

نسخة قيمة وقديمة، كتبت بخط نسخي وحبر أسود، قليلة النقط، صعبة القراءة. عليها سماعات كثيرة منها: أبو الحسين عاصم سنة ٤٧٥ هـ. وأحمد عبد الله السهروري سنة ٥٠٤ هـ. وآخر سنة: ٦١٥ هـ. ناقصة الوسط، ترك لها هامش بعرض: ٢ سم. جاءت ضمن مجموع من ٢٢٩ ورقة. عدد أوراقها: من ١٥٢ - ١٦٩ : ١٨ ورقة، بقياس: ١٨ × ١٤ سم. وعدد السطور ٢٣ - ٢٤ سطرا. جلدها كرتون مغلف بورق زهري ذو إطار من الجلد البني القديم وله لسان.

ولم يذكر اسم الناسخ ولا تاريخ النسخ.

المصادر عن المؤلف والكتاب:

معجم المؤلفين: ٦ / ١٣١.

بروكلمان: الذيل: ١ / ٢٤٧، ٢٤٨.

(فهرس الظاهرية / ٣٥٠-٣٥٢).

طبع الكتاب بعناية James Robson، لندن اللجنة الملكية الآسيوية، RAS هرتفورد: مطبعة ستيفن أوستن وأولاده، ١٩٣٨، ٦٢، منها ٢٢ ص بالعربية، ٤٠ ص بالإنجليزية، ترجمة وتعليقات، نشر تحت عنوان.

(Tracts on listening to music)

(المعجم الشامل ٢ / ٣٤٨).

(فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية. العلوم والفنون المختلفة عند العرب - وضع مصطفى سعيد الصباغ / ٣٥٠ - ٣٥٢، والمعجم الشامل للتراث العربي المطبوع - جمع وإعداد وتحرير د. محمد عيسى صالحية ٢ / ٣٤٨. انظر أيضا كشف الظنون لحاجي خليفة ١ / ٨٢٨).

*** ذم النميمة:**

لأبي عبد الله محمد بن فتوح بن عبد الله بن أبي نصر الحميدي الأندلسي المتوفى سنة ٤٨٨ ثمان وثمانين وأربعمائة.

(إيضاح المكنون للبغدادي ١ / ٥٤٣).

*** ذم الهوى:**

من مصنفات التراث الإسلامي في الأدب، والتصوف، والآداب الشرعية.

مخطوط مصور في معهد المخطوطات العربية بالقاهرة.

تأليف أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي المتوفى سنة ٥٩٧

نسخة بخط قديم بلا تاريخ.

[التيمورية ٢٨٦ أدب ٣٥٠ ص ١٠ × ١٢ سم]

(فهرس المخطوطات المصورة، معهد المخطوطات العربية - تصنيف فؤاد سيد ١ / ١٥٨ (قسم التصوف والآداب الشرعية)، و ٤٦٨ قسم الأدب. انظر أيضا كشف الظنون لحاجي خليفة ١ / ٨٢٨، وإيضاح المكنون للبغدادي ١ / ٥٤٤).

*** ذم الوسواس:**

ذم الوسواس - للحافظ أبي محمد «عبد الله بن أحمد بن محمد بن أحمد بن قدامة الحنبلي المتوفى سنة ٦٢٠» القدسي العلم الذوقي (كشف ١ / ٨٢٨).

يوجد مخطوطه في مكتبة الأوقاف العامة بالموصل: مجموع - ق ٢١ × ١٧ - و ٧٣ (الفهرس / ٦ - ٣).

(كشف الظنون لحاجي خليفة ١ / ٨٢٨، وفهرس مخطوطات مكتبة الأوقاف العامة في الموصل - سالم عبد الرزاق أحمد ٨ / ٣٠٦. انظر أيضا إيضاح المكنون للبغدادي ١ / ٥٤٤).

*** ذمار:**

ذمار مدينة بجنوب اليمن لا زالت قائمة بين مأرب وعدن، ويصلها طريق بكل منهما، وهي من بلاد عَنْس بن مذحج إلى اليوم، وفي عهد الهمداني: كان ساكن ذمار من حمير، وبعض الأبناء (معجم المعالم الجغرافية / ١٣٢).

وجاء في اللسان: ذمار، بكسر الذال (هذا قول أكثر أهل الحديث، وذكره ابن دريد بالفتح) موضع باليمن... وقد ورد في الحديث ذكر ذمار، بكسر الذال، وبعضهم يفتحها، اسم قرية باليمن على مرحلتين من صنعاء، وقيل: هو اسم صنعاء (اللسان ١٧ / ١٥١٥).

وقال ياقوت:

ذمار: بكسر أوله وفتحه، وبناؤه على الكسر وإجراؤه على إعراب ما لا ينصرف؛ والذمار: ما وراء الرجل مما يحق عليه أن يحميه، فيقال: فلان حامي الذمار، بالكسر والفتح، مثل نزال بمعنى انزل وكذلك ذمار أي احفظ ذمارك؛ قال البخاري: هو اسم قرية باليمن على مرحلتين من صنعاء؛ ينسب إليها نفر من أهل العلم، منهم: أبو هشام عبد الملك ابن عبد الرحمن الذماري ويقال عبد الملك بن محمد، سمع الثوري وغيره، وقال أبو القاسم الدمشقي: مروان أبو عبد الملك الذماري القاري يلقب مزنة، زاهد دمشق، قرأ القرآن على زيد بن واقد ويحيى بن الحارث وحدث عنهما وولي قضاء دمشق، روى عنه محمد بن حسان الأسدي وسليمان ابن عبد الرحمن ونمران بن عتبة الذماري، قال ابن منده: هو دمشقي، روى عن أم الدرداء، روى عنه ابن أخيه رباح بن الوليد الذماري، وقيل الوليد بن رباح؛ وقال قوم: ذمار اسم لصنعاء، وصنعاء كلمة حبشية أي حصين وثيق، قاله الحبش لما رأوا صنعاء حيث قدموا اليمن مع أبرهة وإرياط، وقال قوم: بينها وبين صنعاء ستة عشر فرسخا، وأكثر ما يقوله أصحاب الحديث بالكسر، وذكره ابن دريد بالفتح، وقال: وجد في أساس الكعبة لما هدمتها قريش في الجاهلية حجر مكتوب عليه بالمسند: لمن ملك ذمار لحمير الأخيار، لمن ملك ذمار للحبشة الأشرار، لمن ملك ذمار لفارس الأحرار، لمن ملك ذمار لقريش التجار، ثم حار محار، أي رجع مرجعا.

(معجم البلدان ٣ / ٧).

وذمار مركز محافظة ذمار في منتصف الطريق بين صنعاء وتعز، وهي مدينة تنتشر فيها وحولها مزارع البن وواحات النخيل. وذمار مدينة قديمة العهد سميت باسم أحد ملوك مملكة سبأ القديمة...

وذمار تعتبر من أهم مراكز الزيدية في اليمن، وقد أصابها زلزال مدمر سنة ١٩٨٢ وإلى ذمار ينسب عدد من العلماء والفقهاء والمحدثين أحصى مؤلف كتاب «مطلع الأقمار وجمع الأنهار في تراجم علماء مدينة ذمار» أحصى منهم

حوالى خمسة وعشرين فقيها» فى القرنين الثانى والثالث عشر (موسوعة المدن العربية والإسلامية / ١٣٤).

(معجم المعالم الجغرافية فى السيرة النبوية - عاتق بن غيث البلادى / ١٣٢ ، ولسان العرب لابن منظور ١٧ / ١٥١٥ ، ومعجم البلدان لياقوت الحموى ٣ / ٧ ، وموسوعة المدن العربية والإسلامية - إعداد د. يحيى الشامى / ١٣٤).

انظر: الذمارى.

* **الذَّمارى:**

قال السمعانى :

الذمارى: بكسر الذال المشددة المعجمة وفتح الميم بعدها الألف وفى آخرها الراء، هذه النسبة إلى قرية باليمن على ستة عشر فرسخا من صنعاء، وحكى أن الأسود العنسى كان معه شيطانان يقال لأحدهما سحيق وللآخر شقيق وكانا يخبرانه بكل شىء يحدث من أمر الناس فساد الأسود حتى أخذ ذمار وكان باذان إذ ذاك مريضا بصنعاء فجاءه الرسول فقال له بالفارسية: خدايكان تازيان ذمار كرفت: قال باذرن: وهو فى السوق: اسم زين واشتربالان وأسباب بى درنك، فكان ذلك آخر كلام تكلم به حتى مات، فجاء الأسود شيطانه فى إعصار من الريح فأخبره بموت باذان وهو فى قصر ذمار، فنادى الأسود فى قومه: يا آل يحابر - ويحابر فخذ من مراد - إن سحيقا قد أجار ذمار وأباح لكم صنعاء. فاركبوا وعجلوا، فسار الأسود ومن معه من عبس وبنى عامر وحمير حتى نزل بهم، والمشهور من هذه القرية أبو هشام عبد الملك بن عبد الرحمن الذمارى، قال أبو حاتم بن حبان فى كتاب الثقات: عبد الملك بن عبد الرحمن الذمارى من أهل اليمن، وذمار قرية على مرحلتين من صنعاء، يروى عن سفيان الثورى، روى عنه إبراهيم بن محمد بن عرعرة ونوح بن حبيب البذشى. ويحيى بن الحارث الغسانى البصرى الذمارى، منسوب إليها، وهو من أهل الشام قال: قلت لواثلة بن الأسقع رضى الله عنه: بايعت بيدك هذه رسول الله ﷺ؟ قال: نعم! قال: فأعطنيها حتى أقبلها فأعطاه فقبلها، روى عنه أهل الشام، مات بدمشق وهو ابن تسعين سنة خمس وأربعين ومائة، يروى عن أبى أسماء الرحبى وأبى الأشعث الصنعانى وعبد الله بن عامر اليحصبى وسالم بن عبد الله بن عمر وسالم والقاسم ابنى عبد الرحمن ورأى واثلة بن الأسقع، روى عنه صدقة بن خالد والهيثم بن حميد ويحيى بن حمزة و إسماعيل ابن عياش ومحمد بن شعيب بن شابور وسويد بن عبد العزيز والوليد بن مسلم؛ وثقه يحيى بن معين وأبو حاتم الرازى.

ونمران بن عتبة الذمارى، يروى عن أم الدرداء، روى عنه حريز بن عثمان.

وأبو عبد الله وهب بن منبه بن كامل بن سيج بن سَبْسِحان الذمارى من أبناء فارس، كان ينزل ذمار، يروى عن جابر بن عبد الله وابن عباس رضى الله عنهم وأخيه همام بن منبه، وكان عابدا فاضلا، قرأ الكتب ومكث أربعين سنة يصلى الصبح بوضوء العشاء الآخرة، وهم أخوة خمسة: وهب وهمام وغيلان وعقيل ومعقل والد عقيل بن معقل. روى عنه عمرو بن دينار والمغيرة بن حكيم وعوف الأعرابى وسماك بن الفضل والمنذر ابن النعمان وبكار وعبد الصمد بن معقل، وسئل أبو زرعة عن وهب بن منبه فقال: يمانى ثقة. ومات وهب فى المحرم سنة ثلاث أو أربع عشرة ومائة وهو ابن ثمانين سنة، وقد قيل إنه مات سنة عشر ومائة.

ورباح بن الوليد الذمارى من أهل الشام، وممن سكنها؛ يروى عن إبراهيم بن أبى عبلة، روى عنه مروان بن محمد الطاطرى.

وأبو أمية عمر بن عبد الرحمن الذمارى. من أهل اليمن، يروى عن عكرمة، روى عنه عبد الملك بن عبد الرحمن الذمارى.

ووهب الذمارى سكن ذمار، وقد قرأ الكتب، روى عنه زيد بن أسلم، قال ابن أبى حاتم: سمعته من أبى.

(الأنساب للسمعانى - تقديم وتعليق عبد الله عمر البارودى ٣ / ١١، ١٢).

* **الذِّمَّة:**

جاء فى اللسان: الذمة: العهد والكفالة وجمعها ذمام. وفلان له ذمة أى حق وفى حديث على، كرم الله وجهه: ذمتى رهينُه، وأنا به زعيم، أى ضمانى وعهدى رهن فى الوفاء به.

والذمام والذمامة: الحرمة: قال الأخطل:

فلا تنشدونا من أخيكم ذمامة
ويسلم أصداء العوير كفيلها

والذمام: كل حرمة تلزمك - إذا ضيعتها المذمة، ومن ذلك يسمى أهل العهد أهل الذمة وهم الذين يؤدون الجزية من

المشركين كلهم. ورجل ذمي: معناه رجل له عهد. والذمة: العهد منسوب إلى الذمة؛ قال الجوهرى الذمة أهل العقد. قال: وقال أبو عبيدة: الذمة الأمان فى قوله، عليه السلام: «ويسعى بذمتهم أدناهم». وقوم ذمة: معاهدون، أى ذوو ذمة، وهو الذِّمُّ.

والذمامة: الحق كالذمة؛ قال ذو الرمة:

تكن عوجة يجزيكما الله عندها
بها الأجر أو تُقضى ذمامة صاحب

ذمامة: حرمة وحق وفى الحديث ذكر الذمة والذمام، وهما بمعنى العهد والأمان والضمان والحرمة والحق، وسمى أهل الذمة ذمة لدخولهم فى عهد المسلمين وأمانهم فى الحديث فى دعاء المسافر: اقلبنا بذمة، أى ارددنا إلى أهلنا آمنين، ومنه الحديث: فقد برئت منه الذمة، أى أن لكل أحد من الله عهدا بالحفظ والكلاءة، فإذا ألقى بيده إلى التهلكة، أو فعل ما حرم عليه، أو خالف ما أمر به، خذلته ذمة الله تعالى.

أبو عبيدة: الذمة التذمم ممن لا عهد له: وفى حديث النبى ﷺ: المسلمون تتكافأ دماؤهم، ويسعى بذمتهم أدناهم؛ قال أبو عبيدة: الذمة الأمان ههنا، يقول إذا أعطى الرجل من الجيش العدوَّ أمانا جاز ذلك على جميع المسلمين، وليس لهم أن يخفروه ولا أن ينقضوا عليه عهده كما أجاز عمر رضى الله عنه، أمان عبد على أهل العسكر جميعهم، قال: ومنه قول سلمان: ذمة المسلمين واحدة، فالذمة هى الأمان، ولهذا سمى المعاهد ذميا، لأنه أعطى الأمان على ذمة الجزية التى تؤخذ منه. وفى التنزيل العزيز: ﴿لا يرقبون فى مؤمن إلاًّ ولا ذمة﴾، قال: الذمة العهد، والإل الحلف (عن قتادة) وأخذتنى منه ذمام ومذمة، وللرفيق على الرفيق ذمام، أى حق. وأذمه أى أجاره. وفى حديث سلمان: قليل له ما يحل من ذمتنا؟ أراد من أهل ذمتنا، فحذف المضاف. وفى الحديث: لا تشتروا رقيق أهل الذمة وأرضيهم؛ قال ابن الأثير: المعنى أنهم إذا كان لهم مماليك وأرضون وحال حسنة ظاهرة كان أكثر لجزيتهم، وهذا على مذهب من يرى أن الجزية على قدر الحال، وقيل فى شراء أرضيهم إنه كرهه لأجل الخراج الذى يلزم الأرض، لئلا يكون على المسلم إذا اشتراها، فيكون ذُلا وصغارا (اللسان ١٧ / ١٥١٧).

يقول الأستاذ عبد المجيد الذبيانى فى معنى الذمة:

والذمة وصف شخصى يفرض وجوده وبذلك يصبح الإنسان ذا أهلية للإلزام والالتزام، بحيث يصبح صالحا لاكتساب ماله من حقوق، وتحمل ما عليه من واجبات.

وهذه الذمة تبدأ منذ الحياة، ببداية نشأة الطفل جنينا فتكون له ذمة قاصرة وأهلية وجوب ناقصة أيضا فيحق له اكتساب الوصايا، وانتقال الميراث إليه والهبات وسائر التبرعات، من وقف وصدقة ... إلخ.

فإذا ما ولد الطفل حيا كانت له أهلية وجوب كاملة مثل الحقوق والالتزام بالواجبات بالنسبة لماله، وفى حالة التمييز تصبح له أهلية أداء ناقصة فتمضى تصرفاته النافعة كقبول الوصايا والهبة وسائر التبرعات، وتوقف تصرفاته ذات الضرر ولا تنفذ، أما التصرفات المجملة والدائرة بين النفع والضرر فتوقف على إجازة الولى، فإذا بلغ الإنسان مرحلة البلوغ والرشد كانت له أهلية أداء كاملة وله التصرف المطلق فى سائر أمواله، وتبقى الصلاحية ما دام حيا، وتنتهى بوفاته. وللفقهاء وجهات نظر فى انتهاء الذمة بالموت أوجزها فيما يلى:

يرى الحنفية أن الذمة بعد الموت لا تتلاشى ولا تبقى بل تخرب، ويؤيد ذلك فيما لو توفى إنسان وترك مالا أو كفيلا بدينه، فإن لم يوجد أحدهما سقط الدين، ولا يجوز ـ والحالة هذه ـ كفالة الدين بعد الموت بل تبقى التركة المستغرقة له على حكم ملكية المتوفى. أما التركة غير المستغرقة فقد اختلف فيها عند الحنفية على ثلاثة أقوال:

أ ـ تبقى التركة غير المستغرقة، كالتركة المستغرقة على حكم ملك الميت.

ب ـ تنتقل إلى ملك الورثة.

ج ـ تبقى على حكم ملكية المتوفى بقدر الدين.

وتنتقل إلى ملكية الورثة فيما جاوز ذلك، أما رأى فقهاء المالكية وبعض فقهاء الحنابلة، فيقولون إن الذمة تتلاشى بالموت، فإن ترك الميت مالا تعلقت ديونه به وإلا سقطت.

ويرى الشافعية وجمهور الحنابلة أن الذمة المالية تبقى بعد الموت إلى استيفاء الدين منها.

ووجهة نظرهم فى هذا، أن المتوفى قد ثبت فى ذمته ديون بعد الموت كأن يبيع ـ وهو حى ـ عينا ويسلمها بقبض الثمن، ثم ترد بعد موته بسبب عيب كان موجودا عند بيعها،

فإن ذمته تشغل حينئذ بثمن المبيع. ونظير هذا أيضا أن يكون قد حفر - وهو حى - حفرة فى الطريق العام، فيتردى فيها بعد موته شخص ويتلف متاعه، فإن ذمة الميت تشغل حينئذ بالضمان (تاريخ الفقه الإسلامى / ٢٣٢، ٢٣٣).

ويقول التهانوى:

الذمة بالكسر قال بعض الفقهاء إن الذمة أمر لا معنى له بل هى من مخترعات الفقهاء يعبرون عن وجوب الحكم على المكلف بثبوته فى ذمته وهذا القول ليس بصحيح إذ فى المغرب أن الذمة فى اللغة العهد ويعبر بالأمان والضمان ويسمى محل التزام الذمة بها فى قولهم ثبت فى ذمتى كذا إلى على نفسى فالذمة فى قول الفقهاء يراد به نفس المكلف. وذكر القاضى الإمام أبو زيد أن الذمة شرعا وصف يصير به الإنسان أهلا لما له ولما عليه فإن الله تعالى لما خلق الإنسان محلا للأمانة أكرمه بالعقل والذمة حتى صار أهلا لوجوب الحقوق له وعليه وثبت له حقوق العصمة والحرية والمالكية كما إذا عاهدنا الكفار وأعطيناهم الذمة ثبت لهم وعليهم حقوق المسلمين فى الدنيا وهذا هو العبد الذى جرى بين الله تعالى وعباده يوم الميثاق.

ثم هذا الوصف غير العقل إذ العقل لمجرد فهم الخطاب فإن الله تعالى عند إخراج الذرية يوم الميثاق جعلهم عقلاء وإلا لم يجز الخطاب والسؤال ولا الإشهاد عليهم بالجواب ولو كان العقل كافيا للإيجاب لم يحتج إلى الإشهاد والسؤال والجواب فعلم أن الإيجاب لأمر ثبت بالسؤال والجواب والإشهاد وهو العهد المعبر عنه بالذمة فلو فرض ثبوت العقل بدون الذمة لم يثبت الوجوب له وعليه والحاصل أن هذا الوصف بمنزلة السبب لكون الإنسان أهلا للوجوب له وعليه والعقل بمنزلة الشرط ومعنى قولهم وجب ذلك فى ذمته الوجوب على نفسه باعتبار ذلك الوصف، ولما كان الوجوب متعلقا به جعلوه بمنزلة ظرف يستقر فيه الوجوب دلالة على كمال التعلق وإشارة لى ان هذا الوجوب إنما هو باعتبار العهد والميثاق الماضى كما يقال وجب فى العهد والمروة أن يكون كذا وكذا.

وأما على ما ذكره فخر الإسلام من أن المراد بالذمة فى الشرع نفس ورقبة لها ذمة وعهد فمعنى هذا القول أنه وجب على نفسه باعتبار كونها محلا لذلك العهد فالرقبة تفسير النفس والعهد تفسير للذمة وهذا فى التحقيق من تسمية المحل باسم الحال والمقصود واضح هذا كله خلاصة ما فى التلويح وحاشيته للفاضل الجلبى والبرجندى فى باب الكفالة (كشاف ٢ / ٥١٦).

(لسان العرب لابن منظور ١٧ / ١٥١٧، وتاريخ الفقه الإسلامى - عبد المجيد عبد الحميد الذبيانى. الدار الجماهيرية، مصراته، ودار الآفاق الجديدة، الدار البيضاء، الطبعة الأولى ١٩٩٤ / ٣٣٢، ٣٣٣، وكشاف اصطلاحات الفنون للتهانوى ٢ / ٥١٦).

انظر: الذمى.

***الذّمّى:**

عن أحكام الذمى فى الإسلام يقول فضيلة الشيخ محمد أبو زهرة رحمه الله:

الذمى هو: الذى يقيم مع المسلمين على أن يكون له مالهم وعليه ما عليهم، وهو يقيم مع المسلمين بعقد، يقال له: عقد الذمة، وهو يعقد مع الفتح الأول لأى إقليم يفتح، يتولاه أمير الحرب، يوجب على الدولة واجبات، يتولى ولى الأمر أداءها، ويفرض حقوقا للذمى، يجب على الدولة رعاية تنفيذها.

وقد كان يحدث أن ولى الأمر يعقد عقدا عاما بأن يعلن: أن من يرضون بالإقامة بين المسلمين لهم ما لهم، وعليهم ما عليهم، بحيث يلتزمون ما يلزم المسلم، مما يجب عليه، فيلزم بالمعاملات الشرعية، ويحرم من المعاملات ما حرم الإسلام، وتقام عليه الحدود، ويقتص منه، إلى آخر الأحكام الشرعية.

وفى نظير هذه المعاملة الحرة العادلة: عليه أن يلتزم باحترام المسلمين، واحترام ما يقدسه المسلمون، فلا يجترح حرمات المساجد، ولا يسب النبى - ﷺ - ولا يسب أحدا من أصحابه، ولا يطعن فى الأحكام الإسلامية، ولا يحاول أن يعتدى على مسلم أو عقيدته.

فإنه إن فعل ذلك، نقض عقد ذمته، وصار حربيا، يباح دمه، وما بقى على ذمته فهو مصون الحرية، والكرامة، وتجرى عليه الأحكام بالعدل والإنصاف، وقد بينا مراعاة الأئمة الراشدين لذلك مراعاة تامة، وروينا قول النبى - ﷺ -: «من آذى ذميا، فأنا خصمه يوم القيامة، ومن خاصمته خصمته».

والذميـون : خالطـوا المسلمين، وعاشـروهم، وكـان الود موصولا معهم، إلا من خرج عن العهـدة ونبذ الذمة، والله من ورائهم محيط («الدعوة إلى الإسلام» / ٩١).

أما عن الذميون فى العراق فيقول الأستاذ مصطفى عباس الموسوى :

سكن مسيحيو الحيرة وقراهـا الكوفه ولا سيما بعد أن زال مجد الحيرة وعـزها، وقد أقامـوا فى الكوفة بيعًا عـدة بموافقة الأمير ومساعدته حتى أن خالد القسرى والى الكوفة أيام هشام ابن عبـد الملك ذهب إلى أبعـد من ذلك حيث أمـر ببيعـة للمسيحيين فى الكوفـة وكانت فى ظهر قبلة المسجـد . وذكر البلاذرى : أن الخليفـة عمر بن الخطاب عندمـا أرسلت إليه سبايا الفتح جعـل بعضهم رقيقا ليتامى الأنصار وبعضـا كُتَّابا أدخلهم فى خدمـة الدولة كمـا اتخذ أبو مـوسى الأشعرى فى أثنـاء إمـارته للبصـرة كـاتبـا نصرانيـا، فى حين اتخـذ رجـلا مسيحيا لإدارة سجن قريـب من الكوفة فى سنة ٢٦ هـ عندما كان الوليد بن عقبه واليا عليها .

وكان العباسيـون يأذنون للنصارى بإقامـة بيع لهم، فوافق الخليفـة المهدى على تشييـد بيعة للنصـارى فى محلة الـروم بالجـانب الشرقـى من بغداد، وتقضى القـاعدة الفقهيـة بترك البيع والكنائس لأهـل الذمة وعلى المسلمين حقـن دمائهم، كما يقاتل المسلمون من ناوأهم من عدوهم، ويذبوا عنهم .

وكـانت الأديره المسيحيـة منتشـرة فى جميع أنحاء بغـداد حتى لم تخل منهـا نـاحيـة، فكانت تقـع فى أماكن خـاصـة بالبساتين والشجر والنخل والرياحين ولذلك حرص المسلمون من أهل بغداد على قضاء أوقات فراغهم بها .

ومن أقرب الديـارات إلى بغداد دير قوطا فى قـرية البردان على شـاطىء دجلة ويفصلـه عن بغـداد بسـاتين ومنتزهـات متتابعة .

ومن أشهر بيع بغداد بيعة سمـالو وبيعة درب دينار، وبيعة درب القـراطيس وبيعـة سوق الثـلاثـاء، على أن الحـرب بين قوات الأمين وقـوات المأمون قد ألحقت الكثيـر من التخريب والتدمير ببيع بغداد وأديرتها .

وكـان المسيحيون فى جميع المـدن الإسـلامية يشتغلـون بالصيرفة حيث كان هؤلاء الصيارفة واسطة التبادل الوحيدة بين مسكوكات الفرس الفضية ومسكوكات الرومان الذهبية .

وإلى جانب المسيحيين عاش اليهود فى الكوفة والموصل وبغداد، فيهود الكـوفة جاءوا إليها من نجـران بعد تحسيسها وقـدم الكـوفـة أيضـا عـدد آخـر من يهـود الحيـرة، ولهـم فى الموصل حى قائمٌ بذاته يقع شمـال المدينة كما لهم منازل فى بغداد، وقد استطاعوا أن يقيموا شعائرهـم الدينية بحرية تامة فى ظل الإسلام، وبنـوا المعابد فى الكوفة والمـوصل، وقد ذكر بنيـامين التطيلى أنه شاهـد كنيسا لليهود فى الكوفـة عند زيـارته لهـا . وكان لليهـود ببغداد رئيس خـاص يلقب أحيانـا بلقب ملك .

وقد زاول اليهود بعض الحِـرف التى كان العرب تأنف من مزاولتها فكـان منهم الصفَّارون والصبَّاغون وغيـرهم . وبمرور الزمن استطـاع اليهود أن يثبتوا أقـدامهم فى المجتمع العربى الإسـلامى، وأن يبسطـوا سلطانهم على جميع المهـن فزاولـوا مهنـة التجارة والصـرافة والصيـاغـة والحياكـة وإدارة السفن وصناعة الزجاج .

وفى ظل هذا التسامح تولى أهل الذمة بعض الوظائف فى الدولـة الإسلامية، ولا سيما كتـابة الدواوين ومزاولـة الأعمال الحرة كـالجهبذة والتجارة والحِرف، وإقـامة الطقوس الـدينية (العوامل التاريخية / ٢٩٣ ـ ٢٩٥).

أما عن أهل الذمة فى الشام فيقول الدكتور أحمد رمضان :

لقـد نعم المسيحيـون فى بـلاد الشام منـذ نشأة الـدولـة الإسـلامية بـالحـريـة الدينيـة والتسـامح، فقد تـولـوا جميع الوظـائف التى تولاهـا المسلمون تقـريبا فيمـا عدا الـوظائف الدينية كالقضاء والحسبة . وكانت الأديرة والكنائس المسيحية وكـذا الكنيس اليهـودى منتشرة فى كل مكـان، وكـان يسمح للحجاج المسيحيين بـالقدوم إلى فلسطين من أقـاصى البلاد فى حرية تامة كمـا أفرد فى بيت المقدس حى خاص لسكنى البطريق وقساوستـه، فقد وجدت جاليـات لا يستهان بها من النصارى واليهود فى بيت المقدس . كما كان النصارى يمثلون جانبا كبيرا من أهالى مدينة حلب فى العصور الوسطى، وكان بها ثمـانى كنائس، أشهـرها كنيسـة الأنبا سمعـان وقلب لوزة اللتان ما تزالان باقيتين حتى الآن .

وعندما سيطر الفاطميون على فلسطين والشام، كان ذلك فى صـالح المسيحيين، فقـد شملـوهم بـرعـايتهم وشجعـوا التجارة المسيحية، وخاصة فى عهد الخليفة العزيز بالله الذى

جعل أخــا زوجتــه المسيحيــة (أراميس) بطـريقــا على بيت المقدس والأخ الثانى بطريقا على القـاهرة ومصر. كما استوزر عيسى بن نسطورس فى مصر وأناب عنـه فى بلاد الشام يهوديا هو منشا بن إبراهيم (ابن العميد تاريخ المسلمين / ٢٤٧).

وقـد استمرت معـاملة الحكـام المسلمين فى بلاد الشـام لأهل الذمة على ما كانت عليه من التسامح فى العصر الأيوبى حتى أن جيش صلاح الدين الذى تصدى للصليبيين كان يضم الكثير من مسيحيى مصر والشام، كما أنه حدث عندما دخل صلاح الـدين بيت المقدس (سنة ٥٨٣ هــ/ سنة ١١٨٧ م) وشاءت الظروف أن يوافق دخوله ذكرى ليلة الإسراء والمعراج احتفل المسلمـون بهذه المنـاسبة الـدينية، وأحسنـوا معاملـة المسيحيين حتـى الصليبيين منهم، ممـــا جعـل كثيــرا من المؤرخين الأوربيين يشيدون بتسامح صلاح الدين وبالفرق بين معاملتـه للمسيحيين، ومعاملة الصليبيين للمسلمين عنـدما استولـوا على بيت المقدس (سنة ٤٩١ هــ/ سنة ١٠٩٧ م) (ابن واصل: مفرج الكـروب ٢ / ٢٠٢، وأبو شامة: النـوادر السلطانية / ١٢٦).

وإذا كان التنـافس بين أهل الذمة أنفسهم قـد اتخذ بعض مظاهر العنف فى بعض الأحيان، إلا أن تأثيره كان قليلا على المجتمع فى بلاد الشـام إذا قيس بصراع العصبيـات الأخرى. فكثيرا مـا كان يقـوم بينها النـزاع بسبب العقيدة أو التقـاليد أو بسبب الحصول على كسب مادى أو سيـاسى. لذلك يجدر بنـا الحـديث عن هـذه الطـوائف الفرعيـة من الـذميين التى سكنت بلاد الشام فى الفترة التى نبحثها والتى كان لها أثر كبير على المجتمع الإسـلامى فى تلك الفتـرة (المجتمع الإسلامى / ٦٠، ٦١).

(«الـدعـوة إلى الإسلام» ــ الإمـام محمـد أحمد أبـو زهـرة. مجمع البحوث الإسلامية. المؤتمر السـابع. الدعوة إلى الإسلام. شعبان ١٣٩٢ هــ ـ سبتمبـر ١٩٧٢ م / ٩١، والعوامل التـاريخية لنشأة وتطور المـدن العربية الإسلامية ــ مصطفى عباس الموسوى / ٢٩٣ ـ ٢٩٥، والمجتمع الإسلامى فى بلاد الشام، د. أحمد رمضان أحمد محمد / ٦٠، ٦١).

انظر الذمة.

*** الذّمّى:**

قال السمعانى:

الذمى: بفتح الذال المعجمة وتشديد الميم، هذه النسبة إلى قرية من قرى سمرقنـد على فرسخين منها يقال لها ذَمَّى، منها أحمـد بن محمد بن سقـر الدهقـان الذمى كـان دهقان ذمَّى، كان حسن الرواية لا بأس به، يروى عن محمد الفضل البلخى، روى عنه محمد بن المكى الفقيه، مات قديما.

(الأنساب للسمعانى ٣ / ١٢ ومعجم البلـدان لياقوت الحموى ٣ / ٦).

*** الذّنْب:**

بفتح الذال وسكون النون.

انظر: الذنوب.

*** الذّنَب:**

قال التهانوى:

الذنب بفتحتين عند أهل الهيئة نقطة مقابلة لنقطة مسماة بالـرأس قالـوا مناطق الأفـلاك المائلـة تقاطع منـاطق الأفلاك الممثلـة ومنطقة البـروج أيضـا على نقطتين متقابلتين فيصير الصف من الأفلاك المائلة شماليا عن منطقة البروج والنصف الآخر جنوبيا عنها، وإحدى هاتين النقطتين وهى مجاز مركز تـدويـر الكـوكب عن دائرة البـروج على التـوالى إلى الشمـال يسمى بالرأس والأخرى وهى مجاز مركز تـدوير الكوكب عن دائرة البروج على التوالى إلى الجنوب يسمى بالذنب ويسميان أيضا بالعقدتين والجوزهرين.

أما تسميتهما بـالعقدتين فظاهر إذ العقـدة فى اللغة محل العقد وأمـا بالرأس والذنب فـلأن الشكل الحادث بين نصفى المنطقتين من الجـانب الأقـرب شبيـه بـالتنين وهـو نـوع من الحيات العظيمة، والعقدتان أى هاتـان النقطتان بمنزلة رأسه وذنبه وأما بالجوزهرين فلأن الجـوزهر معرب كوزهر وهو طرفا الحية.

وقيل لأن الجوزهـر معرب جـوزجر أى صورة الجـوز وهذا كما يسمـى بعض العقد بـالفارسيـة جوزكـرة وإنما قلنـا مجاز تـدوير الكـوكب ولم نقل مجاز الكـوكب كمـا قال صـاحب الملخص لأن ما ذكره لا يصح إلا فى القمر فإنه يصل مع مركز تدويره إلى منطقة الممثل.

وأمـا المتحيـرة فقد تصل إلى منطقـة الممثل مع مراكـز تداويرها وقد لا تصل إليها معها.

ثم اعلم أن ما ذكر مختص بالكواكب العلوية والقمر فإن الرأس والذنب فـى السفليين لو فسرا بهذا لكان كلتـا عقدتى

الزهرة رأسا وعقدتى عطارد ذنبا فالرأس فى الزهرة العقدة التى يأخذ منها مركز تدويرها نحو الحضيض وفى عطارد بعكس ذلك .

وقيل الرأس موضع من منطقة الممثل يكون القياس أن يجوز الكوكب عليه ويمر إلى جانب الشمال والذنب موضع منها يكون القياس أن يجوز عليه الكوكب ويمر إلى جانب الجنوب ففى الزهرة وإن كانت النقطتان بحيث يقع عليهما الكوكب ويمر إلى جانب الشمال لكن إحداهما على القياس والأخرى على غير القياس وعلى هذا القياس فى عطارد ويخدشه أنه لا يتعين حينئذ أن أيتهما على القياس والأخرى على غير القياس والمقصود أن يجعل التميز بينهما . هكذا يستفاد من الجغميني وحاشيته لعبد العلى البرجندى وشرح التذكرة له .

(كشاف اصطلاحات الفنون للتهانوى ٢ / ٥١٠).

*** ذنب الحردون:**

قال عنه داود الأنطاكى :

ذنب الحردون نبت دقيق الأصل إلى بياض يتفرع عن أغصان قصبية تنتهى استدارتها إلى دقة وأوراقه متباعدة وزهره وما يخلف من الحب كالرشاد إلا أنه مُر الطعم يكون بالشام وفلسطين ويدرك ببؤونة وتبقى قوته عشر سنين وقد يسمى عرق النور عند أهل الشام وهو حار فى الثانية يابس فى الثالثة عصارته تقلع البياض قطورا وكذا الكحل بأجزائه ورأيت قوما تمُرُّه فى أعينها صحيحا ويدَّعون أنه يحد البصر . وإذا شرب قبل الخوف من الماء للمكلوب أبرأه ويسكّن المغص والرياح الغليظة ويقطع الدم والطحال وهو يضر الكلى ويصلحه النشا وشربته إلى درهم وبدله بخور مريم مثل ربعه .

(تذكرة أولى الألباب لداود بن عمر الأنطاكى ١ / ١٦٣).

*** ذنب الحيوان:**

قال الأنطاكى : ذنب الحيوان كله لا خير فيه بحال ، وطرف ذنب الإبل دواء من الذخائر (تذكرة أولى الألباب لداود الأنطاكى ١ / ١٦٣).

*** ذَنَب الخيل:**

مما يرد فى مصنفات التراث الإسلامى فى طب الأعشاب .

قال عنه ابن سينا فى قانونه :

نبات ينبت فى الجبال والحفائر . . قضبان مجوفة إلى الحمرة ، خشنة ، صلبة ، معقدة ، تعقد مثل أصله . وعند العقد كورق الأذخر ، دقاق ، متكاثف ، يستنبت بما يقرب من الشمس ، ثم يبدو منه أطراف كثيرة ، كذنب الخيل . وله أصل صلب ، قابض وخصوصا عصارته ، شديد التجفيف بلا لذع ، نافع جدا لنزف الدم ، يدمل القروح ، والجراحات إدمالا عجيبا ولو كان فيها عصب أزيل أيضا . ينفع أيضا إذا طلى به ، أو ضمد ، من شدخ أوساط العضل . ويضمر قبله الأمعاء . ينفع من أورام المعدة والكبد من الاستسقاء (القانون فى الطب / ٣٢٧ ، ٣٢٨).

وقال عنه ابن رشد فى كلياته :

ذنب الخيل : هذا نبات قوته قوة قابضة ، مرة ، ولذلك صار يجفف غاية التجفيف من غير لذع ، فهو بهذا السبب يدمل الجراحات العظيمة ، وينفع من الفتق ، الذى تنحدر منه الأمعاء ومن نفث الدم ومن النزف العارض للنساء ، وخاصة ما كان منه أحمر ، ومن قروح الأمعاء ، وسائر أنواع استطلاق البطن ، وقد تحدث عنه قوم أنه أدمل فى وقت ما جراحة وقعت بالمثانة (الكليات فى الطب / ١ ٢٧).

وقال عنه الأنطاكى فى تذكرته ، وقد أدرجه تحت عنوان «ذنب الخيل أو الفرس» :

ذنب الخيل أو الفرس أصل خشبى صلب يقوم عنه فروع كثيرة عقده متداخلة العقد تحف العقدة منها أوراق كثيرة دقاق وعلى النبت هدب كالشعر وقد تتشبث بما حولها ولم نر لها زهرا ولا ثمرا وقيل إن لها زهرا بين بياض وزرقة وتكثر بالشام وتدرك بتموز وتبقى قوتها مدة طويلة وهى باردة فى الثانية يابسة فى الثالثة جل نفعها الإلحام والإدمال وقطع النزف مطلقا شربا من داخل وضمادا من خارج وذرورا وتحل مع ذلك عسر النفس والسعال الدموى وأمراض الصدر والكبد خصوصا الاستسقاء وتحل القيلة معاينة وربما ألحمت الفتق إذا كوثر شربها وقال قوم إنها بدل دهن الصبر وهى تولد السوداء وتفضى إلى الجذام ويصلحها السكر ودهن اللوز وشربتها درهم وبدلها مثلها رامك (التذكرة ١ / ١٦٢ ، ١٦٣).

(القانون فى الطب لابن سينا ـ شرح وترتيب الأستاذ جبران جبور. قدم له د. خليل أبو خليل ، تعليق أ. د. أحمد شوكت الشطى / ٣٢٧ ، ٣٢٨ ، والكليات فى الطب لابن رشد ـ تحقيق وتعليق د. سعيد شيبان ود. عمار الطالبى ، مراجعة د. أبى شادى الروبى ، تصدير د. إبراهيم

بيومى مذكور / ٢٧١، وتذكرة أولى الألباب لداود بن عمر الأنطاكى ١ / ١٦٢، ١٦٣).

* **ذَنَب السبع:**

من مصنفات التراث الإسلامى فى طب الأعشاب. قال عنه داود الأنطاكى:

نبت مثلث الساق يستدير كلما ارتفع ولا يجاوز ذراعين مشوك بأوراق كلسان الثور يحف أوراقها شوك صغار ويسير زغب إلى بياض وفيه رءوس مستديرة ويقوم فى وسطها كالصوف وتدرك باغشت واستنبر [بأغسطس وسبتمبر] وتبقى قوته نحو ثلاث سنين إذا جفف فى الظل وهو بارد فى الثانية يابس فى الأولى فيه قبض وإدمال وهو ترياق الورم حتى تعليقا وأهل البربر والزنج يعظمونه لذلك ويجبر الكسر شربا ولصوقا وعصارته تشد الأجفان المسترخية ويطلى مع الإقليميا والمامينا فيسكن المفاصل حالا وهو يصدع وتصلحه الكزبرة وشربته إلى درهم وبدله عنب الثعلب.

(تذكرة أولى الألباب لداود بن عمر الأنطاكى ١ / ١٦٤).

* **الذَّنَب (كوكب):**

ذكره الحافظ السيوطى وقال: قال صاحب المرآة: إن أهل النجوم يذكرون أن كوكب الذنب طلع فى وقت قتل قابيل هابيل، وفى وقت الطوفان، وفى وقت نار إبراهيم الخليل، وعند هلاك قوم عاد وثمود وقوم صالح، وعند ظهور موسى وهلاك فرعون، وفى غزوة بدر، وعند قتل عثمان وعلى، وعند قتل جماعة من الخلفاء، منهم الرضى والمعتز والمهتدى والمعتز قال: وأدنى الأحداث عند ظهور هذا الكوكب الزلازل والأهوال.

قلت: يدل لذلك ما أخرجه الحاكم فى المستدرك، وصححه من طريق ابن أبى مليكة، قال. غدوت على ابن عباس، فقال: ما نمت البارحة! قلت: لِمَ؟ قال: قالوا: طاح الكوكب ذو الذنب، فخشيت أن يكون الدجال قد طرق.

(حسن المحاضرة فى تاريخ مصر والقاهرة للحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطى ـ بتحقيق محمد أبى الفضل إبراهيم ٢/ ٣٢٣).

انظر مادة «الدجال» فى م ١٧ / ٧٥ ـ ٨٣.

* **الذَّنوب:**

الذنوب، بفتح الذال: النصيب من العذاب قال تعالى: ﴿فإن للذين ظلموا ذَنوبا مثل ذَنوب أصحابهم﴾ [الذاريات: ٥٩] (كلمات القرآن / ٣٣٣).

والذنوب على وزن رسول: الدلو العظيمة الملأى ماء، ولا يقال لها وهى فارغة ذنوب تؤنث وتذكر. فيقال هو الذنوب، وهى الذنوب وجمعها ذناب ككتاب كما فى المصباح وغيره (الرسالة الرشادية / ٢٨).

(كلمات القرآن، تفسير وبيان ـ فضيلة الأستاذ الشيخ حسنين محمد مخلوف / ٣٣٣، والرسالة الرشادية فيما يجوز تذكيره وتأنيثه معا فى العربية ـ محمد رشاد عبد الظاهر خليفة / ٢٨).

* **الذُّنوب:**

الذنوب: بضم الذال. قال الراغب الأصفهانى: الذنب فى الأصل الأخذ بذَنَب الشىء، يقال ذنبته أصبت ذنبه، ويستعمل فى كل فعل يستوخم عقباه اعتبارا بذنب الشىء ولهذا يسمى الذنب تبعة اعتبارا لما يحصل من عاقبته، وجمع الذنب ذنوب، قال تعالى: ﴿فأخذهم الله بذنوبهم﴾ [غافر: ٢١] وقال ﴿فكلا أخذنا بذنبه﴾ [العنكبوت: ٤٠] وقال ﴿ومن يغفر الذنوب إلا الله﴾ [آل عمران: ١٢٥] إلى غير ذلك من الآى (المفردات / ١٨١).

انظر بقية الآيات فى المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ط. دار الحديث القاهرة. الطبعة الثالثة ١٤١١ هـ ـ ١٩٩١ م / ٣٥٠، ٣٥١.

وقال التهانوى: الذنب بالفتح وسكون النون عند أهل الشرع ارتكاب المكلف أمرا غير مشروع والأنبياء معصومون عن الذنب دون الزلة والزلة عبارة عن وقوع المكلف فى أمر غير مشروع فى ضمن ارتكاب أمر مشروع كذا فى مجمع السلوك فى الخطبة فى تفسير الصلاة.

ثم الذنوب على قسمين كبائر وصغائر ومن الناس من قال جميع الذنوب والمعاصى كبائر كما يروى سعيد بن جبير عن ابن عباس انه قال كل شئ عصى الله فيه فهو كبيرة فمن عمل شيئا فليستغفر الله فإن الله لا يخلد فى النار من هذه الأمة إلا راجعا عن الإسلام أو جاحدًا فريضة أو مكذبا بقدر وهذا القول ضعيف لقوله تعالى ﴿وكل صغير وكبير مستطر﴾ [القمر: ٥٣] ولقوله ﴿إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم﴾ [النساء: ٣١] إذ الذنوب لو كانت بأسرها كبائر لم يصح الفصل بين ما يكفر باجتناب الكبائر وبين الكبائر ولقوله عليه السلام «الكبائر الإشراك بالله واليمين الغموس وعقوق الوالدين وقتل النفس» ولقوله تعالى ﴿وكرَّه إليكم الكفر

والفسوق والعصيان﴾ [الحجرات : ٧] فلا بد من فرق بين الفسوق والعصيان ليصح العطف لأن العطف يقتضى المغايرة بين المعطوف و المعطوف عليه، فالكبائر هى الفسوق والصغائر هى العصيان فثبت أن الذنوب على قسمين صغائر وكبائر والقائلون بذلك فريقان منهم من قال الكبيرة تتميز عن الصغيرة فى نفسها وذاتها، ومنهم من قال هذا الامتياز إنما يحصل لا فى ذواتها بل بحسب حال فاعلها.

أما القول الأول فالقائلون به اختلفوا اختلافا شديدا فالأول قال ابن عباس كل ما جاء فى القرآن مقرونا بذكر الوعيد كبيرة نحو قتل النفس وقذف المحصنة والزنى والرياء وأكل مال اليتيم والفرار من الزحف وهو ضعيف لأن كل ذنب فلا بد وأن يكون متعلق الذم فى العاجل والعقاب فى الآجل. فالقول بأن كل ماجاء فى القرآن مقرونا... إلخ يقتضى أن يكون كل ذنب كبيرا وقد أبطلناه.

الثانى : قال ابن مسعود افتحوا سورة النساء فكل شىء نهى الله عنه حتى ثلاثة وثلاثين آية فهو كبيرة ثم قال مصداق ذلك ﴿إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه﴾ [النساء : ٣١] الآية وهو ضعيف أيضا لأنه ذكر كثيرا من الكبائر فى سائر السور فلا معنى لتخصيصها بهذه السورة.

الثالث : قال قوم كل عمد فهو كبيرة وهو ضعيف أيضا لأنه إن أراد بالعمد أنه ليس بساهٍ عن فعله فما ذا حال الذى نهى الله عنه فيجب على هذا أن يكون كل ذنب كبيرا وقد أبطلناه وإن أراد بالعمد أن يفعل المعصية مع العلم بأنها معصية فمعلوم أن اليهود والنصارى يكفرون بنبوة محمد عليه السلام وهم لا يعلمون أنه معصية ومع ذلك كفر.

وأما القول الثانى فالقائلون به هم الذين يقولون إن لكل طاعة قدرا من الثواب ولكل معصية قدرا من العقاب فإذا أتى الإنسان بطاعة واستحق بها ثوابا ثم أتى بمعصية واستحق بها عقابا فهاهنا الحال بين ثواب الطاعة وعقاب المعصية بحسب القسمة العقلية على ثلاثة أوجه : أحدها أن يتعادلا وهذا وإن كان محتملا بحسب التقسيم العقلى إلا أنه دل الدليل السمعى على أنه لا يوجد لأنه قال تعالى ﴿فريق فى الجنة وفريق فى السعير﴾ [الشورى : ٧] ولو وجد مثل هذا المكلف وجب أن لا يكون فى الجنة ولا فى السعير.

وثانيها أن يكون ثواب طاعة أزيد من عقاب معصية وحينئذ ينحبط ذلك العقاب بما يساويه من الثواب ويفضل من الثواب شىء ومثل هذه المعصية هى الصغيرة وهذا الانحباط هو المسمى بالتكفير.

وثالثها أن يكون عقاب معصية أزيد من ثواب طاعة وحينئذ ينحبط ذلك الثواب بما يساويه من العقاب ويفضل من العقاب شئ وهذا الانحباط هو المسمى بالانحباط ومثل هذه المعصية هى الكبيرة وهذا قول جمهور المعتزلة وهذا مبنى على أن الطاعة توجب ثوابا والمعصية توجب عقابا وعلى القول بالإحباط وكلاهما باطلان عندنا معاشر أهل السنة.

ثم اعلم أنه اختلف الناس فى أن الله تعالى هل ميز جملة الكبائر عن جملة الصغائر أم لا؟ والأكثرون قالوا إنه تعالى لم يميز ذلك لأنه تعالى لما بيّن أن الاجتناب عن الكبائر يوجب التكفير عن الصغائر فإذا عرف العبد أن الكبائر ليست إلا هذه الأصناف المخصوصة عرف أنه متى احترز عنها صارت صغائره مكفرة فكان ذلك إغراء له بالإقدام على تلك الصغائر فلم يعرف الله فى شىء من الذنوب إنه صغيرة فلا ذنب يقدم عليه إلا ويجوز كونه كبيرة فيكون ذلك زاجرا له عن الإقدام.

قالوا ونظيره فى الشريعة إخفاء ليلة القدر فى ليالى رمضان وساعة الإجابة فى ساعات الجمعة ووقت الموت فى جملة الأوقات.

والحاصل أن هذه القاعدة تقتضى أن لا يبين الله تعالى فى شىء من الذنوب أنه صغيرة وأن لا يبين أن الكبائر ليست إلا كذا وكذا لأنه لو بين ذلك لصارت الصغيرة معلومة لكن يجوز فى بعض الذنوب أن يبين أنه كبيرة. روى أنه عليه السلام قال : «ماتعدون الكبائر؟» فقالوا الله ورسوله أعلم. فقال : «الإشراك بالله وقتل النفس المحرمة وعقوق الوالدين والفرار من الزحف، والسحر، وأكل مال اليتيم، وقول الزور، وأكل الربا، وقذف الغافلات المحصنات» وعن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما أنه ذكرها وزاد فيها استحلال بيت الحرام، وشرب الخمر. وعن ابن مسعود رضى الله عنه أنه زاد فيه القنوط من رحمة الله، واليأس من رحمة الله والأمن من مكر الله.

وذكر عبد الله بن عباس أنها سبعة وقال هي إلى التسعين أقرب وفي رواية إلى سبعمائة أقرب كذا في التفسير الكبير في تفسير قوله تعالى ﴿إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه﴾ [النساء : ٣١] الخ في سورة النساء .

وفي معالم التنزيل قال الضحاك ما وعد الله عليه حدا في الدنيا وعذابا في الآخرة فهو كبيرة . وقال بعضهم ماسماه الله تعالى في القرآن كبيرة أو عظيما فهو كبيرة وقال سفيان الثوري الكبائر ما كان من المظالم بينك وبين العباد والصغائر ما كان بينك وبين الله تعالى لأن الله تعالى كريم يعفو. وقيل الكبيرة ما قبح في العقل والطبع مثل القتل والظلم والزنى والكذب والنميمة ونحوها . وقال بعضهم الكبائر ما يستحقره العبد والصغائر ما يستعظمه ويخاف منه انتهى .

وفي البيضاوي اختلف في الكبائر والأقرب أن الكبيرة كل ذنب رتب الشارع عليه حدا وصرح بالوعيد فيه ، وقيل ما علم حرمته بقاطع وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنها سبع : الإشراك بالله ، وقتل النفس التي حرم الله ، وقذف المحصنة ، وأكل مال اليتيم ، والربا ، والفرار عن الزحف ، وعقوق الوالدين . وعن ابن عباس : الكبائر إلى سبعمائة أقرب منها إلى سبع . وقيل صغر الذنوب وكبرها بالإضافة إلى ما فوقها وما تحتها فأكبر الكبائر الشرك وأصغر الصغائر حديث النفس وبينهم وسائط يصدق عليها الأمران فمن ظهر له أمران منها ودعت نفسه إليهما بحيث لا يتمالك فكفها عن أكبرهما كفر عنه ما ارتكبه لما استحق من الثواب على اجتناب الأكبر ولعلى هذا يتفاوت باعتبار الأشخاص والأحوال إلا يرى أنه تعالى عاتب نبيه في كثير من خطراته التي لم تعد على غيره خطيئة فضلا عن أن يؤاخذ عليها . انتهى (كشاف ٢ / ٥٠٧ - ٥١٠).

وعن أقسام الذنوب يقول الإمام ابن قدامة في تلخيصه عن ابن الجوزي :

اعلم : أن للإنسان أخلاقا وأوصافا كثيرة ، لكن تنحصر مثارات الذنوب في أربع صفات :

أحدها : صفات ربوبية ، ومنها يحدث الكبر والفخر، وحب المدح والثناء ، والعز وطلب الاستعلاء ، ونحو ذلك ، وهذه ذنوب مهلكات ، وبعض الناس يغفل عنها ، فلا يعدها ذنوبا .

الثانية : صفات شيطانية ، ومنها يتشعب الحسد ، والبغي والحيل والخداع والمكر ، والغش والنفاق والأمر بالفساد ونحو ذلك .

الثالث : الصفات البهيمية ، ومنها يتشعب الشر والحرص على قضاء الشهوة ، فيتشعب من ذلك الزنى واللواطة والسرقة ، وأخذ الحطام لأجل الشهوات .

الرابعة : الصفات السبعية ، ومنها يتشعب الغضب والحقد والتهجم على الناس بالقتل والضرب ، وأخذ الأموال ، وهذه الصفات لها تدرج في الفطرة .

فالصفة البهيمية هي التي تغلب أولا، ثم تتلوها الصفة السبعية ثانيا ، فإذا اجتمعت هاتان ، استعملتا العقل في الصفات الشيطانية ، من المكر والخداع والحيل، ثم تغلب الصفات الربوبية .

فهذه أمهات الذنوب ومنابعها ، ثم تتفجر الذنوب من هذه المنابع إلى الجوارح ، فبعضها في القلب . كالفكر، والبدعة ، والنفاق ، وإضمار السوء ، وبعضها في العين ، وبعضها في السمع ، وبعضها في اللسان ، وبعضها في البطن والفرج ، وبعضها في اليدين والرجلين ، وبعضها على جميع البدن ، ولا حاجة إلى تفاصيل ذلك ، فإنه واضح . ثم الذنوب تنقسم إلى ما يتعلق بحقوق الآدميين ، وإلى ما بين العبد وبين ربه .

فما يتعلق بحقوق العباد ، فالأمر فيه أغلظ ، والذي بين العبد وبين ربه ، فالعفو فيه أرجى وأقرب ، إلا أن يكون شركا والعياذ بالله ، فذلك الذي لا يغفر.

وقد روى عن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : «الدواوين عند الله عز وجل ثلاثة : ديوان لا يعبأ الله به ، وديوان لا يترك الله منه شيئا ، وديوان لا يغفره الله . فأما الديوان الذي لا يغفره الله تعالى ، فالشرك . قال الله تعالى : ﴿إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة﴾ [المائدة : ٧٢] . وأما الديوان الذي لا يعبأ الله به شيئا ، فظلم العبد نفسه فيما بينه وبين الله عز وجل ، يغفر ذلك ، ويتجاوز إن شاء . وأما الديوان الذي لا يترك منه شيئا ، فظلم العباد بعضهم بعضا ، فالقصاص لا محالة» .

قسمة أخرى :

اعلم : أن الذنوب تنقسم إلى صغائر وكبائر، وقد كثر الاختلاف فيها ، واختلفت الأحاديث في عدد الكبائر.

والأحاديث الصحاح في ذكرها خمسة.

الأول: حديث أبي هريرة رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «اجتنبوا السبع الموبقات. قالوا: يارسول الله: وما هن؟ قال: الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم والتولي يوم الزحف، و قذف المحصنات المؤمنات الغافلات».

الثاني: حديث ابن مسعود رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم سئل أي الذنب أكبر؟ قال: «أن تجعل لله ندا وهو خلقك، قال: ثم أي؟ قال: أن تقتل ولدك خشية أن يطعم معك، قال: ثم أي؟ قال: أن تزاني حليلة جارك».

الثالث: حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «الكبائر: الإشراك بالله، وعقوق الوالدين».

الرابع: «ألا أنبئكم بأكبر الكبائر: قول الزور - أو قال - شهادة الزور».

الخامسة: حديث أبي بكرة أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ذكرت عنده الكبائر قال: «الإشراك بالله، وعقوق الوالدين، وكان متكئا فجلس، فقال: ألا وقول الزور، وشهادة الزور» فما زال يكررها حتى قلنا: ليته سكت.

وقد اختلفت العلماء فيها على أقوال كثيرة، والأحاديث في الكبائر لا تدل على حصرها فيها - ولعل الشارع قصد الإبهام ليكون الناس على وجل من الذنوب، لكن يعرف في الأحاديث أجناس الكبائر، ويعرف أيضا أكبر الكبائر.

فأما أصغر الصغائر، فلا سبيل إلى معرفته، وقد تكلم العلماء في عدد الكبائر فروى عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال: هي أربع:

وروى عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه قال: هي سبع.

وكان ابن عباس رضي الله عنهما إذا بلغه قول ابن عمر: إنها سبع قال: هي إلى سبعين أقرب إلى سبع.

وقال أبو صالح عن ا بن عباس: هي ما أوجب الحد في الدنيا.

وعن ابن مسعود أن الكبائر من فاتحة النساء إلى قوله: ﴿إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه﴾ [النساء: ٣١].

وقال سعيد بن جبير وغيره: هي كل ذنب أوعد الله عليه النار.

وقال أبو طالب المكي: الكبائر سبع عشرة جمعتها من جملة الأخبار. أربعة في القلب: الشرك، والإصرار على المعصية، والقنوط من رحمة الله، والأمن من مكر الله تعالى.

وأربعة في اللسان: شهادة الزور، وقذف المحصنات، واليمين الغموس، والسحر.

وثلاثة في البطن: شرب الخمر، وأكل مال اليتيم ظلما، وأكل الربا.

واثنتان في الفرج: الزنا واللواطة.

واثنتان في اليدين: القتل والسرقة.

وواحدة في الرجلين: الفرار من الزحف.

وواحدة في جميع البدن، وهي عقوق الوالدين.

وهذا يمكن أن يزاد عليه، وينقص منه، فإن ضرب اليتيم وتعذيبه أكبر من أكل ماله، والله أعلم...

فصل في بيان ما تعظم به الصغائر من الذنوب:

اعلم: أن الصغيرة تكبر بأسباب: منها الإصرار والمواظبة.

وفي الحديث من رواية ابن عباس رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: «لا صغيرة مع إصرار ولا كبيرة مع الاستغفار».

(رواه أبو الشيخ ومن طريقه الديلمي في «مسند الفردوس» من حديث سعيد بن سليمان سعدويه، عن أبي شيبة الخراساني، عن ابن أبي مليكة عن ابن عباس. وأبو شيبة الخراساني قال البخاري: لا يتابع على حديثه، وقال الذهبي في «الميزان»: أتى بخبر منكر رواه عنه سعدويه، فذكره وقد ذكره ابن المنذر في تفسيره من قول ابن عباس).

واعلم: أن العفو عن كبيرة قد انقضت ولم يتبعها مثلها، أرجى من العفو عن صغيرة يواظب عليها العبد.

ومثال ذلك قطرات من الماء تقع على حجر متواليات، فإنها تؤثر فيه، ولو جمعت تلك القطرات في مرة وصبت عليه لم تؤثر، ولهذا قال صلى الله عليه وآله وسلم: «أحب العمل إلى الله أدومه وإن قَلّ».

ومن الأسباب التي تعظم بها الصغائر أن يستصغر الذنب، فإن الذنب كلما استعظمه العبد، صغر عند الله

تعالى، وكلما استصغره العبد، كبر عند الله تعالى فإن استعظامه يصدر عن نفور القلب منه وكراهيته له .

قال ابن مسعود رضى الله عنه : إن المؤمن يرى ذنوبه كأنه فى أصل جبل يخاف أن يقع عليه، وإن الفاجر يرى ذنوبه كذباب وقع على أنفه، فقال به هكذا. أخرجاه فى «الصحيحين» .

وإنما يعظم الذنب فى قلب المؤمن لعلمه بجلال الله تعالى، فإذا نظر إلى عظمة من عصى، رأى الصغيرة كبيرة .

وفى البخارى من حديث أنس رضى الله عنه : «إنكم لتعملون أعمالا هى أدق فى أعينكم من الشعر إن كنا لنعدها على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من الموبقات» .

وقال بلال بن سعد رحمه الله : لا تنظر إلى صغر الخطيئة، ولكن انظر إلى عظمة من عصيت .

ومن الأسباب أن يفرح بالصغيرة ويتمدح بها، كما يقول : أما رأيتنى كيف مزقت عرض فلان، وذكرت مساويه حتى خجلته، أو يقول التاجر: أما رأيت كيف روجت عليه الزائف، وكيف خدعته وغبنته، فهذا وأمثاله تكبر به الصغائر.

ومنها أن يتهاون بستر الله تعالى وحلمه عنه وإمهاله إياه ولا يدرى أن ذلك قد يكون مقتا ليزداد بالإمهال إثما .

ومنها أن يأتى بالذنب ثم يذكره بمحضر من غيره، وفى «الصحيحين» من حديث أبى هريرة رضى الله عنه، أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال: «كل أمتى معافى إلا المجاهرين، وإن من المجاهرة أن يعمل الرجل العمل بالليل، ثم يصبح وقد ستره الله عليه، فيقول: يافلان: عملت البارحة كذا وكذا، وقد بات يستره الله عليه، ويصبح يكشف ستر الله عنه» .

ومنها أن يكون المذنب عالما يُقتدى به، فإذا علم منه الذنب، كبر ذنبه، كلبسه الحرير، ودخوله على الظلمة مع ترك الإنكار عليهم، وإطلاق اللسان فى الأعراض، واشتغاله من العلوم بما لا يقصد منه إلا الجاه، كعلم الجدل، فهذه ذنوب يتبع العالم عليها، فيموت ويبقى شره مستطيرا فى العالم، فطوبى لمن إذا مات ماتت معه ذنوبه .

وفى الحديث : «ومن سن فى الإسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شيء» .

فعلى العالم وظيفتان :

إحداهما : ترك الذنب، والثانية : إخفاؤه إذا أتاه .

وكما تتضاعف أوزار العلماء إذا أُتبعوا على الذنوب كذلك تتضاعف حسناتهم إذا أتبعوا على الخير.

وينبغى للعالم أن يتوسط فى ملبسه ونفقته، وليكن إلى التقلل أميل، فإن الناس ينظرون إليه .

وينبغى له الاحتراز مما يقتدى به فيه، فإنه متى ترخص فى الدخول على السلاطين وجمع الحطام، فاقتدى به غيره، كان الإثم عليه، وربما سلم هو فى دخوله، ولم يفهموا كيفية سلامته .

وقد روينا أن ملكا كان يكره الناس على أكل لحم الخنزير، فجيء برجل عالم، فقال له حاجب الملك: قد ذبحت لك جديا فكل منه، فلما دخل قرب إليه فلم يأكل، فأمر بقتله، فقال له الحاجب: ألم أقل لك إنه جدى، فقال: ومن أين يعلم حالى من يقتدى بى (مختصر منهاج القاصدين / ٢٥٢-٢٥٥، ٢٥٧-٢٥٩).

ويعدد الإمام ابن قيم الجوزية الآثار القبيحة المذمومة للذنوب والمعاصى فيقول :

ومنها : أن العبد لا يزال يرتكب الذنوب حتى تهون عليه وتصغر فى قلبه . وذلك علامة الهلاك . فإن الذنب كلما صغر فى عين العبد عظم عند الله . وقد ذكر البخارى فى صحيحه عن ابن مسعود قال «إن المؤمن يرى ذنوبه كأنها فى أصل جبل يخاف أن يقع عليه، وإن الفاجر يرى ذنوبه كذباب وقع على أنفه فقال به هكذا فطار» .

ومنها : أن غيره من الناس والدواب يعود عليه شؤم ذنبه، فيحترق هو وغيره بشؤم الذنوب والظلم . قال أبو هريرة: إن الحبارى (طائر أكبر من الدجاج وأطول عنقا) لتموت فى وكرها من ظلم الظالم. وقال مجاهد: إن البهائم تلعن عصاة بنى آدم إذا اشتدت السَّنَة، وأمسك المطر. وتقول: هذا بشؤم معصية ابن آدم. وقال عكرمة : دواب الأرض وهوامها حتى الخنافس والعقارب يقولون: مُنعنا القطر بذنوب بنى آدم .

فلا يكفيه عقاب ذنبه حتى يبوء بلعنة من لا ذنب له .

ومنها : أن المعصية تورث الذل ولا بد . فإن العز كل العز فى طاعة الله تعالى قال تعالى ﴿من كان يريد العزة فلله العزة جميعا﴾ [فاطر: ١٠] أى فليطلبها بطاعة الله فإنه لا يجدها إلا

فى طاعة الله . وكان من دعاء بعض السلف : اللهم أعزنى بطاعتك . ولا تذلنى بمعصيتك ، وقال الحسن البصرى : إنهم إن طقطقت بهم البغال وهملجت بهم البراذين فإن ذل المعصية لا يفارق قلوبهم . أبى الله إلا أن يذل من عصاه (طقطقت البغال : صوتت حوافرها . هملج : أسرع فى خفة . والبراذين جمع برذون هو التركى من الخيل) .

وقال عبد الله بن المبارك :

رأيت الذنوب تميت القلو
ب وقد يورث الذلّ إدمانها
وترك الذنوب حياة القلو
ب وخير لنفسك عصيانها
وهل أفسد الدين إلا الملو
ك وأحبار سوء ورهبانها

ومنها : أن المعاصى تفسد العقل . فإن للعقل نورا والمعصية تطفىء نور العقل ولا بد ، وإذا طفىء نوره ضعف ونقص . وقال بعض السلف : ما عصى الله أحد حتى يغيب عقله ، وهذا ظاهر . فإنه لو حضره عقله لحجزه عن المعصية وهو فى قبضة الرب تعالى ، وتحت قهره ، وهو مطلع عليه . وفى داره على بساطه وملائكته شهود عليه ناظرون إليه ، وواعظ القرآن ينهاه ، وواعظ الإيمان ينهاه ، وواعظ النار ينهاه ، والذى يفوته بالمعصية من خير الدنيا والآخرة أضعاف أضعاف ما يحصل له من السرور واللذة بها . فهل يقدم على الاستهانة بذلك كله والاستخفاف به ذو عقل سليم؟

ومنها : أن الذنوب إذا تكاثرت طُبع على قلب صاحبها ، فكان من الغافلين كما قال بعض السلف فى قوله تعالى ﴿كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون﴾ [المطففين : ١٤] قال : هو الذنب بعد الذنب ، وقال الحسن : هو الذنب على الذنب ، حتى يعمى القلب . وقال غيره : لما كثرت ذنوبهم ومعاصيهم أحاطت بقلوبهم .

وأصل هذا : أن القلب يصدأ من المعصية فإذا زادت غلب الصدأ حتى يصير رانا . ثم يغلب حتى يصير طبعا وقفلا وختما ، فيصير القلب فى غشاوة وغلاف فإذا حصل له ذلك بعد الهدى والبصيرة انتكس فصار أعلاه أسفله ، فحينئذ يتولاه عدوه ويسوقه حيث أراد .

ومنها : أن الذنوب تُدخل العبد تحت لعنة رسول الله ﷺ ، فإنه لعن على معاصى وغيرها أكبر منها ، فهى أولى بدخول فاعلها تحت اللعنة .

فلعن الواشمة والمستوشمة ، والواصلة والموصولة والنامصة والمتنمصة ، والواشرة والمستوشرة (الوشم : أن يغرز الجلد بإبرة ثم يحشى بكحل أو نيل فيزرق أثره أو يخضر وفاعلته الواشمة ، والتى يفعل بها هى المستوشمة والواصلة هى التى تصل الشعر والموصولة من يفعل لها ذلك والنامصة من تنتف الشعر من الجبين والمتنمصة : المعمول بها . والواشرة : التى تحدد أسنانها وترقق أطرفها والمستوشرة : التى تأمر أن يفعل بها ذلك) ولعن آكل الربا ومؤكله ، وكاتبه وشاهده ، ولعن المحلِّل والمحلَّل له ولعن السارق ولعن شارب الخمر وساقيها وعاصرها ومعتصرها وبائعها ومشتريها ، وآكل ثمنها وحاملها والمحمولة إليه . ولعن من غير منار الأرض وهى أعلامها وحدودها . ولعن من لعن والديه ، ولعن من اتخذ شيئا فيه الروح غرضا يرميه بسهم ، ولعن المخنثين من الرجال والمترجلات من النساء ، ولعن من ذبح لغير الله ، ولعن من أحدث حدثا أو آوى محدثا ، ولعن المصورين ، ولعن من عمل عمل قوم لوط . ولعن من سب أباه وأمه . ولعن من كمه أعمى عن الطريق . ولعن من أتى بهيمة ولعن من وسم دابة فى وجهها ولعن من ضار مسلما أو مكر به . ولعن زوارات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج ولعن من أفسد مرأة على زوجها أو مملوكا على سيده ... ولعن من انتسب إلى غير أبيه . وأخبر أن ما أشار إلى أخيه بحديدة فإن الملائكة تلعنه . ولعن من سب الصحابة .

وقد لعن الله فى كتابه من أفسد فى الأرض وقطع رحمه ، وآذى الله وآذى رسوله ولعن من كتم ما أنزل الله سبحانه من البينات والهدى ، ولعن الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات بالفاحشة . ولعن من جعل سبيل الكافر أهدى من سبيل المسلم .

ولعن رسول الله ﷺ الرجل يلبس لبسة المرأة والمرأة تلبس لبسة الرجل ولعن الراشى والمرتشى والرائش . وهو الواسطة فى الرشوة . ولعن على أشياء أخر غير هذه . فلو لم يكن فى فعل ذلك إلا رضاء فاعله بأن يكون ممن يلعنه الله ورسوله وملائكته لكان فى ذلك ما يدعو إلى تركه .

ومنها : حرمان دعوة رسول الله ﷺ ودعوة الملائكة . فإن

الله سبحانه أمر نبيه أن يستغفر للمؤمنين والمؤمنات [آل عمران: ١٥٩]، و [النور: ٦٢] و [الممتحنة : ١٢] وقال تعالى ﴿الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين آمنوا ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم * ربنا وأدخلهم جنات عدن التى وعدتهم ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم إنك أنت العزيز الحكيم * وقهم السيآت﴾ [غافر : ٧ ـ ٩] فهذا دعاء الملائكة للمؤمنين التابعين لكتابه وسنة رسوله، الذين لا سبيل لهم غيرهما، فلا يطمع غير هؤلاء بإجابة هذه الدعوة إذا لم يتصل بصفات المدعو لهم بها.

ومن عقوبات المعاصى: ما رواه البخارى فى صحيحه من حديث سمرة بن جندب قال «كان النبى ﷺ مما يكثر أن يقول لأصحابه: هل رأى أحد منكم البارحة رؤيا؟ فيقص عليه ما شاء الله أن يقص. وأنه قال لنا ذات غداة. إنه أتانى الليلة آتيان. وإنهما ابتعثا لى. وإنهما قالا لى: انطلق. وإنى انطلقت معهما. وإنا أتينا على رجل مضطجع. وإذا آخر قائم عليه بصخرة. وإذا هو يهوى بالصخرة لرأسه. فيثلغ رأسه فيتدهده هاهنا وها هنا وها هنا (يثلغ: يخدش، يدهد: يدحرج) فيتبع الحجر: فيأخذه فلا يرجع إليه حتى يصح رأسه كما كان. ثم يعود عليه، فيفعل به مثل ما فعل فى المرة الأولى: قال: قلت لهما: سبحان الله! ما هذان؟ قالا لى: انطلق انطلق، فانطلقنا، فأتينا على رجل مستلق لقفاه، وإذا آخر قائم عليه بكلوب من حديد، وإذا هو يأتى أحد شقى وجهه فيشرشر شدقه إلى قفاه، ومنخره إلى قفاه، وعينه إلى قفاه، ثم يتحول إلى الجانب الآخر، فيفعل به مثل ما فعل بالجانب الأول، فما يفرغ من ذلك الجانب حتى يصح ذلك الجانب كما كان، ثم يعود عليه فيفعل مثل ما فعل فى المرة الأولى. قال قلت: سبحان الله! ما هذان؟ فقالا لى، انطلق انطلق، فانطلقنا، فأتينا على مثل التنور، وإذا فيه لغط وأصوات، قال: فاطلعنا فيه. فإذا فيه رجال ونساء عراة، وإذا هم يأتيهم لهب من أسفل منهم، فإذا أتاهم ذلك اللهب ضوضوا (أى: صاحوا) قال قلت: من هؤلاء؟ قال فقالا لى: انطلق انطلق. قال: فانطلقنا، فأتينا على نهر أحمر مثل الدم، فإذا فى النهر رجل سابح يسبح، وإذا على شط النهر رجل قد جمع عنده حجارة كثيرة، وإذا ذلك السابح يسبح ما يسبح ثم يأتى ذلك الذى جمع عنده الحجارة فيغفر له فاه فيلقمه حجرا، فينطلق فيسبح، ثم يرجع إليه كلما رجع إليه، فيغفر له فاه، فيلقمه حجرا. قال: قلت لهما: ما هذان؟ قالا لى: انطلق انطلق فانطلقنا. فأتينا على رجل كريه المرآة كأكره ما أنت راء رجلا، وإذا هو عنده نار يحشها ويسعى حولها، قال: قلت لهما: ما هذا؟ قال قالا لى: انطلق انطلق. فانطلقنا حتى أتينا على روضة معتمة، فيها من كل نور الربيع، وإذا بين ظهرانى الروضة رجل طويل، لا أكاد أرى رأسه طولا فى السماء، وإذا حول الرجل من أكثر ولدان رأيتهم قط، قال قلت: ما هذا؟ وما هؤلاء؟ قال قالا لى: انطلق انطلق. فانطلقنا فأتينا إلى دوحة عظيمة لم أر دوحة قط أعظم منها ولا أحسن. قال قالا لى: ارق فيها، فارتقينا منها إلى مدينة مبنية بلبن ذهب ولبن فضة. قال: فأتينا باب المدينة، فاستفتحنا، ففتح لنا. فدخلناها، فتلقانا رجال، شطر من خلقهم كأحسن ما أنت راء، وشطر منهم كأقبح ما أنت راء، قال قالا لهم: اذهبوا فقعوا فى ذلك النهر، قال وإذا نهر معترض يجرى كأن ماءه المحض فى البياض، فذهبوا فوقعوا فيه، ثم رجعوا إلينا، وقد ذهب ذلك السوء عنهم. قال قالا لى: هذه جنة عدن. وها ذاك منزلك، قال: فسما بصرى صعدا، فإذا قصر مثل الربابة البيضاء. قال قالا لى: هذاك منزلك، قال قلت لهما: بارك الله فيكما، فذرانى فأدخله. قالا: أما الآن فلا. وأنت داخله، قال قلت لهما: فإنى رأيت منذ الليلة عجبا، فما هذا الذى رأيت؟ قال قالا لى: أما إنا سنخبرك. أما الرجل الأول الذى أتيت عليه يثلغ رأسه بالحجر، فإنه الرجل يأخذ القرآن، فيرفضه، وينام عن الصلاة المكتوبة.

وأما الرجل الذى أتيت عليه يشرشر شدقه إلى قفاه، ومنخره إلى قفاه، وعينه إلى قفاه، فإنه الرجل يغدو من بيته فيكذب الكذبة تبلغ الآفاق.

وأما الرجال والنساء العراة الذين هم فى مثل بناء التنور، فإنهم الزناة والزوانى.

وأما الرجل الذى رأيت يسبح فى النهر ويلقم الحجارة فإنه آكل الربا. وأما الرجل الكريه المنظر الذى عند النار يحشها ويسعى حولها فإنه مالك خازن جهنم.

وأما الرجل الطويل الذى فى الروضة فإنه إبراهيم . وأما الولدان الذين حوله ، فكل مولود مات على الفطرة ـ وفى رواية البرقاني : ولد على الفطرة ـ فقال بعض المسلمين : يا رسول الله وأولاد المشركين؟ فقال رسول الله ﷺ : وأولاد المشركين .

وأما القوم الذين كانوا شطر منهم حسن وشطر منهم قبيح ، فإنهم قوم خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا تجاوز الله عنهم» .

فصل : ومن آثار الذنوب والمعاصى ، أنها تحدث فى الأرض أنواعا من الفساد فى المياه والهواء والزرع والثمار والمساكن . قال تعالى : ﴿ظهر الفساد فى البر والبحر بما كسبت أيدى الناس ليذيقهم بعض الذى عملوا لعلهم يرجعون﴾ [الروم : ٤١] قال مجاهد : إذا ولى الظالم سعى بالظلم والفساد ، فيحبس بذلك القطر (أى المطر) فيهلك الحرث والنسل ، والله لا يحب الفساد . ثم قرأ ﴿ظهر الفساد فى البر والبحر بما كسبت أيدى الناس ليذيقهم بعض الذى عملوا لعلهم يرجعون﴾ ثم قال : أما والله ما هو بحركم هذا . ولكن كل قرية على ماء جار فهو بحر . وقال عكرمة : ظهر الفساد فى البر والبحر ، أما إنى لا أقول لكم : بحركم هذا ، ولكن كل قرية على ماء . وقال قتادة : أما البر فأهل العمود . وأما البحر فأهل القرى والريف .

قلت : وقد سمى الله تعالى الماء العذب بحرا فقال : ﴿وما يستوى البحران هذا عذب فرات سائغ شرابه وهذا ملح أجاج﴾ [فاطر : ١٢] وليس فى العالم بحر حلو واقفا . وإنما هى الأنهار الجارية ، والبحر المالح هو الساكن ، فتسمى القرى التى على المياه الجارية باسم تلك المياه . وقال ابن زيد : ﴿ظهر الفساد فى البر والبحر﴾ قال : الذنوب . قلت : أراد أن الذنب سبب الفساد الذى ظهر ، وإن أراد أن الفساد الذى ظهر هو الذنوب نفسها فتكون اللام فى قوله ﴿ليذيقهم بعض الذى عملوا﴾ لام العاقبة والتعليل . وعلى الأول فالمراد بالفساد النقص والشر والآلام التى يحدثها الله فى الأرض بمعاصى العباد ، فكلما أحدثوا ذنبا أحدث الله لهم عقوبة ، كما قال بعض السلف : كلما أحدثتم ذنبا أحدث الله لكم من سلطانه عقوبة .

والظاهر ــ والله أعلم ــ أن الفساد المراد به الذنوب وموجباتها . ويدل عليه قوله تعالى : ﴿ليذيقهم بعض الذى عملوا﴾ فهذا حالنا . وإنما أذاقنا الشىء اليسير من أعمالنا . فلو أذاقنا كل أعمالنا لما ترك على ظهرها من دابة .

ومن تأثير معاصى الله فى الأرض : ما يحل بها من الخسف والزلازل ويمحق بركتها . وقد مر رسول الله ﷺ على ديار ثمود ، فمنعهم من دخول ديارهم إلا وهم باكون ، ومن شرب مياههم ، ومن الاستسقاء من آبارهم ، حتى أمر ألا يعلف العجين الذى عجن بمياههم لنواضح الإبل لتأثير شؤم المعصية فى الماء ، وكذلك تأثير شؤم الذنوب فى نقص الثمار ، وما ترى به من الآفات . وقد ذكر الإمام أحمد فى مسنده فى ضمن حديث قال : «وجدت فى خزائن بعض بنى أمية حنطة ، الحبة بقدر نواة التمرة ، وهى فى صرة ، مكتوب عليها : «كان هذا ينبت فى زمن العدل» وكثير من هذه الآفات أحدثها الله سبحانه وتعالى بما أحدث العباد من الذنوب . وأخبرنى جماعة من شيوخ الصحراء أنهم كانوا يعهدون الثمار أكبر مما هى الآن . وكثير من هذه الآفات التى تصيبها لم يكونوا يعرفونها ، وإنما حدثت من قرب .

وأما تأثير الذنوب فى الصور والخلق . فقد روى الترمذى فى جامعه عن النبى ﷺ أنه قال «خلق الله آدم وطوله فى السماء ستون ذراعا ولم يزل الخلق ينقص حتى الآن » فإذا أراد الله أن يطهر الأرض من الظلمة والخونة والفجرة يخرج عبدا من عباده من أهل بيت نبيه ﷺ فيملأ الأرض قسطا كما ملئت جورا ، ويقتل المسيح اليهود والنصارى ، ويقيم الدين الذى بعث الله به رسوله ، وتخرج الأرض بركاتها ، وتعود كما كانت ، حتى إن العصابة من الناس ليأكلون الرمانة ويستظلون بقحفها ويكون العنقود من العنب وقر بعير ولبن اللقحة الواحدة يكفى الفئام من الناس وهذا لأن الأرض لما طهرت من المعاصى ظهرت فيها آثار البركة من الله تعالى التى محقتها الذنوب والكفر . ولا ريب أن العقوبات التى أنزلها الله فى الأرض بقيت آثارها سارية فى الأرض ، تتطلب ما يشاكلها من الذنوب التى هى آثار تلك الجرائم التى عذبت بها الأمم ، فهذه الآثار فى الأرض من آثار العقوبات ، كما أن هذه المعاصى من آثار الجرائم . فتناسبت كلمة الله وحكمه الكونى أولا وآخرا ، وكان العظيم من العقوبة للعظيم من الجناية . والأخف للأخف ، وهكذا يحكم ربنا سبحانه بين خلقه فى دار الدنيا ودار البرزخ ودار الجزاء .

وتأمل مقارنة الشيطان ومحله وداره . فإنه لما قارن العبد واستولى عليه نزعت البركة من عمره ، وعمله ، وقوله ورزقه ، ولما أثرت طاعته فى الأرض ما أثرت نزعت البركة من كل محل

ظهرت فيه طاعته. وكذلك مسكنه لما كان الجحيم لم يكن هناك شيء من الروح والرحمة والبركة.

ومن عقوباتها: أنها تطفيء من القلب نار الغيرة التى هى لحياته وصلاحه كالحرارة الغريزية لحياة جميع البدن، فإن الغيرة حرارته وناره التى تخرج ما فيه من الخبث والصفات المذمومة، كما يخرج الكير خبث الذهب والفضة والحديد. وأشرف الناس وأعلاهم قدرا وهمة أشدهم غيرة على نفسه وخاصته وعموم الناس. ولهذا كان النبى ﷺ أغير الخلق على الأمة، والله سبحانه أشد غيرة منه، كما ثبت فى الصحيح عنه ﷺ أنه قال «أتعجبون من غيرة سعد؟ لأنا أغير منه والله أغير منى» وفى الصحيح أيضا عنه ﷺ أنه قال فى خطبة الكسوف: «يا أمة محمد: ما أحد أغير من الله أن يزنى عبده أو تزنى أمته» وفى الصحيح أيضا عنه أنه قال «لا أحد أغير من الله، من أجل ذلك حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن. ولا أحد أحب إليه العذر من الله، من أجل ذلك أرسل الرسل مبشرين ومنذرين، ولا أحد أحب إليه المدح من الله. من أجل ذلك أثنى على نفسه» فجمع فى هذا الحديث بين الغيرة التى أصلها كراهة القبائح وبغضها، وبين محبة العذر الذى يوجب كمال العدل والرحمة والإحسان والله سبحانه مع شدة غيرته يحب أن يعتذر إليه عبده، ويقبل عذر من اعتذر إليه، وأنه لا يؤاخذ عبده بارتكاب ما يغار من ارتكابه حتى يعذر إليه، ولأجل ذلك أرسل رسله وأنزل كتبه إعذارا وإنذارا. وهذه غاية المجد والإحسان ونهاية الكمال. فإن كثيرا ممن تشتد غيرته من المخلوقين تحمله شدة الغيرة على سرعة الإيقاع والعقوبة من غير إعذار منه، ومن غير قبول العذر ممن اعتذر إليه، بل قد يكون له فى نفس الأمر عذر ولا تدعه شدة الغيرة أن يقبل عذره، وكثير ممن يقبل المعاذير يحمله على قبولها قلة الغيرة حتى يتوسع فى طرق المعاذير، ويرى عذرا ما ليس بعذر، حتى يعذر كثير منهم بغير عذر، كل منهما غير ممدوح على الإطلاق. وقد صح عن النبى ﷺ أنه قال «إن من الغيرة ما يحبها الله، ومنها ما يبغضها الله. فالتى يبغضها الله الغيرة من غير ريبة» وذكر الحديث.

وإنما الممدوح اقتران الغيرة بالعذر فيغار فى محل الغيرة، ويعذر فى موضع العذر، ومن كان هكذا فهو الممدوح حقا. ولما جمع سبحانه صفات الكمال كلها كان أحق بالمدح من كل أحد، ولا يبلغ أحد أن يمدحه كما ينبغى له، بل هو كما مدح نفسه وأثنى على نفسه. فالغيور قد وافق ربه سبحانه فى صفة من صفاته، ومن وافق الله فى صفة من صفاته قادته تلك الصفة إليه بزمامها، وأدخلته على ربه وأدنته منه وقربته من رحمته، وصيرته محبوبا له. فإنه سبحانه رحيم يحب الرحماء، كريم يحب الكرماء، عليم يحب العلماء، قوى يحب المؤمن القوى، وهو أحب إليه من المؤمن الضعيف حيي يحب أهل الحياء، جميل يحب أهل الجمال، وتر يحب أهل الوتر.

ولو لم يكن فى الذنوب والمعاصى إلا أنها توجب لصاحبها ضد هذه الصفات وتمنعه من الاتصاف بها لكفى بها عقوبة، فإن الخطرة تنقلب بهاوسوسة، والوسوسة تصير إرادة، والإرادة تقوى فتصير عزيمة، ثم تصير فعلا، ثم تصير صفة لازمة وهيئة ثابتة راسخة. وحينئذ يتعذر الخروج منها، كما يتعذر عليه الخروج من صفاته القائمة به.

والمقصود: أنه كلما اشتدت ملابسته للذنوب أخرجت من قلبه الغيرة على نفسه وأهله وعموم الناس. وقد تضعف فى القلب جدا حتى لا يستقبح بعد ذلك القبيح لا من نفسه ولا من غيره. وإذا وصل إلى هذا الحد فقد دخل فى باب الهلاك. وكثير من هؤلاء لا يقتصر على عدم الاستقباح، بل يحسِّن الفواحش والظلم لغيره ويزينه له، ويدعوه إليه ويحثه عليه، ويسعى له فى تحصيله. ولهذا كان الديوث أخبث خلق الله (انظر مادة «الديوث») والجنة عليه حرام، وكذلك محلل الظلم والبغى بغيره ومزينه لغيره. فانظر ما الذى حملت عليه قلة الغيرة.

وهذا يدلك على أن أصل الدينة الغيرة. ومن لا غيرة له لا دين له، فالغيرة تحمى القلب فتحمى له الجوارح، فتدفع السوء والفواحش وعدم الغيرة يميت فتموت له الجوارح، فلا يبقى عندها دفع ألبتة. ومثل الغيرة فى القلب مثل القوة التى تدفع المرض وتقاومه، فإذا ذهبت القوة، وجد الداء المحل قابلا، ولم يجد دافعا. فتمكن فكان الهلاك. ومثلها مثل صياحي الجاموس التى تدفع بها عن نفسها وعن ولدها. فإذا تكسرت طمع فيها عدوها ... (الجواب الكافى / ٥٢ - ٥٤، ٥٧ - ٦٠).

ولما كانت الذنوب متفاوتة فى درجاتها ومفاسدها تفاوتت عقوباتها فى الدنيا والآخرة بحسب تفاوتها.

ونحن نذكر فيها بعون الله فصلا وجيزا جامعا، فنقول:

أصلها نوعان: ترك مأمور وفعل محظور. وهما الذنبان اللذان ابتلى الله سبحانه أبوى الجن والإنس بهما، وكلاهما

ينقسم باعتبار محله إلى ظاهر على الجوارح وباطن فى القلوب، وباعتبار متعلقه إلى حق الله وحق خلقه. وإن كان كل حق لخلقه فهو متضمن لحقه، لكن سمى حقا للخلق لأنه يجب بمطالبتهم وسقط بإسقاطهم.

ثم هذه الذنوب تنقسم إلى أربعة أقسام: ملكية، وشيطانية، وسبعية، وبهيمية، لا تخرج عن ذلك.

فالذنوب الملكية أن يتعاطى ما لا يصلح له من صفات الربوبية، كالعظمة والكبرياء والجبروت، والقهر والعلو بغير الحق، واستعباد الخلق ونحو ذلك.

ويدخل فى هنا الشرك بالرب تعالى، وهو نوعان: شرك به فى أسمائه وصفاته، وجعل آلهة أخرى معه. وشرك به فى معاملته، وهذا الثانى قد لا يوجب دخول النار. وإن كان قد أحبط العمل الذى أشرك فيه مع الله غيره.

وهذا القسم أعظم أنواع الذنوب، ويدخل فيه القول على الله بلا علم فى خلقه وأمره. فمن كان من أهل هذه الذنوب فقد نازع الله سبحانه ربوبيته وملكه، وجعل نفسه له ندا، وهذا أعظم الذنوب عند الله. ولا ينفع معه عمل.

وأما الشيطانية: فالتشبه بالشيطان فى الحسد والبغى والغش والغل والخداع والمكر، والأمر بمعاصى الله، وتحسينها، والنهى عن طاعة الله وتهجينها، والابتداع فى دينه، والدعوة إلى البدع والضلال، وهذا النوع يلى النوع الأول فى المفسدة. وإن كانت مفسدته دونه.

وأما السبعية: فذنوب العدوان والغضب، وسفك الدماء والتوثب على الضعفاء والعاجزين. ويتولد منها أنواع أذى النوع الإنسانى والجرأة على الظلم والعدوان.

وأما الذنوب البهيمية: فمثل الشره والحرص على قضاء شهوة البطن والفرج، ومنها يتولد الزنى والسرقة، وأكل أموال اليتامى والبخل والشح والجبن والهلع والجزع وغير ذلك.

وهذا القسم أكثر ذنوب الخلق لعجزهم عن الذنوب السبعية والملكية، ومنه يدخلون إلى سائر الأقسام. فهو يجرهم إليها بزمام، فيدخلون منه إلى الذنوب السبعية، ثم إلى الشيطانية، ثم إلى منازعة الربوبية والشرك فى الوحدانية. ومن تأمل هذا حق التأمل تبين له أن الذنوب دهليز الشرك والكفر ومنازعة الله ربوبيته (الجواب الكافى / ١٠٩، ١١٠).

أما عن النظم فقد قال الإمام إبراهيم اللقانى صاحب الجوهرة:

ثم الذنوب عندنا قسمان
صغيرة كبيرة فالثانى
منه المتاب واجب فى الحال
ولا انتقاض إن يَعُد الحال

ويشرح ذلك شيخ الإسلام إبراهيم بن محمد البيجورى فيقول: قوله ثم الذنوب عندنا قسمان أى ثم الذنوب عند جمهور أهل السنة قسمان صغائر وكبائر كما سيذكره خلافا للمرجئة حيث ذهبوا إلى أنها كلها صغائر ولا تضر مرتكبها مادام على الإسلام ولذلك قال شاعرهم:

مت مسلما ومن الذنوب فلا تخف
حاشا المهيمن أن يرى تنكيدا
لو رام أن يصليك نار جهنم
ما كان ألهم قلبك التوحيدا

وخلافا للخوارج حيث ذهبوا إلى أنها كلها كبائر وأن كل كبيرة كفر وخلافا لمن ذهب إلى أنها كلها كبائر نظرا لعظمة من عصى بها ولكن لا يكفر مرتكبها إلا بما هو كفر منها كسجود لصنم ورمى مصحف فى قاذورة ونحو ذلك وقوله صغيرة كبيرة بدل من قوله قسمان للتفصيل وفيه حذف العاطف والأصل صغيرة وكبيرة وليست الكبيرة منحصرة فى عدد وهى كما قال ابن الصلاح كل ذنب كبر كبرا يصح معه أن يطلق عليه اسم الكبيرة ولها أمارات منها إيجاب الحد. ومنها الإيعاد عليها بالعقاب. ومنها وصف فاعلها بالفسق، ومنها اللعن كلعن الله السارق وأكبرها الشرك بالله ثم قتل النفس التى حرم الله قتلها إلا بالحق وما سوى هذين منها كالزنا واللواط وعقوق الوالدين والسحر والقذف والفرار يوم الزحف وأكل الربا وغير ذلك فمختلف أمره باختلاف الأحوال والمفاسد المترتبة عليه فيقال لكل واحدة منه هى من أكبر الكبائر وإن جاء فى موضع أنها أكبر الكبائر كان المراد منه أنها من أكبر

الكبائر كما قاله النووى. ومن أكبر الكبائر أيضا الكذب على رسول الله ﷺ بل قال الشيخ أبو محمد الجوينى إن من تعمد الكذب عليه ﷺ يكفر كفرا يخرجه عن الملة وتبعه على ذلك طائفة. وهو ضعيف. وكل ما خرج عن حد الكبيرة وضابطها فهو صغيرة وقد تعطى حكم الكبيرة لا أنها تنقلب كبيرة كما قاله ابن حجر فى شرح الأربعين النووية، وإن وقع فى عبارة بعضهم أنها تنقلب كبيرة بالإصرار عليها وهو معاودة الذنب مع نية العود إليه عند الفعل فإن عاوده من غير نية العود لم يكن إصرارا على الأصح. وقال بعضهم هو تكرير الذنب سواء عزم على العود أو لا وبالتهاون بها وهو الاستخفاف وعدم المبالاة بها وبالفرح والافتخار بها وصدورها من عالم يقتدى به فيها ... (تحفة المريد / ١٢١، ١٢٢).

وبقية الشرح يتصل بالقسم الثانى من الذنوب وهو التوبة.

(المفردات فى غريب القرآن للراغب الأصفهانى ــ تعليق وضبط محمد سيد كيلانى / ١٨١، وكشاف اصطلاحات الفنون للتهانوى ٢ / ٥٠٧ ــ ٥١٠، ومختصر منهاج القاصدين لابن قدامة ـ قدم له الأستاذ محمد أحمد دهمان، علق عليه شعيب الأرنؤوط وعبد القادر الأرنؤوط / ٢٥٢ ــ ٢٥٥، ٢٥٧ ــ ٢٥٩، والجواب الكافى لمن سأل عن الدواء الشافى للإمام ابن قيم الجوزية / ٥٢ ــ ٥٤، ٥٧ ــ ٦٠، ١٠٩، ١١٠، وتحفة المريد على جوهرة التوحيد للقانى ـ شيخ الإسلام إبراهيم محمد البيجورى / ١٢١، ١٢٢).

*** الذنوب والجرائم التى يستوجب بها الأدب والعقوبة:**

أفرد الهرثمى الباب الثالث والثلاثين من كتابه عن سياسة الحروب للكلام على الذنوب والجرائم التى يستوجب بها الأدب والعقوبة، وجاء فيه ما يلى:

قالوا: إن من الذنوب التى يستحق بها العقوبة والأدب، من القتل والقطع، والنفى والسخط، والضرب والحبس، والحرمان والغُرْم، على أقدارها هى هذه: المكبِّر بغير إذن، المطبل بغير إذن، المقاتل بغير إذن. التارك للموافاة يوم الحرب، المتقاعس عن الخروج إلى الحرب، المخل بمصافه، النائم عن محرسه، السالك فى غير طريقه، النازل فى غير موضعه، الواقف فى غير موقفه، المجاوز لما يُحد له، المقصر عما يحد له، التارك لما يوكل به، التارك إنهاء ما ينبغى له إنهاؤه، المانع معونته فيما يحتاج إليه فيه، صاحب الغلول، موارى الأسير الهارب من الزحف، الناقم على رئيسه ظالما، الطاعن على رئيسه كاذبا، المفسد للناس على رؤسائهم، المحرب للناس فيما بينهم، الواصف لأصحابه بالضعف، الواصف للعدو بالقوة، الساتر عورة العدو عن أصحابه المجبِّن لأصحابه عن العدو، المشجع للعدو على أصحابه، الدال للعدو على عورة أصحابه.

وفيما يلى شرح معانى بعض الألفاظ الواردة فى النص:

السخط: الغضب والتعنيف واللوم.

المخل بمصافه: التارك لموضعه من الصف.

صاحب الغلول: هو الشخص الذى يغل من الغنيمة أى يأخذ لنفسه قبل قسمها.

المحرب للناس الذى يثير بينهم المغاضبة والبغضاء وينميها.

المجبِّن لأصحابه: هو الذى يثبطهم عن العدو ويخذلهم عنه.

العورة نقطة الضعف التى تسهل مهاجمتهم منها.

(مختصر سياسة الحروب للهرثمى صاحب المأمون ــ تحقيق عبد الرؤوف عون، مراجعة د. محمد مصطفى زيادة / ٥٥، ٥٦).

*** ابن ذُنَّين (٤٢٤هـ):**

ذكره الإمام الذهبى فى الطبقة الثالثة والعشرين وقال عنه:

العلامة القدوة العابد، أبو محمد، عبد الله بن عبد الرحمن بن عثمان بن سعيد بن ذُنِّين، الصدفى الأندلسى، الطليطلى. روى عن أبيه، وعبدوس بن محمد، وأبى عبد الله ابن عيشون، وجماعة. ورحل إلى بلده بعلم جم، فأكثر عنه الطليطليون، ورحل إليه من النواحى لعلمه وتألهه وتبتله وخشوعه واتباعه، وكان سُنيا، أثريا، ثبتا، متحريا، قوالا بالحق، لا يخاف فى الله لومة لائم، لا يختلف اثنان فى فضله.

توفى سنة أربع وعشرين وأربعمائة.

(تهذيب سير أعلام النبلاء للإمام شمس الدين الذهبى ـ أشرف على تحقيق الكتاب شعيب الأرنؤوط. هذبه أحمد فايز الحمصى، راجعه عادل مرشد ٢ / ٣٠٥).

*** الذهب :**

الذَّهب : معدن نفيس أصفر لامع لا يصدأ يذكر ويؤنث ؛ فيقال هو الذهب السبيك وهى الذهب الحمراء، ويقال إن التأنيث لغة الحجاز أما سائر العرب فإنهم يقولون هو الذهب كما فى المصباح، وفى لسان العرب : الذهب التبر والقطعة منه ذهبة وعلى هذا يذكر ويؤنث على ما ذكر فى الجمع الذى لا يفارقه واحده إلا بالهاء . وفى حديث على كرم الله وجهه «فبعث من اليمن بذهيبة» قال ابن الأثير : وهى تصغير ذهب وأدخل فيها الهاء لأن الذهب يؤنث، والمؤنث الثلاثى إذا صغر ألحق فى تصغيره الهاء نحو قويسة وشميسة : أى فى قوس وشمس، وقيل هو تصغير ذهبة على نية القطعة منها فصغرها على لفظها ا هـ.

وسواء قلنا إن ذهيبة تصغير ذهب أو ذهبة فإن التأنيث لغة أهل الحجاز كما أسلفنا وكفى بها حجة على جواز التأنيث ؛ وبذلك يذكر الذهب ويؤنث وجمع ذهب أذهاب كسبب وأسباب ؛ وذهبان بضم الذال كحمل وحملان (الرسالة الرشادية / ٢٨، ٢٩).

وقد ذكره البيهقى فى الجواهر وقال عنه فى المقالة الأولى تحت عنوان «فى ذكر الذهب وصفاته ومعدنه وجيده ورديئه وخواصه» : اعلم أن الذهب ملك الأجساد ورأسها، بل أفضل الجواهر وأعدلها، وأشرف الأجساد وأكملها، وهو برىء من الآفات، نقى الجسد والروح، طبعه معتدل، وقيل حار رطب، طعمه الحلاوة، لزج متين يابس صلب، شديد سيال جامد جارى، أحمر الجوهر رزين، قد لصق ماؤه بجسده بحسب كمال الائتلاف واعتدال المزاج، والرطوبة فى جوهره أكثر من أرضيته، وحمرته أكثر من بياضه، وحلاوته أكثر من حموضته، وحرارته من حمرته وحلاوته من لينه ، ولا يخفى على أهل النظر أن نورانيته وإشراقه وصفاء لونه من الهواء، وحمرته من النار، وثقله من الأرض، ولينه من الماء، ولا يقدر ركن من الأركان أن يهدم تركيبه، كأن مزاج تركيبه وقع فى حد الاعتدال. لا يحرق بالنار، ولا يفرك فى التراب ، ولا يتزنجر فى الماء. فلما امتزج بالأجساد الناقصة يخلص عنها بالماء، أى بماء الأول، أو بنار التخليص، فإذا انكسر لا ينقص من قيمته، كما وقع فى ضرب المثل : شعر:

[البسيط]

إن نال ند من الأنداد منقصة
حاشا له أن يذيب النفس بالضجر
فالتبر من حجر إذ صار منكسرا
فالتبر تبر وما يزداد فى الحجر

فلولا أن فيه حالة مجهولة الكيفية لما هش لها الطفل الصغير، ويمد يده من مهده للقبض عليه، ولما تعلل به الصبى عن البكاء من غير أن يعرف له قيمة أو يصلح له حاجته، ولهذا قيل «ظمأ المال أشد من ظمأ الماء»، وإن الله سبحانه وتعالى جعل الدينار والدرهم قاضيين عدلين يحكمان بين الناس بالسوية، وقد قيل : الدرهم حاكم صامت وعدل ساكت وخاتم من الله نافذ، فلا يحسن إبطال حكمهما بالحبس، ولذلك حرم الله تعالى أن يطبع منه آنية لأنه يخرج حينئذ عن فائدته . ومع كونه حاكما عادلا خادما للإنسان يصرفه فى حاجاته ، فما دام خادما يستخدمه الإنسان فى طلب الحاجات يكون نعمة فى حقه، ويكونان صالحين كما ورد فى الخبر، «نعم المال الصالح للرجل الصالح» (ورد الحديث فى مسند أحمد بن حنبل ٤ / ١٩٧) على قائلها أفضل الصلوات وأجمل التحيات، وبالجملة :

[الطويل]

فلا مجد فى الدنيا لمن قل ماله
ولا مال فى الدنيا لمن قل مجده

(المتنبى)

وقال بعض الأفاضل :

[السريع]

أشفق على الدرهم والعين
تسلم من العينة والدين
فقوة العين بإنسانها
وقوة الإنسان بالعين

وأحسن أنواعه أن يكون لينا أحمر، حمرته أشبه بحمرة النار، ومعادنه كثيرة فى البلدان، لا سيما فى بلاد المغرب والزنجبار، فلما فى أكثر البلدان يقوّمون الأشياء بالذهب وكان

بين الناس كثير الجريان وأكثر مهام الأنام بواسطته تكون فى سلك الانتظام، لا يحتاج إلى بيان قيمته.

وهو من أجل أدوية القلب حتى رؤيته واللعب به يدفع هم النفس وحزنه، ويجلب الضحك والسرور، مجرب. وأكله يبرىء من الخفقان وأوجاع القلب والوسواس وحديث النفس والمالينخوليا، ومقدار ما يستعمل منه إلى ربع درهم، ويدفع هم القلب وكدورته، وإمساك الذهب فى الفم يزيل البخر وسحالته تصلح للسوداء فتدخل فى أدويته. والمكاوى المعمولة منه خير من سائر المعادن وأسرعها برءا، ويصلح مضافا إلى أدوية داء الثعلب وداء الحية طلاء وشرابا (داء الثعلب: مرض يصيب الرأس والشعر، تفسد منه أصول الشعر فتتساقط، وسمي بالثعلب لأنه يصيب الثعلب، انظر، ثابتة ابن قرة: الذخيرة فى الطب، ١١، أخوان الصفا: رسائل، ٢ / ١١٧. وداء الحية: أورده ثابت بن قرة من جملة أمراض الرأس والشعر، وأما محقق إخوان الصفا فذكر أن المراد به الحية المتولدة فى البطن أى الدودة، انظر ثابت بن قرة: الذخيرة، ١١، إخوان الصفا، الرسائل، ٢ / ١١٧) ويقوى العين كحلا، إما بمسحوله أو بميل معمول منه، وإذا كويت به قوادم أجنحة الحمام ألفت أبراجها، وهو أثقل المعدنيات، وإذا ثقبت شحمة الأذن بإبرة من ذهب لم يلتحم، وإن علق الإبريز منه على الصبيان لم يفزع ولم يصرع، مجرب (الإبريز هو الذهب الخالص بعد التصفية) وإذا لبس من فى إصبعه داحس، خاتما من ذهب خفف وجعه، مجرب.

ويدخل فى المفرحات الكبار وفى الكتابة وتذهيب الكتب وحلى النسوان وغير ذلك، وهو من منسوبات الشمس، والله أعلم (معدن النوادر / ٤٣ ـ ٤٦).

وقد ذكر المظفر الرسولى خصائص الذهب ومنافعه الطبية، وقد رمز إلى مصادره بالحروف التالية:

ع: عبد الله بن البيطار صاحب «الجامع لقوى الأدوية والأغذية».

ج: ابن جزلة صاحب «منهاج البيان فيما يستعمله الإنسان».

ف: أبو الفضل حسن بن إبراهيم التفليسى.

ز: الزهراوى.

قال: الذهب ـ «ع» معتدل لطيف، سحالته تدخل فى أدوية السوداء، وأفضل الكى وأسرعه بُرءا ما كان بمكوى من ذهب، وإمساكه فى الفم يزيل البخر، وتدخل سحالته فى أدوية داء الثعلب وداء الحية طلاء، وفى مشروباته، ويقوى العين كحلا، وينفع من أوجاع القلب، ومن الخفقان، وحديث النفس وخبثها، وإن ثقبت شحمة الأذن بإبرة من ذهب لم تلتحم وإن علق الذهب الإبريز على صبى لم يفزع ولم يصرع، مجرب. «ج» أجوده ما لم يدخل النار، ولم يخالطه غش، وهو معتدل لطيف، ينفع من أوجاع القلب والخفقان ويقويه، وقدر ما يؤخذ منه قيراط. وذكر من منافعه ما تقدم ذكره. «ف» معتدل، وأجوده ما كان خالصا بلا غش، وهو حار لطيف، ينفع من الخفقان، ووجع القلب، وحديث النفس، ويضر بالمثانة وآلات البول، وينفع من حزن القلب والغموم، ومن الفزع... ، ومن شدة السوداء والسكتة، وخاصة النفع من وجع القلب، ويسمن البدن ويقويه، ويذهب الصفار، وينفع من الجذام إذا استعمل مسحوقا، وفى الضمادات، وينفع من عرق النسا والفالج والنقرس، إذا شرب فى الأخلاط البسفايج والكماذريوس. وينفع من جميع الأوجاع السوداوية، ويقوى الأعضاء جدا. «ز» وبدله فى علل القلب: اللؤلؤ، وقيل بدله: درهم فضة وثلاث حبات كبريت مسحوقين.

(المعتمد ١ / ١٧٩).

كما أدرجه الأنطاكى فى تذكرته وقال عنه: الذهب رئيس المعادن المطبوعة كلها تطلبه فى تكوينها فتقصر بها الآفات والعوارض وهو لا يطلب غير رتبته. و تكونه من هيولانية الزئبق والكبريت الخالصين على نحو ثلث من الأول وثلثين من الثانى ومؤلفهما قوة صابغة وفاعلها الحرارة وباقى العلل معلومة ويبتدأ تكونه بشرف الشمس مقابلة للمريخ مسعودة ببرمهات أعنى مارس ويتم بفبراير وأجوده الكائن بقبرص ثم جبال الحبشة وأطراف الهند وأوسطه المصرى وأردؤه الأنطاكى واختلافه بحسب غلبة الزئبق وقد ينزل جيده بمزج الفضة منزلة

أنواعه الأصلية وقد ترفع أنواعه الخسيسة بالعلاج إلى رفعها إذا أتقن جلاؤها. وأجودها ما يرفعه الزاج والبارود متساويين والشب والملح على نحو النصف إذا أحكم ذلك بنحو الدفلي والآس وهو أصبر المنطرقات على سائر الآفات ويبقى إلى آخر الدهر من غير تطرق تغير وقيل الندى يفسد لونه وإن نخالة القمح تحفظه وهو معتدل مطلقا وقيل حار رطب فى الأولى بـاطنه كظاهره يقطع الخفقان والغثيان ومبادى الاستسقاء والطحال واليرقان وضعف الكلى وحصى المثانة والحرقة وأنواع البواسير والوسواس والجنون والجذام وأمراض اليابسين شربا، والصداع والهموم مطلقا، ويجلو البياض والسبل وغلظ الجفن والغشاء والكمتة كحلا ويفرح مطلقا ويمنع التابعة وأم الصبيان والداحس ووجع المفاصل تختما، ووجع الأكلة ووجع الأسنان إذا نبشت به والبخر مسكا فى الفم وإذا مرت مراوده فى العين قوت البصر ومنع أوجاع العين والرمد وإذا مسحت به الآذان قوى السمع وأخرج ما فيها من الرطوبات والذهب الموروث إذا كبس به الغرب وبواسير الماق أزالها. مجرب . وإذا حلت سحالة الذهب واللؤلؤ بماء الأترج وشربت قطع الجذام مجرب وكذا الزحير والدوسنطاريا وطلاؤه يزيل داء الحية والثعلب والبرص والبهق ونحوه من الآثار وكل ذلك عن تجربة ...

ومتى حل بالنوشادر فقط وشرب أخرج السم مجرب وإن طلى حلل الأورام أو قطر فى العين أزال كل علة وقالوا لا ضرر فيه وقيل يضر المثانة ويصلحه العسل وشربته إلى قيراط ونصف. ومن خواصه: أن الحبة منه تغوص فى الزئبق وليس غيره من المعادن كذلك ويليه الزئبق فى الثقل فالرصاص ومعياره خمسون وأصله بلا تحليل وتركيبه من صورتين ومزجه بكمال النسبة وبدله الياقوت المحلول (التذكرة ١ / ١٦٣، ١٦٤).

وقد ذكره الإمام ابن قيم الجوزية وقال عنه:

روى أبو داود، والترمذى: «أن النبى ﷺ رخص لعرفجة ابن أسعد لما قطع أنفه يوم الكلاب، واتخذ أنفا من ورق، فأنتن عليه، فأمره النبى ﷺ أن يتخذ أنفا من ذهب» وليس لعرفجة عندهم غير هذا الحديث الواحد.

(أخرجه أبو داود (٤٢٣٢) و (٤٢٣٣) و (٤٢٣٤) والترمذى (١٧٧٠) والنسائى (٨ / ١٦٣ و ١٦٤) وأحمد (٥ / ٢٣) وصححه ابن حبان (١٤٦٦).

الذهب: زينة الدنيا، وطلسم الوجود، ومفرح النفوس، ومقوى الظهور، وسر الله فى أرضه، ومزاجه فى سائر الكيفيات، وفيه حرارة لطيفة تدخل فى سائر المعجونات اللطيفة والمفرحات، وهو أعدل المعادن على الإطلاق وأشرفها.

ومن خواصه أنه إذا دفن فى الأرض، لم يضره التراب، ولم ينقصه شيئا، وبُرادته إذا خلطت بالأدوية، نفعت من ضعف القلب، والرجفان العارض من السوداء، وينفع من حديث النفس، والحزن، والغم، والفزع، والعشق، ويسمن البدن، ويقويه، ويذهب الصفار، ويحسن اللون، وينفع من الجذام، وجميع الأوجاع والأمراض السوداوية، ويدخل بخاصية فى أدوية داء الثعلب، وداء الحية شربا وطلاء، ويجلو العين ويقويها، وينفع من كثير من أمراضها، ويقوى جميع الأعضاء.

وإمساكه فى الفم يزيل البخر، ومن كان به مرض يحتاج إلى الكى، وكوى به، لم يتنفط موضعه، ويبرأ سريعا، وإن اتخذ منه ميلا واكتحل به، قوى العين وجلاها، وإذا اتخذ منه خاتم فصه منه وأحمى، وكوى به قوادم أجنحة الحمام، ألفت أبراجها، ولم تنتقل عنها.

وله خاصية عجيبة فى تقوية النفوس، لأجلها أبيح فى الحرب والسلاح منه ما أبيح، وقد روى الترمذى من حديث مزيدة العصرى رضى الله عنه، قال: دخل رسول الله ﷺ يوم الفتح، وعلى سيفه ذهب وفضة.

(أخرجه الترمذى فى الشمائل (١٦٩٠) و (١٠١) وفى سنده هود بن عبد الله بن سعد، ولم يوثقه غير ابن حبان، وباقى رجاله ثقات).

وهو معشوق النفوس التى متى ظفرت به، سلاها عن غيره من محبوبات الدنيا. قال تعالى: ﴿زُين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب

والفضة والخيل المسوَّمة والأنعام والحرث﴾ [آل عمران: ١٤].

(تأمل أروع خاتمة للآية الشريفة فى نهايتها بعد أن ذكر هذه الأشياء ... ﴿ذلك متاع الحياة الدنيا﴾ وقد أورد (متاع) نكرة ليقلل من قيمتها على كل حال. فتأمل).

وفى «الصحيحين»: عن النبى ﷺ: «لو كان لابن آدم واد من ذهب لابتغى إليه ثانيا، ولو كان له ثان، لابتغى إليه ثالثا، ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب، ويتوب الله [على] من تاب». (أخرجه البخارى (١١ / ٢١٦، ٢١٨) ومسلم (١٠٤٨ و١٠٤٩) من حديث أنس بن مالك وعبد الله بن عباس رضى الله عنهما).

هذا وإنه أعظم حائل بين الخليقة وبين فوزها الأكبر يوم معادها، وأعظم شىء عُصِى الله به، وبه قطعت الأرحام، وأريقت الدماء، واستحلت المحارم، ومنعت الحقوق، وتظالم العباد، وهو المرغب فى الدنيا وعاجلها، والمزهد فى الآخرة وما أعده الله لأوليائه فيها، فكم أميت به من حق، وأحيى به من باطل، ونصر به ظالم، وقهر به مظلوم، وما أحسن ما قال فيه الحريرى (الأبيات من المقامة الدينارية الثالثة للحريرى ص ٢٩، ٣٠. راجع ابن خلكان ٤ / ٦٣، ٦٨).

تبًّا له من خادع مُماذق
أصفر ذى وجهين كالمنافق
يبدو بوصفين لعَيْن الرامق
زينة معشوق ولون عاشق
وحُبُّه عند ذوى الحقائق
يدعو إلى ارتكاب سخط الخالق
لولاه لم تقطع يمين السارق
ولا بدت مظلمة من فاسق
ولا اشمأز باخل من طارق
ولا اشتكى الممطول مطل العائق
ولا استُعيذ من حسود راشق
وشرُّ ما فيه من الخلائق
أن ليس يُغنى عنك فى المضايق
إلا إذا فرَّ فرار الآبق

(زاد المعاد ٣/ ١٦٤، ١٦٥، ومعجم التداوى بالأعشاب / ٤٠ ـ ٤٢، والطب النبوى / ٢٣٨ ـ ٢٤٠).

وقد أفرد الحافظ فى كتابه «التبصر بالتجارة» بابا فى «معرفة الذهب والفضة وامتحانهما» جاء فيه ما يلى: قال الحكيم (يقصد نفسه): يستحب من الذهب سبيكه، وغير سبيكه، وأن يكون كنار خامدة وشعاع مركوم وكبريت قانىء، وإنما دامت دولته لأنه لا يدحضه خبث الكير، ولا يفسده مر الدهور، وقيل إنما صار الذهب ثمينا لقلة تغيره وازدياد نضارته وحسنه إذا عتق، ولأن الأشياء تنقص عند المس والدفن ما خلا الذهب فإنه لا ينقص ألبتة.

وخير الدنانير العتق الحمر إلى الخضرة، وزعم بعض الأوائل أنما يمتحن الدينار بلصوقه الشعر واللحية وصعوبة استمراره فيهما، والنبهرج من الدنانير يعتبر بخفته وثقله (النبهرج ـ معرب نبهره الفارسية ـ هو الدينار أو الدرهم المموه، الزيف الردى (راجع كتاب شفاء الغليل للخفاجى وغيره) وفى كتاب البخلاء للجاحظ (ص ٦٩): دينار بهرج، وهو صحيح أيضا).

وزعموا أن خير الذهب العقيان وخير الفضة اللجين (التبصر بالتجارة/ ١٦، ١٧).

ويفرد أبو منصور الثعالبى فى «اللطائف والظرائف» بابا فى مدح الذهب، وآخر فى ذمه، فقال فى باب مدح الذهب:

قال شداد الحارثى: الذهب أبقى الجواهر على الدفن، وأصبرها على الماء، وأقلها نقصانا على النار، وهو أوزن من كل شىء إذا كان فى مقدار شخصه، وجميع جواهر الأرض إذا وضع على الزئبق فى إنائه طفا، ولو كان ذا وزن ثقيل وحجم عظيم، ولو وضعت عليه قيراطا من الذهب لرسب حتى يضرب قعر الإناء، ولا يجوز ولا يصلح أن تشد الأسنان المنتزعة بغيره، ولا يوضع فى مكان الأنوف المصطلمة سواه، وميلة أجود الأميال وأهل الهند تهزه فى العين بلا كحل ولا ذرور لصلاح طبعه وموافقة جوهره لجوهر الناظرين، وله حسن وبهاء فى العيون، وحلاوة فى الصدر، ومنه الزريابات

والصفائح التى تكون فى سقوف الملوك، وعليه مدار التبايع منذ الزمان الأول والدهر الأطول، وهو ثمن لكل شيء وهو فوق الفضة مع حسنها وكرمها بأضعاف، وأضعاف أضعاف، والأرض التى تنبته ويسلم عليها تحيل الفضة إلى جوهرها فى السنين اليسيرة والمدة القصيرة وتقلب الحديد إلى طبعها فى الأيام القليلة والأوقات الضئيلة، والطبيخ يكون فى قدره أغذى وأمرأ وأصح فى الجوف وأطيب.

وسئل أمير المؤمنين، على رضى الله تعالى عنه، عن الكبريت الأحمر فقال: هو الذهب.

وقال النبى ﷺ «لو أن لى طلاع الأرض ذهبا لافتديت به من هول المطلع» (لسان العرب ٨ / ٢٣٥، حديث عمر رحمه الله عند موته)، فأجراه فى ضرب المثل به كل مجرى وقال الله تعالى حكاية عن شأن الكفار: ﴿**الذين كفروا وماتوا وهم كفار فلن يقبل من أحدهم ملء الأرض ذهبا ولو افتدى به**﴾[آل عمران: ٩١]: فدل على عزته وعظم قدره.

وقال أبو زيد البلخى: معلوم أنه ليس من الجواهر الموجودة فى العالم أطول بقاء من الذهب لما يرى من انقضاء الزمان بدون فساد يعرض عليه، حتى أن العامة لتحكم بأنه جوهر لا فساد فيه ألبتة، وإنما خص بهذا البقاء الطويل وإبطاء آفات التغير بسبب اعتدال مزاجه فى الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة، فإن كل ما خرج من الأشياء المركبة عن الاعتدال إلى إفراط كيفية من الكيفيات الأربع أسرع إليه الفساد لغلبة تلك الكيفية، ولذلك الفساد الذى هو ضد الكون سببه الخروج عن الاعتدال، ولصحة مزاجه لم يوجد فيه صدأ كغيره من الجواهر، والسهولة التى فيه لم توجد فى غيره، إذ كل ما عداه يكسب الأطعمة والأشربة المجعولة فيه نوعا من فساد الطعم والرائحة، وكل ما أكل وشرب فيه وجد سليما من هذا العارض. ولذلك اختار الملوك العظماء الأكل والشرب فيه ووعد الله عباده به فى دار الثواب، فقال سبحانه: ﴿**يطاف عليهم بصحاف من ذهب**﴾ [الزخرف: ١،] كما قال فى باب الحلية والزينة: ﴿**جنات عدن يدخلونها يُحلَّون فيها من أساور من ذهب**﴾[فاطر: ٣٣] وذلك لما كانت العادة به من متنعمى الملوك فى هذه الدنيا بأن يحلوا أعضاءهم الشريفة بالذهب، وكذلك شأنهم إذ بالغوا فى إكرام من يقفون منه على بلاء عظيم فى الحرب والدفاع عن حوزة الملك، ولجلالة قدره ما حكى الله عز اسمه فى قصة موسى عن فرعون: ﴿**فلولا ألقى عليه أسورة من ذهب**﴾ [الزخرف: ٥٣]

ومن أحسن ما قيل فى وصف الذهب قوله قدامة حكيم المشرق: الذهب نسيم مركوم وشعاع معقود؛ فأتى بعلة عجيبة حيث ذكر أنه شعاع الشمس وقد انعقد فصار جمادا.

وفى المبهج: الذهب خير مال حاضر، لباد أو حاضر، وقال أيضا: من ملك الصفر والبيض ابيض وجهه واخضر عيشه واسود وجه عدوه (اللطائف والظرائف / ١٩٧ ـ ١٩٩).

ثم يقول الثعالبى فى باب ذم الذهب:

قال سهل بن هرون: الذهب اسم يتطير منه ولا يتفاءل به، ومن لؤمه إسراعه إلى بيوت اللئام وإبطاؤه عن بيوت الكرام.

المتنبى فى معناه:

شبيه الشيء منجذب إليه
وأشبهنا بدنيانا الطغام
وما أنا منهم بالعيش راض
ولكن معدن الذهب الرُّغام

والذهب فتان لمن أصابه.

ويقال: الذهب من مصائد إبليس: ولذلك قالوا: أهلك الرجال الأحمران.

وقلت فى المبهج: ما أسرع ذهاب الذهب وانفضاض الفضة.

(اللطائف والظرائف / ١٩٩ ـ ٢٠٠)

(الرسالة الرشادية فيما يجوز تذكيره وتأنيثه معًا فى العربية ـ محمد رشاد عبد الظاهر خليفة / ٢٨، ٢٩، ومعدن النوادر فى معرفة الجواهر لعلاء ابن الحسين بن على البيهقى ـ دراسة وتحقيق د. محمد عيسى صالحية / ٤٣ ـ ٤٦)، والمعتمد فى الأدوية المفردة للمظفر الرسولى ـ صححه وفهرسه مصطفى السقا ١ / ١٧٩، وتذكرة أولى الألباب لداود بن عمر الأنطاكى ١ / ١٦٣، ١٦٤، وزاد المعاد فى هدى خير العباد للإمام ابن قيم الجوزية ٣ / ١٦٤، ١٦٥، وهو نفسه فى معجم التداوى بالأعشاب والنباتات الطبية للإمام الحافظ شمس الدين الذهبى / ٤٠ ـ

٤٢ والطب النبوى لابن قيم الجوزية ـ كتب المقدمة وراجع الأصول وأشرف على التعليقات عبد الغنى عبد الخالق. وضع التعاليق الطبية د. عادل الأزهرى، وخرج الأحاديث محمود فرج العقدة / ٢٣٨ ـ ٢٤٠، والتبصر بالتجارة لعمرو بن بحر الجاحظ ـ تحقيق المغفور له حسن حسنى عبد الوهاب ، دار الكتاب الجديد. بيروت: الطبعة الثانية ١٤٠٣ هـ ـ ١٩٨٣ م/ ١٦، ١٧، واللطائف والظرائف لأبى منصور الثعالبى / ١٩٧ ـ ٢٠٠).

*** الذهب الإبريز شرح المعجم الوجيز من أحاديث الرسول العزيز:**

للسيد محمد بن خليل الطرابلسى المعروف بالقاوقجى صاحب الاعتماد فى الاعتقاد (هدية العارفين للبغدادى ١ / ٥٤٤).

*** الذهب الإبريز فى خواص كتاب الله العزيز:**

قال عنه حاجى خليفة :

الذهب الإبريز فى خواص كتاب الله العزيز: للشيخ الإمام أبى حامد محمد بن محمد الغزالى مختصر أوله : الحمد لله الموصوف بصفات الكمال جمع فيه خواص أسرار آى القرآن التى جربها العلماء (كشف ١ / ٨٢٨).

من مخطوطات علوم القرآن فى دار الكتب الظاهرية بدمشق (أو بمكتبة الأسد) ، وجاء بيانه كما يلى :

الرقم ٨٠٦٣

المؤلف : أبو حامد زين الدين محمد بن محمد الغزالى الطوسى المتوفى سنة ٥٠٥ هـ.

أوله : قال الشيخ الفقيه الإمام العالم العلامة حجة الإسلام سيد المصنفين زين الدين أبو حامد محمد بن محمد الغزالى الطوسى رضى الله عنه وأرضاه وجعل الجنة محله ومأواه ... الحمد لله الموصوف بصفات الكمال ذى الجلال والجمال خالق الإنسان من الطين اللازب والصلصال ... أما بعد فقد اقترح على بعض طلبة العلم الشريف أن أرسى لهم خواص أسرار آى القرآن الكريم التى جربها العلماء ...

آخره : قال أبو دجانة فلقد طالت على ليلتى مما سمعت من أنين الجن وصراخهم حتى أصبحت فصليت الصبح مع رسول الله ﷺ وأخبرته بما سمعت من الجن ليلتى فقال : يا أبا دجانة ارفع عن القوم فوالذى بعثك بالحق نبيا إنهم ليجدون ألم العذاب إلى يوم القيامة رواه صاحب الفرج بعد الحرج .

أوصاف المخطوط : نسخة من القرن الثانى عشر الهجرى كتبت بخط نسخى جيد العناوين مكتوبة بالأحمر. على الهوامش بعض الزيادات والتصويبات كتبت على نوعين من الورق أبيض وأحمر، أصيبت بالرطوبة الشديدة فانحل الحبر فى بعض المواضع وتلفت بعض الأوراق وقد رممت قديما فى أولها قيد وقف نقيب السادة الأشراف محمد سعيد آل حمزة على المكتبة الظاهرية . فى آخرها مجموعة من الأدعية المختلفة .

ق	م	س
٢٩ (١ ـ ٢٩)	١٩ × ١٢	١٥

(فهرس الظاهرية ٢ / ١٣٦، ١٣٧).

(كشف الظنون لحاجى خليفة ١ / ٨٢٠، وفهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية . علوم القرآن الكريم ـ وضعه صلاح محمد الخيمى ٢ / ١٣٦، ١٣٧).

*** الذهب الإبريز فى غرائب القرآن العزيز:**

للشيخ عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الجزائرى المعروف بالثعالبى صاحب التقاط الدرر.

(هدية العارفين للبغدادى ١ / ٥٤٤).

*** الذهب الإبريز المحمّر فى اقتفاء علم الرمل والأثر:**

الذهب الإبريز المحمر فى اقتفاء علم الرمل والأثر: للشيخ أحمد بن على بن أحمد المحلى الشهير بابن زينل الرمال أوله : الحمد لله رب العالمين ... إلخ.

(كشف الظنون ١ / ٨٢٨).

*** الذهب الإبريز من كلام سيدى عبد العزيز:**

تأليف أحمد بن مبارك السجلماسى اللمطى الفاسى المالكى المتوفى سنة ١١٥٦ ست وخمسين ومائة وألف.

(هدية العارفين ١ / ٥٤٤).

*** الذهب (كتاب .):**

مخطوط فى معهد المخطوطات العربية بالقاهرة وجاء بيانه كما يلى :

كتاب الذهب وهو الكتاب الرابع من كتاب البرهان فى أسرار علم الميزان.

لعز الدين على بن أيدمر الجلدكى المتوفى بعد سنة ٧٤٣

أوله بعد البسملة : هذا هو الكتاب الرابع من كتبنا السبعة المسمى بكتاب الذهب من المقالة الرابعة من الجزء الرابع من كتاب البرهان فى أسرار علم الميزان، اعلم أن الذهب سيد الأجساد وملكها، بل هو سيد المعادن كلها وهو عند الحكماء ابن الشمس لنسبتها الخاصة به ... إلخ.

وآخره: وما انحدر فى الإناء يجفف ويطلى منه الذهب النازل واحمه واطفه أو الحقه به واسبكه واعمل به ترشد والسلام.

ـ نسخة بقلم نسخ فارسى[مكتوبة سنة ١٠٨٨] ومسطرتها ٢٥ سطرا.

(ضمن مجموعة من ورقة ٢٢٩ ـ ٢٣٠) ١٢ × ١٩ سم.

[دار الكتب المصرية ـ ٧٣١ طبيعيات]

(فهرس المخطوطات المصورة، معهد المخطوطات العربية جـ٣ العلوم ق ٤ الكيمياء والطبيعيات ـ وضع فؤاد سيد. القاهرة ١٩٦٣/ ١٢١، ١٢٢).

*** الذهب المذاب فى مذاهب النحاة:**

ليوسف الإلياسى الكورانى الكردى.

(هدية العارفين للبغدادى ١ / ٥٤٤).

*** الذهب المسبوك فى ذكر من حج من الملوك:**

الذهب المسبوك فى ذكر من حج من الملوك : للشيخ تقى الدين أحمد بن على المقريزى المتوفى سنة ٨٤٥ خمس وأربعين وثمانمائة ذكر فيه ستة وعشرين نفرا أولهم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ثم الخلفاء الراشدون ثم من حج من الملوك إلى زمنه فى خمسة أجزاء وأتمه فى ذى القعدة سنة ٨٤١ إحدى وأربعين وثمانمائة.

(كشف الظنون لحاجى خليفة ١ / ٨٢٨).

*** الذهب المسبوك فى سير الملوك:**

الذهب المسبوك فى سير الملوك: لابن الجوزى أبى الفرج ذكره فى الخريدة.

(كشف الظنون ١ / ٨٢٩).

*** الذهب المسبوك فى وعظ الملوك:**

لأبى عبد الله محمد بن فتوح بن عبد الله الحميدى.

(هدية العارفين ١ / ٥٤٤).

*** الذهب المنقوش فى محاسن الحبوش:**

من مخطوطات التاريخ والتراجم والسير فى مكتبة المتحف العراقى وجاء بيانه كما يلى :

الرقم ٣٤٢٩٩

لأبى المعالى علاء الدين محمد بن عبد الباقى البخارى المكى الذى كان حيا سنة ٩٩١ هـ/ ١٥٨٣ م.

الأول (الحمد لله الذى خلق الإنسان من صلصال كالفخار وفضّل بعضهم على بعض وجعل ...).

انتخب المؤلف كتابه من رسالتين لجلال الدين السيوطى المتوفى سنة ٩١١ هـ/ ١٥٠٥ م المسماة إحداهما برفع شأن الحبشان والأخرى بأزهار العروش فى أخبار الحبوش واستزاد من رسالته المسماة بالدرارى فى أبناء السرارى ورتبه على مقدمة وأربعة أبواب هى :

المقدمة فيما ورد فى القرآن الكريم والحديث النبوى الشريف عن الحبوش وجعلها فى فصلين.

الباب الأول: فى أصل الحبوش وجعله على أربعة فصول.

الباب الثانى: فى فضل النجاشى وجعله على أربعة فصول.

الباب الثالث: فى ذكر عبيد النبى ﷺ وخدمه والصحابيات وذكر أبناء الحبشيات من قريش وجعله فى خمسة فصول.

الباب الرابع: فى ذكر أهل الأدب منهم وفيه أربعة فصول.

الخاتمة: ما قيل فى سبب لغوطهم وشروطهم وما جاء من التنبهات والأبيات.

القياس ١٤٢ ص ١٩ × ١١,٥ سم ١٧س

معجم المؤلفين ١٠ / ١٢٣ ذ/ كشف ١ / ١١٠٩

ذكر الكتاب فى كشف الظنون بالطراز المنقوش فى محاسن الحبوش كما ذكر كذلك بهذا العنوان فى معجم

المؤلفين وقال صاحب المعجم بأن هـذا الكتاب يلقب بنزهة الناظر وسلوة الخاطر.

نسخة أخرى.

نسخة جيـدة ترقـى للقرن الحادى عشـر الهجرى السـابع عشر الميلادى ناقصة.

الرقم ١٥٠٧٥ / ٢

القياس ٧٨ ص   ١٩ × ١٢,٥ سم   ١٧س

(مخطوطـات التاريخ والتراجم والسيـر في المتحف العراقي ـ أسـامة ناصر النقشبندي وظمياء محمد عباس / ١٩٦ ، ١٩٧).

*** الذهب اليوسفي والمورد العذب الصفي:**

الـذهب اليوسفى والمـورد العـذب الصفى ، ديوان شعـر ليوسف المغربى ابن الحربى المصرى ذكره الشهاب.

(كشف الظنون ١ / ٨٢٩).

*** ذهـاب الكسـوف ونفى الظلمـاء فى علم الطب والطبـائع والحكمة:**

مخطوط مصـور فى معهد المخطوطـات العربية بالقـاهرة وجاء بيانه كما يلى:

لأبى محمد عبد الله بن عزوز المراكشى السوسى المعروف بسيدى بلّه. فرغ من تأليفه سنة ١١٩٤ هـ.

(فهرس مخطوطات الخزانة العامة بالرباط ٢ / ٣٥٧ ، ٣٥٨).

أولـه: الحمـد لله الـذى أفـاض على قلـوب عبـاده المحبوبين ... وبعد فقد اختلج صدرى لما نحن بسبيل كشفه من معانى الطب والطبـائع والحكمة ، فتمنيت أن أصنف هذا الكتاب فى ذلك.

وآخـره: حب الرشـاد: يذهـب القوبـة والثألول والحكـة والبهق الأسود. وهنا قد انتهى هذا الكتاب المبارك.

نسخة خزائنية ، بقلم مغربى سنة ١٣١١ هـ.

٣٥٥ صفحة   ١٩ سطرا

[الرباط ـ المغرب ١٧٣ د]

UNESCO

ـ نسخة أخرى.

بخط مغربى ، سنة ١٢٧٨ هـ ، وبها بتر فى الورقة ٤١.

٤٢ ورقة   ٢٧ سطرا.

[الرباط ـ المغرب ١١٣٣ د]

UNESCO

(فهرس المخطـوطات المصورة ، معهد المخطـوطات العربيـة جـ ٣ العلوم ق ٢ الطب الكتاب الثانى. القـاهرة ١٣٩٨ هـ ـ ١٩٧٨ م / ٩٧ ، ٩٨).

*** الذهبى (أحمد بن عتيق) (٥٥٤-٦٠١ هـ / ١١٥٩-١٢٠٥م):**

ذكره الشمس الذهبى فى وفيات سنة ٦٠١ هـ وقال عنه:

أحمد بن عتيـق بن الحسن بن زياد بن جـرْج (فى الأعلا «فرج») ، أبو جعفر البلنسى الذهبى ، ويكنى أيضا أبا العباس (تاريخ الإسلام ١٨ / ٥١) ، المعروف بالذهبى. فاضل أندلسى من أهل بلنسية. أصله من المرية. وتوفى بتلمسان فى طريقه إلى إفريقية بجيش المغرب (الأعلام ١ / ١٦٧).

قـال الأبـار: أخذ القـراءات عن أبى عبـد الله بن حميـد والعـربيـة والآداب عن أبى محمـد عبـدون. وسمع من أبى الحسن بن النعمة ، وغيـره. ومهر فى علم النظر. وكـان أحد الأذكياء؛ له غوص على الدقائق. صنف كتاب «الإعلام بفوائد مسلم» وكتاب «حسن العبـارة فى فضل الخلافة والإمـارة» و«فتاو» بديعة. واتصل بالسلطان ، وأقرأ الناس العربية. وتوفى فى شوال وله سبع وأربعون سنة.

قـال الشمس الـذهبى: وكـان من علمـاء الطب ومات بتلمسان.

وذكـره تاج الـدين بن حمـويه (انظـر ترجمتـه فى م ١٤ ٦٠٩) فقـال: أبـو جعفـر أحمـد بن القـاسم بن محمـد بن سعيـد ، كـذا سمـاه. فقيـه متقن. كـان مقدَّمـا على فقهـاء الحضـرة؛ لأنهم فى تلك البـلاد يميـزون فقهـاء الجنـد فهم رؤسـاء ونقبـاء يراجعـونهم فى مصـالحهم؛ وإليهم القسمة والتفرقة عليهم فيما يصل إليهم من وظائفهم؛ ولكل قوم منهم موضع مقرر للجلوس بدار السلطان ولأكثرهم أرزاق مقررة على بيت المـال؛ إذا لا مـدارس هنـاك ولا أوقـاف إلا أوقـاف المساجد. وكان هذا الفقيه حسن السيرة مع أصحابه مشتغلا بمنافعهم ، كثيـر المعارف ، حسن الأخلاق ، جالستـه كثيرا وله مشاركة فى بعض الرياضى ويُقرىء الطب والحساب.

تـرجم لـه ابن الأبـار فى التكملـة ١ / ٥٩ ، وابن سعيد

الأندلسي في الغصون / ٣٦، والمغرب ٢ / ٣٢١ ، والصفدي في الوافي ٧ / ١٧٦ ، وابن فرحون في الديباج / ٥٢ ، والسيوطي في البغية ١ / ٣٤٤ وغيرهم .

(تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام لشمس الدين الذهبي ـ حققه وعلق عليه د. بشار عواد معروف ١٨ / ٥١ ، ٥٢ ، والأعلام للزركلي ١ / ١٦٧) .

*** الذهبي (شمس الدين) (٦٧٣ـ٧٤٨ هـ / ١٢٧٤ـ١٣٤٨ م):**

محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي، شمس الدين، أبو عبد الله، حافظ مؤرخ ، علامة، محقق، تركماني الأصل، من أهل ميافارقين . مولده ووفاته في دمشق (الأعلام ٥ / ٣٢٦) .

جاء في شذرات الذهب في وصفه :

أما أستاذنا أبو عبد الله فبحر لا نظير له، وكنز هو الملجأ إذا نزلت المعضلة، إمام الوجود حفظا، وذهب العصر معنى ولفظا. وشيخ الجرح والتعديل، ورجل الرجال في كل سبيل، كأنها جمعت الأمة في صعيد واحد فنظرها ثم أخذ يخبر عنها أخبار من حضرها، وهو الذي خرَّجَنا في هذه الصناعة، وأدخلنا في عداد الجماعة.



طرة المجلد الحادي والعشرين (أيا/يوليا ٢٠١٤)

ولد في دمشق سنة ثلاث وسبعين وستمائة، وطلب الحديث من يفاعته فسمع بدمشق من ابن عساكر والقواس ورحل إلى بعلبك، فسمع من عبد الخالق بن علوان، وزينب بنت عمر بن كندي وغيرهما.

رحل إلى مصر فسمع من شيخ الإسلام ابن دقيق العيد، والحافظين: أبي محمد الدمياطي، وأبي العباس بن الظاهري. ورحل إلى الإسكندرية فسمع من علمائها وإلى حلب فسمع من سنقر الزيني وغيره.

أقام بدمشق يرحل إليه من سائر البلاد، وتناديه السؤالات من كل ناد، وهو بين أكنافها كنف لأهلها وشرف تفتخر به، وتزهي به الدنيا وما فيها .

وكل تصانيفه شاهدة على تبحره ومهارته في العلوم النقلية، وقد عد ابن تغري بردي في المنهل الصافي خمسة وستين كتابا، في ذيل تذكرة الحفاظ: أن مصنفاته ومختصراته وتخريجاته تقارب المائة (الكبائر / ٣) .

وجاءت ترجمة الذهبي كما ذكرها الحافظ شمس الدين أبو المحاسن محمد بن علي بن الحسن الحسيني الدمشقي في ذيل تذكرة الحفاظ كما يلي: الشيخ الإمام العلامة شيخ المحدثين قدوة الحفاظ والقراء محدث الشام ومؤرخه ومفيده شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز ابن عبد الله التركماني الفارقي الأصل الدمشقي الشافعي المعروف بالذهبي ـ ولد سنة ثلاث وسبعين وستمائة بدمشق، وسمع الحديث في سنة اثنتين وتسعين وهلم جرا، وسمع بدمشق من أبي حفص عمر بن القواس وأبي الفضل بن عساكر وخلق، وبمصر الأبرقوهي، وبالقاهرة الدمياطي، وبالثغر الغرافي، وببعلبك التاج عبد الخالق، وبحلب سنقر الزيني، وبنابلس العماد بن بدران، وبمكة التوزري، وأجاز له خلق من أصحاب ابن طبرزد والكندي وحنبل وابن الحرستاني وغيرهم من شيوخه في معجمه الكبير، وهم أزيد من ألف ومئتي نفس بالسماع والإجازة، وخرَّج لجماعة من شيوخه وجرَّح وعدَّل، وفرع وصحح وعلل واستدرك، وأفاد وانتقى، واختصر كثيرا من تآليف المتقدمين والمتأخرين، وكتب علما كثيرا، وصنف الكتب المفيدة، فمن أطولها

«تاريخ الإسلام» ومن أحسنها «ميزان الاعتدال فى نقد الرجال» وفى كثير من تراجمه اختصار يحتاج إلى تحرير، ومصنفاته ومختصراته وتخريجاته تقارب المائة، وقد سار بجملة منها الركبان، فى أقطار البلدان، كان أحد الأذكياء المعدودين، والحفاظ المبرزين، ولى مشيخة الظاهرية قديما، ومشيخة النفيسية والفاضلية والتنكزية، وأم الملك الصالح.

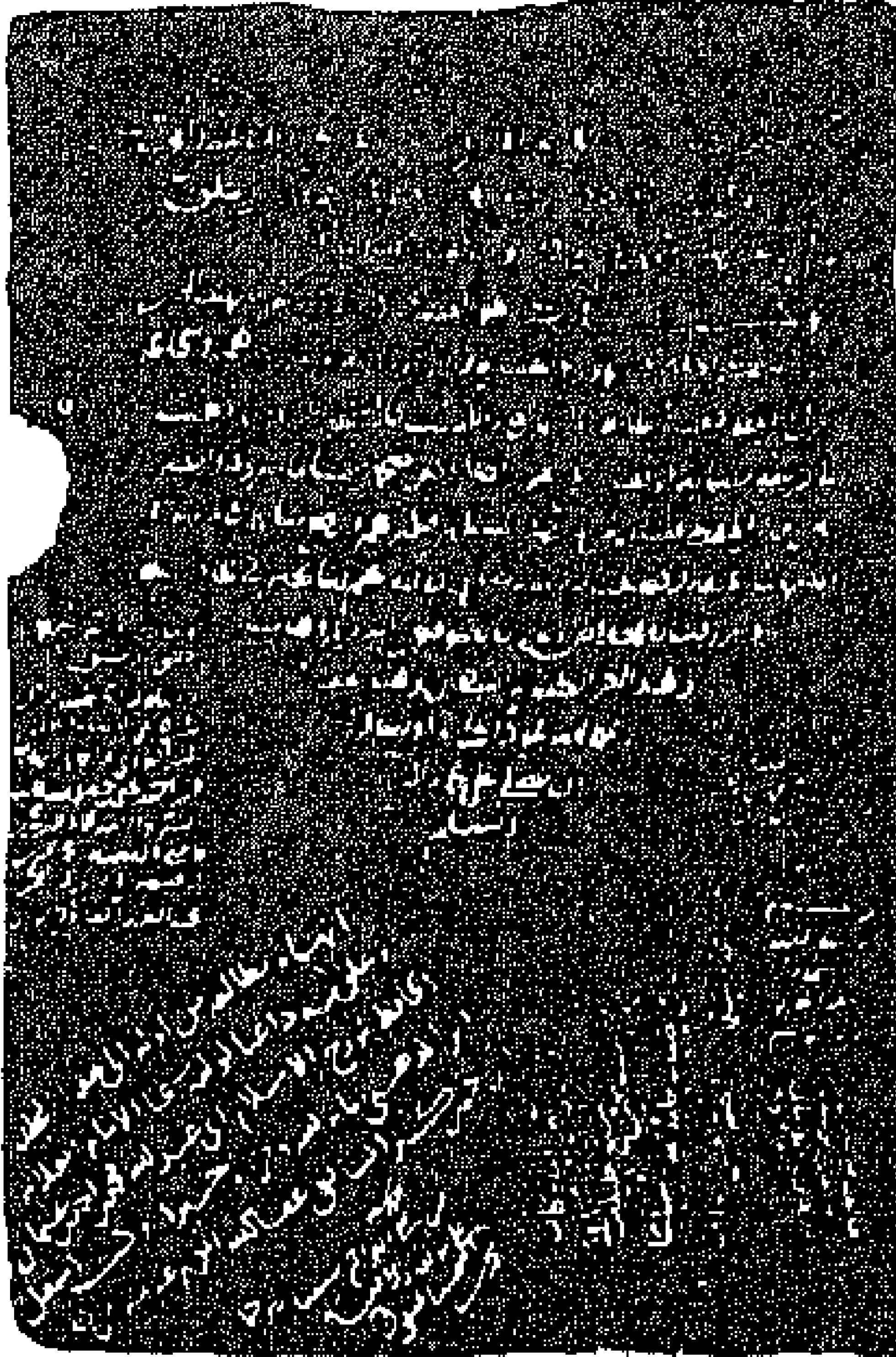
ولم يزل يكتب وينتقى ويصنف حتى أُضِرَّ فى سنة إحدى وأربعين، ومات ليلة الإثنين ثالث ذى القعدة سنة ثمان وأربعين وسبعمائة بدمشق، ودفن بمقبرة الباب الصغير رحمه الله تعالى، وكان قد جمع القراءات السبع على الشيخ أبى عبد الله بن جبريل المصرى نزيل دمشق، فقرأ عليه ختمة جامعة لمذاهب القراء السبعة بما اشتمل عليه كتاب التيسير لأبى عمرو الدانى، وكتاب حرز الأمانى لأبى القاسم الشاطبى، وحمل عنه الكتاب والسنة خلائق، والله تعالى يغفر له» انتهى ما قاله الحسينى بلفظه (مناقب الإمام أبى حنيفة / ٤، ٥).

وذكره الإمام ابن الجزرى، تحت عنوان «الحافظ أبو عبد الله الذهبى»: وقال عنه: محمد بن أحمد بن عثمان بن قيماز أبو عبد الله الذهبى الحافظ أستاذ ثقة كبير، ولد سنة ثلاث وسبعين ومائة، وعنى بالقراءات من صغره فقرأ على الفاضلى فمات قبل أن يكمل الجمع عليه فقرأ ختمة بالجمع على العلم طلحة الدمياطى، ورحل إلى بعلبك فقرأ جمعا على الموفق النصيبى، ورحل إلى الإسكندرية فقرأ على سحنون وعلى يحيى بن الصواف بعض القراءات وهما آخر من بقى من أصحاب الصفراوى، وقرأ كثيرا من كتب القراءات فى السبع والعشر، ولم أعلم أحدا قرأ عليه القراءات كاملا بل شيخنا الشهاب أحمد بن إبراهيم المنجى الطحان، قرأ عليه القرآن جميعه بقراءة أبى عمرو، والبقرة جمعا، وروى عنه الحروف إبراهيم بن أحمد الشامى، ومحمد بن أحمد بن اللبان وجماعة، وسمع منه الشاطبية يحيى بن أبى بكر البونى وحدث بها عنه فى اليمن، وكتب كثيرا وألف وجمع وأحسن فى تأليف طبقات القراء ... وكان قد ترك القراءات واشتغل بالحديث وأسماء رجاله فبلغت شيوخه فى الحديث وغيره ألفا (غاية النهاية ٢ / ٧١).

وفى مقدمة تحقيقه لكتاب الذهبى «تاريخ الإسلام» ترجم الدكتور بشار عواد معروف للذهبى، وكان قد كتب دراسة مفصلة عن «الذهبى ومنهجة فى كتابه تاريخ الإسلام» سنة ١٩٧٥ نلنا بها رتبة (الدكتوراه) من جامعة بغداد، وطبعت بمطبعة عيسى البابى الحلبى وشركاه بالقاهرة سنة ١٩٧٦ فى (٥٥٠) صفحة تقريبا فراجعها تجد فائدة - إن شاء الله.

وجاء فى مقدمة التحقيق هذه مايلى:

ولد مؤرخ الإسلام شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبى بدمشق فى شهر ربيع الآخر سنة ٦٧٣ هـ. وكان والده شهاب الدين أحمد يعمل بصنعة الذهب المدقوق فعرف بالذهبى. وعرف شمس الدين محمد بابن الذهبى، نسبة إلى صنعة أبيه، وكان هو يقيد اسمه دائما «ابن الذهبى». ويبدو أنه اتخذ صنعة أبيه مهنة له فى أول أمره لذلك عرف عند بعض معاصريه بـ «الذهبى» مثل الصلاح الصفدى والتاج السبكى والحسينى وابن كثير وغيرهم.

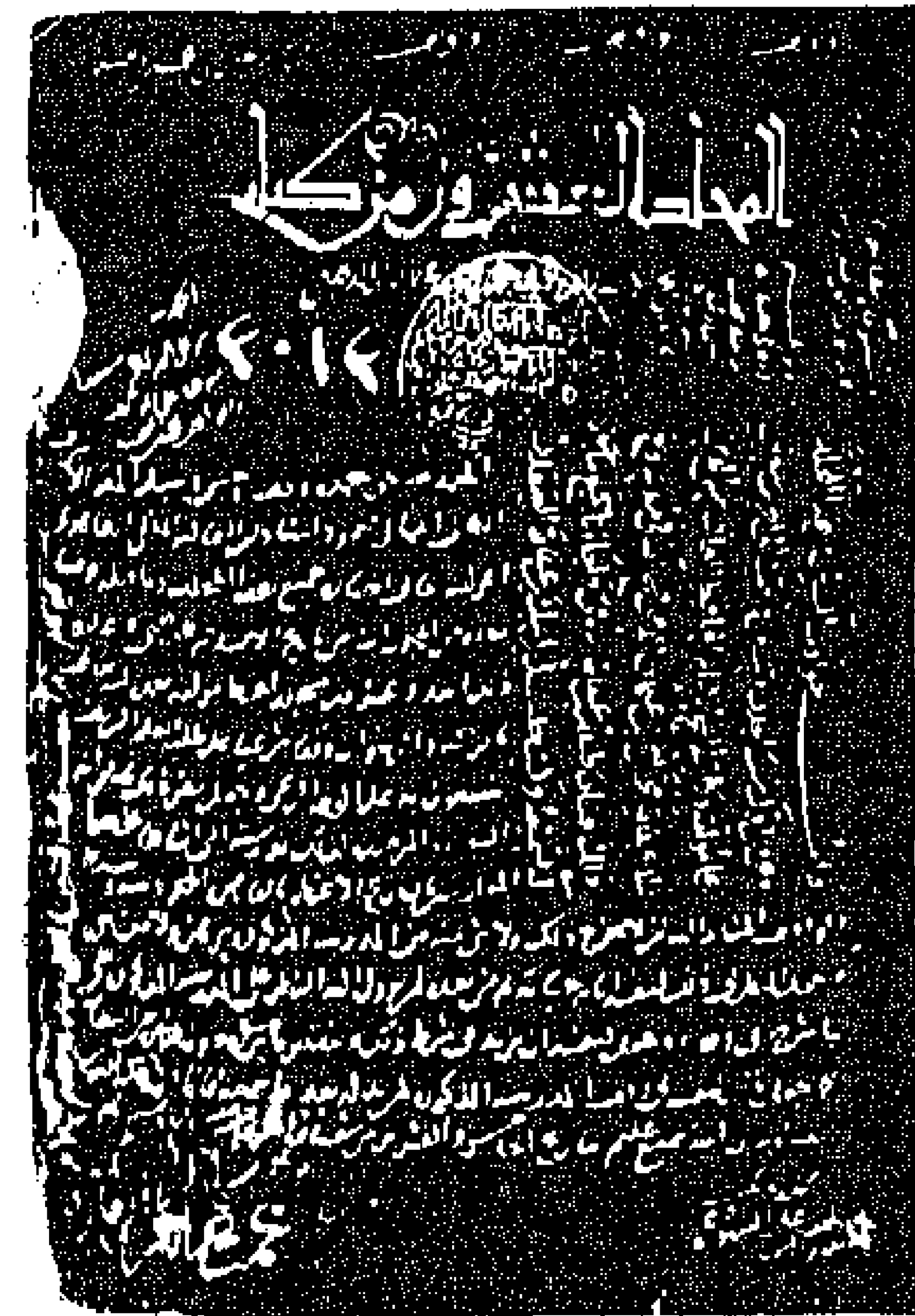


الورقة ٣١٩ من المجلد الحادى والعشرين، وهى آخر الطبقة السبعين، وآخر الوفيات فى الكتاب

وعاش الذهبى طفولته فى أكناف عائلة علمية متدينة عنيت به منذ سنة ولادته، لذلك وجدنا أخاه من الرضاعة علاء الدين أبا الحسن على بن إبراهيم بن داود العطار الشافعى «٦٥٤ ـ ٧٢٤ هـ» يستجيز للذهبى جملة من متعينى مشايخ عصره فى سنة مولده، فانتفع الذهبى بعد ذلك بهذه الإجازات انتفاعا شديدا. ثم أمضى أربعة أعوام عند أحد المؤدبين المعروفين، وتعلم ما يتعلمه الأطفال من قراءة وكتابة ومحفوظات.

وحينما بلغ الثامنة عشرة من عمره توجهت عنايته إلى طلب العلم بصورة جدية نحو حقلين رئيسيين هما: القراءات والحديث الشريف، فتميز الشاب فى دراسة القراءات وبرع فيها، وعنى بالحديث عناية فائقة وانطلق فيه حتى طغى على كل تفكيره واستغرق كل حياته بعد ذلك فسمع ما لا يحصى كثرة من الكتب والأجزاء، ولقى العديد من الشيوخ والشيخات، وأصيب بالشره فى سماعه وقراءاته، تدل على ذلك معاجيم شيوخه ولا سيما معجم شيوخه الكبير الذى ذكر فيه قرابة (١٢٧٨) شيخا وشيخة.

ورحل فى طلب العلم داخل البلاد الشامية منذ سنة ٦٩٣هـ، فسمع ببعلبك، وحلب، وحمص، وحماة، وطرابلس، والكرك، والمعرة، وبصرى، ونابلس، والرملة، والقدس، وتبوك. ورحل إلى البلاد المصرية سنة ٦٩٥ هـ فوصلها فى رجب وعاد منها فى ذى القعدة من السنة. وتوجه إلى حج بيت الله الحرام فى سنة ٦٩٨ هـ وسمع هناك من مجموعة من الشيوخ.



طرة المجلد العشرين (أيا صوفيا ٣٠١٣)

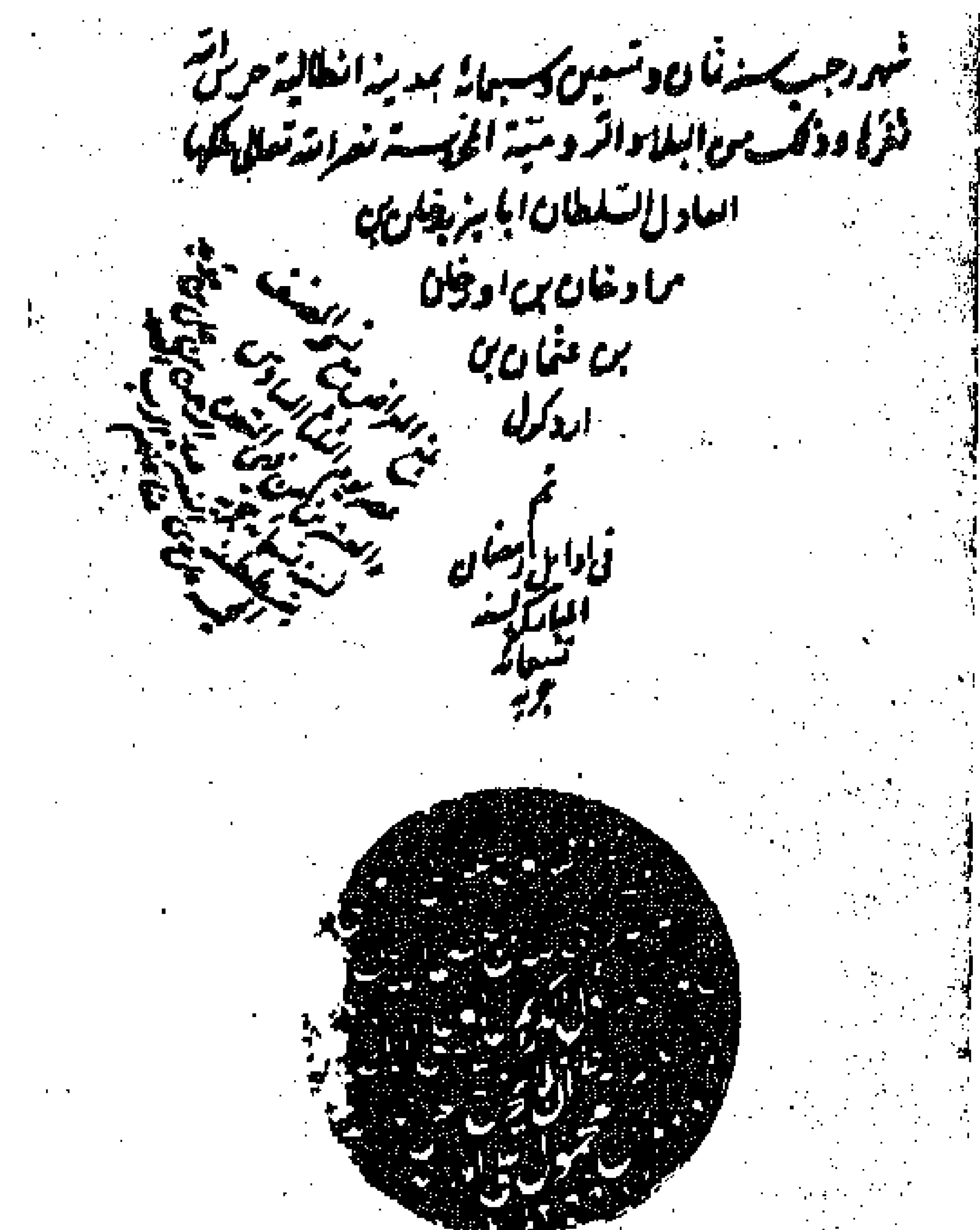
ولم تقتصر دراسات الذهبى على القراءات والحديث فحسب، بل تنوعت؛ فقد عنى بالنحو ودراسته، وسمع عددا من كتب اللغة والأدب والمجاميع الشعرية، واهتم بالكتب التاريخية فسمع عددًا كبيرا منها على شيوخه: فى المغازى، والسيرة، والتاريخ العام، وكتب الرجال والتراجم المنوعة، وغيرها.

وكانت للذهبى صلات حميمة بثلاثة من شيوخ ذلك العصر هم: تقى الدين ابن تيمية «٦٦١ ـ ٧٢٨ هـ» وجمال الدين المزى «٦٥٤ ـ ٧٤٢ هـ»، وعلم الدين البرزالى «٦٦٥ ـ ٧٣٩ هـ» وترافق معهم طيلة حياتهم، فأثر ذلك فى تكوينه الفكرى المتمثل بميله إلى آراء الحنابلة ودفاعه عن مذهبهم فى العقائد، مع أنه كان شافعيا، وارتباطه الشديد بالحديث والمحدثين، ونظرته إلى العلوم والعلماء وفلسفتهم تجاه العلوم العقلية، مما أثر فى منهجه التاريخى تأثيرا واضحا ظهر فى اهتمامه الكبير بالتراجم التى صارت أساس كثير من كتبه ومحور تفكيره التاريخى، وفى نظرته إلى الأحداث التاريخية وأسس انتقائها، ثم فيما وجه إليه من نقد أثار نقاشا بين علماء عصره وعند العلماء الذين جاءوا بعده.

لقد كان مفهوم التاريخ عند الذهبى يتصل اتصالا وثيقا بالحديث النبوى وعلومه؛ ظهر ذلك فى عنايته الفائقة بالتراجم التى قامت عليها شهرته الواسعة باعتباره مؤرخا. وقد تميز عن غيره من مؤلفى كتب التراجم بأنه لم يقتصر فى تأليفه على عصر معين أو فئة معينة أو تنظيم واحد، بل تناولت كتاباته جميع عصور التاريخ الإسلامى. ولذلك جعلت منه معرفته الرجالية الواسعة ناقدا ماهرا فظهر ذلك فى مؤلفاته المعنية بالنقد وفى التفاتاته البارعة فى أصول النقد

ورده لكثير من الروايات وتخطئته لكبار النقاد، وقوته الفائقة فى البحث والاستدلال.

وكان الذهبى مدرسة قائمة بذاتها خرَّجت العديد من الحفاظ والعلماء. وقد أتاحت له معرفته العظيمة الواسعة بالحديث وعلومه والتاريخ وفنونه مكانة مرموقة بين أساتيذ العصر، فأمَّه طلبة العلم من كل حدب وصوب. ونحن نعلم أن الذهبى تولى مناصب تدريسية كثيرة نعرف منها مشيخة الحديث فى تربة أم الصالح، ودار الحديث الظاهرية، والمدرسة النفيسية، ودار الحديث التنكزية، ودار الحديث الفاضلية، ودار الحديث العُروية، وقد أتاحت له هذه المناصب أن يدرس عليه عدد كبير من الطلبة يفوق الحصر، قال تلميذه الحسينى: «حمل عنه الكتاب والسنة خلائق» (ذيل تذكرة الحافظ / ٣٦) وقال ابن قاضى شهبة الأسدى: «سمع منه السبكى، والبرزالى، والعلائى، وابن كثير، وابن رافع، وابن رجب، وخلائق من مشايخه ونظرائه... وتخرج به حفاظ». (الإعلام بتاريخ أهل الإسلام ١ / الورقة ٩٠ نسخة باريس ١٣٩٨). وإن كُتُب القرن الثامن لتزخر بمئات من تلاميذ الذهبى النُّجُب. توفى بتربة أم الصالح ليلة الإثنين ثالث ذى



الورقة الأخيرة من «ملخص تاريخ الإسلام» للذهبى، تلخيص ابن الجزرى المقرئ المتوفى سنة ٨٣٣ هـ / ١٤٢٩ م، من نسخة كتبت بقسطنطينية سنة ٩٠٠ هـ / ١٤٩٤ م.
(المدينة المنورة: عارف حكمة، ٩٠ تاريخ - معهد المخطوطات)

القعدة قبل نصف الليل سنة ٧٤٨ هـ ودفن بمقابر باب الصغير، وحضر الصلاة عليه جملة من العلماء كان من بينهم التاج السبكى، وقد رثاه غير واحد من تلامذته منهم الصلاح الصفدى، والتاج السبكى، وغيرهما (تاريخ الإسلام ١٨ / ٥-٨).

قال السيوطى: فى ذيل طبقات الحفاظ: «إن المحدثين عيال الآن فى الرجال وغيرها من فنون الحديث على أربعة: المزى، والذهبى، والعراقى، وابن حجر» ثم قال: ورثاه التاج السبكى بقصيدة أولها:

«من للحديث وللسارين فى الطلب
من بعد موت الإمام الحافظ الذهبى
من للرواية والأخبار ينشرها
بين البرية من عجم ومن عرب
من للدراية والآثار يحفظها
بالنقد من وضع أهل الغى والكذب
من للصناعة يدرى حل معضلها
حتى يريك جلاء الشك والريب

ومنها:

هو الإمام الذى رَوَّتْ روايته
وطبق الأرض من طلابه النجب
ثبت صدوق خبير حافظ يقظ
فى النقل أصدق أنباء من الكتب
الله أكبر ما أقرا وأحفظه
من زاهد ورع فى الله مرتقب»

(مناقب الإمام أبى حنيفة / ٦).

مصادر ترجمة الذهبى:

جاء فى مقدمة تحقيق كتاب «معرفة الرواة المتكلم فيهم بما لا يوجب الرد للإمام الذهبى» ما يلى:

إن شهرة الذهبى ترجع فى جانب كبير منها إلى كتابه الهام «ميزان الاعتدال» الذى عرف بقيمته العلمية ومكانته السامية والمنهجية المتميزة التى لم تكن فى كثير مما كتب فى هذا الفن من المؤلفات وقد ترجم للذهبى أغلب المؤرخين من

معاصريه كالحافظ ابن كثير، ومن تلاميذه: كتاج الدين السبكى، ومن بعد ذلك كالحافظ ابن حجر وغيره.

ومن تتبع ترجمة الذهبى فى أغلب المراجع تحصل عندى أنها ثلاث مراتب حسب أهميتها ودقتها، فهى متفاوته فى عطائها، وفى بعضها مجرد لمحات خاطفة عن الذهبى لا يستغنى عنها للتعرف عن شخصية الذهبى.

فتأتى فى المرتبة الأولى: مؤلفات الذهبى نفسه، وتأتى فى المرتبة الثانية: - تراجم القدامى له وفى مقدمتهم المعاصرين له، وتلاميذه.

والمرتبة الثالثة: ما كتبه المعاصرون عنه مما أتيح لى الاطلاع عليه وفى مقدمتهم: كتاب الذهبى، ومنهجه فى كتابه تاريخ الإسلام» للدكتور بشار عواد معروف (يأتى الكلام عليه إن شاء الله تعالى) وهذه لائحة المصادر والمراجع التى ترجم أصحابها للذهبى، أو تحدثوا عنه أو عن آرائه أو أشاروا إليه بصفة عابرة أقدمها بالترتيب المعجمى لأسمائها:

- البداية والنهاية: ١٤ / ٢٢٥.
- البدر الطالع: ٢ / ١١٠-١١٢.
- تاريخ ابن الوردى: ٢ / ٢٤٩.
- الدرر الكامنة: ٣ / ٤٢٦-٤٢٧.
- الدارس فى أخبار المدارس: ١ / ٧٨-٧٩.
- ذيول تذكرة الحفاظ: ٣٤، ٣٧، ٣٤٧-٣٤٩.
- ذيول العبرة: ٢٦٧-٢٦٨.
- شذرات الذهب: ٦ / ١٥٣-١٥٧.
- طبقات الأسنوى: ١ / ٥٥٨-٥٥٩.
- طبقات الشافعية الكبرى: ٣ / ٢٩٩، ٣٥٢، ٣٥٣، ٣٥٦، ٤ / ٣٣، ١٣٣، ١٤٧، ٩ / ١٠٣-١٠٤.
- طبقات القراء: ٢ / ٧١.
- طبقات ابن هداية الله: ٢٣٢.
- فهرس الفهارس: ١ / ٣١-٣١٤.
- فوات الوفيات: ٢ / ٣٧٠-٣٧٢.
- مرآة الجنان: ٤ / ٣٣١-٣٣٣.
- مفتاح السعادة: ١ / ٢٦١، ٢ / ٣٥٨-٣٥٩.
- النجوم الزاهرة: ١٠ / ١٨٢.
- نكت الهميان: ٢٤١-٢٤٤.
- الوافى بالوفيات: ٢ / ١٦٣-١٦٨.

(معرفة الرواة/ ٣٣، ٣٤).

مؤلفاته: يقول الدكتور بشار عواد معروف:

عُرف الذهبى بتآليفه الكثيرة المتنوعة فى القراءات، والحديث ومصطلحه، والعقائد، والفقه وأصوله، والرقائق، والتاريخ والتراجم، والسير المفردة، والمنوعات، والمختصرات والانتقاءات والتخاريج. وقد قمت باستقصاء هذه الآثار وتمكنت أن أعرِّف بمئتين وأربعة عشر أثرا منها. ولم يكن عملى هذا مقتصرا على تقديم قائمة جامدة بذلك، بل عنيت بدراسة كل ما استطعت الوقوف عليه من آثاره سواء كان مطبوعا أم مخطوطا، وقدمت وصفا مختصرا لنوعية الكتاب ومجاله وموضوعه وترتيبه وأهميته بعبارة وجيزة مركزة، فكان هذا العمل ميزة لبحثنا لا نجدها فى غيره من البحوث التى من بابه (تاريخ الإسلام ١٨ / ٩) انظر كتاب الذهبى للدكتور معروف / ١٣٩-٢٧٦.

وقد أورد المعجم الشامل بيانا ببعض مؤلفات الذهبى وطبعاتها ننقله فيما يلى، مع استكمال ما لم يرد به من مصادر أخرى. ويلاحظ أن ما جاء بين قوسين هو من تعليقاتنا.

١ - أرجوزة الذهبى فى أسماء المدلسين:

شرح عبد العزيز العمارى، بيروت: مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م، ١١٩ ص.

نشرت تحت عنوان «التأنيس بشرح منظومة الذهبى فى أهل التدليس).

٢ - أسماء الذين راموا الخلافة:

- تحقيق صلاح الدين المنجد، مجلة معهد المخطوطات العربية، المجلد ٤، الجزء ٢، ربيع الآخر، ١٣٧٨هـ/ ١٩٥٨م، ص (٣٠١-٣٠٨) م ص، ف ٣ ص: التعليقات، فهرس هجائى بالخارجين.

- بيروت: دار الكتاب الجديد، ط ثانية ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م، ٣٢ ص، م ٦ ص، ف ٧ ص الأعلام.

٣ - الأمصار ذات الآثار:

- تحقيق عبد القادر الأرناؤوط، ومحمود الأرناؤوط،

دمشق: دار ابن كثير، ١٤٠٥ هـ/ ١٩٨٥ م، ١٣٧ ص، م ٨ ص، ف ٧ص: المصادر والمراجع، البلدان، الأعلام.

ـ تحقيق قاسم علي سعد، بيروت: دار البشائر الإسلامية، ١٤٠٦ هـ/ ١٩٨٦ م، ٢٦٢ ص، م ١٤٠ ص + ٧ ص نماذج مصورة من المخطوط، ف ٢٦ ص: الأعلام، الأماكن والبلدان، الكتب ومؤلفوها، المصادر والمراجع، الموضوعات.

٤ ـ أهل المائة فصاعدا:

ـ تحقيق بشار عواد معروف، مجلة المورد البغدادية، المجلد ٢، العدد ٤، ١٩٧٣ م، ٣٦ ص (١٠٧ ـ ١٤٢)، م ٧ ص، ف ٥ ص جريدة المصادر والمراجع.

٥ ـ تاريخ الإسلام وطبقات المشاهير الأعلام:

ـ عناية حسام الدين القدسي، القاهرة، مكتبة القدسي، مطبعة السعادة، ١٣٦٧ هـ/ ١٩٤٩ م.

ج ١: ٣٩٩ ص، م ١٢ ص، ف ٩ ص، المحتوى.

ج ٢: ١٣٦٨ هـ/ ١٩٥٠ م، ٣٩٩ ص، ف ١٢ ص، المحتوى.

ج ٣: ٣٨٣ ص، ف ١٣ ص، المحتوى (هذا الجزء عندي وهو طبعة سنة ١٩٧٩).

ج ٤: ١٣٦٩ هـ/ ١٩٥١ م، ٣٢٠ ص، ف ١٥ ص، المحتوى.

ج ٥: ١٣٦٩ هـ/ ١٩٥١ م، ٣٥١ ص، ف ١٨ ص، المحتوى.

ـ القاهرة: مطبعة المدني، ١٩٧٤ م (الترجمة النبوية)، ٤٢٢ ص، م ٨ ص + ٢ ص نماذج مصورة من المخطوط، ف ٩ص: المحتوى، استدراك.

ـ القاهرة: مطبعة القدس، ١٩٧٩ م، ٤٢٦ ص، م ١ ص + ٣ ص نماذج مصورة من المخطوط، ف ١١ص: المحتوى (الخلفاء الراشدون).

٦ ـ التاريخ الكبير، أو تاريخ الإسلام وطبقات المشاهير والأعلام.

ـ تحقيق محمد عبد الهادي شعيرة، القاهرة: وزارة الثقافة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مركز تحقيق التراث، مطبعة دار الكتب، ١٩٧٥ م، ج ١، ق ١: ٣١٩ ص، م ٦١ ص، ف ٥ ص المحتوى.

٧ ـ تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام (٦٠١ هـ ـ ٦١٠ هـ):

ـ تحقيق بشار عواد معروف، القاهرة: دار إحياء الكتب العربية، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، ١٣٩٧ هـ/ ١٩٧٧ م مج ١٨، ق ١: ٥٣١ ص، م ٣٤ ص + ٨ ص نماذج مصورة من المخطوط، ف ١٠١ ص: المصادر والمراجع، المحتويات، المترجمون، الإحالات، الكتب الواردة في المتن، الأماكن، المواضع، القوافي.

قالت المؤلفة: يأتي الكلام على هذا الكتاب النفيس فيما بعد إن شاء الله تعالى. وقد أورد الأستاذ الدكتور صلاح الدين المنجد في «الكتاب العربي المخطوط» (١ / ٦١) صورة مخطوط كتب تحتها ما يلي: «ملخص تاريخ الإسلام للذهبي، تلخيص ابن الجزري المقرئ المتوفى سنة ٨٣٣ هـ / ١٤٢٩ م من نسخة كتبت بقسطنطينية سنة ٩٠٠ هـ/ ١٤٩٤ م. المدينة المنورة: عارف حكمت، ٩٠ تاريخ ـ معهد المخطوطات» انظر الصورة مع هذه المادة ا هـ.

٨ ـ تجريد أسماء الصحابة:

ـ حيدرآباد، الدكن: دائرة المعارف النظامية، مطبعة الدائرة ١٣١٥ هـ/ ١٨٩٧ م، جزءان.

ج ١: ٣٦٣ ص.

ج ٢: ٣٦٤ ص.

ـ تحقيق صالحة عبد الحكيم شرف الدين، بومبي: على نفقة شرف الدين الكتبي وأولاده، ١٣٨٩ هـ/ ١٩٦٩ م.

ج ١: ٤٣٤ ص، م ٢ ص.

ج ٢: ٣٤٦ ص.

ـ بيروت: دار المعرفة للطباعة والنشر، د. ت، ١٣٨٩ هـ / ١٩٦٩ م، بالأوفست.

٩ ـ تذكرة الحفاظ:

ـ حيدرآباد، الدكن: دائرة المعارف العثمانية، مطبعة الدائرة، ١٩٥٥ م ـ ١٩٥٨ م، ٤ ج في ٢ مج.

ـ بغداد : مكتبة المثنى، بالأوفست عن طبعة حيدرآباد. ـ بيروت : دار إحياء التراث العربى، د. ت، بالأوفست.

ج ١، ج ٢، فى مج ١ : ٨٢٢ ص، م ٤ ص، ف ٤٤ ص المحتوى. ج٣، ج ٤ فى مج ٢ : ٩١٦ ص، ف ١٨٦ ص : المحتوى، فهرس المترجمين والمؤرخين ووفاتهم فى الأجزاء الأربعة.

١٠ ـ تراجم رجال روى عنهم محمد بن إسحاق :

ـ عناية فيشر A. Fisher، ليدن : مطبعة بريل، ١٨٩٠م.

ـ مجلة المستشرقين الألمان، ١٨٩٥ م.

١١ ـ تلخيص المستدرك على الصحيحين فى الحديث :

ـ تصحيح السيد هاشم الندوى، ومحمد عرب محمد حسين، وأمير حسن النعمانى، حيدرآباد، الدكن : مجلس دائرة المعارف النظامية، مطبعة المجلس، ١٣٤٠ هـ / ١٩٢١ م ـ ١٣٤٢ هـ / ١٩٢٣ م، ٤ مجلدات.

ج ١ : ٥٧٤ ص.

ج ٢ : ٦٢٨ ص.

ج ٣ : ١٣٤١ هـ / ١٩٢٢ م، ٦٤٤ص.

ج ٤ : ١٣٤٢ هـ / ١٩٢٣ م، ٦١٠ ص.

وقع على هامش (المستدرك على الصحيحين) للحكيم النيسابورى ت ٤٠٥ هـ / ١٠١٤ م).

ـ الرياض : مكتبة ومطابع النصر الحديثة، د. ت، بالأوفست عن السابقة.

١٢ ـ دول الإسلام :

ـ تحقيق فهيم محمود شلتوت، ومحمد مصطفى إبراهيم، القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب، مطابع الناشر، ١٩٧٤ م.

ج ١ : ٢٧٥ ص، م ٥ ص.

ج ٢ : ٤٢٢ ص، ف ٧٤ ص : المحتوى للجزئين، تصويبات.

ـ حيدرآباد، الدكن : دائرة المعارف النظامية، مطبعة الدائرة، ١٣٣٧ هـ / ١٩١٨ م.

ج ١ : ٣٠٢ ص، ف ٩٠ ص، المضمون.

ج ٢ : ٢٦٣ ص، ف ٦٨ ص، المضمون.

ـ ط ثانية، ١٩٤٥ م، ١٩٤٦ م، ط ثالثة، ١٩٥٨ م.

١٣ ـ ديوان الضعفاء والمتروكين :

ـ تحقيق حماد الأنصارى، مكة المكرمة : ١٣٨٧ هـ / ١٩٦٩ م.

١٤ ـ ذكر أسماء من تكلم فيه وهو موثق :

ـ تحقيق محمد شكور بن محمود الحاجى أمرير المياذينى، الزرقاء : مكتبة المنار، ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦ م، ٢٢٤ ص، م ١٨ ص + ٧ص نماذج مصورة من المخطوط، ف ١٢ ص : ثبت المراجع، المحتوى. نماذج مصورة من المخطوط، ف ١٢ ص : ثبت المراجع، المحتوى.

١٥ ـ ذيل طبقات القراء :

ـ عناية إيفيت صوفان ـ مجلة مجمع اللغة العربية، دمشق : المجلد ٤٩، ١٩٧٤ م، ٦ ص (٦٥٢ ـ ٦٥٧)، م ٢ ص.

١٦ ـ ذيل طبقات الحفاظ :

ـ عناية فرديناند فوستنفيلد، جوتنجن، ١٨٣٣م.

ج ١، ج ٢، فى مج ١ : ٨٢٢ ص، م ٤ ص، ف ٤٤ ص المحتوى. ج ١ : ١١٨ ص، م ٢٠ ص، ف ٢ ص : الأعلام، التصويبات.

ـ عناية حسام الدين القدسى، القاهرة : مكتبة القدسى، ١٣٤٧ هـ ـ ١٩٢٨ م.

ـ تحقيق على محمد عمر، القاهرة : مكتبة وهبة، ١٩٧٣م.

١٧ ـ ذيل العبر فى خبر من غبر (٧٠١ ـ ٧٤٠ هـ) :

ـ تحقيق محمد رشاد عبد المطلب، وراجعه صلاح الدين المنجد وعبد الستار أحمد فراج، بإشراف لجنة فنية بوزارة الإرشاد والأنباء، ٢١٥ ص، م ١١ ص، ف ٦٨ ص : آيات وشعر، أسماء كتب، الأعلام، فهرس الكتاب.

١٨ ـ رحمة الله فى الأمصار ذوات الآثار :

ـ تحقيق Leonard Librande، مجلة المعهد الفرنسى للدراسات العربية، دمشق، الأجزاء: ٣٢، ٣٣، ١٩٨٠ - ١٩٨١ م، ٤٩ ص (١١٣ - ١٦١)، م ٢٨ ص، ف ١٤ ص: الأعلام، الأماكن، مختصرات، المصادر والمراجع.

١٩ ـ رسالة فى الرواة الثقاة:

ـ القاهرة: على نفقة عبد المجيد زكريا، مطبعة الظاهر، ١٣٢٤ هـ / ١٩٠٦ م، ٢٣ ص.

٢٠ ـ زغل العلم:

ـ تحقيق محمد بن ناصر العجمى، الكويت: مكتبة الصحوة الإسلامية، مطبعة الصحابة الإسلامية، ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٤ م، ٥٦ ص، م ١٩ ص + ٤ ص نماذج مصورة من المخطوط، ف ٤ ص: الأحاديث، الموضوعات.

٢١ ـ سير أعلام النبلاء:

ـ ج ١: تحقيق صلاح الدين المنجد، تصدير طه حسين، القاهرة: جامعة الدول العربية، معهد المخطوطات العربية، ودار المعارف بمصر، مطابع دار المعارف، د. ت، ٥٠٦ ص، ف ١٠٠ ص: السير الواردة فى هذا الجزء، الأحاديث، المقطعات والأبيات، الغزوات والأيام والوقائع، البلدان والأماكن، القرى والمواضع، الجبال والأنهار، الأعلام، المستدرك، مراجع التحقيق والتصحيح.

ـ ج ٢: تحقيق إبراهيم الأبيارى، وراجعه طه حسين، ١٩٥٧ م، ٥٤٨ ص، ف ٩٤ ص: السير، الأحاديث، الأبيات، الغزوات والأيام والوقائع، البلدان، الأماكن، القرى، المواضع، الجبال، الأنهار، الأعلام.

ـ ج ٣: تحقيق محمد أسعد طلس، وراجعه طه حسين، ١٩٦٢ م، ٤٧٩ ص، ف ١١٥ ص (كالسابق).

ـ بيروت، مؤسسة الرسالة،

ـ ج ١: تحقيق شعيب الأرنؤوط، وحسين الأسد، ١٤٠١ هـ / ١٩٨١ م، ٥٧٠ ص، م ١٤٠ ص، كتبها بشار عواد، ف ١٢ ص: فهرس الأعلام المترجم لهم على ترتيب المؤلف، ثم مرتبا على حروف الهجاء.

ج ٢: تحقيق شعيب الأرنؤوط، ٦٤٧ ص، ف ١٣ ص: (فهرس المترجم لهم حسب ترتيب المؤلف، ثم على حسب حروف المعجم).

ج ٣: تحقيق شعيب الأرنؤوط، ومحمد نعيم العرقسوسى وفامون صاغرجى، ٥٦٧ ص. ف ١٧ ص.

ج ٤: تحقيق شعيب الأرنؤوط، وفامون الصاغرجى، ٦٤٢ ص، ف ١٨ ص.

ج ٥: تحقيق شعيب الأرنؤوط، ٥٠٢ ص، ف ٢٠ ص.

ج ٦: تحقيق شعيب الأرنؤوط، وحسين الأسد، ٤٣٩ ص، ف ١٨ ص.

ج ٧: تحقيق شعيب الأرنؤوط وعلى أبو زيد، ٤٨٢ ص، ف ١٦ ص.

ج ٨: تحقيق شعيب الأرنؤوط، ونذير حمدان، ٤٩٥ ص، ف ١٥ ص.

ج ٩: تحقيق شعيب الأرنؤوط، وكامل الخراط، ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢ م، ١٦٠ ص، ف ٢٣ ص.

ج ١٠: تحقيق شعيب الأرنؤوط، ومحمد نعيم العرقسوسى، ٧٢٣ ص، ف ٢٧ ص.

ج ١١: تحقيق شعيب الأرنؤوط، وصالح الأسمر، ٥٧٥ ص، ف ١٩ ص.

ج ١٢: تحقيق شعيب الأرنؤوط، وصالح الأسمر، ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م، ٦٦٣ ص، ف ٢٨ ص.

ج ١٣: تحقيق على أبو زيد، وراجعه شعيب الأرنؤوط، ٦٢٧ ص، ف ٣٧ ص.

ج ١٤: تحقيق أكرم البوشى وراجعه شعيب الأرنؤوط، ٦١١ ص، ف ٤١ ص.

ج ١٥: تحقيق إبراهيم الزيبق، وراجعه شعيب الأرنؤوط، ٦٢٧ ص، ف ٤٥ ص.

ج ١٦: تحقيق أكرم البوشى، وراجعه شعيب الأرنؤوط، ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م، ٦٢١ ص، ف ٥٥ ص.

ج ١٧ : تحقيق محمد نعيم العرقسوسي ، وراجعه شعيب الأرنؤوط، ١٤٠٣ هـ/ ١٩٨٣ م، ٧٥٥ ص، ف ٨٣ ص.

ج ١٨ : تحقيق شعيب الأرنؤوط و محمد نعيم العرقسوسي ١٤٠٥ هـ/ ١٩٨٤ م، ٦٩٠ ص، ف ٦٨ ص.

ج ١٩ : تحقيق شعيب الأرنؤوط ، ٦٨١ ، ف ٤٥ ص.

ج ٢٠ : تحقيق شعيب الأرنؤوط، ومحمد نعيم العرقسوسي، ١٤٠٥ هـ/ ١٩٨٥ م، ٦٨٠ ص، ف ٨٠ ص.

ج ٢١ : تحقيق بشار عواد ومحيى هلال السرحان، ١٤٠٤ هـ/ ١٩٨٤ م، ٥٣٦ ص، ف ٢٤ ص.

ج ٢٢ : تحقيق بشار عواد ومحيى هلال السرحان، ١٤٠٥ هـ ١٩٨٥ م، ٤٣٥ ص، ف ٣٥ ص.

ج ٢٣ : تحقيق بشار عواد ومحيى هلال السرحان، ١٤٠٥ هـ/ ١٩٨٥ م، ٤٢٠ ص، ف ٣٦ ص: فهرس المترجم لهم حسب ترتيب المؤلف، فهرس المترجم لهم على نسق حروف المعجم.

ج ٢٤ : فهارس، ٨٦٢ ص: الآيات، الأحاديث، المؤلفين، الأمثال، كلمات فسرها المؤلف ، أسماء المؤلفات، الأماكن، الطبقات.

ج ٢٥ : فهارس ، ١٤٠٩ هـ/ ١٩٨٨ م، ٨٦٢ ص.

قالت المؤلفة : لكتاب «سير أعلام النبلاء» هذا تهذيب عندى أصدرته مؤسسة الرسالة ببيروت ، الطبعة الأولى ١٤١٢ هـ/ ١٩٩١ م تحت عنوان «تهذيب سير أعلام النبلاء»، أشرف على تحقيقه شعيب الأرنؤوط ، هذبه أحمد فايز الحمصي، وراجعه عادل مرشد، ويقع فى ثلاثة أجزاء١هـ.

٢٢ ـ الطب النبوى :

ـ القاهرة: طبع حجر، ١٢٧٨ هـ/ ١٨٦١ م.

ـ دهلى: على نفقة السيد مصطفى الشهير بالصباح والملقب ببدر الدين، طبع حجر، د. ت ، ١٢٠ ص.

ـ القاهرة : شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبى وأولاده، الطبعة الأخيرة، مطبعة الناشر ١٣٦٧ هـ/ ١٩٤٨ م ٢٠٤ ص. وقع على هامش كتاب تسهيل المنافع فى الطب والحكمة لابن الأزرق.

قالت المؤلفة : هذا الكتاب عندى ويقع فى ٢٠٣ صفحة، والفهرس ص ٢٠٨١هـ.

ـ تحقيق أحمد رفعت البدراوى ، بيروت : دار إحياء العلوم، ١٤٠٤ هـ/ ١٩٨٤ م، ٣٢٨ ص، م ١٥ ص، ف ١٠ ص: فهرس ألفبائى للأغذية، المحتوى.

قالت المؤلفة : وثمة طبعة أخرى عندى، تقديم الشيخ قاسم الشماعى الرفاعى. طبع دار مكتبة التربية، بيروت. د. ت، ويقع فى ٢١٦ صفحة والفهرس ص ٢١٩ ـ ٢٢١١هـ.

٢٣ ـ العبر فى خبر من غبر:

ج ١ : تحقيق صلاح الدين المنجد، الكويت: دائرة المطبوعات والنشر، مطبعة الحكمة، ١٩٦٠ م، ٥٨٧ ص، م ٦ ص، ف ١٢١ ص : الأعلام، الأماكن.

ج ٢ : تحقيق فؤاد سيد، ١٩٦١ م، ٥٢٤ ص، ف ١٥٠ ص: الأعلام ، الأماكن والبلدان، ثبت مراجع التحقيق.

ج ٣ : تحقيق فؤاد سيد، ٥٠٠ ص، ف ١٤٠ ص : الأعلام، الأماكن ، ثبت مراجع التحقيق.

ج ٤ : تحقيق صلاح الدين المنجد، الكويت، مطبعة الحكومة ١٩٦٢ م ، ٤٣٦ ص، ف ١٢٠ ص : أسماء الكتب الواردة فى ثنايا الترجمة، أسماء المحال والأماكن والبلدان، أسماء الأعلام.

ج ٥ : تحقيق صلاح الدين المنجد، الكويت: مطبعة حكومة الكويت: ١٣٨٦ هـ/ ١٩٦٦ م، ٥٣٥ ص، ف ١٢١ ص ، أسماء الأعلام.

٢٣ ـ العلو للعلى الغفار فى صحيح الأخبار:

ـ عناية محمد ناصف، القاهرة: مطبعة المنار ، ١٣٣٢ هـ/ ١٩١٣ م ، ٣٥٦ ص.

ـ القاهرة: مطبعة السنة ، ١٩٣٨ م ، ١٦٨ ص.

ـ قدم له وراجع أصوله عبد الرحمن محمد عثمان،

المدينــة المنــورة، المكتبــة السلفـية ، ط ثانيــة ، ١٣٨٨ هــ/ ١٩٦٨ م، ٢٠٠ ص، م ١٤ ص، ف ٤ ص المحتوى.

- دمشق : المكتب الإسلامى ، ١٤٠١ هـ/ ١٩٨١ م، ٣٠٤ ص .

٢٥ - الكاشف فى معرفة من له رواية فى الكتب الستة :

- تحقيق عزت على عيد عطية، وموسى محمد على الموسى، القاهرة : دار الكتب الحديثة، دار النصر للطباعة، ١٣٩٢ هـ/ ١٩٧٢ م.

ج ١ : ٥٠٣ ص ، ف ٨٦ ص.

ج ٢ : ٥٠٣ ص ، ف ٩٥ ص.

ج ٣ : ٦٢٤ ص ، ف ١٢٧ ص : المحتوى، الأعلام.

٢٦ - الكبائر:

- تصحيح محمد عبد الرزاق حمزة، القاهرة: المكتبة التجارية الكبرى، مطبعة الاستقامة، ١٣٥٦ هـ/ ١٩٣٧ م، ١٣٧٥ هـ/ ١٩٥٥ م، ٢٤٠ ص، م ٥ ص ، ف ٣ ص: المحتوى ، تنبيهات .

- بيروت : المكتبة الثقافية، بالأوفست عن السابقة .

- بيروت : دار الكتاب العربى ، ١٣٩٦ هـ/ ١٩٧٦ م، ٢٤٣ ص، م ٦ ص ، ف ٣ ص المحتوى.

- القاهرة : مكتبة جمهورية مصر، ١٩٧٨ م، ٢٧٢ ص.

- حلب : دار الوعى، د.ت ، ٢٥٦ ص.

- تحقيق محيى الدين مستو، دمشق: بيروت: مؤسسة علوم القرآن ، المدينة المنورة: مكتبة دار التراث، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٤ م، ١٩٠ ص ، م ٢٥ ص + ٦ ص نماذج مصورة من المخطوط، ف ٦ ص : المراجع، المحتوى.

٢٧ - المختصر المحتاج إليه من تاريخ بغداد لابن الدبيثى (انتقاء الذهبى) :

- تحقيق وتعليق مصطفى جواد، بغداد: مطبعة الزمان، ١٩٥١ م، ج ١ : ٣٣٠ ص، م ١٧ ص ، ف ١٢ ص، مراجع التصحيح.

ج ٢ : ١٩٦٢ م، بغداد: المجمع العلمى العراقى، بغداد، مطبعة الزمان، ٣٣٦ ص، م ١٧ ص ، فى ١٦ ص: مراجع التصحيح والتعليق، التراجم، ثبت مختصر للمترجمين، فهرست المستدرك. ج ٣ : بغداد: مطبعة المجمع العلمى العراقى ، ١٩٧٧ م، ٣٠٨ ص ، م ٩ ص ، ف ٣٤ ص : الأعلام ، الأماكن.

٢٨ - مستدرك من كتاب العبر فى خبر من غبر:

- تحقيق رياض عبد الحميد مراد، مجلة مجمع اللغة العربية، دمشق، مجلد ٥١ ص ٥٣٧ ص ، ومجلد ٥٢ ص ٣٧٢ ص ، ٦٤ ص، م ١ ص ، ف ٤ ص : أسماء التراجم المستدركة.

(ضمن الكتاب أيضا خلافات بين المصور والمطبوع من كتاب العبر فى خبر من غبر) :

٢٩ - المشتبه فى أسماء الرجال (أسماؤهم وأنسابهم) :

- عناية P.DEJONG، ليدن: مطبعة بريل ١٨٦٣ م ، ١٨٨١ م، ٦٢٤ ص ، م ١٢ ص ، ف ٤٨ ص فهرست الأسماء.

- تحقيق على محمد البجاوى، القاهرة: دار إحياء الكتب العربية (عيسى البابى الحلبى وشركاه)، ١٩٦٢ م،

ج ١ : ٣٩٣ ص ، م ٩ ص + ٣ ص نماذج مصورة من المخطوط .

ج ٢ : ٣٧٢ ص، ف ٧٩ ص : المشتبه من الأعلام، الأماكن، البلدان، الأيام والحروب، أبواب الكتاب، تصويبات .

٣٠ - معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار:

- تحقيق محمد سيد جاد الحق، القاهرة: دار الكتب الحديثة، مطبعة دار التأليف ، ١٩٦٩ م .

ج ١ : ٤٩٩ ص ، م ٢٧ ص.

ج ٢ : ٢٠٢ ص، ف ٦٦ ص : فهرس أعلام، الأماكن والبقاع ، ذيل الطبقات، المراجع ، الخطأ والصواب .

- تحقيق بشار عواد معروف ، وشعيب الأرنؤوط ، وصالح

مهدى عباس، بيروت : مؤسسة الرسالة ، ١٤٠٤ هـ/ ١٩٨٤ م، ج ١ : ٥١٦ ص .

ج ٢ : ٣٩٨ ص (٥١٧ـ٩١٤) ، ف ١٥٥ ص : فهرس المترجمين على الطبقات وعلى حروف المعجم، فهرس الكتب الواردة فى المتن، الأمكنة والبقاع .

٣١ ـ المعين فى طبقات المحدثين :

ـــ تحقيق همام عبد الرحيم سعيد، بيروت : دار الفرقان، ١٤٠٤ هـ/ ١٩٨٤ م ، ٢٤٥ ص، م ١٢ ص + ٢ ص نماذج مصورة من المخطوط ، ف ٢ ص المحتوى.

٣٢ ـ المغنى فى الضعفاء :

ـ تحقيق نور الدين عتر، حلب : دار المعارف، مطبعة البلاغة، ١٣٩١ هـ/ ١٩٧١ م.

ج ١ : ٣٩٤ ص، م ٢١ ص + ٣ ص نماذج مصورة من المخطوط.

ج ٢ : ٤٨٥ ص (٣٧٥ ـ ٨٥٩)، ف ٣٧ ص : المصادر، الأحاديث، مسرد كتاب المغنى، التراجم ، الدليل العام، اصطلاحات التحقيق.

ـ القاهرة : دار الكتب الحديثة، ط أخرى، ١٩٧٦ م، عن السابقة.

ـ بيروت : دار إحياء التراث العربى . د. ت .

٣٣ـ مناقب الإمام أبى حنيفة وصاحبيه أبى يوسف ومحمد ابن الحسن :

ـــ تحقيق محمد زاهد الكوثرى وأبى الوفا الأفغانى، حيدرآباد، الدكن : لجنة إحياء المعارف النعمانية، ١٣٦٦ هـ / ١٩٤٧ م، ٦٣ ص ، م ٤ ص ، ف ١ ص المحتوى.

قالت المؤلفة : هذا الكتاب عندى، وهو بدون تاريخ ، ونسختى تقع فى٦٠ صفة، والفهرس ص ٦١ هـ.

٣٤ ـ المنتقى من منهاج الاعتدال فى نقض كلام أهل الرفض والاعتزال :

ـــ عناية محب الدين الخطيب، القاهرة : المطبعة السلفية، ١٣٧٤ هـ/ ١٩٥٥ م، ٥٩٢ ص، م ١٤ + ١ ص نموزج مصور من المخطوط ، ف ١٧ ص المحتوى.

٣٥ ـ الموقظة فى علم مصطلح الحديث :

ـ تحقيق عبد الفتاح أبو غدة ، حلب : مكتب المطبوعات الإسلامية . دار البشائر الإسلامية، ١٤٠٥ هـ/ ١٩٨٤ م، ٢٢٠ ص، م ٢١ ص + ١ ص نموذج مصور من المخطوط ، ف ٥٣ ، الآيات، الأحاديث ، الآثار، أسماء الأعلام، الكتب، المصادر والمراجع، الأبحاث والتتمات.

٣٦ ـ المهذب فى اختصار السنن الكبرى للبيهقى :

ـ تحقيق حامد إبراهيم أحمد، ومحمد حسين العقبى، القاهرة : مكتبة زكريا على يوسف ، ١٩٧٠ م ، ٥١١ ص .

٣٧ ـ ميزان الاعتدال فى نقد الرجال :

ـ تصحيح محمد بدر النعسانى، القاهرة : على نفقة أحمد ناجى الجمالى ومحمد أمين الخانجى الكتبى وأخيه، مطبعة السعادة، ١٣٢٥ هـ/ ١٩٠٧ م.

ج ١ : ٤٨٢ ص.

ج ٢ : ٣٦٢ ص .

ج ٣ : ٤٠٠ ص.

ـ تحقيق على محمد البجاوى، القاهرة، شركة مكتبة ومطبعة عيسى البابى الحلبى وأولاده بمصر، مطبعة الناشر بمصر، ١٣٨٢ هـ/ ١٩٦٣ م ـ ١٣٨٣ هـ/ ١٩٦٤ م.

ج ١ : ٦٩٠ ص ، م ٨ ص + ٥ ص نماذج مصورة من المخطوط ، ف ٣ ص المحتوى.

ج ٢ : ٦٨٨ ص، ف ٣ ص ، المحتوى.

ج ٣ : ٦٨٣ ص ، ف ٢ ص ، المحتوى .

ج ٤ : ٧٥٠ ص ، ف ١٣٣ ص ، المحتوى الرابع، التراجم، الكنى : ذكر من عرف بأبيه، المضاف إلى الأخ والأم، الأنساب، مجاهيل الاسم، النسوة المجهولات، كنى للنسوة، من لم تسم (المعجم الشامل ٢ / ٣٦٢ـ ٣٧٥).

وقد أورد الزركلى من الكتب المطبوعة للذهبى ما يلى : طبقات القراء ، الرواة الثقات، المستدرك على مستدرك

الحاكم، فى الحديث، كما أورد عددا من المصنفات التى لا تزال مخطوطة [فى عصره] وهى: العباب، مخطوط فى التاريخ، الإمامة الكبرى، تهذيب تهذيب الكمال وهو فى رجال الحديث، معجم شيوخه، المقتنى فى الكنى، الإعلام بوفيات الأعلام، المرتجل فى الكنى، ذكر من اشتهر بكنيته من الأعيان، وهو رسالة فى شستربتى (٣٤٥٨) (الأعلام ٥ / ٣٢٦).

كما ورد ذكر المصنفات التالية فى مقدمة تحقيق كتاب «مناقب الإمام أبى حنيفة» لكل من الشيخ محمد زاهد الكوثرى وأبى الوفا الأفغانى: طبقات الحفاظ، مختصر تهذيب الكمال المعروف بالتذهيب، مختصر الأطراف، مختصر المحلى، مهذب سنن البيهقى (مناقب الإمام أبى حنيفة / ٥، ٦).

قالت المؤلفة: ويوجد عندى كتاب للذهبى لم أجد له ذكرا فيما بين يدى من مراجع، وهو معرفة الرواة المتكلم فيهم بما لا يوجب الرد، حققه وعلق عليه أبو عبد الله إبراهيم سعيداى إدريس، دار المعرفة. بيروت. الطبعة الأولى ١٤٠٦ هـ ١٩٨٦ م، توزيع دار الباز، مكة المكرمة اهـ.

أهم الدراسات التى كتبت عن الذهبى ومؤلفاته حديثا:

وقد كتب فى ترجمة الحافظ الذهبى وحياته، وآثاره دراسات معاصرة ومن أحفلها، وأجودها شمولا وإحاطة ودقة ودراسة، الدكتور بشار عواد معروف فى رسالته «الذهبى ومنهجه فى كتابه تاريخ الإسلام» وكانت هذه الدراسة فى الأصل هى دراسة تقدم بها صاحبها لنيل درجة العالمية «الدكتوراه» فى التاريخ الإسلامى وقد ظهرت فى طبعتها الأولى عام: ١٩٧٦ م فى القاهرة عن مطبعة عيسى البابى الحلبى وشركاته فى: ٥٤٠ صفحة، وقد سبق ذكر ذلك.

وفى فلك هذه الدراسة أشبع المؤلف الموضوع بحثا فى جوانبه التقليدية: كالحالة السياسية، فى عصر الذهبى والثقافية والاجتماعية والدينية، ونشاط الذهبى العلمى عامة إلى وفاته، ثم شرع فى الباب الثانى: فخصصه للحديث عن منهج الذهبى فى كتابه «تاريخ الإسلام» ثم تابع خطته إلى آخرها.

والحافظ الذهبى من أكثر من حظوا بدراسة آثارهم بطريقة منهجية علمية دقيقة، هذا إن لم يكن من أوائلهم فالحمد والمنة لله.

وممن كتب عن الذهبى فى عصرنا هذا كل من: حسام الدين القدسى، والأستاذ سعيد الأفغانى، ومصطفى جواد، ومحمد بن شنب، والدكتور صلاح الدين المنجد، وكثير من محققى وناشرى كتب الذهبى وإن لم يضيفوا جديدا كلهم باستثناء الدكتور بشار عواد (معرفة الرواة ٣٣ ـ ٣٥).

ونخصص ما بقى من هذه المادة للكلام على كتاب الذهبى النفيس «تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام» وقد كتب عنه حاجى خليفة فقال:

تاريخ الذهبى ـ هو الإمام الحافظ شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد المصرى [الدمشقى] المتوفى سنة ست وأربعين وسبعمائة [كذا] وهو تاريخ كبير فى اثنى عشر مجلدا يقال له تاريخ الإسلام على ترتيب السنوات جمع فيه بين الحوادث والوفيات وانتهى إلى آخر سنة إحدى وأربعين وسبعمائة وقد أضر قبل موته بمدة ثم اختصر منه مختصرات منها العبر وسير النبلاء وطبقات الحفاظ وطبقات القراء وغير ذلك. قال ابن شهبة والعجب أنه وقف فى تاريخ الإسلام سنة سبعمائة ولم يوصله إلى سنة أربعين كما فعل فى العبر فإن بين يديه ذيل اليونينى إلى حين وفاته وذيل الجزرى انتهى، والذيل الحافل لتاريخ الإسلام لشمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوى المتوفى سنة ست وتسعمائة، ومختصر تاريخ الإسلام لعلاء الدين على بن خلف الغزى المتوفى سنة اثنتين وتسعين وسبعمائة وشمس الدين محمد بن محمد الجزرى المتوفى سنة ثلاث وثلاثين وثمانمائة مجلد أوله الحمد لله الذى جعل الحوادث والوفيات ... إلخ وفرغ فى رجب سنة ٧٩٨.

(كشف ١ / ٢٩٤، ٢٩٥).

أما الدراسة المستفيضة التى قدمها الدكتور بشار عواد معروف، والتى أشرنا إليها فى أكثر من موضع، فننقل منها ما يلى. يقول المؤلف عن كتاب تاريخ الإسلام وأهميته:

واشتهر الذهبى بكتابه العظيم «تاريخ الإسلام» شهرة واسعة ونال من أجله صيتا ذائعا، ولا غرابة فى ذلك لما تميز به هذا الكتاب من ميزات عظيمة؛ إذ هو أضخم مؤلفات الذهبى الكثيرة وأوسع التواريخ العامة حتى عصره، تناول فيه تاريخ الإسلام من بدء الهجرة النبوية حتى سنة ٧٠٠ هـ، فحصر مادة ضخمة فى نطاقه الزمانى الممتد عبر سبعة قرون كاملة، وفى نطاقه المكانى الشامل لجميع الرقعة الواسعة التى امتد إليها الإسلام من الأندلس غربا إلى أقصى المشرق، وقد شمل الحوادث الرئيسية التى مرت بها الجماعة الإسلامية منذ هجرة النبى ﷺ - وتعاقب الأحداث والدول فى شتى أنحاء العالم الإسلامى حتى نهاية القرن السابع الهجرى. كما تضمن تراجم المشهورين فى كل ناحية من نواحى الحياة، ولم يقتصر على فئة معينة منهم. وفى هذا المجال، أعنى التراجم تظهر عظمة كتاب الذهبى فى العدد العديد والشمول الفريد الذى أقدره بأربعين ألف ترجمة وهو مما لا نجده فى كتاب آخر من بابه ممن سبقه أو جاء بعده مثل كتاب «المنتظم» لابن الجوزى المتوفى سنة ٥٩٧ هـ، و «مرآة الزمان» لسبط ابن الجوزى المتوفى سنة ٦٥٤ هـ، و «ذيل مرآة الزمان» لقطب الدين اليونينى المتوفى سنة ٧٢٦ هـ، و «عيون التواريخ» لابن شاكر الكتبى المتوفى سنة ٧٦٤، و «البداية» لابن كثير المتوفى سنة ٧٧٤ هـ و «نثر الجمان» للفيومى المتوفى سنة ٧٧١ هـ، و «عقد الجمان» لبدر الدين العينى المتوفس سنة ٨٥٥ هـ وغيرهم، ففى الوقت الذى أوردت فيه مثل هذه التواريخ قرابة ١٠ - ١٥ ترجمة فى السنة الواحدة كان معدل ما يذكره الذهبى قرابة الستين ترجمة. ومعنى ذلك أن هناك عددا كبيرا من التراجم التى ضمها هذا الكتاب لا نجدها فى غيره لا سيما بعد ضياع كثير من الأصول التى اعتمدها.

ومما يعلى فى قيمة الكتاب ويغليها منهجه فى ذكر الموارد؛ فقد كان الذهبى من المؤرخين الذين ذكروا مواردهم بصورة جيدة، سواء أكانت شفوية أم إجازات أم كتبا. وقد امتازت خطته فى هذا المضمار بتنوع موارده وتعددها حيث كان يورد آراء الموافقين والمخالفين لصاحب الترجمة ولا يقتصر على مصادر معينة، وعنى بعد ذلك بالمصادر المتخصصة فنقل عن كل فئة من مصادرها، وكان يتميز بعقلية عظيمة فى الانتقاء ويعنى بانتقاء الموارد المعاصرة. لكل هذا حفظ لنا الذهبى فى «تاريخ الإسلام» نقولا هائلة عن مصادر كثيرة جدا لم تصل إلينا مع الأسف. ومعلوم أن قيمة أى كتاب تاريخى تتحدد فى قربه من الحوادث التى يصفها أو استخدامه موارد قريبة من الأحداث، ثم ما بقى من هذه الموارد وما فقد منها ومدى قيمتها التاريخية. ولما كان الذهبى قد وصل بتاريخه إلى سنة ٧٠٠ هـ فقد دوَّن فى قسم، ولو قصيرا من تاريخه، تاريخا معاصرا له قيمته العظيمة فى دراسة هذه الحقبة.

وتضمن «تاريخ الإسلام» مادة واسعة فى التاريخ السياسى والإدارى انتقاه من موارد كثيرة ضاع الكثير منها. وقدم معلومات اقتصادية جيدة حيث عنى بذكر الأحوال الاقتصادية للدولة الإسلامية عموما والتطورات التى طرأت عليها. أما من الناحية الاجتماعية فقد أبان لنا «تاريخ الإسلام» باعتباره كتابا صرف جل عنايته للتراجم، اتجاه المؤرخين فى تخليد المبرزين فى المجتمع وصور جانبا من القاعدة الاجتماعية لفئة العلماء، وظهر فى هذا الكتاب عدم وجود المفاهيم الاجتماعية والاقتصادية وقلة تأثيرها، بل انعدامها، فى تقدير الناس، وأن المجتمع الإسلامى لم يعرف فى هذا المجال فى الأقل أى نوع من النظم الطبقية وأزاح الفكرة القائلة: إن التاريخ الإسلامى هو تاريخ حكام لم يعن بتاريخ جماهير الأمة، فإن عناية المسلمين بتاريخ «التراجم» وتدوينهم سير الناس ممن اشتهروا بسياسة، أو علم، أو أدب أو فن، أو عقيدة وما إليها من غير نظر لمركز اقتصادى أو اجتماعى يؤكد من غير شك أن موازينهم كانت على غاية من الرقى الإنسانى، وقد جربنا الذهبى وهو يترجم محدثا فقيرا ويترك غنيا، ويطول فى ترجمة عبد ويقصر فى سيد كبير، ويثنى على شخص من عامة الناس ويذم آخر من علية القوم، فى الوقت الذى اقتصرت فيه النواحى العلمية ومحتويات كتب التراجم عند كثير من الأمم فى هذه الأعصر على فئات معينة من الناس كما كان فى أوربا العصور الوسطى.

إلا أن أهمية «تاريخ الإسلام» تتكشف عظيمة رائعة فى

تصويره للحياة الفكرية على مدى العصور الإسلامية، فقد أبان لنا تطور الفكر الإسلامى طيلة سبعة قرون بما فيه من كشف عن الحياة الثقافية والتعليمية: وذلك أن معرفة نسبة العلماء إلى بلدان معينة، أو إقامتهم بها أو رحلتهم إليها فى وقت ما تظهر لنا مراكز الثقافة الإسلامية على مدى العصور وانتعاشها واضمحلالها، وبالنظر لكثرة ما يذكر الذهبى من تراجم فى السنة الواحدة فإن قيام إحصائيات بأعداد العلماء المنتسبين إلى مدن معينة أو رحلتهم إليها ضمن هذا النطاق الواسع من الزمان والمكان سوف يقدم خدمة عظيمة فى هذا المضمار.

وصوَّر الكتاب مقاييس الثقافة فى كل فترة من الفترات التى تناولها واتجاهات العلماء الدراسية واهتماماتهم العلمية فى علوم معينة، وطرق التدريس والإملاء والمناظرة والمذاكرة والحلقات العلمية، وأماكن الدراسة فى المساجد والجوامع والبيوت والربط والمدارس المعنية بتدريس مذهب واحد أو مذهبين أو المذاهب الأربعة فى جميع أنحاء العالم الإسلامى.

وعنى الذهبى فى «تاريخ الإسلام» بذكر المرويات الأساسية وبعض الأجزاء والكتب التى عنى المترجمون بروايتها، فقدم لنا بذلك مادة أساسية فى معرفة نوعية الكتب والعلوم التى اهتم بها الطلبة فى عصر من العصور مما يستفاد منها فى التعرف إلى أوجه النشاط الثقافى واتجاهات الثقافة ونوعيتها فى ذلك العصر.

وقد حفظ لنا الذهبى فى «تاريخ الإسلام» عددا هائلا من أسماء مؤلفات المترجمين بحيث لو جمعت وأفردت لكونت كتابا عظيما يضاهى الكتب المعنية بهذا الفن. ولم يكتف الذهبى بذكر الكتب ونسبتها إلى مؤلفيها، بل تكلم على كثير منها وقوَّمها.

وقد شعر بأهميته معاصروه ومن جاء بعدهم وقوَّموه بما يستأهله من المكانة الرفيعة، قال الصلاح الصفدى: «وقف الشيخ كمال الدين ابن الزملكانى ـ رحمه الله ـ على التاريخ الكبير المسمى «تاريخ الإسلام» جزءا بعد جزء إلى أن أنهاه مطالعة وقال: «هذا كتاب علم» (الصفدى: الوافى ٢ / ١٦٣، ونكت / ٢٤١، ٢٤٢، وانظر الزركشى عقود الجمان، الورقة ٢٦١). وذكر حافظ عصره ابن حجر العسقلانى أن الذهبى «أربى فيه على من تقدم» (ابن حجر الدرر ٣ / ٤٢٦).

وقد كان «تاريخ الإسلام» فوق كل الذى قدمنا، أضخم مؤلفات الذهبى التاريخية بل عمدتها وأسها، فمن أجله قام الذهبى باختصار عدد من الكتب التاريخية (انظر مقدمة تاريخ الإسلام ١ / ١٦) ومنه اختصر بعض مؤلفاته مثل «العبر فى خبر من غبر»، و«الدول الإسلامية»، و«الإشارة إلى وفيات الأعيان»، و«الإعلام بوفيات الأعلام»، وعليه عول فى كثير من تآليفه التراجمية مثل «سير أعلام النبلاء» و«تذكرة الحفاظ» و«معرفة القراء الكبار» وغيرها. وبسبب هذا صار تاريخ الإسلام مصدرا عظيما لمعظم المؤرخين الذين جاءوا بعده وتناولوا نطاق كتابه أو بعضه نذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر:

الصفدى (قال فى مقدمة الوافى: «وهو كتاب علم نافع جدا قرأت عليه المغازى التى له وسيرة النبى ـ ﷺ ـ وإلى آخر أيام الحسن ـ رضى الله عنه ـ وحوادثه إلى آخر سنة سبع مئة، ولم أنتفع بشيء مثله، وعليه العمدة فى هذا الكتاب، وهو القطب لهذه الدائرة واللب لهذه الجملة السائرة» ج ١ ص ٥٠ ـ ٥١)، وابن شاكر الكتبى (لاسيما فى كتابه «عيون التواريخ» فقد نقل معظم التراجم من «تاريخ الإسلام» تصريحا انظر نسخة دار الكتب الظاهرية ذات الأرقام ٤٤ ـ ٢٩ تاريخ)، والسبكى (راجع فهرس كتابه «طبقات الشافعية الكبرى» تحقيق صديقينا الأستاذين: عبد الفتاح الحلو ومحمود الطناحى)، والإسنوى. (طبقات الشافعية. انظر فهرس الكتب التى نقل عنها الإسنوى: / ٣٢٠)، وابن كثير (نقل منه كثيرا فى كتابه «البداية والنهاية» وإن لم يشر إليه كثيرا، وقد قرأ ابن كثير الكتاب، ووضع خطه على نسخة المؤلف الموقوفة بالمدرسة المحمودية انظر الورقة ٢٦٤ أيا صوفيا ٣٠٠٩، والورقة ٣١٩ أيا صوفيا ٣٠١٤ وانظر أدناه وصف مجلد أيا صوفيا ٣٠١٤)، وابن رجب (الذيل على طبقات الحنابلة مثلا ج ٢ ص ٢٤١، ٢٤٥، ٢٤٧، ٢٥٠، ٢٥١، ٢٥٢،

٢٦٠ ، ٢٦٤، ٢٧١، ٢٧٦، ٢٨١ ، ٢٨٤، ٢٨٧ ، ٢٩٢، ٢٩٥، ٣١٦، ٣١٧، ٣١٨ ... إلخ) ، والفيـومى (انظر نثر الجمان فى تراجم الأعيان، مثلاج ٢ الورقة ١٠ ، ١٣، ١٨، ٣٢، ٣٦، ٤٥، ٦٤، ٦٨، ٧٣ ... إلخ . دار الكتب ١٧٤٦)، وابن دقماق (انظر كتابه نزهة الأنام، مثلا الورقة ٦٣، ٦٤ ، ٦٨، ٧٣، ٧٨، ٨٣، ٨٧ ... إلخ . دار الكتب ١٧٤٠)، وسبط ابن حجر (لاسيما فى كتابه «رونق الألفاظ بمعجم الحفاظ» وقد جاء فى آخر المجلد الرابع من نسخة المكتبة الأحمدية بحلب بخط سبط ابن حجر: «الحمد لله مررت على هذه المجلدة وعلقت ما فيها من الحفاظ استدراكا على المصنف فى «التذكرة» وفى كتابى «رونق الألفاظ بمعجم الحفاظ» وقد جاءت مثل هذه الملاحظة فى نسخة باريس رقم ١٥٨٢ عربى، كما نجدها فى آخر المجلدات المحفوظة فى مكتبة البودليان بأكسفورد رقم ٢٧٩، ٢٨٦، ٢٤٤ ، ٣٠٥)، والسخاوى (الإعلان . انظر الفهرس فى آخره)، وابن عبد الهادى (معجم الشافعية ، مثلا الورقة ٢٨، ٢٩، ٤٧، ٤٨، ٤٩، ٥٥، ٥٨، ٦٢ ، ٦٣، ٦٨ ، ٦٩، ٨٦ ... إلخ ظاهرية ٤٥٥١ عام) والسيوطى (ذكره من بين مصادره الرئيسية فى كتابه «بغية الوعاة» انظر ج ١ ص ٥) بحيث يصعب أن نجد مؤرخا جاء بعده وكتب فى نطاقه ولم يستفد من كتابه ...

ثم يتحدث الدكتور بشار عواد معروف بعد ذلك عن تدوين الكتاب وعدد مجلداته، وينتقل بعدها إلى الكلام على تنظيم الكتاب فيقول.

لقد أبانت دراستنا الفنية الموسعة للتنظيم الذى اتبعه الذهبى فى كتابه وأساليب عرضه عن وجود ثلاثة سبل متنوعة اتبعها المؤلف لم يفطن إليها أحد من قبلنا وهى :

١ - من سنة ١ - ٤٠ هـ خلط الحوادث والتراجم، وأورد التراجم القليلة التى ذكرها ضمن الحوادث، ولم يكن للتراجم فى هذه الفترة من أثر واضح يميزها عن الحوادث حيث لم نتمكن أن نستشعر أى تنظيم فيها.

٢ - من سنة ٤١ - ٣٠٠ هـ ذكر حوادث كل عشر سنوات بصورة متتالية ثم نظم تراجم المتوفين يقينا والمتوفين على التقريب ضمن هذه السنوات العشر على حروف المعجم مع عدم اعتنائه دائما بذكر تاريخ وفاة كل مترجم داخل السنوات العشر، لعدم وقوفه على طائفة كبيرة منها، ولأنه ذكر طائفة أخرى منهم على وجه التخمين والتقريب.

٣ - من سنة ٣٠١ - ٧٠٠ هـ فصل الحوادث عن الوفيات تماما وجمع فى أغلب الأحيان حوادث كل مجلد فى مكان واحد منه، ثم رتب التراجم حسب السنين، ونظم تراجم كل سنة على حروف المعجم، وذكر المتوفين على التقريب فى نهاية كل عقد (عشر سنوات). وقد تمكنا من الوقوف على العوامل التى جعلته قادرا على نقل التنظيم مثل هذه النقلة وجعله على السنين بدلا من «العقود وتخطى الصعاب الناجمة عنها وهى :

أ - وقوفه على وفيات عدد كبير من المترجمين.

ب - تنظيم عدد غير قليل من المترجمين فى آخر سنة ذكروا فيها بتحديث أو إجازة أو نحوهما ومعاملة هذا الأمر معاملة الوفاة.

جـ - ذكر من وقف على تواريخ وفياتهم وعرف عصرهم فى آخر كل عقد.

وقد توصلت فى هذا البحث إلى أن الذهبى استعمل «الطبقة» فى كتبه المرتبة على الطبقات لتدل على «اللقيا» متابعا فى ذلك الذين سبقوه، بينما استعملها فى كتاب «تاريخ الإسلام» لتدل على وحدة زمنية محددة قدرها عشر سنوات «عقد»، وأنه استخدم هذا المفهوم للطبقة لأسباب تنظيمية صرفة جاءت فى الأغلب من عدم توافر تواريخ وفيات المترجمين بصورة كاملة.

وعلى الرغم من أن الطبقة لم يعد لها من فائدة تنظيمية كبيرة بعد أن نقل تنظيم كتابه إلى الترتيب على السنين فى مطلع القرن الرابع الهجرى فإنه بقى بحاجة إليها فى بعض الأحيان ليذكر فى نهايتها من لم يقف على تاريخ وفاته بصورة دقيقة. وقد توصلت إلى أن تنظيم الذهبى هذا لا علاقة له بأدب الطبقات ومن الأفضل أن يربط بأدب التنظيم على السنين.

وأوضحت أن ازدياد عدد التراجم لم يكن أبدا هو السبب الذى دعا الذهبى إلى اختراع المفهوم الزمنى للطبقة، بل على العكس من ذلك وجدت الذهبى يسعى دائما حينما يتمكن، إلى إيجاد وحدات زمنية أضيق، ولذلك وجدت نفسى على غير اتفاق مع الأستاذ روزنتال حينما يقول: «كثيرا ما شعر الأفراد فى العصور المتأخرة بالحاجة إلى ترتيب إضافى للمادة المطردة فى الازدياد فى وحدات زمنية أوسع» ويدلل على ذلك بتقسيم الذهبى كتابه إلى عقود (علم التاريخ ص ١٢١).

ثم بينت أن الذهبى غير رأيه فى عنوان الكتاب فيما بعد وجعله «تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام» فأبدل لفظ «طبقات» بلفظ «وفيات»، وهو العنوان الصحيح الذى يجب أن يحمله الكتاب.

وقد ظهر لى أن الذهبى فصل فصلا تاما بين الحوادث والوفيات. وبينت بالأدلة عدم وجود أية علاقة تذكر بينهما. بحيث لو جمعنا الحوادث والوفيات كلا على حدة لأصبحت كل مجموعة كتابا مستقلا قائما بذاته لا يؤثر فى طبيعة الكتاب الآخر، وهذا ما فعله كثير من النساخ على مدى العصور. وإن اهتمام الذهبى الرئيسى قد انصب فى كتابه على التراجم، فأصبحت هى أس الكتاب تحتل الحيز الأكبر منه، وهذا فى رأينا يظهر مفهومه الأصلى للتاريخ.

وبينت فى دراستى أن الذهبى اتبع الطريقة الحولية المعروفة فى سرد الحوادث وعرضها. وعلى الرغم من وقوفى على بعد الظواهر التنظيمية فى هذا القسم، فإنه لا يدل على وجود أساليب عرض خاصة به. ولعله قد تابع فى مواضع متعددة من كتابه مناهج كتاب الحوليات الذين اعتمدهم، ولعل هذا أيضا هو الذى يفسر لنا تنوع أساليب العرض عنده بين فترة وأخرى.

أما منهجه فى ذكر التراجم وطبيعتها فقد تمكنت أن أميزه بما يأتى:

١ ــ انتقى المشهورين والأعلام فأوردهم وأهمل المغمورين فأسقطهم.

٢ ــ لم يقتصر على نوع معين من المترجمين جهد طاقته، فأورد المشهورين فى كل ناحية من نواحى الحياة، ولكننا وجدناه، انطلاقا من مفهومه، يؤثر المحدثين على من سواهم فاحتلوا الحيز الأعظم من الكتاب.

٣ ــ اجتهد أن يتميز كتابه بالشمول المكانى باعتباره تاريخا للعالم الإسلامى كافة، إلا أن توافر المعلومات عن منطقة معينة فى وقت ما أو عدم توافرها قد أدى إلى شىء من عدم الشمول والتوازن.

٤ ــ كما اجتهد أن يوازن بين العصور الإسلامية. وقد بينت لنا هذه الدراسة أنه نجح فى ذلك النجاح كله.

٥ ــ بذل جهودًا كبيرة فى محاولة السيطرة على المادة الضخمة التى تحصلت لديه، واجتهد أن يقدم ترجمة متكاملة ومختصرة فى آن واحد. خوفًا من تضخم الكتاب، واستطاع فى كثير من الأحيان أن يتخلص من المادة الكثيرة المتوافرة لديه عن إعلام المترجمين بإحالة القارئ إليها من غير أن يضطر إلى نقلها فى كتابه، ونجح فى ذلك إلى حد بعيد.

٦ ــ راعى فى تطويل التراجم وتقصيرها فى أكثر الأحايين، وليس فى جميعها، شهرة المترجم بين أهل علمه أو فنه أو الذين هم من بابه ولاسيما فى العلوم والفنون التى استطاع أن يهضمها أو يطلع عليها من غير نظر إلى اختلافه معه فى الدين أو المذاهب أو العقيدة أو الرأى. وعليه فقد توصلنا إلى أن تطويل التراجم وتقصيرها لم يكن دائمًا نتيجة لتعصبه، وأنه حاول الموازنة بين التراجم ما استطاع إلى ذلك سبيلا. . .

ولما كنا قد خبرنا الكتاب ودرسناه دراسة مفصلة فى كتابنا: «الذهبى ومنهجه فى كتابه تاريخ الإسلام» (ساعدت جامعة بغداد على نشره، وطبع بمطبعة عيسى البابى الحلبى وشركاه بالقاهرة سنة ١٩٧٦) فقد وجدنا أن أروع ما فى هذا التاريخ وأكثره أصالة هو ذلك القسم الذى أرخ فيه المؤلف للقرن السابع الهجرى (٦٠١ــ٧٠٠). وتناول فيه الحوادث الرئيسية من تاريخ الأمة وتراجم علمائها من المحدثين والمفسرين والفقهاء والقضاء والزهاد والمتصوفة والفلاسفة والأطباء والأدباء والشعراء والنحاة واللغويين والمتكلمين

والملوك والأمراء والوزراء والقواد وغيرهم من المشاهير والأعلام. ووجدنا أن مما يُعْلى قيمة هذا القسم من الكتاب ويُغْليها أن المؤلف كان شَاهِدَ عَيانٍ عاصر قسمًا من أحداثه أو أخذ عن شيوخه وأساتيذه، وإن المترجمين فيه معظمهم من شيوخ شيوخه أو شيوخه، فكان على صلة وثيقة بهم، لذلك جاءت كتاباته عنهم في غاية الدقة والإتقان والضبط، بحيث صار لا يدانيه أى كتاب فى بابه.

إن كل قسم من «تاريخ الإسلام» للذهبى يكوّن وحدة تاريخية قائمة بذاتها، وإن نشر أى قسم منه لا علاقة له بالأقسام الأخرى، لاسيما بعد أن رتب الذهبى كتابه حسب السنين منذ سنة ٣٠١هـ

ثم ينتقل الدكتور بشار عواد معروف بعد ذلك إلى الكلام على أصول الكتاب الخطية (أى المخطوطات) فيقول:

استغرق القرن السابع الهجرى المجلدات الأخيرة من «تاريخ الإسلام»، وهى المجلدات: الثامن عشر، والتاسع عشر، والعشرون، والحادى والعشرون. وفى خزانة كتبى مصورات لها عن نسخة المؤلف التى بخطه والمحفوظة فى مكتبة أيا صوفيا باستانبول برقم ٣٠١١، ٣٠١٢، ٣٠١٣، ٣٠١٤ على التوالى وإليك صفتها:

١ـ مجلد مكتبة أياصوفيا رقم ٣٠١١ (حوادث ووفيات ٦٠١ـ ٦٢٠هـ):

وهو المجلد الثامن عشر من نسخة المؤلف التى بخطه والموقوفة على المدرسة المحمودية بالقاهرة، وعليها خط الصفدى بسماع الحوادث التى تضمنها هذا المجلد ويقع فى (٢٥١) ورقة. وجاء فى طرة المجلد بخط الذهبى: «المجلد الثامن عشر من كتاب تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام تصنيف محمد بن أحمد بن عثمان بن الذهبى ـ عفا الله تعالى عنه» ثم بخطه أيضًا إجازة لبعض الفضلاء برواية كتابه هذا ومن بينهم حفيده وسبطه. وفى أعلى الطرة من الجهة اليمنى خط السخاوى بالإفادة من هذا المجلد فى كتابه «طبقات المالكية» ونصه: «طالعته على طبقاتى للمالكية، كتبه محمد بن السخاوى ـ غفر الله له». كما نجد فى آخر الوفيات خط السخاوى بالانتهاء من ترتيب الكتاب. وخط كل من: البدر البشتكى ويوسف بن يحيى بن محمد الكرمانى. بنسخه. (توفى بدر الدين محمد بن إبراهيم بن محمد البشتكى سنة ٨٣٠هـ (السخاوى: الضوء اللامع ٦/ ٢٧٧ ـ٢٧٩). وذكر السخاوى فى الإعلان (ص٥٩٨) أن النسخة التى كتبها بدر الدين البشتكى كانت موجودة فى إيامه بالمدرسة الباسطية. قال بشار: وقد نقل ما بقى منها إلى دار الكتب المصرية حيث نجد بعض المجلدات المحفوظة فى هذا الدار بخطه. وأخطأ الأستاذ الفاضل الدكتور فرانتس روزنتال حينما ذكر أن نسخة البشتكى كانت تتكون من اثنين وعشرين مجلدًا (راجع تعليقه على الإعلان، ص ٥٩٧ هامش رقم ٥٠) فقد ذكر البشتكى بخطه فى آخر وفيات الطبقة السبعين من تاريخ الإسلام من نسختنا هذه بأنه علق نسخة منه فى واحد وعشرين مجلدًا. وقد تبين لنا أن بعض المخطوطات المحفوظة فى المكتبة الأحمدية بحلب والمكتبة الوطنية بباريس ومكتبة البودليان بأكسفورد قد نسخت عن نسخة البشتكى)

يبدأ المجلد بوفيات الطبقة الحادية والستين (٦٠١ ـ ٦١٠هـ) مرتبة كالعادة على السنين (الورقة ٢ ـ ٨٩)، وتنتهى الوفيات بآخر المتوفين من الطبقة الثانية والستين حيث قال: «وقد انقضى ما انتهى إلى علمه من وفيات هؤلاء الذين انتقلوا إلى الله فى هذه العشرين سنة فلنشرع فيما وقع الاختيار عليه من حوادث هذه العشرين سنة ـ إن شاء الله ـ والحمد لله على كل حال (الورقة ٢١٧)»، ثم ذكر الحوادث الواقعة فى تلك السنوات، وبانتهائها ينتهى المجلد.

٢ـ مجلد مكتبة أيا صوفيا رقم ٣٠١٢ (وفيات ٦٢١ ـ٦٤٠هـ، وحوادث ٦٢١ ـ٦٥٠هـ):

بخط المؤلف، وهو المجلد التاسع عشر من نسخته الموقوفة على المدرسة المحمودية بالقاهرة، وعليه خط الصفدى بسماع الحوادث، وخط السخاوى بالإفادة منه فى كتابه عن تراجم المالكية والفراغ من تجريد تراجمه. ويقع فى (٢٧٠) ورقة. وقد جاء فى طرته بخط الذهبى: «المجلد

التاسع عشر من كتاب تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام تأليف محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز مولى بني تميم».

ابتدأ هذا المجلد بأول وفيات الطبقة الثالثة والستين (٦٢١ ـ٦٣٠هـ). ثم انتهى منها (الورقة ١٠٤)، وتناول وفيات الطبقة الرابعة والستين (٦٣١-٦٤٠هـ) (الورقة ١٠٥-٢٢٧) ثم تناول الحوادث الواقعة في السنوات ٦٢١ - ٦٥٠هـ متتالية (الورقة ٢٢٧-٢٧٠)

٣ـ مجلد مكتبة أيا صوفيا رقم ٣٠١٣ (وفيات ٦٤١ ـ٦٧٠هـ) وحوادث ٦٥١-٦٧٠هـ):

بخط المؤلف، وهو المجلد العشرون. وقد خط المؤلف عنوانه بخط جميل. ووجدنا على طرة هذا المجلد ما وجدناه على طرة المجلد السابق مثل خطي الصفدي والسخاوي، وصورة وقفية النسخة على المدرسة المحمودية بالقاهرة.

يقع هذا المجلد في (٣٠٨) أوراق، وقد ابتدأه بوفيات سنة ٦٤١هـ من الطبقة الخامسة والستين واستمر إلى آخر وفيات سنة ٦٧٠ هـ من الطبقة السابعة والستين، ثم تناول الحوادث الواقعة في السنوات ٦٥١ -٦٧٠هـ، وقد لاحظنا أنه ذكر حوادث السنوات ٦٤١ ـ ٦٥٠هـ في المجلد السابق، وهي من حوادث هذا المجلد.

٤ـ مجلد مكتبة أيا صوفيا رقم ٣٠١٤ (حوادث ووفيات ٦٧١ ـ ٧٠٠هـ):

بخط المؤلف، وهو المجلد الحادي والعشرون والأخير من نسخة المؤلف الموقوفة على المدرسة المحمودية بالقاهرة. وكان هذا المجلد في الأصل المجلد التاسع عشر قبل أن يعيد الذهبي تنظيم كتابه. وقد جاء في طرته «المجلد الحادي والعشرين، من كتاب تاريخ الإسلام وطبقات المشاهير والأعلام تأليف العبد الفقير إلى الله محمد بن أحمد ابن عثمان بن الذهبي». وجاء أسفل ذلك بخطه: «ثم إنني زدت جملة كثيرة من أرباب المئة الثانية فآل الحال إلى أن هذا المجلد صار في العدد: المجلد الحادي والعشرين». ثم نجد أعلى الطرة من الجهة اليمنى خط السخاوي بالإفادة منه في كتابه عن المالكية. ونجد ـ أيضًا ـ خط الصفدي بسماع هذا المجلد وجميع ما سمعه من تاريخ الإسلام على مؤلفه، وقد جاء فيه: «قرأت حوادث السنين من هذا المجلد وهي أول سنة إحدى وسبعين وست مئة إلى آخر سنة سبع مئة على مؤلفه، وكاتبه الشيخ الإمام الحافظ العلامة شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي. وكذلك قرأت عليه من أول الترجمة النبوية إلى آخر أيام الحسن بن علي ـ رضي الله عنهما ـ ثم قرأت الحوادث من هذا التاريخ سنة فسنة حتى أكملت الجميع. وسمع ذلك أجمع فتاي طيدمر بن عبد الله الرومي، وفاته من ذلك شيء يسير مذكور في بعض المجلدات من هذا التاريخ. وأجازنا الشيخ رواية هذا الكتاب وروايةما يجوز له تسميعه في مدة آخرها خامس عشرين شعبان سنة خمس وثلاثين وست مئة. وكتب خليل بن أيبك ابن عبد الله الصفدي حامدًا ومصليا»، ثم وضع الذهبي خطه أسفل ذلك للإعلام بصحة ذلك. وجاء في آخر وفيات الطبقة السبعين: «وهذا آخر الطبقة السبعين وهنا نقف ونحمد الله عودا على بدء ونسأله أن يصلي على محمد وآله ويسلم». ثم نجد في هذه الورقة خطوط جماعة من العلماء منها خط الصفدي بالإفادة من التراجم وهو: «فرغ منه اختيارا من أوله إلى آخره في مدة كان آخرها رابع عشرين شهر المحرم سنة أربعين وسبع مئة خليل بن أيبك بن عبد الله الشافعي الصفدي حامدا الله ومصليًا على نبيه محمد ومسلما، اللهم أحسن العاقبة» ومنها خط بدر الدين البشتكي بتعليق نسخة من الكتاب ونصه: «علّق منه نسخة في إحدى وعشرين مجلدة الفقير إلى الله محمد بن إبراهيم البشتكي ـ لطف الله به». وتحت خط البشتكي خط السخاوي بالفراغ من ترتيبه. وفي أسفل الورقة خط يوسف بن يحيى الكرماني بمطالعة الكتاب سنة ٨٦٨هـ. وفي الجهة اليسرى خط العلامة المؤرخ عماد الدين بن كثير الدمشقي ونصه: «أنهاه مطالعة من أوله إلى هذا المجلد وعلق منه داعيا لمؤلفه شيخنا الإمام العلامة الحافظ مؤرخ الإسلام أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن الذهبي أثابه الله وجزاه خيرا ـ وكتب إسماعيل بن عمر بن كثير الشافعي ـ عفا الله الكريم عنه بمنه آمين».

ونصّ الذهبي في آخر هذا المجلد على انتهاء الكتاب وتاريخه، فقال: «هذا آخر ما قضى الله لي تأليفه من كتاب تاريخ الإسلام والحمد لله على الإتمام والصلاة على نبينا محمد وآله والسلام. وفرغت منه في جمادى الآخرة سنة أربع عشرة وسبع مئة. قاله محمد بن أحمد بن عثمان».

ويقع هذا المجلد (٣٤٥) ورقة. وقد تناول فيه الحوادث والوفيات للفترة من سنة ٦٧١هـ إلى سنة ٧٠٠هـ وهي الطبقات من الثامنة والستين إلى السبعين. وكان يذكر وفيات الطبقة حسب السنين ثم يذكر حوادثها بعد ذلك.

ونسخة المؤلف هذه مليئة بالزيادات والإضافات التي كتبها الذهبي بخطه على حواشيها، وفي الوريقات الطيارة (الجزازات) الكثيرة التي وضعها بين الأوراق؛ ذلك أنه بقي يدقق في الكتاب ويضيف إليه منذ انتهائه منه سنة ٧١٤هـ وإلى أخريات سني حياته، وهي فترة طويلة. وقد أدى ذلك إلى صعوبة جمة في قراءة النسخة، ولولا مامنّه الله علينا ببعض المعرفة بالتراجم وحفظها وكثرة معاناتنا لها وإدماننا عليها لما استطعنا ضبط النص بهذا الشكل الذي هو عليه.

ومع كل ذلك فقد رجعت إلى النسخ الأخرى التي نسخت عن هذه النسخة على مدى العصور، وقد تحصل لي - بحمد الله منه - مصورات لمعظم النسخ المعروفة من «تاريخ الإسلام» في العالم، فضلاً عن مختصراته، بحيث تجمّع عندي أكثر من مئة مجلدة مخطوطة منه. وقد أفدت منها في قراءة بعض الكلمات، لاسيما تلك التي أجحف بها التصوير. ومن المعروف أنه إذا تحصلت لدى المحقق نسخة بخط المؤلف لم تعد به حاجة إلى أية نسخة أخرى، وهو من بدائه أصول تحقيق النصوص ونشرها (تاريخ الإسلام ١٨/ ٩-١٥، ١٩-٢٣، ٢٨-٣٥).

قالت المؤلفة: يوجد مخطوط كتاب «تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام» في مكتبة المتحف العراقي وجاء بيانه كما يلي:

الرقم ١٠٩٦

يعد من أوسع الكتب التاريخيه قيل إنه يقع في ٢١ مجلدا، رتبه المؤلف حسب السنين مبتدئًا بالسنة الأولى الهجرية إلى آخر سنة ٧٠٠هـ، وقسّم كتابه إلى سبعين طبقة، جعل كل طبقة عشر سنوات، ورتب الأسماء الواردة في كل طبقة على حروف الهجاء، وجمع في كتابه هذا بين الحوليات والوفيات، وقد أعطى أهمية للوفيات والتراجم زادت على أهمية الحوادث.

نسخة جيده تتضمن الجزء الأول من الكتاب ناقصة ورقة واحدة من الأول تبدأ بالسنة الأولى للهجرة إلى سنة أربعين هجرية في ذكر مقتل الإمام علي بن أبي طالب والمتوفين في خلافته. كتب هذه النسخة إبراهيم بن عبد الغني الدروبي البغدادي سنة ١٣٣٢هـ / ١٩١٣م عن نسخة المدرسة المرجانية المنقولة أصلاً عن نسخة المؤلف، كتبت بالمدادين الأسود والأحمر، وقد خرجت الأسماء والحوادث على حاشية الكتاب وكتبت بالمداد الأحمر، وقد طبع أكثر من مرة.

القياس ٧١١ص ٢٠,٥×٢٧,٥سم ٢٣س

معجم المؤلفين ٨/ ٢٨٩. هدية العارفين ٢/ ١٥٤، فهرس دار الكتب ٥/ ٤٥

- نسخة أخرى

كتبها إبراهيم بن عبد الغني الدروبي نقلاً عن نسخة المدرسة المرجانية سنة ١٣٣١هـ/ ١٩١٢م. يتضمن هذا المجلد حوادث السنوات من ٣٠١-٤٩٩ هـ/ ٩١٣-١١٠٥م قوبلت على نسخة الأصل.

الرقم ١٦٥٨

القياس ٣٨٨ص ٢٠,٥×٢٨,٥ سم ٢٣س

نسخة أخرى

تتضمن مجلدًا من الكتاب يبدأ من سنة ٤٥٢-٥٠٠هـ/ ١٠٦٠-١١٠٦م. جيدة الخط ترقى للقرن التاسع الهجري الخامس عشر الميلادي.

الرقم ٦٢٨٨

القياس ٤٦٢ص ١٨×٢٨ سم ٢٩س

(مخطوطات التاريخ والتراجم والسير/ ٧٧-٧٩)

وثمت بحث قيم آخر هو دراسة تحليلية بعنوان «الإمام الذهبى: ترجمة وبعض آرائه وأساليبه التربوية»، وهو بحث مستفيض نكتفى بإيراد ما جاء فى مقدمته، ويمكنك الرجوع إلى المصدر إن شئت:

اهتمامات الذهبى التربوية:

الإمام الذهبى من كبار المؤرخين، ومن أئمة علماء الحديث. وقد كانوا يتبعون فى التربية والتعليم أساليب طلب العلم السائدة آنذاك، وقوامها الاعتماد على الكتاب، وعلى القراءة والسماع، وعلى المحاضرة والإلقاء، والتأليف والتصنيف..

أما الآراء التربوية فقد كانت نادرة عند الإمام الذهبى، لأن أسلوبه فى التأليف يقوم على الجمع والاختصار، أو الانتقاء والتصنيف، أو النقد والتجريح والتعديل، أو الحفظ والنقل، لذلك يجد الباحث بعض آرائه التربوية فى بعض العناوين أو معانى الآيات أو الأحاديث. ولكن من فضل الله وتيسيره أن وفق الإمام الذهبى إلى نقد الأوضاع التربوية فى عصره، فى كتيب صغير سماه «بيان زغل العلم والطلب»، كما أنه أورد بعض آرائه التربوية فى كتابه «الكبائر». ومعظمها يأتى فى عداد المبادىء والأسس التربوية، أو بعض الوظائف التربوية، أو أهداف تدريس بعض العلوم الإسلامية، أو أحد الأساليب التربوية.

وقد صنفناها على النحو التالى:

أولا: أهم المبادئ التربوية عند الإمام الذهبى:

١- وجوب التعليم.

٢- الإخلاص فى طلب العلم

٣- العلم بالعلم.

ثانيا: أهم الوظائف التربوية عنده مثل:

١- تربية العواطف الربانية.

٢- تربية الأمانة العلمية والحياد.

٣- تربية الدقة والضبط.

٤- وظيفة الانتقاء والتلخيص والتبسط.

٥- وظيفة التصفية والتنقيح والتقويم.

٦- تكوين قدرات يملك بها المتعلم ناصية العلم.

٧- وظيفة حفظ التراث ونقله إلى الأجيال.

ثالثا: أما الأساليب التربوية فلم نعالج منها إلا أسلوبا واحدًا وهو:

١- التربية بالموعظة.

وفيما يأتى نوردها بشىء من التفصيل:

أولا أهم المبادئ التربوية عند الإمام الذهبى.

١- مبدأ وجوب التعليم:

اعتبر الإمام الذهبى كتمان العلم كبيرة من الكبائر، لما ثبت من الأدلة على ذلك، وقد ضمن ذلك فى عنوان «الكبيرة الثامنة والثلاثين» «التعليم للدنيا وكتمان العلم» ودلل على ذلك بقوله تعالى:

﴿إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس فى الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون﴾ [البقرة ١٥٩].

وقوله سبحانه: ﴿وإذا أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه فنبذوه وراء ظهورهم، واشتروا به ثمنًا قليلا...﴾ [آل عمران: ١٨٧].

ثم نقل عن مفسرى السلف أسباب نزول هذه الآيات وفيمن نزلت من اليهود، ولكن العبرة بعموم معنى الآيتين، لا بخصوص السبب، لذلك أوردهما دليلا عن أن كتمان العلم كبيرة، وأتبعها بحديث صحيح هو:

«من سئل عن علم فكتمه، ألجم يوم القيامة بلجام من نار»، فدل ذلك على تعميم هذا المبدأ، لأن تحريم كتمان العلم يعنى وجوب التعليم على كل من يستطيع أن يعلم المسلمين ما هو ضرورى لهم، إذا سئل أن يعلمهم، ولا يكون ترك تكليف من التكاليف كبيرة من الكبائر، إلا إذا كان عمله واجبا بل فرضًا.

٢- مبدأ إخلاص النية لإرضاء الله فى طلب العلم:

وهذا المبدأ متضمن أيضا في الكبيرة الثامنة والثلاثين «التعلم للدنيا وكتمان العلم» فقد اعتبر الإمام الذهبي «التعلم للدنيا» من كبائر الذنوب ودليله على ذلك قوله ﷺ «من تعلم علمًا مما يبتغي به وجه الله، لا يتعلمه إلا ليصيب به عرضا من الدنيا لم يجد عرف الجنة» يعني ريحها، رواه أبو داود.

وقد ضمن معنى هذا المبدأ في الكبيرة السابعة والثلاثين: «الرياء» وأورد فيها المصنف حديثا رواه مسلم، وفيه «إن أول الناس يقضى عليه يوم القيامة رجل استُشهد.. ورجل تعلم العلم وعلمه وقرأ القرآن فأتى به فعرَّفه نعمه فعرفها. قال: فما عملت فيها؟ قال: تعلمت العلم وعلّمته وقرأت القرآن فيك. قال: كذبت، ولكنك تعلمت ليقال: هو عالم. وقرأت ليقال: هو قارئ، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار». وقد طبق المصنف هذا الحديث على بعض طلبة الفقه في عصره فقال: «.. وإن كانت همتك في طلب الفقه الجدال والمراء والانتصار لمذهبك على كل حال، وتحصيل المدارس والعلوم، فليس هذا فقها أخرويا، بل هذا فقه دنيوي، فما أظنك تقول غدا بين يدي الله تعالى: تعلمت العلم لوجهك وعلمته فيك. فاحذر أن تغلط وتقولها فيقال لك: كذبت إنما تعلمت ليقال عالم وقد قيل، ثم يؤمر بك مسحوبا إلى النار، كما رواه مسلم في الصحيح» كما أشار إليه عند الكلام على بعض طلبة أصول الفقه: حيث قال: «وإن كان يقرؤه لتحصيل الوظائف، وليقال... فهذا من الوبال» قلت: ووجه الاستدلال في الحديثين واضح فهو صريح في الحديث الأول في قوله ﷺ «من تعلم علما مما يبتغي به وجه الله» ومن هذا استنبطنا عنوان هذا المبدأ. وأما في الحديث الثاني بالمفهوم (وهو عكس المنطوق): فإذا كان الرياء وطلب السمعة بالعلم كبيرة من الكبائر فالإخلاص فيه من أوجب الواجبات وبدونه لا ينجو العبد من عذاب النار، كما أشار إلى ذلك الإمام الذهبي رحمه الله.

٣ـ مبدأ العمل بالعلم:

وقد أورد الذهبي ما يدل على هذا المبدأ في الكبيرة الثامنة والثلاثين حيث قال: «وقال ﷺ: من تعلم علما لم يعمل به لم يزده العلم إلا كبرا». وعن أبي أمامة رضي الله عنه قال: «قال رسول الله ﷺ يجاء بالعالم السوء يوم القيامة فيقذف في النار فيدور بقصبه كما يدور الحمار بالرحا فيقال له بم لقيت هذا، وإنما اهتدينا بك فيقول: كنت أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه. وقال في نقد الفقهاء: والخير من مثلهم إن سلموا من التحيل والحيل على الربا وإبطال الزكاة، ونقر الصلاة، والعمل بالمسائل التي يسمعون النصوص بخلافها..» وهذا يعني وجوب العمل بالنصوص وعدم مخالفتها.

ثانيا: أهم الوظائف التربوية للعلم والعلماء:

كان الإمام الذهبي قد تولى التدريس في مدرسة أم الصالح من كبريات مدارس دمشق، ثم خلف ابن تيمية في دار الحديث السكرية، وخلف ابن جهبل في مشيخة دار الحديث الظاهرية، وخلف البرزالي سنة ٧٣٩ في مشيخة (النفيسية) وإمامتها، وولي تدريس (التنكزية). وكانت هذه المدارس، جملة وتفصيلا، تقوم بتحقيق وظائف تربوية هامة، انطبعت بطابع شيخها والقائم عليها شمس الدين الذهبي، واتجهت مع اتجاهه التربوي الإسلامي، والمتأثر بأسلوب المحدثين وعلماء الحديث، وكانت كتبه عليها بالدرجة الأولى مدار التعليم في هذه المدارس، لما يحققه أسلوبه في بعض هذه الكتب من الوظائف التربوية، شأنها في ذلك شأن أمهات كتب الحديث ونقد الرجال على العموم. ككتابه «ميزان الاعتدال». وها هي ذي أهم هذه الوظائف، استنبطنا بعضها من أقواله وبعضها من أسلوبه العلمي في نقد الرجال، أو ضبط أسمائهم.

١ـ تربية العواطف الربانية بالعلم، كالخوف من الله والخشوع له...:

يرى الإمام الذهبي أن العالم لا يكون عالما، إلا إذا حقق له العلم هذه الوظيفة، وفي هذا يقول في كتابه «الكبائر»:

قال الله تعالى: ﴿إنما يخشى الله من عباده العلماء﴾ [فاطر: ٢٨] يعني العلماء بالله عز وجل، قال ابن عباس: يريد: إنما يخافني مِنْ خلقي مَنْ علم جبروتي وعزتي وسلطاني، وقال مجاهد والشعبي: «العالم من خاف الله

تعالى» وقال الربيع بن أنس: (من لم يخش الله فليس بعالم).

ويرى الذهبي أيضًا ضرورة تحقيق تقوى الله والخشوع له في مختلف العلوم التي يطلبها طالب العلم، ففي صنعة الإنشاء يقول: «وليكن رأس مال المنشئ تقوى الله ومراقبته» ويقول في القراء منتقدًا خلو قراءتهم من تحقيق هذه الوظيفة التربوية فالقُرَّاء المجودة فيهم تنطع وتحرير زائد، يؤدي إلى أن المجود يبقى مصروف الهمة إلى مراعاة الحروف وتجويدها، بحيث يشغله ذلك عن تدبر معاني كتاب الله تعالى، ويصرفه عن الخشوع في التلاوة».

وقال في مدح بعض القراء «فقد رأيت منهم من يقرأ صحيحا ويطرب ويبكي» والبكاء نتيجة عاطفة صادقة.

٢- الوظيفة الثانية: تربية الأمانة العلمية وتحري الصحة وكشف الزيف من الأخبار:

يقوم منهج التفكير الإسلامي على استنباط المعرفة والعلم والأحكام من مصادرها، وأهم هذه المصادر القرآن والسنة. لذلك كانت أول خطوة في هذا المنهج التثبت من صحة الأحاديث، وصحة نقلها من جيل إلى جيل، بأمانة ودقة ودون تغيير أو تحريف. وقد أشار الذهبي إلى هذه الوظيفة بقوله: «وأي خير في حديث مخلوط صحيحه بواهيه وأنت لا تفليه ولا تبحث عن ناقليه؟» وألف كتبا متعددة تخدم هذا الغرض من أهمها «ميزان الاعتدال في نقد الرجال»، نقل فيه كل ما انتقاه من آراء العلماء في نقد رواة الحديث وقال مبينا منهجه في هذا الكتاب:

«وقد احتوى كتابي هذا على ذكر الكذابين الوضَّاعين المتعمدين قاتلهم الله، وعلى الكاذبين في أنهم سمعوا ولم يسمعوا، ثم على المتهمين بالوضع أو التزوير، ثم على الكذابين في لهجتهم لا في الحديث النبوي. ثم على المتروكين الذين كثر خطؤهم وترك حديثهم، ثم على الحفاظ الذين في دينهم رقة، وفي عدالتهم وهن، ثم على المحدثين الضعفاء من قِبل حفظهم فلهم غلط وأوهام.. ثم على المحدثين الصادقين أو الشيوخ المستورين الذين فيهم لين ولم يبلغوا رتبة الأثبات المتقنين..

ثم على الثقات الأثبات الذين فيهم بدعة.. ثم البدعة صغرى وكبرى: روى عاصم الأحول عن ابن سيرين قال: لم يكونوا يسألون عن الإسناد، حتى وقعت الفتنة، فلما وقعت نظروا من كان من أهل السنة أخذوا حديثه، ومن كان من أهل البدعة تركوا حديثه.

ثم بيَّن الذهبي البدعة الكبرى التي يترك حديث مرتكبها ولا يوثق به فقال: «.. ثم بدعة كبرى كالرفض الكامل والغلو فيه والحط على أبي بكر وعمر رضي الله عنهما والدعاء إلى ذلك، فهذا النوع لا يحتج بهم، ولا كرامة لهم.. وأيضا فما استحضر الآن في الضرب رجلا صارما ولا مأمونا، بل الكذب شعارهم، والتقية والنفاق دثارهم، فكيف يقبل نقل من هذا حاله؟ حاشا وكلاًّ!».

وهكذا يقتبس طلاب العلم الذين كان شيخهم الإمام الذهبي مقاييس الدقة والأمانة العلمية، ويمكن استنباطها من كتابه هذا على النحو التالي:

١- الصدق وتحري الموافقة لحقيقة الأخبار والأحاديث كما قيلت وكما وقعت.

٢- الحفظ الجيد الخالي من الغلط والأوهام.

٣- الأمانة والحياد وعدم التحيز إلى بدعة في الرأي والعقيدة تحيزا يحمل الراوي على التحريف أو الاختلاق ووضع الأحاديث لتأييد انحرافه وبدعته.

٤- مقارنة أحاديثه التي رواها بنظيرها مما رواه أكابر الثقات في معناها، وهذا يكشف سوء حفظه، أو تحريفه، أو تخليطه أو وهمه.

٥- مقارنه الأخبار والأحاديث بكليات الشريعة ومسلمات العقيدة، فإن خالفتها، لم يكن من المعقول نسبتها إلى الرسول ﷺ.

وقد جرت عادة الذهبي أن يذكر بعض هذه الأحاديث المنكرة مع ترجمة هؤلاء الضعفاء أو المتحيزين، ليعرض للباحث نموذجا من منكرات الأحاديث التي يروونها مثل قوله في ترجمة بكر بن معاذ العبدي:

«وله عن ابن لهيعة، عن مشرح، عن عقبة - رفعه -: «إن الله يباهى الملائكة عشية عرفة بعمر» وهذا منكر جدا».

وضوابط الصحة والأمانة العلمية عنده أكثر مما ذكرنا ولكننا دللنا بما ذكرنا على ما لم نذكر خشية الإطالة والخروج على ما رسم لهذه الدراسة الموجزة.

٣- تربية الدقة والضبط والإتقان:

عنى بعض العلماء بضبط ألفاظ الحديث النبوى وشكلها، وكذلك عنى أكثرهم بضبط أسماء الرواة، وخاصة الذين تتشابه أسماؤهم، فيؤدى الخطأ فيها إلى تحريفها أو تغييرها، فيلتبس الاسم على الباحث.

وقد عنى الإمام الذهبى بهذا عناية تامة، وألف كتابا لهذا الغرض سماه: «المشتبه فى الرجال: أسمائهم وأنسابهم» قال فى مقدمته «هذا كتاب مبارك، جم الفائدة، فى معرفة ما يشتبه ويتصحف من الأسماء والأنساب. والكنى والألقاب، مما اتفق وضعا واختلف نطقا. ويأتى غالبه فى الأسانيد والمرويات، اخترته، وقربت لفظه، بالغت فى اختصاره.. «ولما كانت الحروف العربية المتشابهة التى تسبب التصحيف يتميز بعضها عن بعض بالتنقيط، وكانت الألفاظ المتشابهة تتميز بالحركات، كان إثبات النقط والحركات هو المميز.. ولكن النساخ يغلطون فى إثبات النقط والحركات، ونظرا لأهمية التمييز وخوف الغلط، ضبط علماء الحديث هذا الأمر بإثبات أسماء الحروف وصفاتها بحسب عدد نقطها، بإثبات أسماء الحركات. فإذا التبس لفظ «هُمَام» بلفظ «هَمَّام» مثلا قالوا: «بالميم المشددة قبلها مفتوحة»، وهذا ما سماه الذهبى «ضبط القلم» أى ضبط الحركات بكتابة أسمائها بالقلم حيث قال:

«واعلم أن العمدة فى مختصرى هذا على ضبط القلم، إلا فيما يصعب ويشكل فيقيد ويشكل» أى بالإضافة إلى ضبط القلم توضع فوقه الحركات إزالة الصعوبة والإشكال.

والمران على هذا التمييز يحتاج إلى وقت وتعلُّم، ولكنه يربى الدقة فى التمييز بين المتشابهات، واستعمال اليقظة والانتباه والفكر فى كل ما يقرؤه طالب العلم، ويعوِّده الإتقان والعناية بكل ما يكتب، كما يربى فكره على الوضوح واستبعاد اللبس والغموض.

٤- وظيفة الانتقاء والتلخيص والتبسيط:

جميع المدارس وكل المعلمين يحققون هذه الوظيفة، لأنه لا يمكن التعليم إلا بها، والتربية الحديثة، كذلك، تعتبر هذه الوظيفة من أهم وظائف المدرسة.

ونظرا لوفرة الكتب، وغزارة التراث الفكرى الإسلامى وضخامته فى عصر الذهبى، فقد انتشر أسلوب التلخيص والانتقاء، وتقريب هذا التراث إلى الأفهام، وكان الإمام الذهبى الذى آلت إليه مشيخة عدد من مدارس العلم فى دمشق، من أشد العلماء عناية بهذا، صرح به فى مقدمة عدد من كتبه. من ذلك على سبيل المثال ما قاله فى مقدمة كتابه «المشتبه فى الرجال: أسمائهم وأنسابهم»:

١- «وقرَّبتُ لفظه» وهذا يعنى التبسيط والتقريب إلى الأفهام.

٢- «وبالغت فى اختصاره» وهذا يعبر عن وظيفة التلخيص على الانتقاء، لذلك يقول: «بعد أن كنت علقت فى ذلك كلام الحافظ عبد الغنى بن سعيد الأزدى فى (المشتبه والمختلف) وكلام الأمير الحافظ أبى نصر بن ماكولا، وكلام الحافظ أبى بكر بن نقطة، وكلام شيخنا أبى العلاء الفرضى وغيرهم، وأضفت إلى ذلك ما وقع لى».

ويصرح الإمام الذهبى بضرورة رجوع طالب علم الحديث، إلى عدد من المختصرات ودراستها إذ يقول: «ولا أقل من مختصر كـ«الإلمام» ودرسه بعد أن ذكر عددا من المختصرات والملخصات مثل قوله «فطالب الحديث اليوم ينبغى له أن ينسخ أولا «الجمع بين الصحيحين» و «أحكام عبد الحق» و «الضياء» ويدمن النظر فيهم...».

وللإمام الذهبى مختصرات كثيرة تدل على مساهمته الكبرى فى تحقيق هذه الوظيفة التربوية لينتفع بها طلاب العلم ومنها مختصرات تاريخية، مثل.

مختصر تاريخ بغداد للخطيب البغدادى

مختصر تاريخ السمعانى.

مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر.

مختصر تاريخ نيسابور للحاكم.

مختصر تاريخ الإسلام (سير أعلام النبلاء)، وتاريخ الإسلام هذا له أيضا فقد ألفه ثم اختصره.

ومنها مختصرات فى علم الحديث مثل:

مختصر سنن البيهقى.

ومختصر فى الفقه والحديث معا مثل.

مختصر المحلى لابن حزم.

ومختصر فى العقيدة والذود عنها مثل:

مختصر الرد على الرافضة لابن تيمية.

ومختصر البعث للبيهقى.

ومختصر القدر البيهقى.

٥- وظيفة حفظ التراث ونقله:

قام الذهبى بهذه الوظيفة خير قيام ونقل التراث إلى الأجيال وشهد له كل من حقق بعض كتبه فقد قدم لهذه المختصرات محققًا كتاب «الكاشف فى معرفة من له رواية فى الكتب الستة» (ص ٤٠-٤٢) بقولهما:

«وله مختصرات متنوعة متعددة تدل على مدى ما كان عليه من جد وحرص فى محاولة جمع أكبر عدد ممكن من التراث، وتيسير الاطلاع عليه وإبداء الرأى فيه» وكل من حقق له كتابا من أمهات كتبه شهد له بالجمع من مصادر كثيرة وبسعة الاطلاع وبأنه حفظ للأمة كتبا لم يعثر لها على أثر إلا فيما نقل عنها، وخاصة فى كتابيه «سير أعلام النبلاء» ، و«تاريخ الإسلام الكبير» فقد ذكر الذهبى مراجعه بقوله: «وقد طالعت على هذا التأليف من الكتب مصنفات كثيرة ومادته من»: ثم عدد ثمانية وثلاثين من أمهات مصادر التاريخ الإسلامى وكتب التراجم، ثم علق عليها الدكتور صلاح الدين المنجد بقوله:

«والمدقق فى هذه المصادر يجد أن الذهبى رجع إلى أصول هامة جدا، بل رجع إلى أصول التاريخ الإسلامى أعنى المؤلفات التاريخية الأولى التى ألفت فى القرن الثانى والثالث الهجرى مثل مغازى ابن عائذ، وتاريخ العنزى، والفلاس، والهيثم بن عدى وخليفة بن الخياط، وأبى زرعة، وفتوح سيف، وتاريخ الغلابى فهذه هى المصادر الأولى للتاريخ الإسلامى ولم تصل إلينا، وكلها مفقودة، عدا واحدا أو اثنين ما يزالان مخطوطين لم يطبعا».

٦- تكوّن قدرات يملك بها الطالب ناصية العلم:

كانت المدارس فى زمن الإمام الذهبى قائمة على التخصص. فهناك مدارس للحديث، ومدرسة لكل مذهب من المذاهب الفقهية الأربعة. وكان التدريس فيها يقوم غالبا على السماع. ولكن الإمام الذهبى لا يرى فى هذا السماع أسلوبا كافيا لإيجاد محدثين محققين، بل لا بد من جهد علمى يبذل فى ذلك، وقد أشار إلى ذلك بقوله:

«وأى خير فى حديث مخلوط صحيحه بواهيه، وأنت لا تفليه، ولا تبحث عن ناقليه ولا تدين الله تعالى به». أما اليوم فى زماننا، فما يفيد المحدث الطلب والسماع مقصود الحديث من التدين به، بل فائدة السماع ليروى أى أن الطلب والسماع لا يفيدان المحدث مقصود الحديث وهو التدين به.

ومن هذا نرى أن القدرات والأهداف المطلوبة من المحدث هى:

١- القدرة على تمييز ضعيف الحديث من صحيحه من موضوعه وهذا ما قصده بقوله «وأنت لا تفليه» أى لا تعمل على تمييز صحيحه من ضعيفه من موضوعه، ولا تمعن النظر فيه ولا تتدبر معانيه.

٢- القدرة على معرفة الرواة والأسانيد وعللها، وهذا ما أشار إليه بقوله: «ولا تبحث عن ناقليه».

٣- الاقتداء برسول الله ﷺ والعمل بسنته وهذا ما يفهم وجوبه، من إنكار الذهبى على محدث زمانه بقوله «ولا تدين الله تعالى به» وقوله: «فما يفيد المحدث الطلب والسماع مقصود الحديث من التدين به»، وقد شرحت معناه آنفا.

٤- القدرة على الحفظ والرواية وهذا ما أشار إليه بقوله «بل فائدة السماع ليروى» وإنكاره إنما ينصب على من كان قصده الرواية لنيل الشهرة والمنصب دون طلب الثواب والعمل بأمر الرسول ﷺ بالتبليغ ونشر العلم.

٧ ـ أما الأساليب التى يجب على طالب العلم أن يتبعها والجهود العلمية فقد أشار إلى بعضها بقوله:

«فطالب الحديث اليوم ينبغى له أن ينسخ أولا «الجمع بين الصحيحين» و «أحكام عبد الحق» و «الضياء»، ويدمن النظر فيها، ويكثر من تحصيل تآليف البيهقى، فإنها نافعة، ولا أقل من مختصر كـ «الإلمام» ودرسه. فأى شيء ينفع السماع على جهلة المشيخة والصبيان يلعبون ...».

وهذه الأساليب والجهود تتلخص فى:

١ ـ نسخ بعض أمهات كتب الحديث ومختصراته الجامعة وقد اختار منها أنماطا ونماذج بعضها رتب على مسانيد الصحابة على خمس طبقات مثل «الجمع بين الصحيحين» للحميدى الأندلسى. وبعضها مرتب على أبواب الفقه مثل «الأحكام الكبرى» للحافظ عبد الحق الإشبيلى، وفيه الترغيب والترهيب، وبعضها يذكر الأحاديث بأسانيدها كاملة ويفند ضعيفها من صحيحها ويبين عللها مثل «الأحاديث المختارة» للضياء المقدسى.

٢ ـ البحث و «إدمان النظر فيها» أى إمعان النظر والتمحيص مدة طويلة ليكوّن الطالب خبرة كافية عن كل أسلوب من أساليب التأليف هذه عن الصحابة وطبقاتهم مقترنة بالأحاديث التى رووها، وعن الأسانيد وعللها، وعن استنباط الأحكام والآداب من الأحاديث، فالنسخ أولا، ثم «إدمان النظر» جهدان عظيمان وأسلوبان يعتمدان على الجهد الذاتى والبحث والتنقيب، فيكونان خبرة كافية، وقدرات جيدة، مما يجب أن يمتاز به عالم الحديث، والطالب فى مرحلة الاختصاص فى هذه المدارس مرشح ليكون عالما يستلم مشيخة فى المستقبل.

٣ ـ التحصيل: ويعنى فى عرف علمائنا: الفهم والاستيعاب وأحيانا يعنى الحفظ، وما أراه يقصده هنا عندما قال: «ويكثر من تحصيل تآليف البيهقى فإنها نافعة» وأيا كان قصده فإن تحصيل العلم هو الحصول عليه بالفهم تارة وبالحفظ مرة، أو بكليهما ... ولا شك أن فى استيعاب كتب البيهقى، جهدا تربويا يحقق جانبا من الخبرات والقدرات المطلوبة من طلاب علم الحديث، كما يحقق بعض الميزات التى يحسن بالعالم التحلى بها، وهذا الذى نقلناه عن علم الحديث، مثل يقاس عليه باقى العلوم، لتحقيق هذه الوظيفة التربوية فى كل علم، بحسب طبيعته والمهارات المطلوبة فيه ... («الإمام محمد الذهبى» ٤ / ٣١ ـ ٤٣).

ونكتفى بهذا القدر ويمكنك الرجوع إلى المصدر لمتابعة ماجاء به.

(الأعلام للزركلى ٥ / ٣٢٦، والكبائر للإمام أبى عبد الله شمس الدين الذهبى ـ نقحه وراجعه محمد الأنور أحمد البلتاجى ط دار التراث العربى / ٣، و ط مكتبة الكليات الأزهرية / ٣، ومناقب الإمام أبى حنيفة وصاحبيه أبى يوسف ومحمد بن الحسن للإمام الحافظ أبى عبد الله محمد ابن أحمد بن عثمان الذهبى ـ عنى بتحقيقه والتعليق عليه محمد زاهد الكوثرى وأبو الوفا الأفغانى / ٦٠٤، وغاية النهاية فى طبقات القراء للإمام ابن الجزرى ٢ / ٧١، وتاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام لمؤرخ الإسلام شمس الدين الذهبى ـ حققه وعلق عليه د. بشار عواد معروف ١٨ ٩ ـ ١٥، ١٩ ـ ٢٣، ٢٨ ـ ٣٥، ومعرفة الرواة المتكلم فيهم بما لا يوجب الرد للإمام الذهبى ـ حققه وعلق عليه أبو عبد الله إبراهيم سعيداى إدريس / ٣٣ ـ ٣٥، والمعجم الشامل للتراث العربى المطبوع ـ جمع وإعداد وتحرير د. محمد عيسى صالحية ٢ / ٣٦٢ ـ ٣٧٥، وكشف الظنون لحاجى خليفة ١ / ٢٩٤، ٢٩٥، ومخطوطات التاريخ والتراجم والسير فى مكتبة المتحف العراقى ـ أسامة ناصر النقشبندى وظمياء محمد عباس / ٧٧ ـ ٧٩، و «الإمام محمد الذهبى: ترجمته وبعض آرائه وأساليبه التربوية» ـ أعدها عبد الرحمن النحلاوى. من أعلام التربية العربية الإسلامية. مكتب التربية العربى لدول الخليج ٤ / ٣١ ـ ٤٣).

*** ذهبية العصر:**

ذهبية العصر: لابن الشهاب وهو أحمد بن يحيى بن فضل الله العمرى المتوفى سنة ٧٤٩ تسع وأربعين وسبعمائة أوله: الحمد لله على ما علم ... إلخ قال لما رأيت أكثر الناس أصدقاء العظم الرميم وأعداء الأحياء قمت لأهل عصرى منتصرا وجنيت فيه لفحول الرجال وجمعت فيه ذيل المشرق والمغرب وقصرته على أهل المائة الثامنة وقسمته قسمين الأول

القسم الشرقى والثانى القسم الغربى وذكر أشعارهم وأخبارهم كاليتيمة .

(كشف الظنون لحاجي خليفة ١ / ٨٢٩).

* **الذهبية فى طب النبى:**

من مصنفات التراث الإسلامى فى الحديث النبوى الشريف وعلومه ورجاله . تأليف على الرضى (على بن موسى).

توجد نسخ مخطوطه جاء بيانها وأماكن وجودها كما يلى :

١ ـ رضا ٥ / ٨٩ ـ ٩٠ [٥٢٩ (٥١٨٥)] ـ (٨) ـ ١٠٦٠هـ.

٢ ـ المركزية / جامعة طهران (مشكاة) ٣٤ / ٣ / ١٣١٦ ـ ١٣١٧ [٥ / ١٤٩] [و ٩٦ ب ـ ١١٠ أ] ـ ١٠٦١ هـ.

٣ ـ رضا ٥ / ٩٠ [٥٣٠ (٦٣٤١)] ـ (١٢و) ـ ١٠٨٤ هـ.

٤ ـ رضا ٥ / ٩٠ [٥٣١ (٥١٨٦)] ـ (٤٨ ,) ـ ١١٨٣١هـ.

٥ ـ رضا رامبور ١ / ٦٤٤ [870 M K (1214)] ـ (٩ ,) ـ ق١٢ هـ ناقص.

٦ ـ رضا رامبور ١ / ٦٤٤ [1027 D / (1215)] ـ (٨ ,) ـ ق ١٢ هـ ـ ناقص.

٧ ـ رضا ١ / ٢٦ [الفصل ٤ ـ ٨٤] (١٩١ والمجموع) .

٨ ـ رضا ٥ / ٩٠ [٥٣٢ (٦٠٢٩)].

٩ ـ المركزية / جامعة طهران (مشكاة) ٣ / ٣ / ١٣١٦ ـ ١٣١٨ [١ / ١١٣١] ـ (١٤١ ,) .

(الفهرس الشامل للتراث العربى الإسلامى المخطوط . الحديث النبوى الشريف وعلومه ورجاله مؤسسة آل البيت (مآب) المجمع الملكى لبحوث الحضارة الإسلامية . عمان ـ الأردن ٢ / ٧٩٧) .

* **البرية فى مدح خير البرية ﷺ:**

منظومة للبغدادى .

(إيضاح المكنون للبغدادى ١ / ٥٤٤).

* **الذهن:**

قال التهانوى : الذهن بالكسر وسكون الهاء ، وبفتحتين أيضا ... الأذهان الجمع ، وفى عرف العلماء يطلق على معان منها قوة للنفس معدة لاكتساب الآراء أى العلوم التصورية والتصديقية والمعدة على صيغة اسم المفعول أى قوة مهيئة هيأها الله تعالى للاكتساب ويجوز أن يكون على صيغة اسم الفاعل أى قوة مهيئة تهيىء النفس للاكتساب هكذا يستفاد من الأطول والمطول . وأما ما وقع فى شرح هداية النحو من أن الذهن قوة نفسانية يحصل بها التميز بين الأمور الحسنة والقبيحة والصواب والخطأ وقيل هى القوة المعدة لاكتساب التصورات والتصديقات . وقيل هى قوة مهيئة لاكتساب العلوم . فمرجع هذه الأقوال إلى هذا المعنى كما لا يخفى ومنها النفس ومنها العقل أى المقابل للنفس وهو الجوهر المجرد الغير المتعلق بالبدن تعلق التدبير والتصرف وقد صرح بهذه المعانى الثلاثة السيد السند فى حاشية خطبة شرح الشمسية حيث قال : الذهن قوة معدة لاكتساب الآراء والحدود وقد يعبر عنه بالعقل تارة وبالنفس أخرى انتهى .

والمراد بالآراء التصديقات وبالحدود التصورات وقيد الاكتساب احتراز من القوى العالية فإن علومها حضورية وليست بمكتسبة .

ومنها المدارك من العقل وقواها والمبادئ العالية جميعا لأن الوجود الذهنى هو الحصول فى واحد منها كذا فى شرح هداية النحو والمراد بالعقل النفس وإطلاق العقل على النفس جائز ويؤدئ هذا المعنى ما وقع فى بعض حواشى شرح التجريد من أن الوجود الظلى لا يتصور إلا فى القوى الدراكة ولذلك يسمى وجودا ذهنيا والوجود الأصلى لا يكون إلا خارجا عن القوى الدراكة فالخارج يقابل الذهن انتهى .

والقوى الدراكة هى القوة العالية والسافلة صرح بذلك المولوى عبد الحكيم فى حاشية شرح الشمسية فى بيان القضية الخارجية حيث قال : المراد بالخارج فى قولهم قد تعتبر القضية المحصورة بحسب الخارج هو الخارج عن المشاعر والمشاعر هى القوى الدراكة أى النفس وآلاتها بل جميع القوى العالية والسافلة انتهى .

وأما ما وقع فى شرح هداية النحو من أنه قيل الذهن قوة دراكة تنقش فيها صور المحسوسات والمعقولات انتهى فيراد بهذه القوة النفس عند من ذهب إلى أن صور المحسوسات والمعقولات جميعها ترتسم فى النفس. وأما عند من ذهب إلى أن صور الكليات والجزئيات المجردة ترتسم فى النفس وصور الجزئيات المادية ترسم فى آلاتها فيراد بهذه القوة النفس وقواها أى القوى السافلة. وقد يفهم مما ذكر العلمى فى حاشية شرح الهداية فى مبحث الوجود أن الذهن قد يراد به القوى السافلة تارة والقوى العالية أخرى والأعم منهما أى العالية والسافلة جميعا مرة أخرى.

(كشاف اصطلاحات الفنون للتهانوى ٢ / ٥١٦ ، ٥١٧).

*** ابن أبى ذُهل (٢٩٤ ـ ٣٧٨ هـ):**

أدرجه الإمام الذهبى فى الطبقة الحادية والعشرين وقال عنه: الإمام الحافظ الأنبل، رئيس خراسان، أبو عبد الله، محمد بن أبى العباس محمد بن العباس بن أحمد بن عُصْم ابن أبى ذُهل العُصمى الضبى الهروى. مولده فى سنة أربع وتسعين ومائتين . سمع يحيى بن صاعد، وعبد الرحمن بن أبى حاتم، وعدة.

حدَّث عنه الدارقطنى، وأبو عبد الله الحاكم، وأهل هراة. وكان إماما نبيلا ، وصدرا معظما، كثير الأموال والبذل للمحدثين والأخيار.

قال أبو النضر الفامى: لابن أبى ذهل «صحيح» خرجه على «صحيح البخارى»، وتفقه ببغداد، ولم يجتمع لرئيس بهراة ما اجتمع له من السيادة.

قال الخطيب: كان ثقة، نبيلا، من ذوى الأقدار العالية توفى سنة ثمان وسبعين وثلثمائة.

(تهذيب سير أعلام النبلاء للإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبى ـ أشرف على تحقيق الكتاب شعيب الأرنؤوط. هذبه أحمد فايز الحمصى، راجعه عادل مرشد ٢ / ٢٠١).

*** الذُهلى (على بن حُميد) (ـ ٤٥٢ هـ):**

أدرجه الإمام الذهبى فى الطبقة الرابعة والعشرين وقال عنه: إمام جامع همذان، وركن السنة، أبو الحسن، على ابن حميد بن الذهلى الهمذانى. روى عن أبى بكر بن لال، وابن تركان، وأبى عمر بن مهدى، وطبقتهم.

روى عنه يوسف بن محمد الخطيب، وغيره. وكان ورعا، تقيا، محتشما، يُتبرَّك بقبره مات سنة اثنتين وخمسين وأربعمائة وقد قارب الثمانين.

وفيها مات المقرئ أبو عبد الله محمد بن أحمد بن على القزوينى بمصر، وشيخ المالكية أبو الفضل محمد بن عبيد الله بنو عُمروس ببغداد، لقى ابن شاهين.

(تهذيب سير أعلام النبلاء للإمام شمس الدين الذهبى ـ أشرف على تحقيق الكتاب شعيب الأرنؤوط. هذ به أحمد فايز الحمصى، راجعه عادل مرشد ٢ / ٣٥٩).

*** الذُهلى (محمد بن أحمد) (٢٧٩ ـ ٣٦٧ هـ):**

أدرجه الإمام الذهبى فى الطبقة العشرين وقال عنه: الإمام العالم المسند المحدث، قاضى القضاة، أبو الطاهر محمد بن أحمد بن عبد الله بن نصر بن بجير الذهلى البغدادى المالكى، قاضى الديار المصرية. ولد سنة تسع وسبعين ومائتين، وسمع وهو ابن تسع سنين. حدث عن بشر ابن موسى الأسدى، وموسى بن زكريا، وأبى العباس ثعلب وأمثالهم. وكان ثقة فى الحديث انتقى عليه الدارقطنى نحوا من مائة جزء، وحدث عنه هو وتمام الرازى، وعبد الغنى بن سعيد الأزدى، وخلق سواهم. وثقه أبو بكر الخطيب. قال عبد الغنى: وكان مفوها، حسن البديهة، شاعرا، علامة، حاضر الحجة، عارفا بأيام الناس، غزير المحفوظ، وكان سمحا كريما، ولى قضاء مصر سنة ثمان وأربعين وثلثمائة.

ولم يزل أمره مستقيما إلى أن لحقته علة سنة ٣٦٦، فقلد العزيز صاحب مصر القضاء حينئذ على بن النعمان، وأقام عليلا، وأصحاب الحديث منقطعون إليه.

مات فى آخر يوم من سنة سبع وستين وثلثمائة. وقيل: مات فى سلخ ذى القعدة منها، وقيل: استعفى من القضاء قبل موته بيسير.

وفيها مات أبو القاسم النصراباذى شيخ الصوفية، والملك عز الدولة بختيار بن معز الدولة وأبو عيسى يحيى بن عبد الله

الليثى القرطبى، وأبو بكر محمد بن عمر بن القوطية اللغوى، والوزير المصلوب نصير الدولة ابن بقية.

(تهذيب سير أعلام النبلاء للإمام شمس الدين الذهبى ـ أشرف على تحقيق الكتاب شعيب الأرنؤوط هذبه أحمد فايز الحمصى، راجعه عادل مرشد ٢ / ١٦٩، ١٧٠).

*** الذهلى (محمد بن يحيى) (نحو ١٧٠ـ٢٥٨ هـ):**

أدرجه الإمام الذهبى فى الطبقة الرابعة عشرة وقال عنه: محمد بن يحيى بن عبد الله بن خالد بن فارس بن ذؤيب، الإمام العلامة البارع، شيخ الإسلام، وعالم أهل المشرق، وإمام أهل الحديث بخراسان، أبو عبد الله الذهلى مولاهم، النيسابورى. مولده سنة بضع وسبعين ومائة.

سمع وارتحل، وكتب العالى والنازل، وكان بحرا لا تكدره الدلاء، جمع علم الزهرى، وصنفه وجوده. من أجل ذلك يقال له: الزهرى، ويقال له: الذهلى. وانتهت إليه رئاسة العلم والعظمة، والسؤدد ببلده. كانت له جلالة عجيبة بنيسابور، من نوع جلالة الإمام أحمد ببغداد، ومالك بالمدينة.

سمع من أبى داود الطيالسى، والواقدى، وأبى مُسْهر، وأبى اليمان، والنفيلى، وخلق كثير من هذا الجيل.

روى عنه خلائق، منهم: الأئمة سعيد بن أبى مريم، وأبو جعفر النفيلى، وعبد الله بن صالح، وعمرو بن خالد ـ وهؤلاء من شيوخه ـ وأبو عيسى الترمذى، وابن ماجه، والنسائى فى «سننهم» وإمام الأئمة ابن خزيمة.

قال أبو حاتم: هو ثقة صدوق، إمام من أئمة المسلمين، وإمام أهل زمانه. وقال النسائى: ثقة مأمون.

مات فى سنة ثمان وخمسين ومائتين. وكان الذهلى شديد التمسك بالسُّنة. ولما توفى خلفه فى مشيخة البلد ولده حَيْكان، واسمه يحيى بن محمد بن يحيى الذهلى وتأتى ترجمته فى المادة التالية.

(تهذيب سير أعلام النبلاء للإمام شمس الدين الذهبى ١ / ٤٦٧)

*** الذهلى (يحيى بن محمد) (ـ ٢٦٧ هـ):**

ابن محمد بن يحيى الذهلى الذى وردت ترجمته فى المادة السابقة، وقد أدرجه الإمام الذهبى فى الطبقة الرابعة عشرة أيضا وقال عنه: يحيى بن محمد بن يحيى الذهلى الحافظ المجود الشهيد، أبو زكريا.

قال الحاكم: هو إمام نيسابور فى الفتوى والرئاسة، وابن إمامها، وأمير المطوعة بخراسان بلا مدافعة، يعنى: الغزاة. قال: وكان يسكن دار أبيه، ولكل منهما فيها صومعة وآثار لعبادتهما، والسكة والمسجد منسوبان إلى حيكان.

قتله سلطان نيسابور أحمد بن عبد الله الخجستانى ظلما فى جمادى الآخرة سنة سبع وستين ومائتين، لكونه قام عليه، وحاربه لاعتدائه وعسفه.

قال ابن أبى حاتم: سمعت من يحيى بن محمد، وهو صدوق، وقال أبو إسحاق المزكى: كان له موضع من العلم والحديث

(تهذيب سير أعلام النبلاء للإمام شمس الدين الذهبى ـ أشرف على تحقيق الكتاب شعيب الأرنؤوط، هذبه أحمد فايز الحمصى، راجعه عادل مرشد ١ / ٤٦٧).

*** الذهنية:**

الذهنية بياء النسبة وتاء التأنيث عند المنطقيين قضية يكون الحكم فيها على الأفراد الذهنية فقط. وهى أقسام: منها ما يكون أفرادها موجودة فى الذهن متصفا بمحمولاتها فى الذهن اتصافا مطابقا للواقع كجميع المسائل المنطقية فإن محمولاتها عوارض تعرض للمعقولات الأولى فى الذهن ويكون لموضوعاتها وجودان ذهنيان أحدهما مناط الحكم وهو الوجود الظلى الذى به يتغاير الموضوع والمحمول. وثانيهما الوجود الأصلى الذى به اتحاد المحمول بالموضوع وهو مناط الصدق والكذب الفارق بين الموجبة والسالبة. ومنها ما يكون محمولاتها منافية للوجود نحو شريك البارى ممتنع واجتماع النقيضين محال والمجهول المطلق يمتنع عليه الحكم والمعدوم المطلق مقابل للموجود المطلق فالمفهوم من كلام البعض أن فى هذا القسم أيضا للموضوع وجودان: أحدهما مناط الحكم. والآخر مناط الصدق والتحقيق أن مناط الحك هو تصورها بعنوان الموضوع ومناط

الصدق هو الوجود الفرضي الذى باعتباره فرديتها للموضوع، كأنه قال: ما يتصور بعنوان شريك البارى ويفرض صدقه عليه ممتنع فى نفس الأمر وقس على ذلك.

وقال المحقق التفتازانى: إن هذه الذهنيات وإن كانت موجبة لا تقتضى إلا تصور الموضوع حال الحكم كما فى السوالب من غير فرق وفيه أنه يهدم المقدمة البديهية التى يبتنى عليها كثير من المسائل من أن ثبوت شىء لشىء فرع لثبوت المثبت له إذ التخصيص له لا يجرى فى القواعد العقلية.

وقال العلامة فى شرح الشمسية إنها سوالب وفيه أن الحكم فيها إنما هو بوقوع النسبة والإرجاع إلى السلب تعسف.

ومنها ما يكون محمولاتها متقدمة على الوجود أو نفس الوجود نحو زيد ممكن أو واجب بالغير أو موجود فلموضوعاتها وجود فى الذهن حال الحكم كسائر القضايا أو لكون الاتصاف بها ذهنيا انتزاعيا لا بد أن يكون لموضوعاتها وجود آخر فى الذهن يكون مبدأ لانتزاع هذه الأمور مناط صدق القضية واتحاد المحمولات معها ثم إذا توجه العقل إليها ولاحظها من حيث إنها موجودة بهذا الصدق انتزع عنها وجودًا أو إمكانا ووجوبا آخر باعتبار الاتصاف بهذا الوجود تستدعى تقدم وجود يكون مصداقا لهذه الأحكام وليست هذه الملاحظة لازمة للذهن دائما فينقطع بحسب انقطاع الملاحظة، كذا حقق المولوى عبد الحكيم فى حاشية شرح الشمسية فى بحث العدول والتحصيل.

(كشاف اصطلاحات الفنون للتهانوى ٢/ ٥١٧، ٥١٨)

***ذو:**

جاء فى اللسان: أبو سيدة: ذو كلمة صيغت ليتوصَّل بها إلى الوصف بالأجناس، ومعناها صاحب، أصلها ذوًا، ولذلك إذا سمَّى به الخليل وسيبويه قالا: هذا ذوًا قد جاء، والتثنية ذوان، والجمع ذوون.

والذَّوون: الأملاك الملقبون بذو كذا، كقولك ذو يزن، وذو رُعَيْن، وذو فائش، وذو جدن، وذو نواس، وذو أصبح، وذو الكلاع، وهم ملوك اليمن من قضاعة، وهم التبابعة (انظر مادة «تُبَّع» فى م ٨/ ٤٥٧ ـ ٤٥٩). وأنشد سيبويه:

فلا أعنى بذلك أسْفَليكم
ولكنى أريد به الذَّوينا

يعنى الأذواء، والأنثى ذات، والتثنية ذواتا، والجمع ذوون، والإضافة إليها ذَوَوِىٌّ، ولا يجوز فى ذات ذاتىّ لأن ياء النسب معاقبة لهاء التأنيث. قال ابن جنى: وروى أحمد بن إبراهيم أستاذ ثعلب عن العرب هذا ذو زيد، ومعناه هذا زيد؛ أى هذا صاحب هذا الاسم الذى هو زيد؛ قال الكميت:

إليكم ذوى آل النبى تطلعت
نوازع من قلبى ظمـاء وألبب

أى إليكم أصحاب هذا الاسم الذى هو قوله ذوو آل النبى.

ولقيته أول ذى يدين وذات يدين أى أول كل شىء، وكذلك أفعله أول ذى يدين وذات يدين. وقالوا: أما أول ذات يدين فإنِّى أحمد الله؛ وقولهم: رأيت ذا مال، ضارعت فيه الإضافة التأنيث، فجاء الاسم المتمكن على حرفين ثانيهما حرف لين لما أمن عليه التنوين بالإضافة، كما قالوا: ليت شعرى، وإنما الأصل شعرتى. قالوا: شعرت به شعرة، فحذف التاء لأجل الإضافة لما أُمِنَ التنوين، وتكون ذو بمعنى الذى، تصاغ ليتوصل بها إلى وصف المعارف بالجمل، فتكون ناقصة لا يظهر فيها إعراب كما لا يظهر فى الذى، ولا يثنى ولا يجمع فتقول: أتانى ذو قال ذاك وذو قالا ذاك وذو قالوا ذاك؛ وقالوا: لا أفعل ذاك بذى تسلم وبذى تسلمان وبذى تسلمون وبذى تسلمين. وهو كالمثل أضيفت فيه ذو إلى الجملة كما أضيفت إليها أسماء الزمان، والمعنى لا وسلامتك ولا والله يسلِّمك ويقال: جاء من ذى نفسه ومن ذات نفسه أى طيِّعًا.

قال الجوهرى: وأما ذو الذى بمعنى صاحب فلا يكون إلا مضافا، وإن وصفت به نكرة أضفته إلى نكرة، وإن وصفت به معرفة أضفته إلى الألف واللام، ولا يجوز أن تضيفه إلى مضمر ولا إلى زيد وما أشبهه.

قال ابن برى: إذا خرجت ذو عن أن تكون وصلة إلى الوصف بأسماء الأجناس لم يمتنع أن تدخل على الأعلام

والمضمرات كقولهم: ذو الخلصةِ، والخلصةُ: اسم علم لصنم، وذو كناية عن بيته، ومثله قولهم ذو رُعين وذو جدن وذو يزن، وهذه كلها أعلام، وكذلك دخلت على المضمر أيضًا، قال كعب بن زهير:

صبحنا الخزرجية مرهفات
أبار ذوى أرومتها ذووها

وقال الأحوص:

ولكن رجونا منك مثل الذى به
صُرفنا قديما من ذويك الأوائل

وقال آخر:

إنما يصطنع المعـ
ـروف فى الناس ذووه

وتقول: مررت برجل ذى مال، وبامرأة ذات مال، وبرجلين ذَوَىْ مال، بفتح الواو. وفى التنزيل العزيز: ﴿وأشهدوا ذوى عدل منكم﴾ [الطلاق: ٢]، وبرجال ذوى مال، بالكسر، وبنسوة ذوات مال، ويا ذوات الجمام، فتكسر التاء فى الجمع فى موضع النصب كما تكسر تاء المسلمات، وتقول رأيت ذوات مال لأن أصلها هاء، لأنك إذا وقفت عليها فى الواحد قلت ذاه، بالهاء، ولكنها لما وصلت بما بعدها صارت تاء، وأصل ذو ذوى مثل عصا، يدل على ذلك قولهم هاتان ذواتا مال، قال: عز وجل: ﴿ذواتا أفنان﴾ [الرحمن: ٤٨] فى التثنية. قال: ونرى أن الألف منقلبة من واو؛ قال ابن برى: صوابه منقلبة من ياء، قال الجوهرى: ثم حذفت من ذوى عين الفعل لكراهتهم اجتماع الواوين، لأنه كان يلزم فى التثنية ذووان مثل عصوان، قال ابن برى: صوابه كان يلزم فى التثنية ذويان، قال: لأن عينه واو، وما كان عينه واو فلامه ياء حملا على الأكثر، قال: والمحذوف من ذوى هو لام الكلمة لا عينها كما ذكر، لأن الحذف فى اللام أكثر من الحذف فى العين. قال الجوهرى: مثل عصوان فبقى ذا منون، ثم ذهب التنوين للإضافة فى قولك ذو مال، والإضافة لازمة له كما تقول فوزيد وفازيد، فإذا أفردت قلت هذا فَمٌ، فلو سميت رجلا ذو لقلت: هذا ذوًى قد أقبل، فترد ما كان ذهب، لأنه لا يكون اسم على حرفين أحدهما حرف لين لأن التنوين يذهبه فيبقى على حرف واحد، ولو نسبت إليه قلت ذووى مثال عصوى، وكذلك إذا نسبت إلى ذات، لأنه التاء تحذف فى النسبة، فكأنك أضفت إلى ذى فرددت الواو، ولو جمعت ذو مال قلت هؤلاء ذوون لأن الإضافة قد زالت؛ وأنشد بيت الكميت:

** ولكنى أريد به الذوينا **

وأما ذو، التى فى لغة طيئ بمعنى الذى، فحقها أن توصف بها المعارف، تقول: أنا ذو عرفت وذو سمعت، وهذه امرأة ذو قالت، كذا يستوى فيه التثنية والجمع والتأنيث، قال بجير بن عثمة الطائى أحد بنى بولان:

وإن مولاى ذو يعاتبنى
لا إحنةٌ عنده ولا جرمهْ
ذاك خليلى وذو يُعاتبنى
يرمى ورائى بامْسَهْمِ وامْسَلِمَهْ

يريد: الذى يعاتبنى، والواو التى قبله زائدة، قال سيبويه: إن ذا وحدها بمنزلة الذى كقولهم ماذا رأيت؟ فتقول: متاع حسن، قال لبيد:

ألا تسألان المرء ماذا يحاول؟
أنحب فيقضى أم ضلال وباطل؟

قال: ويجرى مع ما بمنزلة اسم واحد كقولهم ماذا رأيت؟ فتقول: خيرًا بالنصب. كأنه قال ما رأيت، فلو كان ذا ههنا بمنزلة الذى لكان الجواب خير بالرفع.

باب ذوا وذوى مضافين إلى الأفعال

قال شمر: قال الفراء سمعت أعرابيا يقول بالفضل ذو فضلكم الله به والكرامة ذات أكرمكم الله بها، فيجعلون مكان الذى ذو، ومكان التى ذات، ويرفعون التاء على كل حال، قال: ويخلطون فى الاثنين والجمع، وربما قالوا هذا ذو يعرف، وفى التثنية هاتان ذوا يعرف، وهذان ذوا تعرف؛ وأنشد الفراء:

وإن الماءَ ماءُ أبى وجدى
وبئرى ذو حفرت وذو طويت

قال الفراء: ومنهم من يثني ويجمع ويؤنث فيقول هذان ذوا قالا، وهؤلاء ذوو قالوا ذلك، وهذه ذات قالت؛ وأنشد الفراء:

جمعتهـــا مـن أينـق ســــوابـق

ذوات ينهضــن بغيـــر ســــائق

وقال ابن السكيت: العرب تقول لا بذى تسلم ما كان كذا وكذا، وللاثنين لا بذى تسلمان، وللجماعة لا بذى تسلمون وللمؤنث لا بذى تسلمين، وللجماعة لا بذى تسلمن، والتأويل لا والله يسلمك ما كان كذا كذا، لا سلامتك ما كان كذا وكذا. وقال أبو العباس المبرد: ومما يضاف إلى الفعل ذو فى قولك افعل كذا بذى تسلم، وافعلاه بذى تسلمان، معناه بالذى يسلمك. وقال الأصمعى: تقول العرب والله ما أحسنت بذى تسلم، قال: معناه والله الذى يسلمك من المرهوب، قال: ولا يقول أحد بالذى تسلم، قال: وأما قول الشاعر:

فإن بيت تميم ذو سمعت به

فإن ذو ههنا بمعنى الذى ولا تكون فى الرفع والنصب والجر إلا على لفظ واحد، وليست بالصفة التى تعرب، نحو قولك موت برجل ذى مال، وهو ذو مال، ورأيت رجلا ذا مال؛ قال: وتقول رأيت ذو جاءك وذو جاءاك وذو جاءوك وذو جاءتك وذو جئنك، لفظ واحد للمذكر والمؤنث، قال: ومثل للعرب: أتى عليه ذو أتى على الناس، أى الذى أتى، قال أبو منصور: وهى لغة طيىء، وذو بمعنى الذى (اللسان ،١/ ١٤٧٦ -١٤٧٨).

وقال الراغب الأصفهانى:

ذو: ذو على وجهين أحدهما يتوصل به إلى الوصف بأسماء الأجناس والأنواع ويضاف إلى الظاهردون المضمر ويثنى ويجمع، ويقال فى المؤنث ذات وفى التثنية ذواتا وفى الجمع ذوات، ولا يستعمل شيء منها إلا مضافا، قال ﴿ولكن الله ذو فضل﴾ وقال ﴿ذو مرة فاستوى ــ وذى القربى ـ ويؤت كل ذى فضل فضله ـ ذوى القربى واليتامى﴾.

والثانى: فى لفظ ذو لغة لطيىء يستعملونه استعمال الذى، ويجعل فى الرفع، والنصب والجر، والجمع، والتأنيث على لفظ واحد نحو:

** وبئرى ذو حفرت وذو طويت**

أى التى حفرت والتى طويت (المفردات/ ١٨٢).

وأدرج الإمام السيوطى «ذو» [ذا] ضمن الأدوات التى يحتاج إلى معرفتها المفسر فقال عنها:

ذو اسم بمعنى صاحب وضع للتوصل إلى وصف الذوات بأسماء الأجناس، كما أن الذى وضعت صلة إلى وصف المعارف بالجمل ولا يستعمل إلا مضافا ولا يضاف إلى ضمير ولا مشتق. وجوزه بعضهم وخرج عليه قراءة ابن مسعود «وفوق كل ذى عالم عليم »[يوسف: ٧٦] وأجاب الأكثرون عنها بأن العالم هنا مصدر كالباطل أو بأن ذى زائدة. قال السهيلى: والوصف بذو أبلغ من الوصف بصاحب والإضافة بها أشرف، فإن ذو مضاف للتابع وصاحب مضاف إلى المتبوع، تقول: أبو هريرة صاحب النبى، ولا تقول: النبى صاحب أبى هريرة وأما ذو فإنك تقول: ذو المال وذو العرش، فتجد الاسم الأول متبوعا غير تابع، وبنى على هذا الفرق أنه تعالى قال فى سورة الأنبياء ﴿وذا النون﴾ [الأنبياء: ٨٧] فأضافة إلى النون وهو الحوت. وقال فى سورة نٓ والقلم ﴿ولا تكن كصاحب الحوت﴾ القلم: ٤٨] قال: والمعنى واحد، لكن بين اللفظين تفاوت كثير فى حسن الإشارة إلى الحالتين، فإنه حين ذكره فى معرض الثناء عليه أتى بذا لأن الإضافة بها شرف، وبالنون لأن لفظه أشرف من لفظ الحوت لوجوده فى أوائل السور، وليس فى لفظ الحوت ما يشرفه بذلك فأتى به وصاحب حين ذكره فى معرض النهى عن اتباعه. (الإتقان ١/ ٢١١، ٢١٢).

ويدرجه الدكتور حسن الباشا فى الألقاب فيقول عنه: ذو بمعنى صاحب أو مالك. وقد استعمل فى تكوين كثير من الألقاب المركبة مثل «ذى الأمان لأهل الإيمان»، « وذى الرئاسات» . ومن أهم الألقاب التى دخل فى تكوينها تلك التى تشمل لفظا فى صيغة المثنى مثل «ذى الحسبين»، «وذى الرئاستين»، «وذى الكفايتين»، « وذى الوزارتين». ولقد كان

هذا النوع من الألقاب شائعا في الدولة الإسلامية خصوصا منذ أواخر القرن الثاني الهجرى حين بدأ الخلفاء يفرطون في حقوقهم. وكثير من هذه الألقاب التي تشمل مثنى ترمز إلى الاستحواذ على السلطة الحربية والسلطة المدنية أو السيف والقلم: مثل «ذى الرئاستين» «وذى السيادتين». ومن المعروف أن موظفى الدولة ينقسمون دائما إلى رجال سيف ورجال قلم، أو إلى عسكريين ومدنيين، وإن المنافسة بين الطائفتين قائمة في معظم الأوقات؛ وكانت هذه المنافسة تتمثل فيما يخوض فيه الأدباء من محاورات أدبية على لسان السيف والقلم. ولذا كان بعض ذوى النفوذ على الطائفتين يلقبون بما يفيد استئثارهم بالسلطتين العسكرية والمدنية أو بما يفيد تملكهم لفضيلتى التبريز في مجال السيف والقلم أو الحرب والإدارة.

وكانت هذه الألقاب ترد في معظم الأحيان مضافة إلى مثنى. غير أنه كانت هناك ألقاب أخرى يرد فيها لفظا السيف والقلم صراحة مثل «ثقة السيف والقلم» أو «مالك فضيلتى السيف والقلم».

ومن جهة أخرى لم يكن اللقب المضاف إلى مثنى يشير دائما إلى حيازة الملقب للسلطتين الحربية والإدارية؛ ومن أمثلة هذه الألقاب« ذو الخاصتين»، « وثقة الحضرتين» (الألقاب الإسلامية/ ٢٩٣، ٢٩٤).

(لسان العرب لابن منظور ١٧/ ١٤٧٦ـ ١٤٧٨، والمفردات فى غريب القرآن للراغب الأصفهانى ـ تحقيق وضبط محمد سيد كيلانى/ ١٨٢، والإتقان فى علوم القرآن للحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطى ١/ ٢١١، ٢١٢، والألقاب الإسلامية ـ د. حسن الباشا/ ٢٩٣، ٢٩٤).

انظر مادة «الأذواء» فى م ٣/ ٥١٩

***ذو الأذنين:**

ذو الأذنين هو أنس بن مالك. مازحه النبى ﷺ بذلك فيما أخرجه أبو داود والترمذى من حديث أنس قال: قال لى النبى ﷺ ياذا الأذنين.

(الإصابة فى تمييز الصحابة شيخ الإسلام الحافظ ابن حجر العسقلانى ٢/ ١٧٣)

*** ذو الاسمين:**

انظر: ذوات الأسماء والمنفصلات.

*** ذو الأصابع التميمى:**

قال ابن عبد البر: ذو الأصابع التميمى، ويقال الخزاعى. ويقال الجهنى. سكن بيت المقدس. روى عن النبى ﷺ فى فضل بيت المقدس والشام (الاستيعاب ٢ / ٤٦٧).

وقال الحافظ ابن حجر: ذو الأصابع الجهنى.. وقيل التميمى وقيل الخزاعى ذكره الترمذى فى الصحابة وروى عبد الله بن أحمد فى زيادات المسند من طريق عثمان بن عطاء عن أبى عمران عن ذى الأصابع قال قلنا يارسول الله أن ابتلينا بالبقاء بعدك فأين تأمرنا قال عليك بالبيت المقدس. الحديث وذكره البخارى فى ترجمة أبى عمران واسمه سليم مولى أبى الدرداء وقال ليس بالقائم وأخرجه البغوى وزاد فى إسناده بين عثمان وأبى عمران رجلا وهو زياد بن أبى سودة وقال فيه عن ذى الأصابع: رجل من أصحاب النبى صلى الله عليه وآله وسلم وكذلك أخرجه ابن شاهين وأبو نعيم. قال البغوى رواه الوليد بن مسلم عن عثمان بن عطاء عن أبيه عن عمران ذى الأصابع والذى قبله أولى بالصواب وذكره موسى بن سهل الرملى فيمن نزل فلسطين من الصحابة وزعم ابن دريد فى كتاب الوشاح أن اسمه معاوية (الإصابة ٢/ ١٧٣، ١٧٤).

(الاستيعاب فى معرفة الأصحاب لابن عبد البر ـ تحقيق على محمد البجاوى ٢ / ٤٦٧، والإصابة فى تمييز الصحابة لشيخ الإسلام ابن حجر العسقلانى ٢/ ١٧٣، ١٧٤).

*** ذو الإصبع العَدْوانى (نحو ٢٢ ق هـ / ـ نحو ٦٠٠ م):**

جُرثان بن الحارث بن محرث بن ثعلبة، من عدوان، ينتهى نسبه إلى مُضر: شاعر حكيم شجاع جاهلى. لُقِّب بذى الإصبع لأن حية نهشت إصبع رجله فقطعها، ويقال: كانت له إصبع زائدة: وعاش طويلا حتى عُدَّ فى المعمرين. له حروب ووقائع وأخبار. وشعره مليء بالحكمة والعظة والفخر، قليل الغزل والمديح. وهو صاحب القصيدة المشهورة التى يقول فى أولها:

«أ أسيـــــــد إن مــــــــالا ملكت
فســــــر بــــــه سيـــــرا جميـــــــلا

(الأعلام ٣ / ٨)

له : ديوان ذى الإصبع العدوانى وجاء بيانه كما يلى :

ــ جمعه وحققه عبد الوهاب العدوانى ومحمد نايف الدليمى، الموصل : مطبعة الجمهور، ١٩٧٣، ١٧٦ ص، م ٢٦ ص، ف ٦٢ ص، اللغة ، الآيات، الأمثال والأقوال ، الشواهد الشعرية، الأعلام، القبائل، المواضع ، مصادر الجمع والتحقيق، الفهرست العام (المعجم الشامل ٢ / ٣٧٥).

(الأعلام للزركلى ٣ / ٨، والمعجم الشامل للتراث العربى المطبوع ـ جمع وإعداد وتحرير د. محمد عيسى صالحية ٢ / ٣٧٥).

*** ذو الأمان لأهل الإيمان:**

أطلق على المظفر بن ايلتمتش فى نص إنشاء فى مسجد سيدواره بتاريخ سنة ٦٢٧ هـ فى بلجرام.

والأمان دليل قوة السلطان إذ أن مؤداه أن السلطان يؤمِّن الخائف أمنا لا عوض عنه فى عاجل ولا آجل. وإذا أمن السلطان خارجا عليه أو عدوا له فإنه يتعهد له أمام الله ألا يمسه بسوء فى أى وقت من الأوقات، وهو بهذا عنوان سماحة الحاكم، وقوة نفسه، وقد أورد ابن فضل الله العمرى فى «التعريف» صيغة أمان (ابن فضل الله العمرى : التعريف / ١٦٤، ١٦٥).

(الألقاب الإسلامية ـ د. حسن الباشا / ٢٩٤).

*** ذو الأمن والأمان:**

الأمن السلم ويقصد باللقب أن السلطان يؤمن الخائف حبا منه للسلم والخير. وقد أطلق على المظفر بن ايلتمتش فى نص إنشاء من ح سنة ٦٣٣ هـ فى قطب منار فى دلهى.

(الألقاب الإسلامية ـ د. حسن الباشا / ٢٩٥).

*** ذو البجادين:**

قال السمعانى :

ذو البجادين : هذه اللفظة لقب عبد الله بن عبد نُهْم، لقب بذى البجادين لأنه أراد المسير إلى رسول الله ﷺ قطعت أمه بجادا له ــ وهو كساء ـ باثنتين فاتزر بواحد وارتدى بآخر، وله صحبة، ومات قبل النبى ﷺ فى غزوة تبوك ودخل رسول الله ﷺ قبره وسواه (الأنساب ٣ / ١٤).

وعن ذى البجادين ودفنه وتسميته قال ابن إسحاق : وحدثنى محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمى، أن عبد الله بن مسعود كان يحدث، قال : قمت من جوف الليل، وأنا مع رسول الله ﷺ فى غزوة تبوك، قال : فرأيت شعلة من نار فى ناحية العسكر، قال : فاتبعتها أنظر إليها، فإذا رسول الله ﷺ وأبو بكر وعمر، وإذا عبد الله ذو البجادين المزنى قد مات، وإذا هم قد حفروا له، ورسول الله ﷺ فى حفرته، وأبو بكر وعمر يدنيانه إليه وهو يقول : أدنيا إلىَّ أخاكما، فدلياه إليه، فلما هيأه لشقه قال : اللهم إنى أمسيت راضيا عنه، فارض عنه. قال : يقول عبد الله بن مسعود : ياليتنى كنت صاحب الحفرة.

قال ابن هشام : وإنما سمى ذا البجادين، لأنه كان ينازع إلى الإسلام فيمنعه قومه من ذلك، ويضيقون عليه، حتى تركوه فى بجاد ليس عليه غيره. والبجاد. الكساء الغليظ الجافى، فيضرب منهم إلى رسول الله ﷺ، فلما كان قريبا منه. شق بجاده باثنين، فاتزر بواحد، واشتمل بالآخر، ثم أتى رسول الله ﷺ، فقيل له : ذو البجادين لذلك، والبجاد أيضا : المسح (السيرة النبوية ٤ / ١٢٧).

قال الإمام ابن قيم الجوزية فى فوائده : كان ذو البجادين يتيما فى الصغر فكفله عمه فنازعته نفسه إلى اتباع الرسول فهمَّ بالنهوض فإذا بقية المرض مانعة، فقعد ينتظر العم، فلما تكاملت صحته نفد الصبر فناداه ضمير الوجد :

إلى كمـــــا حبسهـــــا تشكـــو المضيقــــــا
أثـــــرهــــا ربمـــــا وجـــــدت طـــريقـــــا

فقال : ياعم طال انتظارى لإسلامك وما أرى منك نشاطا فقال : والله لئن أسلمت لأنتزعن كل ما أعطيتك. فصاح لسان الشوق : نظرة من محمد أحب إلىَّ من الدنيا ومافيها :

ولـــو قيل للمجنـــون ليلى ووصفهـــا
تــريــد أم الــدنيــا ومــا فى طــوايــاهــا
لقـــال تـــراب من غبـــار نعـــالهـــا
ألـــذّ إلـى نفسى وأشفـى لبلـــواهـــا

فلما تجرد للسير إلى الرسول جرده عمه من الثياب فناولته الأم بجادًا فقطعه لسفر الوصل نصفين، اتزر بأحدهما وارتدى الآخر. فلما نادى صائح الجهاد قنع أن يكون فى ساقة الأحباب والمحب لا يرى طول الطريق لأن المقصود يعينه ... فلما قضى نحبه نزل الرسول يمهد له لحده وجعل يقول: اللهم إنى أمسيت عنه راضيا فارض عنه، فصاح ابن مسعود: ياليتنى كنت صاحب القبر (الفوائد/ ٤٥).

(الأنساب للسمعانى ـ تقديم وتعليق عبد الله عمر البارودى ٣/ ١٤، والسيرة النبوية لابن هشام ـ قدم لها وعلق عليها الأستاذ طه عبد الرءوف سعد ٤/ ١٢٧، والفوائد للإمام شمس الدين ابن قيم الجوزية/ ٤٥. انظر أيضا الأعلام للزركلى ٤/ ١٠١).

*** ذو البيانين:**

ذو البيانين: هذه اللفظة لقب الأديب أبى عبد الله الحسين ابن إبراهيم النطنزى الأصبهانى لفصاحته وفضله وبيانه للنظم والنثر بالعربية والعجمية صاحب التصانيف الحسنة فى اللغة سمع أصحاب أبى الشيخ عبد الله بن محمد بن جعفر، روى لى عنه حفيده أبو الفتح محمد بن على النطنزى بمرو، وأبو العباس أحمد بن محمد المؤذن بأصبهان، وغيرهما، ومات سنة نيف وتسعين وأربعمائة بأصبهان.

(الأنساب للسمعانى ٣/ ١٤).

*** ذو الجَدْر:**

جَدْر: بفتح الجيم وسكون الدال المهملة، لغة فى الجدار. و «ذو جَدْر» مسرح «مرعى» على ستة أميال من المدينة المنورة ناحية قباء، كانت فيها لقاح رسول الله ﷺ تروح عليه إلى أن أُغير عليها.

(المعالم الأثيرة فى السنة والسيرة ـ إعداد وتصنيف محمد محمد حسن شراب/ ٨٨).

*** ذو الجلال والإكرام جل جلاله:**

من أسماء الله الحسنى. قال الإمام الغزالى:

هو الذى لا جلال ولا كمال إلا وهو له، ولا كرامة ولا مكرمة إلا وهى صادرة منه؛ فالجلال له ذاته، والكرامة فائضة منه على خلقه، وفنون إكرامه خلقه لا تكاد تنحصر وتتناهى، وعليه دل قوله تعالى: ﴿ولقد كرمنا بنى آدم﴾ [الإسراء: ٧٠] (المقصد الأسنى/ ١٢٥).

وقال الإمام الفخر الرازى مشيرا إلى أنه قد مر تفسير الجليل (انظر هذه المادة فى حرف الجيم فى م ١٢/ ٢٣٤، ٢٣٥). أما الإكرام فتفسير لفظ الكريم يكفى فيه، والإكرام قريب من الإنعام، ولكنه أخص منه فكل إكرام إنعام، وليس كل إنعام إكراما، وفى تقديم لفظ الجلال على لفظ الإكرام سر، وهو أن الجلال إشارة إلى التنزيه، وذاته من حيث هى هى يكفى فى تحقق هذه السلوب.

أما الإكرام فإضافة، ولابد فيها من المضافين، وما يعرض للشىء من حيث هو هو مقدم على ما يعرض للشىء حالة كونه مع غيره (شرح أسماء الله الحسنى/ ٣٤٢).

وقال الشيخ أحمد عبد الجواد: ذو الجلال والإكرام جل جلاله، ومعناه ذو العظمة والكبرياء، جليل القدر، عظيم الشأن، المهاب سلطانه، النافذ أمره، وهو ذو الفضل العظيم عمت آلاؤه جميع خلقه.

وقال الله جل جلاله: **﴿كل من عليها فان * ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام﴾** [الرحمن: ٢٦، ٢٧].

وقال الله جل جلاله: **﴿تبارك اسم ربك ذى الجلال والإكرام﴾** [الرحمن: ٧٨] فاقرأ سورة الرحمن إن شئت وتدبر معانيها، فكل آية منها تظهر لك قدرة الله وعظيم فضله، ففيها إشارات إلى العلوم الكونية: علوم البر والبحر والجو وإشارات إلى بدء الخلق ونهاية العالم

وفى سورة الرحمن إحدى وثلاثون آية: ؛ **﴿فبأى آلاء ربكما تكذبان﴾** فهل من مذكر، وهذه السورة هى وحدها التى نسبها الرحمن لنفسه.

أولها: **﴿الرحمن * علم القرآن * خلق الإنسان *علمه البيان﴾**[الرحمن: ١ ـ ٤] ووسطها **﴿كل من عليها فان ***

ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام﴾ [الرحمن : ٢٦ ، ٢٧] وآخرها : ﴿تبارك اسم ربك ذى الجلال والإكرام﴾ [الرحمن : ٧٨]

أولها علم وخلق وقدرة وآلاء لا تحصى ، ووسطها : فناء الخلق بعد الحياة ، ثم حياة ونشر وبقاء ، إذ ما بعد الفناء إلا البقاء . وآخرها : شكر على النعم بسعادة أخروية وعطاء غير مجذوذ ﴿هل جزاء الإحسان إلا الإحسان﴾ [الرحمن : ٦٠] فهل أنتم شاكرون .

واسم ربك ﴿ذو الجلال والإكرام﴾ صفة ارتضاها لنفسه ولم يشاركه فيها أحد من خلقه وكما أمركم الله أن تدعوه باسمه الذى سمى به نفسه ، أمركم رسول الله ﷺ بقوله «أَلِظُّوا بيا ذا الجلال والإكرام (رواه الترمذى عن أنس رضى الله عنه ، ورواه أحمد والنسائى والحاكم عن ربيعة بن عامر رضى الله عنه) .

وقيل إنه الاسم الأعظم (انظر مادة «اسم الله الأعظم» فى م ٤ / ٤٤١ ـ ٤٤٤) .

وحظى وحظك من اسم ربنا ﴿ذى الجلال والإكرام﴾ أن يجعلنا من الشاكرين لأنعمه مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا .

وقالوا : من داوم على ذكر «مالك الملك ذى الجلال والإكرام» كل يوم ثلاثمائة وثلاثة وثلاثين ، فإن الدنيا تنقاد إليه . والله أعلم .

وتحت عنوان «الدين النصيحة» يمضى فضيلة الشيخ أحمد عبد الجواد فى كلامه فيقول : قال رسول الله ﷺ فيما يرويه عن ربه عز وجل : (قال الله تعالى : الكبرياء ردائى ، والعظمة إزارى ، فمن نازعنى واحدا منها قذفته فى النار) (رواه الإمام أحمد وأبو داود وابن ماجه عن أبى هريرة رضى الله عنه) .

ولقد زين آل الملوك وبطانتهم لملوكهم اسم صاحب الجلالة ، وصاحب العظمة ، وصاحب العزة فدعوهم بها ، كما زين لفرعون آله ، حتى قال : ﴿أنا ربكم الأعلى * فأخذه الله نكال الآخرة والأولى﴾ [النازعات : ٢٤ ، ٢٥] .

فبأى جواب يجيب أصحاب الجلالة والعظمة والعزة إذا قال لهم الملكان الموكلان بسؤالهم فى قبورهم : أأنت صاحب الجلالة والعظمة والعزة ؟ أجب ! فليتقوا الله فى أسماء هى لله وحده وحسبهم اسم الملك أو الرئيس أو الأمير ! وهو اسم كبير وثقيل عليهم ، ولا يطيق حمله إلا من رحم ربك (ولله الأسماء الحسنى / ٢٠٢ ، ٢٠٣) .

(المقصد الأسنى فى شرح أسماء الله الحسنى لأبى حامد الغزالى ـ دراسة وتحقيق محمد عثمان الخشت / ١٢٥ ، وشرح أسماء الله الحسنى للرازى ، وهو الكتاب المسمى «لوامع البينات شرح أسماء الله تعالى والصفات لشيخ الإسلام فخر الدين الرازى ـ راجعه وقدم له وعلق عليه الأستاذ طه عبد الرءوف سعد / ٣٤٢ ، وكتاب ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها ـ جمع وترتيب أحمد عبد الجواد . قرأه فضيلة شيخ الأزهر عبد الحليم محمود ، والسادة شعبان على خليل عبد الرحمن ومحمد المهدى محمود على / ٢٠٢ ، ٢٠٣ انظر أيضا شرح أسماء الله الحسنى عند ابن منظور دار الصحابة للتراث بطنطا (٨٢ ، ٨٣) .

*** ذو الجناحين:**

هو جعفر بن أبى طالب بن عبد المطلب ، نعته به النبى ﷺ بعد استشهاد جعفر فى غزوة مؤتة حين قُطع ذراعاه .

(ألقاب الصحابة والتابعين فى المسندين الصحيحين المسمى : الألقاب لأبى على الحسين بن محمد بن أحمد الجيانى الأندلسى ـ تحقيق د. محمد زينهم محمد عزب ومحمود نصار. دار الفضيلة . القاهرة . د. ت رقم الإيداع بدار الكتب ٨٧٢٤ / ١٩٩٤ / ٥٥ ، والألقاب الإسلامية ـ د. حسن الباشا / ٢٩٥) .

*** ذو حدة :**

ذو حدة : ورد فى غزوة تبوك . . حيث انفصل عبد الله بن أبى بعسكره ومن معه عن جيش المسلمين ونزل فى «ذى حدة» أسفل ثنية الوداع . بجوار جبال ذباب .

(المعالم الأثيرة فى السنة والسيرة ـ إعداد وتصنيف محمد محمد حسن شراب / ١٢٠) .

*** ذو الحُليفة:**

الحليفة : بالتصغير على وزن «جهينة» ، ويقال «ذو الحليفة» : قرية بظاهر المدينة المنورة على طريق مكة ، بينها وبين المدينة تسعة أميال ، تقع بوادى العقيق عند سفح جبل

«عَيْر» الغربى، ومنها تخرج فى البيداء تجاه مكة، وتعرف اليوم بـ «بيار على» وهى ميقات أهل المدينة، ومن مر بها حاجا أو معتمرا، وبها مسجد الشجرة (المعالم الأثيرة / ١٠٣).

وقال عنها المقدسى كما كانت فى زمانه: ذو الحليفة: قرية عند يثرب، بها مسجد عامر، وبالقرب آبار، ولا يرى فيها ديّار (أحسن التقاسيم / ٧٩).

وعن ذى الحليفة ووادى العقيق جاء فى تيسير الوصول ما يلى:

١ ـ عن ابن عمر رضى الله عنهما قال: «أتى رسول الله ﷺ وهو فى مُعَرَّسِهِ من ذى الحليفة ببطن الوادى فقيل له: إنك ببطحاء مباركة. قال موسى بن عقبة: وقد أناخ بنا سالم رحمه الله بالمناخ من المسجد الذى كان عبد الله يُنيخ به، يتحرى معرّس رسول الله ﷺ، وهو أسفل من المسجد الذى ببطن الوادى بينه وبين القبلة، وسطا من ذلك». أخرجه الشيخان والنسائى (التحرى): القصد والاعتماد لتحقيق الغرض المطلوب، و (المعرّس) موضع التعريس وهو: نزول المسافر آخر الليل نزلة للاستراحة والنوم.

٢ ـ وعن ابن عباس عن عمر رضى الله عنهم قال: «سمعت رسول الله ﷺ وهو بوادى العقيق يقول: أتانى آت من ربى، فقال: صل فى هذا الوادى وقل: عُمرة وحجة». أخرجه البخارى وأبو داود.

٣ ـ وعن مالك أنه قال: «لا ينبغى لأحد أن يجاوز المعرس إذا قفل إلى المدينة حتى يصلى فيه ركعتين أو ما بدا له، لأنه بلغنى أن رسول الله ﷺ عرس به، وهو على ستة أميال من المدينة». أخرجه أبو داود (تيسير الوصول ٣ / ٢٨٤، ٢٨٥).

وقال صاحب أنس السارى فى رحلته يصف وصول الركب إلى ذى الحليفة: ثم نزلنا آبار مولانا على بن أبى طالب رضى الله عنه، وهى ثلاثة آبار مشيدة البناء، واسعة الفناء، كثيرة المياه، ولها أدراج من أعلاها إلى أسفلها، وبقربها مسجد عظيم وعليه نخيل، فهنالك تطهرنا واغتسلنا لدخول المدينة المشرفة وبينها وبين المدينة خمسة أميال.

والمحل المذكور منخفض وهو قريب من ذى الحليفة، وهو وادى العقيق من بلاد مزينة، ونسبة ماء ذى الحليفة لغير مزينة وهم، واختلف فى القدر الذى بينها وبين المدينة قال فى خلاصة الوفاء، وقد اختبرته من عتبة باب المسجد النبوى المعروف بباب السلام إلى عتبة مسجد الشجر بذى الحليفة تسعة عشر ألف ذراع وتسعمائة ذراع واثنان وثلاثون ذراعا ونصف ذراع، وذلك خمسة أميال وثلث ميل، ومنه كان إحرام النبى ﷺ لحجة الفريضة، ومنه استنشقنا أرج المصطفى، وطاب لنا العيش وصفا (أنس السارى والسارب / ٩٢).

(المعالم الأثيرة فى السنة والسيرة ـ إعداد وتصنيف محمد محمد حسن شراب / ١٠٣، وأحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم للمقدسى المعروف بالبشارى ـ وضع مقدمته وهوامشه وفهارسه د. محمد مخزوم / ٧٩، وتيسير الوصول إلى جامع الأصول للإمام ابن الديبع الشيبانى ٣ / ٢٨٤، ٢٨٥ وأنس السارى والسارب من أقطار المغارب إلى منتهى الآمال والمآرب سيد الأعاجم والأعارب لأبى عبد الله محمد بن أحمد القيسى ـ حققه وقدم له وعلق عليه محمد الفاسى / ٩٢).

انظر: ذى الحليفة (مسجد ـ)، المعرّس (مسجد ـ).

*** ذو الخرق بن شعاث:**

أدرجه الفيروزابادى فيمن نسب إلى غير أبيه وقال عنه:

ذو الخرق بن شعاث الشاعر، بكسر الخاء المعجمة وفتح الراء بعدهما قاف. وشعاث بالشين المعجمة المضمومة وعين مهملة بعدها ألفا وثاء مثلثة، واسم أبيه نباتة.

(تحفة الأبيه فيمن نسب إلى غير أبيه لمجد الدين بن يعقوب الفيروزابادى، المطبوع فى نوادر المخطوطات ـ بتحقيق عبد السلام هارون ١ / ١٠٤).

*** ذو الخِرَق الطهوى:**

ذكر صاحب خزانة الأدب عند الكلام على الشاهد الأول من الأبيات السبعة التالية التى يقول عنها إن أبا زيد أوردها فى نوادره لذى الخرق الطهوى، وهى:

أتـانـى كـلام الثعلبى ابن ديسق
ففى أى هـذا ويلـه يتـتـرّعُ

يقول الخنى وأبغض العجم ناطقا
إلى ربنا صوت الحمار اليُجَدَّعُ
فهلاَّ تمنَّاها إذ الحرب لاقح
وذو النبوان قبره يتصدع
يأتك حيا دارم وهما معا
ويأتك ألف من طهيَّة أقرع
فيستخرج اليربوع من نافقائه
ومن جحره بالشيحة اليتقصع
ونحن أخذنا الفارس الخير منكم
فظل وأعيا ذو الفقار يكرَّع
ونحن أخذنا قد علمتم أسيركم
يسارا فنحذى من يسار ونتقع

والبيت الثاني هو الشاهد. قال الصاغاني: لم أجد هذا البيت في شعر ذي الخرق، وقد قرأت شعره في أشعار بني طهية. وساق له أبياتا سبعة لم يكن هذا البيت فيها، وذكر له بيتا بدل ما قبل البيت الأخير وهو:

ونحن حبسنا الدهم وسط بيوتكم
فلم تقربوها والرماح تزعزع

يقول صاحب الخزانة عن صاحب الشاهد الأول. نسب أبو زيد في نوادره هذا الشعر لذي الخرق الطهوي قال: «وهو جاهلي».

ومن لُقِّب من الشعراء من بني طهية ذا الخرق ثلاثة:

أحدهم خليفة بن حمل بن عامر بن حمير ين وقدان بن سبيع بن عوف بن مالك بن حنظلة به طهية، ولقب ذا الخرق بقوله:

ما بال أم حبيش لا تكلمنا
لما افتقرنا وقد نثرى فنتفق
تقطَّع الطرف دوني وهي عابسة
كما تشاوس فيك الثائر الحنق
لما رأت إبلي جاءت حمولتها
غرثى عجافا عليها الريش والخرق
قالت ألا تبغي مالا تعيش به
عما تلاقي وشر العيشة الرمق!
فيئي إليك فأنا معشر صُبُر
في الجدب لا خفة فينا ولا ملق
أنا إذا حُطمة حتَّت لنا ورقا
نمارس العيش حتى ينبت الورق

الثاني: قرط ويقال له ذو الخرق بن قرط أخو بني سعيدة ابن عوف بن مالك بن حنظلة بن طهية وهو فارس أيضا.

الثالث: شمير بن عبد الله بن هلال بن قرط بن سعيدة، كذا في المؤتلف والمختلف للآمدي. ولم يذكر هذا صاحب العباب، ولم أر من قيد أحد هذه الثلاثة بكونه جاهليا، فلا يظهر أن هذا الشعر لمن هو من هؤلاء الثلاثة، وقال العيني: إن ذا الخرق الطهوي صاحب الشعر اسمه دينار بن هلال، ولا أدري من أين نقله. وقال شارح شواهد المغني، وفي المؤتلف والمختلف للآمدي أن اسمه قرط، شاعر جاهلي، سمى بذلك لقوله:

* جاءت عجافا عليها الريش والخرق*

وفيه ثلاثة أمور: الأول أن الآمدي لم يذكر هذا الشعر فكيف ينسبه إلى قرط.

الثاني: أنه لم يقيد قرطا بكونه جاهليا.

الثالث: أن هذا الشعر ليس لقرط وإنما هو لخليفة بن حمل: وفيه أيضا أن الرواية «غرثى عجافا» لا «جاءت عجافا».

بقي من يلقب بذي الخرق من الشعراء من غير طهية. وهم اثنان:

أحدهما ذو الخرق اليربوعي أحد بني صبير بن يربوع بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم.

والثاني ذو الخرق بن شريح بن سيف بن أبان بن دارم. وهذا والذي قبله من شعراء الجاهلية.

ومن غير الشعراء: ذو الخرق النعمان بن راشد بن معاوية ابن عمرو بن وهب بن مرة كان يعلم نفسه في الحرب بخرق حمر وصفر.

وذو الخرق أيضا فرس عباد بن الحرث بن عدى بن الأسود، كان يقاتل عليه يوم اليمامة. والخرق جمع خرقة وهى القطعة من الثوب.

(خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب لعبد القادر بن عمر البغدادى. عنى بنشره المطبعة السلفية ومكتبتها، وإدارة الطباعة المنيرية ١ / ٤٣، ٤٤، ٥٠، ٥١).

* ذو الخَلَصَة:

من أصنام العرب فى الجاهلية وكان مروة بيضاء منقوشة، عليها كهيئة التاج. وكانت بتبالة، بين مكة واليمن. على مسيرة سبع ليال من مكة، وكان سَدَنَتَها بنو أمامة من باهلة بن أعصر. وكانت تعظمها وتهدى لها خثعم وبجيلة وأزد السراة ومن قاربهم من بطون العرب من هوازن. ومن كان ببلادهم من العرب بتبالة. قال رجل منهم:

لو كنت ياذا الخلص الموتورا
مثلى وكان شيخك المقبورا
لم تنه عن قتل العداة زورا

وكان أبوه قُتل، فأراد الطلب بثأره، فأتى ذا الخلصة، فاستقسم عنده بالأزلام فخرج السهم ينهاه عن ذلك، فقال هذه الأبيات: ومن الناس من ينحلها امرأ القيس بن حجر الكندى.

ففيها يقول خداش بن زهير العامرى لعثعث بن وحشى الخثعمى، فى عهد كان بينهم فغدر بهم:

وذكّرتُه بالله بينى وبينه
وما بيننا من مدة لو تذكرا
وبالمروة البيضاء يوم تبالة
ومحبسة النعمان حيث تنصّرا

فلما فتح رسول الله ﷺ مكة، وأسلمت العرب، ووفدت عليه وفودها، قدم عليه جرير بن عبد الله مسلما. فقال له: يا جرير! ألا تكفينى ذا الخلصة؟ فقال: بلى! فوجّهه إليه. فخرج حتى أتى بنى أحمس من بجيلة، فسار بهم إليه. فقاتلته خثعم وباهلة دونه. فقتل من سدنته من باهلة يومئذ مائة رجل، وأكثر القتل فى خثعم، وقتل مائتين من بنى قحافة ابن عامر بن خثعم. فظفر بهم وهزمهم، وهدم بنيان ذى الخلصة، وأضرم فيه النار، فاحترق. فقالت امرأة من خثعم:

وبنو أمامة بالولية صُرِّعوا
ثملا يعالج كلُّهم أنبوبا
جاءوا لبيضتهم فلاقوا دونها
أُسدا تقبُّ لدى السيوف قبيبا
قسم المذلة بين نسوة خثعم
فتيان أحمس قسمة تشعيبا

وذو الخلصة اليوم عتبة باب مسجد تبالة.

حدثنا الحسن بن عُلَيْل قال: حدثنا على بن الصباح قال: حدثنا أبو المنذر هشام بن محمد قال: أخبرنى أبو مسكين عن أبيه قال: لما أقبل امرؤ القيس بن حجر، يريد الغارة على بنى أسد، مر بذى الخلصة (وكان صنما بتبالة وكانت العرب جميعا تعظمه، وكانت له ثلاثة أقدح: الآمر، والناهى، والمتربص) فاستقسم عنده ثلاث مرات. فخرج «الناهى»، فكسر القداح، وضرب بها وجه الصنم، ثم غزا بنى أسد فظفر بهم.

فلم يستقسم عنده بشىء حتى جاء الله بالإسلام. فكان امرؤ القيس أول من أخفره.

(كتاب الأصنام لأبى المنذر هشام بن محمد بن السائب الكلبى - بتحقيق الأستاذ أحمد زكى / ٣٥، ٣٦، ٤٧).

* ذو الرأى:

من أذواء اليمن الذى ذكرهم ابن عبد البر فقال:

ومنهم: ذو الرأى، حُباب بن المنذر الأنصارى صاحب المشورة يوم بدر، أخذ رسول الله ﷺ برأيه، وكانت له آراء مشهورة فى الجاهلية.

(الاستيعاب فى معرفة الأصحاب لابن عبد البر - تحقيق على محمد البجاوى ٢ / ٤٧٧). انظر أيضا الإصابة فى تمييز الصحابة لشيخ الإسلام ابن حجر العسقلانى ٢ / ١٧٦).

انظر مادة «الأذواء» في م ٣ / ٥١٩ .

*** ذو الرُّمَّة (٧٧ـ ١١٧ هـ / ٦٩٦ ـ ٧٣٥ م):**

أدرجه الإمام الذهبي في الطبقة الثالثة من التابعين وقال عنه : من فحول الشعراء غيلان بن عقبة بن بُهَيْس مُضرى النسب، والرمة : هي الحبل، شبَّب بمية بنت مقاتل المنقرية، وبالخرقاء . وفد على الوليد وامتدحه . وكان يكون ببادية العراق .

مات بأصبهان كهلا سنة سبع عشرة ومائة (تهذيب سير أعلام النبلاء ١ / ١٩٣) وفيه أنه بُهَيْس .

وقال عنه الزركلي : غيلان بن عقبة بن نهيس بن مسعود العدوى، من مضر، أبو الحارث، ذو الرمة : شاعر، من فحول الطبقة الثانية في عصره . قال أبو عمرو بن العلاء : فتح الشعر بامرىء القيس وختم بذى الرمة أكثر شعره تشبيب وبكاء أطلال، يذهب في ذلك مذهب الجاهليين . وكان مقيما بالبادية، يحضر إلى اليمامة والبصرة كثيرا . وامتاز بإجادة التشبيه . قال جرير: لو خرس ذو الرمة بعد قصيدته : **ما بال عينك منها الماء ينسكب** لكان أشعر الناس . وقال الأصمعي : لو أدركت ذا الرمة لأشرت عليه أن يدع كثيرا من شعره، فكان خيرا له ... له ديوان شعر في مجلد ضخم . توفي بأصبهان، وقيل : بالبادية (الأعلام ٥ / ١٢٤) [وفيه أنه نَهَيْس] قال السمعاني يروى عن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما، روى عنه أبو محارب، ولقب بهذا اللقب لقوله : «أشعث باقي رمة التقليد» . وكان صاحبنا أبو أربد الخفاجي يسميه رميم ـ تصغير ذى الرمة ، وينشدنا كثيرا من شعره (الأنساب ٣ / ١٤) .

وفيما يلى طبعات ديوانه كما وردت في المعجم الشامل :

ـــ عناية كارليل هنرى هيس مكارتني، كمبردج : كلية كمبردج، مطابع جامعة كمبردج ، ١٣٢٧ هـ / ١٩١٩ م، ٧١٤ ص، م ٣٥ ص باللغة الإنجليزية ، ف ٤ ص المراجع .

ـــ بغداد : مكتبة المثنى ١٩٦٠ م، بالأوفست عن السابقة .

ـــ تحقيق مطيع ببيلى، دمشق : المكتب الإسلامى للطباعة والنشر، ط ثانية، مطبعة الناشر ، ١٣٨٤ هـ / ١٩٦٤ م، ٧٩٣ ص، م ١٦ ص، ف ١٦ ص ، المصدر، القوافي، الخطأ والصواب ، استدراك .

ـ تحقيق عبد القدوس أبو صالح، دمشق : مجمع اللغة العربية، مطبعة طربين ١٣٩٢ هـ / ١٩٧٢ م .

ج ١ : ٧٧٩ ، م ١٦٨ ص + ٦ ص نماذج مصورة من المخطوط، ف ٧ ص، تصويب .

ج ٢ : ٧٩٦، ف ٤ ص ، استدراك وتصويب .

ج ٣ : ٨٥٧ ص، ف ٣٤٣ ص : المحتوى، تخريج القصائد، الآيات، الأحاديث، الأمثال، الأسجاع، شواهد الشعر، فهرس اللغة ، الألفاظ المعربة ، الأنواء والنجوم، الأيام، الأماكن، الأعلام والجماعات، قوافي الديوان وتتمته، المصادر والمراجع، التصويب للجزء الثالث، استدراك (الديوان برواية الإمام أبي العباس ثعلب، شرح الإمام أبي نصر، أحمد بن حاتم الباهلي، صاحب الأصمعي) .

ـ بيروت : مؤسسة الإيمان، ط ثانية ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢ م، بالتصوير عن طبعة مجمع اللغة العربية لسنة ١٣٩٢ هـ / ١٩٧٢ م .

٢ ـ شرح أربع قصائد لذى الرمة :

ـــ شرح عبد الله الطيب المجذوب، الخرطوم : جامعة الخرطوم، قسم اللغة العربية ، ١٩٥٨ م ، ٢٤٣ ص (المعجم الشامل ٢ / ٣٧٥، ٣٧٦).

(تهذيب سير أعلام النبلاء للإمام شمس الدين الذهبي ـ أشرف على تحقيق الكتاب شعيب الأرنؤوط . هذبه أحمد فايز الحمصي، راجعه عادل مرشد ١ / ١٩٣ ، والأعلام للزركلي ٥ / ١٢٤ ، والأنساب للسمعاني ٣ / ١٤ ، والمعجم الشامل للتراث العربي المطبوع ـ جمع وإعداد وتحرير د. محمد عيسى صالحية ٢ / ٣٧٥، ٣٧٦).

*** ذو الرئاسات:**

ذو الرئاسات : أطلق على بدر الجمالي في نص إنشاء بتاريخ شهر ربيع الأول سنة ٤٥٦ هـ على جسر تورا في دمشق .

(الألقاب الإسلامية ـ د. حسن الباشا / ٢٩٥) .

*** ذو الرياستين:**

ذو الرياستين : يقصد بالرياستين هنا رياسة السيف والقلم . أى أن الملقَّب مبرز في ميدان الحرب والإدارة . وقد ظهر هذا اللقب على سكة بتاريخ سنة ١٤٩ هـ من مدينة السلام .

وتتفق المؤلفات التاريخية مع النقوش على النقود والآثار فى إطلاقه على الفضل بن سهل حتى قبل وزارته للمأمون: إذ أطلق عليه فى سكة بتاريخ سنة ١٦١ هـ من طبرستان. وفضلا عن ذلك فإن قطع العملة التى تحمل لقبه عديدة وقد جاءت من جهات مختلفة: فقد ورد اللقب على سكة بتاريخ سنة ١٩٦هـ من سمرقند، وعلى أخرى بتاريخ سنة ٢٠٢ هـ وعلى ثالثة بتاريخ سنة ١٩٨ هـ من مدينة السلام، وعلى رابعة بتاريخ سنة ١٩٩ هـ من مدينة أصفهان، وعلى قطع من النقود من نفس التاريخ من مصر، وعلى سكة بتاريخ سنة ٢٠٢ هـ من المغرب. كما ورد اللقب أيضا على قطعة من النسيج سنة ١٩٧ هـ من مصر، وفى نقش بتاريخ سنة ١٩٩ هـ على تاج من مكة.

وقد استعمل هذا اللقب أيضا فى الدولة الفاطمية فأطلق سنة ٤٠٧ هـ على جعفر بن فلاح أحد وسطاء الحاكم.

وكذلك استعمل هذا اللقب فى أسبانيا: فنعت به الظافر أبو محمد إسماعيل بن عبد الرحمن بن ذى النون حيث ورد فى نصى إنشاء على قطعتين من الرخام من طليطلة: أحدهما بتاريخ سنة ٤٢٣ هـ؛ والآخر بتاريخ سنة ٤٢٩ هـ.

وفى عصر المماليك أطلق اللقب على قاضى القضاة تقى الدين عبد الرحمن بن عبد الوهاب بن خلف بن بدر العلامى المعروف بابن بنت الأعز والمتوفى سنة ٦٩٥ هـ.

(الألقاب الإسلامية - د. حسن الباشا / ٢٩٥، ٢٩٦).

*** ذو الزنقة:**

ذو الزنقة عند المهندسين شكل من الأشكال المنحرفة وهو ما يكون فيه ضلعان متوازيان وآخران غير متوازيين يكون أحدهما عمودا على المتوازيين هكذا ذو الزنقتين عندهم شكل منحرف لا يكون أحد الضلعين الغير المتوازيين عمودا على المتوازيين هكذا كذا ذكر المولوى سيد عصمة الله فى شرح خلاصة الحساب وقال الزنقة الانحراف ولم يبين أنه بالفاء أو القاف وأنى لم أجد بالفاء فى كتب اللغة التى عندى وإنما وجدته فى الصراح بالقاف لكنه لم يذكره بمعنى الانحراف والله أعلم بحقيقة الحال والظاهر أنه بالقاف.

(كشاف اصطلاحات الفنون للتهانوى ٢ / ٥٢٤).

*** ذو الزوائد الجهنى:**

قال عنه ابن عبد البر: ذو الزوائد الجهنى، له صحبة ورواية.

سمع رسول الله ﷺ فى حجة الوداع فى حديث ذكره يقول: «إذا عاد العطاء رُشًا عن دينكم فدعوه» (الاستيعاب ٢ / ٤٦٩).

وقال عنه شيخ الإسلام ابن حجر:

ذو الزوائد الجهنى. ذكره الترمذى فى الصحابة ويقال فيه أبو الزوائد وزعم الطبرانى أنه ذو الأصابع المتقدم وعندى أنه غيره وقد روى مطين والطبرى فى التهذيب وغيره من طريق سعد بن إبراهيم عن أبى أمامة بن سهل قال أول من صلى الضحى رجل من أصحاب النبى صلى الله عليه وآله وسلم يقال له ذو الزوائد، وفى رواية مطين أبو الزوائد. وروى أبى داود والحسن بن سفيان من طريق سليم بن مطين عن أبيه عن ذى الزوائد سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فى حجة الوداع أمر الناس ونهى ثم قال ألا هل بلغت الحديث (الإصابة ٢ / ١٧٦).

(الاستيعاب فى معرفة الأصحاب لابن عبد البر - تحقيق على محمد البجاوى ٢ / ٤٦٩، والإصابة فى تمييز الصحابة لشيخ الإسلام ابن حجر العسقلانى ٢ / ١٧٦).

*** ذو سَلَم:**

ذو سلم: موضع مذكور فى طريق الهجرة النبوية، (بالحجاز بين مكة والمدينة) وذكره شعراء المديح النبوى، قال البوصيرى:

أمن تذكر جيران بذى سلم
مزجت دمعا جرى من مُقلة بدم

(المعالم الأثيرة فى السنة والسيرة - إعداد وتصنيف محمد محمد حسن شراب / ١٢١).

انظر مادة «البردة (قصيدة -)» فى م ٦ / ٥٩٨ - ٦١٩.

*** ذو السيادتين:**

ذو السيادتين: يشير إلى التبريز فى ميدانى الحرب والسياسة . وقد أطلق على ابن المظفر هود فى سكة باسم تاج الدولة من ح سنة ٤٤٠ هـ .

(الألقاب الإسلامية ـ د. حسن الباشا / ٢٩٧).

*** أبو السيفين:**

هو أبو الهيثم بن التيهان الأنصارى ذو السيفين، كان يتقلد سيفين فى الحرب.

(الاستيعاب فى معرفة الأصحاب لابن عبد البر ـ تحقيق على محمد البجاوى ٢ / ٤٧٧ ، والإصابة فى تمييز الصحابة لشيخ الإسلام ابن حجر العسقلانى ٢ / ١٧٦).

انظر مادة «الأذواء» فى م ٣ / ٥١٩ .

*** ذو الشَّرى:**

كان لبنى الحارث بن يشكر بن مُبَشِّر من الأزد صنم يقال له ذو الشرى. وله يقول أحد الغطاريف :

إذن لحللنا حول ما دون ذى الشرى

وشج العدى منا خميس عرمرم!

(كتاب الأصنام لأبى المنذر هشام بن محمد بن السائب الكلبى ـ بتحقيق الأستاذ أحمد زكى / ٣٧، ٣٨).

*** ذو الشمالين:**

قال الحافظ ابن حجر:

ذو الشمالين : عمير بن عبد عمرو بن نضلة بن غسان بن مالك بن أفصى الخزاعى حليف بنى زهرة. . يقال اسمه عمير ويقال عمرو ويقال عبد عمرو ذكره موسى بن عقبة فيمن شهد بدرا واستشهد بها وكذا ذكره ابن إسحاق وغيره ووقع فى رواية للزهرى فى قصة السهو فى الصلاة أنه الذى قال يارسول الله أنسيت أم قصرت الصلاة (انظر : ذو اليدين) وروى الطبرانى من طريق أبى شيبة الواسطى عن الحكم قال قال عمار كان مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثلاثة كلهم أضبط ذو الشمالين وعمر بن الخطاب وأبو ليلى انتهى والأضبط هو الذى يعمل بيديه جميعا (الإصابة ٢ / ١٧٦).

وقال السمعانى :

ذو الشمالين : هذا لقب عبد الله بن عمرو بن نضلة الخزاعى المكى، له صحبة من النبى ﷺ ، وقيل له ذو الشمالين لأنه كان يعمل بيديه، روى قصته أبو هريرة رضى الله عنه، وروى عنه مطير أيضا (الأنساب ٣/ ١٤، ١٥).

وجاء فى الألقاب الإسلامية :

ذو الشمالين : كان ينعت به عمير بن عبيد الله الصحابى الذى استشهد يوم بدر، وكان يلقب أيضا «بذى اليمينين» (الألقاب الإسلامية / ٢٩٧).

وقد جاء فى الأعلاق النفيسة أن ذا اليدين كان من قبل يدعى ذا الشمالين . ارجع إلى مادة «الأذواء» فى م ٣ / ٥١٩ .

(الإصابة فى تمييز الصحابة لشيخ الإسلام الحافظ ابن حجر العسقلانى ٢ / ١٧٦، والأنساب للسمعانى ٣ / ١٤، ١٥، والألقاب الإسلامية ـ د. حسن الباشا / ٢٩٧ . انظر أيضا ألقاب الصحابة والتابعين فى المسندين الصحيحين المسمى: الألقاب لأبى على الحسين بن محمد بن أحمد الجيانى الأندلسى ـ تحقيق د. محمد زينهم محمد عزب ومحمود نصار / ٥٥، ٥٦).

*** ذو الشهادتين:**

هو خزيمة بن ثابت رضى الله عنه (انظر ترجمته فى م ١٥ / ٥٢٥ ، ٥٢٦) قال عنه ابن عبد البر : خزيمة بن ثابت بن الفاكه بن ثعلبة الخطمى الأنصارى، من بنى خطمة من الأوس، يعرف بذى الشهادتين، جعل رسول الله ﷺ شهادته بشهادة رجلين، يكنى أبا عمارة، شهد بدرا وما بعدها من المشاهد، وكانت راية خطمة بيده يوم الفتح، وكان مع على رضى الله عنه بصفين، فلما قتل عمار جرد سيفه فقاتل حتى قتل، وكانت صفين سنة سبع وثلاثين (الاستيعاب ٢ / ٤٤٨).

وقد قال ابن عبد البر إن ذا الشهادتين ممن ذكرهم أبو العباس محمد بن يزيد المبرد فى الأذواء من اليمن فى الإسلام ممن لم يشهر أكثرهم عند العلماء بذلك (انظر مادة «الأذواء» فى م ٣ / ٥١٩)، ويضيف قائلا : وهو مشهور باسمه وحاله، فلا حاجة إلى ذكره فى الأذواء، وإنما يذكر فيهم من لم يعرف إلا بذلك أو من غلب عليه (الاستيعاب ٢ / ٤٧٧).

(الاستيعاب فى معرفة الأصحاب لابن عبد البر ـ تحقيق على محمد البجاوى ٢ / ٤٤٨ ، ٤٧٧ . انظر أيضا ألقاب الصحابة والتابعين فى المسندين الصحيحين المسمى : الألقاب لأبى على الحسن بن محمد بن أحمد الجيانى الأندلسى ـ تحقيق د. محمد زينهم محمد عزب ومحمود نصار / ٥٥ ، والألقاب الإسلامية ـ د. حسن الباشا / ٢٩٧) .

*** ذو العزيمتين:**

ذو العزيمتين : أطلق على الأمير أبى منصور كمشتكين الأتابكى فى نص تعمير بتاريخ شهر رمضان سنة ٥٢٨ هـ فى مسجد الخضر فى بصرى ، وفى نقش آخر مماثل فى حوران . وهذا اللقب يشير إلى النفوذ فى ميدانى الحرب والسياسة .

(الألقاب الإسلامية ـ د. حسن الباشا / ٢٩٧) .

*** ذو العزين:**

ذو العزين : أطلق على أبى منصور سارتكين الجوشى فى نص إنشاء بتاريخ سنة ٤٧٤ هـ من إسنا .

(الألقاب الإسلامية ـ د. حسن الباشا / ٢٩٧) .

*** ذو العقل:**

من اصطلاحات الصوفية . قال القاشانى : ذو العقل وهو الذى يرى الخلق ظاهرا والحق باطنا فيكون الحق عنده مرآة الخلق لاحتجاب المرآة بالصورة الظاهرة فيه احتجاب المطلق بالمقيد .

(اصطلاحات الصوفية للشيخ كمال الدين عبد الرزاق القاشانى ـ تحقيق وتعليق د. محمد كمال إبراهيم جعفر/ ١٦٢) .

*** ذو العقل والعين :**

من اصطلاحات الصوفية : هو الذى يرى الحق فى الخلق والخلق فى الحق ، ولا يحتجب بأحدهما عن الآخر بل يرى الوجود الواحد بعينه حقا من وجه وخلقا من وجه ؛ فلا يحتجب بالكثرة عن شهود الوجه الواحد الأحد ولا يزاحم فى شهوده كثرة المظاهر أحدية الذات التى يتجلى فيها ولا يحتجب بأحدية وجه الحق عن شهود الكثرة الخلقية ولا يزاحم فى شهوده أحدية الذات المتجلية فى المجالى كثرتها وإلى المراتب الثلاث أشار الشيخ الكامل محيى الدين بن العربى رحمة الله عليه فى قوله :

ففى الخلق عين الحق إن كنت ذا عين
وفى الحق عين الخلق إن كنت ذا عقل
وإن كنت ذا عين وعقل فما ترى
سوى عين شيء واحد فيه بالشكل

(اصطلاحات الصوفية للشيخ كمال الدين القاشانى ـ تحقيق وتعليق د. محمد كمال إبراهيم جعفر / ١٦٢ ، ١٦٣ . انظر أيضا كشاف اصطلاحات الفنون للتهانوى ٢ / ٥٢٥) .

*** ذو العلمين:**

ذو العلمين : نعت خاص لعلى بن أبى سعيد الكاتب (الألقاب الإسلامية ـ د. حسن الباشا / ٢٩٧) .

*** ذو العين:**

من اصطلاحات الصوفية قال الشيخ القاشانى : ذو العين : وهو الذى يرى الحق ظاهرا والخلق باطنا فيكون الخلق عنده مرآة الحق بظهور الحق عنده واختفاء الخلق فيه اختفاء المرآة بالصورة .

(اصطلاحات الصوفية للشيخ كمال الدين القاشانى ـ تحقيق وتعليق د. محمد كمال إبراهيم جعفر / ١٦٢ انظر كشاف اصطلاحات الفنون للتهانوى ٢ / ٥٢٥) .

***ذو العين (قتادة):**

ذكره المبرد فى الأذواء (انظر هذه المادة فى حرف الألف فى م ٣ / ٥١٩) وقال عن ذلك ابن عبد البر:

وممن ذكره : ذو العين قتادة بن النعمان ، أصيبت عينه فردها رسول الله ﷺ فكانت أحسن عينيه ، وكانت لا تعتل وتعتل التى لم تُرد .

(الاستيعاب فى معرفة الأصحاب لابن عبد البر ـ تحقيق على محمد البجاوى ٢ / ٤٧٧) .

ونوافيك بترجمته تحت عنوان «قتادة بن النعمان» فى حرف القاف إن شاء الله تعالى .

*** ذو الغرة الجهنى:**

قال عنه ابن عبد البر: ذو الغرة الجهنى ، ويقال الطائى الهلالى ، روى عنه عبد الرحمن بن أبى ليلى ، عن النبى ﷺ فى النهى عن الصلاة فى أعطان الإبل ، والأمر بالوضوء ، من

لحومها، وقال: «لا توضّئوا من لحوم الغنم، وصلوا فى مراحها» ويقال: إن اسم ذى الغرة يعيش، والله أعلم (الاستيعاب ٢ / ٤٧٠).

وقال عنه الحافظ ابن حجر:

ذو الغرة الجهنى... ويقال الهلالى روى عبد الله فى زيادات المسند والبغوى وابن السكن من طريق أبى جعفر الرازى عن عبد الرحمن بن أبى ليلى عن ذى الغرة قال: عرض أعرابى للنبى صلى الله عليه وآله وسلم فسأله عن الصلاة فى أعطان الإبل قال والراوى له عن أبى جعفر عبيدة بن معتب وهو ضعيف وخالفه الأعمش وحجاج بن أرطاة فقالا عن عبيد الله بن عبد الله وهو أبو جعفر الرازى عن ابن أبى ليلى عن البراء بن عازب وإنه حجاج بن أرطاة أو أسيد بن حضير بالشك وقد صحح الحديث من رواية الأعمش أحمد وابن خزيمة وغيرهما ورواه محمد بن عمران بن أبى ليلى عن أبيه عن عبد الرحمن بن أبى ليلى عن يعيش الجهنى، وكذا قال عيسى بن عبد الرحمن بن أبى ليلى عن أبيه فيقال هو اسم ذى الغرة. وأخرجه أبو نعيم من طريق جابر الجعفى عن حبيب ابن أبى ثابت عن عبد الرحمن بن أبى ليلى عن سليك قال ابن السكن لا يصح شيء من طرقه (الإصابة ٢ / ١٧٦، ١٧٧).

(الاستيعاب فى معرفة الأصحاب لابن عبد البر ـ تحقيق على محمد البجاوى ٢ / ٤٧٠، والإصابة فى تمييز الصحابة لشيخ الإسلام الحافظ ابن حجر العسقلانى ٢ / ١٧٦، ١٧٧).

*** ذو الغُصَّة:**

قال ابن عبد البر: ذو الغصة، الحصين بن يزيد بن شداد الحارثى، من بنى الحارث بن كعب، يقال له. ذو الغصة.

وفد على النبى ﷺ، وذكره ابن الكلبى وقال: إنما قيل له ذو الغصة، لأنه كان بحلقه غصة، وكان لا يبين بها الكلام، فسمى ذا الغصة. رأس بنى الحارث مائة سنة.

(الاستيعاب فى معرفة الأصحاب لابن عبد البر ـ تحقيق على محمد البجاوى ٢ / ٤٧٠، ٤٧١).

*** ذو الفخرين:**

ذو الفخرين: أطلق على أبى الطاهر إسماعيل بن حصن الدين ثعلب بن يعقوب الجعفرى الزينبى فى نص جنائزى بتاريخ سنة ٦١٣ هـ فى ضريح أبى منصور إسماعيل بالقاهرة.

(الألقاب الإسلامية ـ د. حسن الباشا / ٢٩٨).

*** ذو الفضائل:**

أوردنا ترجمته تحت عنوان« الأخسيكثى» فى م ٣ / ١٦٥، ١٦٦ فانظرها فى موضعها.

*** ذو الفقار القرشى (٦٢٣-٦٨٥ هـ):**

من مدرسى الفقه الشافعى بالمدرسة المستنصرية ببغداد.

ترجمته فى بغية الوعاة للسيوطى الورقة٢١٣ من مخطوطة لندن. وفى منتخب المختار: ذو الفقار بن محمد بن أشرف ابن أبى جعفر محمد بن أبى الصمصام بن الحسن بن أحمد ابن حميدان بن إسماعيل بن يوسف بن موسى بن عبد الله بن الحسن السبط بن على بن أبى طالب القرشى: أبو جعفر بن أبى عبد الله العلوى الحسنى الملقب شرف الدين ابن الإمام علاء الدين الشافعى. وهو ابن عماد الدين الذى كان مدرسا للشافعية بالمستنصرية أيضا.

ولد بخوى من أذربيجان فى صفر سنة ٦٢٣ هـ وتوفى يوم الجمعة ٢٧ شعبان ٦٨٥ شعبان سنة ٦٨٥ هـ. ودفن عند والده بالمشهد الكاظمى، وشيعه قاضى القضاة والجماعة إلى مدفنه.

قال الذهبى: نحوى سمع ببغداد من الكاشغرى، وابن الخازن. درس بالمستنصرية.

وقال ابن رافع: سمع من أبى بكر محمد بن سعيد بن الخازن: مسند الشافعى، ومعجم الإسماعيلى. ومن إبراهيم ابن عثمان الكاشغرى شيخ دار السنة المستنصرية، وأبى إسحاق إبراهيم بن إسحاق المكناسى.

وقال أيضا: قرأت بخط ابن الفوطى عنه: «السيد العالم مدرس المستنصرية للشافعية كتبت عنه. وكان كريم الصحبة، جميل الأخلاق... وقد أجاز لأبى محمد عبد العزيز البغدادى، وللحافظ علم الدين البرزالى» (منتخب المختار / ٥٤).

وقد سمع من المقامات الزينية المجلس الأول فقط من منشئها ابن الصيقل الجزرى سنة ٦٧٦ هـ. برواق المدرسة المستنصرية.

(تاريخ علماء المستنصرية - د. ناجى معروف ١ / ١٣٦، ١٣٧، ٤٠٤).

*** ذو القرنين:**

تحت عنوان: مطلب الكلام على ذى القرنين صاحب الخضر ولِمَ لُقِّبَ بذلك، وتعريف نبوته وعدمها» يقول ابن ظهيرة القرشى فى فائدة استطرادية:

اعلم أن ذا القرنين اثنان رومى ومقدونى والذى اجتمع بالخليل هو الرومى الذى ذكره الله تعالى فى القرآن وهو صاحب الخضر. واختلف فى تسميته بذى القرنين وكان نبيا أم عبدا صالحا. فقيل سمى بذى القرنين لأنه بلغ لمغرب الشمس ومطلعها، وقيل لأنه. ملك الروم وفارس أو الروم والترك، وقيل لأنه انقرض فى زمنه قرنان من الناس وهو حى. وقال الواحدى: لأنه أمر قومه بتقوى الله فضربوه على قرنه فمات فبعثه الله ثم أمرهم بتقوى الله فضربوه على قرنه الآخر فمات، فبعثه الله فسمى ذا القرنين، وقيل كان له قرنان وقيل كان كريم الطرفين أُما وأبا وهذان القولان فى المدارك، وقيل لأنه عاش قرنين وعن على سخر له السحاب ومدت له الأسباب وبسط له النور وكان الليل والنهار عنده سواء.

(وأما إنه نبى أو ملك) فعن عبد الله بن عمر ومجاهد أنه كان نبيا، وعن على كرم الله وجهه أنه كان عبد ا صالحا أحب الله وناصحه فأحبه الله وناصحه. وعن وهب أنه كان ملكا عادلا، قال المفسرون ملك الدنيا أربعة مؤمنان وكافران، أما المؤمنان فذو القرنين وسليمان بن داود عليهما السلام. وأما الكافران: فنمرود وبخت نصر. قال القرطبى وسيملك الدنيا من هذه الأمة خامس وهو المهدى لقوله تعالى: ﴿ليظهره على الدين كله﴾ انتهى. (أقول)، وسيملكها سادس أيضا، وهو عيسى صلوات الله عليه. كما جاءت به السنة فى غير موضع من الصحيحين وغيرهما انتهى.

أما عن سِنِّ ذى القرنين فيقول: وكان عمر ذى القرنين ألفا وستمائة سنة، واختلف فى زمنه واسمه فقيل كان فى زمن نمرود، ويؤيده اجتماعه بالخليل حال بنائه البيت لأن الخليل والنمرود فى زمن واحد، وعن وهب أنه كان فى الفترة بين عيسى ومحمد عليهما السلام، وقيل كان بعد ثمود، وأما اسمه فقيل عبد الله. وقيل اسكندر، وقيل مرزبان بن مرزبة (الجامع اللطيف / ٥٠، ٥١).

وجاء فى قصيدة نشوان بن سعيد الحميرى أن الملك تُبّع الأقرن (انظر ترجمته فى م ٨ / ٤٥٩، ٤٦٠) هو ذو القرنين المذكور فى القرآن، ابن شمر برعش بن إفريقيس بن أبرهة ذى المنار بن الحارث الرائش، وسمى الأقرن ذا القرنين لشيب كان على قرنيه ولد وهو فيه. وكان ملكا عظيما، عالما حكيما. قد اطلع على علم الكتاب، وسمع حكومات من ينظر فى القرانات...

وكثير من حمير يرى أن هذا الملك، هو ذو القرنين المذكور فى القرآن الكريم (كما سبق أن ذكرنا فى مادة «تُبّع الأقرن» فى م ٨ / ٤٥٩، ٤٦٠)، لما رأوا من شدة ملكه وعلمه وعدله وحسن سيرته، ولأنه بلغ المبالغ التى ذكرت لذى القرنين السيار. ودخل بلاد الظلمات التى فيها وادى الياقوت، وفيها العين التى يسمى ماؤها الحيوان، التى ظفر بها الخضر عليه السلام دون ذى القرنين، وغير ذلك من الأوصاف التى وصف بها ذو القرنين (ملوك حمير وأقيال اليمن / ٩٦، ٩٧).

وترد قصة ذى القرنين فى القرآن الكريم فى ست عشرة آية من سورة الكهف هى الآيات ٨٣ ــ ٩٨ وسيأتى بيانها فيما نورده من تفسير الإمام أبى الثناء الآلوسى (انظر ترجمته تحت عنوان» الآلوسى (أبو الثناء)» فى م ١ / ٥٥٤ - ٥٦١) وهو تفسير شامل جامع ننقله رغم طوله لفائدته العميمة، وبالله التوفيق:

﴿ويسألونك عن ذى القرنين﴾ كان السؤال على وجه الامتحان والسائلون فى المشهور قريش بتلقين اليهود وقيل اليهود أنفسهم. وروى ذلك عن السدى وأكثر الآثار تدل على أن الآية نزلت بعد سؤالهم فالتعبير بصيغة الاستقبال لاستحضار الصورة الماضية لما أن فى سؤالهم على ذلك

الوجه مع مشاهدتهم من أمره صلى الله تعالى عليه وسلم ماشاهدوا نوع غرابة . وقيل للدلالة على استمرارهم على السؤال إلى ورود الجواب . وبعض الآثار يدل على أن الآية نزلت قبل فعن عقبة بن عامر قال إن نفرا من أهل الكتاب جاءوا بالصحف أو الكتب فقالوا لى استأذن لنا على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لندخل عليه فانصرفت إليه عليه الصلاة والسلام فأخبرته بمكانهم فقال ﷺ ما لى ولهم يسألوننى عما لا أعلم إنما أنا عبد لا علم لى إلا ما علمنى ربى ثم قال آتنى بوضوء أتوضأ به فأتيته فتوضأ ثم قام إلى مسجد فى بيته فركع ركعتين فانصرف حتى بدا السرور فى وجهه ثم قال اذهب فأدخلهم ومن وجدت بالباب من أصحابى فأدخلتهم فلما رآهم النبى ﷺ قال إن شئتم أخبرتكم بما سألتمونى عنه وإن شئتم غير ذلك فافعلوا والجمهور على الأول ولم تثبت صحة هذا الخبر واختلف فى ذى القرنين فقيل هو ملك أهبطه الله تعالى إلى الأرض وآتاه من كل شىء سببا وروى ذلك عن جبير بن نفير واستدل على ذلك بما أخرجه ابن عبد الحكم وابن المنذر وابن أبى حاتم وابن الأنبارى فى كتاب الأضداد . وأبو الشيخ عن عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه أنه سمع رجلا ينادى بمنى يا ذا القرنين فقال له عمر هاأنتم قد سميتم بأسماء الأنبياء فما لكم وأسماء الملائكة وهذا قول غريب بل لا يكاد يصح والخبر على فرض صحته ليس نصا فى ذلك إذ يحتمل ولو على بعد أن يكون المراد أن هذا الاسم من أسماء الملائكة عليهم السلام فلا تسموا به أنتم وإن تسمى به بعض من قبلكم من الناس . وقيل هو عبد صالح ملكه الله تعالى الأرض وأعطاه العلم والحكمة وألبسه الهيبة ولا نعرف من هو . وذكر فى تسميته بذى القرنين وجوه :

الأول أنه دعا إلى طاعة الله تعالى فضرب على قرنه الأيمن فمات ثم بعثه الله تعالى فدعا فضرب على قرنه الأيسر فمات ثم بعثه الله تعالى فسمى ذا القرنين وملك ما ملك . وروى هذا عن على كرم الله تعالى وجهه . الثانى أنه انقرض فى وقته قرنان من الناس الثالث أنه كانت صفحتا رأسه من نحاس . وروى ذلك عن وهب بن منبه . الرابع أنه كان فى رأسه قرنان كالظلفين وهو أول من لبس العمامة ليسترهما . وروى ذلك عن عبيد بن يعلى . الخامس أنه كان لتاجه قرنان . السادس أنه طاف قرنى الدنيا أى شرقها وغربها ، وروى ذلك مرفوعا .

أنه طاف قرنى الدنيا أى شرقها وغربها ، وروى ذلك مرفوعا .
السابع أنه كان له غديرتان . وروى ذلك عن قتادة ويونس بن عبيد . الثامن أنه سخر له النور والظلمة فإذا سرى يهديه النور من أمامه وتمتد الظلمة من ورائه . التاسع أنه دخل النور والظلمة . العاشر أنه رأى فى منامه كأنه صعد إلى الشمس وأخذ بقرنيها . الحادى عشر أنه يجوز أن يكون قد لقب بذلك لشجاعته كأنه ينطح أقرانه كما لقب أزدشيربهمن بطويل اليدين لنفوذ أمره حيث أراد ولا يخفى أنه يبعد عدم معرفة رجل مكن له ما مكن فى الأرض . وبلغ من الشهرة ما بلغ فى طولها والعرض .

وأما الوجوه المذكورة فى وجه تسميته ففيها ما لا يكاد يصح ولعله غير خفى عليك وقيل هو فريدون بن أثفيان بن جمشيد خامس ملوك الفرس الفيشدادية وكان ملكا عادلا مطيعا لله تعالى وفى كتاب صور الأقاليم لأبى زيد البلخى أنه كان مؤيدا بالوحى . وفى عامة التواريخ أنه ملك الأرض قسمها بين بنيه الثلاثة إيرج ، وسلم ، وتور ، فأعطى إيرج العراق والهند والحجاز وجعله صاحب التاج . وأعطى سلم الروم وديار مصر والمغرب وأعطى تور الصين والترك والمشرق ووضع لكل قانونا يحكم به وسميت القوانين الثلاثة سياسة فهى معربة سى إيسا أى ثلاثة قوانين .

ووجه تسميته ذا القرنين أنه ملك طرفى الدنيا أو طول أيام سلطنته فإنها كانت على ما فى روضة الصفا خمسمائة سنة أو عظم شجاعته وقهره الملوك ورد بأنه قد أجمع أهل التاريخ على أنه لم يسافر لا شرقا ولا غربا وإنما دوخ له البلاد كاوه الأصفهانى الحداد الذى مزق الله تعالى على يده ملك الضحاك وبقى رئيس العساكر إلى أن مات ويلزم على هذا القول أيضا أن يكون الخضر عليه السلام على مقدمته بناء على ما اشتهر أنه عليه السلام كان على مقدمة ذى القرنين ولم يذكر ذلك أحد من المؤرخين وأجيب بأن من يقول إنه الإسكندر يثبت جميع ما ثبت للإسكندر فى الآيات والأخبار ولا يبالى بعدم ذكر المؤرخين لذلك وهو كما ترى .

وقيل : هو إسكندر اليونانى ابن فيلقوس وقيل قلفيص وقيل قلفيص . وقال ابن كثير هو ابن فيليس بن مصريم بن هرمس بن ميطون بن رومى بن ليطى بن يونان بن يافث بن نونه ابن شرخون بن تونط بن يوفيل بن رومى بن الأصغر بن العزيز

ابن العيص بن إسحاق بن إبراهيم الخليل عليه السلام وكان سرير ملكه مقدونيا وهى بلدة من بلاد الروم غربى دار السلطنة السنية قسطنطينية المحمية بينهما من المسافة قدر خمسة عشر يوما أو نحو ذلك عند مدينة شيروز وقول ابن زيدون إنها مصر وَهْمٌ وهو الذى غلب دارا الأصغر واستولى على ملك الفرس وكان مولده فى السنة الثالثة عشر من ملك دارا الأكبر... وزعم بعضهم أنه أبوه وذلك إنه تزوج بنت فيلقوس فلما قربها وجد منها رائحة منكرة فأرسلها إلى أبيها وقد حملت بالإسكندر فلما وضعته بقى فى كفالة أبيها فنسب إليه وقيل إن دارا الأكبر تزوج بنت ملك الزنج هلابى فاستخبث ريحها فأمر أن يحتال لذلك فكانت تغتسل بماء السندروس فأذهب كثيرا من ذفرها ثم عافها وردها إلى أهلها فولدت الإسكندر وكان يسمى الإسكندروس ويدل على أنه ولده إنه لما أدرك دارا الأصغر ابن دارا الأكبر وبه رمق وضع رأسه فى حجره وقال له يا أخى أخبرنى عمن فعل هذا بك لأنتقم منه وهو زعم باطل. وقوله يا أخى من باب الإكرام ومخاطبة الأمثال وإنما سمى ذا القرنين لملكه طرف الأرض أو لشجاعته واستدل لهذا القول بأن القرآن دل على أن الرجل بلغ ملكه إلى أقصى المغرب وأقصى المشرق وجهة الشمال وذلك تمام المعمور من الأرض ومثل هذا الملك يجب أن يبقى ذكره مخلدا والملك الذى اشتهر فى كتب التواريخ أنه بلغ ملكه إلى هذا الحد ليس إلا هذا الإسكندر وذلك لأنه لما مات أبوه جمع ملوك الروم والمغرب وقهرهم وانتهى إلى البحر الأخضر ثم عاد إلى مصر وبنى الإسكندرية ثم دخل الشام وقصد بنى إسرائيل وورد بيت المقدس وذبح فى مذبحه ثم انعطف إلى أرمينية وباب الأبواب ودانت له العراقيون والقبط والبربر واستولى على دارا وقصد الهند والصين وغز الأمم البعيدة ورجع إلى خراسان وبنى المدن الكثيرة ورجع إلى العراق ومرض بشهرزور ومات بها. وقيل مات برومية المدائن ووضعوه فى تابوت من ذهب وحملوه إلى الإسكندرية وعاش اثنين وثلاثين سنة ومدة ملكه اثنتا عشرة سنة. وقيل عاش ستة وثلاثين ومدة ملكه ست عشرة سنة وقيل غير ذلك.

فلما ثبت بالقرآن أن ذا القرنين ملك أكثر المعمورة وثبت بالتواريخ أن الذى هذا شأنه هو الإسكندر وجب القطع بأن المراد بذى القرنين هو الإسكندر كذا ذكره الإمام ثم قال وهذا القول هو الأظهر للدليل المذكور إلا أن فيه إشكالا قويا وهو أنه كان تلميذ أرسطو الحكيم المقيم بمدينة أثينة أسلمه إليه أبوه فأقام عنده خمس سنين وتعلم منه الفلسفة وبرع فيها وكان على مذهبه فتعظيم الله تعالى إياه يوجب الحكم بأن مذهب أرسطو حق وذلك مما لا سبيل إليه.

وأجيب بأن لانسلم أنه كان على مذهبه فى جميع ما ذهب إليه والتلمذة على شخص لا توجب الموافقة فى جميع مقالات ذلك الشخص ألا ترى كثرة مخالفة الإمامين لشيخهما الإمام أبى حنيفة رضى الله تعالى عنه فيحتمل أن يكون مخالفا له فيما يوجب الكفر وفى ذبحه فى مذبح بيت المقدس دليل على أنه لم يكن يرى جميع ما يراه الحكماء ولا يخفى أنه احتمال بعيد والمشهور أنه كان قائلا بما يقوله الحكماء والذبح المذكور غير متحقق والاستدلال به ضعيف. وقيل إن قوله بذلك وتمذهبه بمذهب أرسطو لا يوجب كفره إذ ذاك فإنه كان مقرا بالصانع تعالى شأنه معظما له غير عابد سواه من صنم أو غيره كما يدل عليه ما نقله الشهرستانى أن الحكماء تشاوروا فى أن يسجدوا له إجلالا وتعظيما فقال لا يجوز السجود لغير بادئ الكل ولم يكن مبعوثا إليه رسول فإنه كان قبل مبعث عيسى عليه السلام بنحو ثلثمائة سنة وكان الأنبياء عليهم السلام إذ ذاك من بنى إسرائيل ومبعوثين إليهم ولم يكن هو منهم فكان حكمه حكم أهل الفترة وتعقب بأنه على تسليم ذلك لا يحسم مادة الإشكال لأن الله تعالى لا يكاد يعظم من حكمه حكم أهل الفترة مثل هذا التعظيم الذى دلت عليه الآيات والأخبار.

وأيضا الثابت فى التواريخ أن الإسكندر المذكور كان أرسطو بمنزلة الوزير عنده وكان أرسطو بمنزلة الوزير عنده وكان يستشيره فى المهمات ويعمل برأيه، ولم يذكر فيها أنه اجتمع مع الخضر عليه السلام فضلا عن اتخاذه إياه وزيرا كما هو المشهور فى ذى القرنين.

واعترض أيضا بأن إسكندر المذكور لم يتحقق له سفر نحو المغرب فى كتب التواريخ المعتبرة وقد نبه على ذلك كاتب جلبى (هو حاجى خليفة) عليه الرحمة وقيل هو

الإسكندر الرومى وهو متقدم على اليونانى بكثير ويقال له ذو القرنين الأكبر، واسمه قيل مرزبان بن مردبة من ولد يافث بن نوح عليه السلام وكان أسود وقيل اسمه عبد الله بن الضحاك وقيل مصعب بن عبد الله بن قينان بن منصور بن عبد الله بن الأزد بن عون بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يعرب بن قحطان وجعل بعضهم هذا الخلاف فى اسم ذى القرنين اليونانى بعد أن نقل القول بأن اسمه الإسكندر بن فيلقوس وذكر فى اسم الرومى ونسبه ما نقل سابقا عن ابن كثير.

وذهب بعض المحققين إلى أن الإسكندر اليونانى والإسكندر الرومى كلاهما يطلقان على غالب دارا الأصغر والتاريخ المشهور بالتاريخ الرومى ويسمى أيضا السريانى والعجمى ينسب إليه فى المشهور وأوله شروق يوم الاثنين من أول سنة من سنى ولايته عند ابن البناء ومن أول السنة السابعة وهى سنة خروجه لتملك البلاد كما فى زيج الصوفى أو من أول السنة التى مات فيها كما فى المادى والغايات وبعض المحققين ينسبه إلى سولونس بن الطبوخوس الذى أمر ببناء أنطاكية وهو الذى صححه ابن أبى الشكر وتوقف بعضهم كألغ بك عن نسبته إلى أحدهما لتعارض الأدلة ونفى بعضهم أن يكون فى الزمن المتقدم بين الملوك إسكندران وزعم أنه ليس هناك إلا الإسكندر الذى غلب درا واستولى على ملك فارس وقال إن ذا القرنين المذكور فى القرآن العظيم يحتمل أن يكون هو واحتمل أن يكون غيره والذى عليه الكثير أن المسمى بالإسكندر بين الملوك السالفة اثنان بينهما نحو ألفى سنة وأن أولهما هو المراد بذى القرنين ويسميه بعضهم الرومى وبعضهم اليونانى وهو الذى عمَّر دهرا طويلا فقيل عمَّر ألفا وستمائة سنة . وقيل ألفى سنة وقيل ثلاثة آلاف سنة ولا يصح فى ذلك شيء وذكر أبو الريحان البيروتى المنجم فى كتابه المسمى بالآثار الباقية عن القرون الخالية أن ذا القرنين هو أبو كرب سمى بن عمير بن أفريقيس الحميرى وهو الذى افتخر به تُبَّع اليمانى حيث قال :

قد كان ذو القرنين جدى مسلما
ملكا علا فى الأرض غير مفند
بلغ المغارب والمشارق يبتغى
أسباب ملك من حكيم مرشد
فرأى مغيب الشمس عند غروبها
فى عين ذى خلب وثأط حرمد

قالت المؤلفة : ورد هذان البيتان بألفاظ مختلفة فى كتاب ملوك حمير (ص ١٠٨) الذى يأتى الكلام عليه إن شاء الله تعالى اهـ.

ثم قال ويشبه أن يكون هذا القول أقرب لأن الأذواء كانوا من اليمن كذى المنار، وذى نواس، وذى رعين، وذى يزن، وذى جدن. واختار هذا القول كاتب جلبى وذكر أنه كان فى عصر إبراهيم عليه السلام وأنه اجتمع معه فى مكه المكرمة وتعانقا وأن شهرة بلوغ ملك الإسكندر اليونانى تلميذ أرسطو الغاية القصوى فى كتب التواريخ كما ذكر الإمام دون هذا إنما هى لقرب زمان اليونانى بالنسبة إليه فإن بينهما نحو ألفى سنة وتواريخ هاتيك الأعصار قد أصابها أعصار ولم يبق ما يعول عليه ويرجع فى حل المشكلات إليه وربما يقال إن عدم شهرة من ذكر تقوى كونه المسئول عنه إذ غرض اليهود من السؤال الامتحان وذلك إنما يحسن فيما خفى أمره ولم يشهر إذ الشهرة لاسيما إذا كانت تامة مظنة العلم.

وإلى كون ذى القرنين فى زمان إبراهيم عليه السلام ذهب غير واحد وقد ذكر الأزرقى أنه أسلم على يده عليه السلام وطاف معه بالكعبة وكان ثالثهما إسماعيل عليه السلام. وروى أنه حج ماشيا فلما سمع إبراهيم عليه السلام بقدومه تلقاه ودعا له وأوصاه بوصايا. وقيل أتى بفرس ليركب فقال لا أركب فى بلد فيه الخليل فعند ذلك سخر له السحاب ومد له فى الأسباب وبشره إبراهيم عليه السلام بذلك فكانت السحابة تحمله وعساكره وجميع آلاتهم إذا أرادوا غزو قوم وهؤلاء لم يصرحوا بأن ذا القرنين هذا هو الحميرى الذى ذكر لكن مقتضى كلام كاتب جلبى أنه هو وذكر أنه يمكن أن يكون إسكندر لقبا لمن ذكر معربا عن الكسندر ومعناه فى اللغة اليونانية آدمى جيد وربما يقال إن من قال اسم الإسكندر مصعب بن عبد الله بن قينان بن منصور إلى آخر النسب السابق المنتهى إلى قحطان عنى هذا الرجل الحميرى لا الرومى ولا اليونانى لكن وهم الناقل لأنه لم يقل أحد بأن الروم من أبناء قحطان وكذا اليونان نعم ذكر يعقوب بن إسحاق

الكندي أن يونان أخو قحطان ورد عليه أبو العباس الناشي في قصيدته حيث قال :

أبا يوسف إني نظرت فلم أجد
على الفحص رأيا صح منك ولا عقدا
وصرت حكيما عند قوم إذا امرؤ
بلاهم جميعا لم يجد عندهم عهدا
أتقرن إلحادا بدين محمد
لقد جئت شيئا يا أخا كندة إدا
وتخلط يونانا بقحطان ضلة
لعمري لقد باعدت بينهما جدا

والمذكور وفي كتب التواريخ أن ملوك اليمن إلى أن غلبت الحبشة عليها من أبناء قحطان وأورد على هذا القول في ذي القرنين أنه لم يوجد في كتب التواريخ المعتبرة سمي بن عمير ابن افريقيس في عداد ملوك اليمن والمذكور إنما هو شمر بصيغة فعل الماضي من التشمير بن إفريقيس ولم يذكروا بينه وبين إفريقيس عميرا . وقد ذكر بعضهم فيه أنه ذو القرنين وقالوا إنه يقال له شمر يرعش لارتعاش كان فيه فلعل «سمي» محرف عن شمر وابن عمير محرف من يرعش وقد ذكروا في أبيه إفريقيس أنه غزا نحو المغرب في أرض البربر حتى أتى طنجة ونقل البربر من أرض فلسطين ومصر والساحل إلى مساكنهم اليوم وأنه هو الذي بنى إفريقية وبه سميت وكان ملكه مائة وأربعا وستين سنة وفيه أنه خرج نحو العراق وتوجه نحو الصين وأنه قلع المدينة التي تسمى اليوم سمرقند قالوا إنها معرب شمركند وإلى ذلك يشير دعبل الخزاعي بقوله يفتخر بملوك اليمن :

همو كتبوا الكتاب بباب مَرْوٍ
وباب الشاش كانوا الكاتبينا
وهم سمُّوا بشمر سمرقندا
وهم غرسوا هناك النابتينا

وأنه إنما لقب بذي القرنين لذؤابتين كانتا له ، وكان ملكه على ما قال ابن قتيبة مائة وسبعا وثلاثين سنة ، وعلى ما قال المسعودي ثلاثا وخمسين سنة ، وعلى ما قال غيرهما سبعا وثمانين سنة . ثم إن هذا لم يكن بأبي كرب ، وإنما المكني به على ما رأيناه في بعض التواريخ أسعد بن كليكرب ، ويقال له تُبَّع الأوسط (انظر ترجمته في م ٨ / ٤٦١ ـ ٤٦٥) ويذكر أنه آمن بنبينا صلى الله تعالى عليه وسلم قبل مبعثه وفي ذلك يقول :

شهدت على أحمد أنه
رسول من الله باري النسم
فلو مُد عمري إلى عمره
لكنت وزيرا له وابن عم

وذكروا أنه كان شديد الوطأة كثير الغزو فمله قومه فأغروا ابنه حسان على قتله فقتله ولا يخفى أن كلا هذين الشخصين لا يصح أن يكون المراد بذي القرنين الذي ذكر أنه لقي إبراهيم عليه السلام أما الأول فلأنهم ذكروا أنه ملك بعد ياسر ينعم ابن عمرو وملك ياسر بعد بلقيس زوجة سليمان عليه السلام وكان عمها فكيف يتصور أن يكون هذا ذاك مع بعد زمان ما بين إبراهيم وسليمان عليهما السلام . وأما الثاني فلأنه بعد هذا بكثير مع أنه لم يطلق عليه أحد القرنين ولا نسب إليه غزوا في مشارق الأرض ومغاربها ورأيت في بعض الكتب أن في زمن منوجهر بن إيرج بن إفريدون بعث موسى عليه السلام وكان ملك اليمن في زمانه شمر أبا الملوك وكان في طاعته انتهى . وعليه أيضا لا يكون شمر هذا هو ذا القرنين السابق وهو ظاهر وإذا أسقطت جميع هذه الأقوال عن الاعتبار بناء على ما قيل إن أخبار ملوك اليمن مضطربة لا يكاد يوقف على روايتين متفقتين فيها واعتبرت القول أنه كان في زمن إبراهيم عليه السلام ملك منهم هو ذو القرنين بناء على حسن الظن بقائل ذلك أشكل الأمر من وجه آخر وهو أن كتب التواريخ قاطبة ناطقة بأن فريدون كان في زمان إبراهيم عليه السلام وأنه قسم المعمورة بين بنيه الثلاثة حسبما تقدم فكيف يتسنى مع هذا القول بأن ذا القرنين رجل من ملوك اليمن كان في ذلك الزمان أيضا ويجيء نحو هذا الإشكال إذا قلنا إن ذا القرنين هو أحد الإسكندرين اليوناني والرومي وقلنا بأنه كان في زمن

إبراهيم عليه السلام أيضا والحاصل أن القول بأن فريدون كان في ذلك الزمان وكان مالكا المعمورة كما في عامة تواريخ الفرس، يمنع القول بأن ذا القرنين في ذلك الزمان غيره بل القول بوجود أحد الثلاثة من فريدون وذى القرنين التُّبَّعى وأحد الاسكندرين في ذلك الزمان وملكه المعمورة يمنع من القول بوجود غيره منهم في ذلك الزمان وملكه المعمورة أيضا واستشكل كون ذى القرنين أيا كان من هؤلاء الثلاثة في زمان إبراهيم عليه السلام بأن نمرود كان في زمانه أيضا وقد جاء ملك الدنيا مؤمنان وكافران أما المؤمنان فسليمان عليه السلام وذو القرنين وأما الكافران فنمرود وبختنصر ولا مخلص من ذلك على تقدير صحة الخبر إلا بأن يقال كان زمان إبراهيم عليه السلام ممتدا ووقع ملكهما الدنيا متعاقبا وهو كما ترى ورأيت في بعض الكتب القول بأن ذا القرنين ملك بعد نمرود وينحل به الإشكال. وقال بعضهم الذى تقتضيه كتب التواريخ عدم صحة الخبر أو تأويله إذ ليس في شيء منها عموم ملك سليمان عليه السلام أو ملك نمرود أو بختنصر والظاهر عدم الصحة واستشكل أيضا كونه في ذلك الزمان بأنه لم يذكر في التوراة كما يدعيه اليهود اليوم كافة ويبعد ذلك غاية البعد على تقدير وجوده فالظاهر من عدم ذكره عدم كونه موجودا وأجيب بأنا لا نسلم عدم ذكره فقد أخرج ابن أبى حاتم عن السدى أن اليهود قالوا للنبى ﷺ يا محمدإنك إنما تذكر إبراهيم وموسى وعيسى والنبيين لأنك سمعت ذكرهم منا فأخبرنا عن نبى لم يذكره الله تعالى في التوراة إلا في مكان واحد قال ومن هو قالوا ذو القرنين، الخبر بل الظاهر من سؤالهم إن له ذكرا في كتابهم وإنكارهم اليوم ذلك لا يلتفت إليه على أن ما ذكر في الاستشكال مجرد استبعاد ولا يخفى أنه ليس مانعاقويا هذا وبالجملة لا يكاد يسلم في أمر ذى القرنين شيء من الأقوال عن قيل وقال وكأنى بك بعد الاطلاع على الأقوال وما لها وما عليها تختار أنه الإسكندر بن فليقوس غالب دارا وتدعى أنه يقال له اليونانى كما يقال له الرومى وأنه كان مؤمنا بالله تعالى لم يرتكب مكفِّرًا من عقد أو قول أو فعل وتقول إن تلمذته على أرسطو لا تمنع من ذلك.

فموسى الذى رباه جبريل كافر
وموسى الذى رباه فرعون مرسل

وقد تتلمذ الأشعرى على المعتزلة ورئيس المعتزلة على الحسن وقد خالف أرسطو أفلاطون في أكثر المسائل وكان تلميذه والقول بأن أرسطو كان بمنزلة الوزير عنده وكان يستشيره في المهمات ويعمل برأيه لا يدل على اتباعه له في سائر اعتقاداته فإن ذلك على تقدير ثبوته إنما هو في الأمور الملكية لا المسائل الاعتقادية على أن المُلاَّ صدر الدين الشيرازى ذكر أن أرسطو كان حكيما عابدا موحدا قائلا بحدوث العالم ودثوره المشار إليه بقوله تعالى **﴿يوم نطوى السماء كطى السجل للكتب﴾** [الأنبياء: ١٠٤] وما شاع عنه في أمر العالم توهم ناشيء من عدم فهم كلامه ومثله في ذلك سائر أساطين الحكماء ولا نسلم عدم سفره نحو المغرب ولا ثبوت أن الخضر كان وزير ذى القرنين وإن اشتهر ليقدح عدم كونه وزيرا عنده في كونه ذا القرنين وقيل إنه كان وزيرا عند ملك يقال له ذو القرنين أيضا لكنه غير هذا ووقع الاشتباه في ذلك. وقيل يمكن أن يكون عليه السلام في جملة الحكماء الذين معه وكان كالوزير عنده ولا يقدح في ذلك استشارة غيره في بعض الأمور وكان مشتهرا إذ ذاك بالحكمة دون النبوة في الأعصار القديمة كانوا يسمون النبى حكيما ولعله كان مشتهرا أيضا باسم آخر وعدم تعرض المؤرخين لشيء من ذلك لا يدل على العدم وقيل لا نسلم عدم التعرض بل قولهم إن الخضر كان وزير ذى القرنين قول بأنه كان وزير الإسكندر المذكور عند القائل بأنه ذو القرنين ولا يمنع من ذلك كون الخضر على الأصح نبيا والإسكندر ليس كذلك لأن المراد من وزارته له تدبير أموره ونصرته ولا ضرر في نصرة نبى وتدبيره أمور ملك صالح غير نبى وهو واقع في بنى إسرائيل وإن لم تختر ما ذكر فإن اخترت أنه من ملوك اليمن أو إسكندر آخر يلزمك أما القول بإنه لم يكن في زمن إبراهيم عليه السلام وأما القول بأنه كان في زمنه بعد نمرود أو معه إلا أنه تحت إمرته ولم يكن فريدون إذ ذاك ويلزمك طى الكشح عن كتب التواريخ كما يلزمك على أتم وجه لو اخترت أنه فريدو. والأقرب عندى لإلزام أهل الملل والنحل الضالين الذين يشق عليهم نبذ كتب التواريخ وعدم الالتفات إلى ما فيها بالكلية مع كثرتها وانتشارها في مشارق الأرض ومغاربها وتباين أديان مؤلفيها

واختلاف أعصارهم اختيار أنه الإسكندر بن فيلقوس غالب دارا.

ومــــا علىَّ إذا مـــا قلت معتقــــدى

دع الجهـــول يظن الجهل عــــدوانــــا

واليهود قاطبة على هذا لكنهم لعنهم الله تعالى وقعوا فى الإسكندر ونسبوه أقبح نسبة مع أنهم يذكرون أنه أكرمهم حين جاء إلى بيت المقدس وعظَّم أحبارهم والله تعالى أعلم. ثم إن السؤال ليس عن ذات ذى القرنين بل عن شأنه فكأنه قيل ويسألونك عن شأن ذى القرنين لهم فى الجواب ﴿**سأتلوا عليكم منه ذكرا**﴾ [٨٣] الخطاب للسائلين والهاء لذى القرنين ومن تبعيضية والمراد من إثباته وقصصه والجار والمجرور صفة ذكر أقدم عليه فصار حالا والمراد بالتلاوة الذكر وعبر عنه بذلك لكونه حكاية عن جهة الله عز وجل أى سأذكر لكم نبأ مذكورا من أنبائه ويجوز أن يكون الضمير له تعالى ومِنَ ابتدائية ولا حذف والتلاوة على ظاهرها أى سأتلو عليكم من جهته سبحانه وتعالى فى شأنه ذكرا أى قرآنا والسين للتأكيد والدالة على التحقيق المناسب لتقدم تأييده ﷺ وتصديقه بإنجاز وعده أى لا أترك التلاوة ألبتة كما فى قوله.

سأشكـــر عَمــــرا إن تــــراخت منيتــى

أيــــــــادى لـم تمــن وإن هــى جَلَّــت

لا للدلالة على أن التلاوة ستقع فيما يستقبل كما قيل لأن هذه الآية ما نزلت بانفرادها قبل الوحى بتمام القصة بل موصولة بما بعدها ريثما سألوه عليه الصلاة والسلام وقوله تعالى ﴿**إنا مكنا له فى الأرض**﴾ شروع فى تلاوة الذكر المعهود حسبما هو الموعود والتمكين ههنا الإقدار وتمهيد الأسباب يقال مكّنه ومكَّن له كنصحته ونصحت له وشكرته وشكرت له وفرق بينهما بأن معنى الأول جعله قادرا ومعنى الثانى جعل له قدرة وقوة ولتلازمهما فى الوجود وتقاربهما فى المعنى يستعمل كل منهما فى محل الآخر وهكذا إذا كان التمكين مأخوذا من المكان بناء على توهم ميمه أصلية والمعنى إنا جعلنا له مكنة وقدرة على التصرف فى الأرض من حيث التدبير والرأى وكثرة الجنود والهيبة والوقار وقيل تمكينه فى الأرض من حيث إنه سخَّر له السحاب ومد له فى الأسباب وبسط له النور فكان الليل والنهار عليه سواء وفى ذلك أثر ولا أراه يصح وقيل تمكينه بالنبوة وإجراء المعجزات. وروى القول بنبوته أبو الشيخ فى العظمة عن أبى الورقاء عن على كرم الله تعالى وجهه وإلى ذلك ذهب مقاتل ووافقه الضحاك ويعارضه ما أخرجه ابن عبد الحكم فى فتوح مصر وابن المنذر وابن أبى حاتم وابن الأنبارى فى المصاحف وابن أبى عاصم فى السنة وابن مردويه من طريق أبى الفضل أن ابن الكواء سأل عليا كرم الله تعالى وجهه عن ذى القرنين أنبيا كان أم ملكا قال لم يكن نبيا ولا ملكا ولكن كان عبدا صالحا أحب الله تعالى فأحبه ونصح لله تعالى فنصحه. وأخرج ابن أبى حاتم عن ابن زيد أنه قال ذو القرنين بلغ السدين وكان نذيرا ولم أسمع بحق أنه كان نبيا وإلى أنه ليس بنبى. ذهب الجمهور وتوقف بعضهم لما أخرجه عبد الرزاق وابن المنذر وابن أبى حاتم وابن مردويه والحاكم وصححه عن أبى هريرة قال قال رسول الله ﷺ «ما أدرى أتبع كان لعينا أم لا؟ وما أدرى أذو القرنين كان نبيا أم لا وما أدرى الحدود كفارات لأهلها أم لا وأنت تعلم أن هذا النفى لم يكن ليستمر لرسول الله ﷺ فيمكن أن يكون درى عليه الصلاة والسلام فيما بعد أنه لم يكن نبيا كما يدل عليه ما روى عن على كرم الله تعالى وجهه فإنه لم يكن يقول ذلك إلا عن سماع ويشهد لذلك ما أخرجه ابن مردويه عن سالم بن أبى الجعد قال سئل على كرم الله تعالى وجهه عن ذى القرنين أنبى هو فقال سمعت نبيكم ﷺ يقول «هو عبد ناصح لله تعالى فنصحه ﴿**وآتيناه من كل شىء**﴾ أراده من مهمات ملكه و مقاصره المعلقة بسلطانه ﴿**سببا**﴾ [٨٤] أى طريقا يوصله إليه وهو كل ما يتوصل به إلى المقصود من علم أو قدرة أو آلة لا العلم فقط وإن وقع الاقتصار عليه فى بعض الآثار، ومن بيانية والمبين سببا وفى الكلام مضاف مقدر أى من أسباب كل شىء والمراد بذلك الأسباب العادية والقول بأنه يلزم على التقدير المذكور أن يكون لكل شىء أسباب لا سبب وسببان ليس بشىء وجوَّز أن يكون من تعليلية فلا تقدير واختاره بعضهم فتأمل واستدل بعض من قال بنبوته بالآية على ذلك وليس بشىء كما لا يخفى ﴿**فأتبع**﴾ بالقطع والفاء فصيحة

والتقدير فأراد بلوغ المغرب فأتبع ﴿سببا﴾ يوصله إليه ولعل قصد بلوغ المغرب ابتداء لأنه أقرب إليه وقيل لمراعاة الحركة الشمسية وليس ذلك لكون جهة المغرب أفضل من جهة المشرق كما زعمه بعض المغاربة فإنه كما قال الجلال السيوطي لا قطع بتفضيل إحدى الجهتين على الأخرى لتعارض الأدلة وقرأ نافع وابن كثير فاتبع بهمزة الوصل وتشديد التاء وكذا فيما يأتي واستظهر بعضهم أنهما بمعنى ويتعديان لمفعول واحد وقيل إن أتبع بالقطع يتعدى لاثنين والتقدير هنا فأتبع سببا سببا آخر أو فأتبع أمره سببا كقوله تعالى ﴿وأتبعناهم في هذه الدنيا لعنة﴾ [القصص: ٤٢] وقال أبو عبيد اتبع بالوصل في السير وأتبع بالقطع معناه اللحاق كقوله تعالى ﴿فأتبعه شهاب ثاقب﴾[الصافات: ١٠] وقال يونس أتبع بالقطع للمجد المسرع الحثيث الطلب واتبع بالوصل إنما يتضمن مجرد الانتقال والاقتفاء ﴿حتى إذا بلغ مغرب الشمس﴾ أي منتهى الأرض من جهة المغرب بحيث لا يتمكن أحد من مجاوزته ووقف كما هو الظاهر على حافة البحر المحيط الغربي الذي يقال له أوقيانوس وفيه الجزائر المسماة بالخالدات التي هي مبدأ الأطول على أحد الأقوال ﴿وجدها﴾ أي الشمس ﴿تغرب في عين حمئة﴾ أي ذات حمأة وهي الطين الأسود من حمئت البئر تحمأ حمأ إذا كثرت حمأتها وقرأ عبد الله وطلحة بن عبيد الله وعمرو بن العاص وابنه عبد الله وابن عمر ومعاوية والحسن وزيد بن علي وابن عامر وحمزة والكسائي حامية بالياء أي حارة وأنكر هذه القراءة ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أول ما سمعها فقد أخرج عبد الرزاق وسعيد بن منصور وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم من طريق عثمان بن أبي حاضر أن ابن عباس ذكر له أن معاوية قرأ في عين حامية فقال له ما نقرؤها إلا حمئة فسأل معاوية عبد الله بن عمرو كيف تقرأها فقال كما قرأتها فقلت في بيتي نزل القرآن فأرسل إلى كعب فقال له أين تجد الشمس تغرب في التوراة فقال كعب سل أهل العزيمة فإنهم أعلم بها وأما أنا فإني أجد الشمس تغرب في التوراة في ماء وطين وأشار بيده إلى المغرب قال ابن أبي حاضر لو أني عندكما أيدتك بكلام تزاد به بصيرة في حمئة قال ابن عباس وما هو قلت قول تُبّع فيما ذكر به ذا القرنين في كلفه بالعلم واتباعه إياه * قد كان ذو القرنين إلى آخر الأبيات الثلاثة السابقة ومحل الشاهد قوله:

فرأى مغيب الشمس عند غروبها

في عين ذي خلب وثأط حرمد

فقال ابن عباس ما الخلب؟ قال ابن أبي حاضر الطين بكلامهم فقال فما الثأط؟ قال الحمأة فقال فما الحرمد؟ قال الأسود فدعا ابن عباس غلاما فقال اكتب ما يقول هذا الرجل ولا يخفى أنه ليس بين القراءتين منافاة قطعية لجواز كون العين جامعة بين الوصفين بأن تكون ذات طين أسود وماؤها حار ولجواز كون القراءة بالياء أصلها من المهموز قلبت همزته ياء لانكسار ما قبلها وإن كان ذلك إنما يطرد إذا كانت الهمزة ساكنة كذا قيل وتعقب بإنه يأباه ما جرى بين ابن عباس ومعاوية وأجيب بأنه إذا سلم صحته فمبناه السماع والتحكيم لترجيح إحدى القرائتين وظاهر ما سمعت ترجيح قراءة ابن عباس رضي الله تعالى عنهما وكأن رجوع معاوية القراءة ابن عباس على ما ذكره القرطبي كان لذلك ...

﴿ووجد عندها﴾ أي عند تلك العين على ساحل البحر ﴿قوما﴾ لباسهم على ما قيل جلود السباع وطعامهم ما لفظه البحر قال وهب بن منبه هم قوم يقال لهم ناسك لا يحصيهم كثرة إلا الله تعالى. وقال أبو زيد السهيلي هم قوم من نسل ثمود كانوا يسكنون جابرسا وهي مدينة عظيمة لها اثنا عشر بابا ويقال لها بالسريانية جرجيسا وروى نحو ذلك عن ابن جريج وزعم ابن السائب أنه كان فيهم مؤمنون وكافرون والذي عليه الجمهور أنهم كانوا كفارا فخيره الله تعالى بين أن يعذبهم بالقتل وأن يدعوهم إلى الإيمان وذلك قوله تعالى ﴿قلنا ياذا القرنين إما أن تعذب﴾ بالقتل من أول الأمر ﴿وإما أن تتخذ فيهم حسنا﴾ [٨٦] أي أمرا ذا حسن على حذف المضاف أو على طريقة الوصف بالمصدر للمبالغة وذلك بالدعوة إلى الحق والإرشاد إلى ما فيه الفوز بالدرجات ومحل أن مع صلته إما الرفع على الابتداء أو على الخبر وإما النصب على المفعولية إما تعذيبك واقع أو إما أمرك تعذيبك أو إما تفعل أو

توقع تعذيبك وهكذا الحال في الاتخاذ وقدم التعذيب لأنه الذي يستحقونه في الحال لكفرهم وفي التعبير بإما أن تتخذ فيهم حسنا دون إما أن تدعوهم مثلا إيماء إلى ترجيح الشق الثاني واستدل بالآية من قال بنبوته . والقول عند بعضهم بواسطة ملك وعند آخرين كفاحا ومن لم يقل بنبوته قال كان الخطاب بواسطة نبي في ذلك العصر أو كان ذلك إلهاما لا وحيا بعد أن كان ذلك التخيير موافقا لشريعة ذلك النبي وتعقب هذا بأن مثل هذا التخيير المتضمن لإزهاق النفوس لا يجوز أن يكون بالإلهام دون الإعلام وأن وافق شريعة ونقض ذلك بقصة إبراهيم عليه السلام في ذبح ابنه بالرؤيا وهي دون الإلهام وفيه أن رؤيا الأنبياء عليهم السلام وإلهاماتهم وحي كما بين في محله والكلام هنا على تقدير عدم النبوة وهو ظاهر وقال علي بن عيسى المعنى قلنا يا محمد قالوا أي جنده الذين كانوا معه يا ذا القرنين فحذف القول اعتمادا على ظهور أنه ليس بنبي وهو من التكلف بمكان وقريب منه دعوى أن القائل العلماء الذين معه قالوه عن اجتهاد ومشاورة له بذلك ونسبه الله تعالى إليه مجازا والحق أن الآية ظاهرة الدلالة في نبوته ولعلها أظهر في ذلك من دلالة قوله تعالى ﴿وما فعلته عن أمري﴾ على نبوة الخضر عليه السلام وكأن الداعي إلى صرفها عن الظاهر الأخبار الدالة على خلافها ولعل الأولى في تأويلها أن يقال كان القول بواسطة نبي .

﴿قال﴾ ذو القرنين لذلك النبي أو لمن عنده من خواصه بعد أن تلقى أمره تعالى مختارا للشق الأخير من شقي التخيير حسبما أرشد إليه ﴿أما من ظلم﴾ نفسه ولم يقبل دعوتي وأصر على ما كان عليه من الظلم العظيم الذي هو الشرك ﴿فسوف نعذبه﴾ بالقتل والظاهر أنه كان بالسيف وأخرج ابن أبي حاتم عن السدي قال كان عذابه أن يجعلهم في بقر من صفر ثم يوقد تحتهم النار حتى يتقطعوا فيها وهو بعيد عن الصحة ، وأتى بنون العظمة على عادة الملوك ، وإسناد التعذيب إليه لأنه السبب الآمر ودعوى صدور ذلك منه بالذات في غاية البعد وقيل أراد من الضمير الله تعالى ونفسه والإسناد باعتبار الخلق والكسب وهو أيضا بعيد مع ما فيه من تشريك الله تعالى مع غيره في الضمير وفيه من الخلاف ما علمت ﴿ثم يرد إلى ربه﴾ في الآخرة ﴿فيعذبه﴾ فيها ﴿عذاب نكرا﴾ [٨٧] أي منكر فظيعا وهو العذاب في نار جهنم ونصب عذابا على أنه مصدر يعذبه وقيل تنازع فيه هو ونعذبه . والمراد بالعذاب النكر نظرا إلى الأول ما روى عن السدي وهو خلاف الظاهر كما لا يخفى وفي قوله ﴿إلى ربه﴾ دون إليك دلالة على أن الخطاب السابق لم يكن بطريق الوحي إليه وأن مقاولته كانت مع النبي أو مع خواصه ﴿وأما من آمن﴾ بموجب دعوتي ﴿وعمل﴾ عملا ﴿صالحا﴾ حسبما يقتضيه الإيمان ﴿فله﴾ في الدارين ﴿جزاء الحسنى﴾ أي فله المثوبة الحسنى أو الفعلة الحسنى أو الجنة جزاء على أن جزاء مصدر مؤكد لمضمون الجملة قدم على المبتدأ اعتناء به أو منصوب بمضمر أي يجزى بها جزاء والجملة حالية أو معترضة بين المبتدأ والخبر المتقدم عليه أو هو حال أي مجزيًّا بها . وتعقب ذلك أبو الحسن بأنه لا تكاد العرب تتكلم بالحال مقدما إلا في الشعر . وقال الفراء هو نصب على التمييز وقرأ ابن عباس ومسروق جزاء منصوبا غير منون وخرج ذلك المهدوي على حذف التنوين لالتقاء الساكنين وخرجه غيره على أنه حذف للإضافة والمبتدأ محذوف لدلالة المعنى عليه أي فله الجزاء جزاء الحسنى . وقرأ عبد الله بن أبي إسحاق بالرفع والتنوين على أنه للمبتدأ والحسنى بدله والخبر الجار والمجرور وقرأ غير واحد من السبعة بالرفع بلا تنوين وخرّج على أنه مبتدأ مضاف قال أبو علي : والمراد على الإضافة جزاء الخلال الحسنة التي أتاها وعملها أو المراد بالحسنى الجنة والإضافة كما في دار الآخرة ﴿وسنقول له من أمرنا﴾ أي مما نأمر به ﴿يسرا﴾ [٨٨] أي سهلا ميسرا غير شاق وتقديره ذا يسر وأطلق عليه المصدر مبالغة وقرأ أبو جعفر يسر بضمتين حيث وقع هذا . وقال الطبري المراد من اتخاذ الحسن الأسر فيكون قد خيِّر بين القتل والأسر والمعنى إما أن تعذب بالقتل وأما أن تحسن إليهم بإبقاء الروح والأسر. وما حكي من الجواب على هذا الوجه قيل من الأسلوب الحكيم لأن الظاهر أنه تعالى خيره في قتلهم وأسرهم هم كفار فقال أما الكافر فيراعي فيه قوة الإسلام وأما المؤمن فلا يتعرض له إلا بما يجب وفي الكشف أنه روعي فيه على الوجهين نكتة بتقديم ما مَنَّ

الله تعالى فى جانب الرحمة دلالة على أن وما منّه تابع وتتميم وما منّه فى جانب العذاب رعاية لترتيب الوجود مع الترقى ليكون أغيظ وكأنه حمل فله ... إلخ على معنى فله من الله تعالى ... إلخ وهو الظاهر وجوّز حمل إما أن تعذب وإما أن تتخذ على التوزيع دون التخيير. والمعنى على ما قيل ليكن شأنك معهم إما التعذيب وإما الإحسان فالأول لمن بقى على حاله والثانى لمن تاب فتأمل ﴿ثم أتبع سببا﴾ [٨٩] أى طريقا راجعا من مغرب الشمس موصلا إلى مشرقها ﴿حتى إذا بلغ مطلع الشمس﴾ يعنى الموضع الذى تطلع عليه الشمس أولا من معمورة الأرض أى غاية الأرض المعمورة من جهة المشرق وقرأ الحسن وعيسى وابن محيصن مطلع بفتح اللام ورويت عن ابن كثير وأهل مكة وهو عند المحققين مصدر ميمى والكلام على تقدير مضاف أى مكان طلوع الشمس والمراد مكانا تطلع عليه. وقال الجوهرى إنه اسم مكان كمكسور اللام فالقراءتان متفقتان من غير تقدير مضاف وقد صرح بعض أئمة التصريف أن المطلع جاء فى المكان والزمان فتحا وكسرا وما آثره المحققون مبنى على أنه لم يرد فى كلام الفصحاء بالفتح إلا مصدرا ولا حاجة إلى تخريج القرآن على الشاذ لأنه قد يخل بالفصاحة. وقال أبو حيان إن الكسر سماع فى أحرف معدودة وهو مخالف للقياس فإنه يقتضى أن يكون مضارعه تطلع بكسر اللام وكان الكسائى يقول هذه لغة ماتت فى كثير من لغات العرب يعنى ذهب من يقول من العرب تطلع بكسر اللام وبقى مطلع بكسرها فى اسم الزمان والمكان على ذلك القياس انتهى فافهم. ثم إن الظاهر من حال ذى القرنين وكونه قد أوتى من كل شىء سببا أنه بلغ مطلع الشمس فى مدة قليلة وقيل بلغه فى اثنتى عشرة سنة وهو خلاف الظاهر إلا أن يكون أقام فى أثناء سيره فإن طول المعمورة يقطعه بأقل من هذه المدة بكثير السائر على الاستقامة كما لا يخفى على العارف بالمساحة ﴿وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها سترا﴾[٩٠] أخرج ابن المنذر وابن أبى حاتم وأبو الشيخ فى العظمة عن ابن جريج قال حدثت عن الحسن عن سمرة بن جندب قال رسول الله ﷺ فى الآية ﴿لم نجعل لهم من دونها سترا﴾ بناء لم يبن فيها بناء قط كانوا إذا طلعت الشمس دخلوا أسرابا لهم حتى تزول الشمس. وأخرج جماعة عن الحسن وذكر أنه حديث سمرة أن أرضهم لا تحمل البناء فإذا طلعت الشمس تغوروا فى المياه فإذا غابت خروجوا يتراعون كما تراعى البهائم وقيل المراد لا شىء لهم يسترهم من اللباس والبناء وهم على ما قيل قوم من الزنج وقيل من الهنود وعن مجاهد من لا يلبس الثياب من السودان عند مطلع الشمس أكثر من أهل الأرض وعن بعضهم خرجت حتى جاوزت الصين فسألت عن هؤلاء فقالوا بينك وبينهم مسيرة يوم وليلة فبلغتهم فإذا أحدهم يفرش إحدى أذنيه ويلبس الأخرى ومعى صاحب يعرف لسانهم فقالوا له جئتنا تنظر كيف تطلع الشمس فبينما نحن كذلك إذ سمعنا كهيئة الصلصلة فغشى علىَّ ثم أفقت وهم يمسحونني بالدهن فلما طلعت الشمس على الماء إذا هى فوق الماء كهيئة الزيت فأدخلونا سربا لهم فلما ارتفع النهار خرجوا إلى البحر يصطادون السمك ويطرحونه فى الشمس فينضج لهم انتهى وأنت تعلم أن مثل هذه الحكايات لا ينبغى أن يلتفت إليها ويعول عليها وما هى إلا أخبار عن هيان بن بيان يحكيها العجائز وأمثالهن لصغار الصبيان. وعن وهب بن منبه أنه يقال لهؤلاء القوم منسك وظاهر الآية لوقوع النكرة فيها فى سياق النفى يقتضى أنهم ليس لهم ما يسترهم أصلا وذلك ينافى أن يكون لهم سرب ونحوه. وأجيب بأن ألفاظ العموم لا تتناول الصور النادرة فالمراد نفى الساتر المتعارف والسرب ونحوه ليس منه. وأنت تعلم أن عدم التناول أحد قولين فى المسألة. وقال ابن عطية الظاهر أن نفى جعل ساتر لهم من الشمس عبارة عن قربها إليهم وتأثيرها بقدرة الله تعالى فيهم ونيلها منهم ولو كانت لهم أسراب لكان لهم ستر كثيف انتهى وحينئذ فالنكرة على عمومها وأنا أختار ذلك إلى أن تثبت صحة أحد الأخبار السابقة ﴿كذلك﴾ خبر مبتدأ محذوف أى أمر ذى القرنين ذلك والمشار إليه ما وصف به قبل من بلوغ المغرب والمشرق وما فعله وفائدة ذلك تعظيمه وتعظيم أمره أو أمره فيهم كأمره فى أهل المغرب من التخيير والاختيار ويجوز أن يكون صفة مصدر محذوف لو جد أى وجدها تطلع وجدانا كوجد أنها تغرب فى عين حمئة أو صفة مصدر محذوف لنجعل أى لم نجعل لهم سترا جعلا كائنا كالجعل الذى لكم فيها تفضلنا به عليهكم من الألبسة

الفاخـرة والأبنية العاليـة وفيه أنه لا يتبـادر إلى الفهم أو صفة سترا والمعنى عليه كسابقه وفيه ما فيه أو صفة قوم أى على قوم مثل ذلك القبيل الذى تغرب عليه الشمس فى الكفر والحكم أو معمول بلغ أى بلغ مغربها كما بلغ مطلعها .

﴿وقد أحطنا بما لديه﴾ [٩١] علما تعلق بظواهره وخفاياه ويفيد هـذا على الأول زيادة تعظيـم الأمر وإنه وراء مـا وصف بكثير مما لا يحيط به لا علم اللطيف الخبير وهو على الأخير تهـويل لما قـاسى فى السير إلى أن بلغ فيكون المعنى وقـد أحطنـا بمـا لاقـاه وحصل لـه فى أثنـاء سيـره خبـرا أو تعظيم للسبب الموصل إليه فى قوله تعالى ﴿فأتبع سببا﴾ حتى إذا بلغ أى أحطنا بما لديه من الأسباب الموصلة إلى هذا الموضع الشاسع ممـا لم نؤت غيـره . وهذا كما فـى الكشف أظهر من التهويل وعلى الثـانى تتميم يفيد حسن اختياره أى أحطنـا بما لديه من حسن التلقى وجودة العمل خبرا وعلى الثـالث لبيان أنـه كـذلك فى رأى العين وحقيقتـه لا يحيط الله تعـالى وعلى الرابع والخـامس تذييل للقصة أو بـالقصتين فلا يأباهمـا كما تـوهم وعلى السـادس تتميم يـؤكـد أنـه سَنَّ بهم سُنَّتـه فيمن وجـدهم فى مغـرب الشمس ﴿ثم أتبع سببا﴾ [٦٩] طريقا ثالثـا معترضا بين المشرق والمغـرب آخذا من مطلع الشمس إلى الشمال ﴿حتى إذا بلغ بين السدين﴾

أى الجبلين قـال فى القـامـوس السـد الجبل والحـاجـز وإطلاق السد عليه لأنه سد فجًا من الأرض وقيل إطلاق ذلك عليه هنـا العلاقـة المجاورة وليس بذاك وقرأ نافع وابن عـامر وحمزة والكسائى وأبو بكر ويعقوب بضم السين والمعنى على ما قـال الكسائى واحـد وقال الخليل ومن السـد بالضم الاسم وبالفتح المصـدر وقال ابن أبى إسحـاق الأول ما رأتـه عيناك والثانى مـا لا تريانه . وقال عكـرمة وأبو عمرو بـن العلاء وأبو عبيدة الأول ما كان من خلق الله تعالى لا دخل لصنع البشر فيه والثانى مـا كان لصنع البشـر دخل فيه ووجه دلالـة المضموم على ذلك أنه بمعنى مفعول ولكـونه لم يذكر فاعلـه فيه دلالة على تعينه وعـدم ذهاب الـوهم إلى غيره فيقتضى إنـه هو الله تعالى وأما دلالـة المفتوح على أنه من عمل العبـاد فللاعتبار بدلالـة الحدوث وتصويـر أنه ها هـو ذا يفعله فليشاهـد وهذا يناسب ما فيه مـدخل العباد على أنـه يكفى فيه فـوات ذلك التفخيم وأنت تعلم أن القراءة بهمـا ظاهرة فى توافقهمـا وعدم ذكر الفـاعل والحدوث أمران مشتركـان وعكس بعضهم فقال المفتوح مـا كان من خلقـه تعالى إذ المصدر لم يـذكر فـاعله والمضموم مـا كان بعمل العبـاد لأنه بمعنى مفعـول والمتبادر منه ما فعله العباد وضعفه ظـاهر وانتصاب بين على المفعولية لأنه مبلوغ وهو من الظروف المتصرفة ما لم يركب مع آخر مثله وقيل إنـه ظرف والمفعـول به محـذوف وهو مـا أراده أو نحوه وهذان السدان فيما يقـرب من عرض تسعين من جهة الشمال وهو المراد بآخر الجر بياء فـى كتاب حزقيال عليه السلام وقد ذكر بعض أحبار اليهود أن يأجوج ومأجوج فى منتهى الشمال حيث لا يستطيع أحـد غيرهم السكنى فيه وهم فـى زاوية من ذلك لكنهم لم يتحقـق عنـدهم أنهم فيمـا يلـى المشـرق من الشمال أو فيمـا يلى المغرب منه وهذا مـوافق لما ذكرناه فى موضع السدين وهو الذى مال إليه كاتب جلبى وقيل هما جبلا أرمينية وأذربيجان ونسب ذلك إلى ابن عباس رضى الله تعالى عنهمـا وإليه يميل صنيـع البيضاوى وتعقب بأنـه تـوهم ولعل النسبة إلى الحبـر غير صحيحة وكان من يـزعم ذلك يزعم أن سد ذى القـرنين السد المشهور فـى باب الأبواب (انظـر هذه المـادة فى حـرف البـاء فى م ٦ / ٣٣٣ ــ ٣٣٧) وهـو مع استلزامـه أن يكون يأجـوج ومأجوج الخـزر والترك خـلاف ما عليه المؤرخـون فإن بانى ذلك السد عندهم كسـرى أنوشروان وقيل اسفنديار وهو أيضا لم يبق إلى الآن بل خرب من قبل هذا بكثيـر وزعم أن السـد ويأجوج ومـأجوج هنـاك وأن الكل قـد تلطف بحيث لايرى كمـا نراه عصرينا رئيس الطـائفة المسمـاة بـالكشفية السيـد كاظم الـرشتى ضرب من الهـذيان وإحـدى عـلامـات الخذلان وقـال ابن سعيـد أن ذلك المـوضع حيث الطول مائة وثلاثة وستون درجة والعرض أربعون درجة . وفيه أن فى هذا الطول والعرض بلاد الختا والجبن وليس هناك يأجوج ومأجوج نعم هناك سد عظيم يقرب من مائتين وخمسين ساعة طـولا لكنـه ليس بين السـدين ولا بانيـه ذو القـرنين ولا يكـاد يصدق عليـه ما جـاء فى وصف سده ويمنـع من القـول بذلك أيضا ما لا يخفى وقيل همـا بموضع من الأرض لا نعلمه وكم فيها من أرض مجهولة ولعله قد حال بيننا وبين ذلك الموضع مياه عظيمة ودعوى استقراء سـائر البرارى والبحار غير مسلمة

ويجوّز العقل أن يكـون فى البحر أرض نحو أمريقـا لم يظفر بها إلى الآن وعدم الوجدان لا يستلزم عدم الوجود .

وبعد إخبـار الصادق بـوجود هـذين السدين ومـا يتبعهما يلـزمنـا الإيمـان بـذلك كسـائر مـا أخبـر بـه من الممكنـات والالتفات إلى كلام المنكرين ناشىء من قلة الدين ﴿وجد من دونهما﴾ أى السدين ﴿قوما﴾ أمـة من الناس قيل هم التـرك وزعم بعضهم أن القوم كانوا من الجـان وهو زعم باطل لا بعيد كما قال أبو حيان ﴿لا يكادون يفقهون قولا﴾ [٩٣] من أقوال اتباع ذى القرنين أو من أقوال من عداهم لغرابة لغتهم وبعدها عن لغـات غيرهم وعـدم مناسبتهـا لهـا مع قلة فطنتهم إذ لـو تقـاربت فهموهـا ولو كثـرت فطنتهم فهموا مـا يراد من القـول بـالقرائن فتعلمـوه والظاهـر إبقاء القـول على معناه المتبـادر. وزعم بعضهم أن الزمخشرى جعلـه مجازا عن الفهم مطلقا أو عما من شأنه أن يقال ليشمل الإشارة ونحوها حيث قال أى لا يكادون يفهمونـه إلا بجهد ومشقة من إشارة ونحوهـا وفيه نظر والظاهر أنه فهو من نفى يكاد إثبات الفهم لكن يعسر وهو بناء على قول بعضهم إن نفيها إثبات وإثباتها نفى وليس بالمختار وقـرأ الأعمش وابن أبى ليلى وخلـف وابن عيسى الأصبهـانى وحمزة والكسـائى يفقهون من الأفعال أى لا يكـادون يفهمون الناس لتلعثمهم وعدم تبيينهم الحروف .

﴿قالوا﴾ أى بواسطة مترجمهم فـإسناد القول إليهم مجاز ولعل هذا المترجم كـان من قوم بقرب بلادهم ويـؤيد ذلك ما وقع فى مصحف ابن مسعود قال الـذين من دونهم أو بالذات على أن يكـون فهم ذى القـرنين كلامهـم وإفهامـه إيـاهم من جملة ما آتاه الله تعالى من الأسباب . وقال بعضهم لا يبعد أن يقال القائلـون قوم غير الذين لا يفهمون قـولا ولم يقولوا ذلك على طـريق التـرجمة لهم وأيـد بمـا فى مصحف ابن مسعـود وأياما كان فلا منافـاة بين لا يكادون يفقهون قولا وقالوا ﴿يا ذا القرنين إن يأجوج ومأجوج﴾ قبيلتان من ولد يافث بن نوح عليه السـلام وبـه جـزم وهب بن منبـه وغيـره واعتمـده كثيـر من المتأخـرين . وقال الكسـائى فى العـرائس إن يافث سـار إلى المشرق فولـد لـه هناك خمسـة أولاد جـومـر وبنرش وأشـار وأسقـويل وميـاشخ فمن جـومـر جيمع الصقـاليـة والـروم وأجناسهم ومن مياشح جميع أصناف العجم ومن أشار يأجوج ومأجـوج وأجنـاسهم ومن أسقـويل جميع التـرك ومن بنرش الفقحق واليـونـان وقيل كـلاهـمـا من التـرك وروى ذلك عن الضحاك وفى كلام بعضهم أن الترك منهم لما أخرجه ابن جرير وابن مردويـه من طريق السـدى من أثر قـوى الترك سـرية من سرايـا يأجوج ومـأجوج خرجت فجـاء ذو القرنين فبنـى السد فبقوا خارجين عنـه وفى رواية عبد الرزاق عن قتـادة أن يأجوج ومأجوج ثنتان وعشرون قبيلة بنى ذو القرنين السد على إحدى وعشـرين وكانت واحـدة منهم خـارجة للغـزو فبقيت خارجـة وسميت التـرك لـذلك وقيل يـأجـوج من التـرك ومأجـوج من الديلم وقيل مـن الجيل عن كعب الأحبار أن يأجـوج ومأجوج من ولد آدم عليـه السلام من غير حواء وذلك أنـه عليه السلام نـام فاحتلم فـامتزجت نطفتـه فى التـراب فخلق منها يأجـوج ومأجوج ...

وأنا أرى هذا القـول حديث خرافة وقـال الحافظ ابن حجر لم يرد ذلـك عن أحد من السلف إلا عن كعب الأحبـار ويرده الحديث المرفوع إنهم من ذرية نوح عليه السلام ونوح من ذرية حواء قطعـا وكأنه عنى بـالحديث غيـر ماروى عن أبى هـريرة مرفوعا ولـد لنوح سام وحام ويافث فولـد لسام العرب وفارس والروم وولد لحـام القبط والبربر والسودان وولـد ليافث يأجوج ومأجوج والترك والصقالبة فإنه صرح بأنه ضعيف . وفى التوراة فى السفـر الأول فى الفصل العاشـر التصريح بأن يأجـوج من أبناء يـافث . وزعم بعض اليهود أن مأجـوج اسم للأرض التى كـان يسكنهـا يأجوج وليـس اسم القبيلة وهـو بـاطل بـالنص والظـاهـر أنهمـا اسمـان أعجميـان فمنع صـرفهمـا للعلميـة والعجمـة . وقيل عـربيـان من أج الظليم إذا أسـرع وأصلهمـا الهمزة كمـا قرأ عاصم والأعمش ويعقوب فى روايـة وهى لغة بنى أسـد ووزنهما مفعـول وبنـاء مفعول من ذلك مع أنـه لازم لتعديه بحـرف الجر وقيل إن كان ما ذكـر منقولا فللتعدى وإن كان مـرتجلا فظـاهر . وقـال الأخفش إن جعلنا ألفهمـا أصلية فيأجوج يفعـول ومأجوج مفعـول كأنه من أجيج النـار ومن لم يهمـزهمـا جعلهـا زائدة فيأجـوج من يججت ومـأجـوج من مججت . وقال قطرب فى غير الهمـز مأجوج فاعول من المج ويأجـوج فـاعـول من اليج . وقـال أبـو الحسن على بن عبـد الصمد السخـاوى الظاهر أنه عـربى وأصله الهمز وتـركه على التخفيف وهـو إما من الأجة وهو الاختـلاف كما قال تعـالى ﴿وتركنا بعضهم يـومئذ يموج فى بعض﴾ [الكهف : ٩٩] أو

من الأج وهو سرعة العدو قال تعالى ﴿وهم من كل حدب ينسلون﴾[الأنبياء : ٩٦] أو من الأجة وهي شدة الحر أو من أج الماء يأج أجوجا إذا كان ملحا مُرًّا انتهى . وعلة منع الصرف على القول بعربيتهما العلمية والتأنيث باعتبار القبيلة وقرأ العجاج ورؤبة ابنه آجوج بهمزة بدل الياء وربما يقال جوج بلا همزه ولا ياء في غير القرآن وجاء بهذا اللفظ في كتاب حزقيال عليه السلام ﴿مفسدون في الأرض﴾ أي في أرضنا بالقتل والتخريب وسائر وجوه الإفساد المعلوم من البشر وقيل بأخذ الأقوات وأكلها روى أنهم كانوا يخرجون أيام الربيع فلا يتركون شيئا أخضر إلا أكلوه ولا يابسا إلا احتملوه . وأخرج ابن المنذر وابن أبي حاتم عن حبيب الأوصافي أنه قال كان فسادهم أنهم يأكلون الناس واستدل بإسناد مفسدون إلى يأجوج ومأجوج على أن أقل الجمع اثنان وليس بشيء أصلا ﴿فهل نجعل لك خرجا﴾ أي جعْلاً من أموالنا والفاء لتفريع العرض على إفسادهم في الأرض وقرأ الحسن والأعمش وطلحة وخلف وابن سعدان وابن عيسى الأصبهاني وابن جبير الأنطاكي وحمزة والكسائي خراجا بألف بعد الراء وكلاهما بمعنى واحد كالنول والنوال وقيل الخرج المصدر أطلق على الخراج والخرج الاسم لما يخرج . وقال ابن الأعرابي الخرج على الرءوس يقال أد خرج رأسك والخراج على الأرض يقال أد خراج أرضك وقال ثعلب الخرج أخص من الخراج وقيل الخرج المال يخرج مرة والخراج الخرج المتكرر. وقيل الخرج ماتبرعت به والخراج ما لزمك أداؤه ﴿على أن تجعل بيننا وبينهم سدا﴾[٩٤] حاجزا يمنعهم من الوصول إلينا وقرأ نافع وابن عامر وأبو بكر سُدا بضم السين ﴿قال ما مكني﴾ بالإدغام وقرأ ابن كثير وحميد بالفك أي الذي مكنني ﴿فيه ربي﴾ وجعلني فيه سبحانه مكينا قادرا من الملك والمال وسائر الأسباب ﴿خير﴾ أي مما تريدون أن تبذلوه إليّ من الخرج فلا حاجة بي إليه ﴿فأعينوني بقوة﴾ أي بما يتقوى به على المقصود من الآلات كزبر الحديد أومن الناس أو الأعم منهما والفاء لتفريع الأمر بالإعانة على خيرية ما مكنه الله تعالى فيه من مالهم أو على عدم قبول خرجهم ﴿أجعل﴾ جواب الأمر ﴿بينكم وبينهم﴾ تقديم إضافة الظرف إلى ضمير المخاطبين على إضافته إلى ضمير يأجوج ومأجوج لإظهار كمال العناية بمصالحهم كما راعوه في قولهم بيننا وبينهم ﴿ردما﴾ [٩٥] أي حاجزا حصينا وحجابا متينا وهو أكبر من السد وأوثق يقال ثوب مردم أي فيه رقاع فوق رقاع ويقال سحاب مردم أي متكاثف بعضه فوق بعض وذكر أن أصل معناه سد الثلمة بالحجارة ونحوها وقيل سد الخلل مطلقا ومنه قول عنترة *هل غادر الشعراء من متردم* ثم أطلق على ما ذكر وقيل هو والسد بمعنى ويؤيد الأول ما أخرجه ابن أبي حاتم عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أنه قال هو كأشد الحجاب وعليه يكون قد وعدهم بالإسعاف بمرامهم فوق ما يرجونه وهو اللائق بشأن الملوك ﴿آتوني زبر الحديد﴾ جمع زبرة كغرف في غرفة وهي القطعة العظيمة وأصل الزبر الاجتماع ومنه زبرت الكتاب جمعت حروفه وزبرة الأسد لما اجتمع على كاهله من الشعر وأخرج الطستي عن ابن عباس أن نافع بن الأزرق سأله عن زبر الحديد فقال قطعة وأنشد قول كعب بن مالك.

تلظى عليهم حين شد حميها

بزبر الحديد والحجارة شاجر

وطلب إيتاء الزبر لا ينافي أنه لم يقبل منهم شيئا لأن المراد من الإيتاء المأمور به الإيتاء بالثمن أو مجرد المناولة والإيصال وإن كان ما آتوه له لا إعطاء ما هو لهم فهو معونة مطلوبة وعلى تسليم كون الإيتاء بمعنى الإعطاء لا المناولة يقال إن إعطاء الآلة للعمل لا يلزمه تملكها ولو تملكها لا يعد ذلك جعلا فإنه إعطاء المال لا إعطاء مثل هذا وينبيء عن أن المراد ليس الإعطاء قراءة أبي بكر عن عاصم ردما ائتوني بكسر التنوين ووصل الهمزة من أتاه بكذا إذ جاء به له وعلى هذه القراءة نصب زبرا بنزع الخافض أي جيئوني بزبر الحديد وتخصيص زبر الحديد بالذكر دون الصخور والحطب ونحوهما لما أن الحاجة إليها أمس إذ هي الركن القوي في السد ووجودها أعز. وقرأ الحسن: زبُر بضم الباء كالزاي ﴿حتى إذا ساوى بين الصدفين﴾ في الكلام حذف أي فأتوه إياها فأخذ يبني شيئا فشيئا حتى إذا جعل ما بين جانبي الجبلين من البنيان مساويا لهما في العلو فبين مفعول ساوى وفاعله ضمير ذي القرنين وقيل الفاعل ضمير السد المفهوم من الكلام أي فأتوه إياها فأخذ يسد بها حتى إذا ساوى السد الفضاء الذي بين الصدفين ويفهم من ذلك مساواة السد في

العلو للجبلين والصدف كما أشرنا إليه جانب الجبل وأصله على ما قيل الميل ونقل فى الكشف أنه لا يقال للمنفرد صدف حتى يصادفه الآخر ثم قال فهو من الأسماء المتضايفة كالزوج وأمثاله. وقال أبو عبيدة هو كل بناء عظيم مرتفع ولا يخفى أنه ليس بالمراد هنا وزعم بعضهم أن المراد به هنا الجبل وهو خلاف ما عليه الجمهور وقرأ قتادة سوَّى من التسوية وقرأ ابن أبى أمية عن أبى بكر عن عاصم سووى بالبناء للمجهول. وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر والزهرى ومجاهد والحسن الصدفين بضم الصاد والدال وهى لغة حمير كما أن فتحهما فى قراءة الأكثرين لغة تميم وقرأ أبو بكر وابن محيصن وأبو رجاء وأبو عبد الرحمن الصدفين بضم فسكون. وقرأ ابن جندب يفتح فسكون. وروى ذلك عن قتادة. وفى رواية أخرى عنه أنه قرأ بضم ففتح وهى قراءة أبان عن عاصم. وقرأ الماجشون بفتح فضم ﴿قال﴾ للعَمَلَة ﴿انفخوا﴾ أى بالكيران فى زبر الحديد الموضوعة بين الصدفين ففعلوا ﴿حتى إذا جعله﴾ أى جعل المنفوخ فيه ﴿نارا﴾ أى كالنار فى الحرارة والهيئة فهو من التشبيه البليغ وإسنادا لجعل المذكور إلى ذى القرنين مع أنه فعل الفعلة للتنبيه على أنه العمدة فى ذلك وهم بمنزلة الآلة ﴿قال﴾ الذين يتولون أمر النحاس من الإذابة وغيرها وقيل لأولئك النافخين قال لهم بعد أن نفخوا فى ذلك حتى صار كالنار وتم ما أراده منهم أولا ﴿آتونى﴾ من الذين يتولون أمر النحاس ﴿أفرغ عليه قطرا﴾ [٩٦] أى آتونى قطرا أفرغ عليه قطرًا فحذف من الأول لدلالة الثانى عليه وبه تمسك البصريون على أن إعمال الثانى فى باب التنازع أولى إذ لو كان قطرا مفعول آتونى لأضمر مفعول أفرغ وحذفه وإن جاز لكونه فضلة إلا أنه يوقع فى لبس والقطر كما أشرنا إليه النحاس المذاب وهو قول الأكثرين : وقيل الرصاص المذاب وقيل الحديد المذاب وليس بذاك.

وقرأ الأعمش وطلحة وحمزة وأبو بكر بخلاف عنه ائتونى بهمزة الوصل أى جيئونى كأنه يستدعيهم للإغاثة باليد عند الإفراغ وإسناد الإفراغ إلى نفسه للسر الذى وقفت عليه آنفا وكذا الكلام فى قوله اجعل وقوله ساوى على أحد القولين ﴿فما اسطاعوا﴾ بحذف تاء الافتعال تخفيفا وحذرا عن تلاقى المتقاربين فى المخرج وهما الطاء والتاء وقرأ حمزة وطلحة بإدغام التاء فى الطاء وفيه جمع بين الساكنين على غير حده ولم يجوزه أبو على وجوزه جماعة وقرأ الأعمش عن أبى بكر فما اصطاعوا بقلب السين صادا لمجاورة الطاء. وقرأ الأعمش فما استطاعوا بالتاء من غير حذف. والفاء فصيحة أى ففعلوا ما أمروا به من إيتاء القطر أو الإتيان فأفرغ عليه فاختلط والتصق بعضه ببعض فصار جبلا صلدا فجاء يأجوج ومأجوج وقصدوا أن يعلوه وينقبوه فما اسطاعوا ﴿أن يظهروه﴾ (قيل : أى يظهروا عليه فحذف الجار وأوصل الفعل) أى يعلوه ويرقوا فيه لارتفاعه وملاسته قيل كان ارتفاعه مائتى ذراع وقيل ألف وثمانمائة ذراع ﴿وما استطاعوا له نقبا﴾ [٩٧] لصلابته وثخانته قيل كان عرضه خمسين ذراعا وكان أساسه قد بلغ الماء وقد جعل فيه الصخر والنحاس المذاب وكانت زبر الحديد للبناء فوق الأرض ولا يخفى أن إفراغ القطر عليها بعد أن أثرت فيها حرارة النار حتى صارت كالنار مع ما ذكروا من أن امتداد السد فى الأرض مائة فرسخ لا يتم إلا بأمر إلهى خارج عن العادة كصرف تأثير حرارة النار العظيمة عن أبدان المباشرين للأعمال وإلا فمثل تلك الحرارة عادة مما لا يقدر حيوان على أن يحوم حولها ومثل ذلك النفخ فى هاتيك الزبر العظيمة الكثيرة حتى تكون نارا ويجوز أن يكون كل من الأمرين بواسطة آلات غريبة أو أعمال أوتيها هو أو أحد ممن معه لا يكاد أحد يعرفها اليوم وللحكماء المتقدمين بل والمتأخرين أعمال عجيبة يتوصلون إليها بآلات غريبة تكاد تخرج عن طور العقل وهذا مما لا شبهة فيه، فليكن ماوقع لذى القرنين من ذلك القبيل. وقيل كان بناؤه من الصخور مرتبطابعضها ببعض بكلاليب من حديد ونحاس مذاب فى تجاويفها بحيث لم يبق هناك فجوة أصلا. وأخرج ابن جرير وابن مردويه عن أبى بكرة أن رجلا قال يارسول الله قد رأيت سد يأجوج ومأجوج قال انعته لى قال كالبرد المحبر طريقة سوداء وطريقة حمراء قال قد رأيته والظاهر أن الرؤية بصرية لا منامية وهو أمر غريب إن صح الخبر. وأما ما ذكره بعضهم من أن الواثق بالله العباسى أرسل سلاما الترجمان للكشف عن هذا السد فذهب جهة الشمال فى قصة تطول حتى رآه ثم عاد وذكر له من أمره ما ذكر فثقات المؤرخين على تضعيفه وعندى أنه كذب لما فيه مما تأبى عنه الآية كما لا يخفى على الواقف عليه تفصيلا ولا يخفى لطف الإتيان بالتاء فى استطاعوا هنا ﴿قال﴾ أى ذو القرنين لمن عنده من أهل تلك الديار وغيرهم ﴿هذا﴾ إشارة إلى السد

وقيل إلى تمكنـه من بنـائه والفضل للمتقـدم ليتحـد مـرجع الضمير المتأخـر أى هـذا الـذى ظهـر علـى يـدى وحصل بمباشرتى من السد الـذى شأنه مـا ذكر من المتـانة وصعـوبة المنال ﴿رحمة﴾ أى أثر رحمة عظيمة وعبر عنـه بها للمبالغة ﴿من ربى﴾ على كافة العباد لاسيما على مجاوريه وكون السد رحمـة على العبـاد ظـاهـر وإذا جعلت الإشـارة إلى التمكن فكـونه رحمـة عليهم بـاعتبـار أنـه سبب لذلك وربمـا يـرجح المتقدم أيضا باحتياج المتأخر هذا التأويل وإن كان الأمر فيه سهل وفى الإخبار عنه بما ذكر إيذان على ما قيل بأنه ليس من قبل الآثار الحاصلة بمباشرة الخلق عادة بل هو إحسان إلهى محض وإن ظهر بالمباشرة وفى التعرض لوصف الربوبية تربية معنى الـرحمـة . وقـرأ ابن أبى عبلـة هـذه رحمـة بتأنيث اسم الإشارة وخرج على أنه رعاية للخبر أو جعل المشار إليه القدرة والقـوة على ذلك . ﴿فإذا جـاء وعـد ربى﴾ أى وقت وعده تعالى فالكـلام على حذف مضاف والإسناد إلى الـوعد مجاز وهو لوقتـه حقيقة ويجوز أن يكون الوعد بمعنى المـوعود وهو وقته أو وقوعـه فلا حذف ولا مجاز فى الإسنـاد بل هناك مجاز فى الطرف والمراد من وقت ذلك يوم القيامة وقيل وقت خروج يأجوج ومأجـوج وتعقب بأنه لا يسـاعد النظم الكـريم والمراد بمجيئه مـا ينتظم مجيئه ومجىء مباديه من خـروجهم وخروج الدجال ونزول عيسى عليه السلام ونحو ذلك لا دنو وقوعه فقط كما قال الزمخشـرى وغيره فان بعض الأمور التى ستحكى تقع بعد مجيئه حتما ﴿جعله﴾ أى السد المشـار إليه مع متـانته ورصانته ﴿دكاء﴾ بألف التأنيث الممدودة والمـوصوف مؤنث مقدر أى أرضا مستوية وقال بعضهم الكلام على تقدير مضاف أى مثل دكاء وهى ناقة لا سنام لها ولا بد من التقدير لأن السد مذكر لا يوصف بمؤنث وقرأ غير الكوفيين دكا على أنه مصدر دككته وهو بمعنى المفعول أى مدكوكا مسوى بالأرض أو على ظـاهره والـوصف به للمبـالغة والنصب على أنـه مفعول ثـان لجعل وهى بمعنى صيـرا وزعم ابن عطيـة إنهـا بمعنى خلق وليس بشىء وهـذا الجعل وقت مجىء الوعـد بمجىء بعض مباديه وفيه بيان لعظم قدرته تعـالى شأنه بعد بيان سعة رحمته عز وجل وكان علمه بهـذا الجعل على ما قيل من توابع علمه بمجىء الساعة إذ من مبـاديها دك الجبال الشامخـة الراسخة ضرورة أنـه لا يتم بدونها واستفـادته العلم بمجيئهـا ممن كان فى عصـره من الأنبياء عليهم السـلام ويجوز أن يكـون العلم بجميع ذلك بـالسمـاع من النبى وكـذا العلم بمجىء وقت خروجهم على تقدير أن يكون ذلـك مرادا من الوعد ويجوز أن يكـون عن اجتهـاد ويجـوز أن يكـون عن سمـاع وفى كتـاب حزقيال عليه السلام الإخبـار بمجيئهم فى آخر الزمان من آخر الجربيـاء فى أمم كثيرة لا يحصيهم إلا الله تعـالى وإفسادهم فى الأرض وقصدهـم بيت المقدس وهلاكهم عن آخـرهـم فى بريته بأنواع من العذاب وهو عليه السلام قبل إسكندر غالب دارا فإذا كـان هو ذا القـرنين فيمكن أن يكـون وقف على ذلك فأفاده علما بما ذكر والله تعالى أعلم. ثم إن فى الكلام حذفا أى وهو يستمر إلى آخـر الزمان فإذا جاء وعـد ربى جعله دكاء ﴿وكان وعد ربى﴾ أى وعده سبحـانه المعهود أو كل مـا وعد عز وجل به فيدخل فيه ذلك دخولا أوليا ﴿حقا﴾ [٩٨] ثابتا لا محالة واقعا البتة وهذه الجملة تذييل من ذى القرنين لما ذكره من الجملة الشرطيـة وتأكيد لمضمونها وهـو آخر ما حكى من قصته(روح المعانى ٥ / ١٢٦ـ١٤١).

وقد ورد فى كتـاب ملوك حميـر وأقيال اليمن بـاب بعنوان «باب الحقيقة المعمـول عليها فى ذى القرنين السيـار ومعرفة الطـرق التى جـاءت منهـا اللبسة فيـه؛ والتنبيه على الأخبـار الباطلة» جاء فيه مـا يلى، مع ملاحظة أن الإمام الآلوسى أورد بعضا منه فى بداية المادة والمتعاملون بهذا الاسم أربعة .

أولهم المساح بانى سد يأجوج ومأجوج. وهو الصعب بن مالك بن الحارث بن الخيار بن مالك بن زيد بن كهلان .

وأهل السجل يقولون: هو الهميسع بن عمرو بن عريب بن زيد بن كهلان، وروايتهم أنه لقـى إبراهيم الخليل عليه السلام يوم حاكم إليه أهل الأردن وهم من العماليق. وذلك أن إبراهيم ﷺ احتفر بئرا فى صحراء الأردن للمـاء لأجل ماشيته؛ وادعى قوم من العمـاليق أن عرصة البئر فى حـوزتهم، فحاكمهم إلى ذى القـرنين هو سـائر إلى الشمـال بعد منصرفه من الشـام؛ وكان الخضـر على مقدمة عسكره، فلمـا أوغل ذو القرنين فى الشمال، رُفع الخضـر عن ماء الحيوان فشـرب منه، ولم يعلم ذو القرنين ولا أحد من أصحابه، فخلّد وعمّر.

وقال حسان بـن ثابت الأنصارى يفتخر بذلـك، ويذكر

فيهم ذا القرنين ومسيره فى البلاد، وبناءه السد، ويذكر نصر الأزد للإسلام فى شعر له أوله يذكر فيه ما صار إليه من المشيخ بعد الشباب:

كبرت كذاك المرء ما عاش يكبر
وقد يهرم الباقى الكبير المعمَّر

ويمضى الناظم فى ذلك حتى البيت الثامن عشر حيث يبدأ قصة ذى القرنين على النحو التالى: مع مراجعه تفسير الإمام الألوسى الذى أوردناه آنفا:

لنا ملك ذى القرنين هل نال ملكه
من البشر المخلوق خلق مصور
بواتر يتلو الشمس عند غروبها
لينظرها فى عينها حين يدخر
ويسمو إليها حين تطلع غدوة
فيلمحها فى برجها حين يظهر
وكيلا بأسباب السماء نهاره
وليلا رقيبا دائما ليس يفتر
وأوصد سدا من حديد أذابه
ومن عين قطر مفرغا ليس يظهر
رمى فيه يأجوجا ومأجوج عنوة
إلى يوم يدعى للحساب وينشر
وفى سبأ هل كان عز كعزهم
لهم حسب محض لباب وجوهر
وقد كان فى بينون ملك وسؤدد
وفى ناعط ملك قديم ومفخر
وأسعد كان الناس تحت سيوفه
حواهم بملك شامخ ليس يقهر
تواضع أشراف البرية كلها
إذا ذكرت أشرافها الصيد حمير
وفى الكفر كنا قادة وذوى نهى
لنا عدد الفيض الذى هو يكثر
وأول من آوى النبى محمدا
نصرنا وآوينا نذب وننصر
عن المشرق الميمون أحمد ذى النهى
كأنا ضراغيم الفضا حين نضجر
إذا شمرت حزب وهز هزيزها
نهضنا مساعيرا لها حين تسعر
نكب الكماة الشوس عند اصطلائها
قتلنا ولاة الشرك من كان يكفر
إذا زفت الأنصار حول محمد
بجيش كَمِيٍّ مزبد حين يزخر
يزفُّون حول الهاشمى نبيهم
على وجهه نور من الله يزهر
إذا خطروا بالمشرفية والقنا
تَبَخ لهم من عصبة حين تخطر
إذا ما مشوا فى السابغات كأنها
هزيم من الرعد المجلجل يزأر
فضلنا ملوك الشام فى كل مشهد
لنا الأثر فى المرعى وورد ومصدر

وقال عبد الملك بن عبد الرحيم الحارثى يذكر ذا القرنين ويخبر باسمه:

فسموا كذى القرنين نعرف فضلكم
به إن فى العلم المبين شافيا
لنا الشرق والغرب احتيالا وقوة
فأبقى لنا مجدا به الدهر باقيا
بنى دون يأجوج ومأجوج إذ رأى
فسادهم ردما لدى السَّد راسيا
دعا إذ أتاه بالحديد فلزَّه
ولاءم بالقطر المذاب السآبيا
فما قدروا أن ينقبوه بحيلة
ولا وجدوا فيه لرجل مراقيا
فقد سار عرض الأرض قدما وطولها
وما كان فيها واهن البطش واهيا

فنـــودي لمـــا ســـار والشمس خلفــه
على المـــاء ذا القـــرنين قـف واحف طـــافيــا
فقـــد جئت حـــد الأرض والظلمـــة التي
مـــررت بهـــا تهـــوي على المـــاء مـــاشيـــا
وكـــان اسمـــه فـي قـومـــه الصعب لـم يكن
لــــه اسم ســـواه يستحق المـــاريـــا

فحقق أنـه الصعب بن مـالك، وكـذلك حقق حسـان بن ثابت، أنه من ولد مالك بن زيد بن كهلان بقوله:

لنـــا ملك ذي القـــرنين هـل نـــال ملكـــه
مـن البشـــر المخلـــوق خلق مصـــور

فلما فرغ من خبره قال: وفي سبأ هل كان عز كعزهم.

فأخرجهم من حمير، وأخرجها من قصصه

وقال فيـه علقمة بن ذي جدَن ورثاه في جملـة من ذكر من ملوك قحطان فقال:

أيـن الـــذي بلغ المشـــارق كلهـــا
ومغـــارب الأرض التي لـم تعمـــر
وبنـى على يـأجـــوج ردمـــا رصـــه
بـــالقطـــر لم ينقب ولمـــا يظهـــر
فتنـــاولتـــه منيـــة قصـــدت لـــه
فأجـــابهـــا ومضى كأن لـم يـــذكـــر

وقال الخارجي:

سمـــوا لنـــا واحـــدا في النـــاس نعـرفـــه
في الجـــاهليـــة لاسم الملك محتمـــلا
كـــالتُّبعين وذي القـــرنين يقبلـــه
أهل الحجى فأحق القـــول مـــا قُبـــلا

وقال ابن أبـي ذؤيب الخزاعي، والشعر مخمس (بل هو مسدس):

ومنـــا الـــذي في الخـــافقين تغـــرَّبـــا
وأصعـــد في كـل البـــلاد وصـــوَّبـــا
وفـي ردم يـأجـــوج بنـى ثـم نصبـــا
فقـد نـــال قـرن الشمس شـرقـا ومغـربـا
بعسكـــر مـــوت ليس تحصى فتحسبـــا
وذلـك ذو القـــرنين مـن آل كهـــلان

وغيـر الهمداني، وهـو مـؤلـف الإكليل ـ يـروى البيت المقـدم من آل قحطـان، وقال فيـه أسعـد تبع وسمـاه خالـه للولادات التي ذكرها:

عمتي الخيـــر حيـن تـــذكـــر بلقيـــ
س ومـن نـــال مطلع الشمس خـــالي

وقال أيضا:

قـــد كـــان ذو القـــرنين خـــالي قـــد أتى
طـــرف البـــلاد من المكـــان الأبعـــد
قـــد كـــان ذو القـــرنين قبلي مسلمـــا
ملكـــا تـــدين لـــه الملـــوك وتسجـــد

وكان ابن إسحاق يرويه: قد كان ذو القرنين جدي، وهذا يحتمل أنه كان جده من جهة الأمهات المقدم ذكرهن.

والثـاني الإسكنـدر بن فيلبس وهـو من اليونـانيين، وهـو الذي بنى الإسكندرية، وإليـه ينسب تاريخ ذي القرنين الذي نحن فيه لمدخل سنة إحدى وثلاثين وثلاثمائة سنة من الهجرة على ألف سنة ومائتين وخمسين سنـة، ويقال إن فيلبوس من ولـد هـرمس ملك مصر، المنجم صـاحب الأحكـام، وهـو الاسكنـدر بن بيلبـوس بن مصـريم بن هـرمس بن هـردس بن ميطـون بن رومي بن ليطى بن يـونـان بن ثـافت بن ثـوبـه بن سرجـون بن رومية بن نرنط بـن نوفيل بن روفى بـسن الأصفـر ابن اليفظ بن العيص بن إسحـاق بن إبراهيم عليـه السلام. وكان ملكه الذي بلغ فيه أقصى المغرب والمشرق خمس عشرة سنة، وكـان عمره ستـا وثلاثين سنـة. وكان يـؤدب الإسكنـدر أرسطـاطاليس الحكيم، فـزعموا أنـه خرج إلى بـابل ثائرا بهـا سنحاريب وسـوروان وبخت نصر وبمصر وببلد الـروم وظفر بدار الملك ببـابل وبدارا عظيمهـا، وأكابر أهـل بابل. وكتب إلى أرسطـاطاليس يشـاوره في قتلهم ويقول: قد كتبت إليك، وقـد أظفرني الله بأهل بـابل، فمنح أكتافهم وملك بـلادهم، وأمكن من حكمـائهم، أشاورك في قتل من قبضت عليـه من الملوك والقـادة والأشـراف والسادة لتنفذ فيهم أمـرك، فاحسم عنك وعـن بلـدك البـلاء إلى آخر الـدهـر. فكتب إليـه

أرسطاطاليس: قد علمت أن لكل بلد قسمة، وقسمة فارس النجدة، وإذا قتلت الأشراف تحولت النجدة في السفلة منهم، فسمت الأخسَّاء إلى منازل ذوى الأقدار، ولم يبتل الناس ببلاء قط أشد عليهم من قوة اللئيم، وغلبة السفلة، وأخاف أن يكون لفارس على أهل بلدك دولة يوما من الأيام فيأتيهم ممن ليس عنده بقية ولا روية ولا نظر في عاقبة والسلام. فأبقى الإسكندر عليهم.

وقد روى بعض العامة من العجم أن هذا بانى السد، ولم يوغل هذا فى الشمال، وإنما كانت له غزوتان: واحدة للمغرب، والثانية للمشرق، وفيها مات؛ ومما يدل على أنه ليس بذى القرنين الذى ذكره الله عز وجل فى كتابه رواية العجم لغدره بدارا ودسه عليهم صاحب حرسه، فلما قتله على الشريطة التى شرط له والعهد الذى أعطاه قتله، وقال تركه تكربت للحاشية على الملوك، وأنه سقى السم فمات. فحمل فى تابوت من ذهب ووضع بين الحكماء، فتكلمت، فقال أحدهم: ما زلت تكنز الذهب، حتى كنزت فيه.

وقال بعضهم عليه أنت ميتا أوعظ منك حيا. وقال آخرون: إن أمرا هذا آخره لحرى أن يزهد فى أوله، والرجل الصالح لا يكنز الذهب، كما قال الله عز وجل ﴿والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم﴾ [التوبة: ٣٤] وكثيرا ما ينحل الأعاجم سد يأجوج ومأجوج، ولا يجدون إلى أن ينحلوه الإسكندر سبيلا، لمعرفة الناس بمبالغه من البلاد، فيقولون: هو الإسكندر الأكبر الذى يدع ابن فيلبوس بن مصريم الذى بنى عليه بنيه ريح (العبارة يكتنفها الغموض) والذى بين قيام فيلبوس بن مصريم وهو عندهم أبو الإسكندر الأكبر وبين قيام الإسكندر الآخر ثلاث عشرة سنة وثلاث مائة سنة وستة وعشرون يوما، ومن كان عصره على هذا القرب من الإسكندر بن فيلبوس، فليس يخاف بناء ابنه للسد، والذى روى الخبر وهذا التاريخ من العجم. ويقولون إنه لم يرفع أحد من اليونانيين والروم رأسه على ملك بابل حتى قام الإسكندر بن فيلبوس على دارا؛ وما رأيت أحدا من العلماء على اختلافهم فى نسب الإسكندر ذى القرنين شك أن ذا القرنين الذى ذكره الله تعالى فى كتابه، وذكرته العرب فى أشعارها، وسماه العرب البناء والمساح غير الإسكندر وأقدم منه، وهو الذى تحاكم إليه إبراهيم عليه السلام فى الأردن وصاهر إليه جيدان بن قطن. وهذا درجته متقدمة لعصر الإسكندر اليونانى، وأن بين الإسكندر بن فيلبوس وبين إبراهيم عليه السلام عشرين بطنا.

ومما يدحض رواية العجم فيما ادعوه من بنائه السد أن مسير الدنيا من المشرق إلى المغرب فيما يؤثر عن العلماء أنه مقدار خمسمائة سنة من مطلع الشمس إلى مغربها، وكان مدة عمر الإسكندر بن فيلبوس ستا وثلاثين سنة، فكيف يمكن بلوغه مطلع الشمس إلى مغربها فى هذا المدة اليسيرة، وإنما تصح الرواية فى بلوغ أقصى مطلعها وأقصى مغربها فيمن أقدره الله على ذلك ومكن له فى الأجل فنال ذلك على المهل، وهو ذو القرنين الصعب، ويكنى ذا رياش بن مالك بن الحارث ذى مراثد بن الخيار بن مالك بن زيد بن كهلان، وذو القرنين اسم عربى من الأذواء وهو من المعمرين، وكان فيما يذكرون ـ والله أعلم ـ أن عمره ألفا سنة، وقد جاءت بذلك الشواهد من الأشعار، منها قوله بعد رجوعه لما نعيت نفسه إليه، فجعل يخاطب نفسه:

يا صعب حقًّا كل شىء ذاهب
إلا الإله الواحد المعبودا
هتكت خطوب الدهر عمرك هتكة
أمسى حسامك دونها مغمودا
عُمِّرت ألفا بعد ألف قبلها
فى العالمين فقد دعيت وحيدا
وقصدت آفاق البلاد بقدرة
فوجدت نحسا دونها وسعودا
فهديت فيها مؤمنا ذا همة
ونشزت منها كافرا وجحودا
ورأيت عين الشمس عند سقوطها
ووردت أمواج المحيط ورودا
وبلغت أعلام المشارق كلها
أبغى بما أبغى لهن حدودا
فوطئت يأجوجا ومأجوجا بها
وبنيت قطرا دونها وحديدا

وجعلتُ عن شمريهما مندوحة
فالفج عن صدفيهما مقصودا
وولجت في الظلمات حين ولجتها
خسوفا وكان رتاجها محدودا
ولقيت تحت الشمس قوما خلتهم
تحت الظلام خنازرا وقرودا
وعلوت في الدنيا بعزة قاهر
أكدت فيها للبقا تأكيدا
حاولت أن أعطى الخلود وأرتقى
في الخافقين إلى السماء صعودا
فأبى لي الله الذي أمّلته
أمسي المنى، دون الرضا ممدودا
فالحنو للصعب المعبهل منهل
يمسي به أمدا له ممدودا

(أثبت الهمداني من هذه القصيدة ٥٣ بيتا في الجزء ٨٠ من الإكليل ص ٢١٩ ـ ٢٢٢ وقال: إنها من قصيدة طويلة حوالي أربعمائة بيت).

قال النعمان بن الأسود بن المعترف بن عمرو بن يعفر بن سكسك المقعقع الحميري يرثي ذا القرنين الحميري:

بحنو قُراقر أمسى رهينًا
أخو الأيام والدهر الهجان
لئن أمست وجوه الدهر سودا
جُلين لذلك الملك اليماني
لقد صحب الردى ألفين عاما
ولاقاه الحِمام على ثمان
إذا جاوزت من شرفات حنو
وسرت بأيك برقة رحرحاني
إذا جزت العقيق بأرض هند
إلى القنوات والنخل الدواني
هناك الصعب ذو القرنين ثاو
بأرض تنوفة الحنوين عاني

ألم تر أن حنو الرمل أمسى
لملك الدهر والدنيا مغاني
فقل للنازلين بكل أرض
لكم أمر على بعد ودانى

قال أبو محمد: حدثنا أسد عن إدريس عن وهب بن منبه عن عبد الله بن العباس أنه سئل عن ذي القرنين، ممن كان؟ قال: كان من حمير، وهو الصعب بن ذي مراثد، وهو الذي مكن الله له في الأرض، وآتاه من كل شئ سببا، بلغ قرني الشمس وداس الأرض، وبنى السد على يأجوج ومأجوج. قال فالإسكندر الرومي؟ قال: كان الإسكندر الرومي رجلا صالحا حكيما، بنى على بحر إفريقيس منارتين: واحدة بأرض بابليون، وأخرى في أرض رومة، وسمى بحر إفريقيس باسم ملك عظيم من عظماء التبابعة، أكثر الآثار عليه في المغرب من المصانع والمدن والآثار (انظر مادة «تبع» في م ٨ / ٤٥٧ ـ ٤٥٩).

وسئل كعب الأحبار عن ذي القرنين، فقال: الصحيح عندنا من علوم أحبارنا وأسلافنا أنه من حمير، وأنه الصعب بن ذي مراثد، والإسكندر من بني يونان بن عيص بن إسحاق بن إبراهيم عليه السلام، ورجاله أدركوا عيسى ابن مريم، منهم جالينوس وأرسطاطاليس ودانيال وهو من بني إسرائيل، وجالينوس وأرسطاطاليس من بني يونان من الروم (ارجع إلى تعليق الإمام الآلوسي في بداية هذه المادة) وفيه قال أسعد تُبّع:

قد كان ذو القرنين جدي مسلما
ملكا تدين له الملوك وتسجد
طاف المشارق والمغارب عالما
يبغي علوما من كريم مرشد
وأتى مغار الشمس عند غروبها
في عين ذي خلب وثأط حرمد

(في المنتخب ص ٨٥:
قد كان ذو القرنين جدي قد أتى
طرف البلاد من المكان الأبعد

ملك المشـــارق والمغـــارب يبتغى
أسبـــاب أمـــر من حكيم مـــرشـــد

والبيت الأول فى الأصل لا يستقيم لاختلاف الروى) (ملوك حمير وأقيال اليمن / ٩٨ـ١٠٨).

قال نشوان بن سعيد فى قصيدته فى موضع آخر.

والصعب ذو القـــرنين أدركـــه الـــردى
قصـــدا ولـم يضـــرب لـــه بقـــداح

وجاء شرح ذلك كما يلى: اختلف الناس فى ذى القرنين الذى ذكره الله عز وجل فى سورة الكهف، فقال قوم إنه الإسكندر بن فلبس اليونانى، وقال قوم إنه الهميسع بن عمرو بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ الأكبر، وقال بعض حمير: إنه الصعب الملك الرائد تبع الأكبر بن تبع الأقرن بن شمريرعش. وقال على بن أبى طالب وابن عمه عبد الله بن العباس رضى الله عنهم ـ وقد سئلا عن ذى القرنين فقالا جميعا ـ هو الصعب بن عبد الله بن ملك بن زيد بن سدد بن حمير الأصغر، وهو قول بعض حمير أيضا فى ذى القرنين، والصحيح أن ذا القرنين تبع الأقرن (انظر ترجمته فى م ٨ / ٤٥٩، ٤٦٠) لأنه ولد وقرناه أشيبان فسمى تبع الأقرن، وذو القرنين قال فيه أسعد بن ملكى كرب بن تبع الأكبر بن تبع الأقرن:

قـــد كـــان ذو القـــرنين جـــدى قـــد أتى
طـــرف البـــلاد من المكـــان الأبعـــد
فـــرأى مغـــار الشمس عنـــد غـــروبهـــا
فـى عيـن ذى خلب وثـأط حـــرمـــد
وبنـى علـى يـأجـــوج حين أتـــاهمـــا
ردمـــا بنـــاه إذ أتـــاه مخلّـــد
ودعـــا بقطـــر قـــد أذيب فصبّـــه
مـــا بينـــه وكـــذا بنـــاء المحفـــد
ملـك المشـــارق والمغـــارب يبتغى
أسبـــاب ملك مـن حكيم مـــرشـــد

(ملوك حمير / ١٧١، ١٧٢) قارن بين هذه الأبيات وبين ما سبقها.

وذكره قس بن ساعدة الإيادى فقال: أيها الناس، هل أتاكم ما لم يأت آباءكم الأولين، أم أخذتم عهدا من السنين، أم عندكم من ذلك يقين، أم أصبحتم من ريب المنون آمنين بل أصبحتم والله فى غفلة لاعبين، أين الصعب ذو القرنين، جمع الثقلين وأداخ الخافقين وعُمِّر ألفين، لم تكن الدنيا عنده إلا كلمحة عين، من لم يتعظ اتعظ به ... (ملوك حمير / ١٠٨).وذكره فى قصيدته الطويلة وعدَّه من جملة ملوك حمير فقال:

والصعب ذو القـــرنين أصبح ثـــاويـــا
بـــالحنـــو بين مـــلاعب الأرواح

وقال الأعشى:

والصعـب ذو القـــرنين أصبح ثـــاويـــا
بـــالحنـــو فى جـــدث رميم مقيمـــا

فى شعر طويل. وقال الربيع بن ضبع الفزارى:

سيـــدركنى مـــا أدرك المـــرء تبعـــا
ويغتـــالنى مـــا اغتـــال أنســـر لقمـــان
أجـــار مجيـــر النمل من عـــز ملكـــه
وأنـــزل سيف البأس مـن رأس غمـــدان
وألـــوى بـــذى القـــرنيـن بعـــد بلـــوغـه
مطـــالع قـــرن الشمس بـــالإنس والجـــان

وقال الربيع أيضا:

لا بـــد أن ألقى المنـــون وإن نَـأَتْ
عنى الخطـــوب وصـــرفـه المحتـــومـــا
هـــلاَّ ذكـــرت لـــه العـــرنجج حميـــرا
ملـك الملـــوك على القليب مقيمـــا
والصعـب ذو القـــرنيـن عمَّـــر ملكـــه
ألفيـن أمسى بعـــد ذاك رميمـــا
ونبـت بـــه أسبـــابـــه حتى رأى
وجـــه الـــزمـــان بمـــا يســـوء شتيمـــا

وقال امرؤ القيس بن حجر المقصور بن الحارث آكل المرار، يذكر ذا القرنين الصعب بن ذى مرائد:

ألـم يحـــزنـك أن الـــدهـــر غـــول
ختـــور العهـــد يلتهم الـــرجـــالا

أزال عن المصانع ذا رياش
وقد ملك السهولة والجبالا
همام طحطح الآفاق وحيا
وقاد إلى مشارقها الرعالا
وسد بحيث ترقى الشمس سدا
ليأجوج ومأجوج الجبالا

(٣) والثالث المنذر بن ماء السماء اللخمي ملك الحيرة، وكان يدعى بذي القرنين وقد رحل عنه امرؤ القيس بن حجر الكندي يوم طلبه فاستجار منه بالمعلى بن تميم بن ثعلبة الطائي فمنعه عنه، وأنشأ يقول:

فما ملك العراق على المعلى
بمقتدر ولا الملك الشآم
أسد نشاط ذي القرنين حتى
تولى عارض الملك الهمام

وكانت له مسيحتان من الشعر (المسيحة شعر جانبي الرأس) فسمي بهما ذا القرنين، والغدارة من شعر الرأس قرن وهي قرون الشعر.

(٤) والرابع، هو الذي أتى فيه الخبر عن علي وابن عباس عليهما السلام وقد سئلا عن ذي القرنين المسَّاح فقالا: ذو القرنين، هو الصعب بن عبد الله بن مالك بن زيد بن سدد بن زرعة، وهو حمير الأصغر بن سبأ الأصغر بن كعب، وإن صح طرق هذا الحديث عن علي عليه السلام، فإنه الذي ملك بعد تُبع الأكبر المدة التي تنسب إلى ذي مقار وهي خمس وخمسون سنة، وإن لم يصح، فالذي ملك بعد تبع، ذو مقار. قال وسئل علي عليه السلام عمن اجتمع له ملك الأرض كلها، فقال: ملك الأرض كلها أربعة: مؤمنان وكافران فالمؤمنان سليمان بن داود، وذو القرنين واسمه الصعب بن عبد الله بن مالك بن زيد بن سدد بن حمير الأصغر بن سبأ الأصغر. والكافران: تُبَّع والنمرود. ورواية عبد الله بن عباس عن ابن سلام تخالف هذا الحديث في تبع، لأنه ذكر أنه رجل مؤمن، إلا أن يكون عليٌّ عليه السلام أراد تبع الأكبر.

وروى عن سفيان بن عيينة عن ليث بن أبي سليم، عمن حدثه عن علي بن أبي طالب عليه السلام أنه سئل عن ذي القرنين: ما ركب في مسيره يوم سار؟ فقال: خير بين ذُلل السحاب وبين صعابه فاختار ذلله وهو الذي لا برق فيه.

فهؤلاء الأربعة المتفق عليهم بهذا الاسم، واختلف في أيهم المساح؟ والصحيح الذي جاءت به الشواهد في كتاب الله تعالى وفي أشعار العرب، وقد وقع الإجماع فيه، أنه من ولد قحطان بن هود عليه السلام، وإنما وقع الاختلاف في نسبه إلى حمير أو كهلان فيما تقدم من الروايات. والله أعلم بالحقيقة (ملوك حمير / ٩٨، ١٠٠ ـ ١١٣).

(الجامع اللطيف لمولانا جمال الدين محمد جار الله بن ظهيرة القرشي / ٥١، ٥٢، وملوك حمير وأقيال اليمن قصيدة نشوان بن سعيد الحميري ـ تحقيق إسماعيل بن أحمد الجرافي وعلي بن إسماعيل المؤيد / ٩٨، ١٠٠ ـ ١١٣، ١٧١، ١٧٢، وروح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني للإمام أبي الثناء الألوسي ٥ / ١٢٦ ـ ١٤١. انظر أيضا الأنساب للسمعاني ٣ / ١٥).

*** ذو القرنين بن حمدان التغلبي:**

أدرجه الإمام شمس الدين الذهبي في الطبقة الثالثة والعشرين وقال عنه: الأمير الكبير، نائب دمشق، وجيه الدولة، أبو المطاع، ابن صاحب الموصل ناصر الدولة الحسن بن عبد الله بن حمدان، التغلبي الشاعر. ولي دمشق بعد لؤلؤ سنة إحدى وأربعمائة، وجاءته الخلع من الحاكم، ثم عزله بابن بزال، ثم ولي دمشق للظاهر بن الحاكم، ثم عزل بعد أشهر بسختكين، ثم وليها سنة خمس عشرة، ثم عزل بالدزبري بعد أربعة أعوام. وله نظم في الذروة، وكان ابنه من خيار الدولة المصرية.

مات ذو القرنين في صفر سنة ثمان وعشرين وأربعمائة، وكان من أبناء الثمانين.

(تهذيب سير أعلام النبلاء للإمام شمس الدين الذهبي ـ أشرف على تحقيق الكتاب شعيب الأرنؤوط. هذبه أحمد فايز الحمصي، راجعه عادل مرشد ٢ / ٣٢١، ٣٢٢).

*** ذو القلمين:**

قال السمعاني:

ذو القلمين: هذا لقب لعلى بن أبى سعيد الكاتب أحد الكتاب، لقب بذلك لحسن قلمه فى الكتابة.

(الأنساب للسمعانى ٣/ ١٥).

*** ذو الكفايتين:**

ذو الكفايتين: من ألقاب فضل بن سهل، وكان محفورا على سيفه؛ وورد فى طراز قطعة من النسيج ذكره المقريزى، وفى نقشين من مكة أورد نصهما الأزرقى. (الألقاب الإسلامية/ ٢٩٨).

وكان أبو الفتح ابن العميد، وهو على بن محمد بن الحسين. من الوزراء والكتّاب والشعراء يلقب بذى الكفايتين. خلف أباه فى وزارة ركن الدولة البويهى، قتل سنة ٣٦٦ هـ. يتيمة الدهر ٣/ ١٨٥ و١٨٨، معجم الأدباء ١٤/ ١٩١ (اللطائف والظرائف/ ٢٠، ٢١).

(الألقاب الإسلامية ـ د. حسن الباشا/ ٢٩٨، واللطائف والظرائف لأبى منصور الثعالبى/ ٢٠، ٢١ وهامش ٣).

*** ذو الكفاية:**

من أبواب أصول الفقه، وقد جاء الكلام عليها فى الأبيات ٣٢٤ ـ ٣٣٩ من منظومة الشيخ الشنقيطى الموسومة بمراقى السعود، وننقلها فيما يلى، وقد احتفظنا بأرقام الأبيات كما وردت فى النص. قال الناظم:

٣٢٤ ـ ما طلب الشارع أن يحصّلا
دون اعتبار ذات من قد فعلا

٣٢٥ ـ وهو مفضّلٌ على ذى العين
فى زعم الأستاذ مع الجوينى

٣٢٦ ـ مِيزُهُ من العين بأن قد حُظلا
تكرير مصلحته إن فُعلا

٣٢٧ ـ وهو على الجميع عند الأكثر
لإثمهم بالترك والتعذُّر

٣٢٨ ـ وفعلُ من به يقوم مُسقِطُ
وقيل بالبعض فقط يرتبط

٣٢٩ ـ مُعيَّنا أو مُبهما أو فاعلا
خُلفٌ عن المخالفين نُقلا

٣٣٠ ـ ما كان بالجزئى ندبه علم
فهو بالكُلّى كعيد مُنحتم

٣٣١ ـ وهل يعيِّن شروع الفاعل
فى ذى الكفاية خلاف ينجلى

٣٣٢ ـ فالخُلْفُ فى الأجرة للتحمل
فرعٌ على ذاك الخلاف قد بلى

٣٣٣ ـ وغلب الظن فى الإسقاط كفى
وفى التوجه لدى من عرفا

٣٣٤ ـ فروضُه القضا كنهى أمر
رد السلام وجهاد الكفر

٣٣٥ ـ فتوى وحفظ ما سوى المثانى
زيارة الحرام ذى الأركان

٣٣٦ ـ إمامةٌ منه ودفع الضرر
والاحتراف مع سدّ الثُّغُر

٣٣٧ ـ حضانةٌ توثق شهاده
تجهيز ميت وكذا العياده

٣٣٨ ـ ضيافةٌ حُضورُ من فى النَّزع
وحفظ سائر علوم الشرع

٣٣٩ ـ وغيره المسنون كالإمامه
والبدء بالسلام والإقامه

(مراقى السعود لمبتغى الرقى والصعود «فى أصول الفقه» لناظمها سيدى عبد الله بن الحاج إبراهيم الشنقيطى ـ راجعه وصحح متنه وضبطه د. محمد ولد سيدى ولد حبيب الشنقيطى. نشر محمد محمود محمد الخضر القاضى، توزيع دار المنار للنشر والتوزيع. جدة. مكة. الطبعة الأولى ١٤١٦ هـ ـ ١٩٩٥ م/ ٤٤ ـ ٤٦).

*** ذو الكِفل:**

قال تعالى: ﴿واذكر إسماعيل واليسع وذا الكفل وكل من الأخيار﴾ [ص: ٤٨] وقال: ﴿وإسماعيل وإدريس وذا الكفل كل من الصابرين * وأدخلناهم فى رحمتنا إنهم من

الصالحين﴾ [الأنبياء : ٨٥، ٨٦] ولم يذكر الله تعالى ذا الكفل إلا فى هذين الموضعين من القرآن الكريم (الارتباط الزمنى والعقائدى / ١٣٧).

قال الإمام السيوطى : قيل هو ابن أيوب فى المستدرك عن وهب: إن الله بعث بعد أيوب ابنه بشر بن أيوب نبيا، وسماه ذو [ذا] الكفل، وأمره بالدعاء إلى توحيده، وكان مقيما بالشام عمره حتى مات وعمره خمس وسبعون سنة. وفى العجائب للكرمانى: قيل هو إلياس، وقيل هو يوشع بن نون، وقيل هو نبى اسمه ذو الكفل، وقيل كان رجلا صالحا تكفل بأمور فوفى بها، وقيل هو زكريا فى قوله تعالى ﴿وكفلها زكريا﴾ [آل عمران: ٣٧] انتهى. وقال ابن عساكر: قيل هو نبى تكفل الله له فى عمله بضعف عمل غيره من الأنبياء، وقيل لم يكن نبيا، وأن اليسع استخلفه فتكفل له أن يصوم النهار ويقوم الليل. وقيل أن يصلى كل يوم مائة ركعة. وقيل هو اليسع وأن له اسمين.

(الإتقان ٢ / ١٧٨).

وجاء فى تفسير القرطبى أن الجمهور على أن ذا الكفل ليس بنبى، وقال الحسن: هو نبى قبل إلياس، وقيل هو زكريا، وسمى بذلك لكفالته مريم.

وقيل: كان رجلا عفيفا يتكفل بشأن كل إنسان وقع فى بلاء أو تهمة أو مطالبة فينجيه الله على يديه، وقيل: سمى ذا الكفل لأن الله تعالى تكفل له فى سعيه وعمله بضعف عمل غيره من الأنبياء الذين كانوا فى زمانه.

وذكر أبو عيسى الترمذى حديثا عن النبى ﷺ بإسناد حسن، وكذلك أخرجه الترمذى الحكيم فى كتابه «نوادر الأصول»، أنه كان رجلا عاصيا ثم تاب إلى الله وهو فى عصيانه فتاب الله عليه فمات من ليلته فأصبح مكتوبا على بابه: إن الله قد غفر لذى الكفل (أحسن الكلام ٣ / ٢٩٧).

وقال الطبرى إن ذا الكفل رجل تكفل من بعض الناس، إما من نبى، وإما من ملك من صالحى الملوك بعمل من الأعمال، فقام به من بعده، فأثنى الله عليه حسن وفائه بما تكفل به، وجعله من المعدودين فى عباده، مع من حمد صبره على طاعة الله.

يقول الدكتور محمد وصفى:

وروى الطبرى وغيره فى شأن ذى الكفل أخبارا إسرائيلية لا أراها صالحة للنقل فى مثل هذا المؤلف، وروى عن مجاهد أن ذا الكفل رجل صالح غير نبى تكفل لنبى قومه أن يكفيه أمر قومه، ويقيمه لهم، ويقضى بينهم بالعدل ففعل ذلك. فسمى ذا الكفل وقال الحسن والأكثرون إنه من الأنبياء، وهذا أقرب لأنه معطوف عليهم معدود فيما بينهم.

ولا شك أن ذا الكفل، كان كغيره من النبيين، داعيًا إلى الله وإلى الوحدانية، مذكرا الناس بالموت والحياة البرزخية والبعث والقيامة والحساب والعقاب والثواب وغيرها من العقائد التى أوحى بها إلى النبيين لإرشاد أقوامهم وتعليم الناس ما غاب عنهم من حقائق الدين، ودعوتهم إلى الإيمان بالغيب (الارتباط الزمنى والعقائدى / ١٣٧، ١٣٨).

وقد سبق أن أوردنا فى مادة «الأنبياء» فى م ٦ / ١١٢ البيت التالى ضمن أبيات عن عدد الرسل الذين يجب الإيمان بهم، وعددهم خمسة عشر، وهم المذكورون فى القرآن، ومن بينهم ذو الكفل:

إدريس هود شعيب صالح وكذا
ذو الكفل آدم بالمختار قد خُتِموا

(المختصر البسيط / ٢٦).

(الارتباط الزمنى والعقائدى بين الأنبياء والرسل - د. محمد وصفى / ١٣٧، ١٣٨، والإتقان فى علوم القرآن للحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطى ٢ / ١٧٨، وأحسن الكلام فى الفتاوى والأحكام - فضيلة الشيخ عطية صقر. ط دار الغد العربى ٣ / ٢٩٧، والمختصر البسيط فى علم التوحيد - فضيلة الأستاذ د. طنطاوى مصطفى / ٢٦. انظر أيضا قصص الأنبياء - حامد عبد القادر / ٣٨، وبدائع الزهور لابن إياس / ١٢١).

*** ذو الكفين:**

كان لدوس ثم لبنى مُنْهِب بن دوس صنم يقال له ذو الكفين.

فلما أسلموا، بعث النبى ﷺ الطفيل بن عمرو الدوسى فحرقه، وهو يقول:

يـــا ذا الكفيـن لست من عبـــادكــا
ميــلادنـــا أكبــر مـن ميــلادكـــا
إنـى حشـوت النـار فـى فـؤادكا

(كتاب الأصنام لأبى المنذر هشام بن محمد السائب الكلبى - بتحقيق الأستاذ أحمد زكى / ٣٧) .

*** ذو الكلاع:**

أدرجـه الحـافـظ ابن حجـر تحـت عنـوان «ذو الكــلاع الحميرى» بالرقم التسلسلى ٢٤٦٢ وقال عنه :

روى ابن أبى عاصم وأبو نعيم من طـريق حسان بن كريب عن ذى الكـلاع سمعت رسول الله صلـى الله عليه وآلـه وسلم يقول «اتركوا الترك ما تركوكم» تفرد به ابن لهيعة فإن كان حفظه فهو غير ذى الكلاع الآتى ذكره فى القسم الثالث ا هـ (الإصابة ٢ / ١٧٧) .

ومن ثم ذكـره فى هـذا القسم الثـالـث تحت عنـوان «ذو الكلاع» بالرقم التسلسلى ٢٥٠١ وقال عنه :

اسمـه أسميفع بفتح أولـه وسكـون المهملـة وفتح ثـالثـه وسكـون التحتانيـة وفتح الفـاء بعـدها مهملـة ويقـال سميفع بفتحتين ويقال إيفع بن بـاكورا وقيل ابن حـوشب بن عمرو بن يعفر بن يزيد بن النعمان الحميرى . . وكان يكنى أبا شرحبيل ويقال أبا شـراحيل تقدم ذكره فى الذى قبلـه . وقال الهمدانى اسمـه يزيـد قـال وبعث إليه النبـى صلى الله عليه وآلـه وسلم جـرير بن عبـد الله فأسلم وأعتق لـذلك أربعة آلاف ثم قـدم المدينة ومعه أربعـة آلاف أيضا فسأله عمر فى بيعهم فأصبح وقد أعتقهم فسأله عمر عن ذلك فقال إنى أذنبت ذنبا عظيما فعسى أن يكـون ذلك كفـارة قـال وذلك إنى تـواريت مـرة ثم أشرفت فسجد لى مائة ألف .

وروى يعقوب بن شيبة بإسناد له عن الجراح بن منهال قال كان عند ذى الكـلاع اثنا عشر ألف بيت من المسلمين فبعث إليه عمـر فقال بعنـا هؤلاء نستعين بهم على عـدو المسلمين فقال لا هم أحـرار فأعتقهم كلهم فى ساعة واحدة . قـال أبو عمـر (قالت المـؤلفة : أبـو عمـر هو ابن عبـد البر صـاحب الاستيعـاب) لا أعلم لـه صحبة إلا أنـه أسلم واتبع فى حيـاة النبى صلى الله عليه وآلـه وسلم وقدم فى زمن عمر فـروى عنه وشهـد صفين مع معاويـة وقتل بهـا . وروى أبـو حذيفـة فى الفتوح من طريق أنس بن مالك أن أبا بكر بعثه إلى أهل اليمن يستنفرهم إلى الجهاد فرحل ذو الكلاع ومن أطاعه من حمير.

قلت وأخرج أبو نعيم فى ترجمتـه حديثا فيه سمعت رسول الله صلى الله عليـه وآلـه وسلم وقد غلب على ظنى أنه غيره فأفردته فيما مضى . وقال سيف كان ذو الكلاع فى يوم اليرموك على كردوس . وقال هشام بن الكلبى عن أبيه عن أبى صالح كان يدخل مكة رجال متعممـون من جمالهم مخافة أن يفتتن بهم منهم ذو الكلاع والزبرقـان بن بدر وزيد الخيل وعمرو بن جهمة وآخرون . وروى إبراهيم بن داربل فى كتاب صفين من طريق جابـر عمن حدثه أن معاوية خطب فقـال إن عليا نهد إليكم فى أهل العراق فقال ذو الكلاع عليك أم رأى وعلينا أم فعال وهـى لغة يجعلون لام التعـريف ميمـا (قالت المـؤلفة : يقصد عليك الرأى وعلينا الفعـال) وقال المرزبانى فى معجم الشعراء سميفع بن الأكـورا ذو الكلاع الأصغر مخضـرم له مع عمـر أخبار ثم بقى إلى أيـام معاويـة ولما كثـر شرب النـاس الخمـر فى خـلافة عمـر كتب إلى عـامله أن يأمر بطبخ كل عصير بالشام حتى يذهب ثلثاه فقال ذو الكلاع .

رمـــاهـــا أميـــر المـــؤمنيـن بحتفهـــا
فحـــلابهـــا يبكـــون حـــول المعـــاصـــر
فـــلا تجلـــدوهم واجلـــدوهـــا فإنهـــا
هى العيس للبـــاقى ومـن فى المعـــاصـــر

وقال خليفة : كان ذو الكـلاع بالميمنة على أهل حمص بصفين مع معاوية . وروى يعقوب بن شبة بإسناد صحيح عن أبى وائل عن أبى ميسـرة أنـه رأى ذا الكلاع وعمـارا فى ثيـاب بيض بفناء الجنة فقال ألم يقتل بعضكم بعضا قالوا بلى ولكن وجدنا الله واسع المغفرة (الإصابة ٢ / ١٨٣) .

وقد أدرجـه ابن حديدة الأنصـارى فيمن كتب إليهم رسول الله ﷺ وقال عنه : قال ابن الجـوزى : كان ذو الكلاع واسمه سميفع بن حـوشب ، وكـان قـد استعلى على ربـه وادعى الربوبيـة ، فكاتبه رسول الله ﷺ علـى يـد جريـر بن عبد الله

بلى، ومات رسول الله ﷺ قبل عود جرير، وأقام ذو الكلاع على ما هو عليه إلى أيام عمر بن الخطاب رضى الله عنه، ثم رغب فى الإسلام، فوفد على عمر رضى الله عنه ومعه ثمانية آلاف عبد، فأسلم على يده وعبيده كلهم، وقال لعمر: لى ذنب عليهم فسجد لى زهاء مائة ألف، فقال عمر: التوبة بالإخلاص يرجى بها الغفران.

وروى عن داود عن رجل من قومه، قال: بعثنى قومى بهدية إلى ذى الكلاع فى الجاهلية، فمكثت سنة لا أصل إليه، ثم إنه أشرف بعد ذلك من القصر، فلم يره أحد إلا خر له ساجدا، ثم رأيته بعد ذلك فى الإسلام قد اشترى لحما بدرهم فسمطه على فرسه ثم أنشأ يقول:

أف للدنيا إذا كانت كذا
أنا منها كل يوم فى أذى
ولقد كنت إذا ما قيل من
أنعم الناس معاشا قيل ذا
ثم بدلت بعيشى شقوة
حبذا هذا شقاء حبذا

قال ابن سعد فى فى الطبقات: وبعث رسول الله ﷺ جرير بن عبد الله البجلى إلى ذى الكلاع بن ناكور بن حبيب ابن مالك بن حسان بن تُبع وإلى ذى عمرو يدعوهما إلى الإسلام فأسلما، وأسلمت ضُريبة بنت أبرهة بن الصباح امرأة ذى الكلاع، وتوفى رسول الله ﷺ وجرير عندهم، فأخبره ذو عمرو بوفاته ﷺ فرجع جرير إلى المدينة.

وروى الواقدى فى فتح مصر (ص ٩٣) أن ذا الكلاع حضر مع الصحابة رضى الله عنهم فتح مربوط (فى فتوح مصر والإسكندرية للواقدى: دمربوط ـ كذا) بلدة بقرب الإسكندرية ـ ومات وهم نزول بها. قال: وكان ملك حمير، وكان قبل دخوله فى الإسلام يركب له اثنا عشر ألف مملوك من السودان شرى. قال أبو هريرة رضى الله عنه: لقد رأيته بعد تلك الحشمة يمشى فى سوق المدينة وجلد شاة على كتفه حين قدم من اليمن للجهاد فى أيام أبى بكر الصديق رضى الله عنه، فلما مات رثاه ولده فرج بما رثى به حمير لأبيه سبأ بن يشجب حيث يقول:

عجبت ليومك ماذا فعل
وسلطان عزك كيف انتقل
فأسلمت ملكك لا طائعا
وسلمت للأمر لما نزل
فلا تبعدن فكل امرىء
سيدركه بالمنون الأجل
بلغت من الملك أقصى المنى
نقلت وعزك لم ينتقل
صحبت الدهور فأفنيتها
وما شاء سعيك فيها فعَل
بنيت القصور كمثل الجبال
ذهبت فلم يبق إلا الطَّلل
نعمنا بأيامك الصالحات
شربنا بسيحك وبلا وطلّ
نؤمل فى الدهر أقصى المنى
ولم ندر بالأمر حتى نزل
فزالت لعمرك شم الجبال
ولم يك حزنك فيها مَثَل

قال: وحمله ابن عمه عجلان بن مضاض الحميرى إلى مصر بعد أن صبَّره، وعوَّل أن يسير به إلى اليمن.

قوله: بسيحك: ألسيح: الماء الجارى. والوابل: المطر الشديد، وقد وبلت السماء تبل، والأرض موبولة. والطل: أضعف من المطر، والجمع الطلال، تقول: طلت الأرض، وطلَّها الندى، فهى مطلولة ـ قاله الجوهرى (المصباح المضى ٢ / ٢٧١ ـ ٢٧٤).

(الإصابة فى تمييز الصحابة لشيخ الإسلام الحافظ ابن حجر العسقلانى ٢ / ١١٧، ١٨٣، والمصباح المضى فى كُتَّاب النبى الأمى ورسله إلى ملوك الأرض من عربى وأعجمى للشيخ الإمام أبى عبد الله محمد بن على بن أحمد بن حديدة الأنصارى ـ صححه وعلق عليه الشيخ محمد عظيم الدين ٢ / ٢٧١ ـ ٢٧٤. انظر أيضا الاستيعاب فى معرفة الأصحاب لابن عبد البر ـ تحقيق على محمد البجاوى ـ / ٤٧١ ـ ٤٧٤).

بسم الله الرحمن الرحيم

استدراك

حدث خطأ فى مادة «حياة الحيوان الكبرى» فى م ١٥ / ١١٥ ، حيث جاء فى المصدر الذى نقلنا عنه - هو بحث نفيس لعالم فاضل - أن «دميرة» قرية بالصعيد وهو خطأ صححناه فى مادة «دميرة» فى م ١٧ / ٥٤١ ، ٥٤٢ . ونحن مدينون بهذا التصحيح للأستاذ الفاضل إبراهيم عبد الوهاب شرف مدير الإدارة القانونية بجامعة المنصورة جزاه الله عنا خير الجزاء ، وهو من أبناء «دميرة» حماها الله ، التى أخرجت لنا عددا كبيرا من أفاضل العلماء حرصنا على ترجمة بعضهم مما أتيح لنا فى المصادر التى فى حوزتنا .

ومن واجبنا توجيه الشكر أيضا إلى الأستاذ الدكتور محمد عاشور أستاذ الحديث الذى تفضل فى رسالته التى بعث به إلينا بالتنبيه على أنه فاتنا إدراج كتاب « خلاصة تذهيب تهذيب الكمال» للخزرجى فى موضعه فى حرف الخاء . والواقع أنه وإن فاتنا إدراجه فى مادة خاصة فقد ذكرناه فى مادة «بيان حال الرواة (كتب فى -)»فى حرف الباء فى م ٨ / ٤٨ عمودا . وقد أمدنا الأستاذ الدكتور بمعلومات عن طبعات الكتاب تفيد الباحثين والدارسين ، فقد قال إنه طبع فى المطبعة الأميرية ، ومطبعة الخشاب وكلتاهما فى مجلد واحد ، وحققه الشيخ محمود عبد الوهاب فايد فى ثلاث مجلدات كبار ، وعمل له مقدمة ورقمه فجاء متسقا محققا ، كما طبعته مكتبة القاهرة بالصنادقية ونحن نشكر للأستاذ الدكتور محمد عاشور اهتمامه ومتابعته .

ويمكن أن نضيف هنا عن طبعات الكتاب ما أورده المعجم الشامل للتراث العربى المطبوع (٢ / ٢٧٣ ، جمع وإعداد وتحرير د. محمد عيسى صالحية) وهو كما يلى :

- القاهرة : المطبعة الكبرى الميرية ببولاق مصر المعزية ، ١٣٠١ هـ / ١٨٨٣ ، ٥٠٠ص
- القاهرة: المطبعة الخيرية ، ١٣٢٢ هـ / ١٩٠٤ م ، ٤٣١ ص .
- بيروت : مكتبة المطبوعات الإسلامية ، ١٩٧١ م ، ٥١٢ ص ، م ١٢ ص (مصورة عن طبعة بولاق لسنة ١٣٠١ هـ / ١٨٨٣م) .

طبعة ثانية ، ١٣٩٩ هـ / ١٩٧٩ م ، كتب المقدمة عبد الفتاح أبو غدة .

وفقنا الله جميعا لخدمة العلم .

والله ولى التوفيق

تم بحمد الله وحسن توفيقه
المجلد الثامن عشر
من الموسوعة الذهبية للعلوم الإسلامية
ويليه إن شاء الله تعالى
المجلد التاسع عشر
وأوله تابع حرف الذال
مادة: ذو اللحية
أعان الله على إتمامه

تجليـــــد

دار الغد العربى 

الدكتورة: فاطمة محجوب

الموسوعة الذهبية

للعلوم الإسلامية

الناشر



دار الغد العربي
٣ شارع دانش ـ العباسية
ت : ٤٨٢٤٣٣٩ القاهرة

اهداءات ١٩٩٩

أ/ سميح محمود سعودي

الاسكندرية

الدكتورة

فاطمة محجوب

الموسوعة الذهبية للعلوم الإسلامية

المجلد التاسع عشر

الناشر



دار الغد العربي
٣ شارع دانش ـ العباسية
ت ٢٨٢٤٣٢٩ القاهرة

للناشر
دار الغد العربي
للطباعة والنشر والتوزيع
٣ شارع دانش - العباسية - عبده باشا - القاهرة
الإدارة : ٢٨٥٦١٢٢/ ٢٨٥٦١٢٢/ ٤٨٢٤٣٢٩/ ٢٨٤٣١١٥
فاكس : ٤٨٢٤٣٢٩ القاهرة
جمهورية مصر العربية

الموسوعة الذهبية للعلوم الإسلامية

تابع حرف الذال

*ذو اللحية:

قال ابن عبد البر: ذو اللحية الكلابي. يعد في البصريين. واسمه شريح بن عامر بن عوف بن كعب بن أبي بكر بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة. له صحبة. روى عنه يزيد بن أبي منصور (الاستيعاب ٢/ ٤٧٥).

وقال عنه الحافظ ابن حجر: قال سعيد بن يعقوب: اسمه شريح وقال ابن قانع شريح بن عامر وحكاه البغوى وقال المفضل العلائي هو الضحاك بن سفيان وقال ابن الكلبي ذو اللحية شريح بن عامر بن عوف بن كعب بن أبي بكر بن كلاب ولم يصفه بغير ذلك روى البغوى والطبراني والحسين ابن سفيان وابن قانع وابن أبي خيثمة وغيرهم من طريق سهل ابن أسلم عن يزيد بن أبي منصور عن ذى اللحية الكلابي أنه قال: يارسول الله أنعمل فى أمر مستأنف أم فى أمر قد فرغ منه.. الحديث (الإصابة ٢/ ١٧٨).

(الاستيعاب فى معرفة الأصحاب لابن عبد البر ـ تحقيق على محمد البجاوى ٢/ ٤٧٥، والإصابة فى تمييز الصحابة لشيخ الإسلام الحافظ ابن حجر العسقلاني ٢/ ١٧٨).

* ذو اللسانين:

قال السمعاني:

ذو اللسانين: هذه اللفظة لقب موءلة بن كُثيف وقيل ابن مولى الضحاك بن سفيان والد عبد العزيز، وسمى ذا اللسانين لفصاحته، يقال إنه عاش فى الإسلام مائة سنة، وبايع رسول الله ﷺ وصحبه، روى عنه ابنه عبد العزيز.

(الأنساب للسمعاني ٣/ ١٥)

* ذو المجدين:

ذو المجدين: أطلق على المأمون بن الظافر على قطع من النقود من طليطلة بتاريخ سنة ٤٤٨ هـ وسنة ٤٦٥ هـ، ومن بلنسية بتاريخ سنة ٤٥٧ هـ وعلى قطع أخرى غير مؤرخة من طليطلة.

ويلاحظ أن الظافر والد المأمون كان يلقب أيضا بلقب مضاف إلى مثنى هو «ذو الرئاستين». وقد ورد اللقبان فى نقش بتاريخ سنة ٤٤١ هـ على صندوق من العاج من أسبانيا: «... مما عمل بمدينة قونكة بأمر الحاجب حسام الدولة أبو محمد إسماعيل بن المأمون ذى المجدين ابن الظافر ذى الرئاستين ابن محمد بن ذى النون ...» ويعتقد أن اللقب هنا لا يشير إلى السلطتين الحربية والمدنية ...

(الألقاب الإسلامية ـ د. حسن الباشا/ ٢٩٩).

* ذو مخبر:

قال ابن عبد البر: ذو مخبر ـ ويقال: ذو مخْمَر. وكان الأوزاعي يأبى فى اسمه إلا ذو مخمر بالميمين، لا يرى غير ذلك، وهو ابن أخى النجاشي، وقد ذكره بعضهم فى موالى النبي ﷺ، له أحاديث عن النبي ﷺ مخرجها عن أهل الشام، وهو معدود فيهم (الاستيعاب ٢/ ٤٧٥).

وقال الحافظ ابن حجر: يقال ذو مخمر الحبشي ابن أخي النجاشي وفد على النبي صلى الله عليه وآله وسلم وخدمه ثم نزل الشام وله أحاديث أخرج منها أحمد وأبو داود وابن ماجه منها عند أبي داود من طريق جرير بن عثمان عن يزيد بن صبيح عن ذى مخبر وكان يخدم النبي صلى الله عليه وآله وسلم فذكر حديثا فى نومهم عن الصلاة. روى أبو داود أيضا من طريق خالد بن معدان عن جبير بن نفير قال انطلق بنا إلى ذى مخبر رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم فأتيناه فسأله جبير عن الهدنة فقال سمعت النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقول ستصالحون الروم الحديث (الإصابة ٢/ ١٧٨).

(الاستيعاب فى معرفة الأصحاب لابن عبد البر ـ تحقيق على محمد البجاوى ٢/ ٤٧٥، الإصابة فى تمييز الصحابة لشيخ الإسلام الحافظ ابن حجر ٢/ ١٧٨).

* ذو المشهرة:

من الأذواء الذين ذكرهم المبرد ونقل عنه ابن عبد البر فقال:

ومنهم ذو المشهرة أبو دجانة، سماك بن خرشة كانت له مشهَّرة إذا خرج بها يختال بين الصفين لم يبق ولم يذر، وهؤلاء كلهم أنصاريون.

(الاستيعاب فى معرفة الأصحاب لابن عبد البر - تحقيق على محمد البجاوى ٢ / ٤٧٧).

وقد أوردنا ترجمة أبى دجانة فى حرف الدال فى م ١٧ / ٨٣، ٨٤ فانظرها فى موضعها. انظر مادة «الأذواء» فى م ٣ / ٥١٩.

* ذو معاهر:

من ملوك حمير الذى أحصاهم نشوان بن سعيد فى قصيدته فقال:

أو ذو معاهرَ غُلِّقت أبوابُه

فأتى لها الحدثان بالمفتاح

هذا الملك ذو معاهر بن حسان الأضخم بن تبع الأقرن (انظر ترجمة هذا الأخير فى حرف التاء فى م ٨ / ٤٥٩، ٤٦٠)، سمى ذا معاهر لأنه أول من أحدث المعاهر لباب ظفار، وهى جرس من ذهب، كانت على باب ظفار إذا فتح الباب سمع لتلك الجرس صوت من مكان بعيد.

(ملوك حمير وأقيال اليمن - قصيدة نشوان بن سعيد الحميرى - تحقيق إسماعيل بن أحمد الجرافى وعلى بن إسماعيل المؤيد / ١٤٧).

* ذو المنار:

أبرهة (ذو المنار) بن الحارث الرائش بن شدد بن الملطاط ابن عمرو (ذى أبين) من حمير، من تبابعة اليمن (انظر مادة «تبع» فى م ٨ / ٤٥٧ - ٤٥٩). جاهلى كان مع أبيه فى بعض حروبه بالعراق، ومات أبوه فيها، فولى الملك بعده، و«أبرهة» بالحبشية «وجه أبيض» وقيل: سماه أبوه على اسم إبراهيم الخليل. غزا وفتح كأسلافه، ومات بغمدان (الأعلام ١ / ٨٢) وقد ذكره نشوان بن سعيد الحميرى فى قصيدته فى ملوك حمير وأقيال اليمن فقال:

أو ذو المنار بنى المنار إذا غزا

ليُدلَّه فى رَجْعه ومَراحِ

ألقى بمنقطع العمارة بَرْكَهُ

فى الغرب يدعو لات حين براح

(البرك: جماعة الإبل).

ذو المنار هو أبرهة بن الحارث الرائش الملك، ويسمى ذا المنار لأنه أول من نصب المنار والأعلام والأقيال على الطريق ليهتدى بها جيشه عند القفول من غزوهم فى رجوعهم (الميل منار يبنى للمسافر فى أنشاز الأرض يهتدى به. وتدرك المسافة) وكان غزوهم إلى منقطع العمارة فى المغرب، فملك تلك النواحى، وولى بها الولاة والعمال والكفاة.

وفى نسخة أخرى جاءت هذه الزيادة: ولما نوى الرجوع من أقصى المغرب بما غنم وسبى وافاه أجله فدفن هناك، وسبحان الباقى بعد فناء خلقه. وإلى هنا الإشارة بقوله «بمنقطع العمارة بركه» أى رحله فأقام حيث لا براح. قال ذو الإصبع العدوانى (انظر ترجمته فى موضعها):

أهلكنا الليل والنهار معا

والدهر يغدو مصمما جدعا

ويفرّق الجمع بعد ثروته

ما شاء من بعد فرقه جمعا

كما سطا بإرم عا

د وأذكى لتُبّع تبعا

(ملوك حمير وأقيال اليمن / ٦٩، ٧٠).

(الأعلام للزركلى ١ / ٨٢، وملوك حمير وأقيال اليمن. قصيدة نشوان ابن سعيد الحميرى - تحقيق إسماعيل بن أحمد الجرافى وعلى بن إسماعيل المؤيد / ٦٩، ٧٠ انظر أيضا جمهرة أنساب العرب لابن حزم الأندلسى - تحقيق وتعليق عبد السلام محمد هارون / ٤٣٨).

* ذو النباهتين:

ذو النباهتين: نبه بمعنى شرف. وقد أطلق على خلف بن الحسن الصوفى فى نص إنشاء من ح سنة ٤٧٥ هـ بالقلعة فى جبيل.

(الألقاب الإسلامية - د. حسن الباشا / ٢٩٩).

* ذو النجابتين:

ذو النجابتين: نجب بمعنى شرف، ورجل نجيب أى كريم. وقد أطلق على أبى الحسن يوسف بن فيروز فى نص

إنشاء بتاريخ سنة ٥٢٧ هـ في معبد بعل في تدمر .

(الألقاب الإسلامية - د. حسن الباشا / ٢٩٩) .

*** ذو النخامة:**

قال الحافظ ابن حجر ذو النخامة لا أعرف اسمه ... روى ابن أبي الدنيا في المرض والكفارات له من طريق الربيع بن صبيح عن غالب القطان أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم دخل على ذي النخامة وهو موعوك قال منذ كم قال: منذ سبع قال اختر إن شئت دعوت الله لك أن يعافيك وإن شئت صبرت ثلاثا فتخرج منها كيوم ولدتك أمك قال بل أصبر يا رسول الله في إسناده ضعف مع إرساله .

(الإصابة في تمييز الصحابة لشيخ الإسلام الحافظ ابن حجر العسقلاني ٢ / ١٧٨) .

*** ذو النّسعة:**

قال الحافظ ابن حجر: ذو النسعة: بكسر أوله وسكون المهملة لا أعرف اسمه ثبت ذكره في حديث البخاري وروى أصحاب السنن من طريق الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة قال: قتل رجل على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فدفعه إلى وليّ المقتول فقال القاتل: لا والله ما أردت قتله فقال لولي المقتول إن كان صادقا فقتلته دخلت النار فخلى سبيله وكان مكتوفا بنسعة فخرج يجر نسعته فسمى ذا النسعة لفظ النسائي وأخرج مسلم معناه أو قريبا منه من حديث وائل ابن حجر ولكن ليس في آخره فسمى ذا النسعة والنسعة بكسر النون وسكون المهملة بعده مهملة هو الحبل .

(الإصابة في تمييز الصحابة لشيخ الإسلام الحافظ ابن حجر العسقلاني ٢ / ١٧٨) .

*** ذو نواس (- ١٠٢ ق هـ / ٥٢٤ م):**

قال الزركلي: ذو نواس الحميري: آخر ملوك حمير في اليمن. في اسمه واسم أبيه اضطراب ... ابن الأثير : ١ / ١٤٩ سماه «ذرعة بن تبان أسعد بن كرب»، ونهاية الأرب للنويري ١٥ / ٣٠٣ ـ ٣٠٥ وهو فيه «زرعة بن كعب» ، وخزانة البغدادي ١ / ٣٥٧ وهو فيه «ذرعة» والتيجان / ٣٠١ وهو فيه زرعة بن تبان أسعد، والقاموس : مادة «نوس» وهو فيه «زرعة بن حسان» وفي تاريخ العروس : مادة «شنتر» اسمه ذو نواس وهو فيه، مادة «خد» ذو نواس أحد أذواء اليمن ، وكتاب الشهداء الحميريين، في مجلة المجمع العلمي ٢٣ / ٥ جاء في مقدمته : الملك المسمى ذا نواس عند العرب، ودومنوس أو داميانس عند الروم، ومسروقا عند السريان، وجمهرة الأنساب لابن حزم / ٤٣٨ وفيه «زرعة» ، وهو ذو نواس الذي تهوَّد، وهوَّد أهل اليمن، وتسمى يوسف، وقتل النصارى أهل نجران، والعرب قبل الإسلام لزيدان / ١٢٣ وهو فيه «ذو نواس ويسميه اليونان دميانوس»، وتاريخ ابن الوردي ١ / ٥٨ وهو فيه «ذو نواس» ، والمحبر / ٣٦٨ وهو فيه» زرعة ذو نواس، وتسمى يوسف» (الأعلام ٣ / ٨ وهامش ١ ، وجمهرة أنساب العرب / ٤٣٨) .

قال نشوان بن سعيد في قصيدته التي يعدد فيها ملوك حمير:

أو ذو نُواس حافرُ الأخدود في ... نجرانَ لم يخشَ احتمالَ جُناحِ
ألقى النصارى في نيار أُججت ... بوقود جمر مُضرم لفَّاحِ
فدعا له ذو ثعلبان أحابشا ... منهم بقاعُ الأرض غير ضَواحِ
فتقحَّم البحر العميق بنفسه ... وسلاحه وجواده السَّبَّاحِ
فغدا طعاما بعد عز باذخ ... للحوت من نُون ومن تمساحِ

هذا الملك، ذو نواس الأصغر، واسمه زرعة بن عمرو بن زرعة الأوسط ابن حسان الأصغر ابن عمرو بن زرعة الأكبر ابن عمرو بن تبع الأصغر ابن حسان بن أسعد تبع، وهو صاحب الأخدود، سمي يوسف لما تهود، وقيل سمي ذا نواس، لذؤابتين كانتا له تنوسان على رأسه، وكان على دين اليهود، فشكا إليه يهود نجران غلبة النصارى، وذلك أنه وقع بين اليهود والنصارى فتنة بنجران، فنهض ذو نواس بالجنود إلى نجران، فحفر الأخدود (وهو الحفرة المستطيلة) وأضرم النار فيه، وخير النصارى بين الرجوع عن دينهم أو إحراقهم بالنار، فمنهم من رجع عن دينه، ومنهم من لم يرجع فأحرقه بالنار، وفيهم نزلت هذه الآيات ﴿قتل أصحاب الأخدود * النار ذات الوقود﴾ [البروج : ٤ ، ٥] إلى قوله ﴿العزيز الحميد﴾[البروج : ٨]. فلما صنع ذو نواس ما صنع بالنصارى في نجران،

غضب ذو ثعلبان الأصغر ابن ولد ذى ثعلبان الأكبر ابن شرحبيل بن الحارث بن مالك بن زيد بن سدد بن زرعة وهو حمير الأصغر. ومضى إلى ملك الحبشة النجاشى ودينه دين النصارى، فاستنجده، وشكا إليه ما صنع ذو نواس، فبعث النجاشى مع ذى ثعلبان قائدا يقال له كالب، ويقال يربكى، فى ثلاثين ألفا إلى اليمن، فلقيهم ذو نواس، فقال لهم: نحن سامعون مطيعون، فدونكم اليمن، فهذه مفاتيح خزائنها فابعثوا إلى مخاليفها من يقبض لكم الخزائن، وأتى بمفاتيح تحملها إبل كثيرة، فكتب بذلك كالب إلى النجاشى يشاوره، فكتب إليه النجاشى أن يقبل منهم الطاعة، وافترقت الحبشة فى المخاليف، فلما صاروا بها كتب ذو نواس إلى رؤساء حمير أن يذبحوا كل ثور أسود عندهم، فعلموا ما أراد، فوثبوا على الحبشة فقتلوهم حتى أفنوهم، وبلغ ذلك النجاشى، فعلم أنه قد غدر بهم، فوجه قائدين بجيش عظيم إلى اليمن يقال لأحدهما إرياط والآخر أبرهة الأشرم، فلقيهم ذو نواس بمن معه فقاتلهم، فلما رأى أنه لا طاقة له بهم، اقتحم البحر بنفسه وفرسه، فغرق فيه. ففى ذلك يقول علقمة ذو جَدَن:

أو ما سمعت بقيل حمير يوسف
أكل الثعالب لحمه لم يقبر
ورأى بأن الموت خير عنده
من أن يدين لأسود أو أحمر

(قال النويرى: وهو آخر من ملك اليمن من قحطان، فجميع ما ملكوا من السنين ثلاثة آلاف سنة واثنتان وثمانون سنة (الأعلام ٣ / ٨).

ثم جمع النعمان بن عفير أبو سيف جموعا من أهل اليمن وقاتل الحبشة بالسحول، فهزموه إلى حقل شرعة فيمن تبعه من أهل اليمن، ولحقهم الحبشة فقاتلوهم، فلم يكن لهم بهم طاقة، واستولت الحبشة على اليمن (ملوك حمير / ١٤٧ - ١٤٩).

(الأعلام للزركلى ٣ / ٨، وجمهرة أنساب العرب لابن حزم الأندلسى - تحقيق وتعليق عبد السلام هارون / ٤٣٨، وملوك حمير وأقيال اليمن. قصيدة نشوان بن سعيد الحميرى - تحقيق إسماعيل بن أحمد الجرافى وعلى بن إسماعيل المؤيد / ١٤٧ - ١٤٩ . انظر أيضا الفتح المبين فى سيرة السادة البوسعديين لحميد بن محمد بن رزيق - تحقيق عبد المنعم عامر و د. محمد مرسى / ٤٨، والتاريخ والمؤرخون العرب - د. السيد عبد العزيز سالم / ٢٥٩، ٢٦٠).

*** ذو النور:**

ذو النور، هو عبد الله بن الطفيل الأزدى ثم الدوسى، وكان مولاه من الصحابة رضى الله عنهم (ألقاب الصحابة / ٥٦). أعطاه النبى ﷺ نورا فى جبينه ليدعو قومه به. فقال: يارسول الله، هذه مثلة، فجعله رسول الله ﷺ فى سوطه (الاستيعاب ٢ / ٤٧٧، ٤٧٨).

وجاء فى هامش (١) للمحقق الأستاذ على محمد البجاوى التعليق التالى: وفى الإصابة: وروى الطبرى من طريق ابن الكلبى قال: سبب تسمية ابن الطفيل بذى النور أنه لما وفد على النبى ﷺ فدعا لقومه قال له: ابعثنى إليهم واجعل لى آية فقال: اللهم نوِّر له. فسطع نور بين عينيه، فقال: يارب أخاف أن يقولوا مثلة، فتحول إلى طرف سوطه فكان يضىء له فى الليلة المظلمة (الاستيعاب ٢ / ٤٧٨).

(ألقاب الصحابة والتابعين فى المسندين الصحيحين - تحقيق د. محمد زينهم محمد عزب، ومحمود نصار / ٥٦، والاستيعاب فى معرفة الأصحاب لابن عبد البر - تحقيق على محمد البجاوى ٢ / ٤٧٧، ٤٧٨ وهامش (١) للمحقق).

*** ذو النورين:**

ذو النورين: عثمان بن عثمان... مشهور بها والمشهور أن ذلك لكونه تزوج بينتى النبى صلى الله عليه وآله وسلم واحدة بعد أخرى. وروى أبو سعد المالينى بإسناد فيه ضعف عن سهل بن سعد قال قيل لعثمان ذو النورين لأنه ينتقل من منزل إلى منزل فى الجنة فتبرق له برقتان فلذلك قيل له ذلك.

(الإصابة فى تمييز الصحابة لشيخ الإسلام الحافظ ابن حجر العسقلانى ٢ / ١٧٩ . انظر أيضا ألقاب الصحابة والتابعين فى المسندين الصحيحين المسمى: الألقاب لأبى على الحسن بن محمد بن أحمد الجيانى الأندلسى - تحقيق محمد زينهم محمد عزب ومحمود نصار / ٥٥ وهامش ٣، والألقاب الإسلامية - د. حسن الباشا / ٢٩٩).

*** ذو النون الأسعردى:**

ذكر الرحالة ابن رشيد فيمن لقيهم بمصر فقال عنه تحت عنوان «أبو يونس ذو النون الأسعردى»:

وممن لقيناه أيضا بمصر: الشيخ أبو يونس ويكنى أيضا

بأبي محمد، ذو النون بن عمر بن عباس القرشي يعرف بالأسعردى الحرار الشرارييى.

لقيته بدكانه من مصر بجوفى المسجد الجامع المنسوب لعمرو بن العاص رضى الله عنه. وكتب لى خطه مجيزا، ولأولادى أبى القاسم وعائشة وأمة الله، ولأخواتى.

وهو شيخ من العامة. وله سماع صحيح. ورغب الناس فى الأخذ عنه لغرابة اسمه.

سمع على الشيخ الحافظ رشيد الدين أبى الحسين يحيى ابن على القرشى جزء الأنصارى، بسماعه له من أبى اليمن زيد بن الحسن بن زيد الكندى، وأبى الفضل محمد بن يوسف الغزنوى، وأبى الحسن عبد اللطيف بن إسماعيل بن أحمد بن محمد النيسابورى ثلاثتهم عن محمد بن عبد الباقى بسنده المعروف.

وسمع الجزء الأول من كتاب الناسخ والمنسوخ تأليف الإمام الحافظ أبى بكر محمد بن موسى الحازمى رحمه الله على الشيخين الأخوين زين الدين أبى المكارم عبد الله بن الحسين بن منصور الدمياطى وأخيه أبى عبد الله الحسين، بسماع أبى المكارم المذكور من مؤلفه الحازمى، وبإجازة أخيه الحسين من الحازمى المذكور.

قرأت على الشيخ أبى يونس ذى النون بن عمر بن عباس الأسعردى الشرارييى ـ بدكانه بجوفى المسجد الجامع المنسوب لعمرو بن العاص رضى الله عنه بفسطاط مصر، بعد عصر يوم الجمعة السابع عشر لرجب عام أربعة وثمانين وستمائة ـ قلت له: حدثكم الشيخان أبو المكارم عبد الله وأبو عبد الله ابنا الحسن بن منصور الدمياطى قراءة عليهما وأنت تسمع فأقر به قالا، أنا الحافظ أبو بكر محمد بن أبى عثمان موسى بن عثمان الحازمى: قال أبو المكارم قراءة عليه ونحن نسمع سنة أربع وثمانين ببغداد، وقال أبو عبد الله كتابة، أخبرنى محمد بن عمر بن أحمد المدينى الحافظ، أنا الحسن ابن أحمد القارئ، أنا أبو نعيم، أنا أبو محمد الغطريفى، أنا أحمد بن موسى العدوى، نا إسماعيل بن سعيد الجرجانى، أنا محمد بن جعفر، عن جرير بن عثمان، عن عبد الرحمن ابن أبى عوف، عن المقدام بن معد يكرب رضى الله عنه قال:

«قال رسول الله ﷺ: ألا إنى أوتيت الكتاب ومثله معه ثلاثا، ألا يوشك رجل شبعان على أريكته ـ أى سريره ـ يقول عليكم بهذا القرآن فما وجدتم فيه من حلال فأحلوه، وما وجدتم فيه من حرام فحرموه».

وبه إلى الحازمى قال، أخبرنى أبو بكر محمد بن إبرهيم ابن على الخطيب، أنا يحيى بن عبد الوهاب العبدى، أنا محمد بن أحمد الكاتب، أنا أبو محمد عبد الله بن محمد بن حيان، ثنا حسن بن هارون، نا عمرو بن على، نا ابن مهدى، نا معاوية بن صالح، عن الحسن بن جابر قال، سمعت المقدام بن معد يكرب رضى الله عنه يقول:

«حرم رسول الله ﷺ أشياء يوم خيبر. ثم قال: يوشك رجل متكىء على أريكته يحدث بحديثى فيقول: بيننا وبينكم كتاب الله، ما وجدنا فيه من حلال استحللناه، وما وجدنا فيه من حرام حرمناه. وإن ما حرم رسول الله ﷺ مثل ما حرم الله».

وبه إلى الحازمى قال، أخبرنى أبو الفضل محمد بن سليمان بن يوسف الأديب، أنا أبو منصور سعد بن على العجلى، أنا القاضى أبو الطيب طاهر بن عبد الله الطبرى، أنا على بن عمر الحافظ، نا محمد بن موسى البزاز، نا على ابن أحمد بن سليمان، نا محمد بن عبد الرحيم البرقى، نا عبد الله بن عبد الحكم، نا ابن لهيعة، عن أبى صخر، عن عبد الله بن عطاء، عن عروة بن الزبير، عن عبد الله بن الزبير رضى الله عنهما أنه قال: «أشهد على أبى يحدثنى أن رسول الله ﷺ كان يقول القول ثم يلبث أحيانا، ثم ينسخه كما ينسخ القرآن بعضه بعضها (من شواهد ذلك حديثا بريدة وعائشة فى زيارة القبور. الشوكانى: النيل ٤ / ١٠٩، ١ / ٤، ١١٠، ٤).

وبالإسناد إلى الحازمى، أخبرنى محمد بن إبراهيم بن على الفارسى، أنا أبو بكر، نا العبدى، أنا محمد بن أحمد الكاتب، أنا عبد الله بن محمد، نا الحسن بن محمد، ثنا أبو زرعة، عن يحيى يعنى ابن أبى كثير قال: «السُّنة قاضية على القرآن أى تفسير».

لم أكتب عن أبى يونس ذى النون الأسعردى ثم المصرى سوى هذه الأحاديث، كانت قد كُتبت له فى جزء لطيف كان

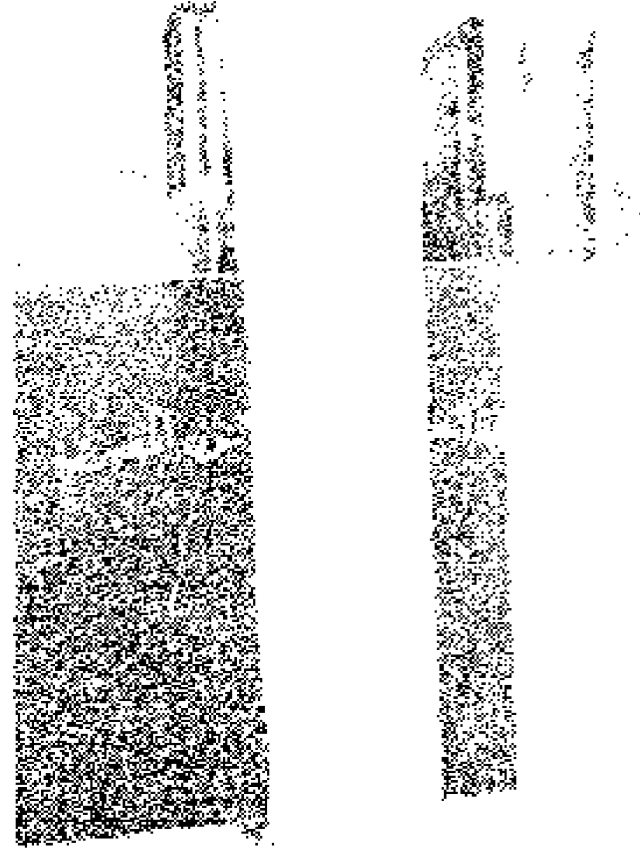
عنده مُعدا للوافدين عليـه . وقد روى عنه من لا يحصى عدده لغرابة اسمه .

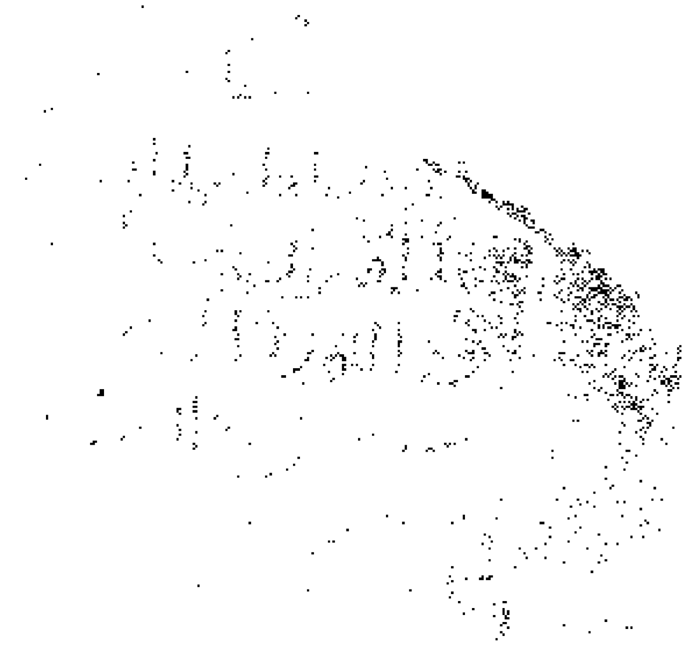
(ملء العيبة بما جمع بطول الغيبة لابن رشيد - تقديم وتحقيق سماحة الشيخ د. محمد الحبيب بن الخوجة ٣/ ٣٤٥-٣٤٨).

*** ذو النون المصرى (-٢٤٥ هـ / -٨٥٩ م):**

في كلامه على ذى النون الأسعردى السابق ترجمته وكيف التقى به فى مصر ذكر الرحالة ابن رشيد (ملء العيبة ٣/ ٣٤٨-٣٥٠) معلومات قيمة عن أولئك الذين تسموا باسم «ذى النون المصرى» فقال :

وقد وقفت على تعليق لأبى طاهر السلفى أفاد به من اسمه ذو النون المصرى . وهأنا أورده هنا لأضم الشكل إلى شكله ، وأصل ذلك الرسم من هذا الاسم بمثله . وهو لنا إجازة من غير واحد من شيوخنا ، عن أبى محمد بن رواج ، عن أبى الطاهر إجازة . وقد حدث به أبو محمد بن رواج بإجازته من السلفى رحمه الله . ونصه قال :





«من يقال ذو النون المصرى ممن أعرفه أنا خمسة :

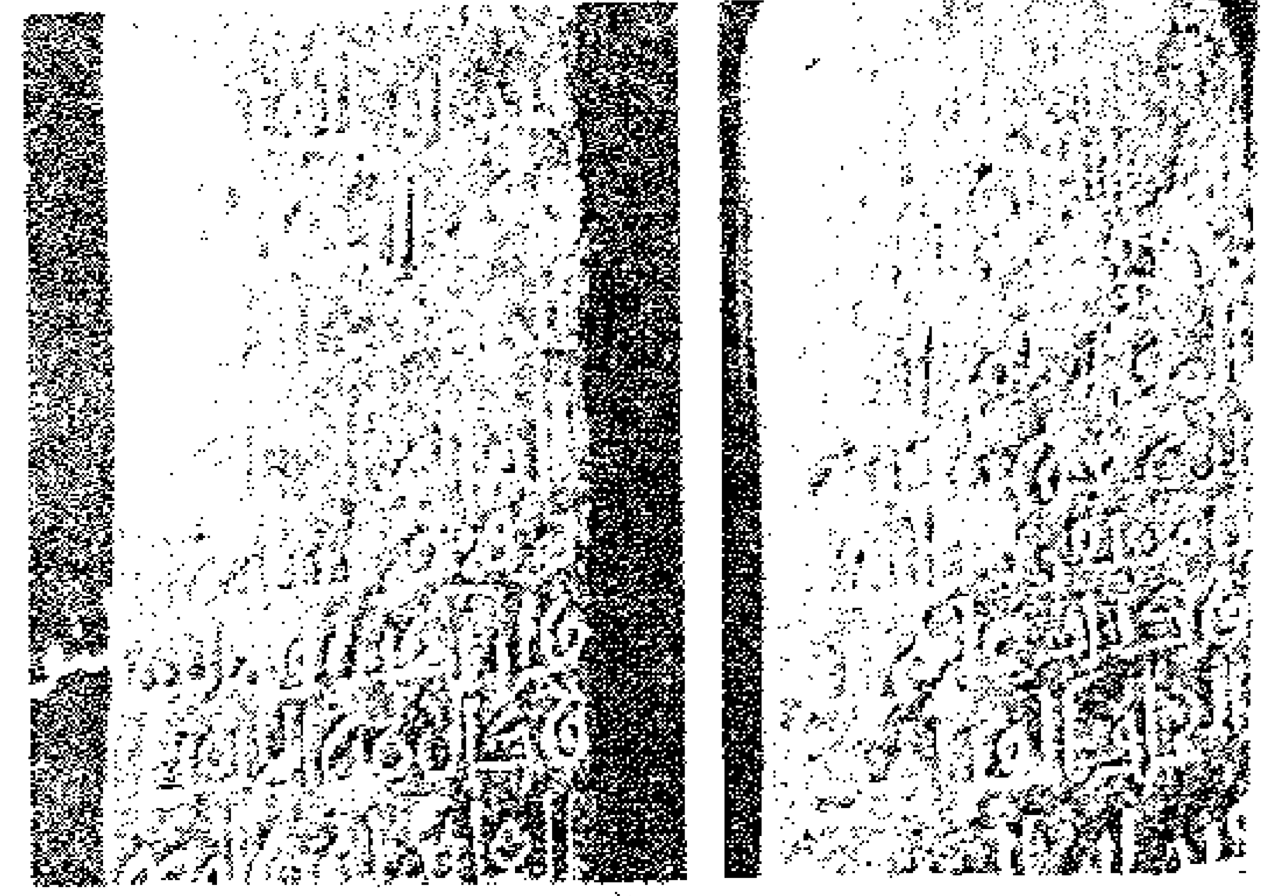
فأولهم أبو الفيض ذو النون بن إبراهيم الإخميمى ، ذو الإشارات والرموز الشريفة ، نوبى الأصل ، يتولى قريشا ، وقيل الأنصار . روى عن مالك ، والليث ، وابن عيينة وغيرهم ، يروى عنه أخوه عبد ذى العرش ، وابن أخيه عبد البارى بن إسحاق ابن إبراهيم المصرى ، ومحمد بن زبان الحضرمى ، وأحمد ابن صليح الفيومى ، وعبيد الله بن محمد بن عبد الرحيم الرقى ، ويوسف بن الحسين الرازى ، وعبد الله بن أبى الدنيا القرشى البغدادى ، ومحمد بن سعيد بن عبد الرحمن الخوارزمى ، وموسى بن الحسن الكوفى . ويحيى بن نصر الخولانى ، وأبو دجانة أحمد بن إبراهيم بن الحكم المعافرى ، وأبو عثمان سعيد بن الحكم الدمشقى ، وأبو عثمان عبد الحكم بن أحمد بن سلامة الغافقى ، وأبو جعفر أحمد بن جعفر بن شجاع المعافرى . وعمير بن يحيى الإخميمى ، وميمون بن يسير الإخميمى ، وأبو يعقوب الأسيوطى ، ومحمد بن يعقوب بن الفرجى ، وأبو العباس حيان بن أحمد السهمى وآخرون .

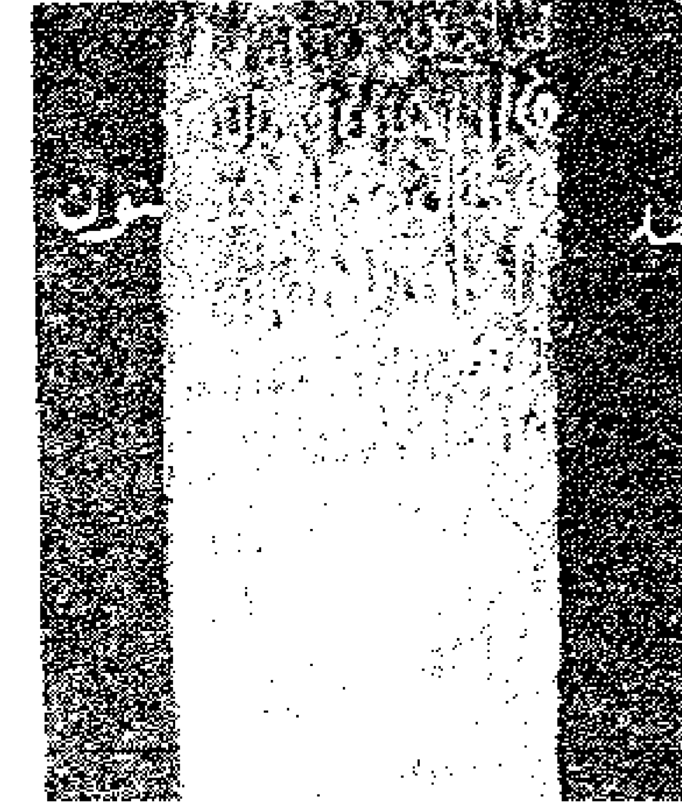
واختلف فى اسمه فقيل : ثوبان . وقيل : فيض ، وذو النون لقب . وكانوا خمسة إخوة ذو النون ، واليسع ، وعبد البارى ، وذو الكفل ، وعبد ذى العرش . توفى ذو النون سنة خمس وأربعين ومائتين على ما ذكره عبيد الله بن سعيد بن كثير بن عفير . وقال غيره : مات سنة ست وأربعين . وقيل : سنة ثمان وأربعين . وقبره ظاهر بالقرافة يزار ويتبرك به ، وقد زرته غير مرة رحمه الله ونفع به .

قال ابن رشيد : زرته بالقرافة . على قبره ، منقوشا فى حجر ، سنة خمس وأربعين ومائتين .

وثانيهم : أبو الفيض ذو النون بن أحمد بن صالح بن عبد القدوس الإخميمى المقرىء المصرى . روى عن عبد ذى العرش أخى أبى الفيض وغيرهما من أصحابه ، وعن إبراهيم ابن مرزوق البصرى وآخرين . روى عنه الحسن بن رشيق العسكرى بمصر ، وأبو حفص عمر بن جعفر بن محمد الطبرى بمكة .

وثالثهم : أبو الفيض ذو النون بن أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن إبراهيم بن إسحاق المصرى الإخميمى المعروف بالعصَّار . روى عن القاضى أبى الحسن على بن محمد بن يزيد بن إسحاق الحلبى ، وأبى محمد عبد الغنى ابن سعيد الأزدى ، وأبى الفضل أحمد بن أبى عمران الهروى رآه بمكة ولم يزل يكتب إلى أن مات ، روى لنا عنه أبو عبد الله





الزبيرى بالإسكندرية، والخفرة بنت المبشر بن فاتك بمصر وغيرهما. وقد روى عنه من المتقدمين أبو إبراهيم إسماعيل ابن على بن إسماعيل المعلوى قاضى سيوط، وأبو عبد الله القضاعى وآخرون.

والرابع: أبو الفيض ذو النون بن يحيى بن على الإخميمى. روى عن أبى إسحاق إبراهيم بن سعيد الحبال كثيرا. وشهد بمصر. وتوفى قبل دخولى إليها.

والخامس: شيخ لنا أصبهانى من بيت بنى المصرى يقال له: أبو بكر ذو النون بن سهل الأستانى المصرى. روى عن أبى نعيم أحمد بن عبد الله الحافظ. سمعت عليه بقراءة الشيخ أبى سعد بن البغدادى وغيره سنة ثمان وثمانين وأربعمائة. ولم يكن عنده من غير أبى نعيم شىء، ومن حقه أن يقدم على ابن يحيى، فإنه أقدم موتا وأعلى إسنادا، لكنى أخرته لأنه لم يكن بمصر ولم يرو بها ولا يكنى أبا الفيض».

انتهى كلام أبى طاهر السلفى رحمه الله. وقرأته ونقلته من خط قال كاتبه: إنه الحسين بن أحمد بن عبد الرحيم البيسانى. قال: وسمعته على أبى محمد بن رواج بحق إجازته من مخرجه أبى الطاهر السلفى. وكتب صاحب هذا الخط تجاهه: قال حسين بن أحمد: أغفل السلفى ذا النون، وهو أبو الفرج ذو النون بن أبى الفرج الصوفى سمع على أبى بكر أحمد بن على بن الحسين بن زكرياء الطريثيثى فى سنة ست وتسعين وأربعمائة. انتهى.

قال محمد بن رشيد أرشده الله: وممن اسمه ذو النون إلا أنه لا يعرف بالمصرى: أبو عباد ذو النون بن محمد بن عامر الصايغ الراوى عن أبى أحمد العسكرى كتاب أمثال حديث النبى ﷺ (وممن يقال له ذو النون وهو أندلسى، محدث روى عنه ابنه سعيد بن ذى النون. راجع ابن ماكولا ٣ / ٣٨٩، ٣٩٠) اهـ (ملء العيبة ٣ / ٣٤٨ـ ٣٥٠)

وقد رأينا أن نقتصر على واحد من هؤلاء الخمسة وهو ثوبان بن إبراهيم الإخميمى لأن الذهن ينصرف إليه حين يذكر اسم ذى النون المصرى.

وكنا قد نقلنا فى مادة «الإخميمى» فى م ٣ / ٢٢٥، ٢٢٦ ما أورده السمعانى (١ / ٩٦، ٩٧) تحت ذلك العنوان عن ذى النون المصرى ثوبان بن إبراهيم فلزم التنويه.

وفيما يلى ما جاء عنه فى المصادر التى بين أيدينا.

قال عنه الزركلى: ثوبان بن إبراهيم الإخميمى المصرى، أبو الفياض، أو أبو الفيض، أحد الزهاد العباد المشهورين، من أهل مصر. نوبى الأصل من الموالى. كانت له فصاحة وحكمة وشعر. وهو أول من تكلم بمصر فى «ترتيب الأحوال ومقامات أهل الولاية» فأنكر عليه عبد الله بن عبد الحكم. واتهمه المتوكل العباسى بالزندقة، فاستحضره إليه وسمع كلامه، ثم أطلقه، فعاد إلى مصر. وتوفى بجيزتها [أى بالجيزة] (الأعلام ٢ / ١٠٢).

وقد أدرجه الشمس الذهبى فى الطبقة الثالثة عشرة وقال عنه: ذو النون المصرى: الزاهد، شيخ الديار المصرية، ثوبان بن إبراهيم، وقيل: فيض بن أحمد، وقيل: فيض بن إبراهيم النوبى الإخميمى، يكنى أبا الفيض، ويقال: أبا الفياض. ولد فى أواخر أيام المنصور. روى عن مالك، والليث، وابن لهيعة، وفضيل بن عياض، وطائفة. وعنه: أحمد بن صبيح الفيومى، وآخرون وقَلَّ ما روى من الحديث، ولا كان يتقنه. قال الدارقطنى: روى عن مالك أحاديث فيها نظر، وكان واعظا. وقال ابن يونس: كان عالما فصيحا حكيما.

ومن كلامه : العارف لا يلتزم حالة واحدة، بل يلتزم أمر ربه فى الحالات كلها.

توفى فى ذى القعدة سنة خمس وأربعين ومائتين، وكان من أبناء التسعين (تهذيب سير أعلام النبلاء ١ / ٤٤٣).

وقد ترجم له على مبارك نقلا عن الطبقات الكبرى للإمام الشعرانى فقال :

وسيدى ذو النون : هو أبو الفيض ثوبان بن إبراهيم كان أبوه نوبيا توفى سنة خمس وأربعين ومائتين وكان نحيفا تعلوه حمرة وليس بأبيض اللحية.

ومن كلامه رضى الله عنه : إياك أن تكون للمعرفة مدعيا أو بالزهد محترفا أو بالعبادة متعلقا، وفر من كل شىء إلى ربك. ومنه : كل مدع محجوب بدعواه عن شهود الحق لأن الحق شاهد لأهل الحق بأن الله هو الحق وقوله الحق، ومن كان الحق تعالى شاهدا له لا يحتاج إلى أن يدعى فالدعوى علامة على الحجاب عن الحق.

وكان يقول للعلماء : أدركنا الناس وأحدهم كلما ازداد علما ازداد فى الدنيا زهدا وبغضا، وأنتم اليوم كلما ازداد أحدكم علما ازداد فى الدنيا حبا وطلبا ومزاحمة، وأدركناهم وهم ينفقون الأموال فى تحصيل العلم، وأنتم اليوم تنفقون العلم فى تحصيل الأموال.

وسئل عن السفلة من الخلق من هم ؟ فقال : من لا يعرف الطريق إلى الله ولا يتعرفه. وكان يقول : سيأتى على الناس زمان تكون الدولة فيه للحمقى على الأكياس. والأحمق : من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأمانى. والكيس : من دان نفسه وعمل لما بعد الموت.

وقال رضى الله عنه : إذا تكامل حزن المحزون لم تجد له دمعة وذلك لأن القلب إذا رق سلا وإذا جمد وغلظ سخا. وكان يقول : إن الله تعالى أنطق اللسان بالبيان وافتتحه بالكلام وجعل القلوب أوعية للعلم، ولولا ذلك كان الإنسان بمنزلة البهيمة يومىء بالرأس ويشير باليد : وكان يقول : كنا إذا سمعنا شابا يتكلم فى المجلس أيسنا من خيره. وقال له رجل : إن امرأتى تقرأ عليك السلام، فقال : لا تقرئنا من النساء السلام. وكان يقول : لحنًا فى العمل وأعربنا فى الكلام فكيف نفلح؟. وكان يقول : ليس بعاقل من تعلم العلم فعرف به ثم آثر بعد ذلك هواه على علمه، وليس بعاقل من طلب الإنصاف من غيره لنفسه ولم ينصف من نفسه غيره، وليس بعاقل من نسى الله فى طاعته وذكره فى مواضع الحاجة إليه ...

وكان رضى الله عنه يقول : العجب كل العجب من هؤلاء العلماء كيف خضعوا للمخلوقين دون الخالق وهم يدعون أنهم أعلى درجة من جميع الخلائق؟. وقال رضى الله عنه : لما حملت من مصر فى الحديد إلى بغداد لقيتنى امرأة زمنة ؛ فقالت لى : إذا دخلت على المتوكل فلا تهبه ولا ترى أنه فوقك ولا تحتج لنفسك محقا كنت أو متهما لأنك إن هِبْته سلطه الله عليك، وإن حاججت عن نفسك لم يزدك ذلك إلا وبالا لأنك باهت الله فيما يعلمه، وإن كنت بريئا فادع الله تعالى أن ينتصر لك ولا تنتصر لنفسك فيكلك إليها، فقلت لها : سمعا وطاعة.

فلما دخلت على المتوكل سلمت عليه بالخلافة. فقال لى : ما تقول فيما قيل فيك من الكفر والزندقة؟ فسكت ؛ فقال وزيره : هو حقيق عندى بما قيل فيه. ثم قال لى : لم لا تتكلم؟. فقلت : يا أمير المؤمنين إن قلت : لا. كذبت الملسمين، وإن قلت : نعم. كذبت على نفسى بشىء لا يعلمه الله تعالى منى فافعل أنت ما ترى فإنى غير منتصر لنفسى، فقال المتوكل : هو رجل برئ مما قيل فيه. فخرجت إلى العجوز فقلت لها : جزاك الله عنى خيرا فعلت ما أمرتينى [أمرتنى] به فمن أين لك هذا؟ فقالت : من حيثما خاطب به الهدهد سليمان عليه السلام.

وكان رضى الله عنه يقول : كن عارفا واصفا، انتهى من طبقات الشعرانى : باختصار (الخطط التوفيقية الجديدة ٥ / ١٣٥، ١٣٦، والطبقات الكبرى ١ / ٥٩ ـ ٦١).

وقد أدرجه الشيخ أبو عبد الرحمن السلمى فى الطبقة الأولى من الصوفية وأورد من كلامه ما يلى :

ـ إياك أن تكون بالمعرفة مدعيا، أو تكون بالزهد محترفا، أو تكون بالعبارة متعلقا.

ـ وسئل : ما أخفى الحجاب وأشده؟ فقال : رؤية النفس وتدبيرها.

ـ وسئل عن المحبة، فقال : إن تحب ما أحب الله، وتبغض ما أبغض الله، وتفعل الخير كله، وترفض كل ما يشغل عن الله، وألا تخاف فى الله لومة لائم ... مع العطف

للمؤمنين، والغلظة على الكافرين، واتباع رسول الله ﷺ ـ في الدين.

ـ قال الله تعالى: من كان لي مطيعا كنت لها وليا، فليثق بي وليحكم علي... فوعزتي لو سألني زوال الدنيا لأزلتها له.

ـ وسأله عبد الله بن محمد بن ميمون عن الصوفي، فقال: من إذا نطق أبان نطقه عن الحقائق، وإن سكت نطقت عنه الجوارح بقطع العلائق.

ـ الأنس بالله صفاء القلب من الله، والتفرد بالله الانقطاع من كل شيء سوى الله.

ـ من أراد التواضع فليوجه نفسه إلى عظمة الله، فإنها تذوب وتصفو، ومن نظر إلى سلطان الله ذهب سلطان نفسه، لأن النفوس كلها فقيرة عند هيبته.

ـ لم أر أجهل من طبيب يداوي سكران في وقت سكره... لن يكون لسكره دواء حتى يفيق، فيداوي بالتوبة.

ـ لم أر شيئا أبعث لطلب الإخلاص من الوحدة، لأنه إذا خلا لم ير غير الله تعالى، فإذا لم ير غيره لم يحركه إلا حكم الله. ومن أحب الخلوة فقد تعلق بعمود الإخلاص، واستمسك بركن كبير من أركان الصدق.

ـ من علامات المحب لله متابعة حبيب الله في أخلاقه وأفعاله وأمره وسنته.

ـ إذا صح اليقين في القلب صح الخوف فيه.

وأنشد:

أموت وما ماتت إليك صبابتي
ولا قضيت من صدق حبك أوطاري
مناي ـ المنى كل المنى ـ أنت لي منى
وأنت الغنى ـ كل الغنى ـ عند إقتاري
وأنت مدى سؤلي وغاية رغبتي
وموضع آمالي، ومكنون إضماري
تحمَّل قلبي فيك ما لا أبثه
وإن طال سقمي فيك أو طال إضراري
وبين ضلوعي منك ما لك قد بدا
ولم يبد باديه لأهل ولا جار
وبي منك في الأحشاء داء مخامر
فقد هد مني الركن وانبث أسراري
ألست دليل الركب إن هم تحيروا
ومنقذ من أشفى على جُرُف هاري؟
أنرت الهدى للمهتدين ولم يكن
من النور في أيديهم عشر معشار
فنلني بعفو منك أحيا بقربه
أغثني بيسر منك يطرد إعساري

ـ لئن مددت يدي إليك داعيا لطالما كفيتني ساهيا، أأقطع منك رجاي بما عملت يداي؟ حسبي من سؤالي علمك بحالي.

كل مدع محجوب بدعواه عن شهود الحق، لأن الحق شاهد لأهل الحق... لأن الله هو الحق، وقوله الحق. ولا يحتاج أن يدعي إذا كان الحق شاهدا له، فأما إذا كان غائبا فحينئذ يدعي، وإنما تقع الدعوى للمحجوبين.

ـ من استأنس بالخلق فقد استمكن من بساط الفراعنة، ومن غيب عن ملاحظة نفسه فقد استمكن من الإخلاص، ومن كان حظه في الأشياء «هو» لا يبالي ما فاته مما هو دونه.

ـ الصدق سيف الله في أرضه، ما وضع على شيء إلا قطعه.

ـ من تزين بعمله كانت حسناته سيئات.

ـ بأول قدم تطلبه تدركه وتجده.

ـ أدنى منازل الأنس أن يلقى في النار فلا يغيب همه عن مأموله.

ـ الأنس بالله نور ساطع، والأنس بالخلق غم واقع.

ـ لله عباد تركوا الذنب استحياء من كرمه، بعد أن تركوه خوفا من عقوبته. ولو قال لك: اعمل ما شئت فلست آخذك بذنب، كان ينبغي أن يزيدك كرمه استحياء منه، وتركا لمعصيته، إن كنت حرا كريما، عبدا شكورا ... فكيف وقد حذرك؟

الخوف رقيب العمل، والرجاء شفيع المحن.

ـ اطلب الحاجة بلسان الفقر لا بلسان الحكم.

ـ مفتاح العبادة الفكرة، وعلامة الهوى متابعة الشهوات، وعلامة التوكل انقطاع المطامع.

ـ كان لى صديق فقير فمات، فرأيته فى النوم ، فقلت له: ما فعل الله بك؟

قال: قال لى: قد غفرت لك بترددك إلى هؤلاء السفل أبناء الدنيا، فى رغيف، قبل أن يعطوك.

ـ العارف كل يوم أخشع، لأنه كل ساعة أقرب

ـ يا معشر المريدين، من أراد منكم الطريق، فليلق العلماء بالجهل، والزهاد بالرغبة، وأهل المعرفة بالصمت.

ـ إن العارف لا يلزمه حالة واحدة، إنما يلزم ربه فى الحالات كلها (طبقات الصوفية / ١٠ ـ ١٢).

وعن سبب توبة ذى النون يقول الإمام أبو القاسم القشيرى: سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى رحمه الله يقول: سمعت أبا بكر محمد بن عبد الله بن شاذان يقول: سمعت يوسف بن الحسين يقول: حضرت مجلس ذى النون يوما وجاءه المغربى فقال له: يا أبا الفيض ما كان سبب توبتك؟ قال: عجب لا تطيقه. قال: بمعبودك إلا أخبرتنى. فقال ذو النون: أردت الخروج من مصر إلى بعض القرى فنمت فى الطريق فى بعض الصحارى، ففتحت عينى فإذا أنا بقنبرة عمياء سقطت من وكرها على الأرض، فانشقت الأرض فخرج منها سكرجتان إحداهما ذهب والأخرى فضة، وفى إحداهما سمسم وفى الأخرى ماء، فجعلت تأكل من هذا وتشرب من هذا، فقلت حسبى قد تُبت ولزمت الباب إلى أن قبلنى الله عز وجل (الرسالة القشيرية / ١٤، ١٥).

القُبَّر: جنس من الطيور من فصيلة القبريات، ورتبة الجواثم المخروطية المناقير، سمر فى أعلاها، ضاربة إلى بياض فى أسفلها، وعلى صدرها بقعة سوداء. واحدته: قُبَّرة (المعجم الوسيط ٢ / ٧١٠).

والسُّكُرُّجة: إناء صغير يؤكل فيه الشىء القليل من الأُدْم (المعجم الوسيط ١ / ٤٣٩).

وقد قيل إن ذا النون التقى بالعابدة الزاهدة رابعة العدوية، ومما يدعو إلى ذلك الاعتقاد ما يوجد بين مذهبيهما فى الحب الإلهى من أوجه الشبه، كما أن أثر رابعة العدوية على ذى النون كان من القوة والوضوح (مساجد مصر وأولياؤها الصالحون ١ / ١٣١، ١٣٢) ملخصا).

وقد توفى رحمه الله بالجيزة غربى النيل، كما سبق القول، ويقول السيوطى: إنه حُمل فى قارب مخافة أن ينقطع الجسر لكثرة ازدحام الناس. وجاء فى كتاب الروضة فى حوادث سنة خمس وأربعين ومائتين أن أبا الفيض ذا النون بن إبراهيم المصرى توفى فى هذا السنة، ودفن بالقرافة الكبرى. وقبره من القبور السبعة التى يزورها الناس بالقرافة يوم السبت قبل طلوع الشمس لقضاء الحوائج (مساجد مصر وأولياؤها الصالحون ١ / ١٣٢).

أما ضريح ذى النون فتصفه الدكتورة سعاد ماهر على النحو التالى: يعتبر ضريح ذى النون من الأضرحة الغريبة فى مصر، إذ أن تصميم المبنى عبارة عن مسجد مستطيل الشكل به ثلاثة أروقة موازية لحائط القبلة. وتتكون الأروقة من صفين من الدعائم الحجرية المثمنة الشكل تعلوها عقود مدببة حجرية كذلك، والسقف من الخشب. وفى الرواق الأول من جهة القبلة يوجد على يمين المحراب قبران: القريب من المحراب هو قبر ذى النون وعليه شاهد قبر حجرى حفر عليه بالخط الكوفى البسيط بالحفر الغائر اسم ذى النون وتاريخ وفاته سنة ٢٤٥ هـ. والمقبرة الثانية يقال إنها لمحمد ابن الحنفية وعليها شاهد من الرخام مكتوب سنة ١٩٦٦ م. وعلى يسار المحراب فى نفس حائط القبلة توجد حجرة مستطيلة صغيرة جدا ويمكن اعتبارها حنية مستطيلة يقال إن بها قبر السيدة رابعة العدوية. ومن الثابت أن قبرى الإمام محمد ابن الحنفية والسيدة رابعة العدوية ليسا بمصر، ولعل القبرين الموجودين بمصر من قبيل الرؤيا وهى كثيرة بمصر. كذلك يوجد فى الرواق الأول على يسار المحراب قبران آخران: الأول للشيخ حميد خادم ضريح ذى النون المتوفى سنة ٦٤٨ هـ كما هو ثابت فى الشاهد الحجرى الموضوع على القبر، والثانى للشيخ محفوظ محمد الريحاوى إمام وخطيب مسجد ذى النون بالجيزة، والمتوفى سنة ١٣٨٠ هـ كما جاء فى الشاهد الرخامى على القبر.

والمدخل الرئيسى للضريح يوجد فى الجهة الجنوبية، وهو عبارة عن باب يعلوه عقد ذو ثلاثة فصوص، وفوق عتب الباب توجد لوحة تذكارية نقش عليها اسم المنشىء وهو

الأمير شعبان من مماليك السلطان الظاهر بيبرس، وقد نقلت هذه اللوحة إلى متحف الفن الإسلامي ومكانها ظاهر حتى الآن.

والضريح في مكان مهجور خرب وبحالة سيئة للغاية، ومكانه بجوار مسجد سيدى عقبة بن عامر بجبانة الإمام الليث (مساجد مصر وأولياؤها الصالحون ١ / ٣٣٣، ١٣٤).

وقد ذكر المسبحى أنه في يوم الخميس لسبع بقين من جمادى الأولى، توفى أبو الحسن على بن القرقوبى الذى كان خرج إلى المغرب ـ رحمه الله ـ بعلة السحج، وخلّف أطفالا أربعة. وكان من أحرار الناس وخيارهم ـ رحمه الله ـ ودفن عند قبر ذى النون المصرى في سفح المقطم، وحضر جنازته خلق من الناس ا هـ (أخبار مصر فى سنتين / ٢١٨).

ويوجد في معهد المخطوطات العربية بالقاهرة مخطوط مصور بعنوان «رسالة في تدبير الحجر المكرم» تأليف ذى النون المصرى يأتى بيانه في حرف الراء إن شاء الله تعالى.

(ملء العيبة بما جمع بطول الغيبة لابن رشيد ـ سماحة الشيخ د. محمد الحبيب ابن الخوجة ٣ / ٣٤٨ ـ ٣٥٠، والأعلام للزركلى ٢ / ١٠٢، وتهذيب سير أعلام النبلاء للإمام شمس الدين الذهبى ـ أشرف على تحقيق الكتاب شعيب الأرنؤوط، هذبه أحمد فايز الحمصى، راجعه عادل مرشد ١ / ٤٣٣، والخطط التوفيقية الجديدة لعلى باشا مبارك ـ إعداد متولى خليل عوض الله ٥ / ١٣٥، ١٣٦، والطبقات الكبرى للإمام الشعرانى ١ / ٥٩ ـ ٦١، وطبقات الصوفية لأبى عبد الرحمن السلمى ـ يسره ورتبه أحمد الشرباصى / ١٠ ـ ١٢، والرسالة القشيرية للإمام أبى القاسم القشيرى / ١٤، ١٥، والمعجم الوسيط ١ / ٤٣٩، ٢ / ٧١٠، ومساجد مصر وأولياؤها الصالحون ـ د. سعاد ماهر محمد ١ / ١٣٢ ـ ١٣٤، وأخبار مصر فى سنتين لمحمد بن عبيد الله المسبحى ـ تحقيق وليم ج ميلورد / ٢١٨. انظر أيضا الأنساب للسمعانى ١ / ٩٦، ٩٧، واللباب لابن الأثير ١ / ٣٣، ٣٤، والموسوعة الصوفية ـ د. عبد المنعم الحفنى / ١٦٥ ـ ١٦٨).

ملاحظة: الصور المصاحبة لهذه المادة أخذت من كتاب مساجد مصر وأولياؤها الصالحون، اللوحات ٧٢ ـ ٧٦.

*** ذو النون (يونس ابن متى):**

انظر : يونس عليه السلام.

*** ذو الوزارتين:**

ذو الوزارتين: نعت به صاعد بن مخلد الذى وزر للخليفة العباسى المعتمد. ولأخية الموفق. وقد عثر على قطع عديدة من النقود ترجع إلى عصره ظهر عليها هذا اللقب مع لقبى المعتمد على الله والموفق بالله: منها قطع بتاريخ سنة ٢٧٠ هـ من الأهواز، وأخرى من همذان والبصرة والرافعة ومدينة السلام وغيرها وقد وجد اللقب في درهم ضُرب سنة ٢٧٢ هـ في درهم عباسى وكذلك أطلق هذا اللقب في عصر بنى أمية بالأندلس، وكان أول أمره يطلق على رئيس الوزراء الذى كان في حقيقة أمره نائب الملك، ثم صار بعد ذلك مجرد لقب فخرى حتى أصبح يعطى للمبرّزين من رجال الأدب، فأطلق بذلك على جمع كثير من المغاربة. وكان أول من اتخذ هذا اللقب فى الأندلس أحمد بن عبد الملك بن شهيد، أخذه من الخليفة عبد الرحمن الثالث فى سنة ٣٢٧ هـ.

وقد ورد اللقب ضمن ألقاب أبى عيسى بن ليون فى نقش بتاريخ سنة ٤٧٣ هـ على كرسى من أسبانيا.

(الألقاب الإسلامية ـ د. حسن الباشا / ٢٩٩، ٣٠٠).

*** ذو اليدين:**

قال السمعانى:

ذو اليدين: هذا لقب الخرباق وله صحبة. روى حديثه محمد بن سيرين ويقال إن ذا اليدين وذا الشمالين واحد، وسمى ذا اليدين لأنه كان يعمل بيديه جميعا (الأنساب ٣ / ١٥).

وقد أدرجه ابن عبد البر أولا فى حرف الخاء تحت اسم «خرباق السُّلمى» (رقم ٦٨٨) وقال عنه: قال سعيد بن بشير، عن قتادة، عن محمد بن سيرين، عن خرباق السلمى أن رسول الله ﷺ صلى الظهر فسلم من ركعتين. فقال له خرباق: أشككت أم قصرت الصلاة يارسول الله؟ فقال: ما شككت ولا قصرت الصلاة. وقال رسول الله ﷺ: أصدق ذو اليدين؟ قالوا: نعم فصلى الركعتين ثم سلم ثم سجد سجدتين وهو جالس ثم سلّم. هكذا ذكره العقيلى، عن إبراهيم بن يوسف، عن على بن عثمان النفيلى، عن محمد ابن بكار. عن سعيد بن بشير بإسناده.

قال أبو عمر: ورواه أيوب السختيانى وهشام بن حسان، عن ابن سيرين، عن أبى هريرة، ولم يذكروا خرباقا، وإنما

أحفظ ذكر الخرباق من حديث عمران بن الحصين فى قصة ذى اليدين ـ قال: فقام رجل يقال له: الخرباق طويل اليدين (الاستيعاب ٢ / ٤٥٧، ٤٥٨).

ثم عاد ابن عبد البر فذكره فى حرف الذال تحت اسم «ذو اليدين» (رقم ٧٢٤) وقال عنه:

ذو اليدين، رجل من بنى سليم، يقال له الخرباق، حجازى، شهد النبى ﷺ، وقد رآه وهم فى صلاته فخاطبه، وليس هو ذا الشمالين، ذو الشمالين رجل من خزاعة حليف لبنى زهرة، قتل يوم بدر، نسبه ابن إسحاق وغيره، وذكروه فيمن استشهد يوم بدر.

وذو اليدين عاش حتى روى عنه المتأخرون من التابعين، وشهد أبو هريرة يوم ذى اليدين، وهو الراوى لحديثه، وصح عنه فيه قوله: بينا نحن مع رسول الله ﷺ صلى بنا رسول الله ﷺ إحدى صلاتى العشى، فسلم من ركعتين، فقال له ذو اليدين ... وذكر الحديث.

وأبو هريرة أسلم عام خيبر بعد بدر بأعوام، فهذا يبين لك أن ذا اليدين الذى راجع النبى ﷺ يومئذ فى شأن الصلاة ليس بذى الشمالين المقتول يوم بدر. وقد كان الزهرى مع علمه بالمغازى يقول: إنه ذو الشمالين المقتول ببدر، وإن قصة ذى اليدين فى الصلاة كانت قبل بدر، ثم أحكمت الأمور بعد.

وذلك وهم منه عند أكثر العلماء، وقد ذكرنا ما يجب من القول فى ذلك عندنا فى كتاب التمهيد، فمن أراد ذلك تأمله هنالك.

أخبرنا عبد الوارث بن سفيان، قال: حدثنا قاسم بن أصبغ، قال حدثنا أحمد بن زهير قال: حدثنا على بن بحر ابن برى، قال: حدثنا معدى بن سليمان السعدى، صاحب الطعام، قال: حدثنا شعيب بن مطير عن أبيه مطير، ومطير خاضر يصدقه بمقالته، قال: يا أبتاه، أليس أخبرتنى أن ذا اليدين لقيك بذى خشب (من مخاليف اليمن وفى أسد الغابة: بذى جشب) فأخبرك أن رسول الله ﷺ صلى بهم إحدى صلاتى العشى وهى الظهر (فى أسد الغابة: وهى العصر) فسلم من ركعتين، ثم قام واتبعه أبو بكر وعمر، وخرج سَرَعان الناس (أى أوائلهم المستبقون إلى الأمر) فلحقه ذو اليدين ومعه أبو بكر وعمر، فقال: يا رسول الله: أقصرت الصلاة أم نسيت؟ قال: ما قصرت الصلاة ولا نسيت. ثم أقبل رسول الله ﷺ على أبى بكر وعمر فقال: ما يقول ذو اليدين؟ فقالا: صدق يا رسول الله. فرجع رسول الله ﷺ فصلى ركعتين، ثم سجد سجدتى السهو.

وقد روى هذا الحديث عن معدى بن سليمان صاحب الطعام ـ وكان ثقة فاضلا ـ جماعة منهم: أبو موسى الزّمن محمد بن المثنى، وبندار محمد بن بشار، كما رواه على بن بحر بن برى، وقد ذكرنا ذلك فى كتاب التمهيد، وهذا يوضح لك أن ذا اليدين ليس ذا الشمالين المقتول ببدر، لأن مطيرا متأخر جدا لم يدرك من زمن النبى ﷺ شيئا.

وذكر أبو العباس محمد بن يزيد المبرد فى الأذواء من اليمن فى الإسلام من لم يشهر أكثرهم عند العلماء بذلك، فممن ذكره ذو اليدين الخزاعى.

وأنه كان يدعى ذا الشمالين، فسماه رسول الله ﷺ ذا اليدين، وذكر أنه هو القائل: أقصرت الصلاة أم نسيت؟ وقد تقدم فى ذكر ذى اليدين ما فيه كفاية (الاستيعاب ٢ / ٤٧٥ ـ ٤٧٨).

قالت المؤلفة: للخليل بن كيكلدى العلائى كتاب بعنوان «نظم الفرائد لما تضمنه حديث ذى اليدين من الفوائد» استوعب فيه كل ما يتصل بحديث ذى اليدين، وقام بتحقيقه الأستاذ كامل شطيب الراوى، الذى حصل به على درجة الماجستير فى الفقه المقارن من جامعة الأزهر، وكانت الرسالة بإشراف فضيلة الأستاذ الدكتور حسن على الشاذلى وقد قامت بطبعه وزارة الأوقاف والشئون الدينية بالجمهورية العراقية عام ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦ م. وقد ساعدنى الحظ فى الحصول على نسختين من الوزارة إبان زيارتنا لبغداد يوم الثلاثاء ٢٩ جمادى الأولى ١٤٠٨ هـ / ١٩ يناير ١٩٨٨ م.

وهذا الذى ننقله فيما يلى جاء فى مقدمة المؤلف الحافظ خليل بن كيكلدى العلائى بعد البسملة: الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى قال رحمه الله (القائل هو العالم الفاضل مجد الدين عبد السلام بن عبد الله بن تيمية صاحب كتاب المنتقى من أحاديث الأحكام وجد شيخ الإسلام

تقي الدين عبد الحليم بن تيمية ولد سنة ٥٩٠ هـ توفي سنة ٦٥٢ هـ).

«أبواب سجود السهو»

«باب ما جاء فيمن سلم من نقصان».

عن ابن سيرين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: صلى بنا رسول الله ﷺ إحدى صلاتي العشي فصلى بنا ركعتين ثم سلم فقام إلى خشبة معروضة في المسجد فاتكأ عليها كأنه غضبان، ووضع يده اليمنى على اليسرى وشبك بين أصابعه، ووضع خده الأيمن على ظهر كفه اليسرى وخرجت السَّرعان من أبواب المسجد، فقالوا: قصرت الصلاة وفي القوم أبو بكر وعمر فهاباه أن يكلماه، وفي القوم رجل يقال له ذو اليدين، فقال يا رسول الله: أنسيت أم قصرت الصلاة؟ قال: لم أنس ولم تقصر: فقال أكما يقول ذو اليدين فقالوا نعم فتقدم فصلى ما ترك ثم سلم، ثم كبَّر وسجد مثل سجوده أو أطول، ثم رفع رأسه وكبر، ثم كبر وسجد مثل سجوده أو أطول ثم رفع رأسه وكبر، فربما سألوه ثم سلم فيقول: أنبئت أن عمران بن حصين رضي الله عنه قال ثم سلم متفق عليه.

وليس لمسلم فيه وضع اليد على اليد ولا التشبيك (وقد جاءت الرواية عند مسلم بزيادة «إما الظهر أو العصر» «وأتى جذعا في قبلة المسجد فاستند إليها مغضبا»).

وفي رواية قال: بينما أنا أصلي مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم صلاة الظهر سلم من ركعتين فقام رجل من بني سليم فقال يا رسول الله: أقصرت الصلاة أم نسيت؟ وساق الحديث رواه أحمد ومسلم.

(أخرجه الإمام أحمد في مسنده ٢ / ٢٧١ ـ ٢٨٤، ٤٣٣ وأخرجه الإمام مسلم في صحيحه ـ كتاب المساجد ومواضع الصلاة ١ / ٤٠٤ رقم الحديث ١٠٠).

وفي رواية متفق عليها قال لم أنس ولم تقصر قال: بلى قد نسيت (أخرجه الإمام البخاري في صحيحه كتاب سجود السهو ـ فتح الباري ٣ / ٩٩ حديث رقم ١٢٢٩ وأخرجه الإمام مسلم في صحيحه كتاب المساجد ـ باب السهو في الصلاة والسجود له ١ / ٤٠٤ رقم الحديث ٩٩).

وعن عمران بن حصين رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ صلى العصر فسلم في ثلاث ركعات ثم دخل منزله وفي لفظ فدخل الحجرة، فقام إليه رجل يقال له الخرباق، وكان في يديه طول، فقال يا رسول الله فذكر له صنيعه فخرج غضبان يجر رداءه حتى انتهى إلى الناس، فقال: أصدق هذا؟ قالوا: نعم، فصلى ركعة ثم سلم ثم سجد سجدتين ثم سلم «رواه الجماعة إلا البخاري والترمذي».

(أخرجه مسلم في صحيحه ـ كتاب المساجد ـ باب السهو في الصلاة والسجود له ١ / ٤٠٤ رقم الحديث ١٠١، ١٠٢، واللفظ له. وأخرجه أبو داود في سننه ـ كتاب الصلاة ٣ / ٣٢٣ رقم الحديث ١٠٠٥ وأخرجه النسائي في سننه كتاب السهو ٣ / ٢٢. وأخرجه ابن ماجه في سننه كتاب الإقامة ١ / ٣٨٤ رقم الحديث ١٢١٥.

وعن عطاء أن ابن (الزبير) صلى المغرب فسلم في ركعتين ونهض ليستلم الحجر فسبح القوم فقال: ما شأنكم؟ قال: فصلى ما بقي وسجد سجدتين. قال: فذكر ذلك لابن عباس رضي الله عنهما فقال: ما أماط عن سنة نبيه ﷺ «رواه أحمد» (أخرجه الإمام أحمد في مسنده ٥ / ٣٥١)

(الأنساب للسمعاني ـ تقديم وتعليق عبد الله عمر البارودي ٣ / ١٥، والاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبد البر ـ تحقيق علي محمد البجاري ٢ / ٤٥٧، ٤٥٨، ٤٧٥ ـ ٤٧٨، ونظم الفرائد لما تضمنه حديث ذي اليدين من الفوائد ـ دراسة وتحقيق كامل شطيب الراوي / ١٧٨ ـ ١٨١، انظر الإصابة في تمييز الصحابة لشيخ الإسلام الحافظ ابن حجر العسقلاني ٢ / ١٧٩، وألقاب الصحابة والتابعين في المسندين الصحيحين المسمى: الألقاب لأبي علي الحسين بن محمد بن أحمد الجياني الأندلسي ـ تحقيق محمد زينهم محمد عزب، ومحمود نصار / ٥٥ وهامش ٦).

* ذو اليمينين:

قال السمعاني:

ذو اليمينين: هذا لقب طاهر بن الحسين بن مصعب بن زُرَيق، لقب بهذا لأنه كان أعور العين اليسرى لقبه المأمون بذي اليمينين لأن كلتا عينيه يمين وهو الذي كسر علي بن عيسى بن ماهان بكستانة الري، وقصته مشهورة في الفتوح، ثم بعد ذلك قتل الأمين محمد بن الرشيد، حدث عن هارون الرشيد، روى عنه ابنه طلحة.

وجاء فى هامش (١) التعليق التالى للمحقق:

تعقبه اللباب وقال« الصحيح أنه ضرب بعض أصحاب على بن عيسى بن ماهان بالسيف وقد قبض عليه بيديه فلقب به، ومتى أطلقت فلا يعرف إلا اليد» وقد قيل فيه:

يـــــا ذا اليمينين وعين واحـــــده

نقصـــــــــان عين ويمين زائده

(الأنساب للسمعانى - تقديم وتعليق عبد الله عمر البارودى ٣ / ١٦ وهامش (١) للمحقق).

*** ذؤاب:**

ذؤاب: ذكره أبو موسى عن أبى الفتح الأزدى وساق بإسناد له ضعيف إلى أنس قال: كان رجل يقال له ذؤاب يمر بالنبى صلى الله عليه وآله وسلم فيقول السلام عليك يارسول الله ورحمة الله وبركاته فيرد عليه فذكر الحديث.

(الإصابة فى تمييز الصحابة لشيخ الإسلام الحافظ ابن حجر العسقلانى ٢ / ١٧٩).

*** ذوات الأسماء والمنفصلات:**

مما يرد فى مصنفات التراث الإسلامى فى الرياضيات، ولدينا منها نموذجان: الأول ما أورده عالم الرياضيات ابن الهائم فى كتابه «المعونة فى علم الحساب الهوائى»، والثانى ما أورده العالم ابن غازى فى كتابه «بغية الطلاب».

١ - النموذج الأول: من كتاب المعونة فى علم الحساب الهوائى لابن الهائم المتوفى سنة ٨١٥ هـ:

قال ابن الهائم فى الباب الثالث: فى أعمال ذوات الأسماء والمنفصلات:

وفيه مقدمة وأربعة فصول:

أما المقدمة: ففيها مسألتان:

الأولى: فى تعريفها وتعيين أنواعها.

أما ذو الاسمين فهو جذرا عددين متباينان مجموعان بالواو أو عدد وجذر عدد كذلك. كجذر خمسة وجذر ثلاثة وكخمسة وجذر ثلاثة.

وذوات الأسماء ستة أنواع:

الأول: أن يكون أكبرهما منطقا مشاركا لجذر الفضل بين مربعيهما كثلاثة وجذر خمسة فإن الفضل بين مربعيهما أربعة وجذره مشارك لأكبر الاسمين وهو الثلاثة.

والثانى: أن يكون أكبرهما أصم مشاركا لجذر الفضل بين مربعيهما كخمسة وجذر خمسة وأربعين فالفضل بين مربعيهما عشرون وجذره مشارك لجذر الخمسة والأربعين.

والثالث: أن يكون أصمين والأكبر لجذر ما بين مربعيهما كجذر خمسة عشر وجذر سبعة وعشرين فالفضل بين مربعيهما اثنا عشر وجذره مشارك لجذر السبعة والعشرين.

والرابع: كالأول:

والخامس: كالثانى.

والسادس: كالثالث. أعنى فى الصورة إلا أن الأكبر فى كل منها مباين لجذر الفضل بين مربعى الاسمين. فالرابع كثلاثة وجذر ستة، الفضل بين مربعيهما ثلاثة وجذره مباين للثلاثة.

والخامس: كاثنين وجذر اثنى عشر. الفضل بين مربعيهما ثمانية وجذره مباين لجذر الاثنى عشر.

والسادس كجذر سبعة وجذر ثلاثة. جذر الفضل اثنان وهو مباين لجذر السبعة.

وأما المنفصل: فهو جذرا عددين متباينان فضل أصغرهما من الأكبر بالاستثناء أو عدد وجذر عدد كذلك كجذر ستة إلا جذر اثنين وكاثنين إلا جذر ثلاثة.

والمنفصلات كذوات الأسماء عددا وترتيبا. أعنى الأكبر من الاسمين فى الأول والرابع منطق. وفى الثانى وفى الخامس بالعكس. وكل منهما فى الثالث والسادس أصم والأكبر فى كل من الثلاثة الأول مشارك لجذر الفضل بين مربعه ومربع الأصغر. وفى كل من الثلاثة الآخر مباين.

فإذا بدلت فى الأمثلة السابقة أداة الاستثناء بأداة العطف كانت أمثلة المنفصلات.

فالمنفصل الأول كثلاثة إلا جذر خمسة.

والثانى: كجذر خمسة وأربعين إلا خمسة.

والثالث: كجذر سبعة وعشرين إلا جذر خمسة عشر.

والرابع : كثلاثة إلا جذر ستة .

والخامس : كجذر اثني عشر إلا اثنين .

والسادس : كجذر سبعة إلا جذر ثلاثة .

فقد ظهر لك أن الثلاثة الأول من كل من النوعين يشاكل الثلاثة الأخر من فى الصورة . وأنها متقابلة فى المعنى .

وبين أيضا مما سبق أن الثلاثة الأول تتميز من الثلاثة الأخر . بأن تضرب الفضل بين مربعى الاسمين فى مربع أكبرهما فإن خرج مجذور فهو من الثلاثة الأول وإلا فمن الثلاثة الآخر.

ألا ترى أن ثلاث وجذر خمسة هو مثل ثلاثة وجذر ستة فى الصورة إذ الأكبر فى كل منهما منطق والأصغر أصم. إلا أنك إذا ضربت الفضل بين مربعى الثلاثة وجذر الخمسة وهو أربعة فى مربع الثلاثة حصل مجذور. فيكون ذا الاسمين الأول . وإذا ضربت الفضل بين مربعى الثلاثة وجذر الستة وهو ثلاثة فى مربع الثلاثة حصل غير مجذور فيكون ذا الاسمين الرابع . فافهم .

وإنما كانت الإسميات ستة ومنفصلاتها كذلك لأن كل جذرى عددين متفاضلين فهما إما منطقان أو أصمان أو أصغرهما منطق وأكبرهما أصم أو بالعكس. واشتراط تباينهما يسقط القسم الأول .

وأما الأقسام الثلاثة الباقية فجذر الفضل بين مربعى الاسمين فى كل منهما . إما مشارك للاسم الأكبر أو مباين له . فإن كان فيها مشاركا فهو الثلاثة الأول . وإلا فهى الثلاثة الآخر.

المسألة الثانية :

فى بيان ما يوصل إلى صور كل نوع من ذوات الأسماء بعينه .

ويتوصل فى الأول والرابع بالطرح وفى الثانى والثالث بالضرب، وفى الخامس والسادس بالجمع .

ففى الأول : اطرح مجذورا من مجذور بحيث يبقى غير مجذور فصل جذره بجذر المربع الأكبر.

مثاله : أربعة وتسعة مجذوران والفضل بينهما غير مجذور فصل جذره بجذر التسعة يكن ثلاثة وجذر خمسة .

وفى الرابع : اطرح غير مجذور من مجذور بحيث يبقى غير مجذور. فصل جذره بجذر المجذور.

مثاله : ثلاثة وتسعة . الفضل بينهما ستة غير مجذور. فصل جذره بجذر التسعة يكن ثلاثة وجذر ستة .

وفى الثانى : اضرب كلا من المجذورين بالشرط السابق فى الفضل بينهما وصل جذر الفضل بين الحاصلين بجذر أكبرهما فاضرب كلا من الأربعة والتسعة فى الخمسة وصل جذر الفضل بين عشرين وخمسة وأربعين بجذر الخمسة والأربعين يكن خمسة وجذر خمسة وأربعين .

وفى الثالث : اضرب كُلاً من مجذورين فى غير الفضل بينهما بالشرط واعمل كما فى الثانى . فاضرب كلا من الأربعة والتسعة فى ثلاثة مثلا وصل جذر الفضل بين اثنى عشر وسبعة وعشرين بجذر السبعة والعشرين يكن جذر سبعة وعشرين وجذر خمسة عشر.

وفى الخامس : اجمع مجذورا إلى مجذور بحيث يكون المجتمع غير مجذور وصل جذره بجذر أحدهما فالأربعة والتسعة مجموعها غير مجذور فصل جذر الثلاثة عشر بجذر الأربعة والتسعة .

وفى السادس : اجمع غير مجذور إلى مجذور بحيث يجتمع غير مجذور وصل جذره بجذر غير المجذور فإن جمعت ثلاثة إلى التسعة حصل اثنا عشر وهو غير المجذور فصل جذره بجذر الثلاثة .

والموصل إلى نوع من الإسميات هو الموصل إلى نظيره من المنفصلات .

الفصل الأول .

فى تجذيرها .

اعلم أن كل ذى اسمين من الثلاثة الأول أو كل منفصل منها فإنه يمكن التوصل إلى إخراج جذره محققا بلفظ أقرب إلى المنطق وأخصر وأخف من إيقاع لفظ الجذر على جملته . ولذلك طرق من أحسنها :

أن تطرح مربع أصغر الاسمين من مربع أكبرهما وتحمل جذر الباقي على أكبر الاسمين وتأخذ جذر نصف المجتمع فتحفظه ثم تسقط أيضا المحمول من أكبر الاسمين وتأخذ جذر نصف الباقي فتحفظه أيضا. ثم إن كان المطلوب جذره ذا اسمين فالمطلوب هو مجموع المحفوظين. وإن كان منفصلا فالفضل بينهما. مثال ذي الاسمين الأول: أربعة وجذر اثنى عشر، فأصغر الاسمين جذر اثنى عشر. فاطرح مربعه وهو الاثنى عشر من مربع الأكبر وهو ستة عشر وخذ جذر الباقي وهو اثنان فاحمله على أربعة يجتمع ستة. فخذ جذر نصفها يكن جذر ثلاثة فاحفظه ثم اسقط الاثنين أيضا من الأربعة وخذ جذر نصف الباقي يكن واحداً فاحفظه ثم اجمع المحفوظين يكن الجواب وذلك واحد وجذر ثلاثة. ولم كان بدل الواو إلا لكان المنفصل الأول وكان جذره جذر ثلاثة إلا واحدا.

ومثال ذي الاسمين الثاني: اثنى عشر وجذر مائة واثنين وتسعين. فاطرح مائة وأربعة وأربعين من مائة واثنين وتسعين واحمل جذر الباقي وهو جذر ثمانية وأربعين على جذر مائة واثنين وتسعين وخذ جذر نصف المجتمع وهو جذر أربع مائة واثنين وثلاثين يكن جذر جذر مائة وثمانية فاحفظه ثم اطرح جذر الثمانية والأربعين أيضا من جذر المائة والاثنين والتسعين واحفظ جذر نصف الباقي وهو جذر جذر اثنى عشر ثم اجمع المحفوظين يكن المطلوب وذلك جذر مائة وثمانية وجذر جذر اثنى عشر.

ولو أبدلت إلا بالواو كان المنفصل الثاني وكان جذره جذر مائة وثمانية غير جذر جذر اثنى عشر.

ومثال ذي الاسمين الثالث: جذر اثنين وثلاثين وجذر أربعة وعشرين فاعمل فيه كما مر يكن المطلوب وذلك جذر جذر ثمانية عشر وجذر جذر اثنين.

ولو كان منفصلا كان جذره جذر جذر ثمانية عشر إلا جذر اثنين.

وأما الثلاثة الأخر من كل من النوعين فالأخصر والأوفق أن تبقى كلا منهما على حاله وتجعل الجواب عنه بلفظ السؤال. فإن سلوك المنهج السابق يؤدى إلى قبح في الجواب وإشكال تحتاج في إزالته لتطويل الألفاظ. ففي ذي الاسمين الرابع. لو قيل مثلا أربعة وجذر ستة كم جذره؟ فتقول أربعة وجذر ستة مأخوذ جذره.

وكذا لو كان منفصلا لقلت أربعة إلا جذر ستة مأخوذ جذره. فالعبارة الأولى أخف من قولك اثنان وجذر اثنين ونصف مأخوذ جذر ذلك كله واثنان إلا جذر اثنين ونصف مأخوذ جذر ذلك.

وكذلك الثانية أسهل وأوضح من قولك اثنان وجذر اثنين ونصف مأخوذ جذر ذلك كله الا اثنين غير جذر اثنين ونصف مأخوذا جذر ذلك.

وكذا إذا ورد عليك ذوا الاسمين الخامس والسادس والمنفصل الخامس والسادس، فاجعل الجذر واقعا على جملته مؤخرا فهو أخف وأقرب.

واعلم: أن جذر ذي الاسمين الأول هو ذو اسمين من الستة ويقال لجذر الثاني ذو الموسطين الأول ولجذر الثالث ذو الوسطين الثاني ولجذر الرابع الأصغر ولجذر الخامس القوى على منطق وموسط ولجذر السادس القوى على موسطين.

وأن جذر المنفصل الأول منفصل من الستة ويقال لجذر الثاني منفصل الموسط الأول، ولجذر الثالث منفصل الموسط الثاني ولجذر الرابع الأصغر ولجذر الخامس المنفصل بمنطق، يصير الكل موسطا، ولجذر السادس المنفصل بموسط يصير الكل موسطا.

وإن كل واحد من جذور المتصلات هو منفصل جذر نظيره من الإسميات.

واختبار التجذير: بضرب الجذر في مثله. فإن حصل المطلوب جذره صح العمل. وإلا فلا.

الفصل الثاني:

في الضرب.

اعلم: أن الجذر في نفسه خمسة أقسام أحدها ما مربعه عدد واحد منطق بالفعل. ويمكن النطق به تحقيقا كجذر أربعة. والثاني: ما مربعه عدد واحد منطق بالفعل ولا يمكن النطق به هو تحقيق كجذر اثنين.

والثالث: ما مربعه ذو اسمين كثلاثة وجذر خمسة مأخوذ جذر ذلك.

والرابع: مـا مربعـه منفصل نحو ثلاثـة إلا ثلاثـة إلا جذر خمسة مأخوذ جذره.

والخـامس: ما مـربعـه موسـط أي وقع عليه لفظ الجـذر أيضا كجذر جذر ستة عشر. وكجذر جذر تسعة وكجذر جذر ثـلاثة وكجـذر خمسة وجـذر تسعة مأخـوذا جذر جـذر ذلك وكثلاثة إلا جذر ستة مأخـوذا جذر جذر ذلك. وكجذر جذر ثلاثة.

ولا يخفى أن المربع ينقسم بحسب انقسـام الجذور إلى الأقسام الخمسة ... إذا عرفت ذلك.

فـاعلم: أن كلا من المضـروب والمضروب فيـه إما عـدد مطلق أو ذو اسمين أو جـــذر منفصل أو جـــذر مـــوسط. والموسط قد يكون واقعا على ذي اسم أو على ذي اسمين أو على منفصل.

وضرب هـذه الأقسام التسعة بعضهـا في بعض. منحصر في خمسـة وأربعين نوعـا. وقـد مضى بيان ستـة منها. وأمـا التسعة والثـلاثون الباقيـة فنبينها في هـذا الفصل فنقول جميع الأنواع راجعة إلى ثلاثة أقسام. ضرب مفرد في مفرد.

وضرب مفرد في مركب.

وضرب مركب في مركب.

ونعني بالمركب هنا ستة أقسام:

ذا الاسمين فأكثر

والمنفصل.

وجذر ذي الاسمين.

وجذر المنفصل.

وجذر الموسط الواقع على ذي اسمين.

وجذر الموسط الواقع على منفصل.

وبالمفرد ما عدا ذلك.

أمـا ضرب المفـرد في المفـرد. فهو الأنـواع الستة الـذى مضى بيانها.

وأما ضـرب المفرد في المركب فثمـانية عشر نـوعا فتحلل المركب إلى مفرداته.

وتضرب كل مفرد منها في المنفرد علـى ما عرف وتراعى ما تقدم بيـانه من وجوب رد ما زاد على جـذر واحد أو نقص عن جذر واحد إلى جذر كـامل. ومن التوفيق بين المضروبين في رتبة الجـذر ومن العلم بعدة الضـربات التي يتم بهـا الضرب ومن معرفة حكم ضرب الزائد في الزائد. والناقص في الناقص والزائد في الناقص.

وأن المشـــارك يجمع أو يطـرح وأن المبـــاين يعطف أو يستثنى.

وأما ضرب المركب في المركب فأحد وعشرون نوعا فتحلل كلا من المضروبين إلى مفرداته وتضرب كل مفرد من أحدهما في كل مفرد من الآخر وتراعى ما سبق ذكره.

فلو قيـل: اضرب اثنين في ثـلاثة وجـذر خمسة فـاضرب الاثنين في الثـلاثـة ثم في جذر الخمسـة واجمع الحـاصلين يكن ستة وجذر عشرين.

أو في ثلاثة إلا جـذر خمسة فالحاصل الثـاني ناقص لأنه من ضرب زائد في ناقص فالجـواب ستة إلا جذر عشرين. أو في ثلاثـة وجذر خمسة مأخـوذ جذر ذلك كلـه أي بعد جمع جذر الخمسة إلى ثلاثة فما قيل فيه من هذا النوع مأخوذ جذره هو بمنزلة ما وقع عليه اللفظ بالجذر مرة.

وما قيل فيه مأخوذ جذره جذر أو أكثـر هو بمنزلة ما يتكرر فيه لفظ الجذر مقدما كجذر جذر كذا.

ففي المثـال ربع الاثنين ليلحق بـرتبة المضـروب فيـه ثم اضرب الأربعة في الثـلاثة في جذر الخمسة كمـا عرفت ووقع على المجتمع لفظ الجذر مـؤخرا فـالجواب اثنا عشـر وجذر ثمانين مأخوذ جذر ذلك كله.

وإنمـا أخروا لفظ الجـذر في هذا ونحـوه من جذر كل مـا أتصل من أكثر من اسم ومـن جذر ما فضل منـه شيء. تميزا بين مـا وقع الجـذر على كلـه ومـا وقع على بعضـه. ودفعـا للبس.

ألا تـرى أن التقـدم في المثال يـوهم وقـوع الجـذر على الثلاثة وحدها وأن المضروب فيه ذو اسمين.

ولـو قيل: في ثلاثـة إلا جذر خمسـة مأخوذ جـذر ذلك

فكما فى التى قبلها إلا أنك تفصل الحاصل الثانى قبل التوقيع. والجواب اثنا عشر إلا جذر ثمانين مأخوذ جذر ذلك.

أو فى ثلاثة وجذر خمسة مأخوذ جذر جذر ذلك فاضرب مربع مربع الاثنين فى كل منهما واعطف ووقع جذر. فالجواب ثمانية وأربعون وجذر ألف ومائتين وثمانين مأخوذ جذر جذر ذلك.

أو فى منفصله. فكذلك وابدل الفضل بالعطف. ولو كان بدل الاثنين جذره فى الأول، فاضربه فى كل كما عرفت واجمع يكن جذر ثمانية عشر وجذر عشرة أو فى الثانى فكذلك واستثن.

أو فى الثالث فمتفقان فاضرب الاثنين فى الثلاثة ثم فى جذر الخمسة واجمع وقع يكن ستة وجذر عشرين مأخوذا جذر ذلك. أو فى الرابع فذلك وأفضل...

أو فى الخامس: فاضرب مربع الاثنين فى كل واعطف. ووقع يكن اثنى عشر وجذر ثمانين مأخوذا جذر جذر ذلك.

أو فى السادس: فاعمل كذلك مستثنيا.

ولو كان بدل الاثنين جذر جذره فى الأول.

فربع مربع المضروب فيه ليوافق فيحصل ثلاث مائة وستة وسبعون وجذر مائة ألف واحد وأربعون ألفا ومائة وعشرين فاضرب الاثنين فى ثلاث مائة وستة وسبعين ثم فى جذر مائة وأربعين ألفا ومائة وعشرين واجمع ووقع جذر الجذر يكن سبعة مائة واثنين وخمسين وجذر خمس مائة ألف وأربعة وستين ألفا وأربع مائة وثمانين مأخوذا جذر جذر.

أو فى الثانى فاعمل كذلك واستثن.

أو فى الثالث فربِّع المضروب فيه واضرب الاثنين فى الأربعة عشر ثم فى جذر المائة والثمانين واجمع ووقع يكن ثمانية وعشرين وجذر سبع مائة وعشرين مأخوذا جذر جذر ذلك.

أو فى الرابع فاعمل كذلك واستثن.

أو فى الخامس: فاضرب الاثنين فى الثلاثة ثم فى جذر الخمسة واجمع ووقع يكن ستة وجذر عشرين مأخوذا جذر جذر ذلك.

أو فى السادس فاعمل كذلك كمستثنى.

فهذه أمثلة ضرب المفرد فى المركب بأنواعه.

ولو قيل اضرب اثنين وجذر خمسة فى جذر ستة وجذر عشرة.

فيتم العمل بأربع ضربات، فاضرب واجمع الحواصل الأربعة فالجواب جذر أربعة وعشرين وجذر أربعين وجذر ثلاثين وجذر خمسين.

أو فى جذر اثنين وجذر ثلاثة وجذر ستة فيتم بست ضربات فاضرب واجمع يكن جذر ثمانية وجذر اثنى عشر وجذر أربعة وعشرين وجذر عشرة وجذر خمسة وجذر ثلاثين.

أو فى جذر عشرة إلا جذر ستة فيتم بأربع فاستثن مجموع الناقصين من مجموع الزائدين يكن جذر أربعين وجذر خمسين إلا جذر أربعة وعشرين وجذر ثلاثين.

أو فى جذر خمسة إلا اثنين فاعمل كذلك يخرج واحد.

والأخصر فى ضرب ذى اسمين فى منفصله أو عكسه.

أن يؤخذ فضل ما بين مربعى الاسمين فهو المطلوب.

ولو قيل: اضرب ثلاثة وجذر جذر سبعة فى منفصله فاطرح مربع جذر جذر السبعة وهو جذر سبعة من مربع الثلاثة. يبق المطلوب. وذلك تسعة إلا جذر سبعة.

ولو قيل اثنين وجذر خمسة فى اثنين وجذر خمسة مأخوذ جذره.

فربع المضروب ليوافق، يحصل تسعة وجذر ثمانين فاضرب ذلك فى الاثنين وجذر الخمسة كما سبق ووقع على مجموع الحواصل الأربعة لفظ الجذر يكن ثمانية وثلاثين وجذر أربع مائة وخمسة وجذر ثلاث مائة وعشرين مأخوذا جذر ذلك.

(حاشية فى الأصل الحواصل الأربعة: هى ثمانية عشر وجذر أربعين وهو ثلاثون وجذر أربع مائة وخمسة وجذر أربع مائة وهو عشرون بمنطق ضمها إلى الثمانية عشر يجتمع ثمانية وثلاثون فيصير الجواب، كما قال ماردينى انتهى).

أو فى جذر خمسة إلا اثنين مأخوذ جذره فاعمل كما سبق واستثن ووقع فالجواب اثنان وجذر أربع مائة وخمسة إلا جذر ثلاث مائة وعشرين مأخوذ جذره.

أو فى اثنين وجذر خمسة مأخوذ جذر جذر ذلك فاضرب مربع مربع المضروب فى كل الاثنين وجذر الخمسة واعطف ووقع جذر الجذر يكن الجواب.

(حاشية فى الأصل: «وهو مائة واحد وستون وجذر خمسة وعشرين ألفا وسبع مائة وعشرون. والجواب ثلاث مائة واثنان وعشرون وجذر مائة ألف وتسعة وعشرين ألفا وسبع مائة وخمسة وجذر مائة ألف وثلاثة وثلاثة آلاف وست مائة وثمانين وجذر ثمانية ألف وسبعة وعشرين ألف وست مائة مأخوذ جذر جذر ذلك جميعه فى اثنين وجذر جذر خمسة وثمانين، ماردينى»).

أو فى جذر الخمسة إلا اثنين مأخوذ جذر جذره فكالتى قبلها واستثن.

ولو قيل: اضرب جذر خمسة الا اثنين فى مثله.

فيتم العمل بأربع فاستثنى الناقصين من الزائدين فالجواب تسعة إلا جذر ثمانين.

أو فى اثنين وجذر خمسة مأخوذ جذره.

فاضرب تسعة إلا جذر ثمانين فى اثنين وجذر خمسة ووقع الجواب جذر أربع مائة وخمسة إلا اثنين وجذر ثلاث مائة وعشرين مأخوذ جذره.

أو فى جذر خمسة إلا اثنين مأخوذ جذره.

فاضرب مربع المنفصل (حاشية فى الأصل «وهو تسعة إلا جذر ثمانين. ماردينى»). فى جذر خمسة إلا اثنين ووقع يكن جذر أربع مائة وخمسة وجذر ثلاث مائة وعشرين إلا ثمانية وثلاثين.

أو فى اثنين وجذر خمسة مأخوذا جذر جذره.

فاضرب مربع مربع المنفصل فى كل من الاثنين (حاشية فى الأصل «وهو ٧١١٦١ جذره ٢٥٩١ ماردينى»). ووقع جذر الجذر على الحاصل.

أو فى جذر خمسة إلا اثنين مأخوذ جذر جذره.

فكذلك اعمل

ولو قيل: اضرب اثنين وجذر خمسة مأخوذا جذره فى مثله.

فاضرب كُلاً من الاثنين وجذر الخمسة فى نفسه ثم فى صاحبه مرتين ووقع لفظ الجذر على الحاصل يكن تسعة وجذر ثمانين مأخوذ جذره.

أو فى منفصله مأخوذا جذره.

فاعمل كما سبق يكن واحدا.

أو فى اثنين وجذر خمسة مأخوذ جذر جذره.

فاضرب التسعة وجذر الثمانين فى كل من الاثنين وجذر الخمسة ووقع جذر الجذر على الحاصل. يكن ثمانية وثلاثين وجذر أربع مائة وخمسة وجذر ثلاث مائة وعشرين.

أو فى جذر خمسة إلا اثنين مأخوذ جذر جذره.

فاضرب المربع فى جذر الخمسة إلا اثنين ووقع يكن اثنان وجذر أربع مائة وخمسة إلا جذر ثلاث مائة وخمسة إلا جذر ثلاث مائة وعشرين مأخوذا جذر جذر ذلك.

ولو قيل: اضرب جذر خمسة إلا اثنين مأخوذ جذره فى مثله.

فالجواب تسعة إلا جذر ثمانين مأخوذ جذره.

أو فى اثنين وجذر خمسة مأخوذ جذر جذره.

فاضرب التسعة إلا جذر ثمانين فى الاثنين وجذر الخمسة ووقع جذر الجذر على الخارج يكن جذر أربع مائة وخمسة وعشرين مأخوذا جذر جذر ذلك.

أو فى جذر خمسة إلا اثنين مأخوذ جذر جذره.

فاضرب المربع فى جذر الخمسة إلا اثنين ووقع يكن جذر أربع مائة وخمسة وجذر ثلاث مائة وعشرين إلا ثمانية وثلاثين مأخوذا جذر جذر ذلك.

ولو قيل: اضرب اثنين وجذر خمسة مأخوذا جذر جذره فى مثله.

فالجواب تسعة وجذر ثمانين مأخوذ جذر جذر ذلك.

أو فى جذر خمسة إلا اثنين مأخوذا جذر جذر ذلك فاعمل كما سبق فالجواب واحد.

ولو قيل. اضرب جذر خمسة إلا اثنين مأخوذا جذره فى مثله.

فالجواب تسعة إلا جذر ثمانين مأخوذ جذر جذره.

فقد أتينا بالتمثيل لجميع الأقسام بأوجز كلام. على أحسن نظام بمعونة الملك العلام.

والاختبار: بقسمة الخارج على أحد المضروبين كما سلف.

الفصل الثالث

فى القسمة

اعلم . أن كُلاً من المقسوم والمقسوم عليه لا بد أن يكون أحد الأقسام التسعة المذكورة فتكون أنواع القسمة أحدا وثمانين وجميعها ترجع إلى أربعة أقسام :

قسمة مفرد على مفرد .

وقسمة مركب على مفرد .

وعكسه .

وقسمة مركب على مركب .

فقسمة المفرد على المفرد تسعة أنواع وقد مضى بيانها .

وقسمة المركب على المفرد ثمانية عشر نوعا وعكسه كذلك .

وقسمة المركب على المركب ستة وثلاثون نوعا .

أما قسمة المركب على المفرد : فيتحلل فيها المقسوم إلى مفرداته بعد التوفيق بينه وبين المقسوم عليه فى الرتبة وتقسم كل مفرد منها على المقسوم عليه على ما عرف فى قسمة المفرد على المفرد . مع العلم أن قسمة الزائد على الزائد زائد . وأن قسمة الناقص على الزائد ناقص .

فلو قيل : اقسم على اثنين جذرى عشرة وسدس جذر اثنين وسبعين وسبعين .

فكأنه قيل اقسم جذر اثنين وجذر أربعين على الاثنين فاقسم على الاثنين جذر الاثنين ثم جذر الأربعين كما عرفت واجمع الخارجين يكن جذر نصف وجذر عشرة .

أو خمسة أجذار واحد وثلاثة أخماس إلا سدس جذر اثنين وسبعين فاعمل كما سبق واستثن خارج المستثنى من خارج المستثنى منه . فالجواب جذر عشر إلا جذر نصف .

أو خمس جذر خمسين وستة أجذار وسدس مأخوذا ذلك . فربع الاثنين ليوافق المقسوم فكأنه قيل اقسم جذر اثنين وجذر اثنين وأربعين مأخوذا جذره على جذر أربعة فاقسم ما وقع عليه لفظ الجذر من المقسوم وهو جذر الاثنين وجذر الاثنين والأربعين على ما وقع عليه لفظ الجذر من المقسوم إليه وهو الأربعة ما وقع على مجموع الخارجين اللفظ بالجذر يكن جذر ثمن وجذر اثنين ونصف وثمن مأخوذا جذر ذلك . أو ستة أجذار واحد وسدس إلا خمس جذر خمسين مأخوذا جذر ذلك . فاعمل كما فى التى قبلها واستثن . يكن جذر اثنين ونصف وثمن إلا جذر ثمن مأخوذا جذر ذلك .

أو نصف جذر ثمانية وثلاثة أجذار أربعة وأربعة أتساع مأخوذا جذر جذر ذلك . فربِّع مربع الاثنين فكأنه قيل اقسم جذر اثنين وجذر أربعين مأخوذا جذر جذره على جذر جذر ستة عشر فاقسم جذر الاثنين وجذر الأربعين على الستة عشر ووقع على مجموع الخارجين جذر الجذر يكن جذر نصف ثمن ثمن وجذر ثمن وربع ثمن مأخوذا جذر جذر ذلك .

أو أربعة أجذار اثنين ونصف إلا ثلث جذر ثمانية عشر مأخوذا جذر جذر ذلك فاعمل فيها كالتى قبلها فالجواب جذر ثمن وربع ثمن إلا جذر نصف ثمن ثمن مأخوذا جذر جذر ذلك .

ولو كان جذر الاثنين هو المقسوم عليه فى الأولى .

فالجواب واحد وجذر عشرين .

أو فى الثانية . فالجواب . جذر عشرين إلا واحدا .

أو فى الثالثة : فاقسم على الاثنين جذر الاثنين والأربعين ثم جذر الاثنين ووقِّع على مجموع الخارجين لفظ الجذر فالجواب جذر عشرة ونصف وجذر نصف مأخوذ جذره .

أو فى الرابعة : فكما قبلها يكن جذر عشرة ونصف إلا جذر نصف مأخوذا جذره .

أو فى الخامسة : فربع الاثنين واقسم جذر الأربعين وجذر الاثنين على الأربعة ووقع على ما يحصل جذر الجذر يكن جذر اثنين ونصف جذر ثمن مأخوذا جذر جذره .

أو فى السادسة : فكما قبلها يكن جذرا اثنين ونصف إلا جذر ثمن مأخوذا جذر جذره .

ولو كان جذر جذر الاثنين هو المقسوم عليه فى الأولى فاقسم عليه كلا منهما كما عرفت فالجواب جذر جذر ثمانى مائة وجذر جذر اثنين وجذر مائة وسبعين وجذر ثمانى مائة واثنين وثمانين مأخوذا جذر ذلك .

أو فى الثانية : فكذلك يكن جذر جذر ثمانى مائة إلا جذر جذر اثنين .

أو فى الثالثة : فاقسم أربعة وأربعين وجذر ثلاث مائة وستة وثلاثين على الاثنين ووقع الجذر على ما يخرج يكن اثنين وعشرين وجذر أربعة وثمانين مأخوذا جذر جذره .

أو فى الرابعة : فكما قبلها يكن اثنين وعشرين إلا جذر أربعة وثمانين مأخوذا جذر جذره .

أو فى الخامسة : فاقسم على الاثنين جذر الأربعين وجذر الاثنين ووقع جذر الجذر على المجمع يكن جذر عشرة وجذر نصف مأخوذا جذر جذر ذلك .

أو فى السادسة : فكذلك يكن عشرة إلا جذر نصف مأخوذا جذر جذر ذلك فهذه أمثلة أنواع قسمة المركب على المفرد .

ولو قيل اقسم عشرة على اثنين وجذر ثلاثة .

فاضرب المقسوم عليه فى منفصله واقسم العشرة على الحاصل وهو واحد واضرب الخارج فى المنفصل يحصل المطلوب وذلك عشرون إلا جذر ثلاث مائة .

ولو كان المقسوم عليه اثنين إلا جذر ثلاثة .

فاضربه فى متصله واقسم العشرة على الحاصل واضرب الخارج فى المتصل . فالجواب عشرون وجذر ثلاث مائة أو كان اثنين وجذر ثلاثة مأخوذا جذره . فربع العشرة واعمل فى قسمة المائة على الاثنين وجذر الثلاثة ما سبق ووقع على الخارج الجذر يكن مائتين إلا جذر ثلاثين ألفا مأخوذا جذره .

أو كان اثنين إلا جذر ثلاثة مأخوذا جذره .

فاقسم المائة على الاثنين وجذر الثلاثة ووقع يكن مائتين وجذر ثلاثين ألفا مأخوذا جذره .

أو كان اثنين وجذر ثلاثة مأخوذا جذر جذره .

فربع المائة واقسم عشرة آلاف على الاثنين وخذ الثلاثة ووقع على الحاصل جذر الجذر يكن عشرين ألفاإلا جذر ثلاث مائة ألف ألف مأخوذا جذر جذره .

أو كان اثنين إلا جذر ثلاثة مأخوذا جذر جذره فاقسم عشرة الآلاف كما سبق ووقع يكن كجواب الأولى . إلا أنه بالعطف .

ولو كان جذر العشرة هو المقسوم فى الأولى فاقسمه على الخارج من ضرب المقسوم عليه فى منفصله واضرب الحاصل فى المنفصل فالجواب جذر أربعين إلا جذر ثلاثين .

أو فى الثانية : فاقسمه على الواحد واضرب الحاصل فى المنفصل فالجواب جذر أربعين وجذر ثلاثين .

أو فى الثالثة : فاقسم العشرة على الاثنين وجذر الثلاثة ووقع على الخارج الجذر فالجواب عشرون إلا جذر ثلاث مائة مأخوذا جذر ذلك .

أو فى الرابعة : فاقسم العشرة على الاثنين وجذر الثلاثة ووقِّع يكن عشرين وجذر ثلاث مائة مأخوذا جذره .

أو فى الخامسة : فاقسم مربع العشرة على الاثنين وجذر الثلاثة ووقع على الخارج جذر الجواب فالجواب مائتان إلا جذر ثلاثين ألفا مأخوذا جذر جذره .

أو فى السادسة : فاقسم المائة على الاثنين غير جذر الثلاثة ووقع يكن مائتين وجذر ثلاثين ألفا مأخوذا جذر جذره .

ولو كان جذر جذر العشرة هو المقسوم فى الأولى فاقسمه على الخارج من ضرب المقسوم عليه فى منفصله واضرب الحاصل فى المنفصل يكن جذر جذر مائة وستين إلا جذر جذر تسعين .

أو فى الثانية : فاقسمه على الواحد واضرب الحاصل فى المنفصل يكن متصل الجواب الأولى .

أو فى الثالثة : فربع الاثنين وجذر الثلاثة فكأنه قيل اقسم جذر جذر العشرة على سبعة وجذر ثمانية وأربعين مأخوذ جذر جذره فاقسم العشرة على سبعة وجذر ثمانية وأربعين ووقع على الخارج جذر الجذر يكن سبعين إلا جذر أربعة آلاف وثمانى مائة مأخوذا جذر جذره .

أو فى الرابعة : فاقسم العشرة على السبعة إلا جذر الثمانية والأربعين ووقِّع يكن متصل جواب التى قبلها .

أو فى الخامسة : فاقسم العشرة على الاثنين وجذر الثلاثة ووقع على الخارج جذر الجذر يكن عشرين إلا جذر ثلاث مائة مأخوذا جذر جذره .

أو فى السادسة : فاقسمها على الاثنين غير جذر الثلاثة ووقع يكن متصل جواب ما قبلها .

فهذه أمثلة قسمة المفرد على المركب وترجع إليها فى قسمة المركب على المركب ، لأنك تقسم كلا من مفردات المقسوم منفردا على جملة المقسوم عليه كما تقسم المفرد على المركب وتجمع الخارجات أو يستثنى .

فلو قيل : اقسم عشرة وجذر عشرة على اثنين وجذر ثلاثة :

فاقسم على الاثنين وجذر الثلاثة . العشرة وحدها ثم جذرها كما عرفت واجمع الخارجين يكن عشرين وجذر أربعين إلا جذر ثلاثين وجذر ثلاث مائة .

أو على اثنين إلا جذر ثلاثة فاقسم كلا على الاثنين وجذِّر الثلاثة واجمع يكن عشرين وجذر ثلاثين وجذر الربعين وجذر ثلاث مائة أو على اثنين وجذر ثلاثة مأخوذا جذره فاقسم على المقسوم عليه العشرة كما سبق يخرج مائتان إلا

جذر ثلاثين ألفا ، مأخوذا جذر ذلك ثم جذر العشرة كذلك يخرج عشرون إلا جذر ثلاث مائة مأخوذا جذر ذلك . واجمع الخارجين يكن الجواب مائتين إلا جذر ثلاثين ألفا مأخوذا جذر ذلك وعشرين إلا جذر ثلاث مائة مأخوذا جذر ذلك .

أو على اثنين إلا جذر ثلاثة مأخوذا جذره فاقسم العشرة ثم جذِّرها على الاثنين إلا جذر الثلاثة كما عرفت واجمع الخارجين يكن الجواب مائتين وجذِّر ثلاثين ألفا مأخوذا جذره وعشرين جذر ثلاث مائة مأخوذا جذر ذلك .

أو على اثنين وجذر ثلاثة مأخوذا جذر جذره .

فاقسم على ذلك العشرة ثم جذرها كما عرفت واجمع الخارجين يكن الجواب عشرين ألفا إلا جذر ثلاث مائة ألف ألف مأخوذا جذر جذر ذلك ومائتين الا جذر ثلاثين ألفا مأخوذا جذر جذر ذلك .

فاقسم على ذلك العشرة ثم جذرها واجمع الخارجين يكن الجواب عشرين ألفا وجذر ثلاث مائة ألف ألف مأخوذا جذر جذر ذلك ومائتين وجذر ثلاثين ألفا مأخوذا جذر جذر ذلك .

ولو قيل : اقسم عشرة إلا جذر عشرة على اثنين وجذر ثلاثة .

فاقسم على الاثنين وجذر الثلاثة العشرة ثم جذرها واستثن الخارج الثاني من الخارج الأول يكن الجواب عشرين إلا جذر ثلاث مائة وإلا جذر أربعين غير جذر ثلاثين .

أو على اثنين إلا جذر ثلاثة فاقسم على ذلك العشرة ثم جذرها واستثن يكن عشرين وجذر ثلاثة مائة إلا جذر ثلاثين وجذر أربعين .

أو على اثنين وجذر ثلاثة مأخوذ جذره .

فاقسم على ذلك العشرة ثم جذرها واستثن الخارج الثاني من الخارج الأول يكن الجواب مائتين إلا جذر ثلاثين ألفا مأخوذا جذره وإلا عشرين غير جذر ثلاث مائة مأخوذا جذر ذلك .

أو على اثنين إلا جذر ثلاثة مأخوذا جذره .

فاعمل كما في التي قبلها . يكن الجواب مائتين وجذر ثلاثين إلفا (مأخوذا جذره إلا عشرين وجذر ثلاث مائة مأخوذا جذره .

أو على اثنين وجذر ثلاثة مأخوذا جذر جذره .

فاعمل كما في التي قبلها يكن الجواب عشرين ألفا إلا جذر (ثلاث مائة ألف ألف مأخوذا جذر جذره إلا مائتين غير جذر ثلاثين ألفا مأخوذا) جذر جذر ذلك .

أو على اثنين إلا جذر ثلاثة مأخوذا جذر جذره .

فاعمل كذلك يكن الجواب عشرين ألفا وجذر ثلاث مائة ألف ألف مأخوذا جذر جذره إلا مائتين وجذر ثلاثين ألف مأخوذا جذر جذر ذلك .

ولو قيل : اقسم عشرة وجذرها مأخوذا جذر ذلك على اثنين وجذر ثلاثة . فربع المقسوم عليه واقسم العشرة وجذرها على سبعة وجذر ثمانية وأربعين كما عرفت ووقع الجذر على الخارج يكن الجواب سبعين وجذر أربع مائة وتسعين إلا جذر أربع مائة وثمانين وجذر أربعة آلاف وثماني مئة مأخوذا جذر ذلك كله .

أو على اثنين إلا جذر ثلاثة .

فاقسم العشرة وجذرها على سبعة إلا جذر ثمانية وأربعين ووقع .

أو على اثنين وجذر ثلاثة مأخوذا جذر جذره فاقسم العشرة وجذرها على الاثنين وجذر الثلاثة ووقع الجذر على الخارج .

أو على اثنين إلا جذر ثلاثة مأخوذا جذره .

فاقسم العشرة وجذرها على الاثنين إلا جذر الثلاثة ووقع .

أو على اثنين وجذر ثلاثة مأخوذا جذر جذره .

فاقسم ما يقع عليه جذر الجذر من مربع مربع المقسوم على الاثنين وجذر الثلاثة ووقع على الخارج جذر الجذر .

أو على اثنين إلا جذر ثلاثة مأخوذ جذر جذره .

فاقسم ما قسمت في التي قبلها على الاثنين غير جذر الثلاثة ووقع .

ولو قيل : اقسم عشرة إلا جذرها مأخوذا جذر ذلك على اثنين وجذر ثلاثة .

فاقسم العشرة غير جذرها على سبعة وجذر ثمانيه وأربعين ووقع الجذر على الخارج .

أو على اثنين إلا جذر ثلاثة .

فاقسم العشرة غير جذرها على سبعة غير جذر ثمانية وأربعين ووقع .

أو على اثنين وجذر ثلاثة مأخوذ جذره .

فاقسم العشرة غير جذرها على الاثنين غير جذر الثلاثة ووقع الجذر على الخارج .

أو على اثنين وجذر ثلاثة مأخوذ جذره .

فاقسم العشرة غير جذرها على الاثنين غير جذر جذر الثلاثة ووقع أو على اثنين وجذر ثلاثة مأخوذ جذر جذره فاقسم ما يقع عليه جذر الجذر من المقسوم على الاثنين وجذر الثلاثة ووقع على الخارج جذر الجذر.

أو على اثنين إلا جذر ثلاثة مأخوذ جذر جذره .

فاقسم ما قسمت في التي قبلها على الاثنين إلا جذر الثلاثة ووقع .

ولو قيل : اقسم عشرة وجذرها مأخوذا جذر جذر ذلك على اثنين وجذر ثلاثة . فاقسم العشرة وجذرها على ما يقع عليه جذر الجذر من مربع مربع الاثنين وجذر الثلاثة ووقع جذر الجذر على الخارج .

أو على اثنين إلا جذر ثلاثة . فاقسم العشرة وجذرها على ما يقع عليه جذر الجذر من مربع مربع الاثنين إلا جذر الثلاثة ووقع .

أو على اثنين وجذر ثلاثة مأخوذ جذره .

فاقسم العشرة وجذرها على ما يقع عليه جذر الجذر من مربع الاثنين وجذر الثلاثة ووقع .

أو على اثنين إلا جذر ثلاثة مأخوذ جذره .

فاقسم العشرة وجذرها على ما يقع عليه الجذر من مربع الاثنين إلا جذر الثلاثة ووقع .

أو على اثنين وجذر ثلاثة مأخوذ جذر جذره .

فاقسم العشرة وجذرها على الاثنين وجذر الثلاثة ووقع .

أو على اثنين إلا جذر ثلاثة مأخوذ جذر جذره .

فاقسم العشرة وجذرها على الاثنين إلا جذر الثلاثة ووقع .

ولو قيل : اقسم عشرة إلا جذرها مأخوذا جذر جذره على اثنين وجذر ثلاثة .

فاقسم العشرة غير جذرها على ما يقع عليه جذر الجذر من مربع مربع الاثنين وجذر الثلاثة ووقع على الخارج جذر الجذر.

أو على اثنين إلا جذر ثلاثة فاقسم العشرة غير جذرها على ما يقع عليه جذر الجذر من مربع مربع الاثنين إلا جذر الثلاثة ووقع .

أو على اثنين وجذر ثلاثة مأخوذا جذره .

فاقسم العشرة غير جذرها على ما يقع عليه جذر الجذر من مربع الاثنين وجذر الثلاثة ووقع .

أو على اثنين إلا ثلاثة مأخوذ جذره.

فاقسم العشرة غير جذرها على ما يقع عليه جذر الجذر من مربع الاثنين غير جذر الثلاثة ووقع .

أو على اثنين وجذر ثلاثة مأخوذ جذر جذره .

فاقسم العشرة غير جذرها على الاثنين وجذر الثلاثة ووقع .

أو على اثنين إلا جذر ثلاثة مأخوذ جذر جذره .

فاقسم العشرة غير جذرها على الاثنين إلا جذر ثلاثة ووقع .

فهذه أمثلة أنواع قسمة المركب على المركب .

وربما وردت صور مركبة من نوعين أو أكثر فمن أتقن وجوه العمل في الأنواع المذكورة لا يخفى عليه شيء من ما يرد من هذا الباب .

فلو قيل : اقسم عشرة وجذر سبعة مأخوذا جذر ذلك واثنين وجذر ثلاثة على ثلاثة إلا جذر ستة .

فاقسم على الثلاثة غير جذر الستة . العشرة وجذر السبعة مأخوذا جذر ذلك . ثم الاثنين وجذر الستة كما عرفت واجمع الخارجين .

ولو قيل : اقسم جذر ثلاثة وجذر عشرة مأخوذا جذر ذلك وثمانية وجذر تسعين مأخوذا جذر جذر ذلك على ثلاثة وجذر ستة .

فاقسم على المقسوم عليه أولا جذرى ذى الاسمين ثم الموسط واجمع الخارجين.

الفصل الرابع

فى الجمع والطرح

أما الجمع:

فالعمل فيه: أن تنظر بين كل من مفردى أحد المجموعين أو مفرداته وبين كل مفردات الآخر أهمها متشاركان أو متباينان.

فالمتشاركان يجتمعان سواء أكانا زائدين أم ناقصين كما سبق ليصيرا جذر عدد واحد.

والمتباينان يجمعان بالواو وهكذا إلى آخرها وقد يكون الناقص من أحد المجموعين مشاركا كالزائد من المجموع الآخر فيجبر ذو النقص بمثل مستثناه من الزائد المشارك فى الجهة الأخرى بأن تطرح الناقص من ذلك الزائد وتحفظ الباقى ليجمع مع غيره فقد يكون المجتمع من ذى اسمين إلى ذى اسمين. ذا اسمين. وقد يكون ذا ثلاثة أسماء وقد يكون ذا أربعة.

فلو قيل: اجمع ثلاثة وجذر خمسة إلى سبعة وجذر عشرين. فالثلاثة والسبعة يجتمعان وكذلك جذر الخمسة وجذر العشرين لاشتراكهما فاجمع يكن المطلوب عشرة وجذر خمسة وأربعين.

ولو قيل: اجمع جذر ثمانية وجذر عشرين إلى جذر اثنين وجذر خمسة. فجذر الثمانية يشارك جذر الاثنين فاجمعهما وجذر الخمسة يشارك جذر العشرين. فاجمعهما فيكون المجموعان جذر ثمانية عشر وجذر خمسة وأربعين وذلك هو المطلوب.

ولو قيل: اجمع جذر ثمانية إلا جذر ثلاثة إلى جذر ثمانية عشر إلا جذر اثنى عشر فاجمع جذر الثمانية إلى جذر الثمانية عشر لتشاركهما وزيادتهما ثم جذر الثلاثة إلى جذر الاثنى عشر لاشتراكهما ونقصانهما واطرح المجموع الثانى من المجموع الأول. يبقى المطلوب وذلك جذر خمسين إلا جذر سبعة وعشرين.

ولو قيل: اجمع جذر اثنى عشر إلا جذر اثنين إلى جذر ثمانية إلا جذر ثلاثة.

فاجبر جذر الاثنى عشر من جذر الثمانية بمقدار مستثناه وهو جذر الاثنين. فيصير جذر اثنى عشر ويصير جذر الثمانية بعد طرح جذر الاثنين منه. جذر اثنين. واجبر أيضا جذر الثمانية من جذر الاثنى عشر بجذر ثلاثة يبق من جذر الاثنى عشر جذر ثلاثة فاجمع الباقين يكن المطلوب وذلك جذر اثنين وجذر ثلاثة.

ولو قيل: اجمع جذر عشرين وجذر أربعة وعشرين إلى جذر ستة إلا جذر خمسة. فاجبر جذر الستة من جذر العشرين بمقدار مستثناه فيكمل ويبقى من جذر العشرين بعد طرح جذر خمسة من جذر خمسة فاحفظه ثم اجمع جذر الستة إلى جذر الأربعة والعشرين يجتمع جذر أربعة وخمسين فاعطفه على المحفوظ يكن المطلوب وذلك جذر خمسة وجذر أربعة وخمسين.

ولو قيل: اجمع جذر ثلاثة وجذر خمسة إلى جذر سبعة وجذر عشرين فجذر الخمسة يشارك جذر العشرين ويباين جذر السبعة وجذر الثلاثة يباين كلا منهما فاجمع المشتركين واعطف مجموعهما على جذر الثلاثة وجذر السبعة. فالجواب جذر ثلاثة وجذر سبعة وجذر خمسة وأربعين.

ولو قيل: اجمع جذر اثنين وجذر ثلاثة إلى ثلاثة وجذر خمسة فالجواب فى هذا كالسؤال.

ولو قيل: اجمع جذر اثنين إلى جذر ثلاثة إلى ثلاثة إلا جذر خمسة فالجواب ثلاثة وجذر اثنين إلا جذر ثلاثة وجذر خمسة.

وأما الطرح:

فالعمل فيه: أن تنظر بين كل مفرد من المطروح وكل مفرد من المطروح منه وتعتبر ما مضى فى الجمع.

فلو قيل: اطرح جذر ثلاثة وجذر ستة من جذر اثنى عشر وجذر أربعة وعشرين.

فاطرح جذر الستة من جذر الأربعة والعشرين ثم جذر الثلاثة من جذر الاثنى عشر واجمع الباقى من جذر الأربعة والعشرين وهو جذر ستة إلى الباقى من جذر الاثنى عشر وهو جذر ثلاثة يكن المطلوب وذلك جذر ثلاثة وجذر ستة.

ولو قيل: اطرح أربعة وجذر ثلاثة من ثمانية وجذر اثنى عشر.

فاطرح الأربعة من الثمانية وجذر الثلاثة من جذر الاثنى عشر كما عرفت واجمع الباقين يكن المطلوب وذلك أربعة وجذر ثلاثة.

ولو قيل اطرح جذر ثمانية إلا جذر ثلاثة من جذر اثنين وثلاثين إلا جذر اثنى عشر.

فاطرح مستثنى المطروح وهو جذر الثلاثة من مستثنى المطروح منه وهو جذر الاثنى عشر ثم المطروح من المطروح منه كاملين. أعنى جذر الثمانية من جذر الاثنين والثلاثين واستثن الباقى الأول وهو جذر ثلاثة من الباقى الثانى وهو جذر ثمانية يكن الجواب جذر ثمانية إلا جذر ثلاثة.

ولو قيل: اطرح جذر خمسة إلا جذر اثنين من جذر اثنين وثلاثين إلا جذر عشرين.

فاجمع مستثنى كل منهما إلى المستثنى منه فى الآخر واستثن الأقل من الأكثر فاجمع جذر الاثنين إلى جذر الاثنين والثلاثين ثم جذر الخمسة إلى جذر العشرين واستثن المجموع الثانى من المجموع الأول يبق المطلوب وذلك جذر خمسين إلا جذر خمسة وأربعين.

ولو قيل: اطرح جذر ستة إلا جذر اثنين من جذر أربعة وعشرين وجذر ثمانية.

فكمل جذر الستة بأن تزيد عليه مثل مستثناه واجمع كذلك جذر الاثنين إلى جذر الثمانية لتشاركهما فيصير المطروح جذر الستة والمطروح منه جذر أربعة وعشرين وجذر ثمانية عشر فاطرح جذر الستة من جذر الأربعة والعشرين واحمل الباقى وهو جذر ستة على جذر الثمانية عشر يكن المطلوب. وذلك جذر ستة وجذر ثمانية عشر.

ولو قيل: اطرح واحدا وجذر اثنين من جذر خمسين إلا جذر ثمانية عشر.

فكمل جذر الخمسين بجذر ثمانية عشر. ثم اجمع جذر الثمانية عشر إلى جذر الاثنين فيصير المطروح واحدا وجذر اثنين وثلاثين فاطرح جذر الاثنين والثلاثين من جذر الخمسين والواحد من الباقى يكن المطلوب وذلك جذر اثنين إلا واحدا.

ولو قيل: اطرح جذر خمسة إلا جذر ثلاثة من جذر عشرة إلا جذر اثنين.

فالجواب: جذر ثلاثة وجذر عشرة إلا جذر اثنين وجذر خمسة. والله أعلم (المعونة فى علم الحساب الهوائى / ٢١٥ - ٢٤٤).

٢ - النموذج الثانى. من كتاب بغية الطلاب لابن غازى المتوفى سنة ٩١٩ هـ.

وهو فيه يورد الأبيات من منظومته الموسومة بمنية الحساب ثم يشرحها وهكذا يبدأ موضوع ذوات الأسماء والمنفصلات بهذه الأبيات ثم يشرحها وذلك على النحو التالى:

فصل وجذران وجذر وعدد

ذو اسمين إن جمعهما عطفا ورد

وذوا انفصال إن بإلا قطعا

... ...

هذا فصل ذوات الأسماء والمنفصلات وهو محل يمس تناوله قال فى «رفع الحجاب» «ذو الاسمين هو عدد وجذر عدد أو جذر عدد وجذر عدد لا يجتمعان إلا بحرف العطف مثل خمسة وجذر ثلاثة أو جذر ثلاثة وجذر خمسة، والمنفصل هو ذو الاسمين إذا فصل الاسم الأصغر من الأكبر بحرف الاستثناء مثل خمسة إلا جذر ثلاثة أو جذر خمسة إلا جذر ثلاثة اهـ» وهو المقصود بالنظم، فكلها ذوات أسماء سميت بذلك لأن كل واحد منها مؤلف من اسمين، لكنهم فرقوا بين ما فصل بحرف الاستثناء وما لم يفصل، فأوقعوا على المفصول منه اسم المنفصلات، وعلى غيره اسم ذوات الأسماء المتصلات والمنفصلات فكان العطف على صفة مقدرة. ولما كان الاسمان مختلفين لم يكن جمعهما إلا بحرف العطف ولا سقوط لأحدهما من الآخر إلا بحرف الاستثناء، وألف قطعا للتثنية تعود على الاسمين، وبالله تعالى التوفيق.

... ...

وكل واحد لست نوعا

أكبـــــــــر رابع وصــــــــــــدر منطق

بعكس تلـــــــــوين وبـــــــــاق مغلق

أى ذوات الأسمـاء ستـة ومنفصلاتهـا ستـة ثم لأن الاسم الأكبر منطق فى الأول وفى الـرابع وهو معنى قولنـا (أكبر رابع وصدر منطق) والأصغر منطق فى الثـانى وفى الخامس ، وهـو معنى قـولنا (بعكس تلـوين) والمراد بـالتلوين تلـو الأول وهو الثانى، وتلو الـرابع وهو الخامس، وليس واحـد منهما منطقا فى الثالث وفى السادس، وهو معنى قولنا (وباق مغلق) كنينا بالمغلق عن غير المنطق، وهذه أمثلة ذوات للأسماء.

جـ　　جـ جـ جـ　　جـ　　جـ جـ جـ

٤ ∴ ١٢، ٥ ∴ ٤٥، ٦ ∴ ٣، ١٢ ∴ ٢، ٣ ∴ ١٣، ٧ ∴ ٨

فإذا فصل الأصغر من الأكبر بحرف الاستثناء فهى الستة، وبالله التوفيق

فــإن جــــــــرى أزكـى المــــــــربعين فـى

فضلهمـــــا أبـــــدى مـــــربعـــــا وفـى

فـى الأول الثـــــلاث ذات الأقـــــــرب

لمنطـق والعكــس بـــــــــالعكس يجى

قـال فى «رفع الحجـاب» : «وتتميز الثـلاثـة الأولى عن الأخيـرة بأن تضرب فضل مـا بين مربعى الاسمين فى المـربع الأكبر منهما فإن خرج مربعا فهو من الثلاثة الأولى، وإن كان غير مـربع فهو من الثـلاثة الثـانية، والثلاثـة الأولى من ذوات الاسمين أو من المنفصـلات جـذرهـا أقرب إلى المنطق فى المرتبة من جذور الثلاثة الأخيرة اهـ» وهو مرادنا بالبيتين.

فإذا قيل مثلا: أربعة وجذر اثنى عشر من أى الستة هى؟ فنقـول هذا عـدد وجـذر عدد فليس بـالثـالث ولا بالسـادس المغلقين، والعدد أكبر من الجذر لأن مربع العدد ستة عشر ومـربع الجذر اثنـا عشر، فليس بـالثـانى ولا بالخـامس لأن الأصغـر فيهمـا هـو المنطق ، فلم يبق إلا أن يكـون الفـرض المذكور من الأول والرابع فإن الأكبر فيهما هو المنطق، وهذه صفة فرضنا فهو محتمل للأول والرابع، فنميزه بما ذكرنا:

ونجرى أزكى المربعين أى نضرب أكبـرهما وهو ستة عشر فى فضلهما أى الفضل بينـه وبين المربع الآخر الذى هـو اثنا عشر وذلك الفضل هـو أربعة ، فيبدى الضرب مـربعا وفيًّا أى يظهر عـددا مجذرا موصوفا بالـوفاء لكـونه مربعـا، والمربع مفسرا لكمية جذره فكان أوفى أعداد هذا الباب، وهذا المربع أربعة وستـون فتعلم أن الفرض المذكـور من أول الثلاث ذات الجذر الأقـرب للمنطق وخروج المربع من الضرب المـذكور دليل الأقرب من الجذر المنطق ، ثم إذا علمنـا فى فرضنا أنه من الثـلاث الأول فقد قـام الـدليل على أنـه ليس بالثـانى ولا بالثالث فتعين أنه الأول، وقس على هذا ما أشبهه.

ولو قيل مثلا: ثلاثة وجذر ستة من أيها هو لتصرفت بمثل هذا التصرف إلى أن يبدى الضرب غير مربع، فتعلم أنه الرابع ممـا قلنـا والعكس بـالعكس يجى، أى وإن جـرى أزكى المربعين أيضا فى فضلهما أبدى غيـر مربع من الثلاث الآخر ذات الجذر إلا بعـد من الجذر المنطق، وخروج غيـر المربع دليل البعـد فـاعمـه، ويـاء وفى مخففـة بعـد الـوقف عليهـا بالسكون، عليها لغة ربيعة وازد شنؤة على حد قول الشاعر:

(بيـن جنبـى كـأنـى سعـــــــــــــــدا

جعـل العيـن علـى الســـــدف أبــــــــر)

وقول الآخر

(بئـس قـــــوم الله قـــــوم طـــــرقـــوا

فقـــــدوا ضيفهـم لحمـــــا وحـــــر).

وفى لفظ (وفى) تجنيس مع لفظ (فى) آخر الشطر الذى قبله وفى أول الشطر الذى بعده و (فى الأول) متعلق بأيدى.

فـائدة: قـال الجـوهـرى : العكس ردك آخـر الشىء إلى أولـه، ومنـه عكس البلية عنـد القبـر لأنهم كـانـوا يربطـونهـا معكـوسـة الـرأس إلى مـا يلى كلكلهـا وبطنهـا، ويقـال إلى مؤخـرها ممـا يلى ظهرهـا، ويتركـونها على تلك الحـال حتى تمـوت. وقـال أيضـا : البليـة النـاقـة التـى كـانت تعقل فى الجاهلية عند قبر صاحبها فلا تعلف ولا تسقى حتى تموت، أو تحفر لها حفرة وتترك إلى أن تموت، لأنهم كانوا يزعمون أن النـاس يحشـرون ركبانـا على البـلايـا، ومشـاة إذا لـم تعكس مطـايـاهـم على قبـورهم، وتقـول منـــه أبليت وبليت. قـال الطرماح:

(منـــــازل لا تـــــرى الأنصـــــاب فيهـــــا

ولا حفـــــــر المبــــــــالى للمنــــــون).

أى إنها منازل أهل الإسلام دون الجاهلية اهـ.

وذكرته بطوله إذا لم أر فيـه ما يستحق الإسقاط والحديث

شجـون، ثم قد يطلق العكس على الضـد كقول أبي القـاسم الشاطبي *والعكس نحوها احملا* وهو مجاز، بخلاف قوله * وللمكى عكس تحـولا * فإنه حقيقة، وأما حده في الاصطلاح وانقسامه إلى مستو وغيره فهو وظيفة المنطقي.

قال في «رفع الحجاب» ويلزم مما ذكر من خواصها أنا إذا أردنا إيجادها فإنا ننقص مربعا من مربع ولا يكون الباقي مربعا ونصل جذر الباقي بجذر المربع الأكبر يكون ذا الاسمين الأول وإليه الإشارة بقولنا:

فحط من مربع مربعا

إن لم تجد للباقي فيه مطعما

وجذر باق صل بجذر الأكبر

تكن إذا بأول ذا ظفر

مثاله أن تحط أربعة من ستة عشر وهما مربعان يبقى اثنا عشر وهي غير مربعة فتصل جذر الباقي وهو جذر اثنى عشر بجذر الأكبر وهو أربعة يكون ١٢٤ وهو من النوع الأول.

وكذلك لو أسقطت تسعة من ستة عشر لبقي سبعة فيكون ٤ ج٧ وكذلك لو أسقطت أربعة من خمسة وعشرين لبقي واحد وعشرون فيكون ٥ ج٢١ وكذلك لو أسقطت تسعة من ستة وثلاثين لبقي سبعة وعشرون فيكون ٦ ج٢٧ .

ولا يخفاك كون كل واحد من هذه الأمثلة في نوع ذي الاسمين الأول إذا فهمت ما قدمنا، من تمييزها؛ وياء الباقي في النظم مستغنى عنها بالكسرة قبلها، والضمير في فيه للتربيع المدلول عليه بلفظ مربع ومثله كثير في الكلام الفصيح، ومنه قوله تعالى ﴿وإن تشكروا يرضه لكم﴾ [الزمر: ٧] أي يرضى الشكر، وقوله تعالى ﴿وإنا لنعلم أن منكم مكذبين * وإنه لحسرة على الكافرين﴾ [الحاقة: ٤٩، ٥٠] أي وإن التكذيب، وقوله تعالى ﴿واستعينوا بالصبر والصلاة وإنها لكبيرة﴾ [البقرة: ٤٥] أي وإن الاستعانة على الأولى، وقوله تعالى ﴿ادفع بالتي هي أحسن﴾ [المؤمنون: ٩٦] ثم قال ﴿وما يلقاها إلا الذين صبروا﴾ [فصلت: ٣٥] أي وما يلقى الدفعة، ومنه قول الشاعر:

*** إذا نهى السفيه جرى إليها ***

أي إلى السفه

ثم قال في «رفع الحجاب»: «نضرب مربعين في فضل ما بينهما ولا يكون مربعا ونصل جذر أكبر الخارجين بجذر فضل ما بينهما يكن ذا الاسمين الثاني، وإليه الإشارة بقولنا:

واجر في مربعين فضل ما

بينهما إن كان من ذاك احتمى

وجذر أزكى الخارجين فصلا

بجذر ما بينهما فيما تلا

ومثاله: تسعة وأربعة مربعان فاجر أي اضرب ما بينهما، وهو خمسة، في كل واحد منهما على حدته، لأن الفضل المذكور، وهو الخمسة، احتمى أي امتنع من ذلك أي أن التربيع، يخرج من ضربه في التسعة خمسة وأربعون ومن ضربه في الأربعة عشرون فصل جذر أزكى الخارجين وهو جذر خمسة وأربعين بجذر ما بين الخارجين، والذي بينهما هو خمسة وعشرون وجذرها خمسة، يكن ٥ ج٤٥، تفعل هذا كله فيما تلا أي في ذي الاسمين الثاني إلى تلا الأول أي تبعه.

ولو جعلت المربعين أربعة وواحد لكان ٣ ج١٢

ولو جعلتها ستة عشر وأربعة لكان ١٢ ج٩٢ ١ (٥)

فإذا راجعت ما أسلفناك من التمييز بين أنواع ذوات الأسماء لم ترتب في أن هذه الأمثلة من نوع ذي الاسمين الثاني، وقس على هذا ما شاكله، والألف في صلا بدل من النون الخفيفة، وفيما تلا يطلبه أجر وصلا، فهو من باب التنازع، وإن كان اجر قد تعدى بفي قبل ذلك لاختلاف المعنيين اختلافا ما، وإن شئت علقته بمحذوف كما تقدم تقديره كأنه تفسير، قال في «رفع الحجاب» ونضرب مربعين في غير فضل ما بينهما ويكون مربعا ونصل جذر أكبر الخارجين بجذر فضل ما بينهما يكون ذا الاسمين ثالث: وإليه الإشارة بقولنا:

وعوض الفضل بغير الفضل

في ثالث وامض على ذا الأصل

أي اجعل في إيجاد ذي الاسمين الثالث غير الفضل بين المربعين عوضا من الفضل بينهما فاضربهما في غير الفضل في هذا الوجه كما كنت تضربهما في الفضل نفسه في الوجه

الثانى ، وامض على هذا الأصل المتقدم فى الوجه الثانى بعد ذلك.

مثاله : تسعة وأربعة مربعان تضرب كل واحد منهما على حدته فى أى عدد غير مربع شئت ما عدا الفضل بينهما، وكان ضربنا هما فى اثنين فكان الخارج ثمانية عشر وثمانية . فنصل جذر أكبر الخارجين بجذر فضل ما بينهما يكون ١٠ جـ١٨ .

ولو جعلت المربعين أربعا وواحدا وعوضت الفضل باثنين ومضيت على هذا الأصل لكان ٨ جـ٦ ولا مرية أن هذين المثالين من نوع ذى الاسمين الثالث بشهادة ما سلف من التميز قال فى «رفع الحجاب» : وننقص عددا غير مربع من مربع ولا يكون الباقى مربعا، ونصل جذر الباقى ، بجذر المربع يكون ذا الاسمين الرابع»

وإليه الإشارة بقولنا:

وحط من مربع سواه لا

مبقيه وجذر ما يبقى صلا

بجذره فى رابع ...

مثاله: تسعة مربع وثلاثة سواه لى غير مربع فتحط ثلاثة من تسعة يبقى ستة، وهو غير مربع، كما قلنا (لا مبقيه) اى كما يشترط فى المطروح ان يكون غير مربع فكذلك يشترط فيه ان لا يكون (ما) يبقى مربعا بعد الطرف، فتصل جذر ما بقى، وهو الستة بجذره أى بجذر المربع، وهو فى مثالنا التسعة، فيكون ٣ جـ٦ تفعل كل هذا فى رابع أى فى ذى الاسمين الرابع.

وكذلك خمسة من ستة عشر الباقى أحد عشر، فتصل جذرها بجذر الستة عشر يكون ٤ جـ١١ وكذلك سبعة من خمسة وعشرين، الباقى ثمانية عشر فتصل جذرها بجذر الخمسة والعشرين فيكون ٥ جـ١٨ وكلها من الرابع، وقد علمت الضمير فى سواه ومبقيه وجذره لمربع.

قال فى «رفع الحجاب» ونزيد مربعا على مربع ولا يكون مجموعهما مربعا ونصل جذر المجموع بجذر أحد المربعين، يكون ذا الاسمين الخامس» وفيه قلنا :

... ... ثم اجتمعا

مربعين حرما مربعا

وصل بجذر الكل جذر ما تحب

من ذين يبد خامس كان حجب

مثاله: تسعة وأربعة مجموعهما ثلاثة عشر وهى غير مربعة، فهما مربعان حرما مربعا أى منع أن يكون مجموعهما مربعا، فتصل جذر الكل أى المجموع بجذر ما تشاء من هذين المربعين فإما أن يكون ٣ جـ١٣ أو ٢ جـ١٣

وكذلك ستة عشر وأربعة مجموعهما عشرون فصل جذر العشرين بجذر أحد المربعين فيكون ٤ جـ٢٠ أو ٢ جـ٢٠

وكذلك تسعة وخمسة وعشرون ومجموعهما أربعة وثلاثون، فصل جذرها بجذر أحد المربعين فتقول ٣ جـ٣٤ أو ٥ جـ٣٤.

يبد أى يظهر ذو الاسمين الخامس الذى من صفته أنه كان محجوبا عن الأفهام قبل هذا الإيجاد، وحرما بتخفيف الراء من باب الحرمان، ويبد مجزوم على جواب الأمر. قال «فى رفع الحجاب»: وتزيد عددا غير مربع على مربع ولا يكون مجموعهما مربعا، وتصل جذر المجموع بجذر العدد المزيد فيه يكون ذا الاسمين السادس، وإليه الإشارة بقولنا:

وزد سوى مربع مربعا

ولا يكن مربعا ما اجتمعا

وصل بجذر ما سوى المربع

الجذر فى السادس من مجتمع

مثاله : ثلاثة، وهى غير مربعة، زدها أربعة، وهى مربعة، يكن المجتمع سبعة وهو غير مربع، وصل بجذر ما سوى المربع، وهو ثلاثة ، الجذر من المجتمع يكن ذاك ٣ جـ٧ وهذا العمل المذكور فى السادس أى ذى الاسمين السادس.

مثاله منه آخر: اثنان زدها على تسعة يكن المجتمع احد عشر، فصل جذرها بجذر ما سوى المربع يكن جـ١١ ٢ .

ومثال منه آخر: خمسة زدها على ستة عشر يكن المجتمع واحدا وعشرين، فصل جذر هذا المجتمع بجذر ما سوى المربع يكون ٥ جـ٢١ .

وقد علمت أن الجذر مفعول بصل، ومن مجتمع حال منه وفي السادس أحد ركني جملة معترضة بين الحال وصاحبه.

ولما فرغ في «رفع الحجاب» من إيجاد المتصلات، قال: «وإذا استعملنا الانفصال بحرف الاستثناء عوضا عن الوصل بحرف العطف كانت المنفصلات»، وبالله تعالى التوفيق:

فحط من ربع مربع الكبير
مجذرا نظيره من الصغير
وجذر باق زد لنصفه الأكبر
وانقصه منه ثم كلا جذر
فالخارجان جذر ذي اسمين وما
بينهما جذر الذي قد فصما

تضمنت هذه الأبيات معنى قوله في (التلخيص): «وإما بجذير ذوات الأسماء والمنفصلات فهو أن تسقط ربع مربع صغر الاسمين من مربع أكبرهما وتأخذ جذر الباقي وتحمله على نصف أكبر الاسمين، وتنقصه أيضا من نصف أكبر الاسمين، وتوقع الجذر على كل واحد منهما، فإن كان المطلوب جذره ذا اسمين فجذره مجموع هذين الجذرين، وإن كان منفصلا فجذره فضل ما بين هذين الجذرين. اهـ» وليس فيه من هذا الباب زيادة على هذه المسألة ومجذرا حال من الضمير في حط، ونظيره مفعول بحط، وضميره عائد على ربع مربع الكبير، فالنظير إذا مربع الصغير، ولنا أن نقول عوضا منه:

فحط من ربع مربع الكبير
مجذرا ربع مربع الصغير

وهو أولى، وجذر مفعول مقدم لزد، وفصم بمعنى فصل، وأصل فصم الشيء على ما قال الجوهري كسره من غير أن يبين، تقول فصمته فما انفصم، قال الله عز وجل ﴿**لا انفصام لها**﴾ [البقرة: ٢٥٦] وإنما قدمت تشقيق اللفظ لأن تصحيح المتن كالأساس لما ينبى عليه.

وهذا مثال من العدديين المنطقين يقرب هذا العمل من الأفهام ويكون شاهدا بصحته في غيرها.

إذا قيل جذر عشرة وستة، فقد علمت أن مجموعهما ستة عشر وإن جذر مجموعهما أربعة، فتحط ربع مربع الستة وهو تسعة من ربع مربع العشرة، هو خمسة وعشرون، وتأخذ جذر البقية وهو أربعة فتحمله على الخمسة، نصف الاسم الأكبر، بتسعة، فتأخذ جذرها بثلاثة وتحطه أيضا، أغني جذر البقية الذي هو أربعة من الخمسة نصف الاسم الأكبر، يبقى واحد، فتأخذ جذره، بواحد، فتجمع الجذرين المأخوذين بأربعة، وهو جذر مجموع الاسمين.

ولو كنت تأخذ جذر عشرة إلا ستة لكنت تحط الجذر المأخوذ ثانيا وهو واحد من الجذر المأخوذ أولا، وهو ثلاثة، يبقى اثنان، وهو جذر فضل العشرة على الستة.

وتصرف في هذا المثال بعينه بالعملين المذكورين بعد.

ثم اعمل بمثل ذلك في المقصود بالذات، وهو ذوات الأسماء والمنفصلات ويظهر لك صغر الاسمين من أكبرهما بتربيعهما.

فأما العدد العاري من الجيم فتربيعه ضربه في نفسه وأما المكتوب عليه الجيم فتربيعه بزوال الجيم عنه.

وتتوقف الزيادة المذكورة في أكثر الصور على معرفة ما يأتي بعد إن شاء الله تعالى في جمع الجذور، كما أن النقص يتوقف على معرفة ما يأتي من صفة طرح الجذور غالبا.

وهذا تجذيرها بالعمل المذكور مرتبة:

أما الأول فمثاله: ٢ $\overset{\text{ج}}{\overline{٣}}$ وصفة تجذيره أن تربع اثنين بأربعة، وتربع جذر ثلاثة، بثلاثة، فتحط ربع ثلاثة، وهو ثلاثة أرباع من ربع أربعة، وهو واحد، يبقى ربع، فخذ جذره، وهو نصف، فزد إليه نصف أكبر الاسمين الذي هو اثنان، وذلك واحد، يجتمع واحد ونصف ثم ارجع وانقص أيضا هذا النصف من الواحد الذي هو نصف أكبر الاسمين، يبقى نصف، فيكون معك اسمان أحدهما واحد ونصف، والآخر نصف فتوقع الجذر على كل واحد منهما يكون ذلك ١ $\overset{\text{ج}}{\overline{\frac{١}{٢}}}$ $\overset{\text{ج}}{\overline{\frac{١}{٢}}}$

وأما الثاني فمثاله: ٣ $\overset{\text{ج}}{\overline{١٢}}$ وصفة تجذيره أن تربع ثلاثة تكون تسعة وتربع جذر اثنى عشر تكون اثنا عشر، ثم حط ربع التسعة وهو اثنان وربع من ربع الاثنى عشر، وهو ثلاثة، يبقى ثلاثة أرباع، فإذا أردت أخذ جذره لم تجد له جذرا منطقا فتوقع عليه لفظ الجذر يكون جذر ثلاثة أرباع، فاحمله

على نصف أكبر الاسمين، وانقصه أيضا منه وأوقع الجذر على كل واحد منهما، يكون الخارج، بعد التصرف بصناعة القسمة والجمع والطرح الآتية جذر ستة وثلاثة أرباع وجذر جذر ثلاثة أرباع

جـ ٦ ٣/٤   جـ جـ ٣/٤

وأما الثالث فمثاله: جـ ٣٢ جـ ١٤ فإذا أخذت جذره كما تقدم كان بعد الجمع والطرح ثلاثة ونصفا وجذر أربعة وثلاثة أرباع مأخوذا جذره، وثلاثة ونصفا إلا جذر أربعة وثلاثة أرباع مأخوذا جذره وهو المسمى بالأعظم كما سيأتي إن شاء الله تعالى وصورته

جـ ٣ ١/٢ جـ ٤ ٣/٤   جـ ٣ ١/٢ إلا جـ ٤ ٣/٤

وأما الرابع فمثاله جـ ٣٦ جـ ١٤ فإذا أخذت جذره كما تقدم كان جـ ٢٤ جـ ١/٢ جـ ١/٢

واما الخامس فمثاله ٤٤٥ جـ ٢٠٣ فان أخذت جذره بما تقدم كان جذر خمسة وجذر اثنين وثلاثة أرباع مأخوذا جذره وجذر خمسة إلا جذر اثنين وثلاثة أرباع مأخوذا جذره وصورته:

جـ ٥ جـ جـ ٢ ٣/٤   جـ ٥ إلا جـ جـ ٢ ٣/٤

وأما السادس فمثاله جـ ١٠ جـ ١١ فإذا أخذت جذره بما تقدم كان نصفا وجذر اثنين وثلاثة أرباع مأخوذا جذره وجذر اثنين وثلاثة أرباع إلا نصفا مأخوذا جذره وصورته:

جـ ١/٢ جـ ٢ ٣/٤   جـ جـ ٢ ٣/٤ إلا ١/٢

فهذا بيان الخارج من ذوات الأسماء المتصلة إذا جذرت وهو الخارج من المنفصلات بعينه إلا أنك تفصل بين الخارج الأكبر والخارج الأصغر بحرف الاستثناء.

تتمة: قال في «رفع الحجاب»: وجذر ذي الاسمين الأول هو ذو اسمين من الستة، وجذر الثاني يقال له ذو الوسطين الأول، وجذر الثالث يقال له ذو الوسطين الثاني وجذر الرابع يقال له الأعظم، وجذر الخامس يقال له القوى على منطق وموسط، وجذر السادس للقوى على موسطين.

وجذر المنفصل الأول هو منفصل من الستة، وجذر المنفصل الثاني يقال له منفصل الموسط الأول، وجذر المنفصل الرابع يقال له الأصغر، وجذر المنفصل الخامس يقال له المتصل بمنطق، وجذر المنفصل السادس يقال له المتصل بموسط، يصير الكل موسطا، وكل واحد من جذور المنفصلات هو منفصل جذر نظيره من الأسماء. فجميع الصم غير المنطقة أربعة وعشرون عددا، وهي المنطق في القوة، والموسط وذوات الاسمين الستة ومنفصلاتها الستة وجذورها العشرة، لتكرر جذر الأول من الاسميات ومن المنفصلات وبينا أعمال الصم على المنطق في القوة ويتصل به الموسط اهـ.

وليكون جذر ذي الاسمية الأول هو ذو اسمين من الستة، وجذر المنفصل الأول هو منفصل من الستة، يكون الجذر في بعض صورها عددا وجذر عدد مثاله ٤ جـ ١٢ جذره: ١ جـ ٣ جذر لذي اسمين.

وكذلك ٤ إلا جـ ١٢ جذره جـ ٣ إلا ١، وذلك خاص بهما، وبالله تعالى التوفيق.

أو جـذر مـا بين المـربعين زد
لأكبـر وانقص ونصف مـا تجـد
جـذره أو زد ونصف مـا قـد عظمـا
وحط منـه جـذر ربع الفضل مـا
بينهمـا وجـذِّرن مـا ظهـرا
واحكم لـه بمثل مـا قـد ذكـرا

هذان وجهان آخران في تجذير ذوات الأسماء والمنفصلات ولنفرض العمل بهما في مثال من ذي الاسمين الأول، فإذا قيل: ثمانية وجذر ستين كم جذرها؟

فبأول هذين الوجهين: تربيع الثمانية، بأربعة وستين، وتربيع جذر ستين، بستين، ثم تعمد إلى الفضل بين هذين

المربعين وهو أربعة، فتأخذ جذره، وهو اثنان فتزيده لأكبر الاسمين، وهو ثمانية يكون ذلك عشرة، وتنقصه أيضا من أكبر الاسمين، يكون الباقي ستة، ثم تعمد لما تجد بعد العمل المتقدم، وهو العشرة والستة تأخذ النصف من ذلك، وهو خمسة وثلاثة، وتجذِّر كل واحد منهما بالجيم فيكون هذا ٥ ٣ *واحكم له بمثل ما قد ذكرا* في قولنا أولا *فما يكن فجذر ذي اسمين وما* بينهما جذر الذي قد فصما* وجذر ما بين المربعين مفعول مقدم بزد، وانقص معطوف على زد الدال على فصيلة أي وانقصه منه أيضا، ونصف ما تجد مفعول بمضمر يفسره (جذره) من باب الاشتغال، ويجوز رفعه بالابتداء وجذر ربع الفضل مفعول حط، ويطلب أيضا زد على أن يكون مفعوله الثاني من باب التنازع، والعمل للثاني على اختيار أهل البصرة، ولم يؤت في الأول المتصل بالضمير لأنه فضلة، ومنه قوله تعالى﴿ آتوني أفرغ عليه قطرا﴾ [الكهف: ٩٦] وأما قول أبي القاسم الشاطبي *ومهما تصلها أو بدأت براءة* فتخرج على أنه نادر كقول الشاعر.

إذا كنت ترضيه ويرضيك صاحب

جهارا فكن في الضيف أحفظ للعهد

وألغ أحاديث الوشاة فقلما

يحاول واش غير تغيير ذي ود

على أن الشاطبي كان يمكنه أن يقول: *ومهما وصلت أو بدأت براءة* لكن: لو قال هكذا لكان مقبوضا، والقبض في مثله مما تهجره الطباع، بأثر ما له أثر في الذوق على غيره والتغيير بين البيت الأول والثاني أخف مما منه بين الثاني والثالث، وبالله تعالى التوفيق.

وبعدنّ ما قرَّب ابن قنفذ

واختبرن بها اختبارك الذي

وربما تنفع في القليل

من المعادلة وللتعديل

ابن قنفذ هو أبو العباس أحمد بن حسن بن علي بن قنفذ القسنطيني أحد شراح «التلخيص» المجيدين، سمى شرحه عليه «حط النقاب عن وجوه أعمال الحساب» صنفه عام اثنين وسبعين وسبعمائة في نحو خمسة وعشرين يوما بمدينة فاس، فأجاد فيه ما شاء رحمه الله تعالى وبرد ثراه، بيد أنه لشدة حرصه على التعليم ارتكب منزعا في تجذير ذوات الأسماء والمنفصلات عدل فيه عن المهيع، إذ صار، متى احتاج في أثناء العمل إلى أخذ جذر عدد مفروض له عدد مجذور، أخذ جذره بتقريب، وإنما مقتضى الصنعة أن يوقع عليه الجذر، ثم يجمع بقواعد جمع الجذور ويطرح بضوابط طرحها كما فعلنا فيما تقدم فمن ذلك أنه لم جاء لتجذير ذي الاسمين الثاني قال في ذلك ما نصه: ولو قيل لك ثلاثة وجذر اثنى عشر وهي هكذا ٣ ١٢ كم جذرها؟ وهو ذو الاسمين الثاني فاسقط ربع تسعة من ربع اثنى عشر تبقى ثلاثة أرباع خذ جذرها بتقريب وذلك سبعة أثمان احملها على نصف أكبر الاسمين الذي هو الاثنا عشر، والنصف ستة، يخرج ستة وسبعة أثمان، وانقصها أيضا من نصف أكبر الاسمين وذلك أن تطرح سبعة أثمان من ستة، الباقي خمسة وثمن أوقع الجذر على كل واحد منهما يكن الخارج جذر ستة وسبعة أثمان وجذر خمسة وثمن وهي هذه ٦ $\frac{٧}{٨}$ ٥ $\frac{١}{٨}$ اهـ، وعلى هذا الأسلوب جرى فيما بعد وقد علمت أن الخارج من تجذير هذا المثال بعينه حسبما أسلفناه إنما هو ما ترى ٦ $\frac{١}{٢}$ $\frac{٣}{٤}$ لقد وقف بعض المحققين من شيوخنا في هذا الفن على كلامه هذا ونحن نقرأ عليه في هذا العمل من «التلخيص»، فاستبعده بل استلانه واستهجنه، فإلى هذا الإشارة بقولنا *وبعدن ما قرب ابن قنفذ*، على أنه رحمه الله تعالى لم يفعل ذلك قصورا، بل اقتصارا فإنه استشعر ما فيه واعتذر عنه عند الفراغ من تجذيرها، فقال: وإنما أخذت جذرها بتقريب ليكون أقرب في التأمل وأسهل على المبتدى فقلت مثلا جذر نصف ثلاثة أرباع بتقريب وهو أحسن من أن نقول جذر نصف ويطول العمل في هذا ويفسد الفهم فيه اهـ» والله أعلم فكذا فعله غفر الله تعالى لنا وله.

ثم اعلم أن معظم فائدة معرفة ذوات الأسماء والمنفصلات اختبار إفهام الطلبة وامتحان إدراكهم وتمرينهم، كما يقوله النحاة في الاختبار بالذي والألف واللام، والصرفيون في بناء مثل من مثال، وهو معنى قولنا واختبرن بها اختبارك الذي أي اختبر إفهام الطلبة بعملها كاختبارك إياهم بباب الذي، وقد ينتفع بها في القليل من معادلة الجبر والمقابلة وتعديل الكواكب، كما قلنا في النظم، من صنعة البديع بين بعدن

وقرب النوع المسمى بالمطابقة والطباق والتضاد، وهو الجمع بين ضدين أو متقابلين فى الجملة، ويكون بين اسمين، نحو:

﴿وتحسبهم أيقاظا وهم رقود﴾ [الكهف : ١٨] وفعلين نحو : ﴿وإنه هو أمات وأحيا﴾ [النجم: ٤٤] وحرفين نحو: ﴿لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت﴾ [البقرة : ٢٨٦] ومختلفين نحو: ﴿أو من كان ميتا فأحييناه﴾ [الأنعام : ١٢٢] وتجنيس الاشتقاق بين اختبرن واختبار، وبين المعادلة والتعديل، ومنه: ﴿وأسلمت مع سليمان﴾ [النمل: ٤٤] ﴿فأقم وجهك للدين القيم﴾ [الروم : ٤٣] وبالله التوفيق (بغية الطلاب / ١٥٨ـ١٧٦).

(المعونة فى علم الحساب الهوائى لابن الهائم المقدسى- دراسة وتحقيق خضير عباس محمد المنشداوى / ٢١٥ـ٢٤٤ ، وبغية الطلاب فى شرح منية الحُسَّاب لابن غازى المكناسى الفاسى- تحقيق وتقديم د. محمد سويسى / ١٥٨ـ١٧٦).

انظر مادة «الجذر» فى م ١٢ / ٧٩ ، ٨٠

*** ذوات الألبان:**

من مصنفات التراث الإسلامى فى علم النبات وعلم الفلاحة، وورد عنه ما يلى لمؤلف مجهول من القرن الثامن الهجرى: قال يعدد أنواع هذه النباتات:

ومن النبات ما له رطوبات تسميها الأطباء يتوعات، وهى مثل اللبن. وزعموا أنها فضلات فضلت من النبات عن أغذيته التى يجذبها إلى نفسه من الأرض والماء، فإذا كانت الرطوبة متوفرة غلظت وابيضت فصارت كالبلغم فى الحيوان، فإذا اشتدت عليها احمرت فصارت كالدم المتولد فى الحيوان من شدة الحرارة. وهذه الرطوبات فى العُشَر والشبرم، وهو ينبت فى البساتين.

واللاعية، وهى شجرة لها ساق رقيق مجوف لونه أبيض، وله أغصان قليلة، ولها ورق يشبه آذان الجدى، وفى أعلى الأغصان شبه جمم صغار ولها ثمر قدر حب البر، وهذه الشجرة تنبت فى سفوح الجبال المخصبة.

والعرطنيثا، وهو بخور مريم.

والماذريون، وهو أحد أنواع الآس (انظر مادة «الآس فى م ١/ ٤٥٩ـ٤٦٢).

وذو الخمس أوراق، وهو شجر يعرف بآذان الفأر (انظر مادة «آذان الفأر» فى م ١/ ٤٤٠١، ٤٤٩)

وضرب من اللبلاب والعرفج البرى.

وذكر أبو الخير يتوعات كثيرة غير ما ذكرناه يضيق نطاق كتابنا عن ذكرها، وذكر منها السقمونيا، وهى المحمودة، وقال: ونبات هذا النوع من اليتوع مختلف فيه، وذكر الاختلاف. وحاصل الأمر أن أصل هذا النبات مجوف مملوء رطوبة، وهو فى غلظ العضد، وأوراقه قليلة، وهو يدب تحت الأرض. وهذا الرطوبة هى السقمونيا ، ونباته يكون فى زمن الصيف وهو كثير ببلاد الأندلس بناحية بطليوس، وبناحية أشبيلية، ومنابته قريبة من الأنهار والمياه الجارية. وكيفية أخذ هذه الرطوبة بأن يقطع رأس الأصل ويقوَّر على الاستدارة، فإن الرطوبة تسيل من ذلك التجويف، وتجتمع فى الصدف. ومن الناس من يحفر حفيرة فى الأرض ويغرس فيها ورق الجوز، وتجرى الرطوبة إليها، وتترك حتى تجف. وتسمى هذه الرطوبة المحمود على طريق الفأل، وقيل إنها سميت المحمودة لأن فعلها محمود فى الدواء وقلة غائلتها بالنسبة إلى غيرها من اليتوعات. وإذا نطق الأطباء اليتوع، فإنما يريدون الشبرم، وذكروا أن منه ذكرًا وأنثى وأقواها الذكور، ويشبه ورقه ورق الزيتون إلا أنه أقصر منه وأقل عرضا، يشبه ورق الآس . وينبت فى الجبال الوعرة. والأنثى أكبر من الحشيشة التى تسمى آذان الفأر. ويثمر سنة وسنة لا يثمر، وثمرها يشبه الجوز .

ومن اليتوعات، الأفيون، وهو لبن يستخرج من الخشخاش، وصفة استخراجه أن يعمد إلى الخشخاش الكامل الانعقاد فى الأوقات التى يجف فيها الندى، فتشرط الخشخاشة من أعلاها إلى أسفلها شرطًا لا ينفذ منه. فإذا خرج اللبن يؤخذ بالإصبع ويجمع فى صدفة، فإذا مسك يترك، فإذا ظهر يجمع يفعل به ذلك مرارًا فى اليوم، وهو من خصائص أرض مصر. ولا يوجد إلا فى ناحية منها وهى ناحية أسيوط.

(مفتاح الراحة لأهل الفلاحة لمؤلف مجهول من القرن الثامن الهجرى ــ تحقيق ودراسة د. محمد عيسى صالحية، ود. إحسان صدقى العمد/ ٢٩٤ـ٢٩٦).

*** ذوات الفرائد:**

من مصنفات التراث الإسلامى فى الطبيعيات مخطوط مصور بمعهد المخطوطات العربية وجاء بيانه كما يلى:

وهى رسالة من كلام الأستاذ مؤيد الدين أبى إسماعيل الحسين بن على الطغرائى.

أولها: قال: من الأسرار الكبار، قول هرقل: إن فى التبييض أحد عشر سرًا، وهو مثل قول جابر: تحتاج الأرض من الماء إلى عشر أضعافه، وإنما يريد جابر بالماء الورقى، ويريد بالأرض الثقل الباقى منه ... إلخ.

وآخرها: فهذه الأوزان التى قد أكثروا فيها الإلباس قد شرحناها بغاية البيان، والحمد لله وحده وصلواته على عبده سيدنا محمد وآله أجمعين ... إلخ.

ـ نسخة بقلم نسخى فارسى [مكتوبة سنة ١٠٨٨].
ومسطرتها ٢٥ سطرا		١٢×١٩ سم

(ضمن مجموعة من ورقة ١٨٥ـ١٨٧).

[دار الكتب المصرية ـ ٧٣١ طبيعيات]

(فهرس المخطوطات المصورة، معهد المخطوطات العربية ج٣ العلوم ق٤ الكيمياء والطبيعيات ـ وضع فؤاد سيد. القاهرة ١٩٦٣/ ٤٧).

*** ذؤالة:**

اسم للذئب كأسامه للأسد وهو معرفة، سمى بذلك لأنه يذأل فى مشيته من الذألان وهو المشى الخفيف، وفى الحديث أن النبى ﷺ مر بجارية سوداء ترقِّص صبيًا لها وتقول: *ذؤال يا ابن القرم يا ذؤال* فقال ﷺ: لا تقولى ذؤالة فإنه شر السباع. وذؤال: ترخيم ذؤالة، والقرم: السيد.

(حياة الحيوان الكبرى للشيخ كمال الدين الدميرى ١/ ٣١٨).

*** ذوب الذهب فى محاسن من شاهدت من العرب وأهل الأدب:**

فى تراجم العلماء والشعراء باليمن، تأليف محسن بن الحسن بن القاسم الصنعانى اليمانى. عاش إلى سنة ١١٨٩ تسع وثمانين ومائة وألف. أوله: نحمد من أعان وأبان وأطلع فى أفق الإحسان نجوم البيان ... إلخ.

(إيضاح المكنون للبغدادى ١/ ٥٤٤).

*** الذوق:**

قال الراغب الأصفهانى:

الذوق وجود الطعم بالفم وأصله فيما يقلّ تناوله دون ما يكثر، فإن ما يكثر منه يقال له الأكل واختير فى القرآن لفظ الذوق فى العذاب لأن ذلك وإن كان فى التعارف للقليل فهو مستصلح للكثير فخصه بالذكر ليعم الأمرين وكثر استعماله فى العذاب نحو ﴿**ليذوقوا العذاب**﴾ [النساء: ٥٦] ﴿**وقيل لهم ذوقوا عذاب النار**﴾ [السجدة: ٢٠] ﴿**فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون**﴾ [الأنعام: ٣٠] و[الأنفال: ٣٥] ﴿**ذق إنك أنت العزيز الكريم**﴾ [الدخان: ٤٩] ﴿**إنكم لذائقوا العذاب الأليم**﴾ [الصافات: ٣٨] ﴿**ذلكم فذوقوه**﴾ [الأنفال: ١٤] ﴿**ولنذيقنهم من العذاب الأدنى دون العذاب الأكبر**﴾ [السجدة: ٢١] وقد جاء فى الرحمة نحو ﴿**ولئن أذقنا الإنسان منا رحمة**﴾ [هود: ٩] ﴿**ولئن أذقناه نعماء بعد ضراء مسته**﴾ [هود: ١٠] ويعبر به عن الاختبار فيقال أذقته كذا فذاق، ويقال فلان ذاق كذا وأنا أكلته أى خبرته فوق ما خبر، وقوله: ﴿**فأذاقها الله لباس الجوع والخوف**﴾ [النحل: ١١٢] فاستعمال الذوق مع اللباس من أجل أنه أريد به التجربة والاختبار، أى فجعلها بحيث تمارس الجوع والخوف، وقيل إن ذلك على تقدير كلامين كأنه قيل أذاقها طعم الجوع والخوف وألبسها لباسهما. وقوله ﴿**وإذا أذقنا الإنسان منا رحمة**﴾ [يونس: ٢١] فإنه استعمل فى الرحمة الإذاقة وفى مقابلتها الإصابة فقال ﴿**وإن تصبهم سيئة**﴾ [النساء: ٧٨] تنبيها على أن الإنسان بأدنى ما يعطى من النعمة يأشر ويبطر إشارة إلى قوله تعالى ﴿**كلا إن الإنسان ليطغى * أن رآه استغنى**﴾ [العلق: ٦، ٧] (المفردات/ ١٨٢)

والذوق اصطلاحات الصوفية هو أول درجات شهود الحق بالحق فى أثناء البوارق المتوالية عند أدنى لبث من التجلى البرقى فإذا زاد وبلغ أوسط مقام الشهود سمى شربا، فإذا بلغ النهاية سمى ريًا، وذلك بحسب صفاء السر عن لحظ الغير

(اصطلاحات الصوفية/ ١٦٢) (المفردات فى غريب القرآن للراغب الأصفهانى ـ تحقيق وضبط محمد سيد كيلانى/ ١٨٢، واصطلاحات الصوفية للشيخ كمال الدين عبد الرزاق القاشانى ـ تحقيق وتعليق د. محمد كمال إبراهيم جعفر/ ١٦٢. انظر أيضا قاموس القرآن أو إصلاح الوجوه والنظائر فى القرآن الكريم للإمام الدامغانى ـ حققه ورتبه وأكمله وأصلحه عبد العزيز سيد الأهل/ ١٨٦، ١٨٧).

*** الذوق (حاسة-):**

عن عضو أو «آلة» أو «حاسة» الذوق يقول صاحب ذيل تذكرة أولى الألباب:

القول في آلة الذوق: وهي اللسان والرطوبة واللسان لحم رخو متخلخل بين بياض وحمرة حالة الصحة وطرفه الخارج بمفصلين: طرف التصق بالأعصاب والعضل، وآخر عرضى ينطوى تحته عروق مشيمية وغدد إسفنجية إلى البياض يستحيل فيه الدم لعابا ويجرى من عروق تسمى السواكب إلى جرم اللسان فيخالط المذوقات فيحصل الإحساس إما لتخلخل الأجسام أو تكيف الرطوبة بالطعوم على الخلاف السابق في الشم وخلقت تفهة لتباين الطعوم فتعرفها وقد علمت كيفية الأعصاب.

فوائد الأولى: كلما دق اللسان ورق غشاؤه وحسنت استدارته وطال كان أفصح وإذا عرض كان أثقل. الثانية: أصل اللسان متصل بالقصبة فمنه إلى آخر الفم مواضع الحروف وقد قالوا إن الحروف معه قسمان إما هوائية يستغنى فى النطق بها عن اللسان وحده وهى الألف والواو والياء أو جرمية وهذه ثلاثة أقسام إما منطق بأصل اللسان الداخل والحلق كالكاف والقاف أو بواسطة كالجيم والشين أو آخره كالبواقي غير الشفوية أو يتعلق بمنجرد الشفة وهى ثلاثة الفاء والباء والميم وعلى كل حال فالحرف لا بد لها من إحياز الفم والصحيح أن كل حرف له مخرج فإذا تغير النطق بحرف منها نظرنا فى محله من المفصل والأعصاب فأصلحناه وذلك لأن التغير قد يكون لفرط الرطوبة كمن يعسر عليه النطق بالراء والسين فيجعل الأولى غينا والثانية شينا وهذا بفرط الرطوبة قطعا ومن ثم يزول بزوال الصغر وقلة الرطوبة وموضع الحرفين المذكورين شعب العصب الآتى من مقدم الدماغ وقد عرفت أنه لين جدا فعلى هذا تقاس البواقى كلها ولأهل علم الحروف بها عناية شديدة فى استخراج طبائعها وخواصها لا يحتمل بسطه هذا المحل. الثالثة: كل ما قارب لسانه فى الوضع لسان الإنسان أمكن نقطه بالحروف كالببغاء والغراب. الرابعة: أن من الحيوان ما قلب لسانه فجعل العريض إلى الخارج كالفيل ولولا ذلك لنطق بالحروف. الخامسة: أن اللسان إذا جف سقط الذوق ولو ثبت من غير تحرك لعسر الازدراد وتعذر وعليه يمتنع الغذاء أو يفسد البدن فإذا هو معظم الآلات السادسة: أن غالب المخرزات خصوصا ذوات السموم فرق لسانها بقسمين لفرط اليبس وذلك لعفن أبدانها لعدم ذوقها وتمييزها (النزهة المبهجة ١/ ١٢٧ـ١٢٩).

وقال التهانوى: الذوق بالفتح وسكون الواو فى اللغة مصدر ذاق يذوق وعند الحكماء وهو قوة منبثة أى منتشرة فى العصب المفروش على جرم اللسان تدرك بها الطعوم بواسطة الرطوبة اللعابية بأن تخالطها أجزاء لطيفة من ذى الطعم ثم تغوص هذه الرطوبة معها فى جرم اللسان إلى الذائقة فالمحسوس حينئذ كيفية ذى الطعم وتكون الرطوبة واسطة لتسهيل وصول الجوهر المحسوس الحامل للكيفية إلى الحاسة أو بأن تكليف نفس الرطوبة بالطعم بسبب المجاورة فتغوص وحدها فتكون المحسوس كيفيتها. ثم هذه الرطوبة عديم الطعم فإذا خالطها طعم فإما أن تتكيف به أو تخالطها أجزاء من حامله لم ترد الطعوم إلى الذائقة كما هى بل مخلوطة بذلك الطعم كما للمرضى ولذا يجد الذى غلب عليه مرة الصفراء الماء التفه (تفه الطعام لم يكن له طعم المعجم الوجيز/ ٧٦)، والسكر الحلو مرا ومن ثم قال البعض الطعوم لا وجود لها فى ذى الطعم وإنما توجد الطعوم فى القوة الذائقة والآلة الحاملة كذا فى شرح المواقف. قال الجلبى فى حاشية المطول فى شرح خطبة التلخيص: الذوق قوة إدراكية لها اختصاص بإدراك لطائف الكلام ومحاسنه الخفية (كشاف اصطلاحات الفنون ٢/ ٥١٣).

ويقول ابن رشد عن الأعراض التى تدخل على حاسة الذوق: وحاسة الذوق تدخل عليها الأعراض على تلك الأوجه الثلاثة، وذلك إما أن تبطل أو تضعف أو تحس حسا رديئا، والسبب فى بطلانها وهو أحد أصناف سوء المزاج، وذلك إذا كان حدوثه إما فى آلة هذه الحاسة نفسها، وهو اللسان أو فى العضو المشارك له، وهو الدماغ، أو العصب الذى يأتيه منه، وضعفه يكون لهذه الأسباب بعينها إذا كانت أنقص. وأما ما يعرض له من أن يحس إحساسا رديئا فذلك يتفق له على أحد وجهين: إما أن يحس طعما ما من غير ذوق شىء، وأما أن يجد طعم الأشياء المذوقة على غير كنهها مثل أن تجد الحلوة مرة أو حامضة أو غير ذلك. أما إحساسه طعوما من غير أن يذوق شيئًا من خارج، فذلك يعرض له ضرورة من سوء مزاج مادى فيجد طعم ذلك الخلط إن مرا

فمرا، وإن حامضا فحامضا، وإن حلوا فحلوا، وإذا تمكن سوء هذا المزاج عرض له أن يحس الأشياء كلها بذوق ذلك الطعم المتمكن فيه، وذلك أنه قد تبين في العلم الطبيعي أن جميع الحواس ينبغي أن تكون آلتها خالية من جنس مدركاتها، وإلا ألم الحال في هذه الحاسة، ولذلك متى عرض لها هذا العارض أحست الأشياء كلها بطعم واحد، وقد يعرض لها عندما يكون الطعم الغريب فيها غير متمكن إذا ذاقت الأشياء أن تحس طعوما ممتزجة عن الطعم الغريب الذي في هذه الآلة، والطعم الوارد عليها من خارج، كما يحدث لمن يأكل شيئًا مرا ثم يشرب ماء أن يجد طعم ذلك الماء حلوا (الكليات في الطب / ١٣٨، ١٣٩).

*** ذوو الأرحام:**

ترد في القرآن الكريم بلفظ «أولو الأرحام» في سور الأنفال [٧٥] ، وفي سورة الأحزاب[٦]. وذوو الأرحام هم كل قريب ليس بذي فرض ولا عصبة (فقه السنة م ٣/ ٥٢٢)

جاء في اللسان: وفي الحديث: من ملك ذا رحم محرم فهو حُرّ». وقال ابن الأثير: ذوو الرحم هم الأقارب، ويقع على كل من يجمع بينك وبينه نسب، ويطلق في الفرائض على الأقارب من جهة النساء. يقال: ذو رحم مَحْرَم ومحرَّم، وهو من لا يحل نكاحه، كالأم والبنت والأخت والعمة والخالة، والذي ذهب إليه أكثر العلماء من الصحابة والتابعين وأبو حنيفة وأصحابه وأحمد أن من ملك ذا رحم محرم عتق عليه، ذكرًا كان أو أنثى، قال: وذهب الشافعي وغيره من الأئمة والصحابة والتابعين إلى أنه يعتق عليه الأولاد والآباء والأمهات، ولا يعتق عليه غيرهم من ذوي قرابته، وذهب مالك إلى أنه يعتق عليه الولد والوالدان والإخوة، ولا يعتق غيرهم (لسان العرب١٨/ ١٦١٣) أما عن توريث ذوي الأرحام فيقول فضيلة الشيخ السيد سابق: وقد اختلف الفقهاء في توريثهم.

فقال مالك والشافعي بعدم توريثهم، ويكون المال لبيت المال: وهو قول أبي بكر وعمر وعثمان وزيد والزهري والأوزاعي وداود، وذهب أبو حنيفة وأحمد إلى توريثهم وحكي ذلك عن علي وابن عباس وابن مسعود، وذلك عند عدم وجود أصحاب الفروض والعصبات وعن سعيد بن المسيب: أن الخال يرث مع البنت. وقد أخذ القانون بهذا الرأي فجاء في المواد من ٣١ إلى ٣٨ كيفية توريثهم كما هو مبين فيما يلي:

المادة ٣١ ـ إذا لم يوجد أحد من العصبة بالنسب ولا أحد من ذوي الفروض النسبية كانت التركة أو الباقي منها لذوي الأرحام.

وذوو الأرحام أربعة أصناف مقدم بعضها على بعض في الإرث على الترتيب الآتي:

الصنف الأول:

أولاد البنات وإن نزلوا، وأولاد بنات الابن وإن نزل.

الصنف الثاني:

الجد غير الصحيح وإن علا، والجدة غير الصحيحة وإن علت.

الصنف الثالث:

أبناء الإخوة لأم وأولادهم وإن نزلوا، وأولاد الأخوات لأبوين أو لأحدهما وإن نزلوا، وبنات الإخوة لأبوين، أو لأحدهما وأولاده وإن نزلوا، وبنات أبناء الإخوة لأبوين أو لأب وإن نزلوا، وأولادهم وإن نزلوا.

الصنف الرابع.

يشمل ست طوائف مقدم بعضها على بعض في الإرث على الترتيب الآتي:

١ـ أعمام الميت لأم وعماته وأخواله وخالاته لأبوين أو لأحدهما.

٢ـ أولاد من ذكروا في الفقرة السابقة، وإن نزلوا، وبنات أعمام الميت لأبوين أو لأب، وبنات أبنائهم وإن نزلوا، وأولاد من ذكرن وإن نزلوا.

٣ـ أعمام أبي الميت لأم وعماته وأخواله وخالاته لأبوين أو لأحدهما، وأعمام أم الميت وعماتها وأخوالها وخالاتها لأبوين أو لأحدهما.

٤ـ أولاد من ذكروا في الفقرة السابقة وإن نزلوا.

وبنات أعمام أب الميت لأبوين أو لأب وبنات أبنائهم وإن نزلوا، وأولاد من ذكرن وإن نزلوا.

٥ـ أعمام أب أب الميت لأم، وأعمام أب أم الميت وعماتها وأخوالها وخالاتهما لأبوين أو لأحدهما.

وأعمام أم أم الميت وأم أبيه وعماتهما وأخوالهما وخالاتهما لأبوين أو لأحدهما.

٦ـ أولاد من ذكروا في الفقرة السابقة وإن نزلوا.

وبنات أعمام أب أب الميت لأبوين أو لأب وبنات أبنائهم وإن نزلوا، وأولاد من ذكرن وإن نزلوا. وهكذا.

المادة ٣٢ ـ الصنف الأول من ذوى الأرحام أولاهم بالميراث أقربهم إلى الميت درجة. فإن استووا فى الدرجة فولد صاحب الفرض أولى من ولد ذوى الرحم. فإن استووا فى الدرجة ولم يكن فيهم ولد صاحب فرض. أو كانوا كلهم يدلون بصاحب فرض اشتركوا فى الإرث.

المادة٣٣ ـ الصنف الثانى من ذوى الأرحام أولادهم بالميراث أقربهم إلى الميت درجة. فإن استووا فى الدرجة قدم من كان يدلى بصاحب فرض، وإن استووا فى الدرجة وليس فيهم من يدلى بصاحب فرض أو كانوا كلهم يدلون بصاحب فرض: فإن اتحدوا فى حيز القرابة اشتركوا فى الإرث، وإن اختلفوا فى الحيز فالثلثان لقرابة الأب. والثلث لقرابة الأم.

المادة٣٤ ـ الصنف الثالث من ذوى الأرحام أولاهم بالميراث أقربهم إلى الميت درجة. فإن استووا فى الدرجة وكان فيهم ولد عاصب فهو أولى من ولد ذوى الرحم، وإلا قدم أقواهم قرابة للميت، فمن كان أصله لأبوين فهو أولى ممن كان أصله لأب، ومن كان أصله لأب فهو أولى ممن كان أصله لأم. فإن اتحدوا فى الدرجة وقوة القرابة اشتركوا فى الإرث.

المادة٣٥ـ فى الطائفة الأولى من طوائف الصنف الرابع المبينة بالمادة (٣١) إذا انفرد فريق الأب وهم أعمام الميت لأم وعماته أو فريق الأم وهم أخواله وخالاته، قدم أقواهم قرابة: فمن كان لأبوين فهو أولى ممن كان لأب. ومن كان لأب فهو أولى ممن كان لأم، وإن تساووا فى القرابة اشتركوا فى الإرث، وعند اجتماع الفريقين يكون الثلثان لقرابة الأب والثلث لقرابة الأم. ويقسم نصيب كل فريق على النحو المتقدم وتطبق أحكام الفقرتين السابقتين على الطائفتين الثالثة والخامسة.

المادة ٣٦ـ فى الطائفة الثانية يقدم الأقرب منهم درجة على الأبعد ولو من غير حيز، وعند الاستواء واتحاد الحيز يقدم الأقوى فى القرابة إن كانوا أولاد عاصب أو أولاد ذوى رحم، فإن كانوا مختلفين قدم ولد العاصب على ولد ذوى الرحم، وعند اختلاف الحيز يكون الثلثان لقرابة الأب، والثلث لقرابة الأم، وما أصاب كل فريق يقسم عليه بالطريقة المتقدمة وتطبق أحكام الفقرتين السابقتين على الطائفتين الرابعة والسادسة.

المادة٣٧ـ لا اعتبار لتعدد جهات القرابة فى وارث من ذوى الأرحام إلا عند اختلاف الحيز.

المادة ٣٨ـ فى إرث ذوى الأرحام يكون للذكر مثل حظ الأنثيين (فقه السنة م ٣/ ٥٢٢ـ٥٢٤).

أما عن النظم فقد أوردنا أحكام توريث ذوى الأرحام فى منظومة عبد الملك الفتنى الموسومة بخلاصة القرائض، فى حرف الخاء، فى م١٦/١٥٥ـ ١٥٧ تحت العنوان الفرعى «توريث ذوى الأرحام» فانظرها فى موضعها.

(فقه السنة ـ فضيلة الشيخ السيد سابق م ٣/ ٥٢٢ـ٥٢٤، ولسان العرب لابن منظور ١٨ـ١٦١٣).

*** ذؤيب بن حلحلة:**

قال الحافظ ابن حجر:

ذؤيب بن حلحلة ويقال ابن حبيب بن حلحلة بن عمرو ابن كلب بن أصرم الخزاعى والد قبيصة. وفرق ابن شاهين بين ذؤيب بن حلحلة والد قبيصة وبين ذؤيب بن حبيب الذى روى عنه ابن عباس وزعم ابن عبد البر أن أبا حاتم سبقه إلى ذلك قال وهو خطأ قلت: ولم يظهر لى كونه خطأ وأما والد قبيصة فقد ذكر العلائى عن ابن معين أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم أتى بقبيصة ابن ذؤيب ليدعو له بعد وفاة أبيه فهذا يدل على أنه مات فى زمن النبى صلى الله عليه وآله وسلم وأما الذى روى عنه ابن عباس فحديثه عنه فى صحيح مسلم أنه حدثه أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم كان يبعث معه بالبُدن ثم يقول إن عطب منها شيء فذكر الحديث وذكر ابن سعد أنه سكن قديدا (الإصابة ٢/ ١٨١) وله دار بالمدينة (الرياض المستطابة/ ٦٨) وعاش إلى زمان معاوية (الإصابة٢/ ١٨٠).

قديد: اسم موضع قرب مكة (الاستيعاب ٢/ ٤٦٥ هامش٢) وذكر ابن عبد البر تمام الحديث وهو: روى سعيد عن قتادة، عن سنان بن سلمة، عن ابن عباس أن ذؤيبا أبا قبيصة حدثه أن رسول الله ﷺ كان يبعث بالبدن ثم يقول: إن عطب منها

شيء قيل محلة فخشيت عليه موتا فانحرها، ثم اغمس نعلها في دمها، ثم اضرب به صفحتها، ولا تطعمها أنت ولا أحد من أهل رفقتك (الاستيعاب ٢—٤٦٤) قال صاحب الرياض المستطابة:

خرَّج عنه مسلم حديثا واحدًا، هو حديث البدن، وأدخله بعضهم في مسند ابن عباس. وخرج عنه ابن ماجه، عنه ابنه قبيصة بن ذؤيب وابن عباس (الرياض المستطابة/ ٦٨).

(الإصابة في تمييز الصحابة لشيخ الإسلام الحافظ ابن حجر العسقلاني ٢/ ١٨٠، والرياض المستطابة، في جملة من روى الصحيحين من الصحابة للإمام يحيى بن أبي بكر العامري اليمني/ ٦٨، والأستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبد البر ٢/ ٤٦٤).

*** ذؤيب بن شعثم:**

قال الحافظ ابن حجر:

ذؤيب بن شعثم بضم الشين المعجمة والمثلثة بينهما عين مهملة ويقال شعثن آخره نون بدل الميم بن فرط بن خفاف بن الحارث بن جهمة بن عدى بن جندب بن العنبر بن تميم التميمي العنبري.. قال ابن السكن: له صحبة وذكره ابن جرير وابن السكن وابن قانع والعقيلي وغيرهم في الصحابة وله أحاديث مخرجها عن ذريته وروى هو وابن شاهين من طريق عطاء بن خالد بن الزبير بن عبد الله بن رديح بن ذؤيب عن أبيه عن جده عن ذؤيب قال غزوت مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم ثلاث غزوات. وروى الطبراني من هذا الوجه عن ذؤيب أن عائشة قالت إني أريد أن أعتق من ولد إسماعيل قصدًا فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم لعائشة انتظري حتى يجيء سبي العنبر غدًا فجاء فقال لها خذي أربعة قال عطاء فأخذت جدي رديحا وابن عمي سمرة وابن عمي وأخي وخالي ربيبا فمسح النبي صلى الله عليه وآله وسلم على رءوسهم وبرَّك عليهم. وروى ابن شاهين وأبو نعيم من طريق عطاء بن خالد بهذا الإسناد أن رسل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مروا بأم زينب فأخفوا زيبتها فلحق ذؤيب بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال أخذ الركب زريبة أمي يعني قطيفتها فقال ردوا عليه زريبة أمه وقال بارك الله فيك يا غلام قال ابن منده جاء عن عطاء بن خالد بهذا الإسناد عدة أحاديث. وروى ابن منده من طريق بلال بن مرزوق بن ذؤيب ابن رديح بن ذؤيب حدثني أبي عن أبيه عن جد أبيه ذؤيب أنه أتى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال ما اسمك فقال الكلابي قال أنت ذؤيب بارك الله فيك ومتع بك أبويك وقال ابن أبي حاتم روى المسور بن قريط بن بعير بن رديح من ذؤيب عن أبيه عن جده رديح عن أبيه ذؤيب.

(الإصابة في تمييز الصحابة لشيخ الإسلام الحافظ ابن حجر العسقلاني ٢/ ١٨٠، ١٨١. انظر أيضا الاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبد البر - تحقيق على محمد البجاوي ٢/ ٤٦٥)

*** ذؤيب بن كليب:**

قال عنه الحافظ ابن حجر: ذؤيب بن كليب بن ربيعة.. ويقال ذؤيب بن وهب الخولاني أسلم في عهد النبي صلى الله عليه وآله وسلم ويقال إن النبي صلى الله عليه وآله وسلم سماه عبد الله. وروى ابن وهب عن ابن لهيعة أن الأسود العنسي لما ادعى النبوة وغلب على صنعاء أخذ ذؤيب بن كليب فألقاه في النار لتصديقه بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم فلم تضره النار فذكر ذلك النبي صلى الله عليه وآله وسلم لأصحابه فقال عمر الحمد لله الذي جعل في أمتنا مثل إبراهيم الخليل (انظر ترجمته في حرف الخاء في م٢/ ١٣٠ - ١٤٣) وقال عبدان هو أول من أسلم من أهل اليمن ولا أعلم له صحبة إلا أن ذكر إسلامه وما ابتلاه الله تعالى به وقع في حديث مرسل من رواية ابن لهيعة ووقع عند ابن الكلبي في هذه القصة أنه ذؤيب بن وهب وقال في سياقه طرحه في النار فوجده حيًّا ولم يذكر النبي صلى الله عليه وآله وسلم في سياقه.

(الإصابة في تمييز الصحابة لشيخ الإسلام الحافظ ابن حجر العسقلاني ٢/ ١٨٣, ١٨٤. انظر أيضا الاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبد البر تحقيق على محمد البجاوي ٢/ ٤٦٤).

*** أبو ذؤيب الهذلي (٢٨ هـ/ ٦٤٨ م):**

قال عنه الحافظ السيوطي:

أبو ذؤيب الهذلي الشاعر، خويلد بن خالد. قال الذهبي في التجريد: كان مسلمًا على عهد النبي ﷺ، ولم يره. وقدم وشهد السقيفة ومبايعة أبي بكر والصلاة على النبي ﷺ ودفنه، وكان أشعر هذيل. قال ابن كثير: توفي غازيا بإفريقية في خلافة عثمان (حسن المحاضرة ١/ ٢٤٥).

وقال عنه ابن عبد البر:

أبو ذؤيب الهذلي الشاعر. كان مسلما على عهد

رسول الله ﷺ، ولم يره. ولا خلاف أنه جاهلي إسلامي قيل: اسمه خويلد بن خالد بن محرث بن زبيد بن مخزوم بن صاهلة بن كاهل بن الحارث بن تميم بن سعد بن هذيل. وقال ابن الكلبي: هو خويلد بن محرث، من مازن بن سويد بن تميم ابن سعد بن هذيل.

ذكر محمد بن إسحاق بن يسار، قال: حدثني أبو الآكام الهذلي، عن الهرماس بن صعصعة الهذلي، عن أبيه ـ أن أبا ذؤيب الشاعر حدثه قال: بلغنا أن رسول الله ﷺ عليل، فاستشعرت حزنا وبت بأطول ليلة لا ينجاب ديجورها، (أي ظلامها) ولا يطلع نورها، فظللت أقاسي حتى إذا كان قرب السحر أغفيت، فهتف بي هاتف، وهو يقول:

خَطْبٌ أجلّ أناخ بالإسلام
بين النخيل ومعقد الآطام
قبض النبي محمد فعيوننا
تذري الدموع عليه بالتسجام

قال أبو ذؤيب: فوثبت من نومي فزعا، فنظرت إلى السماء، فلم أر إلا سعد الذابح، فتفاءلت به ذبحا يقع في العرب. وعلمت أن النبي ﷺ قد قبض، وهو ميت من علته، فركبت ناقتي وسرت. فلما أصبحت طلبت شيئًا أزجر به، فعنَّ شيهم ـ يعني القنفذ، وقد قبض على صِلّ ـ يعني الحية ـ فهي تلتوي عليه، والشيهم يقضمها حتى أكلها فزجرت ذلك، فقلت: الشيهم شيء مهم، والتواء الصل التواء الناس عن الحق على القائم بعد رسول الله ﷺ، ثم أولت أكل الشيهم إياها غلبة القائم بعده على الأمر فحثثت ناقتي، حتى إذا كنت بالغاية فزجرت الطائر، فأخبرني بوفاته، ونعب غراب سانح، فنطق بمثل ذلك؛ فتعوذت بالله من شر ما عَنَّ لي في طريقي، وقدمت المدينة ولها ضجيج بالبكاء كضجيج الحاج إذا أهلوا بالإحرام. فقلت: مه. قالوا: قبض رسول الله ﷺ، فجئت إلى المسجد فوجدته خاليا، فأتيت بيت رسول الله ﷺ، فأصبت بابه مرتجا؛ وقيل: هو مسجى، وقد خلا به أهله. فقلت: أين الناس؟ فقيل: في سقيفة بني ساعدة؛ صاروا إلى الأنصار. فجئت إلى السقيفة فأصبت أبا بكر، وعمر، وأبا عبيدة بن الجراح، وسالما، وجماعة من قريش، ورأيت الأنصار فيهم: سعد بن عبادة بن دليم، وفيهم شعراء، وهم حسان بن ثابت، وكعب بن مالك، وملأ منهم، فآويت إلى قريش. وتكلمت الأنصار فأطالوا الخطاب، وأكثروا الصواب، وتكلم أبو بكر فلله دره من رجل لا يطيل الكلام، ويعلم مواضع فصل الخصام، والله لقد تكلم بكلام لا يسمعه سامع إلا انقاد له ومال إليه. ثم تكلم عمر بعده بدون كلامه، ومد يده فبايعه وبايعوه، ورجع أبو بكر ورجعت معه. قال أبو ذؤيب: فشهدت الصلاة على محمد ﷺ، وشهدت دفنه ﷺ، ثم أنشد أبو ذؤيب يبكي النبي ﷺ:

لما رأيت الناس في عسلاتهم
ما بين ملحود له ومُضرح
متبادرين لشرجع بأكفهم
نص الرقاب لفقد أبيض أروح
فهناك صرت إلى الهموم ومن يبت
جار الهموم يبيت غير مروح
كُسفت لمصرعه النجوم وبدرها
وتزعزعت آطام بطن الأبطح
وتزعزعت أجبال يثرب كلها
ونخيلها لحلول خطب مفدح
ولقد زجرت الطير قبل وفاته
بمصابه وزجرت سعد الأذبح
وزجرت أن نعب المشحج سانحا
متفائلا فيه بفأل الأقبح

قال: ثم انصرف أبو ذؤيب إلى باديته، فأقام بها، وتوفي أبو ذؤيب في خلافة عثمان بن عفان بطريق مكة قريبا منها، ودفنه ابن الزبير. وغزا أبو ذؤيب مع عبد الله بن الزبير إفريقية ومدحه. وقيل إنه مات في غزوة إفريقية بمصر منصرفا بالفتح مع ابن الزبير، فدفنه ابن الزبير ونفذ بالفتح وحده. وقيل: إن أبا ذؤيب مات غازيا بأرض الروم، ودفن هناك، وإنه لا يعلم لأحد من المسلمين قبر وراء قبره. وكان عمر قد ندبه إلى الجهاد، فلم يزل مجاهدًا حتى مات بأرض الروم، قدس الله روحه، ودفنه هناك ابنه أبو عبيد، وعند موته قال له:

أبا عبيد رُفع الكتاب
واقترب الموعد والحساب

فى أبيات. قال محمد بن سلام: قال أبو عمرو: وسئل حسان بن ثابت: من أشعر الناس؟ فقال: حيا أم رجلا؟ قالوا: حيا. قال: هذيل أشعر الناس حيا. قال محمد بن سلام: وأقول إن أشعر هذيل أبو ذؤيب. وقال عمر بن شبة: تقدم أبو ذؤيب على جميع شعراء هذيل بقصيدته العينية التى يرثى فيها نبيه. وقال الأصمعى: أبرع بيت قالته العرب بيت أبى ذؤيب:

والنفس راغبة إذا رغَّبتها
وإذا تُردُّ إلى قليل تقنع

وهذا البيت من شعره المفضل الذى يرثى فيه بنيه، وكانوا خمسة أصيبوا فى عام واحد، وفيه حكم وشواهد، وله حيث يقول:

أمن المنون وريبها تتوجَّعُ
والدهرُ ليس بمعتب من يجزع
قالت أمامة: ما لجسمك شاحبا
منذ ابتذلت ومثل مالك ينفع
أم ما لجنبك لا يلائم مضجعا
إلا أقضَّ عليك ذاك المضجع
فأجبتها أن ما بجسمي أنه
أودى بنى من البلاد فودعوا
أودى بنى فأعقبونى حسرة
بعد الرقاد وعبرة لا تقلع
فالعين بعدهم كأن حداقها
كحلت بشوك فهى عورى تدمع
سبقوا هواى وأعنقوا لهواهمُ
فتخُرِّموا، ولكل جنبٍ مصرع
فغبرت بعدهم بعيش ناصب
وإخال أنى لاحق مستتبع
ولقد حرصت بأن أدافع عنهم
فإذا المنية أقبلت لا تدفع
وإذا المنية أنشبت أظفارها
ألفيت كل تميمة لا تنفع
وتجلُّدى للشامتين أريهمُ
أنى لريب الدهر لا أتضعضع
حتى كأنى للحوادث مروة
بصفا المشقر كل يوم تقرع
والدهر لا يبقى على حدثانه
جون السحاب له جدائد أربع

(أعنقوا: أسرعوا، المروة: حجر أبيض براق تقدح منه النار، المشقر: سوق الطائف) (الاستيعاب ٤-١٦٤٨-١٦٥٢).

وفيما يلى طبعات مؤلفاته:

١- ديوان شعره:

- تحقيق يوسف هل، هانوفر: خزانة الكتب الشرقية لهاينس لافاير، ١٩٢٦م، ١٤٠ ص، م٩١ص، دراسة باللغة الألمانية، ٩ص: المحتوى، أسماء الرجال والنساء، المواضع، القوافى.

٢- ديوان الهذليين:

- تصحيح أحمد الزين، القاهرة: دار الكتب المصرية، القسم الأدبى، مطبعة دار الكتب المصرية، ١٣٦٤ هـ/ ١٩٤٥م، ٢٤٧ ص (المعجم الشامل٢/ ٣٧٦، ٣٧٧).

(حسن المحاضرة للحافظ جلال الدين السيوطى - بتحقيق محمد أبى الفضل إبراهيم ١/ ٢٤٥، والاستيعاب فى معرفة الأصحاب لابن عبد البر - تحقيق على محمد البجاوى ٤/ ١٦٤٨-١٦٥٢، والمعجم الشامل للتراث العربى المطبوع - جمع وإعداد وتحرير د. محمد عيسى صالحية١/ ٢٤٥. انظر أيضًا الإصابة فى تميز الصحابة لشيخ الإسلام الحافظ ابن حجر العسقلانى٢/ ١٨٣).

***ابن ذى الاسمين (نحو ٧٧٥-٨٥٩ هـ):**

قال عنه الشمس السخاوى: على بن محمد بن على بن ذى الاسمين أيوب عثمان بن ذى الاسمين عبد العزيز عبد المجيد الشهير بأبى المجد بن محمد بن عبد العزيز بن قريش نور الدين وربما كنى بأكبر أولاده النجم فيقال أبو نجم الدين ابن نجم الدين القرشى الأبودرى - بفتح الهمزة ثم موحدة ودال مهملة ثم راء مشددة نسبة لأبى درة من أعمال البحيرة - ثم الدسوقى بضم المهملتين المالكى ويعرف بسنان لسن كانت له بارزة وأيوب فى نسبه هو أخو الشيخ إبراهيم الدسوقى صاحب الأحوال. ولد تقريبا سنة خمس وسبعين وسبعمائة

بأبى درة وانتقل منها وهو صغير بعد موت والده وحفظ القرآن عند الشهاب التروجى وتلاه لأبى عمرو على. بن عامر بلقانه وحفظ عنده الشاطبيتين ثم قدم القاهرة فحفظ بها أيضا العمدة والرسالة ومختصر ابن الحاجب كلاهما فى المذهب والملحة وألفية ابن مالك، وعرض على الزين قاسم السمسطائى النويرى ولازمه فى بحث الرسالة والمختصر معا بل رافقه فى سماع الحديث وبحث العمدة على الزين عبيد البشكالسى.

ومن شيوخه فى السماع الصلاح الزفتاوى والتنوخى وابن الشيخة وابن الفصيح والعراقى والهيثمى والأبناسى والدجوى والغمارى والمراغى والنور الهوريني والجمَّال عبد الله الرشيدى وناصر الدين نصر الله الحنبلى والسويداوى والحلاوى وأكثر من المسموع وكان يخبر أنه أخذ الخرقة الدسوقية عن ابن عمه الجمال عبد الله بن محمد بن موسى المنوفى بدسوق فى سنة نيف وثمانمائة عن أبيه عن جده موسى عن شقيقه الشيخ إبراهيم، وقطن دسوق من سنة اثنتى عشرة إلى أن مات شيخ المقام الإبراهيمى بها وهو ابن عمه الشمس محمد بن ناصر الدين محمد بن جلود فى سنة أربع وثلاثين فاستقر عوضه فى المشيخة فباشرها وصرف عنها مرارا، وحج وزار بيت المقدس ودخل اسكندرية مرارا، وحدث وسمع منه الفضلاء حملت عنه الكثير بالقاهرة ثم بدسوق وارتفق بما كان يصله به الطلبة فى سنى الغلاء لكونه كان كثير العيال جدًّا وكان حينئذ منفصلا عن المشيخة: وكان خيرًا ضابطا صدوقا ثقة ثبتا ساكنا وقورًا صبورا على الاستماع متواضعا سليم الفطرة مستحضر الفوائد مات فى ليلة الجمعة حادى عشر رمضان سنة تسع وخمسين بدسوق على مشيختها ودفن عند الضريح البرهانى وخلف أولادا رحمه الله و إيانا.

(الضوء اللامع الشمس الدين السخاوى جـ٥م ٣/ ٣١٩، ٣٢٠).

***ذى أمر (غزوة —):**

لما رجع رسول الله ﷺ من غزوة السويق، أقام بالمدينة بقية ذى الحجة أو قريبا منها، ثم غزا نجدًا، يريد غطفان، وهى غزوة ذى أمر، واستعمل على المدينة عثمان بن عفان رضى الله عنه، فيما قال ابن هشام.

قال ابن إسحاق: فأقام بنجد صفرًا كله أو قريبا من ذلك، ثم رجع إلى المدينة، ولم يلق كيدًا: فلبث بها شهر ربيع الأول كله، أو إلا قليلاً منه.

(السيرة النبوية لابن هشام، قدم لها وعلق عليها ضبطها الأستاذ طه عبد الرءوف سعد ٣/ ٤).

*** ذى الحليفة (مسجد —):**

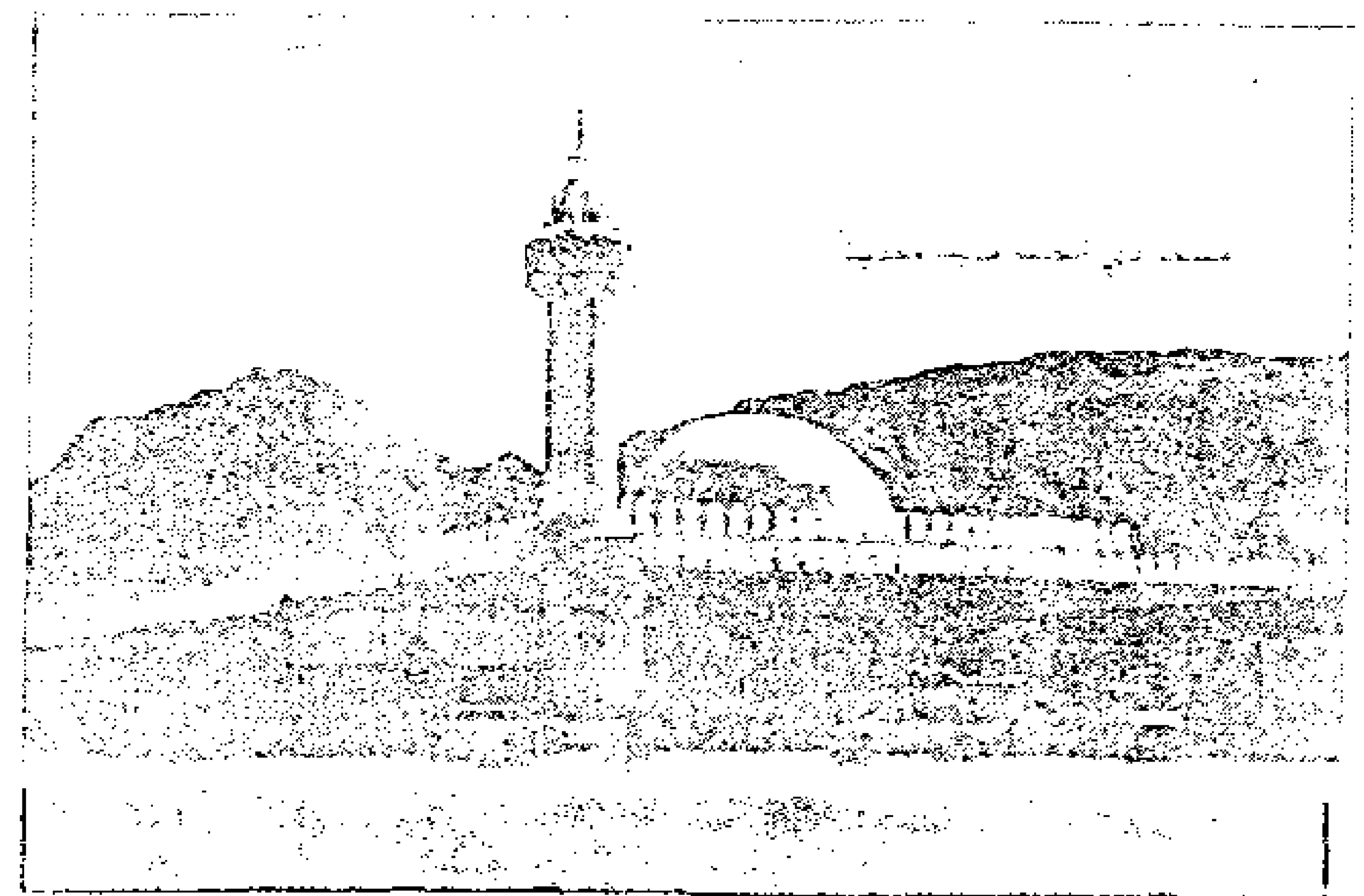
مسجد ذى الحليفة أو مسجد الشجرة أو مسجد الإحرام أو مسجد أبيار على:

«نزل النبى ﷺ تحت شجرة سمرة بذى الحليفة». وهذا النص جاء فى الصحيح عنه ﷺ فأضحى مصلاه هذا، ويعرف بمسجد الشجرة ويطلق عليه مسجد ذى الحليفة، وذو الحليفة تصغير حليفة بفتح الحاء وكسر اللام وفتح الفاء اسم لماء بين بنى جشم بن بكر من هوازن وبين بنى خفاجة العقيليين رهط توبة، وذو الحليفة اسم لمنزل كان يحب النزول فيه سيدنا رسول الله ﷺ تحت شجرة كانت فيما مضى فى موضع المسجد الحالى، والعامة يطلقون عليه مسجد الإحرام ومشهور فى تلك المحلة باسم مسجد أبيار على لأن ذلك الموضع كله يعرف بأبيار على ويسميه بعضهم بالحسا.

وهذا المسجد هو ميقات المدينة المنورة وجاء فى صحيح مسلم عن ابن عمر رضى الله عنهما: «أن النبى ﷺ بات بذى الحليفة وصلى فى مسجدها وفى رواية أخرى له أن



مسجد الشجرة فى ذى الحليفة (محرم الحاج)


مسجد ذى الحليفة أو مسجد الشجرة أو مسجد الإحرام أو مسجد آبار على حديثاً

النبى ﷺ كان يركع بذى الحليفة ركعتين ثم إذا استوت به الناقة قائمة عند مسجد ذى الحليفة أهلَّ بالعبارة التالية: لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك» وليحيى عنه: «أن رسول الله ﷺ كان إذا خرج إلى مكة المكرمة صلى فى مسجد الشجرة» ولابن زبالة عنه: «أن رسول الله ﷺ كان ينزل بذى الحليفة حين يعتمر وفى حجه حين يحج تحت شجرة فى موضع المسجد الواقع بذى الحليفة». وعن أبى هريرة: «أن رسول الله ﷺ صلى فى مسجد الشجرة إلى الأسطوانة الوسطى استقبلها وكانت فى موضع الشجرة التى كان النبى ﷺ يصلى إليها»، وقال المطرى وهذا المسجد هو المسجد الكبير الذى هناك وكان فيه عقود فى قبلته ومنار فى ركنه الغربى الشمالى فتهدم على الزمان قال الإمام السمهودى قد جدد زين الدين الاستدار بالمملكة المصرية فبنى عليه الجدار الدائر عليه اليوم على أساسه القديم عام ٨٦١ هـ وموضع المنارة فى الركن الغربى باق على حاله واتخذ أيضا الدرج للآبار التى هناك والمسجد مربع مساحته ٥٢ ذراعا. وفى العهد السعودى أصبح مسجد ذى الحليفة موضع عنايتها فعينت له إمامًا رسميًا ومؤذنًا رسميًا وفرشته بأحسن الفراش وعمرته وجعلته فى أجمل منظر يليق به كبيت من بيوت الله، والآن خضع المسجد للتوسعة الكبرى التى أمر بها خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز ووضع حجر الأساس نيابة عنه صاحب السمو الملكى الأمير عبد المجيد(تاريخ معالم المدينة المنورة/ ١١١، ١١٢) وقد بنى الشيخ محمد سرور الصبان بجانبه مدرسة.

موقع المسجد: يقع المسجد فى شرق طريق الأسفلت المؤدى إلى مكة المكرمة وجدة بذى الحليفة، وقد عُبِّد له طريق خاص يتفرع من خط الأسفلت المذكور وهو قرب بستان آل أسعد فى شرق شمال البستان وعلى شفا وادى العقيق من جهة غرب وأمامه من شام بئر بستان آل سعد وكانت هذه البستان تعرف فى عهد المؤرخ العباسى ببئر ابن مضيان من بنى سالم.

ذو الحليفة محرم الحاج: ذكر الشيخ الحافظ أبو البقاء فى تاريخه للمدينة أنه ينبغى للحاج إذا وصل إلى ذى الحليفة أن لا يتعدى فى نزوله المحل الذى فيه المسجد المذكور من نواحيه الأربعة قبل أن يحرم بالحج والعمرة إذا قصد العمرة أو الحج.

الطريق إلى مسجد ذى الحليفة: هو الطريق إلى جدة ويصل إليه الزائر بعد نحو ثمانية كيلو مترات من المدينة على الخط الأسفلتى (فصول من تاريخ المدينة المنورة/ ١٥٤، ١٥٥).

(تاريخ معالم المدينة المنورة قديما وحديثًا ـ فضيلة الأستاذ السيد أحمد ياسين أحمد الخيارى ـ تعليق وإيضاح وإضافة وتخريج فضيلة الأستاذ عبيد الله محمد أمين الكردى. نشر أبناء المؤلف الطبعة الرابعة ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٣م/ ١١١، ١١٢، وفصول من تاريخ المدينة المنورة ـ على حافظ/ ١٥٤، ١٥٥).

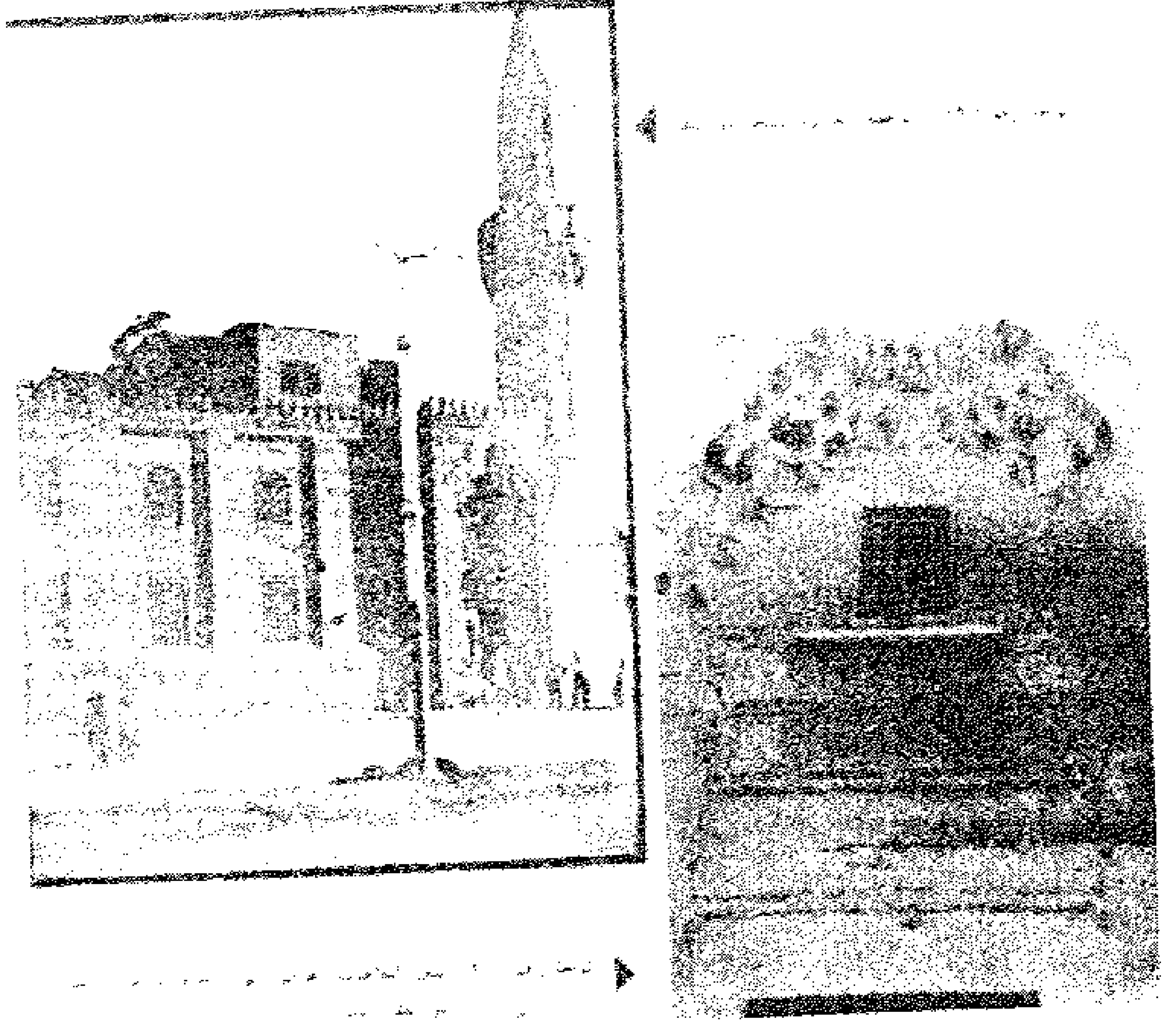
*** ذى الفقار بيك (مسجد) (١٠٩١هـ/١٦٨٠م) أثر ٤١٥:**

ذكره على مبارك أولا عن الكلام على شارع اللبودية وعطفة المارستان فقال: وفى مقابلة عطفة المارستان هذه الجامع المعروف بجامع ذى الفقار بيك، ويعرف أيضًا بجامع غطاس، أنشأه الأمير ذو الفقار بيك سنة إحدى وتسعين وألف، وهو عامر إلى الآن ويتبعه سبيل ومكتب بجواره متخربان(الخطط٣/ ١٠١).

ثم عاد فذكره فى الجوامع ووصفه كما كان فى زمانه على النحو التالى:

هذا المسجد بشارع اللبودية من ثمن درب الجماميز. ويعرف الآن بجامع غطاس. يصعد إليه بسلالم من الحجر، وعلى بابه نقوش فى الحجر صورتها:

جامعا جاء لطيفا وبديع الإنشا
عالى السمك منيعا ووسيع الأحشا
فى بيوت أذن الله لها أن ترفع
والعبادات بها كل زمان تفشى



دام فيـــه صلـــوات وأجيبت دعـــوات
بنهـــــار متجـل وبليـل يغشـى
ذو الفقــار فــاز بخيــر فقــلا تــاريخهــا
عمــر الجـامـع بـالسعـد بـديع الإنشـا
سنة ١٠٩١

قالت المؤلفة: لاحظ أن الرقم ١٠٩١ تُوصِّل إليه بحساب الجمل. انظـر هـذه المـادة فى حـرف الحـاء فى م١٣/ ٥٤٩-٥٥٤، وهذا الرقم هو تاريخ إنشاء المسجد ١هـ.

وبه أربعة أعمدة من الرخام، وبمحرابه عمودان من الرخام أيضًا، وله منبر خشب وبدائره إزار خشب مكتوب فيه سورة يس وسورة الفتح، وله منارة بديعة، وميضأة على أربعة أعمدة من الرخام، وحنفية بجوارها أشجار صغيرة، وله أوقاف منها سبعة حوانيت ومصبغة، ومرتب بالروزنامجة ثلاثة قروش وثمانية وعشرون نصفا فضة فى كل شهر، وله من وقف الشيخ عبد الفتاح الحريرى كل سنة لفراشه بالحصر مائتان وخمسون قرشا، ومن وقف الحاج إبراهيم أغا الأرنودى وزوجته الست فاطمة كل سنة نحو خمسة آلاف قرش، وشعائره مقامة، بنظر الشيخ إبراهيم الشيباوى. وبهذا الجامع أيضًا خلوتان من فوق بعضهما، كان بعض الصالحين يتعبد فيهما، والآن سكنها ناظره الشيخ إبراهيم المذكور، وله ساقية ركبت عليها الآن طلمبة، ويتبعه سبيل ومكتب بجواره متخربان، والظاهر أن ذا الفقار هذا هو المذكور فى كتاب قلائد العقيان ضمن ترجمة والى مصر الأمير حمزة باشا، قال فى ذلك الكتاب: وفى يوم الأحد سادس عشر شعبان سنة/ سبع وتسعين وألف مات عز الدولة العثمانية في الديار المصرية أمير الحج الشريف الأمير ذو الفقار بيك رحمه الله تعالى وكان آية وحجة على أهل الفساد من العرب وغيرهم فى سائر الأقاليم، وبعد موته جرت حوادث يطول شرحها، واجتمع فى جنازته جمعية كبيرة جدا، وفرق فى مرضه أموالا كثيرة، وكان أميرا طاهرا محافظا على الصلوات الخمس فى أوقاتها، معظما للعلماء شفوقا على الفقراء، غليظا على المفسدين، وقبل دفنه بالقرافة ألبس الوزير حمزة باشا ولده الرشيد مير اللوا إبراهيم بيك خلعة الصنجقية انتهى (الخطط ٤/ ٢٣٦).

ويصفه الأستاذ حسن عبد الوهاب رحمه الله بقوله: وهو من المساجد المعلقة البسيطة، ووجهته الغربية العامة مبنية بالحجر الأحمر، حيث تقوم المنارة عند طرفها الجنوبى، وهى منارة أسطوانية قصيرة من دورة واحدة، يجاورها الباب العام، وهو محلى بالمقرنصات، وبه ترابيع من القاشانى القيم تتوسطها لوحة رخامية (يورد المؤلف هنا الأبيات الأربعة التى أوردها على مبارك وأثبتناها فى بداية المادة، وقد أورد فى نهاية صدر البيت الرابع لفظى «فقل تاريخًا» بدلاً من «فقلا تاريخها»).

ثم يقول المؤلف: وهذا الباب يؤدى إلى سلم من ست درجات فدركاه مربعة على يمينها باب يؤدى إلى باب المنارة، وإلى المطهرة، وعلى يسارها شباك ثم باب المسجد.

أما محرابه فهو من الحجر وقد حُلِّى بنقوش ومقرنصات، وبتواشيحه ألواح من القاشانى الحديث، ويعلوه مربع به دائرة من القاشانى القديم، ويجاوره منبر خشبى. وتقع دكةالمبلِّغ فى الجدار الغربى، وهى محمولة على كابوليين. وكانت أرضية المسجد مفروشة بالرخام الدقيق، كما يدل على ذلك بقايا دقيقة بأرضية الشبابيك الغربية.

وتحيط بالجامع من أعلاه نوافذ من الجص والزجاج الملون. . . وقد نقشت سقوفه بنقوش ملونة، وكتبت على إزار الرواق الشرقى آيات من سورة الفتح، كما كتب تاريخ إنشائه بما نعته: «أنشأ هذا المسجد المبارك من فضل الله تعالى

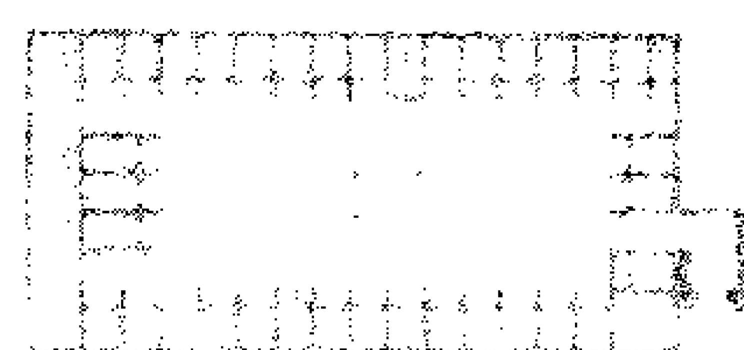
وعونه وجزيل عطائه العميم الجناب الكريم العالى والكوكب المنير المتلالى الأمير ذو الفقار بيك أمير اللوا الشريف السلطانى وأمير الحاج: وكان الفراغ فى شهر ذى الحجة سنة ١٠٩٠ هـ»

ومكتوب على إزار الرواق الغربى آيات من سورة يسٓ إلى قوله تعالى ﴿قال يا ليت قومى يعلمون * بما غفر لى ربى وجعلنى من المكرمين﴾ [يسٓ: ٢٦، ٢٧] (تاريخ المساجد الأثرية/ ٣٢٠ـ ٣٢٢).

(الخطط التوفيقية الجديدة لعلى باشا مبارك ٢٣/ ١٠١، ٤/ ٦ ٦ظ٢، وتاريخ المساجد الأثرية ـ الأستاذ حسن عبد الوهاب / ٣٢٠ ـ ٣٢٢ انظر أيضا مساجد مصر وأولياؤها الصالحون ـ د. سعاد ماهر محمد ٥/ ٢٠٥ـ ٢١٠) وقد أخذت منه الصورة المصاحبة لهذه المادة).

***ذى الفقار كتخدا (وكالة ـ) ١٠٨٤هـ / ١٦٧٣م. أثر ١٩:**

ذكرها على مبارك عند الكلام على أبواب القصر الشرقى فقال عن باب الريح: وموضعه الآن الزقاف الذى بين مدرسة جمال الدين الاستادار المشهور بجامع جمال الدين وبالجامع المعلق ووكالة الكتخدا المعروفة بوكالة ذى الفقار، ويتوصل من هذا الزقاف إلى المشهد الحسينى (الخطط٢/ ٩٤).



الشكل ١٧: ـ مخطط وكالة ذو الفقار كتخدا ـ القاهرة. نقلا عن كوست



الشكل ١٨: ـ منظر لوكالة ذو الفقار كتخدا فى القاهرة. نقلا عن كوست

وقد أدرجت فى «فهرس الآثار الإسلامية بمدينة القاهرة» برقم الأثر ١٩ مع هذا البيان: ذو الفقار بك (واجهة منزل ووكالة أوده باشى) ١٠٨٤هـ/ ١٦٧٣م.

وقد أوردها أندريه ريمون باعتبارها أحد مثالين (وهما وكالة ذى الفقار ووكالة بازرعة) لهذه «الصروح القاهرية» وهى الوكالات فقال: الأول هو وكاله ذو [ذى]الفقار كتخدا الكائنة فى حى الجمالية والمشيدة سنة ١٦٧٣، والتى أصبحت اليوم متدهورة، ولكن باسكال كوست قام فى بداية القرن التاسع عشر بتقديم بيان رائع بشأنها يجعلنا نعرفها تفصيليا، فهى تقع عند ملتقى شارع الجمالية مع شارع التمبكشية، لها مدخل مدهش يعلوه طابق بارز ويمكن لهذا المدخل أن يكون دهليزًا فى أحد القصور. ويؤدى المدخل إلى دهليز منحنى [منحن] ومسقوف بعقود قوية ثم نصل إلى ساحة يتوسطها مصلى ومسقاة. وفى الدور الأرضى لهذه الوكالة يوجد ٣٢ مخزنا (حواصل)، حيث يمكن للتجار إيداع بضائعهم، ويشمل الطابق الأول ممرًا تطل عليه ٣٥ غرفة، كما يشمل الطابق الثانى ربعا (مبنى للإيجار). إن بعض سمات هذا المبنى مثل التنظيم الأفقى للسطح (طوله ٧٥ مترا وعرضه ٢٥ مترا، ومساحة الوكالة الكلية ألفان و٦٢٥مترا مربعا) والمساحة الواسعة التى يحتل المبنى وسطها تذكرنا بسوريا، الأمر الذى يجعلنا نتذكر بأن العديد من التجار السوريين كانوا يترددون على حى الجمالية (المدن العربية الكبرى/ ١٨٩).

(الخطط التوفيقية الجديدة لعلى باشا مبارك ٢/ ٩٤ والمدن العربية الكبرى فى العصر العثمانى لأندريه ريمون ـ ترجمة لطيف فرج. دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع. القاهرة، الطبعة الأولى ١٩٩١ / ١٨٩).

***ذى قار (وقعة ـ)(٦١٠م)**

يُرجع الإخباريون سبب وقوع قار إلى مطالبة كسرى بن هرمز، أحد زعماء بنى ربيعة ويدعى هانى بن قبيصة بتسليم الودائع التى كان أودعها النعمان بن المنذر لديه عندما استدعى كسرى النعمان إليه وسجنه. فأبى هانئ تسليم ما أتُمن عليه لغير أهله، مما أثار غضب كسرى، وطلب إلى بعض عماله أن يجتمعوا إلى إياس بن قبيصة الذى عينه حاكما على الحيرة بعد النعمان، بينما اجتمعت القبائل العربية حول هانيء تأييدا له ضد كسرى. وجاءت الفرس معها الجنود والفيلة، والتحموا بأرض ذى قار، بين واسط والكوفة.

وقال ما دحا ولدها السلطان عبد العزيز:

أجـــامع من بعـــد مـــا درســـا
بأمـــر سلطـــان الـــزمـــان أسســـا
عبـــد العـــزيـــز الملك المـــولى
الـــذى مـــراميـــه تســـاوى الأطلـــا
ظل الإلـــه قـــد غـــدا فى أرضـــه
لـــدين طـــه حـــافظـــا وحـــارســـا
لا زال فـــى الـــست الجهـــــــات
أحكـــامـــه لخمس أصحـــاب الكســـا
بـــاشـــره الـــوالى رديف الـــذى قـــد
طـــاب فى وادى الجنـــان مغـــرســـا
فـى حضـــرة النعمـــان من عملـــه
أصبح كـل عـــالم مقتبســـا
ثـم بنـــاؤه المشيـــد أرخـــوا
بيـــانـــه على التقى تأســـســـا

غرفة المرقد الشريف

بناؤها أثرى قديم يعود إلى زمن السلطان مراد الرابع عليه الرحمة عام ١٠٤٦هـ شكلها مربع ٧,٥ × ٧,٥ وسطها الضريح الشريف عليه قفص ذو شبابيك معدنية توج بأسماء الله الحسنى على المينة البيضاء خطت على أوراق من الزهور بشكل بديع وأحيط القفص بالمينة البيضاء كتب عليها ما نصه « بسم الله الرحمن الرحيم » ﴿ إنما يخشى الله من عباده العلماء﴾ وقال ﷺ« لو كان العلم معلقا عند الثريا لتناوله رجال من أبناء فارس » .

هذا مرقد الإمام الأعظم والمجتهد الأقدم أبى حنيفة نعمان ابن ثابت الكوفي كانت ولادته ٨٠ للهجرة الشريفة ووفاته رحمه الله ورضى الله عنه سنة ١٥٠ للهجرة الشريفة ...

وقد جدد العمل بعد اندراسه ومحو أثاره ... وكان ذلك سنة ١٣٤٧ هـ وداخل الغرفة شمعدانان أثريان كبيران فضيان مزخرفان بزخارف مدهشة يرجع تاريخهما إلى ١٢٦٣ هـ وآخران أصغر منهما وفى قطبها ثريا علقت فيها قناديل فضية وذهبية ومعادن أخرى ذات أهمية أهديت من قبل سلاطين آل عثمان وولاتهم وفيها قنديل أثرى أهدته بنت السلطان مراد خان الرابع أسمخان سنة ١٠٨٥ هـ وقرآن مخطوط وغلاف مرصع بالأحجار الكريمة والياقوت ومذهب أهداه القائد التركي أنور باشا، والشعرات النبوية الشريفة أهداها للجامع السلطان عبد الحميد خان عليه الرحمة عام ١٣٠٤هـ تُخرج للتبرك ليلة القدر والمولد النبوى الشريف وأيام الأعياد وآخر جمعة من رمضان للتبرك بها كما تخرج لرؤساء الدول الضيوف للتشرف بها .

ثم يصف الشيخ هاشم الأعظمى الجامع فيقول :

هندسة الجامع تعتبر فخر الهندسة المعمارية فنا حرمه كبير. مقبب يشكل مستطيل ١٤ ×٣٤ م^2 رحب تقوم فوق وسطه قبة فخمة جلست على أطواق تحملها ، والأطواق تسعة اعمدة من الرخام الموصلى العراقى تحيط بها من جهاتها الثلاث تسعة قباب استندت إلى الأعمدة والجدران ودعامتان تحملان ثلاث قباب أخرى ومحرابان ومنبر ومحفل قبالة المحراب مرتفع عمل من خشب الساج عُلقت فى وسط القبة ثريا فخمة وفرش بالسجاد الإيرانى وله أحد عشر بابا على الأروقة وباب المرقد داخل الحرم ويحيط بالحرم ثلاثة أروقة من جهاته الثلاث مقبية تقوم قبابه وعددها ٣٢ على أطواق من الطابوق تحملها والأطواق أعمدة رخامية متينة تبلغ مساحتها ٨٠٠م تقريبا لها ثلاثة أبواب واحد من جهة الغرب وبابان من جهة الشمال وتسعة شبابيك مطلة على الطارمة وباب المرقد والمأذنة من جهة القبلة وغرف ثلاث والرواقان توّجا بأفريز من الكاشانى الأزرق خطت عليه سورة الفتح بخط جميل وحروف غاية الإبداع ومنارة فخمة جميلة المنظر شامخة يبلغ ارتفاعها ٢٩ م تقريبا لها خوذة مضلعة حليت بالذهب حلاها الوالى سليمان باشا عام ١٢١٧ هجرية وساحتان من جهتى الشمال والشرق ومصلى صيفى وقد أزيل مع عدة غرف وحوض ماء الوضوء عام ١٩٣٥ م .

عام ١٩٣٥ : فى هذا العام أجريت تصليحات شاملة للمسجد والكلية البابان الرئيسيان والسور وبنى مكانهما بابان فخمان وسور جميل وأبدلت شبابيك الرواقين الحديدية بشبابيك خشبية من الساج الفاخر وبلطت الساحة بالمرمر.

عام ١٩٤٨ :

فى هذا العام بنيت الطارمة الأمامية لإسناد بناء الجامع

القديم ونقل الإفريز الكاشاني الأزرق الذى كان الرواقان متوجين به فوضع عليها من جهة الساحتين بنى على شكل أطواق تزينها الورود الكاشانية .

عام ١٩٥٩ :

بعد ثورة ١٤ تموز (يولية) ١٩٥٨ أجريت بعض الإصلاحات والزيادات فبنى نصف رواق من جهة الشرق وبُلط جدار الحرم والأروقة بالمرمر الأردنى بارتفاع ثلاثة أمتار وجددت أسس الحرم وبلط الجامع كله بالكاشي الموزائيك وبنى برج الساعة (الأعظمية) وهدمت الأبواب الرئيسية والسور وبنيت مكانها أبواب كونكريتية على شكل أطواق وبنى سور جميل مطعم جداره بالكاشي ذى الورود ونقش الحرم جدرانه وسقوفه وقبابه وكذلك الأروقة بفن عربى إسلامى مغربى بنقوش جصية على شكل ورود وأزهار ذات بهجة تدهش الناظرين إليها ونقشت قبة الضريح كذلك وبلطت جدرانها بالمرمر الأردنى وبلطت قبة الحرم من الخارج بالكاشاني الجميل .

وفى عام ١٣٨٩ عصر يوم المولد النبوى وضع حجر الأساس لإعادة الأبواب الرئيسية المغلقة فى العهد القاسمى المنقرض نيابة عن السيد رئيس الجمهورية باحتفال مشهود ثم عدل عن فتحها فى محلها إلى محل آخر.

عام ١٩٧١ :

بالنظر للتوسع الذى طرأ على منطقة الأعظمية عمرانا ونفوسا أصبح الجامع لا يسع المصلين أيام الأعياد والجمع الرمضانية ويضيق بالاحتفالات والمناسبات الدينية . ومن هذا الشعور أمر السيد رئيس الجمهورية بتوسعته توسعه تكون على شكل الجامع القائم ففى عام ١٩٦٨ اشتريت بعض الدور المجاورة من جهة الغرب والسوق القديم والزقاق وأدمجت أرضها مع أرض الجامع لتنفيذ هذا المشروع ثم صممت له خارطة على نمط هندسة الجامع الحالى . وفى ١٨ تموز فى عام ١٩٧١ أجرى احتفال مشهود لوضع حجر الأساس لهذا المشروع الضخم ...

وتضمن المشروع بناء حرم ورواقين وقاعات تحتها سرداب كبير مساحته ١٠٤٠ م^2 وطارمة أمامية ومنارة وقبة موازية لقبة المرقد تكون مكتبة تضم الكتب التى كانت قديما فى الجامع (يأتي الكلام على المكتبة فيما بعد) وعدة غرف ذات طابقين من جهة الغرب يكون هيكل البناء كونكريت مسلح وتجديد الأبواب والسور وبناء الكلية بناء جديدا ونقش البناء الجديد وزيادة بابين كبيرين للجامع ونُقش الرواقان والحرم على نمط نقش البناء القائم إلا أنه بأيد عراقية وبنى باب كبير فخم مكان الباب القديم أقيم هيكله بالكونكريت المسلح وغلف بالطابوق المحفور نقشا على شكل أزهار وورود ذات بهجة تسر الناظرين إليها جاءت آية فى الفن المعمارى وتحفة فنية ذات ثلاثة مداخل توجت بالآيات القرآنية ﴿ الرحمن * علم القرآن * خلق الإنسان * علمه البيان ﴾ [الرحمن : ١ ـ ٤].

وعلى الجانبين لوحتان مستطيلتان بنيتا بالطابوق المحفور فنا على شكل ورود وأزهار داخلها لوحة كاشانية خط عليها قوله تبارك وتعالى ﴿ وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا ﴾ وبنى سياج جميل على شكل أطواق بالطابوق المحفور نقشا وفنا توج بأسماء الله الحسنى كتبت على ألواح كاشانية بخط جميل وجعل للجامع أربعة أبواب بلغت مساحته العمومية مع الكلية قرابة من ٨ آلاف متر مربع تقريبا ومقدار الأرض التى ضمت إلى الجامع بهذه التوسعة يبلغ حوالى ١٠ آلاف متر مربع تقريبا (جامع الإمام الأعظم / ٧٠ـ ٧٢ ، ٧٥ ، ٧٦ ، ٧٩ ـ ٨١) .

ويتحدث الأستاذ وليد الأعظمى الخطاط عن مكتبة المشهد والكلية فيقول :

منذ أن حول مرقد الإمام أبى حنيفة رضى الله عنه ، إلى مشهد، وكثر تردد الزوار والعلماء إليه ، عند بداية القرن الثالث الهجرى ، وصار العلماء يعقدون حلقات العلم والمناظرة فى المشهد، ثم أخذ المشهد بالتوسع من قبل القضاة والمحسنين ، حتى بنى فيه أحد الحجاج الأتراك صُفَّة للعلماء فى سنة ٣٧٥هـ .

ونفهم من هذا أن نواة المكتبة بدأت مع حلقات العلماء، ثم أخذت بالنمو والزيادة ، وصار العلماء يقفون كتبهم على المشهد ليفيد منها العلماء وطلاب العلم .

وتذكر لنا كتب التاريخ أن الطبيب العالم الخطاط يحيى ابن عيسى بن جزلة المتوفى فى سنة ٤٩٣ هـ قد وقف كتبه كلها على مشهد الإمام أبى حنيفة فى حياته .

وإذا قرأت ترجمة هذا العالم الجليل تتضح لك قيمة كتبه وعددها وأهميتها .

طلبهم حتى ألحقك بالناس وقال لأبى عياش الزرقى لو أعطيت هذا الفرس أفرس منك يلحق، فقال أنا أفرس الناس فضرب الفرس فما جرى خمسين ذراعا حتى طرحه فعجب. وذلك أن رسول الله ﷺ قال له لو أعطيته أفرس منك وهو يقول أنا أفرس الناس. (اهـ. من سيرة ابن هشام) فأعطاه غيره، وكان أول فارس لحق بالقوم محرز بن نضلة، ويقال له قمير فقتل ولم يقتل أحد من المسلمين غيره، وقيل قتل معه وقاص المدلجى ولما تلاحقت الخيل قتل أبو قتادة حبيب بن عيينة ابن حصين وغشاه ببردته؛ وقال الدمياطى إنما قتله المقداد وقتل أبو قتادة مسعدة الفزارى.

ثم أقبل رسول الله فى المسلمين فلما رأوا القتيل مغشى بالبردة استرجع الناس وقالوا قتل أبو قتادة فقال المصطفى ليس به لكنه قتيل له يضع عليه بردته لتعلموا أنه صاحبه وأدرك عكاشة بن محصن أوبارا وسماه ابن سعد آثارا بمثلثة وابن عائذ إيارا بكسرة الهمزة وابنه عمرو بن أوبار على بعير فانتظمهما بالرمح فقتلهما واستنقذوا بعض اللقاح.

وفى صحيح مسلم جميعا وفيه عن مسلمة بن الأكوع أنه طردهم وقال ما زلت أرميهم فأعقرهم فإذا رجع إلى فارس أتيت شجرة فجلست فيها ثم رميته فعقرت به حتى إذا تضايق الجبل رميتهم بالحجارة فما زلت كذلك حتى ما خلق الله من بعير من ظهر رسول الله إلا خلفته وراء ظهرى ثم أتبعهم أرميهم حتى ألقوا أكثر من ثلاثين بردة يستخفون فما برحت مكانى حتى رأيت فوارس رسول الله أولهم الأخرم الأسدى وعلى إثره أبو قتادة الأنصارى، وعلى إثره المقداد فأخذت بعنان الآخر فقلت احذرهم لا يقتطعونك حتى يلحقك الناس فقال إن كنت تؤمن بالله وتعلم أن الجنة والنار حق فلا تحل بينى وبين الشهادة فالتقى هو وعبد الرحمن بن عيينة بن حصن فعقر بعبد الرحمن فرسه فطعنه عبد الرحمن فقتله، وسار المصطفى حتى نزل بالجبل من ذى قرد قال سلمة فجئته وهو على الماء وإذا بلال قد نحر ناقة ويشوى للمصطفى من كبدها وسنامها، فقلت يا رسول الله خلنى أنتخب من القوم مائة فأتبع القوم فلا يبقى منهم مخبر إلا قتلته فضحك حتى بدت نواجذه فى ضوء النهار وقال أتراك كنت فاعلا، قلت نعم والذى أكرمك، قال إنهم الآن يقرون بأرض غطفان، وأقام يوما وليلة يتجسس الخبر، وصلى بهم صلاة الخوف، وقسم فى كل مائة من صحبه جزورا ينحرونها وكانوا خمسمائة وقيل سبعمائة، واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم؛ وخلف سعد بن عبادة فى ثلاثمائة يحرسون المدينة، وبعث إلى رسول الله ﷺ بأحمال التمر وعشر جزائر فوافته بذى قرد (العجالة السنية / ١٩٠، ١٩١).

جاء فى السيرة الحلبية: فكل من سلمة وأبى قتادة اشترك فى تخليص نصف اللقاح. وذهب القوم بنصفها الآخر وهو: عشرة، وبامرأة أبى ذر. قال ابن هشام: ولما أفلت القوم بما بقى من السرح، عقلوا الإبل وأوثقوا المرأة.

وبينا هم نيام افتلتت المرأة من الوثاق وأتت الإبل فكانت كلما دنت من بعير رغا فتتركه حتى انتهت إلى العضباء وهى ناقة رسول الله - ﷺ - فلم ترغ فقعدت على ظهرها وزجرتها وحين علموا بها طلبوها فأعجزتهم. ونذرت إن نجاها بها الله لتنحرنها. فلما رجعت أخبرته - ﷺ - بالنذر؛ فتبسم - ﷺ - ووقال: بئسما جزيتها - نجاك الله بها وتنحرينها؟ لا نذر فى معصية الله ولا فيما لا يملك ابن آدم. وإنما هى ناقة من إبلى. ارجعى إلى أهلك على بركة الله (مجلة الأزهر/ ٦٤١).

والحديث عن امرأة الغفارى وما قالت، وما قال لها رسول الله ﷺ، عن أبى الزبير المكى، عن الحسن بن أبى الحسن البصرى (السيرة النبوية ٣/ ١٧٩)

وحين يطلب سلمة من رسول الله - ﷺ - أن يرسل فى إثرهم من يؤدب هؤلاء القوم قال له الرسول الرءوف الرحيم - عليه الصلاة والسلام: يا سلمة ملكت - أى قدرت - فأسجح: فليكن منك الرفق بهم، وأحسن العفو عنهم، ولا تأخذك العزة والشدة بهم (مجلة الأزهر/ ٦٤١).

وذكر الزبير هنا معجزة وهو أن المصطفى نزل فى هذه الغزوة على ماء فسأل عن اسمه فقال بيسان وهو مالح فقال بل هو نعمان وهو طيب فغير رسول الله الاسم فغير الله الماء فاشتراه طلحة بن عبيد الله ثم تصدق به وقال المصطفى ما أنت يا طلحة إلا فياض فسمى طلحة الفياض (العجالة السنية/ ١٩١).

وفى رواية مسلم: ثم أردفنى رسول الله ﷺ وراءه على العضباء، وذكر قصة الأنصارى الذى سابقه فسبقه سلمة.

قال رسول الله ﷺ: خير فرساننا اليوم: أبو قتادة.

وخير رجالتنا اليوم سلمة.

قال سلمة: ثم أعطاني النبي سهم الراجل والفارس جميعًا (مجلة الأزهر/ ٦٤١).

قال حسان بن ثابت في يوم ذي قرد:

أظن عيينة إذ زارها
بأن سوف يهدم فيها قصورا
فأكذبت ما كنت صدَّقته
وقلتم سنغنم أمرا كبيرا
فعفت المدينة إذ زرتها
وآنست للأسد فيها زئيرا
فولوا سراعا كشد النعام
ولم يكشفوا عن مُلط حصيرا
أمير علينا رسول المليك
أحبب بذاك إلينا أميرا
رسول نصدِّق ما جاءه
ويتلو كتابا مضيئا منيرا

(السيرة النبوية ٣/ ١٨٠)

(العجالة السنية على ألفية السيرة النبوية للحافظ زين الدين العراقي - الإمام المناوى. قام بتصحيحه والتعليق عليه فضيلة الشيخ إسماعيل الأنصارى / ١٨٦، ١٨٩ - ١٩١، وقيا خيل الله اركبى» - فضيلة الشيخ على حامد عبد الرحمن مجلة الأزهر. الجزء الخامس، السنة الثامنة والستون، جمادى الأولى ١٤١٦ هـ - أكتوبر ١٩٩٥م/ ٦٣٩ - ٦٤١، والسيرة النبوية لابن هشام، قدم لها وعلق عليها وضبطها الأستاذ طه عبد الرءوف سعد ٣/ ١٧٩، ١٨٠. انظر أيضا الفصول فى سيرة الرسول للحافظ أبى الفداء إسماعيل بن كثير / ٦٧، ٦٨، والدرر فى اختصار المغازى والسير لابن عبد البر - تحقيق د. شوقى ضيف، وأيام العرب فى الإسلام - محمد أبو الفضل إبراهيم وعلى محمد البجاوى/ ٧٢ - ٧٤)

انظر الصورة المصاحبة لمادة «الخيل» فى م ١٦/ ٥٥٠

*** ذى القصة (وقعة.):**

يوم ذى القصة لأبى بكر على عبس وذبيان. كان فى سنة ١١. وذو القصة: موضع بينه وبين المدينة أربعة وعشرون ميلا فى طريق نجد، وبهذا اليوم عز الإسلام وذل المشركون؛ وكان نصر المسلمين يشبه نصرهم يوم بدر (الطبرى ٣/ ٢٧، ابن خلدون ٢/ ٦٥).

مات رسول الله ﷺ، فاجتمعت أسد وغطفان وطيء على طليحة بن خويلد الأسدى، إلا ما كان من بعض خواصِّهم، واجتمعت أسد بسميراء (موضع فى طريق مكة) وغطفان بجنوب طيبة (من أسماء المدينة) وطيء على حدود أرضهم، واجتمعت ثعلبة بن سعد ومن يليهم من مرة وعبس بالأبرق من الربذة، وتأشب إليهم (أى اجتمع من هنا وهناك) ناس من كنانة، فلم تحملهم البلاد، فافترقوا فرقتين: أقامت فرقة منهم بأبرق الربذة (موضع من منازل ذبيان، قرب المدينة)، وسارت الأخرى إلى ذى القصة، وأمدهم طليحة بحبال بن سلمة بن خويلد. وجعله أميرا عليهم.

وهناك أرسلوا وفدا منهم إلى المدينة، ونزلوا على وجوه الناس، ثم تحملوا بهم (أى ذهبوا بهم) على أبى بكر، على أن يقيموا الصلاة، وعلى ألا يؤتوا الزكاة.

فقال أبو بكر: والله لو منعونى عقالا لجاهدتهم عليه. (العقال: صدقة عام. يقال: أخذ منهم عقال هذا العام، إذا أخذت منهم صدقته، وقال بعضهم: أراد أبو بكر: بالعقال الحبل الذى كان يعقل به الفريضة التى كانت تؤخذ فى الصدقة).

فرجع الوفد إلى أقوامهم بذى القصة، وأخبرهم برأى أبى بكر وقالته فيمن يمنع الزكاة، وحدثوهم عن قلة المسلمين بالمدينة، وأطمعوهم فيهم.

أما أبو بكر فإنه توجس شرا منهم فأعد العدة لغدرهم، وجعل على أنقاب المدينة نفرا (الأنقاب: جمع نقب وهو الطريق) منهم على بن أبى طالب، والزبير بن العوام، وطلحة ابن عبيد الله، وعبد الله بن مسعود. وأخذ أهل المدينة بحضور المسجد. وقال لهم: إن القوم قد رأوا منكم قلة، وإنكم لا تدرون: أليلاً تؤتون أم نهارا، أدناهم منكم على بريد (البريد: فرسخان، أو اثنا عشر ميلا، أو ما بين المنزلين) وقد كانوا يأملون أن نقبل منهم ونوادعهم، وقد أبينا عليهم، ونبذنا إليهم عهدهم، فاستعدوا وأعدوا. ولم يكن إلا ثلاث ليال من عود الوفد حتى طرق القوم المدينة مع الليل وخلَّفوا بعضهم بذى حُسًا (موضع بنجد، من ديار عبس وغطفان) ليكونوا لهم ردءا (الردء: العون والمدد)، وكان الذين على الأنقاب قد بثوا عيونهم حتى لا يؤخذوا على غرة، فلما عرف هؤلاء خبر

القوم نبهوا مَن على الأنقاب، فأرسلوا إلى أبى بكر بالخبر. فأرسل إليهم أبو بكر: أن الزموا أماكنكم. ففعلوا.

وخرج فى أهل المسجد على النواضح، فتقهقر العدو، فأتبعهم المسلمون على إبلهم، حتى بلغوا ذا حسا فخرج عليهم الردء بأنحاء، (جمع نحى (بسكون الحاء) وهو الزق) قد نفخوها، وجعلوا فيها الحبال، ثم دهدهوها(دحرجوها) بأرجلهم فى وجوه الإبل، فنفرت إبل المسلمين وهم عليها ولا تنفر الإبل من شىء نفارها من الأنحاء، فعاجت (رجعت) بهم، ما يملكونها. حتى دخلت بهم المدينة؛ من غير أن يصاب أحد من المسلمين أو يصرع، ولكن هؤلاء المرتدة ظنوا الوهن بالمسلمين؛ حتى قال شاعرهم:

أطعنا رسول الله ما كان بيننا
فيا لعباد الله ما لأبى بكر
أيورثنا بكراً إذا مات بعده
وتلك لعمر الله قاصمة الظهر
فهلا رددتم وفدنا بزمانه
وهلا خشيتم حسن راغبة البكر!
وإن التى سألوكم فمنعتم
لكالتمر أو أحلى إلىَّ من التمر

ثم أرسلوا لأقوامهم بالقصة بالخبر، فقدموا عليهم.

أما أبو بكر، فإنه بات ليلته، فعبى الناس، ثم خرج وعلى ميمنته النعمان بن مقرن، وعلى ميسرته عبد الله بن مقرن، وعلى الساقة (المؤخرة) سويد بن مقرن، فما طلع الفجر إلا وهم والعدو فى صعيد واحد، فاقتتلوا، وما ذر (ظهر وبرز) قرن الشمس حتى ولى العدو الأدبار، وقتل حبال بن سلمة. وتبعهم أبو بكر حتى نزل بذى القصة، فتركوها وولوا منهزمين، ورجع أبو بكر إلى المدينة، فكان أول الفتح وفاتحة الجهاد مع المرتدين.

ولم يكد أبو بكر يذهب إلى المدينة حتى وثب المرتدون من عبس وذبيان على من فيهم من المسلمين، فقتلوهم. ولما علم أبو بكر بفعلتهم حلف ليقتلن فى كل قبيلة بمن قتلوا من المسلمين وزيادة.

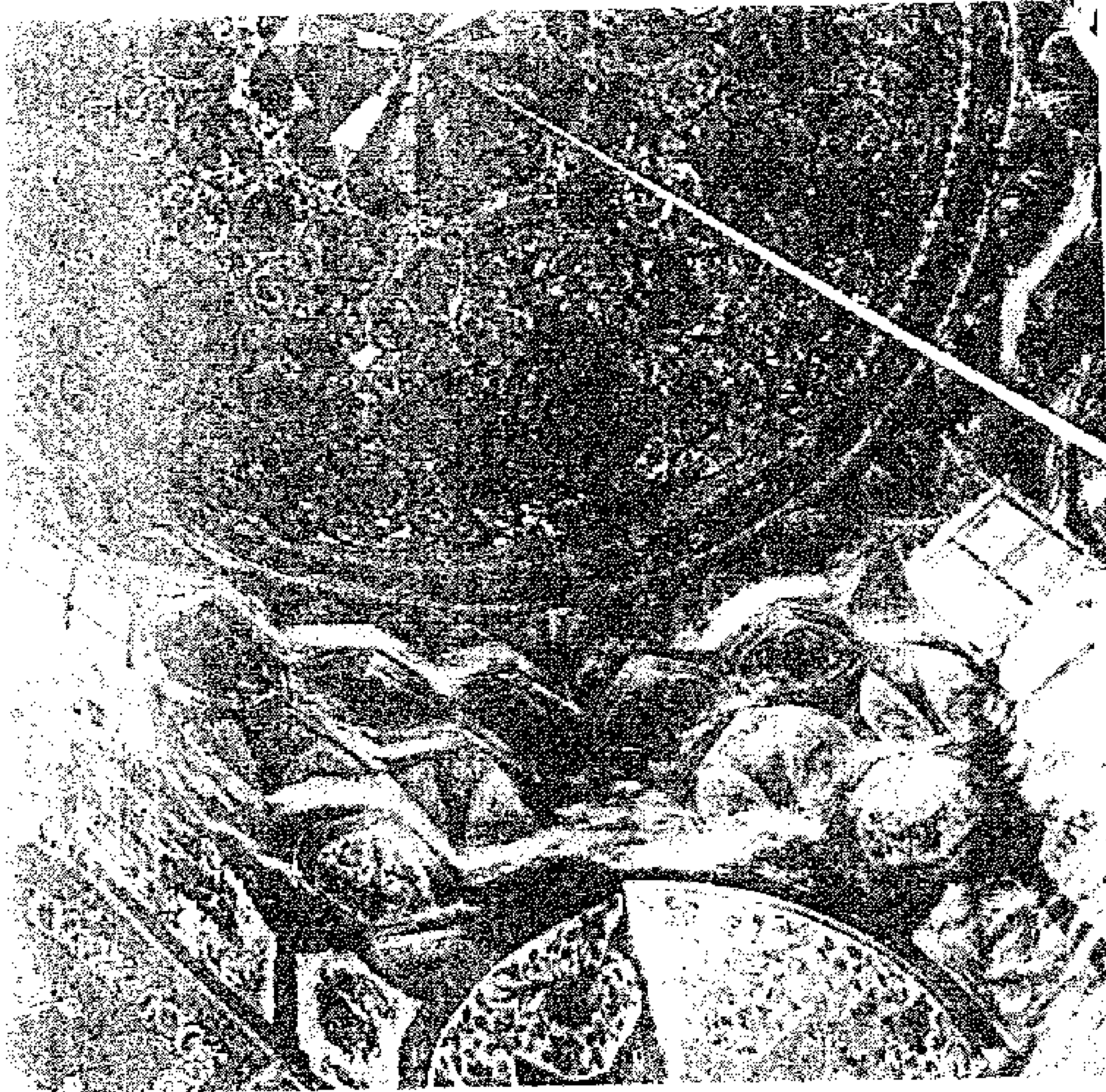
وكان لوقعة ذى القصة أثرها، إذ هرع بعدها فريق من المسلمين يؤدون الزكاة وطرقوا المدينة بالصدقات، وكان فيمن قدم صفوان ـ وهو ابن أمية ـ والزبرقان من رؤساء بنى تميم، وعدى بن حاتم عن طىء.

(أيام العرب فى الإسلام ـ محمد أبو الفضل إبراهيم وعلى محمد البجاوى / ١٤١ ـ ١٤٣).

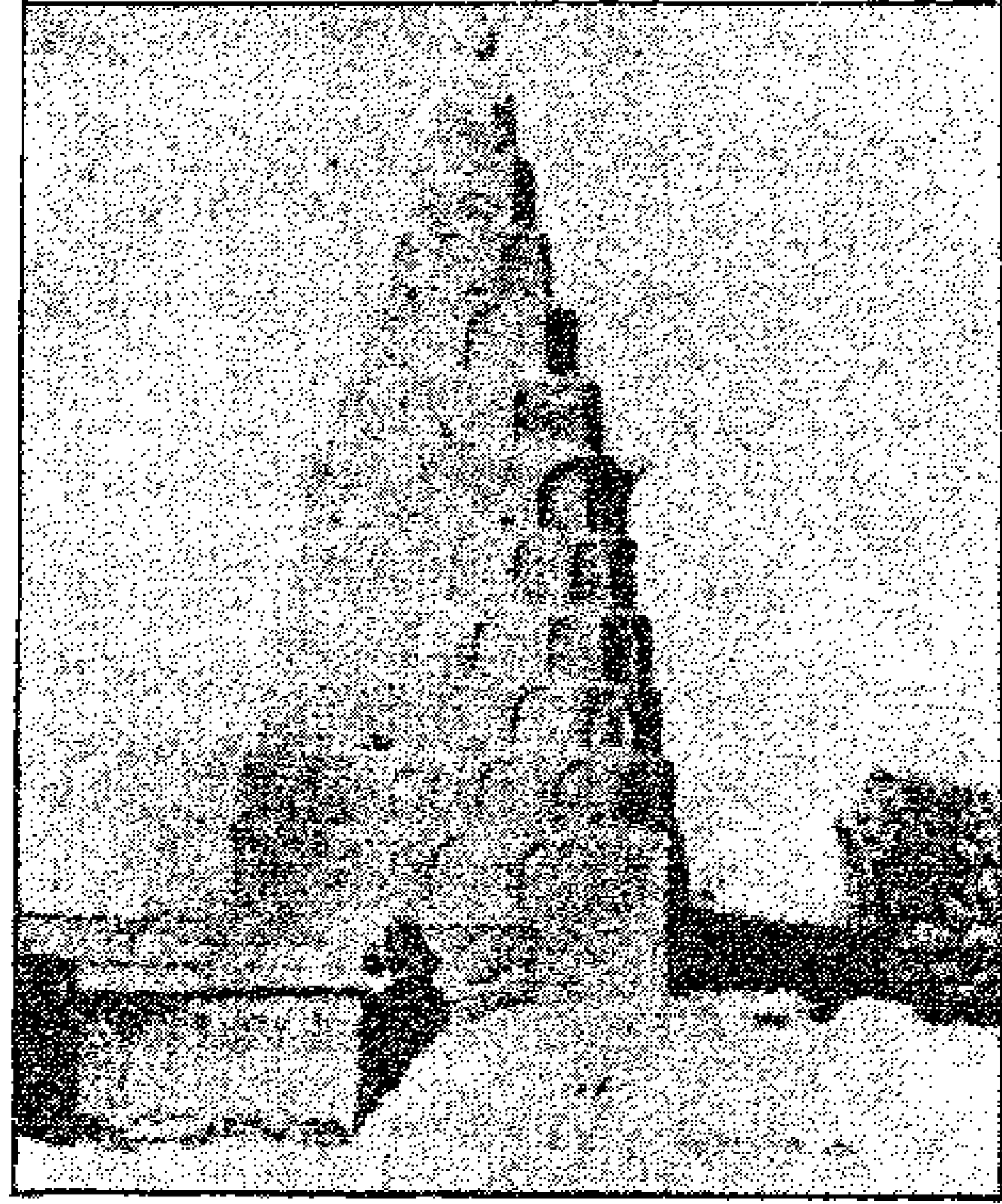
*** ذى الكفل (ضريح أو مرقد أو قبة.):**

يقوم المرقد فى بلدة الكفل بمحافظة بابل بالعراق وذكر أن السلطان المغولى أولجايتوحان محمد خوانبده(٧٠٣ ـ ٧١٦ هـ/ ١٣٠٣ ـ ١٣١٦) أمر بتشييد المرقد والمصلى الواسع الذى يتقدمه. كما أمر ببناء مسجد وخان فى نفس المنطقة. وقد تهدم المسجد وظلت المئذنة والمرقد وأجزاء واسعة من الخان والمصلى (مخطط١٦).

يتقدم المصلى المرقد من الناحية الشمالية الغربية ويتألف من ثلاثة أساكيب بأربع بلاطات وهو مسقوف بعدد من القباب الواطئة، أما المرقد فمستطيل الشكل والدخول إليه يكون عن طريق المصلى، وتبلغ أبعاد غرفته ٤٠, ١٠×٥ أمتار وتجلس القبة على القسم الوسطى منها فقط. أما يمين ويسار



لوح ٧٠: قبة المرقد من الداخل



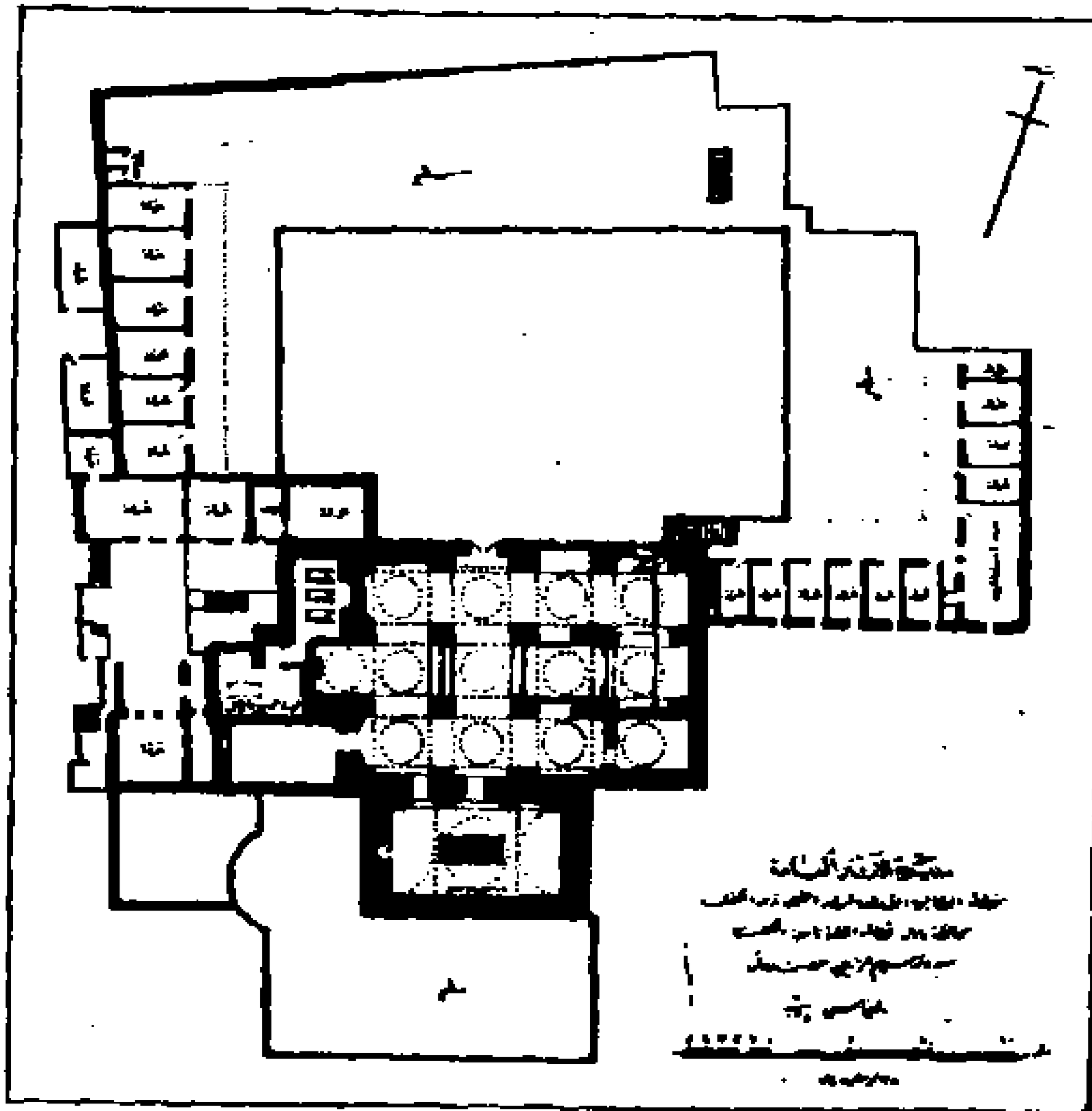
لوح ٧١: قبة مرقد ذي الكفل من الخارج

مربع القبة فسقوفه مستوية. وتخلو أسافل الجدران الداخلية من الزخارف إلى ارتفاع ٢,٦٠ مترا حيث تبدأ زخارف نباتية قريبة من الطبيعة معمولة بالألوان على الجص. وقبة هذا المرقد مزدوجة أيضا فهي من الداخل نصف كروية زينت بزخارف نباتيه ملونة وجميلة ومتقنة وتجلس على صف من المقرنصات ذوات العقود المدبية وتسبقها ثلاثة صفوف أخرى تغطي رقبة القبة أو نقطة التحويل من مربع إلى دائرة(لوح ٧٠).

أما من الخارج فالقبة مخروطية الشكل تتألف من عشرة صفوف من المقرنصات، وهي هنا عبارة عن حنايا ذات بطون مستوية وعقود مدبية غير ناتئة إلى الإمام، ما عدا الصف السادس منها حيث تبرز رؤوس العقود إلى أمام (لوح ٧١) وتنتهي القبة برأس نصف كروي يجلس على رقبة ذات ثمانية عقود. وهذا المرقد مشيد بالطابوق والجص ومكسو أيضا بالجص (العمارات العربية الإسلامية ٢/١٢١، ١٢٢) ويتوسط الجدار الشرقي لغرفة الضريح ثلاث دخلات كبيرة معقودة بعقد مدبب والعقد الوسطي أكبر من العقدين الجانبيين. وإن في وسط كل من الضلعين الشمالي والجنوبي دخلتين أخريين، طول الدخلة في الضلع الشمالي والجنوبي ٢/٩٠ متر وعرض ما يبقى من الجدار بين بداية الفتحة والركن ٠,٩٥ متر.

ما تبقى من الزخارف يبدأ من ارتفاع ٢,٦٩ متر وهي زخارف ملونة مكونة من أشكال ورود مطعمة في بعض مناطقها بالمرايا...

ويتوسط الجدار الغربي الذي يحوي عقد الباب وأركان العقد وما فوقها زخارف بتربيعات المرايا وأفاريز لوزية الشكل مطعمة بالمرايا أيضا، كما تعلو العقد أيضا كتابة تدور حول الجدران الأربعة للضريح تعلو منطقة محلاة بالمرايا أيضا، وهذه الكتابة تكون أسفل عقد مدني كبير يتصدر إيوانا عمقه ٢,٦٠ متر فيتقابل في الجدارين الشمالي والجنوبي مع إيوانين يحولان البناء المستطيل إلى مربع تقوم عليه منطقة الانتقال إلى مثمن بمقرنصات زوايا كبيرة عددها أربعة مقرنصات في الصف الأول تحصر بينها مناطق مسطحة وتقوم فوقها منطقة المقرنصات الثانية وعددها ثمانية مقرنصات ثم طبقة أخرى عددها ستة عشر مقرنصا والصف الرابع الذي يحتوي على الشبابيك الأربعة يكون فيه أربعة وعشرون مقرنصا. وفوقه يقوم غطاء القبة نصف الكروي وفي وسطه نجمة زخرفية ذات اثني عشر رأسا مزخرفة بالمرايا. وتكون الزخرفة النباتية هي العنصر الرئيسي في زخارف هذه القبة وهي مصنوعة بالتلوين ومحلاة في بعض المناطق بالمرايا.



مخطط ١٦: تخطيط مرقد ذي كفل

بالإضافة إلى النوافذ الأربع الموجودة فى مثمن القبة توجد أيضا ثلاث نوافذ ويختلف عقد نافذة الجدار الشرقى فى زخرفته عن الشريط الزخرفى الذى يعلو عقدى النافذتين الشمالية والجنوبية .

باب المرقد يتوسط الجدار الغربى وله من اليسار طاقة صماء ومن اليمين باب صغير يؤدى إلى المصلى وهو أيضا من العهد المغولى ولا زالت بواطن الأواوين والعقود فى المصلى مزخرفة بالزخارف النباتية الملونة (القباب المخروطية / ٨٢، ٨٣) .

(العمارات العربية الإسلامية فى العراق ـ د. عيسى سلمان وزميلاته ٢ / ١٢١، ١٢٢، والقباب المخروطية فى العراق ـ عطاء الحديثى وهناء عبد الخالق / ٨٢، ٨٣).

*** ابن ذى يزن (نحو ١١٠ ـ ٥٠ ق هـ / نحو ٥١٦ ـ ٥٧٤ م):**

النسب كما فى الأكليل ج ٢ : سيف بن النعمان بن عفير الأوسط بن زرعة بن عفير الأكبر بن الحارث بن النعمان بن قيس بن عبيد بن سيف بن عامر ذى يزن. قال فى الأكليل : والنعمان بن عفير هو الذى قام باليمن بعد ذى نواس هو وأولاده، فأولد النعمان بن عفير سيف بن النعمان أبا المنذر الذى وفد عليه عبد المطلب وهو النازع إلى كسرى أنوشروان، وعمرو بن النعمان، وهو الذى خرج إلى قيصر وقبائل قحطان بالشام برسالة أبيهما النعمان بن عفير، قال أهل السجل : هو المنذر بن عفير ويكنى أبا النعمان ، أولد أربعة : سيفا أبا المنذر وعَمرا وشراحيل والنعمان، ثم قال : وقال بعض حمير: إن النعمان بن عفير كان يعرف بذى يزن الأصغر، وليس كذلك، ولكنه نسب إلى جده الأعلى كما قيل علقمة بن ذى جدن وبينهما عدة آباء، وعلقمة بن ذى قيفان وبينهما عدة آباء، كقول الأعشى :

متى ما تناخى عند باب ابن هاشم

تراحى وتلقى من فضائله يدا

نسب النبى ﷺ إلى جد أبيه . انتهى (ملوك حمير وأقيال اليمن / ١٤٨، ١٤٩ هامش ١).

سيف بن ذى يزن من ملوك العرب اليمانيين، وقد أورد قصته الشاعر نشوان بن سعيد الحميرى فى قصيدته النشوانية فى ملوك حمير وأقيال اليمن وننقل أبياتها فيما يلى، مصحوبة بالشرح . قال نشوان بعد أن قص قصة الملك ذى نواس (انظر ترجمته فى موضعها) :

وقال نشوان :

وأتى ابن ذى يزن بأبنا فارس

لما تغرب واثنى بنجاح

فغدا الأحابش للأعارب أعبُدا

يشرونهم بخسارة ورباح

الملك سيف بن ذى يزن بن النعمان بن عفير بن زرعة بن الحارث بن النعمان بن قيس بن عبيد بن سيف الأكبر بن عامر ذى يزن وهو الذى عنى عمرو بن العاص بقوله فى الحسن بن على جوابا لمعاوية :

فأقبل يمشى مستخيلا كأنه

شراحيل ذو همدان أو سيف ذى يزن

وهو الوافد على كسرى أنوشروان فى آخر أيامه، فوجد عنده النعمان بن المنذر بن امرئ القيس بن عمرو بن عدى بن مالك بن مضر بن نمارة بن لخم، فلما استأذن سيف ودخل فرآه النعمان بن المنذر قام له من مجلسه وعظمه، فقال كسرى للنعمان : من هذا الملك أملك سمران؟ فقال النعمان : هذا ملك سمران، يعنى العرب. فقربه كسرى وعظمه، وقال له كسرى : ما حاجتك؟ فقص عليه قصته وسأله النصرة، وقال له : أنا ابن عمك، ولونى لونك، فوجه معنا من يأخذ البلد وتكون فى ملكك. فوعده وأقام عنده، وكان قد بعث إليه بعياب فيها دراهم، فقال ما هذا؟ قيل حباء الملك. فأمر سيف بتشقيق العياب، فانتثرت الدراهم فأنهبها الناس، فغضب كسرى وقال : لم لم تقبل حبائى؟ فقال سيف : جبال أرضى ذهب وفضة، ولم أرد من الملك إلا النصر، وأن تكون بلادى له . فوعده بالنصر وأقام عنده : ثم إن كسرى استشار مرازبته (أى وزراءه) وقال : ما ترون فى أمر هذا العربى وقد وعدته بالنصرة وبلاده نائية؟ فقالوا : أنت ملك وابن ملك والوفاء أحسن بك من الغدر. قال له الموبذان : إن عندى رأيا . قال له : وماهو ؟ قال : فى سجونك قوم استوجبوا القتل بجرائمهم، فانظر رجلا من أساورتك فقوده عليهم ، وقوهم بالسلاح، ووجههم معه، فإن ظفروا كان باسمك، وإن هلكوا فهو الذى أردت فأمر كسرى بمن فى سجونه، فوجههم

معه واختار رجلا من المسجونين يقال لـه وهرز فأمَّره عليهم، وكانوا فى مركبين، فغرق أحدهما وسلم الآخر الذى فيه سيف ووهرز، فخرجوا بساحل عدن فلقيهم مسروق بن أبرهة الأشرم بجموع الجيش الحبشى فاقتتلوا هنالك، ثم إن وهرز قال لهم: على أى شيء ملكهم يقاتل؟ قيل: على فرس فسكت، ثم قال لهم: على أى شيء ملكهم فقالوا: على بغل. فقال: على ابن الحمار، انتقل من العز إلى الذل، لقد ذل فذل ملكه، ثم دعا بقوس وكنانة واستخرج عصابة فعصب بها حواجبه، وأوتر قوسه، ولم يكن يوترها غيره، ثم استخرج سهما من كنانته وقال أرونى ملكهم، فقالوا صاحب الدرة الحمراء التى بين عينيه، فرماه وهرز ففلق الياقوتة وتغلغل السهم فى دماغه فسقط وانهزمت الحبشة.

وكان قد اجتمع أهل اليمن فى لقاء سيف، فحضروا معه الوقعة، وقتلت الحبشة قتلا عظيما، وملكوا من سلم منهم من القتل، وقد كان كسرى عهد إلى وهرز وأعطاه تاجا وخلعة ومنطقة وقال له: إذا صرت إلى اليمن فاسأل أهل اليمن عن هذا الرجل - يعنى سيفا - فإن كان من الملوك فسلم إليه الأمر وألبسه التاج والخلعة والمنطقة، وإن لم يكن من الملوك فابعث إلىَّ برأسه واضبط البلاد إلى أن يأتيك أمرى فلما اجتمع أهل اليمن سألهم وهرز عن سيف، فقالوا: ملكنا وابن ملكنا والقائم بثأرنا. فألبسه وهرز التاج والمنطقة والخلعة وسلم الأمر له. وسيف هذا هو القائل:

ولقد سموت إلى الحبوش بعصبة
أبناء كل غضنفر أسوار
من كل أبيض فى الحروب كأنه
أسد بيبشة شابك الأظفار
خيمت فى لجج البحار فلم يكن
للناس غير ترجُّم الأخبار
قالوا ابن ذى يزن يسير إليكم
فحذار منه ولات حين حذار
والعام عام قدومه ولعله
نابت عليه نوائب الأقدار
حتى إذا أمنوا المغار عليهم
وافيت بين كتائب الأحرار
ما زلت أقتل فلَّهم وشريدهم
حتى اقتضيت من العبيد بثارى

وسيف هذا، هو الذى وفد عليه عبد المطلب بن هاشم ابن عبد مناف جد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فى وجوه قريش ووجوه قبائل العرب يهنئونه بالظفر على العبيد الحبشة، وما أيده الله به، فاستأذنوا بالدخول عليه، فأذن لهم سيف بن ذى يزن، واسمه ذو يزن بن النعمان بن عقير بن زرعة بن الحارث، واستأذنه عبد المطلب بالكلام فقال: إن كنت ممن يتكلم بين يدى الملوك وأبناء الملوك، وعن يمينه ويساره المقاول وأبناء المقاول، وهو ينفح بالمسك والعنبر فى مفرقه وعارضيه، وعليه حلل القز والحرير. فقال له عبد المطلب: إن الله تعالى قد أحلك محلا رفيعا منيعا، صعبا شامخا باذخا، وأنبتك منبتا طابت أرومته، وعزت جرثومته، وثبت أصله، وبسق فرعه، فى أكرم معدن وأطيب موطن. وأنت أبيت اللعن، رأس العرب الذى به تنقاد، وعمودها الذى عليه العماد، ومعقلها الذى يلجأ إليه العباد، وربيعها الذى تخصب منه البلاد. سلفك خير سلف، وأنت فيهم خير خلف، ولم يخمل ذكر من أنت سلفه، ولن يهلك من أنت خلفه. ونحن أيها الملك، أهل حرم الله، وسدنة البيت الحرام، أشخصنا إليك أيها الملك، الذى أبهجنا من ذكر ما سرنا من كشفك الكرب الذى فدحنا، والغم الذى أقلقنا، والهم الذى أكربنا، فنحن وفد التهنئة لا وفد المرزئة فهذا الذى أرفدنا إليك أيهما الملك. قال: وأيهم أنت أيها المتكلم؟ قال أنا عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف قال الملك: ابن أختنا سلمى؟ قال: نعم. قال: ادن يا عبد المطلب. ثم أقبل عليه وعلى النفر الذين معه، فقال: مرحبا وأهلا وسهلا، وناقة ورحلا، وملكا ربحلا: يعطى عطاء جزلا، قد سمع الملك مقالكم، وعلم كلامكم، وعرف قرابتكم، وقبل وسيلتكم، وأنتم أهل الليل والنهار، لكم الكرامة ما أقمتم، ولكم الحباء إذا ظعنتم. ثم نهضوا إلى دار الضيافة والوفود أقاموا بها شهرا لا يؤذن لهم بالوصول إليه، ولا الوقوف بين يديه، ولا يؤذن لهم بالانصراف، وأجريت عليهم الأرزاق والجرايات، ثم انتبه لهم انتباهة، فأرسل إلى

عبد المطلب فأدنى منزله، وقرب مكانه من مكانه، وأكرم مجلسه. ثم إن سيف بن ذى يزن أقبل عليه وقال له: يا عبد المطلب، إنى مفض إليك من سر علمى، لو يكون غيرك لم أبح له به، ولكنى وجدتك معدنه فأطلعتك عليه، فليكن عندك مطويا حتى يأذن الله تعالى فيه، فإنه بالغ فيه أمره. إنى وجدت فى الكتاب المكنون والعلم المخزون، العلم الذى اخترناه لأنفسنا، واحتجزناه دون غيرنا، خبرا جسيما، وحظا عظيما، فيه شرف الحياة وفضيلة الوفاة للناس كافة، ولك خاصة. فقال عبد المطلب: أيها الملك، مثلك من سر وبر وبشر، فما ذاك فداك أهل الوبر والمدر زمرا بعد زُمر؟ فقال سيف بن ذى يزن: إذا ولد غلام بتهمة، به علامة، كانت له الإمامة، ولكم بها الزعامة إلى يوم القيامة، يزيدكم الله به شرفا وفخرا، وجاها وقدرا قال عبد المطلب: أبيت اللعن لقد أبت بخير ما آب بمثله وافد، ولولا هيبة الملك وإعظامه لسألته من سروره إياى، ما أزداد به سرورا، فإن رأى الملك أن يخبرنى بإفصاح، فقد أوضح بعض الإيضاح. قال: خلته الذى يولد أو قد ولد، اسمه محمد، بين كتفيه شامة، يموت أبوه وأمه، ويكفله جده وعمه، وقد ولدناه مرارا، والله باعثه جهارا، وجاعل له منا أنصارا، ويعز الله بهم أولياءه، ويذل بهم أعداءه، ويضربون الناس دونه عن عرض، وسيفتح لهم كرائم الأرض. يعبد الرحمن، ويزجر الشيطان، ويكسر الأوثان، ويخمد النيران. قوله فصل، وحكمه عدل. يأمر بالمعروف ويفعله، وينهى عن المنكر ويبطله. يقول الحق، وينطق بالصدق، قال فخر عبد المطلب لله ساجدا. فقال له الملك: ارفع رأسك، فقد ثلج صدرك، وعلا كعبك، وارتفعت مرتبتك، وقرَّت عيناك، هل أحسست من أمره شيئا أو رأيت أثرا ياعبد المطلب؟ قال: نعم، يا أيها الملك، كان لى ابن، وكنت به معجبا وعليه حدبا رفيقا، فمن شدة حبى إياه، وإكرامى له، زوجته كريمة من كرائم قومى، اسمها آمنة ابنة وهب بن عبد مناف بن زهرة، فجاءت بغلام سميته محمدا، مات أبوه وأمه، وكفلته أنا وعمه، بين كتفيه علامة، أو قال شامة، وفيه كل ما ذكرت من العلامة.

قال له سيف بن ذى يزن: والبيت ذى الحجب، والعلامات على النصب، إنك لجده يا عبد المطلب، قول صدق غير كذب وإن الذى نطقت به كما قلت لك، فاحتفظ بابنك واحذر عليه اليهود فإنهم له عدو، ولن يجعل الله لهم عليه سبيلا. واطو ما ذكرت لك دون هؤلاء الرهط الذين معك، فإنى لست آمن أن تدخلهم النفاسة من أن تكون لك الرئاسة، فيبتغون لك الغوائل، وينصبون لك الحبائل، وهم فاعلون ذلك أو أبناؤهم، فكن على حذر منهم، ولولا أن الموت مجتاحى قبل مبعثه لصرت بخيلى، حتى أصير بيثرب دار مملكته، فإنى أجد فى الكتاب الناطق، والعلم السابق، أن يثرب بها استحكام أمره. وأهل نصرته منها، وموضع قبره فيها ولولا أنى أخاف عليه الرزايا، وأتقى عليه الآفات وأخشى عليه العاهات لأوطأت أسنان العرب كعبة، ولأعلنت على حداثة سنه بشرفه وقدره وذكره، ولكنى صارف ذلك بغير تقصير منه لمن معك من هؤلاء النفر. ثم أمر لكل واحد منهم بمائة من الإبل، وعشرة أعبد، وعشر إماء. وعشرة أرطال من التبر، وعشرة أرطال من الفضة، وكرش مملوء من عنبر، وأمر لعبد المطلب بعشرة أضعاف ذلك. ثم قال: ائتنى بخبره وما يكون أمره عند رأس الحول، قال: فمات سيف بن ذى يزن رحمه الله قبل أن يحول، قال: فكان عبد المطلب يقول بعد ذلك: أيها الناس، لا يغبطنى رجل منكم بجزيل عطاء الملك، فإنه إلى نفاد، ولكن ليغبطنى بما يبقى فى وفى عقبى من بعدى شرفه وذكره، ومحاسنه وفخره. فإذا قيل له: ما ذلك؟ فيقول: ستعلمون نبأه بعد حين؛ وفى ذلك يقول أمية بن عبد شمس:

جلبنا المدح تحمله المطايا ... إلى أكوار أجمال ونوق

مغلغلة مرابقها تعالى ... إلى صنعاء من فج عميق

تؤُم بنا ابن ذى يزن وتفرى ... ذوات بطونها أم الطريق

وترعى فى مخايلها بروقا ... توافقه الوميض إلى البروق

فلما وافقت صنعاء صارت ... إلى ذى الملك والحسب الوثيق

إلى ملك أدر لنـــا العطـــايـــا
بحسن بشــاشــة الــوجــه الطليق

وكان فى الوفد أمية بن أبى الصلت الثقفى فقال فيه :

لا يطلب الثأر إلا كـــابن ذى يـــزن
فى البحـــر خيم لـــلأعـــداء أحــوالا
أتى هـــرقـــلا وقـــد شـــالت نعـــامتـــه
فلم يجـــد عنـــده النصـــر الـــذى ســـالا
ثم انتــى نحــو كـســرى بعــد ســابعــة
مــن السنين لقـــد أســـرعــت قلقـــالا
حتى أتى ببنى الأحــــرار يقــــدمهم
تخــالهم فــوق ظهــر الأرض أجبــالا
من مثل كســرى فتى دان الجنــود لـــه
ومثل وهـــرز يـــوم الـــروع إذ دالا
لله دَرُّهـم من عصبـــــة خـــرجـــوا
مـــا أن رأيت لهم فى الأرض أمثـــالا
بيضــا مــرازبــة غلبــا جحــاجحــة
أســدا تــربت فى الغيضـــات أشبـــالا
أرسلت أســدا على ســود الكــلاب فقــد
أمسى شـــريـــدهم فى الأرض فـــلاَّلا
فــاشــرب هنيئــا عليك التــاج مــرتفعــا
فى دار غمــــدان دارا منك محـــــلالا
قصـــر بنـــاه أبـــوك القيل ذو يـــزن
فهل تـــرى أحـــدا نـــال الـــذى نـــالا
منطَّقـــا بـــالـــرخـــام المستـــزاد لـــه
تـــرى على كل ركـن منـــه تمثـــالا
أطل بـــالمسك إذ شـــالت نعـــامتهم
وأسبل اليـــوم فى بـــرديك إسبـــالا
تلك المكــــارم لا قعبـــان مــن لبــن
شيبـــا بمـــاء فصـــارت بعـــد أبـــوالا

(ملوك حمير وأقيال اليمن / ١٤٩ - ١٥٦).

وقد وردت الأبيات بألفاظ مختلفة فى سيرة ابن هشام ونقلها فيما يلى ، وقد جاءت تحت عنوان شعر أبى الصلت: قال ابن إسحاق . وقال أبو الصلت بن أبى ربيعة الثقفى، قال ابن هشام: وتروى لأمية بن أبى الصلت وقد رقمنا الأبيات ليسهل الرجوع إليها :

١ - ليطلب الـــوتـــر أمثـــال ابن ذى يـــزن
ريَّم فى البحـــر لـــلأعـــداء أحـــوالا
٢ - يمم قيصـــر لمـــا حـــان رحلتـــه
فلم يجـــد عنـــده بعض الـــذى ســـالا
٣ - ثم انثنى نحو كســرى بعــد عــاشــرة
مــن السنيــن يهيــن النفس والمــــالا
٤ - حتى أتى ببنى الأحـــرار يحملهم
إنك عمـــرى لقـــد أســـرعت قلقـــالا
٥ - لله درهـم من عصبـــة خـــرجـــوا
مـــا إن أرى لهم فى النـــاس أمثـــالا
٦ - بيضـــا مـــرازبـــة غُلبـــا أســـاورة
أُســـدا تـــربب فى الغيضـــات أشبـــالا
٧ - يـــرمـــون عن شُـــدُف كـأنهـــا غُبُط
بـــزمخـــر يعجل المـــرمى إعجـــالا
٨ - أرسلت أســدا على ســود الكــلاب فقــد
أضحى شـــريـــدهم فى الأرض فُـــلاَّلا
٩ - فـــاشرب هنيئـــا عليك التـــاج مـــرتفقـــا
فى رأس غُمـــدان دارا منك محـــلالا
١٠ - واشرب هنيئـــا فقد شـــالت نعـــامتهم
وأسبل اليـــوم فى بـــرديك إسبـــالا
١١ - تلك المكـــارم لا قعبـــان من لبن
شيبـــا بمـــاء فعـــادا بعـــد أبـــوالا

قال ابن هشام: هذا ما صح له مما روى ابن إسحاق منها، إلا آخرها بيتا قوله :

تلك المكارم لا قعبان من لبن

فإنه للنابغة الجعدى، واسمه : حبان بن عبد الله بن قيس، أحد بنى جعدة بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن، فى قصيدة له .

وفيما يلى شرح الأبيات كما ورد فى هوامش التحقيق للأستاذ طه عبد الرءوف سعد:

البيت: ١ ريَّم فى البحر. أى: أقام فيه، ومنه الروايم، وهى الأثافى، كذلك وجدته فى حاشية الشيخ التى عارضها بكتابى (أبى الوليد الوقشى)، وهو عندى غلط، لأن الروايم من رأمت إذا عطفت، وريم ليس من رأم، وإنما هو من الريم، وهو الدرج، أو من الريم الذى هو الزيادة والفضل، أو من رام يريم إذا برح، كأنه يريد: غاب زمانا وأحوالا، ثم رجع للأعداء، وارتقى فى درجات المجد أحوالا إن كان من الريم الذى هو الدرج، ووجدته فى غير هذا الكتاب: خيم مكان ريم، فهذا معناه: أقام. انظر الروض الأنف بتحقيقنا جـ١ ص ٨٤

البيت ٤: عمرى. أراد: لعمرى وقد قال الطائى:

عمرى لقد نصح الزمان وإنه
لمن العجائب ناصح لا يشفق

وأسرعت قلقالا بفتح القاف وكسرها، وكقول الآخر: وقلقل يبغى العز كل مقلقل» وهى شدة الحركة.

البيت ٦: غلبا: شدادا. والأساورة: الرماة. والغيضات: جمع غيضة الشجر الكثير الملتف.

البيت ٧ «يرمون عن شُدُف كأنها غبط» الشَدَف: الشخص، ويجمع على شُدُف، ولم يرد ههنا إلا القسى، وليس شدف جمعا لشدف، وإنما هو جمع شدوف، وهو النشيط المرح يقال: شدف، فهو شدف، ثم تقول: شدوف، كما تقول مروح، وقد يستعار المرح والنشاط للقسى لحسن تأتيها وجودة رميها وإصابتها، فيرمون عن شدف أى. يدفعون عنها بالرمى، ويكون الزمخر: القسى، أو النبل. والغبط الهوادج، والزمخر: القسب الفارسى.

البيت ٩: غمدان أسسه: يعرب بن قحطان، وأكمله بعده، واحتله: وائل بن حمير بن سبأ، وكان ملكا متوجا كأبيه وجده.

البيت ١٠: شالت نعامتهم، أى: هلكوا والنعامة: باطن القدم، وشالت: ارتفعت، ومن هلك ارتفعت رجلاه، وانتكس رأسه، فظهرت نعامة قدمه. تقول العرب: تنعمت إذا مشيت حافيا، قال الشاعر:

تنعمت لما جاءنى سوء فعلهم
ألا إنما البأساء للمتنعم

(السيرة النبوية ١ / ٥٨ ـ ٦٠).

(ملوك حمير وأقيال اليمن. قصيدة نشوان بن سعيد الحميرى، وشرحها المسمى خلاصة السيرة الجامعة لعجائب أخبار الملوك التبابعة ـ تحقيق على ابن إسماعيل المؤيد، وإسماعيل بن أحمد الجرافى / ١٤٨ ـ ١٥٦، والسيرة النبوية لابن هشام ـ قدم لها وعلق عليها وضبطها الأستاذ طه عبد الرءوف سعد ١ / ٥٨ ـ ٦٠).

*** الذئب:**

مما يرد فى مصنفات التراث الإسلامى فى علم الحيوان. قال عنه القزوينى:

الذئب حيوان كثير الخبث ذو غارات وخصومات ومكابرة وحيل شديدة وصبر على المطاولة وقلما يخطئ فى وثبته، وعند اجتماعها لا ينفر أحد منها إذ لا يأمن أحد على نفسه منها، وإذا نامت واجهت بعضها بعضا حتى قالوا ينام بإحدى عينيه وإذا أصاب أحدهما جراحة أكلته البقية، والأنثى أكثر فسادا من الذكر، وإذا عجز عن من يقاومه يعوى حتى يأتيه من يسمع عواءه يعاونه، وإذا مرض ينفرد عن الذئاب لعلمه بأنها إن علمت بضعفه أكلته، وإذا رأى مع الرجل عصا يفزع منه، ومن رمى إليه الحجر يتركه ومن رمى إليه النشاب لا يتركه، وإذا مرض أكل حشيشة تسمى جعدة يزول مرضه، وإذا دنا من الغنم يعوى ثم يذهب إلى جهة أخرى ليذهب الكلب إلى الجهة التى سمع منها العواء ثم يأتى يسلب الغنم والكلب بعيد عنه، ويأخذ بقفا الشاة ويضربها بذنبه حتى تعدو معه، وأكثر ما يأتى وقت طلوع الشمس لأنه يعلم أن الكلب طول الليل يحرس ولا ينام وفى ذلك الوقت يغلبه النوم، وزعموا أن الفرس لا تعدو خلف الذئب وإن ركضها الفارس تعثر، وإن وقع حافر الفرس على أثر الذئب تبلد خصره ويسحب قوائمه، وإن عض ذئب برذونا اشتد خصره وإن عض شاة طاب لحمها، ولا تتولد الحيوانات المؤذية فى صوفها، والذئب أشد الحيوانات شمًّا وإذا رمى الإنسان وشم منه رائحة الدم لا ينجو منه وإن كان أشد الناس قلبا وأتمهم قوة وسلاحا. قال الجاحظ: إن السباع القوية ذوات الرياسة لا تتعرض للإنسان إلا بعد الهرم والعجز عن صيد الوحش والجوع الشديد، والذئب ليس كذلك بل هو أشد السباع طلبا للإنسان. قال بليناس: إن وقعت عين الإنسان على الذئب

أولا استرخى الذئب وإن وقعت عين الذئب على الإنسان أولا استرخى الإنسان (عجائب المخلوقات / ٢٥٩).

وقال عنه الشيخ كمال الدين الدميرى وقد بسط الكلام عليه:

ذئب: يهمز ولا يهمز وأصله الهمزة والأنثى ذئبة وجمع القلة أذؤب وجمع الكثرة ذئاب وذؤبان ويسمى الخاطف والسيد والسرحان وذؤالة والعملس والسلق والأنثى سلقة والسمسام وكنيته أبو مذقة لأن لونه كذلك قال الشاعر:

حتى إذا جن الظلام واختلط

جاءوا بمذق هل رأيت الذئب قط

ومن كناه الشهيرة أبو جعدة قال عبيد بن الأبرص للمنذر ابن ماء السماء ملك الحيرة حين أراد قتله

وقالوا هى الخمر تكنى الطلا

كما الذئب يكنى أبا جعدة

ضربه مثلا أى تظهر لى الإكرام وأنت تريد قتلى كما أن الخمرة وإن سميت طلاء وحسن اسمها فإن فعلها قبيح وكذلك الذئب وإن حسنت كنيته فإن فعله قبيح والجعدة الشاة وقيل نبت طيب الريح ينبت فى الربيع ويجف سريعا وسئل ابن الزبير عن المتعة فقال الذئب يكنى أبا جعدة يعنى أن المتعة حسنة الاسم قبيحة المعنى كما أن الذئب حسن الكنية قبيح الفعل، ومن كناه أبو ثمامة وأبو جاعد وأبو رعلة وأبو سلعامة وأبو العطلس وأبو كاسب وأبو سبلة ومن أسمائه الشهيرة أويس مصغرا ككميت ولحيف قال الشاعر الهذلى:

يا ليت شعرى عنك والأمر عم

ما فعل اليوم أويس بالغنم

ومن أوصافه الغبش وهو لون كلون الرماد يقال ذئب أغبش وذئبة غبشاء...

والأسد والذئب فى الصبر على الجوع ما ليس لغيرهما من الحيوان لكن الأسد شديد الهم حريص رغيب شره وهو مع ذلك يحتمل أن يبقى أياما لا يأكل شيئا والذئب وإن كان أقفر منزلا وأقل خصبا وأكثر كدًّا إذا لم يجد شيئا اكتفى بالنسيم فيقتات به وجوفه يذيب العظم المصمت ولا يذيب نوى التمر... وإذا أراد العدو فإنما هو الوثب والقفز ولا يعود إلى فريسة شبع منها أبدا ومن عجيب أمره أنه ينام بإحدى مقلتيه والأخرى يقظى حتى تكتفى العين النائمة من النوم فيفتحها وينام بالأخرى ليحترس باليقظى ويستريح بالنائمة قال حميد ابن ثور فى وصفه فى أبيات مشهورة منها:

ونمت كنوم الذئب فى ذى حفيظة

أكلت طعاما دونه وهو جائع

ينام بإحدى مقلتيه ويتقى

بأخرى الأعادى فهو يقظان هاجع

وهو أكثر الحيوان عواء إذا كان مرسلا فإذا أخذ وضرب بالعصى والسيوف حتى يتقطع أو يهشم لم يسمع له صوت إلى أن يموت وفيه من قوة حاسة الشم أنه يدرك المشموم من فرسخ وأكثر ما يتعرض للغنم فى الصبح وإنما يتوقع فترة الكلب ونومه وكلاله لأنه يظهر طول ليله حارسا متيقظا ومن غريب أمره أنه إذا اجتمع جلده مع جلد شاه تمعط جلد الشاة وأنه متى وطىء ورق العنصل مات من ساعته والذئب إذا كده الجوع عوى فتجتمع له الذئاب ويقف بعضها إلى بعض فمن ولى وثب إليه الباقون وأكلوه وإذا عرض للإنسان وخاف العجز عنه عوى عواء استغاثة فتسمعه الذئاب فتقبل على الإنسان إقبالا واحدا وهم سواء فى الحرص على أكله فإن أدمى الإنسان واحدا منها وثب الباقون على المدمى فمزقوه وتركوا الإنسان وقال بعض الشعراء يعاتب صديقا له وكان قد أعان عليه فى أمر نزل به.

وكنت كذئب السوء لما رأى دما

بصاحبه يوما أحال على الدم

روى البيهقى فى الشعب عن الأصمعى قال دخلت البادية فإذا بعجوز بين يديها شاة مقتولة وجرو ذئب مقع فنظرت إليها فقالت أتدرى ما هذا قلت لا قالت جرو ذئب أخذناه وأدخلناه بيتنا فلما كبر قتل شاتنا وقد قلت فى ذلك شعرا قلت لها ما هو؟ فأنشدته:

بقرت شويهتى وفجعت قلبى

وأنت لشاتنا ولد ربيب

غذيت بدرها وربيت فينا

فمن أنباك أن أباك ذيب

إذا كان الطباع طباع سوء

فليس بنافع فيها الأديب

وهو إذا خافه إنسان طمع فيه وإذا طمع الإنسان فيه خافه ويقطع العظم بلسانه ويبريه برى السيف ولا يسمع له صوت ويقال عوى الذئب كما يقال عوى الكلب قال الشاعر

عوى الذئب فاستأنست للذئب إذ عوى
وصوّت إنسان فكدت أطير

وقال آخر:

ليت شعري كيف الخلاص من النا
س وقد أصبحوا ذئاب اعتداء
قلت لما بلاهم صدق خبري
رضي الله عن أبي الدرداء

أشار إلى قول أبي الدرداء إياكم ومعاشرة الناس فإنهم ما ركبوا قلب امرىء إلا غيروه ولا جوادا إلا عقروه ولا بعيرا إلا أدبروه .

وروى السهيلي في الكلام على غزوة أحد في حديث مسند أنه قال لما ولد عبد الله بن الزبير نظر إليه النبي ﷺ وقال هو هو ورب الكعبة فلما سمعت أمه أسماء ذلك أمسكت عن إرضاعه فقال له النبي ﷺ أرضعيه ولو بماء عينيك كبش بين ذئاب عليها ثياب ليمنعن البيت أو يقتلن دونه .

وروى ابن ماجه والبيهقي عن كعب بن مالك وقال حديث صحيح حسن أن النبي ﷺ قال ما ذئبان جائعان أرسلا في زريبة غنم بأفسد لها من حرص الرجل على الماء والشرف لدينه وقد نص الله تعالى على ذم الحرص بقوله ﴿ولتجدنهم أحرص الناس على حياة﴾ [البقرة : ٩٦] وروى ابن عدى عن عمرو بن حنيف عن ابن عباس رضى الله عنهما أن النبي ﷺ قال «أدخلت الجنة فرأيت فيها ذئبا فقلت أذئب في الجنة فقال أكلت ابن شرطي» قال ابن عباس هذا وإنما أكل ابنه فلو أكله رفع في عليين وقد رأيته كذلك في تاريخ نيسابور للحاكم في ترجمة شيخه على بن محمد بن إسماعيل الطوسي وهو حديث موضوع

وروى الحاكم في مستدركه بإسناد على شرط مسلم عن أبي سعيد الخدري رضى الله عنه قال بينما راع يرعى بالحرة إذ عدا الذئب على شاة فحال الراعي بينه وبينها فأقعى الذئب على ذنبه وقال يا عبدالله تحول بيني وبين رزق ساقه الله إلى

فقال الرجل واعجبا ذئب يكلمني فقال الذئب ألا أخبرك بأعجب من هذا رسول الله ﷺ بين الحرتين يخبر الناس بأنباء ما قد سبق فزوى الراعي شياهه إلى زاوية من زوايا المدينة ثم أتى النبي ﷺ فأخبره فخرج رسول الله ﷺ فقال صدق والذي نفسي بيده .

فائدة : قال ابن عبد البر وغيره كلم الذئب من الصحابة ثلاثة رافع بن عميروسلمة بن الأكوع وأهبان بن أوس الأسلمي رضى الله تعالى عنهم قال ولذلك تقول العرب هو كذئب أهبان يتعجبون منه وذلك أن أهبان بن أوس المذكور وكان في غنم له فشد الذئب على شاة منها فصاح به أهبان فأقعى الذئب وقال أتنزع منى رزقًا رزقنيه الله تعالى فقال أهبان ما سمعت ولا رأيت أعجب من هذا ذئب يتكلم فقال الذئب أتعجب من هذا ورسول الله ﷺ بين هذه النخلات وأومأ بيده إلى المدينة يحدث بما كان وبما يكون ويدعو الناس إلى الله وإلى عبادته وهم لا يجيبونه قال أهبان بن أوس فجئت النبي ﷺ وأخبرته بالقصة وأسلمت فقال لي حدث به الناس قال عبد الله بن أبي داود السجستاني الحافظ فيقال لأهبان مكلِّم الذئب ولأولاده أولاد مكلم الذئب ومحمد بن الأشعث الخزاعي من ولده واتفق ذلك لرافع بن عميرة وسلمة بن الأكوع انتهى .

وقال البخاري أنبأنا شعيب عن الزهري عن أبي سلمة بن عبد الرحمن أن أبا هريرة رضى الله تعالى عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول بينما راع في غنمه إذ عدا عليها الذئب فأخذ منها شاة فطلبه الراعي فالتفت إليه الذئب وقال من لها يوم السبع يوم لا راعي لها غيرى وبينما رجل يسوق بقرة قد حمل عليها فالتفتت إليه وكلمته فقالت إني لم أخلق لهذا ولكني خلقت للحرث فقال الناس سبحان الله ذئب يتكلم وبقرة تتكلم فقال النبي ﷺ آمنت بذلك أنا وأبو بكر وعمر قال ابن الأعرابي السبع بسكون الباء الموضع الذي عنده المحشر يوم القيامة أراد من لها يوم القيامة وقيل هذا التفسير يفسد بقول الذئب في تمام الحديث يوم لا راعي لها غيرى والذئب لا يكون لها راعيًا يوم القيامة قيل أراد من لها يوم الفتن حين يتركها الناس هملا لا راعي لها نهبة للسباع والذئاب فجعل السبع لهاراعيا إذ هو منفرد بها ويكون حينئذ بضم الباء وهو إنذار بما يكون من الشدائد والفتن التي تأتي حتى يهمل الناس فيها مواشيهم وتتمكن منها السباع بلا مانع

وقال أبوعبيدة معمربن المثنى يوم السبع عيد كان لهم في الجاهلية يشتغلون فيه بلهوهم ولعبهم وأكلهم

فيجيء الذئب فيأخذها وليس هو بالسبع الذى يفترس الناس قال وأملاه أبو عامر العبدى الحافظ بضم الباء وكان من العلم والإتقان بمكان .

وفى الصحيحين عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه أن النبى ﷺ قال « كانت امرأتان معهما ابناهما إذ جاء الذئب فذهب بابن إحداهما فقالت هذه لصاحبتها إنما ذهب بابنك أنت وقالت الأخرى إنما ذهب بابنك فتحاكما إلى داود عليه الصلاة والسلام فقضى به للكبرى فخرجتا على سليمان فأخبرتاه بذلك فقال سليمان عليه الصلاة والسلام ائتونى بالسكين أشقه بينكما نصفين فقالت الصغرى لا ويرحمك الله هو ابنها فقضى به للصغرى» قال أبو هريرة رضى الله تعالى عنه والله ما سمعت بالسكين قط إلا يومئذ وما كنا نقول إلا المدية واستدل بهذا الحديث من جوز أن المرأة تستلحق اللقيط وأنه يلحقها لأنها أحد الأبوين . ونقله صاحب التقريب عن ابن سريج والأصح أنه لا يلحقها إذا استلحقته لإمكان إقامة البينة على الولادة بطريق المشاهدة بخلاف الرجل وفيه وجه ثالث يلحق الخلية دون المزوجة لتعذر الإلحاق بها دونه وإذا قلنا يلحقها بالاستلحاق وكان لها زوج لم يلحقه فى الأصح وليس المراد بالزوج من هى فى عصمته بل كونها فراشا لشخص لو ثبت نسب اللقيط منها بالبينة لحق صاحب الفراش سواء كانت فى العصمة أو فى العدة .

وروى الإمام أحمد والطبرانى بإسناد جيد أن النبى ﷺ قال «الشيطان ذئب الإنسان كذئب الغنم يأخذ القاصية إياكم والشعاب وعليكم بالعامة والجماعة والمساجد» .

وفى تاريخ ابن النجار عن وهب بن منبه قال بينما امرأة من بنى إسرائيل على ساحل البحر تغسل ثيابها وصبى لها يدب بين يديها إذ جاء سائل فأعطته لقمة من رغيف كان معها فما كان بأسرع من أن جاء ذئب فالتقم الصبى فجعلت تعدو خلفه وتقول يا ذئب ابنى يا ذئب ابنى فبعث الله ملكا فنزع الصبى من فم الذئب ورمى به إليها وقال لقمة بلقمة وهو فى الحلية عن مالك بن دينار قال أخذ السبع صبيا لامرأة فتصدقت بلقمة فرماه السبع فنوديت لقمة بلقمة .

وروى الإمام أحمد فى الزهد عن سالم بن أبى الجعد قال خرجت امرأة وكان معها صبى لها فجاء الذئب فاختلسه منها فخرجت فى أثره وكان معها رغيف فعرض لها سائل فأعطته الرغيف فجاء الذئب بصبيِّها فرده عليها . قال ابن سعد كان موسى بن أعين راعيا بكرمان فى خلافة عمر بن عبد العزيز فكانت الذئب والشاء والوحش ترعى فى موضع واحد فبينما نحن ذات ليلة إذ عرض الذئب لشاة فقلنا ما نرى الرجل الصالح إلا قد مات فنظرنا فإذا عمر بن عبد العزيز قد مات تلك الليلة وذلك لعشر بقين من شهر رجب سنة إحدى ومائة وكانت مدة خلافته سنتين وخمسة أشهر. وروى الإمام أحمد فى الزهد أيضا عن مالك بن دينار قال لما استعمل عمر بن عبد العزيز على الناس قال رعاة الشاء مَنْ هذا العبد الصالح الذى قام على الناس؟ قيل لهم وما أعلمكم بذلك قالوا إنه إذا ولى على الناس خليفة عدل كفت الذئاب والأُسد عن شياهنا .

الحُكْم : يحرم أكله لتقويته بنابه .

الأمثال : وصفته العرب بأوصاف مختلفة فقالوا أغدر من ذئب واختل وأخبث وأخون وأجول وأعتى وأعوى وأظلم وأجرأ وأكسب وأجوع وأنشط وأوقح وأجسر وأيقظ وأعق وألأم من ذئب وقالوا أخوك أم الذئب وقالوا أخف رأسا من الذئب لأنه ينام بإحدى مقلتيه كما تقدم . وقالوا فى الدعاء على العدو رماه الله بداء الذئب أى الجوع وقالوا : الذئب يكنى أبا جعدة كما تقدم . وقالوا من استرعى الذئب الغنم فقد ظلم أى ظلم الغنم ويجوز أن يراد به ظلم الذئب حيث كلفه ما ليس فى طبعه وأول من قال ذلك أكثم بن صيفى وقاله عمر رضى الله تعالى عنه فى قصة سارية بن حصن المشهورة وذلك أنه كان يخطب يوم الجمعة بالمدينة فقال فى خطبته يا سارية بن حصن الجبل الجبل من استرعى الذئب الغنم فقد ظلم فالتفت الناس بعضهم إلى بعض ولم يفهموا مراده فلما قضى صلاته قال له علىٌّ كرم الله وجهه : ما هذا الذى قلته قال أوَسمعته قال نعم أنا وكل من فى هذا المسجد قال وقع فى خلدى أن المشركين هزموا إخواننا وركبوا أكتافهم وأنهم يمرون بجبل فإن عدلوا إليه قاتلوا من وجدوا وظفروا وإن جاوزوه

هلكوا فخرج منى هذا الكلام فجاء البشير بعد شهر فذكر أنهم سمعوا فى ذلك اليوم وفى تلك الساعة حين جاوزوا الجبل صوتا يشبه صوت عمر رضى الله تعالى عنه يقول يا سارية بن حصن الجبل الجبل فعدلوا إليه ففتح الله عليهم كذا نقله فى تهذيب الأسماء واللغات وفى طبقات ابن سعد وأسد الغابة أنه سارية بن زنيم بن عمرو بن عبد الله بن جابر وأنشدوا فى معنى هذا المثل هذا البيت

وراعى الشاء يحمى الذئب عنها
فكيف إذا الرعاة لها ذئاب

كان يحيى بن معاذ الرازى رحمه الله تعالى يقول لعلماء الدنيا فى زمانه يا أصحاب العلم قصوركم قيصرية وبيوتكم كسروية وأثوابكم طالونية وأخفافكم جالوتية وأوانيكم فرعونية ومراكبكم قارونية وموائدكم جاهلية ومذاهبكم شيطانية فأين المحمدية (حياة الحيوان الكبرى ١/ ٣٢٦-٣٢٩).

(عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات للقزوينى / ٢٥٩، وحياة الحيوان الكبرى للشيخ كمال الدين الدميرى ١ / ٣٢٦-٣٢٩. انظر أيضا المعتمد فى الأدوية المفردة للمظفر الرسولى - صححه وفهرسه مصطفى السقا ١ / ١٧٩، ١٨٠، وتذكرة أولى الألباب لداود بن عمر الأنطاكى ١ / / ١٦٤).

* **ابن أبي ذئب (٨٠-١٥٩):**

أدرجه الحافظ شمس الدين الذهبى فى الطبقة السادسة وقال عنه: محمد بن عبد الرحمن بن المغيرة بن الحارث بن أبى ذئب - واسم أبى ذئب: هشام بن شعبة - الإمام شيخ الإسلام، أبو الحارث القرشى، العامرى، المدنى، الفقيه.

سمع: عكرمة وشرحبيل بن سعد، وسعيدا المقبرى، ونافعا العمرى، وخلقا سواهم. وكان من أوعية العلم، ثقة، فاضلا، قوّالا بالحق، مهيبا. حدَّث عنه ابن المبارك، وأبو نعيم، ووكيع، وخلق كثير. ولد سنة ثمانين، وكان من أورع الناس وأودعهم، ورُمى بالقدر، وما كان قدريًّا، لقد كان يتقى قولهم ويعيبه.

قدم ابن أبى ذئب بغداد، فحملوا عنه العلم، وأجازه المهدى بذهب جيد، ثم رد إلى بلاده، فأدركه الأجل بالكوفة، غريبا، وذلك فى سنة تسع وخمسين ومائة.

قال أحمد بن حنبل: وكان رجلا صالحا قوّالا بالحق، يُشبَّه بسعيد بن المسيب، وكان قليل الحديث (تهذيب سير أعلام النبلاء ١ / ٢٥٢).

رُمى بأنه يروى عن الضعفاء.

وثقه: الواقدى، وأحمد، وابن معين، والنسائى، والخليلى، وابن حبان، وغيرهم، واحتج به الجماعة. قال ابن حجر: ثقة فقيه فاضل من السابعة، أقدمه المهدى بغداد فحدث بها. ثم رجع يريد المدينة فتوفى بالكوفة سنة ١٥٨ هـ كما سبق القول. سمع من التابعين: عن نافع، وعكرمة. وسمع منه الثورى، ووكيع، والقطان، وابن المبارك، وروى له البخارى ومسلم، وله كتاب فى السنن (المبتكر / ٢٨٣، ٢٨٤).

(تهذيب سير أعلام النبلاء للإمام شمس الدين الذهبى - أشرف على تحقيق الكتاب شعيب الأرنؤوط. هذبه أحمد فايز الحمصى، راجعه عادل مرشد ١ / ٢٥٢، والمبتكر الجامع لكتابى «المختصر والمعتصر» فى علوم الأثر - عبد الوهاب عبد اللطيف / ٢٨٣، ٢٨٤).

* **الذئبى:**

من استدراكات ابن الأثير على السمعانى:

استدركه اللباب وقال «بكسر الذال وسكون الياء المهموزة وبعدها باء موحدة - نسبة إلى ذئب بن عمرو بن حارثة بن عدى بن عمرو بن مازن بن الأزد، منهم سطيح الكاهن، وهو ربيع بن ربيعة بن مسعود بن عدى بن الذئب - هذا قول هشام الكلبى، وقال الأمير ابن ماكولا: ذئب بن حجن القبيل الذى منه سطيح الذئبى الكاهن. وقد صحفه أبو سعد» يعنى المؤلف إذ قال فيه «الذنبى» والأمير ذكر فى الإكمال ٣ / ٣٩٣ عن ابن الحباب مثل قول ابن الكلبى ٣ / ٤٠٢ «سطيح الكاهن الذئبى من آل ذئب بن حجن» وهذا جاء فى الرجل المنسوب إلى عبد المسيح وربما كان «حجن» لقبا لأحد آباء ذئب، أو اسما لأمه.

(الأنساب للسمعانى - تقديم وتعليق عبد الله عمر البارودى / ١٩ هامش (٣) للمحقق)

* **الذّيالى:**

قال السمعانى:

الذَّيالي: بفتح الذال المعجمة والياء المشددة المنقوطة من تحتها بنقطتين وفي آخرها اللام، هذه النسبة إلى الذيال، وهو اسم لبعض أجداد المنتسب إليه، وهو أبو علي أحمد ابن محمد بن عبد الوهاب بن ثابت بن شداد بن الهاد بن الهدهاد المروزي المعروف بابن أبي الذيال مروزي الأصل بغدادي المولد والمنشأ حدث عن محمد بن الصباح الجرجرائي وأحمد بن إبراهيم الدورقي وعمر بن شبة وغيرهم. روى عنه أحمد بن محمد الجوهري والحسين بن علي بن مرزبان النحوي. وأبو العباس الفضل بن أحمد بن منصور بن الذيال الزبيدي الذيالي، من أهل بغداد، حدث عن عبد الأعلى بن حماد وأحمد بن حنبل وزياد بن أيوب روى عنه أبو الحسن الدارقطني ويوسف بن عمر القواس، وكان ثقة مأمونا، ضرير البصر، مات بعد سنة ثلاث عشرة وثلاثمائة.

(الأنساب للسمعاني ٣/ ١٩).

* **الذَّيبَدواني**

قال السمعاني:

الذيبدواني: بكسر الذال المعجمة والياء ساكنة آخر الحروف والباء الموحدة المفتوحة والدال المهملة الساكنة والواو المفتوحة وفي آخرها الألف والنون، هذه النسبة إلى ذيبدوان، وهي إحدى قرى بخارى، منها أبو محمد عبد الوهاب بن عبد الواحد بن أحمد بن أنوش الذيبدواني البخاري، شيخ فاضل صالح، سمع أبا عمرو عثمان بن إبراهيم بن محمد بن محمد الفضلي، قرأت عليه وكتبت عنه جزءا.

(الأنساب للسمعاني ٣/ ١٩).

* **ذيل الأمالي:**

من مصنفات التراث الإسلامي في الأدب.

من المخطوطات المصورة في معهد المخطوطات العربية بالقاهرة وجاء بيانه كما يلي:

كلاهما لأبي علي إسماعيل بن القاسم القالي البغدادي، والمتوفى سنة ٣٥٦ هـ.

أوله: أول الزيادة في الأمالي، المعروف بالذيل، تأليف أبي علي إسماعيل بن القاسم البغدادي رحمه الله. بسم الله الرحمن الرحيم، وصلى الله على محمد. أول الزيادة. قال أبو علي: حدثنا أبو بكر رحمه الله قال الرياشي عن محمد بن سلام قال: كتب الحجاج إلى قتيبة بن مسلم إني نظرت خمسين عاما فإذا أنا قد بلغت خمسين سنة، وأنت نحوي في السن...

وآخرة: قال: وحدثنا النيسابوري قال: حدثنا حاجب بن سليمان قال:

قال رسول الله ﷺ قال: من مطر... تمت الزيادة لأبي علي إسماعيل بن القاسم البغدادي رحمه الله.

نسخة عتيقة جدا ونفيسة، كتبت سنة ٤٩٥ هـ، بقلم أندلسي كتبها محمد بن إبراهيم بن أحمد بن سعيد بن سعد، ضمن مجموعة من ١٣٦ جـ ـ ١٦٧ ب ويلاحظ أن العنوان وضع قبل بدء الكتاب بأربع صفحات.

٣١ ورقة ١٥ سطر

(إسكوريال ١٦٦٧ / ٢).

(فهرست المخطوطات المصورة، معهد المخطوطات العربية. الأدب جـ١ ق٣ القاهرة ١٩٨٠ / ٢٥٦، ٢٥٧).

* **ذيل تاريخ الإسلام:**

من المخطوطات العربية المحفوظة في مكتبة تشستر بتي في دبلن ـ أيرلندا، وجاء بيانه كما يلي:

الرقم التسلسلي: ١٤٠٠.

عنوان المخطوطة: ذيل تاريخ الإسلام

اسم المؤلف: الذهبي (محمد بن أحمد).

اسم الشهرة: الذهبي.

تاريخ الوفاة: ٧٤٨ هـ/ ١٣٤٨ م.

تعريف بالمخطوطة: ذيل «تاريخ الإسلام» كتاب المؤلف في حولياته الإسلامية.

عدد الأوراق: ١٤٣ ورقة، ٢٤ × ٥ ١٥سم

نوع الخط: نسخ معتاد متصل الحروف نوعا ما

تاريخ النسخ: (د. ت). تقديرا ق ٨ هـ/ ١٤ م.

المصدر: بروكلمان، الملحق ٢ / ٤٥.

(فهرس المخطوطات العربية فى مكتبة تشستربتى. دبلن، أيرلندا ـ أعده الأستاذ آرثر ج. آربرى. ترجمة د. محمود شاكر سعيد، راجعه د. إحسان صدقى العمد. مؤسسة آل البيت (مآب) عمان الأردن. د. ت. رقم الإيداع لدى المكتبة الوطنية ٣٥٨/ ٤ / ١٩٩٣، ٢ / ٦٢٨).

* **ذيل تاريخ بغداد:**

من المخطوطات العربية المحفوظة فى مكتبة تشستر بتى فى دبلن ـ أيرلندا، وجاء بيانه كما يلى:

الرقم التسلسلى: ٣٧٥٤.

عنوان المخطوطة: ذيل تاريخ بغداد

اسم المؤلف: أبو إبراهيم، الفتح بن على بن الفتح البندارى الأصبهانى

اسم الشهرة: البندارى

تاريخ الوفاة: ٦٤٣ هـ/ ١٠٧١ م.

تعريف بالمخطوطة: مجلد من تكملة «تاريخ بغداد» معجم السير المشهور للخطيب البغدادى (ت ٤٦٣ هـ/ ١٠٧١ م).

عدد الأوراق: ١٠٠ ورقة، ٢٥ × ٤ ١٦سم

نوع الخط: نسخ معتاد ممتاز

تاريخ النسخ: (د. ت)، تقديرا ق ٨ هـ/ ١٤ م

المصدر: بروكلمان، الملحق ١ / ٥٦٣

(فهرس المخطوطات العربية فى مكتبة تشستر بتى، دبلن / أيرلندا ـ أعده الأستاذ آرثر ج. آربرى. ترجمة د. محمود شاكر سعيد، راجعه د. إحسان صدقى العمد ١ / ٤٥٢).

* **ذيل تاريخ السمعانى:**

انظر: تاريخ مدينة السلام.

* **ذيل تارخ مدينة السلام:**

من مخطوطات التاريخ فى المجمع العلمى العراقى: لابن الدبيثى (ت: ٦٣٧ هـ/ ١٢٣٩ م).

جعله ذيلا على «تاريخ بغداد» لأبى سعد السمعانى، الذى ذيل به «تاريخ بغداد» للخطيب البغدادى وهو فى أربع مجلدات.

سلم منه بعض أجزاء تنتهى إلى نهاية حرف العين تفرقت بين خزائن كتب ديار الشرق والغرب، منها:

الجزء الأول: فى خزانة كتب شهيد علي باستانبول. (برقم ١٨٧٠) ٢٤٦ ق، كتبت سنة ٦٣٥ هـ، أى قبل وفاة المؤلف بسنتين.

الجزء الأول: فى دار الكتب المصرية سمع على المؤلف سنة ٦١٧ هـ. ومنه نسخة مصورة فى خزانة كتب المجمع العلمى العربى بدمشق

وفى دار الكتب الوطنية بباريس، الأجزاء الآتية:

الجزء الأول (برقم ٥٩٢١).

الجزء الثانى (برقم ٢١٣٣) كتب فى عصر المؤلف.

الجزء الثالث (برقم ٥٩٢٢) كتب سنة ٢٣٦ هـ. أى قبل وفاة المؤلف بسنة واحدة.

وقد انتسخ لنفسه الدكتور مصطفى جواد، نسخة من كل جزء من الأجزاء الثلاثة.

ومن الأجزاء الثلاثة فى باريس، مصورات فى خزانة كتب الدراسات العليا بكلية الآداب من جامعة بغداد (الأرقام ١٢٤٠، ١٥٧، ٥٧٤ ـ ٣٤١، ٣٥٠، ٤٤٦) راجع بشأنها («المورد» ٣ [بغداد ١٩٧٤] ع ٣، ص ٣١٩، ٣٢٠).

فى خزانة كتب جامع الزيتون بتونس نسخة تقع فى ٢٧٨ ورقة (برقم ٥٠٣٨).

أشار السخاوى (ت: ٩٠٢ هـ/ ١٥٩٧ م) («الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ»، ص ٢٥٤) إلى وجود نسختين من هذا الكتاب فى مكة، وثالثة عند السبط (لعله سبط بن العجمى).. لكننا لا ندرى اليوم مآل تلكم النسخ الثلاث!

بشأن نسخ «ذيل تاريخ مدينة السلام بغداد» لابن الدبيثى، المخطوطة، راجع:

كوركيس عواد: («ما سلم من تواريخ البلدان العراقية»: المقتطف» ١٠٥ [القاهرة ـ نوفمبر ١٩٤٤] ع ٤، ص ٣٧٠ ـ ٣٧٢، الرقم ٥).

د. مصطفى جواد: («تاريخ ابن الدبيثى»: «مجلة المجمع العلمى العراقى» [بغداد ١٩٥٠] ص ٣٣٠ ـ ٣٣٦).

د. علي جواد الطاهر: «ابن الدبيثي»: «مجلة المجمع العلمي العراقي» ٤ [بغداد ١٩٥٦] ج ١، ص ٢٧٥ - ٢٧٦): ضمن بحثه «مصادر دراسة - الشعر العربي - في العراق وبلاد العجم: أواسط القرن الخامس - أواسط القرن السادس».

د. علي جواد الطاهر: («الشعر العربي في العراق وبلاد العجم في العصر السلجوقي» ١ / ٣١ - ٣٢).

د. بدري محمد فهد: «ابن الدبيثي وكتابه (تاريخ بغداد)»: («المورد» ٣ [بغداد ١٩٧٤] ع ٣، ص ٣١٧ - ٣٢٨).

د. بشار عواد معروف: «مقدمته» التي صدر بها («ذيل تاريخ مدينة السلام بغداد» ص ٤٨ - ٦٤) يعني بتحقيق «ذيل تاريخ مدينة السلام بغداد» والتعليق عليه: د. بشار عواد معروف، وظهر منه: (المجلد الأول: منشورات وزارة الإعلام العراقية: سلسلة كتب التراث - ٣٦ -، بغداد ١٩٧٤، ٣٦٥ ص).

وصدَّره بمقدمة (٧٣ ص) تناول فيها: ما قاله المؤرخون في ابن الدبيثي، سيرته، نسخ الكتاب (المجلد الثاني: منشورات وزارة الثقافة والإعلام: سلسلة كتب التراث - ٨٤ - بغداد ١٩٧٩، ١٧٦ ص).

والدبيثي: نسبة إلى «دبيثا»: بفتح الدال على المشهور، وقيل بضم الدال: من قرى واسط الحجاج بالعراق.

وهو: جمال الدين أبو عبد الله محمد بن سعيد الشافعي، المعروف بابن الدبيثي الواسطي.

ترجمته وأخباره في: «الأعلام» ٧ / ١١، «معجم المؤلفين» ١٠ : ٤٠، «ما سلم من تواريخ البلدان العراقية» ص ٣٧٢، المقدمة التي كتبها: د. مصطفى جواد، وصدر بها - الجزء الثاني - من «المختصر المحتاج إليه» ص٣ - ٧، المقدمة التي كتبها: د. ناجي معروف، وصدر بها - الجزء الثالث - من «المختصر المحتاج إليه». (ص ٧ - ١٢)، (البحوث التي كتبها د. بشار عواد معروف بشأن «ابن الدبيثي وكتبه». راجع عنواناتها ومواطنها في الحاشية (١) : (ص ١٢) من مقدمة - الجزء الثالث - من المختصر المحتاج إليه) وما ورد من أبحاث، ذكرت في الحاشية السابقة (رقم ١).

(الجزء الثالث)

أوله: «عبد الله بن عبد الله الرومي أبو الخير الجوهري، عتيق جعفر بن سليمان الطيبي التاجر، كان يسكن درب حبيب، وكان خيرا حافظا لكتاب الله العزيز، قرأ على أبي العز محمد بن الحسين القلانسي الواسطي ببغداد لما قدمها في سنة سبع عشرة وخمسمائة، وروى عنه حرف أبي عمرو بن العلاء، وأتى الناس به».

آخره: «ترجمة عدنان بن المعمر بن عدنان بن عبد الله بن المختار... ، من أهل الكوفة. قدم بغداد وسكنها مدة، وتولى بها نقابة العلويين بمشهد الإمام موسى بن جعفر...».

نسخة مصورة بالفتستات عن نسخة خطية في خزانة كتب جامعة كمبردج (برقم ١٦٩ .Mr, Add, 2924) بخط مشق اعتيادي.

١٨٤ ق + صفحة أخيرة فيها أدعية وأبيات من الشعر، ٢٥ س.

(٣١ / تاريخ).

(الجزء الثالث)

نسخة ثانية مصورة بالفتستات عن نسخة خزانة جامعة كمبردج

(٣٢ / تاريخ).

مخطوطات المجمع العلمي العراقي - دراسة وفهرسة. ميخائيل عواد ١ / ٢٦١ - ٢٦٣) انظر أيضا مفتاح السعادة لطاش كبرى زاده ١ / ٢٣٨، ٢٣٩).

*** ذيل التاريخ لمدينة السلام، وأخبار فضلائها الأعلام ومن وردها من علماء الأنام، وهو المعروف أيضا بالتاريخ المجدد لمدينة السلام:**

من مخطوطات التاريخ في المجمع العلمي العراقي، لابن النجار (ت: ٦٤٣ هـ / ١٢٤٥ م) وهو ذيل عظيم على تاريخ بغداد للخطيب. قال ابن شاكر الكتبي (فوات الوفيات ٢ / ٢٦٤): «صنف التاريخ الذي ذيل به على تاريخ الخطيب، واستدرك فيه على الخطيب، فجاء في ثلاثين مجلدا، دل على تبحره في هذا الشأن وسعة حفظه».

وذكر ابن كثير (البداية والنهاية ١٣ / ١٦٩) أنه أكمله في ستة عشر مجلدا. وقال الحاج خليفة (كشف الظنون ١ / ٢٨٨): إنه يتم في ثلاثين مجلدا، وأنه رأى المجلد السادس عشر في حرف العين، يذكر تراجم الرجال كالطبقات.

وقالت ياقوت الحموي (معجم الأدباء ٧ / ١٠٣) إن لابن النجار «التصانيف الممتعة، منها تاريخ بغداد، ذيل به تاريخ

مدينة السلام للحافظ أبي بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي، واستدرك فيه عليه، وهو تاريخ حافل دل على تبحره في التاريخ وسعة حفظه للتراجم والأخبار».

كان منه نسخة في خزانة كتب السيد علي آل طاووس (المولود سنة ٥٨٩ هـ، والمتوفى سنة ٦٦٤ هـ) راجع مجلة المجمع العلمي ٣ بغداد ١٩٦٦، ص ٢٧٨).

وحكى السخاوي (الإعلان بالتوبيخ ص ٢٥٤): أنه وقف على نسخة منه في سبع عشر مجلدا، بخط الجمال بن الظاهري في الأوقاف التي بجامع الحاكم، وأن بعضه فُقد.

لقد ضاع أغلب تاريخ ابن النجار، وغاية ما انتهى إلينا:

المجلد العاشر ــ بأقسامه الأربعة ــ في دار الكتب الظاهرية بدمشق (برقم ٤٢ تاريخ) ومنه مصورات في مكتبة المجمع العلمي العراقي ـ وهي هذه الأقسام الأربعة التي بين أيدينا وعن المصورات هذه، نسخ المرحوم الدكتور مصطفى جواد (ت: ١٩٦٩). لنفسه نسخة بخطه. وقد أجرى فيها تصحيحات وردت في الأصل. وقد وقعت نسخته في ٢٣٨ صفحة كبيرة.

مجلد في دار الكتب الوطنية بباريس (برقم ٢١٣١) لعله أن يكون المجلد السادس عشر وجانبا من السابع عشر.

وقد انتسخ المرحوم الدكتور مصطفى جواد نسخة لنفسه، وفي آخرها ما نصه: «آخر المجلد الثالث والعشرين من الأصل، من التاريخ المجدد لمدينة السلام، وهو آخر المجلد الحادي عشر من هذه النسخة، يتلوه أول المجلد الرابع والعشرين من الأصل أول الجزء: الفضل بن محمد بن عبد الله العطار». هذان المجلدان لم يطبعا.

ومن نسخة باريس، مصورة بالفتستات في خزانة الدراسات العليا بكلية الآداب من جامعة بغداد (برقم ٥٧٥)، كتب في صفحة العنوان، أنه «جزء أخير من تاريخ الخطيب» وهو غلط.

نسخة ثانية أيضا (برقم ١٢٣٩).

قطعة منه كانت في خزانة دير الآباء الكرمليين ببغداد. بخط الثلث الجيد، على ورق أبيض صقيل. أوله «إبراهيم ابن أحمد أبي المفاخر الأزجي أبو إسحاق الخياط المنعوت بالبرهان...».

آخره «حرف الذال المعجمة: ذو الفقار بن محمد أشرف ابن أبي جعفر محمد أبي الصمصام بن الحسن.

(٢٠ ص، ٢٠ س، ٢١ × ١٤ سم).

وفي تعليق كتبه كوركيس عواد على بحثه الموسوم («ما سلم من تواريخ البلدان العراقية»: المقتطف ١٠٥ [القاهرة ـ نوفمبر ١٩٤٤] ع ٤، ص ٣٧٣) قال: «ذكر لي الشيخ إبراهيم الدرويي والأستاذ عباس العزاوي، أنهما وقفا على نسخة كاملة في مجلد ضخم من (ذيل تاريخ بغداد): لابن النجار. وقد كتبت هذه النسخة في مكة سنة ٨١٢ هـ. وكانت لدى أحمد ونه. وعائلة ونه من البيوت البغدادية المعروفة.

ثم اختفت تلك النسخة ولم يوقف لها على أثر».

راجع بشأن نسخه المخطوطة: («مجلة المجمع العلمي العراقي» ٤ [بغداد ١٩٥٦] ج ١، ص ٢٧٧ ــ ٢٧٩)، و(«الشعر العربي في العراق وبلاد العجم في العصر السلجوقي» ١ : ٣٤ ـ ٣٥).

طبع «ذيل تاريخ بغداد» لابن النجار، في مجلدين (حيدر آباد ١٩٧٨ ـ ١٩٧٩).

وقد جاء بيان المخطوط وتعالى:

المؤلف: ابن النجار (ت: ٦٤٣ هـ/ ١٢٤٥ م) (هو محمد بن محمود بن الحسن بن هبة الله بن محاسن، أبو عبد الله، محب الدين بن النجار: مؤرخ حافظ للحديث. من أهل بغداد. مولده ووفاته فيها. رحل إلى الشام ومصر والحجاز وفارس وغيرها. واستمر في رحلته ٢٧ سنة، وقف كتبه بالنظامية. صنف جمهرة من التآليف. طبع بعضها. ترجمته وأخباره في («الأعلام» ٧ / ٣٠٧، ٣٠٨). («معجم المؤلفين» ١١ / ٣١٧). وما ذكراه من مراجع بشأنه).

(المجلد العاشر: القسم الأول: ق ١ ـ ١٠٨)

أوله: «البسملة ...، وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت».

«ذكر إلينا الحافظ أبو عبد الله محمد بن محمود بن الحسن بن هبة الله بن النجار البغدادي منها، قال: عبد المغيث بن زهير...».

آخره: ترجمة (عبد الواحد بن محمود بن محمد بن علي ابن سعترة...): «أنشدني محمد بن سعيد الحافظ، قال: أنشدنا أبو الفتح عبد الواحد بن محمود بن سعترة لنفسه» وقع تقديم وتأخير في موطنين، عند تجليد القسم الأول هذا، أشار إليه الدكتور مصطفى جواد على غلافه. في صفحة العنوان، أسماء أشخاص تملكوا النسخة. قال أحدهم: «اشتريت هذا

الكتاب من تركة المرحوم حسين أفندي المعتدل الشهير ناجي زاده».

و «من كُتُب المرادية».

و «نسخ عليه مرتين صادق فهمي المالح سنة ١٣٢٨ ـ ١٣٣٠».

(٢٧/ تاريخ)

(المجلد العاشر: القسم الثاني: ق ١٠٩ ـ ٢١٨)

أوله: تتمة الترجمة التي وردت في آخر (القسم الأول).

«وأمرُ من موتي عليَّ بعُادكم
ويُعادكم عندي أشر وأوجع
لا تشمتوا منى العدو وبينـ
ـكم عطفا على قلب يخاف ويطمع

سألت عبد الواحد بن سعترة عن مولده، فقال في سنة ثلاثين وخمسمائة، ...».

آخره: ترجمة (عبد الله بن محمد بن نعيم أبو محمد القحطاني الكاتب): «... قال: أنبأنا أبو محمد عبيد الله ابن محمد بن نعيم القحطاني الكاتب، أنبأنا أبو يعلى زكريا ابن يحيى بن خلاد المنقري، أنبأنا الأصمعي، أنبأنا حماد ابن زيد، قال: سمعت يونس بن عبيد الله يقول يوشك».

(٢٨/ تاريخ).

(المجلد العاشر: القسم الثالث: ق ٢١٩ ـ ٣٢٨).

أوله: تتمة الترجمة التي وردت في آخر (القسم الثاني): «لعينك أن ترى ما لم تر، ويوشك لأذنك أن تسمع ما لم تسمع ...»

آخره: ترجمة (علي بن أحمد بن علي بن الحكم أبو الحسن الحامدي بالحاء المهملة: «... حدثنا مروان بن معاوية، عن الحسن بن عمرو، عن معاوية بن إسحاق، عن جليس له بالطائف، عن عبد الله بن عمرو، عن رسول الله ﷺ، قال: إن الله عز وجل لما ذرا لجهنم من ذرا كان».

(٢٩/ تاريخ).

(المجلد العاشر القسم الرابع: ق: ٣٢٩ ـ ٤٣٣)

أوله: تتمة الترجمة التي وردت في آخر (القسم الثالث): «في الجاهلية إذا ولد لها ولد لم يعيش [كذا] لها. فلما ولدت أبا بكر جاءت به إلى الكعبة وقالت ...».

آخره: ترجمة (علي بن الحسين بن الحسن بن الدنيسر الإسكاف أبو الحسن المقرئ الحنبلي، من ساكني المأمونية). يليها:

«آخر المجلد العاشر من هذه النسخة، وهو آخر المجلد العشرين من الأصل. ويتلوه في الذي يليه إن شاء الله تعالى: علي بن الحسين بن أبي الحمرا. والحمد لله وحده، وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم، ولله الحمد والمنة، وحسبنا الله ونعم الوكيل نعم المولى ونعم النصير».

يليها، بخط متأخر:

«طالع هذه النسخة ونسخ عليها جميعها من أول لفظة إلى آخر لفظة، بعون مولاه المانح محمود صادق ابن السيد أمين المالح، الكاتب في المكتبة العمومية بدمشق. رحمه الله والمسلمين ١٧ شعبان سنة ١٣٣٠ وقبلا سنة ١٣٢٨».

المجلد العاشر، بأقسامه الأربعة (٤٣٣ ق، ٢٧ س) مصورة بالفتغراف عن نسخة خطية في دار الكتب الظاهرية بدمشق (برقم ٤٢ تاريخ) بخط النسخ، والعنوانات بخط الإجازة.

(٣٠/ تاريخ)

(مخطوطات المجمع العلمي ـ دراسة وفهرسة ميخائيل عواد ١/ ٢٥٧ ـ ٢٦٠، انظر أيضا مفتاح السعادة لطاش كبرى زاده ١/ ٢٣٧، ٢٣٨).

*** ذيل تحسين الإشارة:**

من مصنفات التراث الإسلامي في الفقه الحنفي مخطوط بدار الكتب الظاهرية بدمشق (أوبمكتبة الأسد) وجاء بيانه كما يلي الرقم ٦٤١٤. تأليف: علي بن سلطان القاري الهروي المتوفى سنة ١٠١٤ هـ/ ١٦٠٦ م.

وهي ذيل على الرسالة التي ألفها المؤلف في تحقيق مسألة الإشارة بالمسبِّحة.

وفيها يرد المؤلف على من رد قوله وفتواه في تلك المسألة.

أولها: الحمد لله الذي دل على الخير وهدى، وأمر بما

فيه صلاح الأمر. . . أما بعد: فبعدها كتبت رسالة مشتملة على تحقيق مسألة الإشارة بالمسبحة في الصلاة حال الشهادة في القعدة، وبينت أنها ثابتة بأحاديث وردت في السنة. . . كتب إليَّ بعض علماء زماننا. . . إني طالعت الرسالة المذكورة. . . لكن وقعت لي شبهة في الظاهر وأريد دفعها.

آخرها: فعليك بمتابعة السنة والاقتداء برواية الأئمة، وإياك والنظر إلى خُلف الخلَف مع مخالفتهم للسلف. هدانا الله تعالى وإياكم إلى الطريق المستقيم. . . وبلغنا المقام الأسمى.

نسخة جيدة، ضمن مجموع فيه عدة رسائل للقاري.

الخط نسخ معتاد، كتب سنة ١١١٩ كما جاء في آخر المجموع. [٩٥ ـ ١٠١] ق ١٣ س ١٨×١٢ سم

المراجع: معجم المؤلفين ٧/ ١٠٠، هدية العارفين ١/ ٧٥٢.

(فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية. الفقه الحنفي ــ وضع محمد مطيع الحافظ ١/ ٣٤٧، ٣٤٨).

انظر مادة «تزيين العبارة لتحسين الإشارة» في م ٩/ ٣١٩، ٣٢٠.

*** ذيل التذكرة:**

انظر: ذيل تذكرة أولي الألباب.

*** ذيل تذكرة أولي الألباب:**

من مصنفات التراث الإسلامي في الطب والصيدلة مخطوط في مكتبة المتحف العراقي وجاء بيانه كما يلي تحت عنوان «ذيل التذكرة»: الرقم ٢١٥٩٧.

قيل إنه لأحد تلاميذ الأنطاكي ولم يذكر اسم المؤلف الأول (نحمدك اللهم حمد العارفين بوحدانيتك المعترفين بربوبيتك الخاضعين لعظمتك المعتبرين بحكمتك. . .).

وهو ذيل على تذكرة أولي الألباب والجامع للعجب العجاب لداود الأنطاكي.

نسخة جيدة ترقى للقرن الحادي عشر الهجري السابع عشر الميلادي والقسم الأخير منها مكمل بخط أحدث من الأصل. وتختلف هذه النسخة عن النسخة المطبوعة وفيها بعض الزيادات.

القياس ٤٠٦ ص ٢٦,٥×١٦ سم ٣٤، ٢٤ س

طبعت بالمطبعة الوهبية سنة ١٢٨١ هـ/ ١٨٦٤م

(مخطوطات الطب والصيدلة والبيطرة/ ١٢٥، ١٢٦).

وقد طبعته شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر (الطبعة الأخيرة ١٣٧١ هـ/ ١٩٥٢ م، وهي التي عندي) في نهاية الجزء الثاني من كتاب تذكرة أولي الألباب لداود بن عمر الأنطاكي (ص ٢ ـ ٢٠٤) وجاء في أوله ما يلي بعد الآية ٢٦٩ من سورة البقرة ثم البسملة:

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

هذا آخر ما وقع أعين الناظرين عليه، واشتهر نقصها بالتصريح والإشارة إليه، وذلك إما من اغتيال بعض الحسدة على جل مفرداتها من مظهر بكارتها أو لعدم البحث والاعتناء بهذا العلم العظيم لقصور الهمم في هذا القطر من القيام بوظيفة التعلم والتعليم.

فلما كان من فضل الله ما كان، ورقم الواهب قطرة من هذا العلم في الأكوان، وفاض من بحر جوده على الدواء بدفع الداء معه في العلاج فكان أعظم برهان على وجود الفرد القادر والمنان شرعت في نسج حروف على ذلك المنوال مراعيا الترتيب على تتمة حروف أبجد وليست خارجة عن تسطير من رقى أعلى مراتب الكمال واشتهر علمه فأرَّج الأرجاء والأقطار وقطعت الأفاضل للأخذ عنه البراري والقفار وتركوا لذلك الأهل والوطن وهجروا لأجله الأخلاء والسكن وحيد الدهر والزمان وفريد العصر والأوان الممدود من الله بالفضل المبين الزاكي سيدنا ومولانا الشيخ داود الحكيم الأكمه الأنطاكي، فأخذت من معتمدات المجربات والكتب المشهورة الخواص وخصوصا الكتب المقطوع بصحتها ظانا أن ذلك مقبول لدى الملك الوهاب لكونه فيه النفع للخاص والعام وللحث عليه في أحاديث كثيرة تقدم الكلام عليها في مسطرات الشيخ فكان من فضل الله جاريا مجرى الخواص لأنه رحمه الله تعالى أجهد وسعه في بذله وإبرازه مع الخلوص في مرضاة الله فجاء بفضل الله مطابقا للواقع على وجه طبيعي يفيد اليقين بصحته وفيه من الرقى والطلسمات والقلقطاريات ما ستراه فثق به فإنه من جمع العلماء الأعيان وكذا الموسيقى لأنه جزء من الطب والسيميا لأن لها دخلا فيه أيضا وما له

مدخل غير محتاج إليه كعلم الرمل فإنى أتيت ببعض أصوله وجعلت ذلك كتابا مستقلا حاويا لجميع شروط العلاج مكررا فيه ما سبق من مفردات ما قبله خوفا من اقتطاع هذا الجزء عنه ليكون كاملا ينتفع به ولا يحصل للآخذ منه مراجعة لغيره وبدأته بخطبة لطيفة لحديث «كل أمر ذى بال لا يبدأ فيه ببسم الله فهو أبتر وفى رواية بالحمد لله، وفى رواية بذكر الله» والله أسأل أن يجعله خالصا لوجهه الكريم وأن ينفع به الخلق أجمعين.

تنبيه: نذكر فيه كلمات سطرت عن الشيخ فى بعض مواطن ذكرها الشيخ على سبيل الحكاية أو على فقد غيرها إذا لم يوجد كقوله فى الخمر مفرح لا يوجد مثله محمول على إنقاذ الروح حيث لم يوجد ما لا ينقذ الروح غيره كإساغة اللقمة به وكقوله ينفع لكذا مراعيا فيه بإذن الله تعالى وإن لم يصرح به وكقوله فى الطلاسم افعل لى كذا وأما قوله واسجد فمدسوس عليه أو على سبيل الحكاية كما تقدم أو يؤوّل فلا تعتد يا أخى بما ذكر فى حقه من الإلحاد وغيره، ولتعلم يا أخى وتعتقد أن الأدوية والأغذية وسائر المفردات والمركبات ليس فى طبعها ولا قوتها أن تجلب نفعا ولا تدفع ضررا وإنما الله سبحانه وتعالى هو الفاعل المختار والنافع الضار يحدث عند تعاطيها النفع والضرر عادة وقد تتخلف ولا يجوز تعاطيه لغير إسلامى لأنه مشتمل على أحاديث كثيرة ولا يجوز إعارتها ولا مطالعتها له لأنه من الكبائر.

بسم الله الرحمن الرحيم، نحمدك اللهم حمد العارفين بوحدانيتك، المعترفين بربوبيتك، الخاضعين لعظمتك المعتبرين بحكمتك، خلقت الإنسان وفضلته على سائر الحيوان وجعلته زبدة عالم الكون والفساد وركبته من جوهرين متضادين أحدهما ملكى روحانى وهو النفس الناطقة والثانى الجسم الحيوانى القريب من الاعتدال والموافقة وكلفته إذ أهّلته أن يكون محلا لكل علم وبرهان خلقت كل الخلق قبله وخلقته أخيرا ومنحته بكل كمال فصار عليما بصيرا خلقته سبحانك من قدوس سبوح وخلقت كل شىء من أجله إذ كان ذا جسم ونفس وروح، وحبوته منذ خلقته بأفضل الهبات فاستنبط به سائر المهن والصناعات وميزته بالمعقولات والمحسوسات وخصصته بالعلوم الثلاث المبرهنات وهى الرياضى والطبيعيات والإلهيات يندرج تحت كل علم منها عدة علوم وكان أشرفها بعد العلم الإلهى الشريف العلم المكتوم وهو العلم الموسوم بالطب الذى شرفه الله تعالى وجعله ذا شأن ورفعة وكيف لا يكون شريفا فى نفسه وهو كنز الله تعالى الأعظم فى الأرض وسره الأكبر لأنه مقدم على سائر العلوم لكونه حافظا للصحة التى مدار كمال قيام العبودية عليها على الوجه الطبيعى لأن أقصى ما طلبه أصحاب هذا العلم الوقوف على أسرار الخليقة والتشبه بأفعال الطبيعة حتى حدوا حدودا فى الجمع بين العناصر المتمازجة الأقطار المتحاولة القوى والكسر لتساويهما بتعديل الأمزجة التى ترد الأطراف إلى الأوساط ويكمل بهما فعل القوى والخواص وإخراج جميع ذلك من المعدن والنبات والحيوان من القوة إلى الفعل وإبرازه إلى الوجود من هوية العدم والدلالة على الفائدة العظمى وتحقيق البعث ورد الأرواح إلى الأجساد بعد انحلال التركيب، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادة خالصة عن شوائب التجسيم، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدا ﷺ المبعوث للخلق كافة بالترغيب والترهيب وعلى آله وأصحابه وعترته الذين شيدوا الدين بعد ما كان غريب [غريبا] (تذكرة أولى الألباب ٢/ ٢، ٣).

(مخطوطات الطب والصيدلة والبيطرة فى مكتبة المتحف العراقى - أسامة ناصر النقشبندى / ٢٥، ١٢٦، وتذكرة أولى الألباب لداود بن عمر الأنطاكى ٢/ ٢، ٣).

*** ذيل تذكرة الحفاظ للذهبى:**

من مصنفات التراث الإسلامى فى الحديث النبوى وعلومه ورجاله. لابن حمزة الحسينى.

١ - الظاهرية ٢٥٥ [حديث ٣٧٤] (و١ - ٢٢) - ٩٤٤ هـ

٢ - دار المخطوطات — صنعاء ٢٩ [دون] - [٥٦ و] ضمن مجموع - ١١٨٣ هـ.

(الفهرس الشامل للتراث العربى الإسلامى المخطوط. الحديث النبوى الشريف. مؤسسة آل البيت (مآب) المجمع الملكى لبحوث الحضارة الإسلامية. عمان. الأردن ٢/ ٧٩٧).

*** ذيل التقييد لمعرفة رواة السنن والمسانيد:**

من مصنفات التراث الإسلامى فى الحديث النبوى الشريف وعلومه ورجاله من مخطوطات دار الكتب المصرية التى اقتنتها من سنة ١٩٣٦ - ١٩٥٥.

تأليف تقي الـدين أبي الطيب محمد بن أحمـد بن علي بن محمد المعروف بالفاسي (٧٧٥ ـ٨٣٣ هـ).

أوله: الحمد لله على إحسانه الجزيل والصلاة والسلام على سيدنا محمد المصطفى الهادي لكل أمر جميل . . . إلخ.

جمع فيه كل من علمه روى شيئا من كتب السنة كالموطأ والصحيحين والسنن الأربعة وباقي الكتب الستة . . . إلخ. وجعله ذيلا لكتاب ابن نقطة الذي سماه «التقييد لمعرفة رواة السنن والمسانيد».

ـ نسخة في مجلد مصورة عن نسخة خطية بقلم معتاد كتبت سنة ١١٢٨ هـ وهي في ملك السيد عبد الله الصديق الفاسي المراكشي في ٣١٧ لوحة كل لوحة ذات شطرين ومسطرتها مختلفة. [٢٠٨٨٦ ب].

ـ نسخة ثانية كالسابقة في مجلدين مصورة بالفوتوستات في ٣١٨ لوحة. [٢٤٢٦٧ ب]

(فهرست المخطوطات/ ٣٤١، ٣٤٢)

وورد بيانه في الفهرس الشامل كما يلي، تحت الرقم التسلسلي ٥١:

٥١ ـ ذيل التقييد بمعرفة رواة السنن والأسانيد ـ التقي الفاسي.

١ـ دار الكتب — القاهرة (قسم حماية التراث) ١/ ٢٢٢ [١٩٨]ـ(١٩٤و) ـ٨٦٦ هـ.

(الفهرس الشامل ٢/ ٧٩٧).

(فهرست المخطوطات نشرة بالمخطوطات التي اقتنتها دار الكتب من سنة ١٩٣٦ ـ ١٩٥٥. تصنيف فؤاد سيد القاهرة. مطبعة دار الكتب ١٣٨٠ هـ ـ ١٩٦١ م، ق ١/ ٣٤١، ٣٤٢، والفهرس الشامل للتراث العربي الإسلامي المخطوط. الحديث النبوي الشريف وعلومه ورجاله. مؤسسة آل البيت (مآب) عمان، الأردن ٢/ ٧٩٧).

*** ذيل (تكملة) مجمع بحار الأنوار:**

ذيل (تكملة) مجمع بحار الأنوار ـ الفتني (محمد طاهر الصديقي).

١ـ رضا/ رامبور ١/ ٥٨٦ [M. 795 (1108)]

ـ (١٨٧ و)ـ ق ١٢ هـ.

(الفهرس الشامل للتراث العربي الإسلامي المخطوط. الحديث النبوي الشريف وعلومه ورجاله ٢/ ٧٩٨).

*** ذيل تواريخ الحافظ الذهبي والبرزالي وابن كثير:**

ذيل تواريخ الحافظ الذهبي والبرزالي وابن كثير: لأبي بكر ابن أحمد بن عمر بن محمد ابن قاضي شبهة الأسدي من سنة ٧٤١ إحدى وأربعين وسبعمائة أوله: الحمد لله مميت الأحياء ومحيي الأموات... إلخ.

(كشف الظنون ١/ ٨٢٩).

*** ذيل الجامع الصغير من حديث البشير النذير:**

من مصنفات التراث الإسلامي في الحديث والمصطلح. تأليف جلال الدين عبد الله بن أبي بكر السيوطي المتوفى سنة ٩١١. كتب في سنة ٩٥٥ بخط محمد محمد بن أيوب العمري.

[الظاهرية ١٧٩ حديث ١٦١ق ٢٦×١٨ سم]

(فهرس المخطوطات المصورة، معهد المخطوطات العربية ـ تصنيف فؤاد سيد ١/ ٨٠).

*** ذيل حرز الأماني ووجه التهاني «الشاطبية»:**

من مصنفات التراث الإسلامي في علم القراءات مخطوط بدار الكتب الظاهرية بدمشق (أو بمكتبة الأسد) الرقم ٣١٦.

المؤلف: مجهول:

فاتحة الرسالة: الحمد لله حمدا يرتضيه والصلاة على نبينا محمد وذويه، وبعد فإني نظمت قراءات الثلاثة في نهج عجيب، وأسلوب غريب لمن حفظ كتاب حرز الأماني. . .

خاتمة الرسالة: وإن كان خلف مثله لأنه موافق، وقد أذكر الوجهين لهذا المعنى نحو لا تسل، ذكرناهما للمخالفة فيهما فافهمه واعتبره تجد الصواب موفقا إن شاء الله تعالى وهو حسبنا ونعم الوكيل.

أوصاف المخطوطة: كتب الذيل في نهاية جمع الأصول في مشهور المنقول في القراءات العشر للقلانسي، كتبت بخط نسخي جيد وناسخها هو ناسخ جمع الأصول وقد كتب في سنة ٨٠٨ هـ. خرم الكتاب فذهبت المنظومة وبقيت المقدمة، في آخرها سماع بالقراءة كتبه زين الدين الواسطي المقرئ بجامع واسط.

ق	م	س
٢ (٣٢١ـ٣٢٢)	١٤×٢٣,٥	١١

(فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية : علوم القرآن الكريم ـ المصاحف ـ التجويد ـ القراءات ـ وضعه صلاح محمد الخيمى ١/ ٣٧٥ ـ ٣٧٦).

*** ذيل درر العبارات وغرر الإشارات فى تحقيق معانى الاستعارات:**

من نفائس المخطوطات العربية فى المكتبة الوطنية فى تونس، وجاء بيانه كما يلى:

الرقم ٤١٩٨ م.

ذيل درر العبارات وغرر الإشارات فى تحقيق الاستعارات لأحمد بن محمد مكى الحسينى الحنفى آ ١٠٩٨ يوجد بالقاهرة وسليم وفلورنسا. بروكلمان ج٢ ص٣١٥ وم٢ ص٤٣٣ فهرس أسماء المؤلفين ج ١ص١٦٥

(«نفائس المخطوطات العربية فى المكتبة الوطنية بتونس» ـ تعليق وتقديم ومراجعة هلال ناجى مجلة معهد المخطوطات العربية جـ ١ م ١٨. ربيع الثانى ١٣٩٢ هـ مايو ١٩٧٤ م/ ٦١).

*** ذيل الدرر الكامنة فى أعيان المائة الثامنة:**

مخطوط. لابن حجر العسقلانى.

الفاتيكان/ ثالث (بروك م ٢/ ٧٤).

(الفهرس الشامل للتراث العربى الإسلامى المخطوط. الحديث النبوى الشريف وعلومه ورجاله. مؤسسة آل البيت (مآب) عمان، الأردن

ظهر جلد الكتاب وفيه خط ابن قاضى شهبة وخط ... بن ... الدين

طرة الكتاب وعليها ختم الوقف وخط ابن قاضى شهبة وخط ... النسخة

نموذج من الصفحات التى كثفت حواشيها بإضافات المؤلف

٢/ ٧٩٧ انظر أيضا «ذيل الدرر الثامنة» لابن حجر العسقلانى ــ دراسة وتعريف محمد كمال الدين عز الدين. مجلة معهد المخطوطات العربية. إصدار جديد ـ الكويت. المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم. المجلد الثامن والعشرون. شوال ١٤٠٤ هـ ـ ربيع الأول ١٤٠٥ هـ ـ يونيو ـ ديسمبر ١٩٨٤ م ٢/ ٥٦٥ ـ ٥٧٦).

قالت المؤلفة: النسخة التى عندى تحقيق د. عدنان درويش، طبع المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ومعهد المخطوطات العربية. القاهرة ١٤١٢ هـ ـ ١٩٩٢ م، وتقع فى ٣٢٨ صفحة، والفهارس من ٣٢٩ إلى ٤٤٩.

*** ذيل ذيل الأمالى:**

من مصنفات التراث الإسلامى فى الأدب.

مخطوط مصور فى معهد المخطوطات العربية بالقاهرة وجاء بيانه كما يلى:

لأبى على إسماعيل بن القاسم القالى البغدادى، كالمتوفى سنة ٣٥٦ هـ

أوله: آخر الزيادة [زيادة] فى الأمالى المعروفة بذيل الذيل التى بتمامها تمت الزيادات أجمع تأليف أبى على رحمه الله ونضّر وجهه، بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على محمد. قال أبو على وأخبرنا أبو بكر بن أبى الأزهر قال أخبرنا أبو زيد عمر بن شبة قال: أخبرنا سعيد بن عامر عن جويرية ابن أسماء قال: حدثنا أزاد... معاوية... البيعة ليزيد كتب

إلى مروان وهو على المدينة فقرأ كتابه وقال إن أمير المؤمنين قد كبرت سنه ودق عظمه ...

وآخره :

عليك ســــلام الله مــــا خـــلا شــــارق

وغـــــرد فـى الأيك الحكـــام المغــــرد

تم الجزء الثالث من الزيادة فى الأمالى، لأبى على، وهو الجزء السادس من ابتداء الذيل وبتمامه تم جميع التأليف والحمد لله حمدا كثيرا وطاهرا ... وصلى الله على محمد.

نسخة نفيسة، بقلم أندلسى، كتبها محمد بن إبراهيم بن أحمد سنة ٤٩٥ هـ ضمن مجموعة من ورقة ١٦٨ جـ-١٨٠ أ و يلاحظ أن العنوان جاء قبل بدء الكتاب بأربع صفحات كما جاء بعد نهايته ورقة ونصف صفحة كتب فى أولها هذا العنوان : هذه الزيادة فى نسخة أخرى ولا أظنها إلا من جملة ما زاد أبو على. وجاء على الصفحة الأخيرة وهى بيضاء : النوادر لأبى على من الأدب.

١٣ ورقة ١٥ سطرا

(إسكوريال ١٦٦٧ / ٣).

(فهرست المخطوطات المصورة، معهد المخطوطات العربية. الأدب جـ١ ق ٣ القاهرة ١٩٨٠ م / ٢٥٧ ، ٢٥٨).

*** ذيل رفع الإصر عن قضاة مصر:**

مخطوط ورد ذكره فى الفهرس الشامل كما يلى، تحت الرقم التسلسلى ٥٣ :

٥٣ ذيل رفع الإصر عن قضاة مصر السخاوى.

١ - الوطنية باريس (دى سلان) ٣٨١.

[2150] - (١١٣) - (بروك ٢ / ٨٣).

(الفهرس الشامل للتراث العربى الإسلامى المخطوط. الحديث النبوى الشريف وعلومه ورجاله، مؤسسه آل البيت (مآب) عمان، الأردن ٢ / ٧٩٨).

*** ذيل شرح منظومة البيقونى.**

من مخطوطات الحديث والمصطلح. ورد بيانه فى الفهرس الشامل كما يلى، تحت الرقم التسلسلى ٤٥ : ذيل شرح منظومة البيقونى - مجهول.

١ - أسعد أفندى ٢٦٢ [٣٦٣١ (مجاميع)]

(الفهرس الشامل للتراث العربى الإسلامى المخطوط. الحديث النبوى الشريف وعلومه ورجاله. مؤسسة آل البيت (مآب) عمان ، الأردن ٢ / ٧٩٨).

*** ذيل الشقائق النعمانية:**

من مخطوطات التاريخ فى معهد المخطوطات العربية بالقاهرة ، وجاء بيانه كما يلى

للمولى بير محمد الشهير بعاشق جلبى بن على بن زين العابدين النطاع البغدادى، المتوفى سنة ٩٧٩ هـ.

(بروكلمان ٢ / ٤٢٦).

أوله : «الحمد لله الذى نزل الفرقان وتولى حفظه».

وآخره : «وكان صاحب أخلاق حميدة وكرم ... روَّح الله روحه ونوَّر ضريحه».

نسخة كتبت بقلم فارسى فى ٩٢ ورقة، ومسطرتها ١٦ سطرا.

[دار الكتب ١٨٦١ تاريخ طلعت] UNESCO

(فهرست المخطوطات المصورة ، معهد المخطوطات العربية ، التاريخ ، جـ ٢ ق ٤. القاهرة ١٣٩٠ هـ ١٩٧٠ م / ١٨٦).

*** ذيل الصلة لابن بشكوال:**

من مخطوطات دار الكتب المصرية، وجاء بيانه كما يلى :

ذيل الصلة لابن بشكوال، ويسميه لسان الدين بن الخطيب : صلة الصلة تأليف أحمد بن إبراهيم بن الزبير الغرناطى المتوفى سنة ٧٠٨ هـ.

الموجود : النصف الثانى من الكتاب ويبتدئ بتراجم المحمدين وينتهى بآخر الكتاب.

- نسخة مصورة بالفوتستات عن الأصل المحفوظ بالخزانة التيمورية برقم ٨٥٠ تاريخ المكتوب بخط مغربى قديم.

فى ١٤٠ لوحة كل لوحة ذات شطرين.

[١٢٨٦٢ ح]

(فهرست المخطوطات. نشرة المخطوطات التى اقتنتها الدار من سنة ١٩٣٦ - ١٩٥٥ - تصنيف فؤاد سيد. القاهرة مطبعة دار الكتب ١٣٨٠ هـ - ١٩٦١ م، ق ١ / ٣٤٢).

*** ذيل الضعفاء والمتروكين:**

من مخطوطات الحديث النبوي الشريف وعلومه ورجاله ، وجاء بيانه في الفهرس الشامل كما يلي تحت الرقم التسلسلي ٥٥ :

٥٥ ـ ذيل الضعفاء والمتروكين ـ الذهبي .

١ ـ الظاهرية ٢٨٢ [حديث ٣٦٩] ـ)(و ٢٢٧ ـ ٢٣٩) ضمن مجموع .

(الفهرس الشامل للتراث العربي الإسلامي المخطوط . الحديث النبوي الشريف وعلومه ورجاله . مؤسسة آل البيت (مآب) عمان ، الأردن ٢ / ٧٩٨)

*** ذيل طبقات الأولياء الصوفيين:**

من مصنفات التراث الإسلامي في التصوف

مخطوط في دار الكتب الظاهرية بدمشق (أو بمكتبة الأسد)

الرقم ٩٥٥٧

ذيل به على كتابه الطبقات الكبرى وترجم للمشايخ الذين عاصرهم المؤلف: أبو المواهب عبد الوهاب بن أحمد الشعراني الشافعي المصري المتوفى سنة ٩٧٣ هـ / ١٥٦٥ م .

أوله : الحمد لله رب العالمين ... وبعد فهذا ذيل طبقات الأولياء ... ومنهم شيخنا وقدوتنا إلى الله تعالى الشيخ جلال الدين السيوطي ...

آخره : فإن غالب الناس لا يقدر على النطق بشيء من مناقب أعدائه بل ربما لا يرى له قط محاسن ... ولم أجد أحدا سبقني إلى نحو ذلك والحمد لله رب العالمين .

الخط نسخي معتاد ، الحبر: أسود وبعض كلماته بالأحمر.

ق ٦٢ ، س ٢٣ ، ٢١ × ١٥ سم ، كلمات السطر ١٠ ، هامش ٤ سم .

اسم الناسخ : نور الدين بن عرفات المحلي الحنفي الشناوي الأحمدي .

تاريخ النسخ : ٤ جمادى الأولى سنة ١٠٦٢ هـ

ملاحظات : نسخة مراجعة .

نسخة ثانية .

أولها : كالسابقة .

الرقم ٧٤٥٩

آخرها : مخروم ينتهي بترجمة شهاب الدين البهوتي .

وينتهي بـ ـ وبينت فيه ما نقص من أعلام الدين وله ذوق عظيم في طريق القوم على ما أظن ...

الخط نسخي معتاد ، الحبر: أسود وبعض كلماته بالأحمر.

ق ٦٥ ، س ١٩ ، ٢٠ × ١٤ سم ، كلمات السطر ٨ ، هامش ٣,٥ سم .

نسخة ثالثة .

الرقم : ٤٨٠٩

أولها : ابتدأها بترجمة والده ثم علي النبتيتي ثم حسن الشامي ثم شمس الدين الدواخلي ثم الجلال السيوطي وتبتدىء بـ : القسم الثالث في ذكر مناقب جماعة من العلماء الذين صحبناهم وفيه ثلاثة أبواب الأول في ذكر مناقب العلماء الذين قرأنا عليهم ...

آخرها : كالأولى .

الخط نسخي جميل ، الحبر: أسود وبعض كلماته بالأحمر مجدولة بالأحمر.

ق ٣٠١ ـ ٣٣٧ ، س ٣١ ، ٢٨ × ١٧,٥ سم ، كلمات السطر ١٣ ، هامش ٥,٥ سم

تاريخ النسخ : سنة ١١٣٢ هـ .

مصادر عن الكتاب: الكشف ٢ / ١٥٦٧ ، فهرس الظاهرية قسم التاريخ ص ٢٨٠ .

مصادر عن المؤلف: معجم المؤلفين ٦ / ٢١٨ ، الكواكب السائرة ٣ / ١٧٦ .

طبعة الكتاب: مصر سنة ١٣٩٠ هـ / ١٩٧٠ م تحقيق الأستاذ عبد القادر أحمد عطا بـ ١٤٨ ص .

(فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية . التصوف ـ وضع محمد رياض المالح ١ / ٥٩٤ ، ٥٩٥).

*** ذيل طبقات الحفاظ للذهبي (تذكرة الحفاظ):**

للسيوطي يوجد مخطوطه في .

١ ـ الظاهرية ٣١٢ [حديث ٣٧٤] ـ (و ٢٣ ـ ٣٨) ضمن مجموع ـ ٩٤٤ هـ ـ نسخة جيدة .

٢ ــ الحرم المكى (التراجم ٤٦ [تراجم ٨٦] ــ [١٥و] ـ ١٣٤٢ هـ.

(الفهرس الشامل ٢ / ٧٩٨)

وقد اشتمل هـذا الذيل على سبع وأربعين ترجمة، وهى موافقة لما فى ذيل حافظ الشام الحسينى رحمه الله تعالى، وللذيل عليها للحافظ تقى الدين أبى الفضل محمد بن فهد الهاشمى تغمده الله برحمته، وزاد على الذيلين المذكورين تراجم خمسة أنفس استدركها عليهما فى الطبقة الثانية والعشرين. (صفحات من تاريخ مصر / ٢٢١).

(الفهرس الشامل للتراث العربى الإسلامى المخطوط. الحديث النبوى الشريف وعلومه ورجاله. مؤسسة آل البيت (مآب) عمان، الأردن ٢ / ٧٩٨، وصفحات من تاريخ مصر فى عصر السيوطى ـ عبد الوهاب حمودة / ٢٢١).

*** ذيل العبر:**

من مصنفات التراث الإسلامى فى التاريخ.

مخطوط فى مكتبة المتحف العراقى.

الرقم ٩٤٥٢ / ٢.

لأبى المحاسن بن على بن الحسن بن حمزة بن محمد الحسينى المتوفى سنة ٧٦٥ هـ ١٣٦٤ م.

نسخة مصورة بالفوتستات عن نسخة تقع ضمن مجموع مؤرخ سنة ٨٢٨ هـ / ١٤٢٤ م عليها مقابلة كتبها محمد الخطيب المقدسى ووقفية باسم الوزير أبو العباس أحمد بن أبى عبد الله كوبريلى.

القياس ٤٤ ص ١٨ × ١٠ سم ٢٦ س

كشف ٢ / ١١٢٣ معجم المؤلفين ١٠ / ٣١٥ هدية العارفين ٢ / ١٦٣ طبع بالقاهرة من قبل محمد رشاد عبد المطلب.

(مخطوطات التاريخ والتراجم والسير فى مكتبة المتحف العراقى ـ أسامة ناصر النقشبندى وظمياء محمد عباس / ١٩٧).

*** ذيل على إيضاح الحكم فى دفع القاضى دعوى الظلم:**

من مصنفات التراث الإسلامى فى الحديث النبوى الشريف وعلومه ورجاله.

يتضمن الجواب عن معارضة بعض الأفاضل لرسالة: إيضاح الحكم.

تأليف محمد الحسنى الدمشقى الشهير بابن العطار. (كان موجودا سنة ١١٩٥).

نسخة بقلم تعليق بخط مصطفى الصالح سنة ١١٩٥ هـ ومسطرتها ٢٣ سطرا (ضمن مجموعة من ورقة ٩ ـ ١٨)

٢٠ × ٢٢ سم [٢٥٠٣٧ ب]

(فهرست المخطوطات نشرة بالمخطوطات التى اقتنتها دار الكتب من سنة ١٩٣٦ ـ ١٩٥٥ ـ تصنيف فؤاد سيد ق ١ م ٢ / ٣٤٢).

*** ذيل على تقييدات الفشتالى:**

من مخطوطات التاريخ المصورة فى معهد المخطوطات العربية بالقاهرة لأبى عبد الله محمد المكلاتى، المتوفى سنة ١٠٤١ هـ.

(معجم المؤلفين ٨ : ٣١٨).

وأوله:

مبانى العلا عَمْرَى لأحمد أسست
سليل التجيبى سبط أكرم مرسل

وآخره:

أبو زيد الفاسى شلسو مبارك
وقال حديث المصطفى بمسلسل

نسخة كتبت بخط مغربى، فى ورقة واحدة، ضمن مجموعة من ٢٢٩ ـ ٢٣٠، ومسطرتها ١٠ أسطر.

[الرباط ٤٨٧ د] UNESCO

(فهرست المخطوطات المصورة، معهد المخطوطات العربية، التاريخ، جـ٢ ق ٤ القاهرة ١٣٩٠ هـ ١٩٧٠ م / ١٨٧).

*** الذيل على الثمرات:**

من مخطوطات الأدب فى مكتبة المتحف العراقى وجاء بيانه كما يلى:

لشمس الدين محمد بن محمد بن يوسف بن أحمد الحموى الميدانى المتوفى سنة ١٠٣٣ هـ / ١٦٢٤ م.

(ولد فى الميدان بدمشق، رحل إلى مصر، وجاور الأزهر تسع سنين، وعاد إلى دمشق، وتوفى فيها، من مؤلفاته: العقد المنظوم فى رحلة الروم، زهر البانات المغروسة.

الأول : (... وحكى أن هارون الرشيد حج ماشيا وسبب ذلك أن أخاه ...)

ويتضمن الكتاب مجموعة حكايات وطرائف وأخبار، جمعت من مصادر مختلفة.

كتب هذه النسخة، محمد صالح بن رمضان بن حمد المعروف بابن نعمة سنة ١١١٥ هـ ١٧٠٣ م.

الرقم : ١٤٣٩٨ .

١٢٢ ص ٢٠,٥ × ١٥ سم ١٩س .

معجم المؤلفين ١١ / ٣١١ ، هدية العارفين ، ٢ / ٢٧٤ / الأعلام ٧ / ٦٢ . (مخطوطات الأدب / ٣٠٨).

كما يوجد مخطوط بدار الكتب الظاهرية بدمشق (أو بمكتبة الأسد) وقد أدرج تحت عنوان «الذيل على كتاب ثمرات الأوراق » (مطبوع)، وجاء بيانه كما يلي :

الرقم ٤٦٤٨

لشمس الدين محمد بن السابق الحموى.

أوله : كسابقه.

آخره : « ... محمد بن إبراهيم بن ساعد شمس الدين أبو عبد الله الأنصارى المعروف بابن الأكفانى السنجارى المولد المغربى الدار من نظمه :

ولقد عجبت لعاكس فى الكيميا
فى طبه قد جاء بالشنعا
يلقى على العين النحاس يحيلها
فى لمحة كالفضة البيضا .

تم كتاب الذيل على ثمرات الأوراق بحمد الله وعونه» .

على النسخة تملك سنة ١٠٢٦ وقراءة باسم على الكيلانى بن عمر بن عبد الرزاق الحسنى الحسينى الصديقى الفاروقى العثمانى الجيلانى سنة ١٢٠٥ هـ وعرابى كامل الرمانى ١١٩٤ وأبى بكر الزنبقى سنة ١١٠٦ هـ.

والنسخة فى آخر كتاب «ثمرات الأوراق» لابن حجة الحموى.

(١٢٩ـ ١٦٠) ٣٢ ق ٢٣ س ١٨,٥ × ٢٨ سم .

(مخطوطات الأدب فى المتحف العراقى ـ أسامة ناصر النقشبندى وظمياء محمد عباس / ٣٠٨ وفهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية .

الأدب ـ وضعه رياض عبد الحميد مراد وياسين محمد السواس ١ / ٢٢٩ ، ٢٣٠).

*** ذيل على ذيل تاريخ بغداد:**

تأليف أبى عبد الله محمد بن سعيد بن يحيى الدبيثى الواسطى المتوفى سنة ٦٣٧ هـ.

جعله على الذيل الذى ألفه أبو سعيد عبد الكريم بن محمد السمعانى المروزى على تاريخ بغداد للخطيب.

أوله : الحمد لله الأول بالابتداء والآخر بلا انتهاء الدائم بلا انقضاء ... إلخ .

ابتدأ فيه من حيث انتهى السمعانى فى كتابه وذكر بعض مافاته .

ـ المجلد الأول : وفيه «المحمدين» وحرف الألف إلى من اسمه أحمد بن على، مكتوب بقلم نسخ بخط محمود صدقى النسّاخ نقلها عن النسخة الفتوغرافية المحفوظة بالدار برقم ٣٩٥٠ تاريخ . وفرغ من نسخها فى صباح يوم الأحد لثامن عشر من شهر ذى الحجة سنة ١٣٥٨ هـ (٢٨ يناير سنة ١٩٤٠) فى ٦٧٣ ص .

١٨ × ٢٦ سم . [٨٣٤٨ ح]

(فهرست المخطوطات نشرة بالمخطوطات التى اقتنتها دار الكتب من سنة ١٩٣٦ ـ ١٩٥٥ ـ تصنيف فؤاد سيد ق ١ م ٢ / ٣٤٢).

*** ذيل على (ذيل على تقييدات الفشتالى):**

من مخطوطات التاريخ فى معهد المخطوطات العربية بالقاهرة لأبى عبد الله الأصغر محمد بن حمدون المكلاتى ، المتوفى سنة ١١٥٦ هـ (معجم المؤلفين ٨ : ٢٧٠).

وأوله :

وزمر ابن إبراهيم شلو وزهده
حلى جيده فى العلم غير معطل

وآخره :

فواعجبا للدهر غيب صرفه
شموس علوم فى التراب ليبتلى

نسخة كتبت بخط مغربى جيد، ويبدو أنها ناقصة لأنه يوجد فى ذيل الصفحة «وإن ذهاب» وهى فى صفحة واحدة (٢٣١) ضمن مجموعة، ومسطرتها ١١ سطرا.

[الرباط ٤٨٧ د] UNESCO

(فهرست المخطوطات المصورة، معهد المخطوطات العربية ،

التاريخ ، جـ٢ ق ٤ . القاهرة ١٣٩٠ هـ ١٩٧٠ م / ١٧٨).

*** الذيل على الذيل على ذيل كتاب العبر للذهبي:**

من مخطوطات التاريخ في المجمع العلمي العراقي .

وجاء في الهوامش ١ ـ ٤ تعريف بكل من الكتب الثلاثة التي تبدأ بلفظ «الذيل» وذلك على النحو التالي :

(١) ذيل به على كتاب أبيه عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن، زين الدين أبي الفضل، المعروف بالحافظ العراقي (ت : ٨٠٦ هـ / ١٤٠٤ م)، الذي جعله ذيلا على ذيل كتاب «العبر» للذهبي . ابتدأه بسنة ٧٦٢ هـ ، وانتهى فيه إلى سنة ٧٨٦ هـ ـ وفي رواية سنة ٧٩٣ هـ .

و «الذيل » هذا لم يطبع .

(٢) هذا «الذيل» من تأليف الحافظ العراقي، لم يطبع .

(٣) الذيل على «العبر» للذهبي : تناول فيه ـ الذهبي ـ حوادث السنوات ٧٠١ ـ ٧٤٠ هـ . عني بتحقيقه ومعه ذيل «العبر» للحسيني محمد رشاد عبد المطلب : سلسلة «التراث العربي » ـ الكويت ١٩٧٠ .

(٤) «العبر في خبر من غبر» : بدأ فيه الذهبي من السنة الأولى من التاريخ الإسلامي)، وانتهى به سنة ٧٠٠ هـ طبع في خمسة أجزاء ، ضمن سلسلة «التراث العربي» التي تصدرها دائرة المطبوعات والنشر في الكويت .

عني بتحقيق الأجزاء : الأول والرابع والخامس : الدكتور صلاح الدين المنجد، والثاني والثالث : فؤاد سيد (الكويت ١٩٦٠ ـ ١٩٦٦).

وجاء بيان المخطوط الذى نحن بصدده كما يلي :

المؤلف : ابن العراقي (ت : ٨٢٦ هـ / ١٤٢٣ م).

أوله : البسملة ... ، هذا تاريخ متوسط، ابتداؤه سنة مولدي (سنة ٧٦٢ هـ / ١٣٦١م) وهو ذيل على تاريخ والدي أبقاه الله تعالى. الذي ذيله على ذيل العبر للحافظ أبي عبد الله الذهبي رحمه الله فأقول :

يبدأ بحوادث سنة ٧٦٢ هـ ومولدي سحر يوم الإثنين ثالث ذي الحجة ... لما تمهد للسلطان الملك الناصر حسن بن الملك الناصر محمد بن الملك المنصور قلاوون، الأمر ولم يبق في مملكته من يخشى منه الشر، تخلى عن أمر مملكته وشغلته لذاته عن القيام بمصالح رعيته ... ».

آخره : ينتهي بحوادث سنة ست وثمانين وسبعمائة .

ثم يتلوها : «بعون الله تعالى وحسن توفيقه، قد تم نسخ هذا الكتاب على نفقة دار الكتب المصرية العامرة، وكان الفراغ منه في صبيحة يوم الثلاثاء الموافق ٨ من شهر ربيع الثاني سنة ١٣٥٤ هجرية و ٩ من شهر يوليو سنة ١٩٣٥ وكتبه ... محمود عبد اللطيف فخر الدين النساخ بدار الكتب، نقلا عن النسخة الخطية نمرة ١٩٩٩ د، بلدية الإسكندرية ... ».

نسخة مصورة بالفتستات عن نسخة دار الكتب المصرية . بخط معتاد .

٢٥٥ ص ، ٢١ س

(٣٣/ تاريخ).

(جاء في حاشية كتبت في صفحة العنوان، بخط مغاير:

«اعلم أن الذهبي ذيَّل على كتابه العبر إلى سنة أربعين، وذيل عليه الحسيني من ثم إلى سنة خمس وستين . وللحافظ شمس الدين أبي العباس محمد بن سند ذيل على الحسيني استفتحه من أول سنة ٦٣ فكتب منه هذه السنة والتي بعدها ، ولعله لم يقع له ذيل الحسيني كاملا. ثم إن الإمام شهاب الدين بن حجر ذيل على الحسيني أيضا فكتب سنة ٦٣ وبعض التي تليها، كما وقفت على ذلك بخطه في آخر النسخة التي من العبر وهي عند قريبه الإمام نجم الدين نفع الله به . اهـ»).

(مخطوطات المجمع العلمي العراقي ـ دراسة وفهرسة ميخائيل عواد ١ / ٢٦٣، ٢٦٤).

*** الذيل على الروضتين في أخبار الدولتين:**

يوجد مخطوطه في دار الكتب المصرية، وجاء بيانه كما يلي :

تأليف شهاب الدين أبي محمد عبد الرحمن بن إسماعيل المعروف بأبي شامة المقدسي الشافعي المتوفى سنة ٦٦٥

أوله : بعد البسملة : الحمد لله الذى انفرد بالبقاء وكتب على غيره الزوال ... إلخ .

ـ نسخة بقلم نسخ معتاد بخط جابر صبحى النساخ فرغ من كتابتها فى يوم الثلاثاء ٣٠ شعبان سنة ١٣٦٢ الموافق ٣١ أغسطس سنة ١٩٤٣ نقلا عن النسخة المخطوطة المحفوظة بالدار برقم ٥٣٨٨ تاريخ فى ٨٠٦ ص ومسطرتها ٢١ سطرا.

١٨ × ٢٦ سم . [٩٥٣٣ح]

(فهرست المخطوطات. نشرة بالمخطوطات التى اقتنتها دار الكتب من سنة ١٩٣٦ ـ ١٩٥٥ ـ تصنيف فؤاد سيد ق ١ م ٢ / ٣٤٢).

قالت المؤلفة : النسخة التى عندى بعنوان «تراجم رجال القرنين السادس والسابع » المعروف بالذيل على الروضتين»، وقد عرَّف الكتاب وترجم للمؤلف وصححه صاحب الفضيلة محمد زاهد بن الحسن الكوثرى ، وعنى بنشره وراجع أصله ووقف على طبعه السيد عزت العطار الحسينى . روجع من النسخة الفوتوغرافية المحفوظة بدار الكتب (الملكية) بالقاهرة. دار الجيل، بيروت . الطبعة الأولى ١٩٤٧، والطبعة الثانية ١٩٧٤ ويقع الكتاب فى ٢٤٠ صفحة، والفهارس من ٢٤٣ ـ ١٢٨٤ هـ.

* الذيل على طبقات الحنابلة:

ابن رجب، عبد الرحمن بن أحمد بن رجب السلامى البغدادى ثم الدمشقى، أبو الفرج، زين الدين (٧٣٦ ـ ٧٩٥ هـ) (٩٩).

وجمال الدين النابلسى لقبه بجمال الدين، وسماه العليمى: زين الملة والشريعة جمال المصنفين.

ولد ببغداد سنة ست وثلاثين وسبعمائة، كما اختلفت المصادر فى تحديد الشهر الذى توفى فيه بعد أن اتفقت على وفاته سنة ٧٩٥ هـ فذكر ابن حجر فى الدرر الكامنة أنه توفى فى شهر رجب وتبعه فى ذلك ابن فهد والسيوطى والشوكانى وابن حجر أعاد فى كتابه إنباه الغمر وذكر أن ابن رجب توفى فى شهر رمضان وكذلك ابن العماد والعليمى ذكر أنه توفى فى ليلة الإثنين رابع شهر رمضان وعلى كل حال فقد اتفقت سنة الوفاة وأشرف على الستين من عمره ودفن بمقبرة الباب الصغير بجوار قبر الشيخ الفقيه الزاهد عبد الواحد الشيرازى المتوفى فى ذى الحجة سنة ٤٨٦ هـ وهو الذى نشر مذهب الإمام أحمد ببيت المقدس ثم بدمشق .

وطبقات الحنابلة تاريخ لهذه الحياة التى عاشها هؤلاء أصحاب المذهب الحنبلى وتبدأ هذه الحياة بحياة الإمام أحمد بن حنبل إمام هذا المذهب وهى عدة طبقات تذكر منها :

طبقات الخلال المتوفى سنة ٣١١ هـ وطبقات ابن أبى يعلى المتوفى سنة ٥٢٦ هـ.

وهذا الذيل لابن رجب هو مكمل لهذه الطبقات ومذيل عليها .

وقد خالف ابن رجب طريقة طبقات ابن يعلى فلم يسر على منواله إلا أنه اختلف عنه ولم يرتبه على الحروف وإنما رتبه على السنين فجعله على الوفيات، كما أشار إلى ذلك عبد الجبار عبد الرحمن.

وابن رجب من شيوخ المذهب الحنبلى فألف كثيرا وجمع كثيرا وهذا الذيل بدأ به بأصحاب القاضى أبى يعلى ووقف عند وفيات سنة ٧٥١ هـ

وقد ألف العلماء الحنابلة طبقات بعد طبقات ابن رجب مثل : برهان الدين بن مفلح المتوفى سنة ٨٠٣ هـ ، والعليمى المتوفى ٩٢٨ هـ والغزى المتوفى ١٢١٤ هـ وابن حميد المكى المتوفى ١٢٩٥ هـ.

وقد أعاد ابن رجب فى بداية كتابه للذيل ذكر الطبقة السادسة من أصحاب القاضى أبى يعلى وزاد على طبقات الذيل وتوسع فيه وقد بدأ بوفيات سنة ٤٦٠ هـ.

ويعتبر ذيل طبقات الحنابلة أوسع ما وصل إلينا من تراجم لهذه الطبقة، وقد جمع فيه كل ما قرأه لعصره وعمن ترجم لهم وذكر مصادره بثقة وأمانة فيعتبر ثمينا ونفيسا خاصة أنه نقل عن القرن الثامن الهجرى من مصادر تيسرت له فى عصره وربما ضاعت الآن.

ثم أثبت حكمه ورأيه بعد آراء من قبله .

وذيل طبقات الحنابلة يضم تراجم وفيات الرجال خلال ثلاثة قرون ولم يكمله ابن رجب فتوفى سنة ٧٩٥ هـ إلا أن هناك مدة بين ما وقف سنة ٧٥١ هـ وسنة وفاته ٧٩٥ هـ إلا أنه آثر الوقوف على ترجمة أستاذه وشيخه ابن قيم الجوزية وألا يترجم لمعاصريه .

فبذلك يستطيع الباحث أن يجد فى طبقات ابن رجب بغيته وهدفه فهو تاريخ للسنين التى مر بها الحنابلة فاشتركوا

فى حوادثها ونشاطها كما يعتبر كتاب حديث ففيه نصوص الحديث مع الإسناد مفصلة متقنة وكذلك يعد ديوان شعر للحنابلة الذين قرضوا الشعر كما يعتبر كتابا فى تاريخ المذهب الحنبلى خلال ثلاثة قرون.

وذيل طبقات الحنابلة أكثر تفصيلا وأوسع اطلاعا وأقرب الكتب فى هذا الموضوع تبويبا منظما عن طبقات ابن أبى يعلى وطبقات العليمى وطبقات ابن حميد ويقع فى جزءين.

طبع بدمشق سنة ١٣٧٠ هـ ـ ١٩٥١ م بتحقيق هنرى لاووست وسامى الدهان.

(المخطوطات العربية ـ عزت ياسين أبو هيبة / ١٢٤ ـ ١٢٦).

*** الذيل على كتاب ثمرات الأوراق.**

انظر : الذيل على الثمرات.

*** ذيل الفصيح:**

كتاب من تأليف موفق الدين عبد اللطيف بن يوسف البغدادى، المتوفى سنة ٦٢٩ هـ ، ويعد كتابه هذا من كتب اللحن التى ألفت فى نهاية القرن السادس الهجرى.

وقد طبع ذيل الفصيح مع كتاب «التلويح شرح الفصيح» لأبى سهل محمد بن على الهروى المتوفى سنة ٤٣٣ هـ .

وقد رتب البغدادى كتابه هذا (٢٨ صفحة من القطع الصغير) على حسب الموضوع: «باب ما يضعه الناس غير موضعه، وباب ما تغير العامة لفظه بحرف أو حركة».

وهذا نموذج مما ذكره البغدادى :

«قول العامة: هم فعلت ، مكان «أيضا» وبَسْ، مكان «حَسْب» وله بَخْت مكان «حظ»، كله مولَّد ليس من كلام العرب» (ص ١٨).

(لحن العامة فى ضوء الدراسات اللغوية الحديثة ـ د. عبد العزيز مطر / ٦٥).

*** ذيل القول المسدد:**

من مخطوطات الحديث النبوى الشريف وعلومه ورجاله ، لصبغة الله المدراسى ملحق على «القول المسدد» لابن حجر العسقلانى .

١ ـ إزميرلى إسماعيل حقى ١٦ [٤٢] ـ ١٣١٩ .

(الفهرس الشامل للتراث العربى الإسلامى المخطوط ـ الحديث النبوى الشريف وعلومه ورجاله . مؤسسة آل البيت (مآب) عمان ، الأردن ٢ / ٧٩٨).

*** ذيل الكاشف للذهبى:**

لابن العراقى (أحمد بن عبد الحكيم) المتوفى سنة ٨٣٦هـ.

أورد الفهرس الشامل أماكن حفظه كما يلى :

١ ـ التكية الإخلاصية / حلب (م. م د / ٨ (١٩٢٨)، ٣٧٠)[(١٤)] ـ ٨٠٥ هـ بخط المؤلف .

٢ ـ كوبريلى ١ / ١٩٧ ـ ١٩٨ [٣٨٦ / ٤] ـ (و ٢٧٢ أ ـ ٣١٤أ] ضمن مجموع ـ ٨٠٥ هـ ـ (بروك م ١ / ٦٠٦).

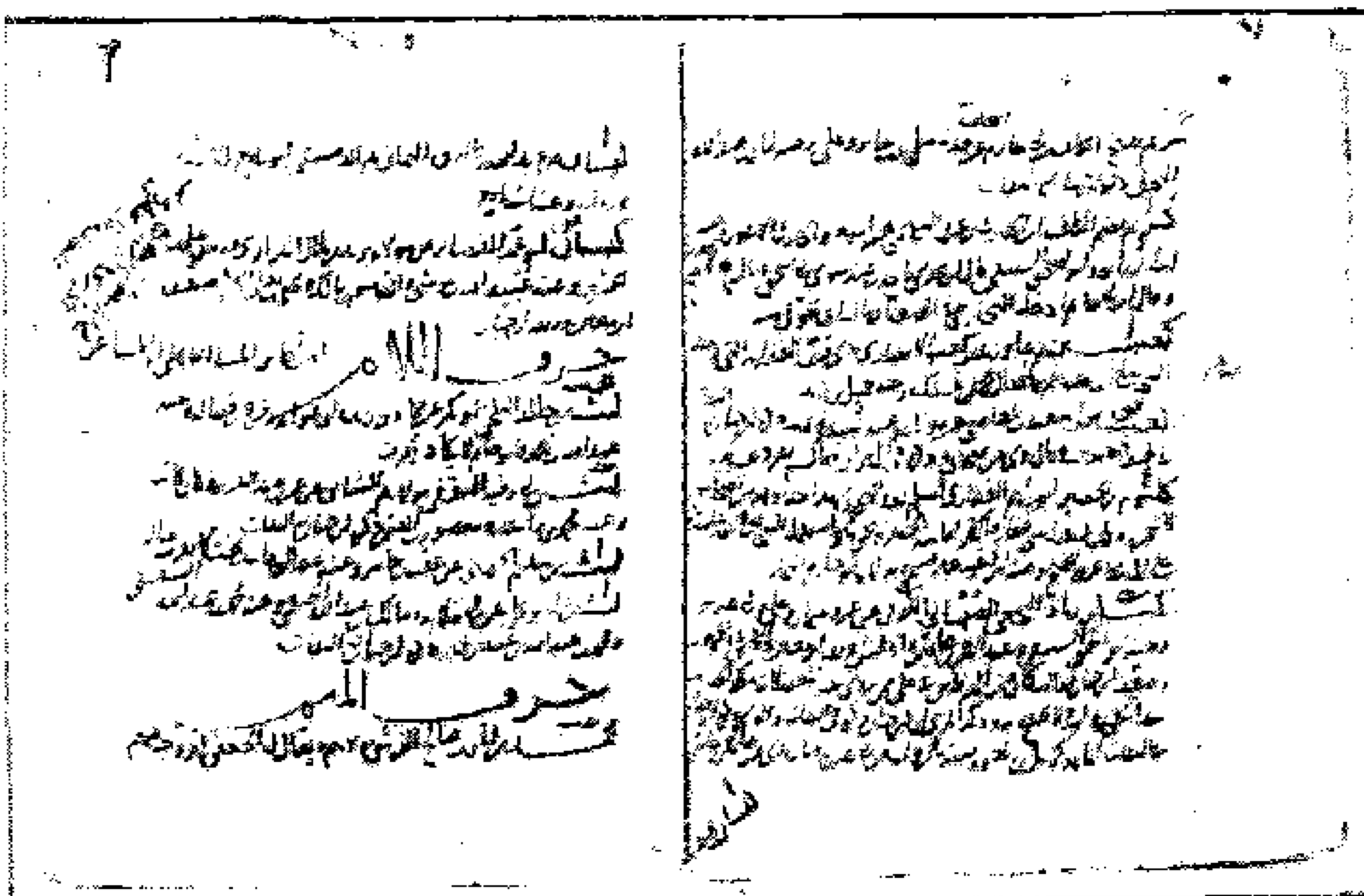
(الفهرس الشامل ٢ / ٧٩٨).

كما يوجد مخطوط فى جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية فى الرياض ، وجاء بيانه كما يلى :

الرقم ٧٩٤٠ .

ألَّف الذهبى كتاب «الكاشف» فى أسماء رجال الكتب الستة، الصحيحين والسنن الأربع ، وهو مقتضب من تهذيب الكمال للمزى واقتصر فيه المؤلف على ذكر من له رواية فى الكتب الستة . ثم جاء ابن العراقى ووضع له ذيلا ذكر فيه أسماء من تركهم الذهبى ممن فى تهذيب المزى، وأضاف إليه رجال مسند أحمد مما استمده من الشريف الحسينى

والمخطوط ناقص من أوله. ويبدأ الموجود منه فى أثناء



حرف الحاء بترجمة (حفص بن عمر بن عبد الله بن أبي طلحة)، وينتهي بترجمة (مريم بنت إياس).

انتهى المؤلف من نسخه في يوم الأربعاء الحادي عشر من شهر صفر سنة خمس وثمانمائة، وكان الابتداء فيه قبل ذلك بسنين كثيرة كما ذكر ابن العراقى فى نهاية المخطوط.

يقع الكتاب في أربع عشرة ومائة ورقة وفي نهاية تملك مؤرخ سنة ٨٧٠ هـ (مجله الفيصل / ٢).

(الفهرس الشامل للتراث العربي الإسلامي المخطوط. الحديث النبوى الشريف وعلومه ورجاله. مؤسسة آل البيت (مآب) عمان، الأردن ٢ / ٧٩٨ و «ذيل الكاشف للذهبي» ـ إعداد عبد الرحمن بن محمد السرحان).

مجلة الفيصل. العدد (١٩٧) ذو القعدة ١٤١٣ هـ مايو ١٩٩٣ م / ٢).

*** ذيل كشف الظنون:**

من مخطوطات التاريخ فى مكتبة المتحف العراقى

الرقم ١٢٥٦٤

لجميل بن مصطفى بن محمد بن عبد الله العظم المتوفى سنة ١٣٥٢ هـ / ١٩٣٣ م وهو تكملة لكتاب كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون لحاجي خليفة نسخة جيدة تتضمن القسم الأول من الكتاب.

القياس ١٠٠ ص ٣١ × ٢١,٥سم ١٨ س

معجم المؤلفين ٣ / ١٦١

(مخطوطات التاريخ والتراجم والسير فى مكتبة المتحف العراقى ـ أسامة ناصر النقشبندى وظمياء محمد عباس / ١٩٧، ١٩٨)

*** ذيل اللآلي المصنوعة فى الأحاديث الموضوعة:**

من مصنفات التراث الإسلامي في الحديث النبوى الشريف وعلومه ورجاله تأليف السيوطي:

١ خدابخش ٥ / ٢ / ٣٠ [314] و ١ ـ ١٥٣) ضمن مجموع ـ ق ١١ هـ.

٢ ـ سالارجنك ٣ / ٧٩ [H.72/1] ـ (وا ب ـ ١٦٣ ب) ضمن مجموع ـ ١٢٩٤ هـ.

٣ ـ إزميرلى إسماعيل حقى ٢١ [٩٦].

٤ ـ المحمودية ٨٨ [٨٤٥] ـ (٢٦٤و).

(الفهرس الشامل للتراث العربى الإسلامى المخطوط. الحديث النبوى الشريف وعلومه ورجاله مؤسسة آل البيت (مآب) عمان، الأردن ٢ / ٧٩٨)

*** ذيل لب اللباب:**

من المخطوطات العربية المحفوظة في مكتبة تشستربيتى (دبلن / أيرلندا). وقد أدرجت في الفهرس مرتين، ففى المرة الأولى (١ / ٥٦٣، رقم تسلسلى ٣٩٧٥)جاء بيان نسخة المخطوط كما يلي:

عنوان المخطوطة: ذيل لب اللباب.

اسم المؤلف: عبد الرحيم بن عبد العظيم بن عبد الرحمن بن محمد الأشمونى الشافعي.

اسم الشهرة: الأشمونى

تاريخ الوفاة: بعد القرن ١١ هـ / ١٧ م

تعريف بالمخطوطة: تذييل على المخطوطة السابقة (أي في الفهرس، وعنوانها «لب اللباب فى تحرير الأنساب للسيوطى)

عدد الأوراق: من ١٢٧ ـ ١٥٩.

نوع المخطوطة: النسخة الأصلية بخط المؤلف

المصدر: بروكلمان ٢ / ٣٠٨

عدد أوراق المجموع: ١٥٩ ورقة، ٢١ × ٢ ١٥سم

نوع الخط: نسخ معتاد واضح

تاريخ النسخ: [د. ت] تقديرا ق ١١ هـ / ١٧ م

وجاء بيان النسخة الثانية (٢ / ٩١٩، رقم تسلسلى ٤٧٠٧) فيما عدا ما يأتي:

عدد الأوراق: ٤٩ ورقة، ٨، ٢٠ × ٧ ١٥سم

الناسخ: منصور بن شمس الدين السندوى.

تاريخ النسخ: الأحد ١٩ رمضان ١١٢٣ هـ (٣١ أكتوبر ١٧١١ م)

(فهرس المخطوطات العربية فى مكتبة تشستربيتى (دبلن / أيرلندا) ـ أعده الأستاذ آرثر ج. آربرى ترجمه د. محمود شاكر سعيد، راجعه د. إحسان صدقى العمد ١ / ٥٦٣، ٢ / ٩١٩).

*** ذيل لواقح الأنوار فى طبقات السادة الأخيار:**

من مصنفات التراث الإسلامي في التاريخ والتراجم والسير مخطوط فى دار الكتب الظاهرية بدمشق (أو بمكتبة الأسد).

الرقم ٩٧٥٧

ذكر المؤلف فى هذا الذيل جماعة من مشايخ مصر فى عصره، وانتهى من تأليفه سنة ٩٦١ هـ.

تأليف أبى المواهب (أبى عبد الرحمن) عبد الوهاب بن أحمد بن على الشعرانى الأنصارى الشاذلى المصرى المتوفى فى القاهرة سنة ٩٧٣ / ١٥٦٥.

أول النسخة:

«الحمد لله رب العالمين ... وبعد فهذا ذيل طبقات الأولياء لمولانا القطب الربانى والعالم الصمدانى الشيخ العارف بالله تعالى سيدنا ومولانا عبد الوهاب الشعرانى ... قال: ومنهم، شيخنا وقدوتنا إلى الله تعالى، الشيخ جلال الدين السيوطى رحمه الله تعالى».

آخر النسخة:

«وقد بقى منهم جماعة ذكرناهم فى كتاب «المفاخر والمآثر فى علماء القرن العاشر» ... وليكن هذا كتابنا المسمى بلواقح الأنوار القدسية فى مناقب العلماء الصوفية إلى عصرنا هذا، وهو سنة ٩٦١ هـ. واعلم يا أخى أننى لم أذكر من الصحابة والتابعين والعلماء العاملين إلا من له كلام فى الطريق ... كما أنى لم أذكر من الصوفية والعلماء الذين أدركتهم إلا من كان لى به صحبة، أو قرأت عليه شيئا من العلوم، أو أخذ على العهد ... وما تركت ذكر مناقب من تركت استهانة بحقوقهم ... فعليكم أيها الإخوان الاقتداء بى ... والحمد لله رب العالمين».

النسخة حديثة. جيدة وقيمة. فى أطرافها آثار رطوبة. كتبت أسماء المتصوفة بالمداد الأحمر. فاتحة الكتاب مجدولة بالحمرة وكتب فيها العنوان بخط كبير.

الخط معتاد مقروء. كتبه نور الدين على بن عرفات المحلى الشناوى الأحمدى سنة ١٠٦٢ هـ.

٦٢ ق	٢٣ س	٢١ × ١٥ سم

(انظر كشف الظنون ٢ / ١٥٦٧، والأعلام ٤ / ٣٣٢).

نسخة ثانية:

الرقم ٧٤٥٩

أول النسخة:

«ومنهم شيخنا وقدوتنا إلى الله تعالى الشيخ العلامة الشيخ جلال الدين السيوطى رحمه الله».

آخر النسخة:

«ولما وقع التفتيش على أموال السلطان فى جمعة العلماء والرزق والأوقاف جاءنى وقال لى مقصودى: إنهم يفتشون أيضا على الشريعة وينظروا ما نقص من أحكامها فيعيدوه ويأمروا الناس بالعمل به. فكان سبب تأليفى الكتاب المسمى: «تنبيه المفترين (فى آداب الدين) فى القرن العاشر على ما خلفوا فيه سلفهم الطاهر»، وهو كتاب نفيس ذكرت فيه هدى الصحابة والتابعين والعلماء العاملين. وبينت فيه ما نقص من أعلام الدين، وله ذوق عظيم فى طريق القوم».

النسخة حديثة. مخرومة الطرفين. مفروطة الأوراق. أكل أرضة فى بعض أوراقها.

الخط معتاد مقروء.

٦٥ ق	١٩ س	٢٠ × ١٥ سم

(فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية ـ مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق التاريخ وملحقاته ـ وضعه خالد الريان. دمشق ١٣٩٣ هـ ١٩٧٣ م ٢ / ٢٧٩، ٢٨٠).

*** ذيل مشتبه الأسماء والنسب:**

من مخطوطات الحديث النبوى الشريف وعلومه ورجاله.

ذيل مشتبه الأسماء والنسب (لابن نقطة) المذيل على كتاب ابن ماكولا البغدادى بن العمادية.

١ ـ دار الكتب / القاهرة (قسم حماية التراث ١ / ٢٢٣ [٨١] ـ (٤٥و) ـ (بروك م ١ / ٦٠٢).

(الفهرس الشامل للتراث العربى المخطوط. الحديث النبوى الشريف وعلومه ورجاله. مؤسسة آل البيت (مآب) عمان، الأردن ٢ / ٧٩٨).

*** ذيل مطالع السعود:**

من مصنفات التراث الإسلامى فى التاريخ.

مخطوط فى مكتبة المتحف العراقى.

الرقم ٢٩٦٦٤

لمحمود بن سلطان بن عبد القادر بن حبيب الشاوى الحميرى المتوفى سنة ١٣٥٨ هـ / ١٩٣٩م.

الأول (الحمد لله الواحد الأحد الفرد الصمد الذى تفرد بالكمال وحده ...)

وهو كتاب فى تأريخ بغداد تناول فيه المؤلف ما وقع فى بغداد منذ أيام على رضا والى بغداد إلى أيام ممدوح بيك والولاة الذين توالوا على السلطة فيها وما قيل فيهم وأخبار أصحاب المناصب الإدارية والعسكرية والحوادث التى وقعت فى أيامهم. وقد أضاف المؤلف إليه عدة ملاحق عن الحروب التى جرت بين العثمانيين والإنكليز وسقوط بغداد ووصل إلى سنة ١٩٢٣ م. وقد ذكر المؤلف أنه وضع هذا الكتاب بطلب من الميجر (لونكرى) وجعله ذيلا على كتاب مطالع السعود فى أخبار الوزير داود والى بغداد لعثمان بن سند البصرى المتوفى سنة ١٢٤٢ هـ/ ١٨٢٦ م.

نسخة جيدة فى أولها فائدة عن الكتاب والمؤلف.

القياس ١١٨ ص ٢٥×١٧,٥ س ٢٩س

معجم المؤلفين ٣/ ١٦١

ـ نسخة أخرى

الرقم ١٠٦٥٧

جيدة الخط فى أولها فهرس بأسماء الولاة.

القياس ١٢٠ ص ٢١,٥×١٧,٥ سم ١٧س

(مخطوطات التاريخ والتراجم والسير فى مكتبة المتحف العراقى ـ أسامة ناصر النقشبندى وظمياء محمد عباس / ١٩٨، ١٩٩).

*** ذيل ميزان الاعتدال فى نقد الرجال:**

من مصنفات التراث الإسلامى فى الحديث النبوى الشريف وعلومه ورجاله يوجد مخطوطه فى مكتبة المتحف العراقى وجاء بيانه كما يلى:

الرقم ٩٨٣٣

لعز الدين عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن بن أبى بكر بن إبراهيم العراقى المتوفى سنة ٨٠٦ هـ/ ١٤٠٤ م.

الأول (الحمد لله ... فى مهد الإحسان ... وبعد فإن كتاب الميزان كتاب مفيد وضع له جامع لما أسقطه ...)

وميزان الاعتدال لشمس الدين الدمشقى الذهبى المتوفى سنة ٧٤٨ هـ/ ١٣٤٨ م (معجم المؤلفين ٨/ ٢٨٩) وهو كتاب فى نقد الرجال. ولقد أضاف أحمد بن محمد بن حجر العسقلانى المتوفى سنة ٨٥٢ هـ/ ١٤٤٩ م زيادات من عنده على هذا الذيل وقد جاءت زياداته بعد قول المؤلف انتهى فيضيف العسقلانى ما يريد أن يزيده.

وهذه النسخة كتبها ابن حجر العسقلانى المذكور بخطه وقد أضاف وشطب واستدرك عليها وانتهى منها سنة ٨٣٩ هـ/ ١٤٣٥ م فى أول هذه النسخة تملك لمحمد بن محمد بن الخيضرى مؤرخ سنة ٨٥٨ هـ/ ١٤٥٤ م وعبد الرحيم بن على المخللاتى.

القياس ٢٠٦ ص ٢٢×١٥,٥ سم ٢٠س

معجم المؤلفين ٥/ ٢٠٤، ٢/ ٢٠ كشف ٢/ ١٩٥٨

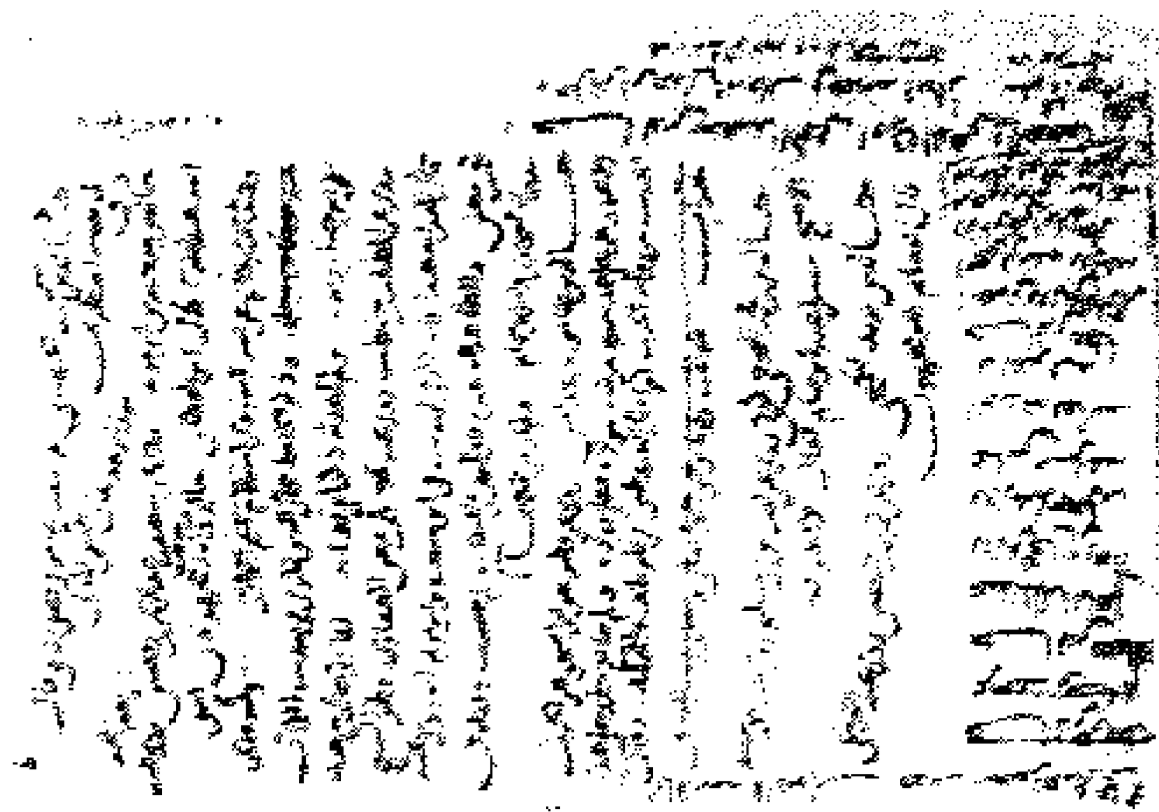
(مخطوطات التاريخ والتراجم والسير / ١٩٩).

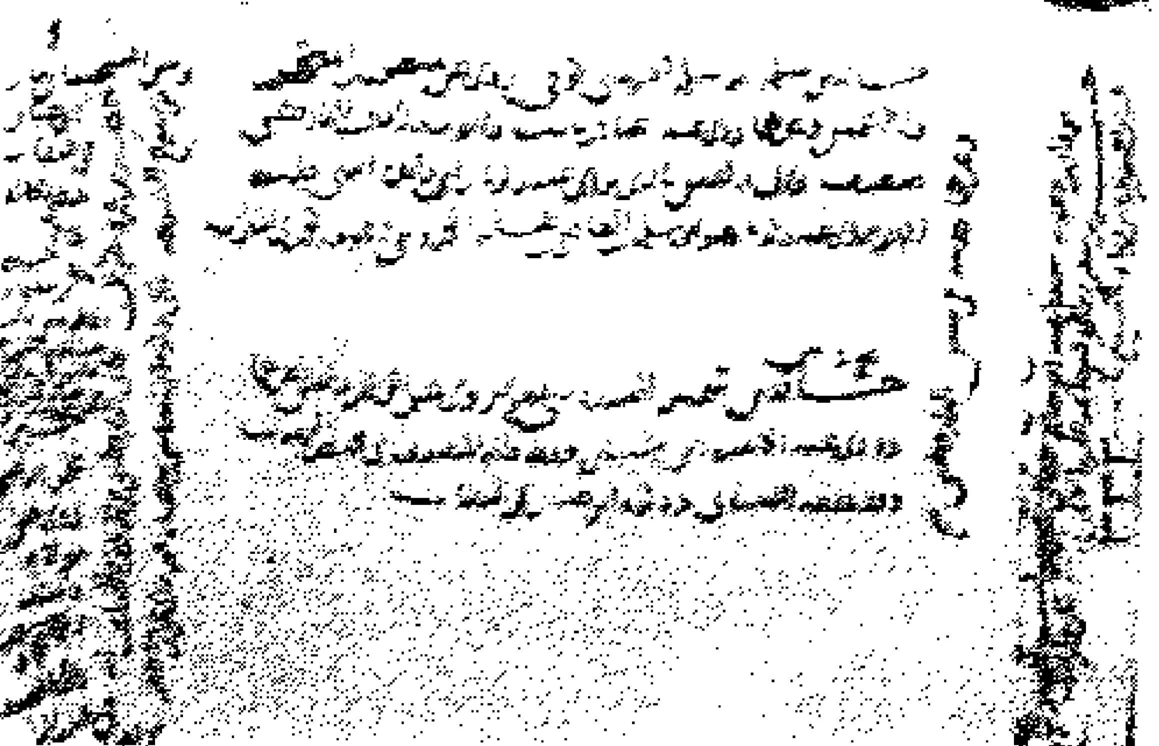
كما جاء فى الفهرس الشامل ما يلى:

ذيل ميزان الاعتدال فى نقد الرجال ـ العراقى

١ ـ المؤسسة العامة للآثار / (عباس العزاوى) / بغداد (المورد/ ١٣/ ٣ (١٩٨٤ م) ق ٢/ ٢٠٥) [٩٨٣٣] ـــ (٢٠٦ ص) ـ ٨٣٩ هـ، بخط المؤلف.

وضع ابن حجر العسقلانى تعليقات عليه بعنوان: «تعليقات على ذيل ميزان الاعتدال». (انظره فى حرف التاء فى م ١٠/ ١٦ (الفهرس الشامل ٢/ ٧٩٨).





٦ ـ صفحتان من كتاب ذيل الميزان بخط ابن حجر العسقلانى سنة ٨٣٩هـ/١٤٣٥م انظر المخطوط رقم ٣٨٨.

(مخطوطات التاريخ والتراجم والسير فى مكتبة المتحف العراقى - أسامة ناصر النقشبندى وظمياء محمد عباس / ١٩٩ ، والفهرس الشامل للتراث العربى المخطوط . الحديث النبوى الشريف وعلومه ورجاله . مؤسسة آل البيت (مآب) عمان، الأردن ٢ / ٧٩٨).

*** ذيل نزهة النظار فى قضاة الأمصار لابن الملقن:**

من مصنفات التراث الإسلامى فى التاريخ

مخطوط بدار الكتب المصرية

تأليف أحمد بن محمد بن محمد بن عبد الله بن أحمد الرمادى.

أوله بعد الديباجة: لما وقفت على نزهة الأنظار . . . فاستجزت الله سبحانه وتعالى أن أضم إلى ذلك ذكر من سلف من الأسماء والتواريخ مختصرا.

- ضمن مجموعة مصورة بالفوتستات عن النسخة الخطية المحفوظة بمكتبة طلعت برقم ١٨٣٦ تاريخ وهى بخط المؤلف من لوحة (٤١ - ٥٠).

١٢×٢٣ سم		[١١٥٤٩ ح]

(فهرست المخطوطات: نشرة بالمخطوطات التى اقتنتها دار الكتب من سنة ١٩٣٦ - ١٩٥٥ - تصنيف فؤاد سيد ق ١م ٢ / ٣٤٣).

*** ذيل نفحة الريحانة:**

من مصنفات التراث الإسلامى فى الأدب. مطبوع.

يوجد مخطوطه فى دار الكتب الظاهرية بدمشق (أو بمكتبة الأسد) الرقم ٧٣٧٢.

وهو تتمة نفحة الريحانة. وكلاهما لمحمد أمين بن فضل الله بن محب الدين المحبى المتوفى سنة ١١١١ هـ / ١٦٩٩م (ترجمته فى بروكلمان الذيل ٢/ ٤٠٣، ومعجم المؤلفين ٩/ ٧٨، والأعلام ٦/ ٤١) وكان المحبى قد بدأ بتأليف الذيل حين وافته المنية، فأكمل عمله هذا محمد سعيد بن محمد بن أحمد السمان الشافعى الدمشقى المتوفى سنة ١١٧٢ هـ / ١٧٥٩ م (ترجمته فى بروكلمان ٢ : ٣٦٣ وذيله ٢ : ٣٩١ والأعلام ٣/ ١٥٤ و ٧/ ١٢ ومعجم المؤلفين ١٠ / ٣٥ وانظر مقدمة المطبوع ١-٦).

أوله: «رب أوزعنى أن أشكر نعمتك التى أنعمت علىَّ حيث أتحفتنى بتحايف درر تضىء بين يدى، بل صحائف غرر حوت كل معنى مبتكر . . . وقالوا: إن هى إلا نفحات محمد الأمين قد ذيل بها كتابه نفحة الريحانة ورشحة طلاء الحانة:

ويا حبذا ذيل كساها محمد
سلالة فضل الله من هو سباق

. . . وكان يجول فى خلدى وأنا الفقير إلى الملك الديان محمد المعروف بابن السمان أن أجمع دررها المنتثرة . . .»

آخره: ولجامعه الفقير محمد بن السمان:

ما فوق خطب المنون طارق
بصوته يصدع الخلائق
ولا سوى أكؤس المنايا
تذيقنا خمرة البوايق

. . . .

وقالت المكرمات دعنى
أموت بالحزن فى المضايق
عليه منى ترحمات
تفوق بالهَلِّ كل وادق
ما ناحت الورق فى الروابى
ولاح بالأبرقين بارِق

تم الكتاب بحمد الله وعفوه

محرره عطايا

نسخة جيدة كتبت بخط نسخ واضح ورؤوس الفقر بالحمرة

١١٣ ق		١٧ س		١٥×٢٠,٥ سم

- نسخة أخرى

الرقم ٤٧٢٣

نسخة مخرومة من أولها بمقدار ورقة واحدة.

تنتهى هذه النسخة فى الورقة ٥٤ ب ثم أضيف إليها ٦ ورقات على طراز الكتاب.

والنسخة مكتوبة بخط معتاد قليل الوضوح على يد محمد ابن أحمد آغا سنة ١١٣٣ وكتبت رؤوس الفقرات بالحمرة.

٦٠ ق ٢٩ س ١٢×٢٣ سم

ـ نسخة ثالثة

الرقم ٤٦٠٩

قطعة منه. تبدأ بأواخر ترجمة محمد بن محمود المحمودى وهى تقابل الصفحة ٩٣ من طبعة عبد الفتاح الحلو سنة ١٩٧١ البيت ٩ وتنتهى فى أثناء ترجمة سعودى ابن يحيى الشهير بالمتنبى، وهى تقابل الصفحة ٢٥٨ السطر ١٢.

والنسخة بخط المؤلف كما ذكر فى الورقة (١٢ أ)

١٨ ق ٣٠ س ٢٠,٥×١٣,٥ سم

(فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية. الأدب ـ وضعه رياض عبد الحميد مراد وياسين محمد السواس ١/ ٢٣٠ ـ ٢٣٢).

***الذيل والتكملة لكتابى الموصول والصلة:**

من نوادر المخطوطات التى توجد بخزانة جامع القرويين بمدينة فاس بالمغرب. وجاء عنه ما يلى تحت رقم ٦٢٦ وهو رقم ترجمة المؤلف:

ابن عبد الملك محمد بن محمد بن سعيد الأوسى الأنصارى المالكى البحاثة النظار المطلع أبو عبد الله المتوفى سنة ٧٠٣ بتلمسان قاضى مراكش وعالمها الفذ وارجع فى ترجمته إلى الديباج المذهب لابن فرحون وإلى المرقبة العليا وإلى بحثنا المستفيض المنشور فى أعداد متسلسلة من مجلة دعوة الحق الصادرة فى الرباط.

الذيل والتكملة لكتابى الموصول والصلة.

جزء واحد ضخم بخط أندلسى مبتور الطرفين نسب فى البرنامج القديم لابن الأبار غلطا، فى كاغد متلاش جدا خصوصا فى أوائله من جراء التفريط وعدم الاعتناء تضمن الجزء المذكور طائفة من الأحمدين أى من اسمه أحمد على الترتيب الذى سلكه المؤلف فى الحروف مع مراعاة ذلك فى تعدد المترجم وأول الموجود منه بقية من ترجمة أبى المطرف ابن عميرة نقل فيها بعض رسائل المترجم ابن عميرة المذكور ونظمه إلى أن قال: وإنما أطلت فى ذكر هذا الشيخ وأكثرت من إيراد آثاره. لأن طائفة من أهل طبقته كانت تستقصر منظومه وتدفعه عن الإجادة فيه وهو كما رأيت وسمعت بلاغة وبراعة إلى أن قال: ومولده بجزيرة شقر وقيل ببلنسية فى رمضان اثنتين وثمانين وخمسمائة وتوفى بتونس ليلة الجمعة الموفى عشرين من ذى حجة ثمان وخمسين وستمائة. ووهم أبو جعفر بن الزبير فى وفاته إذ جعلها فى حدود ٦٥٠، وهذه البقية من ترجمة ابن عميرة شغلت أوراقا ٣ وبمحول الرابعة أحمد بن عبد الله بن محمد طليطلى. ٣ـ أحمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله الفهرى. ٤ـ أحمد بن عبد الله بن محمد ابن عيسى الأنصارى قرطبى. ٥ ـ أحمد بن عبد الله بن محمد ابن مجير البكرى مالقى أبو جعفر إلى آخر تراجمه وانظر الترجمة رقم ٥٠ أحمد بن عبد الرحمن بن سليمان بن بالغ الأنصارى سرقسطى أبو جعفر واستجازة أبى على الصدفى له جماعة من شيوخه بالمشرق منهم أبو الفضل أحمد بن الحسن بن خيرون ثم بحث المؤلف فى قعدد أبى محمد رزق الله بن عبد الوهاب وما عورض به وخولف أبو على الصدفى وانظر فى هذه الترجمة أيضا ذكر أبى الفوارس طراد بن نظام الحضرتين محمد بن على الزينبى نسبه إلى زينب ابنة سليمان ابن على بن حسين بن على بن أبى طالب رضى الله عنه وهى أم محمد بن إبراهيم الإمام فيما قال أبو محمد بن حزم وقال عياض هى أم عبد الله سالى آخر هذا البحث النفيس الورقة ١٠ ـ ١١ وانظر فى الورقة ٢٢ ترجمة أحمد بن عبد العزيز بن هشام بن أحمد بن خلف بن غزوان الفهرى من أهل شانت مرية البابرى الأصل مهما فى جمع الدعاوى بالكسر لدعوى وأن الصواب دعاوى وهو بحث قيم وانظر كذلك نظما للمترجم فى استخراج مضمرات الحروف وبيان المؤلف وجه العمل بذلك وانظر فى ص ٣٩ من ترجمة أحمد بن عبد الجليل التدميرى بحثا فى أن ابن عزيز صاحب غريب القرآن بالراء وانظر فى الورقة ٣٦ ترجمة أحمد بن على بن أحمد بن عبد الرحمن بن أحمد عبد الرحمن بن يعيش من ذرية عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه وذكر أنه روى عنه أبو القاسم ابن عبد الرحيم بن عيسى بن الملجوم ثم نقل المؤلف بحث ابن الزبير مع أبى العباس بن فرتون وتصحيح ابن عبد الملك لما ذكره ابن فرتون ورده على ابن الزبير وأن ابن الملجوم هذا له نسختان من فهرسته إحداهما أتم من الأخرى. وانظر فى هذه الترجمة ذكر المقيد الضابط النبيل أبى عبد الله محمد بن على بن حسون الحضرمى أحد الفاسيين المتقنين وله رواية

عن أبي القاسم أحمد بن يوسف الوراق الجقالة وغيره وانظر في ترجمة أبي جعفر بن الحصار أحمد بن علي بن حكم الورقة ٤٠ بحثا مهما في أبي علي الصدفي وانظر في الورقة ٤٤ ترجمة أحمد بن علي العباس اللص وانظر في ص ٩٥ ترجمة أحمد ابن علي بن محمد الأنصاري الأوسي القرطبي سكن غرناطة وانظر فيها الكلام على مثال النعل النبوي الشريف وما أنشده المؤلف من قبل شيخه أبي الحسن الرعيني قال عقب ذلك: وأنشدني شيخنا أبو الحكم ملك بن عبد الرحمن المالقي عفا الله عنه بسبتة حرسها الله، لنفسه وكتب لي بخطه في هذا المعنى ووطأ له بمدحه ﷺ يوصف حبيبي طرر الشعر ناظمه ويمنم خد الطرس بالنفس راخمه ثم أعقب ذلك المؤلف بتعقب للقصيدة ثم أنشده أيضا بسبتة قصيدته الطائية وعقب على ذلك أيضا وانظر في ص ١١٠ ترجمة أحمد بن عيسى أبو الوليد الأفيلح تصغير الأفلح الإشبيلي وزير ابن هود وله أرجوزة مخمسة في السير سماها نظم الدور ونشر الزهر أودعها نكت اليسر لأبي بكر محمد بن إسحاق وانظر فيها قطعة تهنئة بعيد قدمها لأبي العلاء إدريس الملقب بالمأمون. وانظر ص ١٢٢، ١٢٣ عند أحمد بن محمد... ابن طلحة شقري أنه ورد مراكش وامتدح بها لمة من وزراء دولة عبد المؤمن وجرت بينه وبين جماعة من الأدباء بها مخاطبات ومراجعات وانظر فيها ما كتب به إليه عام ٦٢٣ وهما بمراكش الكاتب الشاعر أبو عبد الله بن علي الفاسي المعروف بابن عابد وما أجابه به ابن طلحة المذكور، وانظر في ص ١٣١ ترجمة أحمد بن محمد بن أحمد القهري إشبيلي أبو العباس ابن سيمرة كان معنيا بالتاريخ وتقييد أيام الناس وله اختصار الاستيعاب وتاريخ في دولة عبد المؤمن وحزبه وكان حيًّا في حدود الستمائة، وانظر عقبه بقليل ذكر ذيل الصلة لابن فرتون ومعجم شيوخه وبرنامج روايته وانظر في ص ١٤١ عند ترجمة أحمد بن محمد بن حزم الإشبيلي من ذرية ابن حزم لأمه وذكر كتابه الذي رد به على ابن العربي سماه الزوائغ والدوامغ رد به على كتاب ابن العربي الدواهي والنواهي حاذاه فيه كلاما بكلام وحديثا بحديث وفقها بفقه ونظما ينظم ونثرا بنثر وإقذاعا بإقذاع.. إلى آخر السفر المبتور الطرفين وآخر ترجمة ذكرت فيه ناقصه ترجمة أحمد بن محمد بن أحمد بن مسعود العبدري قرطبي.. وهذه الترجمة في آخر ورقة ولا ندري كم ينقصها وقد بلغت عدة تراجم هذا الجزء ٦٤٦ ترجمة.

أوراقه ١٢١ مسطرته ٢٥ مقياسه ٢٦ / ١٩ (مجموعة مختارة ق ١ / ١٧٢ ١٧٤).

ويوجد مخطوط أيضا بدار الكتب المصرية جاء بيانه كما يلي:

تأليف أبي عبد الله محمد بن محمد بن محمد بن عبد الملك المراكشي.

الموجود الجزء الخامس يبتدئ بتراجم من اسمه عبد الملك وينتهي إلى ترجمة محمد بن أحمد بن عبد الملك بن عيسى اليحصبي.

ـ نسخة في مجلدين مصورة بالفوتستات عن الأصل المحفوظ بالدار برقم ٦١ تاريخ حليم المكتوب بخط مغربي قديم نفيس في ٢١٦ لوحة، كل لوحة ذات شطرين.

جزء آخر فيه من الحروف: السين والشين والصاد والضاد والطاء والظاء وأكثر العين مكتوب بخط أندلسي قديم ومصور عن الأصل المحفوظ في الإسكوريال برقم ١٦٨٧ في ٦٢ لوحة. [١٢٨٦٣ ح].

(فهرست المخطوطات / ٣٤٣).

(مجموعة مختارة لمخطوطات عربية نادرة في مكتبات عامة في المغرب. مركز الخدمات والأبحاث الثقافية ق ١ / ١٧٢ ـ ١٧٤، وفهرست المخطوطات. نشرة بالمخطوطات التي اقتنتها دار الكتب من سنة ١٩٣٦ ـ ١٩٥٥ ـ تصنيف فؤاد سيد ق ١ / ٣٤٣).

*** ذيل الوشاح في علم النكاح:**

من مخطوطات جامعة الإسكندرية.

للسيوطي (جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر) المتوفى ٩١١ هـ.

(بروكلمان ٢ / ١٣٤ ـ معجم المؤلفين ٥ / ١٢٨).

أولها: الحمد لله الذي جعل رحمته ملاذا... وبعد؛ فقد جمعت على إنشاء هزلي أدبي طبي عملي علمي... يشتمل على فوائد جليلة الخطر...

آخرها: وكثرة الدلك والحمام وتتبع زغب الشعر بالعلك حسنوا (؟) جدا، والله أعلم، وليكن هذا آخر القول، والحمد لله رب العالمين.

نسخة كتبت في القرن العاشر الهجري تقديرا، بقلم نسخي بها خروم.

٢٦٠ ق		١٠ س		١٧ × ١٢ سـم
الرقم : ٤٠ / عزيز سوريال .
(فهرس مخطوطات جامعة الإسكندرية، معهد المخطوطات العربية - إعداد د. يوسف زيدان. القاهرة ١٩٩٤ م، ١/ ٣٢٣).

* **الذيل والصلة لكتاب التكملة وحاشيتها:**

من المخطوطات المصورة في معهد المخطوطات العربية بالقاهرة وجاء بيانه كما يلي : الذيل والصلة لكتاب التكملة وحاشيتها تأليف رضي الدين الحسن بن محمد بن الحسن بن حيدر الصاغاني المتوفى سنة ٦٥٠ . ذكر في مقدمته : « هذه حاشية ذيل الصحاح في اللغة من تأليفي المسمى بالتكملة وصلته، أفردتها تسهيلا على الطالب وتيسيرا على الراغب، فمن حواها والتكملة حاز جميع ما فات الجوهري، ومن جمع بينها وبين الصحاح أو اقتنى كتابي المسمى بجمع البحرين حاز اللغة بحذافيرها .

نسخة كتبت في حياة المؤلف وبهوامشها تصحيحات بخطه وكذلك العنوان بخطه

[مراد مُلاً ١٧٦٦		٣١١ ق		٢٤×٢٤ سم]

(فهرس المخطوطات المصورة ، معهد المخطوطات العربية - تصنيف فؤاد سيد ١ / ٣٥٥).

قالت المؤلفة : مكتبة مراد مُلاً : جهار جمبا باستانبول .

* **الذيموني:**

قال السمعاني :

الذيموني : بفتح الذال المعجمة وسكون الياء المنقوطة من تحتها بنقطتين وضم الميم وفي آخرها النون، هذه النسبة إلى ذيمون، وهي قرية على فرسخين ونصف من بخاري، أكثرها أصحاب الحديث، وهي قرية قديمة كثيرة الماء، بتّ بها ليلة في توجهي إلى الزيارة بيبكند، والمشهور من أهلها أبو محمد حكيم بن محمد بن علي بن الحسين بن أحمد بن حكيم الذيموني، قرأت هذا النسب بخطه على وجه السادس من كتاب الصلاة، نقلتها من تعليقه، فقيه أصحاب الشافعي رحمهم الله، تفقه بمرو على الإمام أبي عبد الله الخضري وعلق عليه الفقه في سنة خمس وسبعين وثلاثمائة، ودرس الكلام على الأستاذ أبي إسحاق إبراهيم بن محمد الإسفرائيني، توفي ببخاري في شهر ربيع الأول سنة ست عشرة وأربعمائة ودفن برأس سكة الصفة مقابلة الخانقاه ومشهده معروف يزار ويتبرك، زرته غير مرة. ذكر أبو كامل البصيري في كتاب المضافات : وحكيم اسم شيخنا أبي محمد حكيم بن محمد الذيموني، إمام أهل الحديث، بصير بعلم كلام الأشعري، يدرس به، المقدم في شأنه فحدثنا عن أبي عمرو ابن صابر من لفظه فغلط في اسم من أسماء الرجال، فرددت عليه فقربني وأكرمني وأجلسني قدامه؛ وكنا يوما في جنازة الحافظ أبي بكر الجرجرائي رحمه الله وحضر هناك الأئمة من الفريقين وأهل بخاري بدرب ميدان، وحضر هناك القاضي أبو علي النسفي فقدم القاضي أبو علي في الإمامة حكيم بن محمد الذيموني فصلينا على الجنازة بإمامته رحمهم الله .

وأبو القاسم عبد العزيز بن أبي نصر أحمد بن محمد بن عبد الله بن محمد بن زيد بن عبد الله بن مرثد بن مقاتل بن حيان الذيموني البخاري مولى حيان النبطي من أهل بخاري، فقيه فاضل، سمع أبا عمرو ومحمد بن محمد بن صابر وأبا سعيد الخليل بن أحمد وأبا حامد أحمد بن عبد الله الصائغ وجماعة، سمع منه أبو محمد عبد العزيز بن محمد النخشبي وذكره في معجم شيوخه وقال : شيخ شافعي المذهب لا بأس به لا يعرف الحديث، وسماعه صحيح، بكّر به فسمعه من أبي عمرو بن صابر وهؤلاء الشيوخ .

(الأنساب للسمعاني - تقديم وتعليق عبد الله عمر البارودي ٣/ ١٩، ٢٠).

بســـم الله الرحمن الرحيـــم

تم بحمد الله تعالى وعونه حرف الـذال

ويليه بمشيئة الله تعالى حرف الـــراء

أعان الله على إتمامه